

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
« بدل الاشتراك »
٥٠ قرشاً في الجمهورية العربية المتحدة
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٤٧٣
٩٠٥٥٠٦

الجزء الأول — السنة الثانية والأربعون — المحرم سنة ١٣٩٠ هـ مارس سنة ١٩٧٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

ما قبل الهجرة وبعدها

للأستاذ عبد الرحيم فودة

١ — لم تكن هجرة النبي ﷺ والمسلمين من مكة إلى المدينة عملا مرتجلا يثيره الفزع والجزع والشعور بالضعف أو الخوف، ولم تكن تنفيذاً لفكرة طارئة تفرضها الظروف القاسية، والأيام العصيبة التي كان يعيش فيها المسلمون ويتحملون من ألوان البلاء والعناء والعسف ما تنوء بحمله الجبال، وإنما كانت نتيجة تدبير وتقدير وإعداد وتمهيد، فقد سبقت ببيعة العقبة التي أخذها النبي على الأنصار ثلاث سنوات متتاليات، وبإسلام كثير من أهل المدينة ودخولهم في هذه البيعة على السمع والطاعة في المنشط والمكره، وعلى النفقة في العسر واليسر وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن ينصروه ويمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأزواجهم وأبناءهم.

٢ — هذا إلى أنه ﷺ عرف فكرة الهجرة منذ أول عهده بالوحي، كما يفهم من قصته مع ورقة بن نوفل، حين ذهبت به إليه زوجته خديجة، وطلبت منه أن يعرض عليه خبر لقائه مع جبريل في الغار.

فقد قال ورقة بعد أن سمع منه ما سمع : (يا ليتني فيها جذعا ، يا ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك . فقال صلى الله عليه وسلم : أومخرجي هم . . ؟ قال نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا) .

٣ — وقد ظل أمر الهجرة — مع علمه به — مبهما عليه ، لا يعرف متى يهاجر ، وإلى أي مكان يهاجر حتى رأى في المنام ما يلقى ضوءاً عليه . فقال للمسلمين بمكة : « أريت دار هجرتكم . أريت سبخة (أرض ذات سماد وسباخ) ذات نخل بين لابتين (أي أرضين من حجارة سود) » ثم أخذ المسلمون يهاجرون إلى المدينة ، وبقى صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر أن يأذن الله له بالهجرة منها ، حتى كانت الليلة التي قال الله فيها : « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » .

فقد اجتمع أشراف كل قبيلة من قريش في دار الندوة لينظروا في أمره ويأتمروا به ، فمن قائل نقيده في السجن بالحديد ، ومن قائل نخرجه من بلدنا إلى مكان بعيد ، ثم التقى رأيهم على رأى أبي جهل ، وهو أن يختار من كل قبيلة شاب فتى قوى ، ثم يعطى كل منهم سيفا صارما ، ثم يضربوه ضربة رجل واحد ، ليتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلها .

٤ — وكان الله معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من الشر والغدر فأوحى إلى نبيه بما دبروا من مكر ، وأذن له بالهجرة من هذه القرية الظالم أهلها ، فلم ينس صلى الله عليه وسلم أن يرد الودائع التي كانت عنده للناس (ولم يكن بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده لما يعلم من أمانته وصدقه) فأبقى عليا ليؤدي عنه هذه الودائع ، وأمره أن يبيت مكانه ويتسجى ببرده الحضرمي الأخضر ، وقال له : لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم ، ثم خرج على المتربصين به ليقتلوه ، وقد أخذ الله على أبصارهم فلم يروه ، فجعل ينثر التراب على رءوسهم وهو يتلو قول ربه : « يس . والقرآن الحكيم .

إنك لمن المرسلين . على صراط مستقيم . تنزيل العزيز الرحيم . لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون . لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون . إنا جعلنا فى أعناقهم أغــلالا فهى إلى الأذقان فهم مقمحون . وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سـدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون » .

ثم انصرف صلى الله عليه وسلم ، فلم ينس أن يودع أرض مكة بهذه الكلمات التى تفيض عبرات : (والله إنك لأحب أرض الله إلىّ ، وإنك لأحب أرض الله إلى الله ، ولولا أن قومك أخرجونى منك ما خرجت) .

٥ — ومضى عليه السلام مع صاحبه أبى بكر إلى غار ثور ، واستيقظ المتربصون به على صوت ساخر يشق آذانهم : ما تنتظرون ها هنا ؟ قالوا : محمدا . فقال : خيبكم الله ، قد ـ والله ـ خرج عليكم محمد ، ثم ما ترك منكم رجلا إلا وقد وضع على رأسه ترابا ، وانطلق لحاجته ، أفما ترون ما بكم ؟

ووضع كل منهم يده على رأسه ، فإذا عليه تراب ، ورأوا عليا متسجيا ببرد الرسول فقالوا : والله إن هذا لمحمد نائما عليه برده . ولم يبرحوا مكانهم حتى أصبحوا ورأوا وجه على يتألق فى ضوئه أمامهم .

٦ — وطار صواب قريش وجن جنونها وانطلقوا فى كل مذهب وطريق يبحثون عن محمد وصاحبه ، وأحدقوا بهما حول الغار ، وكادت جيوشهم تطبق عليهما ، ورأى أبو بكر الخطر يقترب منهما ، فقال للنبى ﷺ : لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا . فقال صلى الله عليه وسلم فى لهجة الواثق المعتز بالله : (يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما) ، وكان ذلك تعبيرا عن صدق إيمانه بوعد الله واطمئنانه إلى عونه ونصره ، فلم يساوره أى شعور بالضعف أو الخوف ، وذلك بعض ما يفهم من قوله تعالى : « إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها . وجعل كلمة الذين

(البقية على صفحة ٨)

العبرة من الهجرة

لفضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد محمد الفحام
شيخ الأزهر

يشرق على الوجود هلال المحرم فيجدد فى دنيا الإسلام ذكرى من أروع الذكريات وأجلها خطرا وأعظمها أثرا فى مسيرة الإنسانية، ذكرى حادث لم يعرف له التاريخ نظيرا فى أمة من أمم الأرض ولا فى حياة زعيم من زعماء الدنيا، ذلك هو هجرة المختار صلوات الله وسلامه عليه من مكة إلى المدينة المنورة، تلك الهجرة التى تجلى فيها صدق الإرادة وكمال البطولة وقوة الإيمان وشرف الفداء والتضحية والتى فرقت بين الحق والباطل والخير والشر وفصلت بين الهدى والضلال والنور والظلام وأرست دعائم العدالة وأعلت صروح الفضيلة فنضرت وجه الأرض وعدلت مجرى الحياة

وكل خير أصابه المسلمون وكل رشاد ظفرت به البشرية منذ هاجرت رسالة التوحيد إلى يثرب إنما كان ثمرة طيبة من ثمار هذه الهجرة المباركة .

فما كانت الهجرة إلا تحريرا للإنسان من رق الطواغيت وإنقاذ البشرية المعذبة من ضلال الجاهلية وحماقة الطغيان وإلا حفاظا على صرح الأخلاق الفاضلة الذى شاده الأنبياء من قبل محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، وجاء هو ليكمل دين الله ويتم البناء « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا » .

فقد كانت الهجرة انتصارا للحق الأعزل إلا من الإيمان فى مواجهة الباطل المدجج بأسلحة البغى يريد أن يفتك به ويكتم أنفاسه ويعطل موكبه عن المسير .

ولم يكن انتصار الحق بالهجرة الكريمة سهلا لينا وإنما كان موضع ابتلاء ومحنة تعرض فيها لأقذر مؤامرة وأبشع جريمة، ولكن الحق كان مؤيدا بالجهاد والصبر والثبات والتضحية والإيثار والفداء والشجاعة والإيمان والثقة بنصر الله « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق » .

فقد ظل الرسول العربى صلوات الله وسلامه عليه فى مكة ثلاثة عشر عاما من عمر نبوته

يدعو إلى توحيد الله وشرف الإنسان وكرامته، ويفتح القلوب على الحق والنور والسيادة والعزة، قال للعرب: حطموا هذه الأصنام وتعالوا إلى كلمة سواء ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا، ودعا قريشا سادة العرب أن اترکی هذه السيادة فما كان بعض الناس أربابا لبعض وإنما الناس كلهم سواء لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح، وهتف بكسرى وقيصر أن دعا هذا الجبروت الظالم وتلك الربوبية الكاذبة واتبعانى أهدكما سبيل الرشاد، ولكن صادفته قلوب عليها أقفالها ونفوس أوصدت عن قبول الحق وانصرفت عن الهدى إلى متابعة الهوى والشيطان ولم يستجب له غير قلة قليلة تحملت لأواء دعوته وخلاف قومه وعشيرته فاستمرأت العذاب فى سبيل الحق واستعذبت الألم فى سبيل الله واشتد الأذى به وبالنفر الذين استجابوا لدعوته، وتنوعت مواقف المشركين ضده من السخرية والاستهزاء إلى العنف والاضطهاد إلى اللين والإغراء، ولكنه ثبت على الحق وصبر على الأذى فما ضعف ولا تخور ولا لانت له قناة فراحوا يعرضون عليه المال والسلطان ولكنه أبى إلا أن يكون داعيا إلى الله وأعلنها قوية مدوية مازالت تتردد فى أسماع الزمان «والله لوضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه».

وأزعج هؤلاء الطغاة أن ركب الهدى يتقدم وأن قائده لا يثنيه عن هدفه عنف ولا يغريه لين وأعيتهم الحيل ولم يجدوا وسيلة تريحهم من الدعوة الجديدة إلا بالقضاء على محمد، فقد تشاوروا فيما بينهم وانتهى رأيهم إلى أن يختاروا فتيانا أشداء من كل القبائل يرصدونه أمام بيته حين يهدأ الليل ثم ينقضون عليه ضربة رجل واحد فيستريحون منه ويتفرق دمه بين القبائل فتنوء بنو عبد مناف بثأره وترضى بديته، ولكن الله من ورائهم محيط فأطلع رسوله على مكرهم وأذن له بالهجرة إلى يثرب «وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين».

وفى الليلة الموعودة فيما بينهم لسفك الدم الزكى وإزهاق روح الدعوة أحاط النفر الأشقياء ببيت النبوة وكان فيهم أبو جهل

وعقبة بن أبى معيط وأمية بن خلف والنضر بن الحارث وطعمة بن عدى وزمعة ابن الأسود وغير هؤلاء الصناديد ممن بلغوا مائة عدا ، وما كان بيت النبوة مدينة محصنة ولا قلعة محكمة ولم يكن بداخله عدد غفير حتى تواجهه قريش بهذا الحشد الجلد بعد تشاور وتحاور وإنما كان بيتا متواضعا لا يعز على مقتحم ولا يستعصى على متسلق ، وإنما كان فى داخله مع محمد شاب تحدى وحده جموع الشباب المتربص فى شجاعة مؤمنة وفدائية جريئة ورقد على بن أبى طالب فى فراش النبى وغطاه صلوات الله عليه بردائه الحضرمى ، وخرج يخطو على اطمئنان الواثق بنصر الله فى مواجهة الموقف الحاسم الذى صمم الكفر فيه على تنفيذ مؤامرته التى أعد لها هذا الحشد الفتى المسلح ، خرج على الجمع المتربص به فى عتمة الليل وهو يحثو التراب على رءوسهم يتلو قرآنه « وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون » فإذا الشباب المتحفز مغشى على بصره مطموس على بصيرته فقد طلعت عليهم شمس الوجود ونور الحق فهل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا .

ومضى الرسول إلى بيت صاحبه أبى بكر على موعد معه ، ومن هناك خرجا إلى غار ثور ثم يوصلان منه الرحلة إلى يثرب.

وبقى القوم يترقبون النبى مطمئنين إلى أنهم سيقضون به أمرا يؤمنهم على ماهم عليه ويبقى على آلهتهم وضلالهم .

وشربت قريش كئوس الندامة عندما عرفت أن فتيانها باتوا ليلتهم حراسا لعلى لا متربصين بمحمد وفشلت المؤامرة وسقط التدبير وفسد المكر وأفلت الزمام ولم يعد أمامهم من أمل إلا أن يدركوه فيحبسوه أو يقتلوه فأغلوا الجعل لمن يرشد اليه وراحوا ينشرون العيون حول مكة ويقتفون الأثر فى مسالكها وانتهى بالسير بالقصاص إلى ذلك الغار فإذا حمامات مستكنة فى عشها وإذا شجرة تمتد فروعها وتتصافح أغصانها وإذا عناكب تتشابك خيوطها ويتكاثف نسجها فيحلف أحدهم أن نسج هذا العنكبوت أقدم من ميلاد محمد ، ويتجمع القوم ويتفرقون ويتناقشون ويتجادلون والرسول فى الغار وقد أحيط به من كل جانب والقصاص وقريش كلها تملأ

الفجاج وتقذف بلهب الغيظ والحقد فلا يهن عزمه ولا يرجف فؤاده ولا يفقد ثقته بنصر ربه ويخفق قلب الصديق خوفا على الرسول فيثبته قائلا له « لا تحزن إن الله معنا » ، وبعد ليال ثلاث إذ خمدت نار الطلب مضى الركب المهاجر فى طريقه تحوطه عناية الله وتلحظه فى كل خطوة وتدركه عند كل عقبة وتدفع عنه السوء وترد عنه الكيد حتى ألقى رحله فى يثرب لتتخذ اسم المدينة للنورة علما جديدا لها فكانت ردء الدعوة وسند الحق ومصدر النور والعزة وكانت وطن المجتمع الجديد: مجتمع الوحدة والإيثار والعدالة والمساواة والعلم والحضارة .

وهناك صنع الرسول القادة وراسل الملوك وبعث البعوث وملأ الدنيا بالنظم والمثل التى فتحت القلوب بالعدل والعقول بالعلم والبصائر بالنور .

ومن هناك بدأ الزحف المجيد للحملة الإلهية التى جردها الله على الكفر والبغى والجهل وجعل قائدها محمد بن عبد الله ولم يقف الزحف النبوى ولم يتباطأ فلم يمض شهر بدون معركة ينتصر فيها الحق وبدون تشريع وتجديد وعادت الدعوة الطريدة إلى مكة بالفتح الأكبر تملك الزمام وتنشر السلام وتؤثر العفو والصفح وأكمل الله الدين وأتم النعمة ودخل الناس فى دين الله أفواجا .

وهكذا لم تكن الهجرة فرارا من الميدان ولا مجرد انتقال من بلد إلى بلد وإنما كانت هجرة من أرض جثم فيها الشرك وحكمها الجهل وسادها البغى إلى أرض سطع فيها نور الحق وأشرف منها ضياء التوحيد .

وكانت ثورة على الظلم : ظلم النفس بالشرك والرذيلة وظلم المجتمع بالطغيان والفوضى .

وكانت حربا على الضعف الإنسانى فى شتى صوره وألوانه وانتصارا للحق مهما بطشت به قوة الباطل وكانت تأسيسا لأول دولة دعائمها العدل والعلم والحرية والحضارة والإخاء والمساواة فى ظل وحدة الأمة التى رضيها الله لعباده « إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » .

وما أشبه الليلة بالبارحة فذكرى الهجرة تطالعنا اليوم ونحن نواجه قوى الشر والعدوان وهى أشد ضراوة تريد أن تقضى من جديد على دعوة التوحيد وتغتصب ديارها وتذل أهلها وترد العالم إلى عهود الجاهلية الأولى .

والعبرة الواضحة من الهجرة أن الإيمان بالله والثبات على الحق والصبر على المكاره والكفاح فى سبيله، كل ذلك يستلزم النصر بإذن الله.

فليكن لنا فى رحاب الذكرى مدد يوثق صلتنا بالله ويربط على قلوبنا فى معركة المصير حتى نصون الحق ونسترد الأرض ونطهر القدس وترفرف أعلام السلام على أرض السلام.

«ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم».

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته؟

د: محمد محمد الفحام

(بقية المنشور على صفحة ٣)

كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم».

٧ — هذا بعض ما كان قبل الهجرة وفى أثنائها، أما ما كان بعدها، فهو إشراق النور الذى اختنق بين جبال مكة وهضابها، ليملأها ثلاثة عشر عاما ويملأ الوجود كله بعدها بضياء الإسلام، فكل ما أحرزه المسلمون بعد الهجرة من انتصارات هو التفسير الكبير للسبب الذى تلتقى فيه كل أسباب الهجرة، ولعل هذا هو السر فى تسمية الهجرة نصراً، حيث يقول الله: «إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين» ولعل ذلك كذلك هو الذى ألهم عمر رضى الله عنه أن يجعل عام الهجرة مبدأ التأريخ فى الإسلام.

اللهم: أكرمنا ولا تهنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارضنا وارض عنا، واجعلنا مع الذين أنعمت عليهم «من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا»؟

عبد الرحيم فودة

الهجرة ... مقدمات ونتائج

للأستاذ محمد فرج

مما لا يختلف فيه اثنان ، أن الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة كانت حدثا له أصداؤه البعيدة فى حياة الإنسانية كلها .. كانت حدثا وضعت العناية الإلهية أبعاده ورعته حتى كان نقطة تحول فى تاريخ البشرية ابتدأ من عنده التاريخ وبه تكون أعظم مجتمع بشرى حقق للإنسان الكرامة والكمال والرقى .

والهجرة النبوية كأى حدث كانت لها مقدمات مهدت لها ونتائج ترتبت عليها .

لقد شب رسول الله وسط قوم غرقوا فى الملذات وعبدوا الأصنام وعاشوا حياتهم فى ضلال . . ولم يستجب عليه السلام لهذه الحياة التى رأى فيها انحرافا وفسادا وبعدا عن الحقيقة وتجنبا للصواب بل اتجه بقلبه ومشاعره وقد خلصت نفسه من الباطل - باحثا عن الصراط المستقيم والحقيقة الخالدة ، وظل لسنوات طويلة يخرج فى كل شهر من رمضان إلى غار حراء يقضى هناك فترة انقطاع وتحنث ، ويعيش متأملا مفكرا سعيا للوصول إلى حقيقة الكون ، وأدرك الرسول الحقيقة التى طالما شغل بها ، وأيقن أن قومه قد ضلوا سبيل الهدى ، وأنهم قد سلموا حياتهم لأصنام لا تسمع ، ولا تبصر ، ولا تضر ولا تنفع ... جاءه الوحى وتلى عليه الأمين قول الحق تبارك وتعالى: «اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم، علم الإنسان مالم يعلم » وقص الرسول على خديجه ما حدث فبشرته قائلة « أبشر يا بن عم واثبت فو الذى نفس خديجة بيده إنما لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة » .

وأكد ورقة بن نوفل قولها «قدوس قدوس والذى نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتنى ياخديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى وإنه لنبى هذه الأمة» وتنبأ ورقة - وكان قد ترك عبادة الأوثان

ودخل النصرانية ـ بالهجرة فقال لرسول الله: «والذى نفسى بيده إنك لنبى هذه الأمة ولقد جاءك الناموس الأكبر الذى جاء موسى ولتكذبن ولتؤذين ولتخرجن ولتقاتلن ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصرا يعلمه».

وصدر الأمر الإلهى للرسول أن يبدأ دعوته «وأنذر عشيرتك الأقربين، واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين، فإن عصوك فقل إنى برىء مما تعملون» وعلى الفور دعا الرسول قومه إلى الدين الجديد .. إلى عبادة الله الذى خلق الناس .. إلى التقرب إلى الله بالعمل الصالح والتقوى .. إلى نبذ الأصنام والارتقاء بمستوى الحياة من الفساد واللهو والفسوق إلى الخير والصلاح والكمال إلى التمسك بالرحمة والمحبة والتعاطف جمع الرسول قومه وخاطبهم «إنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد إنما لا أملك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيبا إلا أن تقولوا لا إله إلا الله» وهاج أبو لهب وثار فى وجهه الشريف وصاح به «تبا لك سائر هذا اليوم .. ألهذا جمعتنا»؟.

وكانت ثورة أبى لهب هى أولى مقدمات الهجرة .. فالرسول لم تزعجه ثورة أبى لهب ولم يوقفه عن دعوته إعراض الناس عنه بل ظل على الطريق يحمل الرسالة ويؤدى الأمانة دون تردد أو خوف إيمانا بالله وتقديراً للمسئولية ..

وبدأت قريش وهى صاحبة السيادة والقوة والسلطان فى مكة تحارب الدعوة الجديدة وتقاومها أملا فى الإبقاء على دين الآباء والأجداد وحفاظا على صورة المجتمع الفاسد الذى كانوا يعيشون فيه .. ولجأت قريش إلى وسائل متعددة ولاقى الرسول ضروبا من الخصومات وللقاومات وألوانا من للصاعب والآلام احتملها فى صبر وقاومها فى عزم فكان أسوة للدعاة وقدوة لأصحاب الرسالات.

لجأ رجال قريش وسادتها إلى أبى طالب ـ وكان الرسول يعيش فى كنفه ـ وطلبوا منه أن يصد ابن أخيه عن دعوته وأعادوا الطلب مرة ومرات والرسول لا يعنى بهم وأبو طالب يحمى ابن أخيه ويرعاه ..

ولما فشل مسعاهم أوفدوا وفدا يصحب عمارة بن الوليد وعرضوا على أبى طالب أن يأخذ عمارة فهو أنهد فتى فى قريش وأجمله وأن يسلمهم ابن أخيه يقتلونه .. ولما رفض أبو طالب طلبهم ـ ادعوا أن

رسول الله ساحر يفرق بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجه وبين المرء وعشيرته وسعوا بهذا الادعاء بين الوافدين إلى مكة حتى يمنعوهم من الاتصال بالرسول وبذلك يغلقون فى وجوههم باب الإيمان .

ثم عرضوا على الرسول المال والجاه والسلطة ليترك دعوته ، ورفض الرسول ما عرض عليه على لسان عتبة بن ربيعة «إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا »

وبدءوا خطة جديدة فى المقاومة إذ طلبوا من الرسول أن يسأل ربه بعض أمور «سل ربك الذى بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التى ضيقت علينا وليبسط لنا بلادنا وليفجر لنا فيها أنهارا وليبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن فيمن يبعث قصى بن كلاب فإنه كان شيخ صدق » . و « سل ربك أن يبعث ملكا يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك وسله فليجعل لك جنات وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك به عما نراك تبغى » .

ثم طلبوا منه على لسان الأسود ابن المطلب والوليد بن المغيرة أن يعبد ما يعبدون وأن يعبدوا هم ما يعبد ، ولما فشلت محاولاتهم قرروا مقاطعة بنى هاشم وبنى المطلب وأخرجوهم من مكة إلى شعب أبى طالب حتى يسلموا إليهم رسول الله وكتبوا بذلك عهدا فى صحيفة علقوها فى جوف الكعبة .

ولاقت الفئة المؤمنة القليلة التى دخلت الإسلام صنوفا من العذاب والأذى والتمثيل وروت كتب التاريخ مالاقاه بلال على يد سيده أمية بن خلف وما لاقاه عمار ابن ياسر وأمه وأبوه على يد بنى مخزوم من التعذيب الوحشى الذى فاق حد التصور وخرج عن حدود الإنسانية والإحساس البشرى .

وكان لا بد للرسول من أن يحمى قومه ولكن كيف له ذلك ، وهو وهم قلة ، لا يملكون إلا الصبر ، ولا يقدرون إلا عليه !! وفكر الرسول فى أمر أتباعه وقرر أن يتركوا بلدهم وأن يهجروا مكة إلى الحبشة فهى أرض صدق وفيها ملك

لا يظلم عنده أحد .. وخرج المؤمنون إلى الحبشة فى هجرتين مخافة الفتنة وفراراً إلى الله بدينهم .. وغضبت قريش لهذا الإجراء من جانب الرسول فبعثت بعمرو ابن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة إلى النجاشى يحملان إليه الهدايا ويطلبان رد المسلمين المهاجرين ، واستمع النجاشى إلى رأى الفريقين ثم تلا جعفر بن أبى طالب جزءاً من سورة مريم فقال النجاشى : « هذا والذى جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة » ثم خاطب ممثلا قريش : « انطلقا والله لا أسلمهم إليكما » وأمسك بعود وخط به على الأرض وخاطب جعفراً « ليس بين دينكم وديننا أكثر من هذا الخط » .

ثم كانت هناك خطوة أخرى على طريق الهجرة .. بدأت فى يثرب حيث استمع قوم من الأوس والخزرج إلى اليهود يقولون « إن نبيا مبعوثا الآن قد أظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم » ، فلما كان موسم الحج خرج نفر من الأوس إلى مكة حيث التقوا بالرسول فدعاهم إلى الله فقال بعضهم لبعض : « والله إنه للنبى الذى تواعدكم به يهود فلا يسبقنكم إليه » وأجابوا الرسول وقالوا : « إنا قد تركنا قومنا ولاقوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم (يقصدون الأوس والخزرج) فعسى أن يجمعهم الله بك وأن يجمعهم عليك فلا رجل أعز منك » .

وعاد القوم إلى بلادهم يحملون الخبر فتلقاهم قومهم بقلوب منشرحة ونفوس متلهفة ، ولما استدار العام وحل موعد الحج التقى اثنا عشر رجلا من أهل يثرب مع النبى بالعقبة ، وكانت البيعة الأولى وأرسل الرسول معهم مصعب بن عمير يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ، ثم جاءت جماعة أخرى من يثرب ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان والتقى بهم الرسول ومعه عمه العباس عند العقبة ومدوا إليه أيديهم وبسط إليهم يده وبايعوه « بايعنا على السمع والطاعة فى عسرنا ويسرنا ومنشطنا ومكرهنا ، وأن نقول الحق أينما كنا لا نخاف فى الله لومة لائم » . وأصبح للإسلام رجال يحبونه فى يثرب ، ولهذا صرح الرسول لأتباعه أن يخرجوا إليها وخرج كثيرون وحاولت قريش منعهم حتى أنها كانت تحول بين الزوج وزوجته وكانت تحبس من تستطيع

حبسه ولكن محاولاتها ذهبت كلها أدراج الرياح ، فقد تتابعت هجرة المسلمين إلى يثرب .

ثم كانت بعد ذلك الخطوة الراسخة على طريق الهجرة ، فقد أحست قريش أن جهودها فى مقاومة الدين الجديد قد باءت بالفشل وطفح الكيل وبلغ السيل الزبى ولم يبق فى قوس الصبر منزع ورأى رجالها أن محمدا وحده فى مكة قد هاجر أصحابه ومنهم حمزة وعمر ، وأصبح دون نصير أو معين ، فاجتمعوا فى دار الندوة بحثا عن حل يحسم الموقف وينهيه ، واستعرضوا الآراء فمن قائل : « احبسوه فى الحديد وأغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله زهيرا والنابغة ومن مضى منهم حتى يصيبه ما أصابهم » ومن قائل « نخرجه من بين أظهرنا وننفيه من بلادنا ثم لا نبالى بعد ذلك من أمره شيئا » ثم جاءهم رأى أبى جهل : « إن لى فيه رأيا ما أراكم وقفتم عليه بعد » ثم شرح رأيه وأوضحه وأشار بأن يأخذوا من كل قبيلة فتى شابا جلدا نسيبا وسيطا شجاعا وأن يعطوا كلا سيفا بتارا فيضربوه جميعا ضربة رجل واحد ويتفرق دمه بين القبائل ، فلا تقدر بنو عبد مناف على قتالهم فيرضون فيه بالدية ، وأعجب الحاضرون بالرأى ، وقرروا تنفيذه فورا .

ونزل الوحى من السماء وأذن الله لرسوله بالهجرة وبدأت مسيرة الحق والعقيدة والإيمان وخرج الرسول ومعه أبو بكر الذى كان قد التزم بترتيب أمر الهجرة فى سرية وكتمان ، وعند ما تجمعت قوى قريش لتنفذ الخطة الإجرامية كان الرسول ورفيقه فى طريقهما إلى يثرب .

كانت هذه كلها مقدمات الهجرة .. مقدمات دفعت إليها ورتبت لها ، فقد أسدلت هجرة الرسول الستار على فترة مظلمة عاشتها مكة لتعود فترفعه من جديد على عالم مشرق يسود مكة يرتفع فيه اسم الله ...

وكانت هذه الفترة الجديدة هى غاية نتائج الهجرة . . هذه النتائج التى ظهرت على مسرح الجزيرة العربية تباعا منذ وطئت أقدام الرسول الطاهرة أرض يثرب فمن هناك انطلق الإسلام قويا فى اصلاحاته يطور ويغير من نفسية العرب ويقودهم إلى

المفاهيم الإسلامية الجديدة التى كانت أساسا لدولة الإسلام .

لقد كان أول أعمال الرسول فى يثرب بناء مسجد فى المكان الذى بركت فيه ناقته وبذلك توفر لأتباعه مكان للعبادة أسس على التقوى يجمع شملهم ، ويشع منه إلى جميع أركان الأرض نور الحق وشعاع الهداية . . وفى مقدمة أعمال الرسول فى المدينة تدعيم الجبهة الداخلية وضم الصفوف فقد كان أهل المدينة أنصارا ومهاجرين ، وكانت العلاقة بينهما جديدة حديثة ولم يكن هناك تنظيم لهذه العلاقات ولهذا استلزم الأمر عقد صلة أخوة بين الفئتين لتصبحا فئة واحدة مترابطة . . . ترك المهاجرون بلادهم وممتلكاتهم وكل ما يملكون وجاءوا إلى المدينة والكثير منهم لا يجد قوته ومن هنا كان على الأنصار أن يستقبلوهم وأن يفسحوا لهم مكانا فى بلدهم وأن يقدموا العون والا يتبرموا بوجودهم وأن يشعروهم بأنهم أخوتهم فى الله ، ودعا الرسول أن يتآخى الأنصار والمهاجرون فى الله أخوين أخوين واستجابوا لدعوته فتآخوا إخاء جعل له الرسول حكم إخاء الدم والنسب .

وكانت العلاقة بين الأوس والخزرج سيئة ، فالخلاف قائم والعداوات مستمرة فدعا الرسول أن يكونوا جبهة واحدة وقوة متضامنة وأن ينسوا ما بينهم من خلافات وعداوات ولبوا دعوة الرسول وبدءوا صفحة جديدة تقوم على الحب والرضا والتضامن تحت راية الدين الحنيف . . وبذلك تكون الهجرة قد مهدت لتكتل المدينة بأسرها فى إخاء كان الأول من نوعه بين جماعات البشر وأصبح المسلمون قوة صامدة استطاعت أن تواجه قريشا فى غزوات متعددة وأن تقضى عليها كما استطاعت بعد ذلك أن تواجه يهود المدينة وأن تجبرهم على الخروج لتبقى المدينة خالصة للإسلام والمسلمين .

وكان اليهود يعيشون فى المدينة مع المسلمين الذين عاملوهم بإحسان ، وأظهروا لهم حسن النوايا ، وعقد الرسول معهم معاهدة حسن جوار ، إلا أن اليهود ظهروا على حقيقتهم الماكرة وتبين للمسلمين سوء نواياهم عند ما خالفوا المعاهدة ونقضوا الاتفاق وسعوا بالوقيعة بين المسلمين ، ثم انضموا إلى أعدائهم فكان لا بد من اتخاذ إجراء حاسم وعنيف يحمى الإسلام من كيدهم ويصون مستقبله من مكرهم .

ويعد صلح الحديبية أحد نتائج الهجرة ذات القيمة والأهمية فقـد اعترفت قريش بمحمد ورجاله فى عهد كانت مدته عشر سنوات تقوم خلالها هدنة بين الطرفين فلا قتال ولا مواجهة .. وكانت هذه المدة دون شك فرصة غالية للمسلمين يعدون فيها أمر دينهم وينظمون شئـون حياتهم ويحددون موقفهم مع اليهود ويضعون أسس العبادة ويتفرغـون لنشر الدين وللدعوة اليه .. وظل المسلمون فى المدينة يشتد ساعدهم ويزيد عددهم ويقوى أمرهم وتدخل قبائل كثيرة فى دينهم بينما كانت قريش تنظر إلى المستقبل بمنظار أسود تحس بالخطورة القادمة من المدينة وبالعاصفة التى تهب من هناك تقتلع دينهم وتقضى على المعارضين منهم .. وحينما تحركت جيوش المسلمين إلى مكة فـزع القوم وتملكهم الخوف وأحسوا بقوة الإسلام فاستجابوا لدعوة أبى سفيان «من دخل داره فهو آمن» وعاد المسلمون إلى مكة لحطموا الأصنام بينما صوت بـلال يعلن من فوق الكعبة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ..

ويأتى فى مقدمة آثار الهجرة ونتائجها أن المسلمين أصبحوا فى يثرب فى مكان استراتيجى يمثل خطورة على تجارة قريش الذاهبة إلى الشام .. هـذه التجارة التى كانت تمثل الجانب الأكبر من ثروتهم .. فقد كانت يثرب على الطريق بين مكة وبلاد الشام وكان فى استطاعة المسلمين من موقعهم أن يقطعوا الطريق وقد أرادوا بذلك أن تفكر قريش بعقلية سليمة فترى أن تجارتها تتعرض للخطر من ناحيـة أبنائها الذين هاجروا فتسعى إلى التفاهم معهم والوصول إلى حل يرضى به الطرفان فلما لم تتجه هذا الاتجاه كان الصدام للسلاح فى بدر وكان نصر الله فيها كبيرا وكان هذا النصر بداية الطريق إلى مكة من جديد .

وهجرة الرسول أعطت المسلمين فرصة لحل مشاكلهم مع القبائل الأخرى الضاربة فى أرجاء الصحراء فعقـدوا المعاهدات والمحالفات واستقرت بذلك أوضاعهم من جانب هـذه القبائل فضمن المسلمون بقاء هذه القبائل على الحياد فى أى نزاع يقوم مع قريش .

واحتلت المدينة بسبب الهجرة مكان الصدارة فى الدولة الإسلامية فقد أصبحت

(البقية على صفحة ٢١)

خواطر ومشاعر في ذكرى الهجرة

للدكتور عز الدين على السيد

— ١ —

أربعون سنة تمضى من حياة إنسان ، يتقلب فيها من أدوار الحياة على ألوانها ، فيكون له فى كل دور خصائص تميزه ، واستعداد أو إعداد يفرده ، فلا يعرف التاريخ عن طفولته ما تعلنه الطفولة من هذرها ، ولا عن مراهقته ما تفرضه المراهقة من حمقها ، ولا فى شبابه ما يؤسف فى حياة الشباب من عبث .

أربعون سنة تمضى هكذا من حياة إنسان ، حينما يكن تكبره القلوب ، وترمقه الأبصار ، ويتبعه الثناء ، ويوصف بالعظم . إذا أخبر صدق لأنه الأمين ، وإذا حكم أطيع لأنه الحكيم . تختاره من طردت كبار الأيدى من ذوى المجد ؛ لأنه أجد فى مرآة قلبها وأعظم : أجد بالأمانة فى المال الذى تزل فيه القدم ، وأمجد باستقامة الشباب الذى يزيغ فيه الهوى ، وأمجد فى بشر الوجه الذى يلمع فيه الوفاء والطهر ...

أربعون سنة تمضى هكذا من حياة إنسان . يترك الأندية الغانية بالأنداد ومن هم فوق الأنداد من عاشقى العبث . إلى شعاب مكة وهضابها ينفرد خاليا بوجده ، راميا إلى الأفق الممتد امتداد أنفاسه . باسطا مع اتساع الصحراء اتساع وجوده . يحس فى الأغوار وشعاب الجبال حنوا يسعده ، وأمانا يرضيه ، ويداً خفية من الحب تجوس خلال قلبه ، ولسانا مغازلا بالمنى يناجيه ، ويسمع فى همس الحصى من مر قدميه هزج الترحيب به ، ويرى نفسه بين أهله ، وفى داره ، غريبا ، غريبا ، لا يدرى ما وراء يومه من أمر يرتقب .

أربعون سنة تمضى هكذا من حياة إنسان ، يولد ولا أب يرنو إليه ،

ثم لايلبث حتى لايرى أماً ترأمه،ثم يكون، من أمره ما يكون إرهافا لحسه ، وإشفافا لقلبه، وانطلاقا بشعوره فى عالم الأحلام .

كانت عمرا يكفل لصاحبه بما عرفه الناس عن كثب ، واستيقنوه بالدليل ، أن يؤمن بدعوته كل قلب ، ويذعن لندائه كل سمع ، من هؤلاء الذين ما جربوا عليه كذبا ، ولا عرفوه إلا الناصح الصادق الأمين ، ولكن ماذا يصنع القدر ، وأين تكون الحكمة ، التى اقتضت أن يكون للخير أهل يمتحنون بالصبر فيه ، وللشر أهل يبلوهم الله به ، وأين يكون قسم الشيطان : « فبعزتك لأغوينهم أجمعين . » ووعيد الديان : « لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين » ؟

— ٢ —

أربعون سنة مضت من حياة النبى عليه السلام — وهى ثلثا عمره الدنيوى إلا يسيرا — كانت روحه على نسق منفرد، وقلبه فى إطار وحيد ، حتى التقت الفطرة الطاهرة بوحى الله وأمره . . . خلصت للبلاغ منكرة ذاتها . وما ينالها من الأذى ، لأن لها ذاتا فى ذاتها لا يمكن أن ينالها الأذى كلما قويت حولها النار، إحراقا ، زادت بها إشراقا . وكلما رأت الإشراق فى الاحتراق زادت يقينا وامتلأت حبا ، فلا تبيع لذة اليقين ومتعة الحب بمتاع الملك وسطوة الرياسة . ووفرة الغنى تمتحن به من الكافرين ، حين لا يجدون للشر جدوى ولا يصرف عزمها عن حبها أن توضع الشمس فى يمينها،والقمر فى شمالها لأنها تملك أكثر منهما وأكبر ، من طاقة النور الذى يكشف عن القلوب الدجى . ويغمر الأرواح بالهدى « يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيراً ، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا » .

« قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ، ويهديهم إلى صراط مستقيم » .

تجلى ربه للجبل فلم يصر دكا . بل جعله مبعث دعوة ومشرق نور . وملتقى حائر بضالته . ملتقى مرتقب للغيب بأسخى ماجاء الغيب بملك أعظم الملائكة فضلا . وكتاب أفضل الكتب عظمة : جبريل الأمين . . والقرآن المبين . « نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربى مبين » .

أربعون سنة مضت من حياته عليه السلام ، تعده للنبوة وثلاث عشرة أخرى من النبوة تعده للوثنية ! .

يالله ربما كانت أصنام مكة خيرا للدعوة من عباد الأصنام لو منحت قلب إنسان .! وربما كانت أوعى وأسمع ، وأحنى وأعطف من تلك القلوب التى عميت عن الحق بعد ما تبين ، وأنكرت محمداً فى يومها بعد الذى كان فى أمسها ، فسلطت من سفهها عليه ما يبرهن صبره وثباته معه على صدق نبوته لو انفرد عن جميع المعجزات .

ثلاث عشرة سنة يلتقى رسول البشر برسول الملائكة . ينزل الوحى آيات وسورا تختضر بروحه القوى التى ستنطلق حرمت مكة كلها ذلك النور إلا قلوبا تعد أكثرها من ضعفى الرق والجنس والصالا حتى تثبت المعجزة أنها قادرة على تغيير القيم وانقلاب الحقائق وأن الله الذى جعل من العصا حية تبلع ما يأفكون هو الذى سيجعل من هؤلاء الضعفى جنده المنتصر فينتشر بهم دينه الظاهر ولو كره الكافرون ولله الحكمة البالغة .. لعله لو آمن به أشراف مكة أولا لغض ذلك من بعض شأنه .. إذ هم أهل مجد أقرب ما يكونون من الاتهام . بالاعجاب به إعجاب قبيلة بشاعرها أو خطيبها والحماية له حماية قبيلة عن ذوى الرأى فيها .

اذداد الرسول ثباتا على الحق وأطرد مع ثباته الباطل فى وثباته يتعسف ويفترى حتى أصبح لا بد للمعجزة أن ترحل من هنا لتتم هناك ثم تعود .. تعود لا إلى مكة وحدها ، ولكن إلى كل بقعة فى الأرض وساعة من الزمن تعود لتحول التاريخ وتهز العالم بيد من رحمة القوة وقوة الرحمة تعود ليدخل مكة طريدها بالأمس ليمسح بصفح الأنبياء دموع النادمين وليؤذن باسمه فى مشارق الأرض خمسا كل يوم وتتجه الدنيا إلى بلد مولده وتكوينه ومبعثه .. من تصل إلى كعبتها وتحج وتطوف .

(٣)

هاجر الأصحاب إلى الحبشة ، ليعرف الناس من بعيد ما جحده الكفار من قريب .. ولتشهد الدنيا هناك نموذجا للمد الإلهى .. الذى شواطئه أقطار الأرض كلها . ليم الأسود كالأبيض . !

وهاجر الأصحاب إلى يثرب ، لتشهد يثرب ساحة الصبر فى مجال الفتوح ، كما شهدت مكة الصبر فى بناء العزيمة .. !

وهاجرت يثرب إلى مكة إلى النبى .

الجديد والدين الجديد .. لتعلن إيمانها ونصرتها .. وتبايعه أن تمنعه مما تمنع منه أزرها ثم تعود .. والله غالب على أمره .. !

وأذن للنبى فى الهجرة .. ليقضى الله أمرا كان مفعولا .. إذ مكر به الذين كفروا . ليثبتوه أو يقتلوه أو يخرجوه . « ويمكرون ويمكر الله ..! والله خير الماكرين » وباتت مكة ليلة لم يشهد التاريخ هولها ، فتيانها البواسل حول الحق يتربصون به الدوائر ، يترقبونه يلتمس للموت فى حقد سيوفهم ، والأمل فى كل بيت لدود ، والنشوة فى كل قلب كافر ، ويخرج الحق المؤمن الواثق ، على الباطل الأحمق الفاجر ، يدمغه فإذا هو زاهق ، شاهت الوجوه وعميت الأبصار ، وأخذ القوم السكرى ! .

حفنة من تراب ذرت على رءوسهم ، تعدل فى ثقلها على الرءوس تلال مكة وكثبانها : « فأغشيناهم فهم لا يبصرون » وكأنه يهتف بالطغيان ، مهلا مهلا فهذا مآلكم ، مهلا مهلا فهذه قدرتى !

ويسرى الرسول قليلا قليلا ، يؤوده حب مكة ويحزنه فراقها ، تعتمل فى قلبه النوازع الوفية ، فيفيض شعوره الكريم على أرض مبعثه ، ويختلط بها إحساسه فيناجيها ، أرضا ، ودورا ، ودروبا ، هى خير من أهلها ، كلمة وداع يعرف بها التاريخ سمو الإنسانية ووفاء الأنبياء وحب الوطن ، أليس الهاتف فى حنان ؟ « ما أطيبك من بلد ، وأحبك إلى ولولا أن قومى أخرجونى منك ما سكنت غيرك » .

منبت الإنسان عزيز ، ومنشؤه حبيب تفتحت عليه نوافذ إدراكه ، فباخت الفؤاد أول واصل ، وانطبع فيه جماله أول منطبع النسمة التى أنعشت رئته يوم مولده ، والنور الذى غازل عينيه أول طالع ، كل ذلك وأمثاله حبات زكيات تغرس فى القلب تنمو مع العمر وتشب مع الزمن ، فإذا هى شجرات طيبات أصلها ثابت وفروعها فى السماء .

ترى من يكون أشد وفاء وأكبر إحساسا من قلب يتعلم الوجود من حبه الحب ومن خلقه الفضيلة ،

— ٤ —

يا عجبا لحكمة الله ثم يا عجبا !

تضيق مكة على الإيمان ما اتسعت لكفرها ، فيكون أرحب منها كلها ثقب فى جبل : « وإن من الحجارة لما يتفجر منه

الأنهار ! وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء ! وإن منها لما يهبط من خشية الله » غار ثور يدخله النبي وصاحبه ، يجدان فيه الرحمة والحماية ، ويكون عنكبوته وحمامتاه العسكر القائم دون حرمته « وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون » ليضرب الله الأمثال للناس : أن سطوة الباطل المتميز من الغيظ حقدا ، لن تكون نهايتها أكرم من ذبابة تعلق قدماها بنسيج العنكبوت حتى تهزل فتموت ، وأن الدين الذى يرف به جناح حمامة ، فتهدأ فوق جناحه وتسكن ، سيكون سكينة وسلاما ، أينما فتح عدل ، وأطاب الحياة وأسعد ! .

ثم يا عجبا لحكمة الله ! تفرق بين نبي وصديق ! صديق يتحسس الغار قبل دخول صاحبه حرصا عليه ، وفداء بنفسه ، لأنه آمن به على قول الله فيه : « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم » ثم ينظر أقدام الكفر من بابه ، فيخفق قلبه هامسا . يحذر الشر لنبيه : « لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا ! . » ونبي يوقن بالكائن الموعود كأنه قد كان ، فيجيب واثقا : « لا تحزن إن الله معنا » « ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ » فرق يثبت للمعجزة ، ويكشف من اختص بها ممن سبق إلى الإيمان بربها ! .

ويطوف الكفر ما يطوف حول الغار ثم يروح ، وينتهى الأمل المقدور فيودعان الغار فى حب ، ويشيعهما فى لهفة تاركين للمعتبر آثار النبوة فى لسان المعجز ، تخب بهما الركاب وتضع وتخفق خلفهما قلوب تنفطر أو تكاد ، وترتقب خطوهما قلوب تطير أو توشك ! تطل من المشارف العالية حنانا ، ووراءها رحاب يثرب تموج بشوق المنتظر ، ويشرق فى يثرب نوران من نهارها ونبيها ، وتبيت فى ليلة إضحيانة من نور بدر جديد ، عرفته إذ جاءها هلالا فى مطالع العمر ، يوم زارت به آمنة قبر أبيه ، وربما ناداه إذ ذاك من خلف أحجاره : ما أسعدنى بك من هلال ستشهد المدينة تمامه ، حين يجتمع من حولك الأنصار والمهاجرون ، يعزفون فى مقدمك السعيد لحن العيد :

طلع البدر علينا
من ثنيات الوداع

— ٥ —

ألا يا هجرة النبى الرءوف ! يا ذكرى

العزيمة والصبر ! يا عبرة الحق للدهر ! إننا اليوم فى احتفال بنورك . فاملئى القلوب فى قتال اليهود . بما ملأت به قلوب الصحابة فطووا بجدهم تحت الثرى : « وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله ، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ، وقذف فى قلوبهم الرعب ، يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين ».

ونحن الفاتحون الغزاة ، كما عاد المؤمنون يوم الفتح يحطمون فى مكة الأصنام ، ويردون أهلها للإسلام ، وينشرون فى الربوع السلام .

ألا يا هجرة النبى والصحابة . . بشرينا بيوم الله على أعداء الحياة . أعداء الحق والعدالة . . وناد المؤمنين بقول الله : « فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون . والله معكم ولن يتركم أعمالكم » وحرضيهم بقول الله : « إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون » .

د . عز الدين على السيد

بقية المنشور على صفحة ١٥

قاعدة للإسلام وعاصمة للدولة فبعد أن استتب الأمر للرسول فى مكة عاد إلى المدينة يقضى فيها بقية حياته ؛ ينظم شئون الدولة والقبائل تأتيه من هنا وهناك تعلن دخولها فى الإسلام .. وهكذا أراد الله تعالى للمدينة أن تكون مهجرا وأن يجىء منها نصر الله والفتح فتدين الجزيرة بدين واحد وتؤمن بإله واحد تأكيدا لقول الحق « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا » .

وأخيرا ..

لقد شاء الحق أن تكشف الهجرة معالم الطريق لإقامة دولة الإسلام الكبرى فقدمت للبشرية أسلوب الحياة الكريمة ووضعت للإنسانية أسس العمل لما فيه خير الإنسان وصالحه وبما يحقق له الخير والبشر والنور والحب والسلام . م؟

محمد فرج

الهجرة إلى الحبشة

للأستاذ محمد فاوى عشر

لماذا الحبشة بالذات هى التى اختصها النبى صلى الله عليه وسلم بهجرة المسلمين الأول مرتين ؟

قبل الإجابة على هذا السؤال نود أن نوضح أن أرجح الدراسات قد دلت على أن الاسم العربى (حبشة) أو (حبشات) والذى يعنى (الخليط) أو (الأجناس المختلطة) قد بدأ يطلق على بلاد (الحبشة الآن) منذ بدأت تيارات الهجرة إليها من الجزيرة العربية عامة ومن اليمن والجنوب العربى خاصة فى القرن السابع قبل الميلاد وذلك للتجارة والإقامة .

وفى أول الأمر أطلق هذا الإسم على طوائف هؤلاء المهاجرين ؛ ولكن نظراً لكثرتهم وازدياد أهميتهم وتفوقهم على سكان البلاد الأصليين ؛ وكذلك لتغلب لغات هؤلاء المهاجرين على اللغة الأصلية فى البلاد ، أصبح اسم (الحبشة) يطلق على جميع المنطقة .

أما لفظ (أثيوبيا) فهو اسم قديم عرفته الكتابات الإغريقية ومعناه (الوجه المحروق) وكان يطلق أولا على الممالك النوبية التى تأثرت بالحضارة المصرية القديمة — وامتد بعضهم فى إطلاقها على جميع سكان القارة الإفريقية جنوب الصحراء وأعالى النيل .

وفى العصور الوسطى أصبحت لكثير من هذه المناطق أسماء أخرى تميزها مثل مصر ، السودان .

ولهذا اختصت الحبشة بهذا الاسم ؛ ويجد الأحباش أنفسهم مدفوعين للتمسك بهذا الاسم والتخلى عن الاسم القديم الشائع وهو الحبشة والذى يوحى بتعدد الأجناس وتفككها .

وقد اتصلت الحبشة بشبه الجزيرة العربية عن غير طريق التجارة والهجرة ، عندما بعث ملك الحبشة بجيش على رأسه أرياط وأبرهة لحماية المسيحيين فى نجران من اضطهاد اليهود فى اليمن ، وكان ملك اليمن ذو نواس الحميرى يدين باليهودية ،

وكان ذلك عام ٥٢٤ للميلاد ، وفى عام ٥٧٠ ميلادية وهو عام الفيل حاول أبرهة الأشرم غزو مكة وهدم الكعبة ، ولكن الله قضى عليه وعلى جيشه ، وفى عام ٥٩٠ ميلادية أغارت جيوش الفرس على اليمن وطردت الأحباش منها .

وقد كانت هجرة المسلمين الأولى للحبشة عام ٦١٥ ميلادية الموافق للسنة الخامسة للبعثة المحمدية ، وكان عدد المهاجرين - على أرجح المصادر - أحد عشر رجلا وبعض زوجاتهم ، وكانت الهجرة الثانية فكان عدد المهاجرين ثلاثة وثمانين رجلا ومعهم زوجاتهم وأبناؤهم ، ويقدر المؤرخون عدد كل هؤلاء بستمائة مسلم وامتدت إقامتهم فى الهجرتين حوالى ستة عشر عاما ، لم يخذلهم ملك الحبشة ولم يسلمهم إلى وفد قريش ولم يجبرهم على ترك دينهم ، وأحسن وفادتهم ومنحهم الأمن والطمأنينة .

وقد اختص النبى ﷺ الحبشة بهاتين الهجرتين لعدة اعتبارات ، فقد كانت القبائل المجاورة فى الجزيرة العربية وثنية وتربطها بمكة وبالكعبة وبالأصنام فيها روابط دينية قوية ، كما كانت تربطها بقريش علاقات قوية ، ولهذا لم يكن من المعقول الالتجاء إلى حمايتها وهى التى كانت ترفض دعوى محمد وتعلن ذلك فى مواسم الحج مجاملة لقريش وتمسكا بوثنيتها .

أما ملوك الحيرة ، فكانوا يدينون بالمسيحية ولهم علاقات تجارية بقريش والمنازعات القبلية لم تكن تسمح لهم بحماية منافس جديد .

أما ملوك فارس فقد كانوا وثنيين متعصبين لوثنيتهم ، وسوف لا يكون لأى مهاجر إليهم من المسلمين أمن أو سلام ، ونحن نعلم كيف قابل كسرى كتاب النبى صلى الله عليه وسلم عندما طلب منه أن يعبد الله وحده وأن يدخل فى الإسلام ، لقد مزق كسرى الكتاب وأرسل إلى عامله فى اليمن يطلب منه أن يأتيه برأس ذلك الرجل الذى بالحجاز ، ومات كسرى قبل أن يصل كتابه لليمن .

أما امبراطور الرومان المسيحى ، فإنه كان متعصبا لدعوته الجديدة غاية التعصب ، فإنه كان يسعى إلى توحيد المذاهب المسيحية كلها فى مذهب واحد وهو الذى تدين به الدولة الرومانية الشرقية ، حتى إنه كان يضطهد المسيحيين من المذاهب الأخرى

أشد الاضطهاد ، فكان أمراً محتوما ألا يلجأ إليه المسلمون الأول فى محنتهم وشدتهم.

أما الحبشة، فهى أقرب البلاد إلى المسلمين وأيسرها وآمنها طريقا ، والسفر إليها هين وأسلم عاقبة ، وهو لا يزيد عن عبور البحر وهو ولاشك أسلم من اختراق الجزيرة العربية شمالا أو جنوبا خلال القبائل المعادية .

ثم إن هناك علاقات طيبة قديمة بين الحبشة وجزيرة العرب سببها التجارة والهجرة .

وأخيرا فإن هناك على الحبشة ملكا اتصف بالتدين وبالخلق الحميد .

وهناك رواية تقال عنه ، حيث يروى أن هذا الملك واسمه أصمحه ، كان والده ملكا على الحبشة وقتل وهو صبى صغير واستولى عمه على الملك ، وباع الصبى إلى رجل من العرب من بنى ضمرة ، ومكث ببلاد العرب مدة مكنت له من لغتهم وعاداتهم وتمضى الرواية فى شرح الظروف التى عاد فيها هذا الصبى عندما كبر وصار ملكا على الحبشة ، ويخلص المتحدثون بهذه الرواية إلى السبب الذى من أجله عطف النجاشى على مهاجرى العرب .

وأثناء خلافة عمر بن الخطاب تعرضت سفن المسلمين لنشاط بعض القراصنة من الأحباش ، وأرسل إليهم الخليفة حملة لتأديبهم، ولكن مهمتها لم تكلل بالنجاح واستمر نشاط القراصنة فى التعرض للسفن التجارية المسلمة حتى عام ٨٣ للهجرة حيث جردت الدولة الإسلامية حملة لوضع حد لنشاط القراصنة الأحباش ، واحتلت هذه الحملة مجموع جزر (دهلك) المجاورة لمدينة مصوع ، واتخذوا منها مركزاً حربياً على الشاطىء الغربى لحماية التجار المسلمين وسفنهم وكانت إقامة المسلمين فى هذا المركز الممتاز بداية لإشعاع الإسلام على باقى المراكز البحرية على الشاطىء الأفريقى وعلى الانتشار التدريجى للإسلام فى شرق أفريقيا .

ومن المؤكد أن الإسلام لم ينتشر فى شرق أفريقيا اعتمادا على سلطة دينية منظمة ، بل انتشر بصفاته الأصلية المعتمدة على التسامح والعدل القائمين على البساطة والمنطق السليم ، وقال بعض المؤرخين الغربيين فى هذا الشأن (عندما ظهر الإسلام وجد فيه الناس سلوهم فى ضجرهم وحيرتهم ملجأ من هذه المجادلات التى لا تنتهى ولا تعرف اللين والتسامح ، واستجابوا إلى

تلك الحقيقة البسيطة الواضحة ، حقيقة الوحدانية) [١] .

ثم إن هناك سببا آخر ، لقد وجدت الشعوب الأفريقية فى أخـلاق المسلمين الوافدين إليهم بحضارتهم ودينهم وتفوقهم فى مختلف نواحى النشاط و فى حسن إسلامهم لا يفرقون فى المعاملة بين شخص وآخر إلا بالتقوى ، وجدت هذه الشعوب فى كل هذا أكبر مشجع لهم على الدخول فى الإسلام جماعات وقبائل بأ كملها .

وقد انتشر الإسلام فى الحبشة انتشارا كبيرا ، بحيث شمل كثيرا من البلاد عدا المنطقة الجبلية للمعزولة ، وازداد المسلمون عددا وقوة عند ما هاجر إلى الحبشة عدد من الأسر العربية العريقة ، عند ما استولى الأمويون على الحكم ثم بعد ذلك عند ما استولى العباسيون على الخلافة .

وكان انتشار الإسلام فى الحبشة امتدادا عاما وزحفا طبيعيا تمتد به القبائل الإسلامية وتنشر ديانتها فى كل مكان دون تنظيم أو تعاون بين منطقة وأخرى أو بين جماعة وأخرى ، وكان لاتساع الرقعة وتعذر المواصلات أكبر الأثر فى ذلك ، وكان تغلغل الإسلام فى هذه المناطق من القوة بحيث أصبح انتزاعه من قلوب الناس فى حكم المستحيل ، وأصبح وجوده حقيقة لا رجعة فيها ، وسارعت القبائل الوثنية التى كانت فى تلك المناطق إلى اعتناق هذا الدين الناشىء والمنتصر ، وقويت بهم شوكة الإسلام ، وقد تم كل ذلك فى مدى القرون العاشر والحادى عشر والثانى عشر للميلاد وأصبح الإسـلام يتحكم فى جميع المناطق الساحلية من أرخبيل الدهلك (مصوع) إلى مناطق الدناكل وبـلاد الصومال ، وشمالا قبائل البجـة وسيداما فى الجنـوب ، وسلطنة إيفاف فى شوا ، وسلطنة هـرر . وزاد على ذلك أنه بدأ فى تهديد الهضبة الجبلية التى تحصنت بها المملكة المسيحية وانعزلت فيها [١] .

وقد ثبت من الإحصائيات الدقيقة أن عدد المسلمين فى الحبشة أكثر عددا من غيرهم من باقى السكان ، وأنهم أكثر السكان مدنية وحضارة وتفوقا ذهنيا ؟

محمد فاروق حسن

---

[١] الدعوة للإسلام للسير توماس أرنولد ترجمة د . حسن إبراهيم .

[١] الإسلام والحبشة عبر التاريخ للمهندس فتحى غيث ص ٦٣ ، ٦٤ .

دراسات قرآنية :

أسلوب إبراهيم فى الدعوة إلى الحق

للأستاذ مصطفى الطير

« وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين ، فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى . فلما أفل قال لا أحب الآفلين » . الآيات من سورة الأنعام

— ٣ —

ذكرنا فى المقال السابق السبب فى عبادة الناس للأصنام والكواكب ، واليوم نعود إلى ما بدأناه من بيان الطريقة التى سلكها إبراهيم عليه السلام فى الدعوة إلى الإيمان بالحق تبارك وتعالى فنقول إن الله تعالى قال فى شأنه « وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين » والملكوت مصدر على زنة المبالغة كالرهبوت والجبروت ، ومعناه الملك والسلطان القاهر .

والمعنى الإجمالى للآية : وكذلك نبصر إبراهيم بربوبية الله وسلطانه القاهر على السموات والأرض وما فيهما ، وأن الكل مقهور له داخل تحت ملكوته مفتقر إليه فى وجوده ، وذلك بنظره فى الآيات الكونية الموصلة إلى العلم بربوبيته تعالى وسلطانه المطلق ، ولأجل أن يكون من الراسخين الواصلين إلى أكمل درجات اليقين فى ذلك بصرناه هذا التبصير بعظمته تعالى .

وقيل المراد بالملكوت الآيات والعجائب التى فى السموات والأرض ، فقد فرجت له السموات حتى انتهى بصره إلى العرش ، وفرجت له الأرض فرأى ما فيهن .

ومرد هذا القول إلى الأول ، فإنه ما رأى عجائب السموات والأرض إلا ليستدل بها على شئونه تعالى ومبلغ عظمته ، وأن الكل محتاج إليه فى نشأته وبقائه ، سواء فرجت له السموات والأرض أو لم تفرج ، ولهذا جعل الله غاية هذه

الإرادة أن يكون من الموقنين ، أى الكاملين الراسخين فى الإيقان بشئونه جل وعلا .

ولا تقتضى هذه الآية سبق الشك عند إبراهيم عليه السلام ، فإن الإنسان يولد على الفطرة المستعدة لقبول الحق ، وبممارسة الأسباب الموصلة إلى المعرفة والعلم ينتهى هذا الاستعداد إلى غايته من اليقين والعقيدة الراسخة ، فالله تعالى لا يعرف بنظر العيون إلى ذاته ، ولكن يعرف بالنظر إلى آياته .

وبما أن فطرة إبراهيم عليه السلام من أكمل الفطر ، فلهذا اتجه تفكيره منذ بدايته إلى النظر والاستدلال بآياته على شئونه تعالى بلوغا بهذا الاستعداد إلى اليقين الراسخ ، وكذلك شأن الأنبياء والمرسلين عليهم السلام فإنهم بكمال فطرتهم يمارسون دائما التطلعات الكونية لا يصدهم عنها نزغة شيطان أوخطرة نفس حتى يصلوا إلى أكمل درجات اليقين ، ثم يفاجئهم الحق تبارك وتعالى بالتكليف بالنبوة والرسالة بعد تمام استعدادهم لذلك .

انظر إلى نبينا محمد ﷺ ، فإنه نشأ معتقدا أن الأصنام لا تصلح للألوهية وأنها فى جملة الكون مخلوقة لإله واحد ، وكان يزكى هذه الفطرة باختلائه فى غار حراء والتعبد بالتفكير فى ملكوت الله العظيم ليزداد صلابة فى عقيدته بما يتجلى له دائما من عظمة آياته الدالة على عظم جلاله وتفرده بالربوبية والسلطان القاهر ، وعلى سائر صفات الكمال اللائقة به وظل الرسول يمارس هذه العبادة الفكرية حتى جاءه سفير العناية الإلهية جبريل بالوحى .

وكذلك كان شأن ابراهيم عليه السلام أراه الله ملكوت السموات والأرض ليملأ بآياته أرجاء نفسه ، ويثبت بدلائله فؤاده ، حتى إذا أتم الله عليه النعمة بوصوله إلى أعلى درجات اليقين كلفه بتبليغ الرسالة لقومه الذين كانوا يعبدون الأصنام والكواكب .

ولا يصح أن يطلق على المرحلة السابقة لعين اليقين وكماله أنها مرحلة الشك ، بل مرحلة التوثيق لعقيدة عرفها وآمن بها ؛ فإن المحققين قالوا لا يجوز أن يبعث الله رسولا مر عليه وقت لم يكن عارفا بربه .

أما قول بعض العلماء إنه لم يكن عارفا بربه وقت الطفولة نظرا لظاهر الآية وإن ذلك لا يعد كفرا فلا ينبغى أن يصار إليه

بعد أن عرفت أن معنى « وليكون من الموقنين » وليكون من أكمل الموقنين ببلوغه عين اليقين، فإن اليقين يتفاوت فى حياة المؤمن و يزداد كلما اطردت أدلته وآياته، كما يتفاوت الإيمان بين المؤمنين، فإيمان أبى بكر فوق إيمان جميع الناس والكل مؤمن ولذا قال ﷺ ما معناه، لو وزن إيمان أبى بكر بإيمان هذه الأمة لرجحها.

ولقد بينا فى المقال الأول أحد الطريقين اللذين سلكهما إبراهيم عليه السلام فى دعوة قومه، وهو طريق الصراحة بالنسبة لعبادة الأصنام إذ قال لأبيه آزر فى شأنها «أتتخذ أصناما آلهة إنى أراك وقومك فى ضلال مبين ».

واليوم نتكلم عن الطريق الثانى غير الصريح وقد اتبعه فى شأن عبادة الكواكب فقد سايرهم ظاهرا، وانتقل بعد هذه المسايرة إلى إبطال ألوهيتها بما نبههم إليه من سمات نقصها، وسيأتى بيان ذلك فى هذا المقال.

قال الألوسى، ولعل سلوك تلك الطريقة (أى طريقة التدرج) فى بيان استحالة ربوبية الكواكب دون بيان استحالة إلهية الأصنام من باب الترقى من الخفى إلى الأخفى وقيل إن القوم كانوا يعبدون الكواكب فاتخذوا لكل كوكب صنما من المعادن المنسوبة إليه، كالذهب للشمس والفضة للقمر ليتقربوا إليها، فكان الصنم كالقبلة لهم، فأنكر أولا عبادتهم للأصنام بحسب الظاهر، ثم أبطل منشأها وما نسبت إليه من الكواكب بعدم استحقاقها لذلك أيضا ولعلهم كانوا يعتقدون تأثيرها استقلالا دون تأثير الأصنام، ولهذا تعرض لبطلان الإلهية فى الأصنام والربوبية فيها، انتهى كلام الألوسى.

أقول ولعلك تدرك أيها القارىء الكريم الحكمة فى تقديم قوله تعالى « وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين » على قوله « فلما جن عليه الليل رأى كوكبا» الآيات وتلمس أن فيه إيذانا بأن الله تعالى أهله أولا بدراسة ملكوت السموات والأرض حتى استحكم يقينه ليبعثه رسولا فيبطل ألوهية الكواكب على النحو الذى سيذكره عنه ولهذا أتى بالفاء المفيدة للتفريع والتسبب فقال «فلما جن عليه الليل رأى كوكبا» الخ فكأنه قال وعرفنا إبراهيم ملكوت

السموات والأرض ودلالته على ربوبيته تعالى دون سواه ، فترتب على تلك المعرفة أنه لما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى مسايرة لقومه فى قولهم بألوهيته ثم أبطل هذه الألوهية بما عرفه من أسباب يقينية بالله تعالى ، وكذلك الشأن فى ألوهية القمر والشمس .

« شرح الآيات »

« فلما جن عليه الليل » أى أقبل ساترا له بظلامه ، تقول جنه الليل وجن عليه وأجنه أى ستره بظلامه ، مأخوذ من الجن وهو الستر « رأى كوكباً » وهو المشترى فيما روى عن ابن عباس ، أو الزهرة فيما روى عن قتادة ، ولا يعنينا تعين ذاته ، فالحكم واحد بالنسبة لجميع الكواكب .

وحين رأى هذا الكوكب متلألئا قال عنه « هذا ربى » مجاراة لأبيه وقومه ومسايرة لهم ، فإن المستدل على فساد قول يحكيه كما هو ثم يكر عليه بالإبطال

وقيل إنه عليه السلام أراد أن يبطل قولهم بربوبية الكواكب ، إلا أنه عرف من تقليدهم لأسلافهم وبعد طباعهم عن قبول الدلائل أنه لو صرح بالدعوة إلى الله تعالى لم يقبلوا ، فمال إلى طريق يستدرجهم به إلى استماع الحجة بأن يقول بقولهم ظاهرا مع أن قلبه كان مطمئنا بالإيمان ، وذلك ليتمكن من ذكر الدليل على بطلانه وبهذا القول أقول .

قال الإمام الرازى فى تقريره (إنه عليه السلام لما لم يجد إلى الدعوة التى أمر بها طريقا سوى هذا كان بمنزلة المكره على كلمة الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان ، فإنه يجوز له النطق بها ظاهرا مع إنكار قلبه ، وذلك ليتيسر له أن يورد الدليل المبطل لقولهم وهم مستمعون له ، فإذا جازت كلمة الكفر لبقاء شخص واحد ، فلأن تجوز لتخليص عالم من العقلاء من باب أولى ، ثم قال : ومما يقوى هذا القول أنه تعالى حكى عنه مثل هذا الطريق فى موضع آخر وهو قوله تعالى « فنظر نظرة فى النجوم فقال إنى سقيم » أى عليل مريض ، وذلك لأن القوم كانوا يستدلون بعلم النجوم على حدوث الحوادث المستقبلة ، فوافقهم فى الظاهر مع أنه كان بريئا عنه فى الباطن ليتوصل إلى كسر الأصنام ، فمتى جازت الموافقة لهذا الغرض فلم لا تجوز فى مسئلتنا لمثل ذلك) اهـ .

« فلما أفل » الكوكب أي غرب « قال » إبراهيم : « لا أحب » عبادة الأرباب « الأفلين » الغاربين المتنقلين من مكان إلى مكان ، المتغيرين من حال إلى حال المحتجبين عن عابديهم ، والإله لا يغيب عن العابدين قد يقول قائل : إن الله تعالى محتجب عنا فالاحتجاب لا ينافي الألوهية ، قلت إنه تعالى وإن احتجب عن أبصار عابديه فهو موجود معهم بعلمه وقدرته ويستحيل أن يغيب عن كونه وإمداده بأسباب وجوده والكوكب بخلاف ذلك إذ حرم نصف الكرة الأرضية من سناه والاهتداء بهداه وترك هذا لغيره من الكواكب ، وبهذا ظهر عجزه عن الاستمرار في أداء مهمته ، والرب لا يعجز .

« فلما رأى القمر بازغا » ظاهرا عند أول طلوعه بعد غروب الشمس « قال » مسايراً لقومه « هذا ربي » فراقبه حتى غرب وأفل « فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي » الحقيق بالربوبية : « لأكونن من القوم الضالين » فإن ما رأيته لا يصلح للربوبية «فلما رأى الشمس بازغة قال هذا» الجسم المضيء المشار إليه «ربي هذا أكبر» من الكوكب والقمر ، فهو أحق منهما بالربوبية « فلما أفلت » الشمس كما أفل الكوكب والقمر « قال » لقومه جاهرا بالحق « إني بريء مما تشركون » بالله من الأجرام المحدثة المتغيرة من حال إلى حال .

وإنما احتج بالأفول دون البزوغ مع أن فيه حركة حادثة وانتقالا متجددا ، وكل حادث لا بد له من محدث ، لأن البزوغ لما كان مقتضيا لظهور الآثار والأحكام ملائما لتوهم الاستحقاق في الجملة رتب حكم عدم استحقاق الألوهية على الغروب دونه لبطلان آثار الكوكب حين غروبه ، ومنافاته للربوبية حينئذ يعترف بها حتى المكابر .

وقد كان من الممكن أن ينكر ربوبية جميع الكواكب ومنها الشمس والقمر بمجرد غروب الكوكب الأول لأنها جميعا متشابهة في ذلك ، ولكنه أراد أن يظهر غاية الإنصاف بالمسايرة معهم من الكوكب الضعيف النور إلى المتوسط وهو القمر إلى الباهر وهو الشمس ، وقد جعلها نماذج لمختلف الكواكب على تمايز أحجامها وأضوائها فإن ما يجرى على أحد المثلين يجرى على الآخر .

وبعد هذه المسايرة البديعة لقومه ، التى انتهت بالحكم بفساد عبادة الكواكب قال لقومه « إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض » وحرك كواكبها طلوعا وأفولا « حنيفا » مائلا عن الأديان والعقائد الزائفة كلها «وما أنا من المشركين » بعبادة سواه ، فقد انبلج الحق ، وظهر جليا أنه لا مستحق لربوبية سواه سبحانه .

« وحاجه قومه » بإيراد أدلة باطلة على معتقداتهم ليصرفوه عما أظهر لهم أنه انتهى إليه من ربوبية الله دون الكواكب « قال » رداً عليهم « أتحاجونى فى » شأن « الله وقد هدان » إلى إقامة الدليل عليكم بوحدانيته عز وجل « ولا أخاف ما تشركون » من آلهتكم فلن تمسنى وأنا على الحق بسوء « إلا أن يشاء ربى شيئا » فيصيبنى هو بسببها بسوء لأى عارض من العوارض لا لألوهيتها ، بل لأن الله أراد تسببها فى ذلك « وسع ربى كل شىء علما . أفلا تتذكرون » أنها غير قادرة على إضرارى ، « وكيف أخاف ما أشركتم » مع ضعفه دليلا واقتداراً « ولا تخافون أنكم أشركتم بالله » القادر على عقابكم الخالق لآلهتكم « ما لم ينزل به عليكم سلطانا » حجة وبرهانا « فأى الفريقين » أنا وأنتم «أحق بالأمن إن كنتم تعلمون» فأخبرونى بذلك « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » أى بشرك «أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » إلى الحق ومن عداهم فى ضلال مبين « وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ، نرفع درجات من نشاء » فى العلم والحكمة « إن ربك حكيم عليم » .؟

مصطفى محمد الطير

قال تعالى :

« إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب » .

« صدق الله العظيم »

إحساس صادق بالعودة إلى الدين

لفضيلة الأستاذ أبو الوفا المراغي

لقد كانت الأمم فيما سبق تتخذ لتقدير تاريخها وتطوراتها السياسية والاقتصادية مقياسا طويلا من الزمن .. هو القرن أو العصر ، أما الآن .. فقد انخفض ذلك المقياس الزمني إلى « العقد » أي عشر سنين فصار الكتاب يعبرون بالخمسينيات أو الستينيات أو السبعينيات . وهكذا .

ولعل ذلك . . لأن التطور العالمي أصبح سريعا ، فلا يبقى واقع الحياة طويلا ، ولكن سرعان ما تداله الأحداث والتغييرات ، ويمكن أن ترجع ذلك إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى ، وما تمخضت عنه من مخترعات . . كانت البذور الأولى لكل ما شهده العالم بعدها من تطورات .

ولقد خطا العلم ــ وخاصة العلم المادى ــ خطوات ، بل قفز قفزات ، ووصل إلى نتائج كانت تعد ضربا من الخيال .

فلقد تغير العالم . بعد الحرب العالمية الأولى تغيرا ملحوظا ، ــ وإن لم يكن قويا ــ فى شتى مجالات حياته : تغير فى العلم ، والصناعة، والزراعة، والأخلاق وفى علاقات الأفراد ، وعلاقات الدول ، وكان طابعه الانطلاق والتحرر ، وكأنما كانت تلك الحرب الساحر الذى أخرج العملاق من القمقم .

وتناول ذلك التغيير ــ فيما تناول ــ نظرة الشعوب إلى الأديان ، فأخذت تنظر إليها نظر الأسير إلى قيوده . . ينتظر الفرصة ليكسرها ، وينطلق بغير حدود وقيود أخذت الشعوب تتحرر من قيود الأديان ، أو بعبارة أصح: تنحرف عن حدود الأديان فى خفاء . . وحياء ، وانصرف بعض الساسة عن شرائع السماء إلى شرائع الأرض ظنا منهم أن هذه الشرائع أقدر على حل مشكلات العالم ، ومعالجة أزماته وانحرافاته وذهبوا فى ذلك السبيل مذاهب شتى .. كل يشرع حسب ظروفه ، وحسب اجتهاداته وصار للعالم شرائع مختلفة ، وأحيانا . . متناقضة ، وبتناقضها واختلافها تكتل العالم وتنافس وتصارع ، وانتصر كل شعب

لمبادئه ، بل تعصب لها مقتنعا بصلاحيتها حريصا على أن يأخذ العالم بها ، ويجذبه إلى فلكه .

ولم تفلح هذه الشرائع – على كثرتها – ولم تحقق الآمال التى عقدت عليها ، وأخذت أحوال العالم تتفاقم ؛ حتى انتهت به إلى الحرب العالمية الثانية ، التى عمت أكثر شعوب العالم بأهوالها ، وبقنبلة واحدة زالت من الوجود مدينة بسكانها ، وكانوا أكثر من مائة ألف ، ومحيت أخرى بهذه الصورة .

ومن ذلك التاريخ ، والعالم من أهوالها فى فزع أفقده توازنه ، ونغص عليه حياته .

ولقد أسفرت الحرب العالمية الثانية عن تغير واضح .. انتقل به العالم إلى مرحلة متميزة من تاريخه فى مادياته ومعنوياته ، واتجه كل من التيارين اتجاها متعاكسا تمعن مادياته فى التقدم بمقدار ما تمعن معنوياته فى التأخر .

ونعنى بـ(الماديات) : شئون الاقتصاد ، والصناعة ، ومظاهر العمران .

ونعنى بـ (المعنويات) : العقائد ، والفضائل ، والآداب ، ولا يخفى علينا ما بلغه العلم من تقدم فى ميادين الطب ، والفلك ، والأحياء .. حتى بلغ الغرور بعض العلماء أن يحاول تكوين الأجنة فى الأرحام الصناعية ، وأن يحاول التحكم فى تكوين الإنسان صحيا ، وخلقيا ، حتى يصطفى منه سلالات سليمة من آفات الوراثة - كما يزعمون - .

كما لا يخفى علينا – بجانب ذلك – ما وصل إليه العالم فى معنوياته من انحراف وضلال فى العقائد ، وانحلال وتقهقر فى السلوك .. حتى أصبحت المقررات التى أجمعت عليها الأديان ، وتضافرت على تأكيدها محل بحث ونظر .

فالعقيدة فى الله وهيمنته وسيطرته على الكون والوجود أصبحت موضع حديث سافر من بعض العلماء – الذين يمنحهم العالم خطأ ألقاب الفلاسفة والعباقرة – ، كما تحولت إلى موضوع يثار من حوله النقاش والجدل فى معاهد التعليم، وعانت (القيم الأخلاقية) من السخرية والتندر بين كثير من الناس ؛ فالعفة ، والنزاهة ، والمروءة ، والمواساة والإيثار ، تحولت إلى مواريث عصور التخلف ، أو من رواسب الماضى – كما يقولون – ! وصار حزم الآباء ضربا من الاستبداد بالأبناء

لا يتناسب مع عصور الحرية والنور ، وإذا فللابن - ولما يحصن بعد بكمال العقل ولم يتمرس بحنكة التجربة - أن يختار من السلوك ما يشاء ، ويصادق من يشاء ، ويلبس من الأزياء ما يشاء ؛ وللبنت - ولما تحصنها الخبرة وتجملها الحشمة - أن تختار من السلوك ما تهواه ، ومن الأزياء ما يروقها ، ولرأيها رجحان على رأي أبويها في زواجها .

وللكتاب والمتحدثين فلسفة خاصة في هذا الموضوع ، وهي أن الزواج إنما يبنى على الحب ، وأن الزوج هو شريك حياة البنت ، وحياتها ملك خاص بها . . . إلى آخر هذه الفلسفات .. ! وكأنما آراء الآباء دون آراء البنات حصافة ، ورجاحة وتجربة ، ووزنا .

وصرنا كذلك نسمع بأن الجود سفاهة والإيثار بلاهة ، والعفة خرافة !

وأدت ظروف العالم الاقتصادية إلى فساد الأخلاق والذمم ، وأصبح العيش تناهبا واختطافا ؛ فلا أمانة ولا ثقة ولا اطمئنان وبلغت الأزمات الخلقية مداها ، حتى أصبح أكثر الناس يشعرون بفراغ خلقي يبغض إليهم الحياة .. حتى من منحهم الله المال والجاه ، ومكنهم من كل متعة .. يضيقون بالحياة ، ويختارون لأنفسهم نهايات محزنة ؛ فرارا من تلك الحياة الصاخبة القلقة ، وابتدع الشباب في بعض الدول العزيزة ذات السيطرة والقوة والغنى مذاهب في حياتهم . . تسد ما يشعرون به من الفراغ في أنفسهم ، ولكن هيهات ! فهي مذاهب يوحي بها شيطان الغريزة الجامحة والرأي الفطير ، والعقل الكليل .

ولقد أهمت هذه الحال عقلاء العالم ، وأخذوا يفكرون في العلاج حتى لا ينتكس العالم إلى همجية . . تسلمه إلى حيوانية عمياء ، لا يستبين فيها الضلال من السداد ، والغواية من الرشاد ، ولكن تيار الانحراف كان أقوى من أن يقف في طريقه علاج ، وظل العالم سادرا في طريقه حتى أخذت بوادر رحمة الله تبدو في الأفق ، فالله الذي خلق البشر وكرمهم بالعقل ، وأعدهم لخلافته أرأف من أن يدعهم في تيه الضلال ، ويصرفهم عن رسالتهم الجادة الكريمة ، فجعل لهم إحساسا فطريا نحو الدين والأخلاق يستفيق عند الخطر ويتنبه عند الشدة يأخذ بأزمتهم ، ويقيمهم

على صراطه المستقيم . وها نحن أولاء نشعر بأن بوادر حركة الإفاقة قد أخذت تبدو ، وطفق الناس أفرادا وجماعات يحومون حول الدين ، ويلوذون بحماه ، ويتواصون به كملاج للأزمات ، ومفرج للكروب ، فعرفوا طريق المساجد ، ضارعين إلى الله أن يبدل بخوفهم أمنا ، وبقلقهم سكينة واطمئنانا ، وتنبأ العقلاء بأن تلك البوادر التى تمخضت عنها الشدائد ستنتهى بالعالم إلى حياة دينية راضية ، بل إلى صوفية متشددة .

على أن الأمر ليس فى حاجة إلى تنبؤ ؛ فتلك طبيعة الإنسان كما قررها « القرآن » يبطره الغنى والصحة والجاه ، وتنحرف به عن طريق الخير ، فإذا مسه الضر ، وحزبه الأمر عرف الله ، والتمس الغوث فى حماه ، وفى القرآن الكريم :

« وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما ، فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه . . . » الآية .

ومن لطف الله به أنه يرحم ضعفه ، ويصفح عن إساءته ويجيب دعاءه ، ويحقق رجاءه .

« وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب ، أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون » ؟

أبو الوفا المراغى

من الأصول السياسية والدستورية في الإسلام

للدكتور مصطفى كمال وصفى

— ٢ —

عناصر الدولة الإسلامية :

١ ـ عدم الإشراك بالله . ٢ ـ الأمن الداخلى . ٣ ـ الطاعة والنظام .

التماسك والتضامن الاجتماعى فى الإسلام : أساسه كعنصر جوهرى .

عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه .. أن رسول الله ﷺ قال وحوله عصابة من أصحابه :

« بايعونى على أن لا تشركوا بالله شيئا ، ولا تسرقوا ولا تزنوا ، ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا فى معروف ،

فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب فى الدنيا فهو كفارة له . ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه ، وإن شاء عاقبه » .

فبايعناه على ذلك . [رواه البخارى : فى صحيحه فى كتاب الإيمان وغيره]

هذا الحديث الشريف هو وثيقة إنشاء الدولة الإسلامية وخلاصة نظامها الأعلى .

فقد صدر هذا الحديث ليلة ميلاد هذه الدولة ، وأول ما تعاهد النبى ﷺ كحاكم مع مجموعة تمتثل أمره الشريف وتنفذ أحكامه .

وقبل هذه الليلة ـ ليلة العقبة ـ لم يكن ثمة دولة إسلامية ولا مشروعها ، فقد كان المسلمون فى مكة جماعة مضطهدة تدرأ عن نفسها العدوان ولا حول لها ، ومن ثم فلم يكن توجد مثل هذه التكليفات الآمرة الحاكمة ، بل كانت ترهيبا وترغيبا فحسب ، ولم يظهر فيها من قبل عنصر الحكم : الإمام ، والرعية بشكل نظامى مرتب .

وبحكم أن هذا الحديث هو أول ما وجهه الإمام الأول ﷺ إلى رعيته فهو يتضمن المبادئ النظامية العليا لدولة الإسلام، فله أهمية كبرى فى الأصول الدستورية الإسلامية.

عناصر النظام السياسى والدستورى :

وبتحليل هذا الحديث الشريف يتبين أنه يتضمن العناصر الآتية :

(١) النص على أساس النظام الإسلامى وهو عدم الإشراك بالله تعالى.

(٢) النص على أسس الأمن الداخلى وهو المستفاد من النهى عن السرقة والزنا والقتل والفسق.

(٣) النص على عنصر الطاعة والنظام، وهو المستفاد من قوله « بايعونى » وقوله « ولا تعصوا فى معروف ».

العنصر الأول : أساس النظام الإسلامى :

من المعلوم أن لكل جماعة هدفاً تتابعه [١]. والمجتمعات السياسية ـ على مر التاريخ وعلى اختلاف المذاهب ـ لها أهداف وأسس بعضها دنى وبعضها رفيع.

فدولة كدولة المغول تحت حكم جانكيزخان كان هدفها عدوانيا، ولذلك كان مآلها السريع للزوال والانهيار، ودولة كدولة الفاشيست كان عنصريا يقوم على الاعتلاء بالجنس، ولذلك تصدى لها العالم كله بالكراهة فلم تقف أمامه رغم قوتها العارمة ودول رأسمالية تسودها المذاهب النفعية تبحث عن اقتضاء مطامعها الخاصة، عن طريق استغلال الفقراء والتوسع الاستعمارى ولذلك ليس هدفها إنسانيا، ودول تهدر الكيان الفردى وتحيل الدولة إلى جهاز اقتصادى، ولذلك فهى لا توافق القيم الإنسانية ولا تطابق المثل العليا.

أما الدولة الإسلامية، فإن أساسها مثاليا رفيعا، وأن من يستهدف أغراضه ومقاصده يحقق ما دون ذلك من الأهداف أما من يقف غرضه إلى ما دون الله، فإنه

---

[١] النظرية السائدة الآن فى علوم الاجتماع والقانون : أن الجماعة تتكون من ثلاثة عناصر : أحدها : الهدف الذى تسعى الجماعة لتحقيقه. والثانى : الجماعة التى تتماسك حول هذا الهدف. والثالث : هو السلطة الحاكمة التى تحقق هذا الهدف ووسائلها فى ذلك هو سن قواعد موضوعية تطبقها مع أفراد الجماعة بلا تجاوز ولا انحراف، = وهذه الظاهرة النظامية فى الحياة الإنسانية سببها أن الإنسان مخلوق هداف بطبعه، وهدفه أطول من عمره وأكبر من إمكانياته ولذلك فهو يحيط أهدافه بسياج من التنظيم لاستدامتها والاضطراد بها، وتضطرد هذه الظاهرة : من أصغر المجتمعات وهو الأسرة إلى أوسعها وهو التنظيم الدولى.

لا يحقق جميع المصالح المنشودة ، فالإنسان إذا قصد صالح نفسه فقط (بالأنانية) فإنه قد يضحى بما يعلو ذلك من مصالح جماعية أو إنسانية ، والذى يقصد المصالح الجماعية فقط (العصبية أو الوطنية) قد لا يحقق المصالح الإنسانية .

والذى يرمى للمصالح الإنسانية قد تفوته بعض القيم المعنوية والشاملة والمستقبلة ، وأما من يقصد المصـــالح الربانية فإنه يستوعب كل ما سلف دنيا وآخرة .

ولذلك فالهدف الربانى هو أرقى الأهداف النظامية وأعلاها .

ويتلخص الهدف الإســلامى فى أنه « تضامن المسلمين وتـكافلهم فى تحقيق المقاصـد الربانية المتمثلة فى تنفيذ ما أمر الله به ومنع ما نهى الله عنه » .

(فهذا ما يصح أن نسميه بلغة العصر الأيديولوجية الإسلامية) [١] .

فالمسلمون جماعة نظامية متضامنة متكافلة تجتمع حول هذا الغرض ، فهى تتمثل لما أمر الله به وتنفذه . وتجاهد ضد ما نهى الله عنه وتمنعه . وسبب هذا التضامن هو إيمانها بالله وعدم إشراكها به . فإن الإيمان ليس عقيدة دينية فحسب ، بل هو كذلك قول وعمل ، ومن لم يطابق قـوله وعمله عقيدته فهو كاذب أو مقصر ؛ ولذلك فإن الاعتقاد يترجم دستوريا ونظاميا بهذا التضامن الإسلامى المقترن بتنفيذ الأوامر ومنع النواهى

وإن بيعة العقبة بنصها على عدم الإشراك بالله ، قد رسمت الإطار الدستورى والنظامى لهذه الدولة على الوجه الذى ذكرناه .

وهذا الإطار ليس دنيويا فقط ، ولـكن له أثر أخروى كذلك فكل تصرف أو حق فى الشريعة الإسلامية له حكمان : حـكم دنيوى هو الأثر المـترتب عليه كتملك المشترى للمبيع أو تملك البائع للثمن أو حل استمتاع كل من الزوجين للآخر ، كما يكون له حـكم أخروى هو وصفه الشرعى من الفرضية والوجوب أو التحريم وما يدور بينهما ، فعقد كالزواج قد يكون فرضا أو واجبا على من يخشى على نفسه الفتنة ،

[١] تنص بعض الدول على أهدافها العليا . وهو ما يسمى فى الدول الاشتراكية بالتعاليم المذهبية أو الايديولوجيـــة . كما أن لبعض الدول مواثيق ترسم الإطار الأعلى للمجتمع مثل العهـد الأعظم (الماجنا كارتا) لدى البريطانيين ومقدمات الدساتير وخاصة الدستور الأمريكى . وميثاق حقوق الإنسان الذى أصدرته الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ .

ويستطيع الباءة (النفقة ونحوها) ويعرف فى نفسه العدالة . وقد يكون حراماً إذا كان ضرراً . وهكذا فإن كل تصرف فى ظل الشريعة له هذه الوجهة الأخروية إلى جانب وجهته الدنيوية . ومن أجل ذلك نجد أن هذه البيعة التى تضمنت هذا الميثاق الإسلامى الأعلى تبين الوجهة الأخروية فى أحكام الدين بقوله ﷺ : « فمن وفى منكم فأجره على الله » إلى آخر الحديث .

ونود أن نكمل هذا الميثاق بكتاب رسول الله ﷺ إلى المهاجرين والأنصار واليهود ، لا نعلمه إلا عن محمد بن إسحق (١) ولكن لهذا الكتاب أهميته فيما نحن بصدده . فقد جاء فيه من علامات « النظامية الجماعية » فى الإسلام قوله : « بسم الله الرحمن الرحيم هذا الكتاب من محمد النبى الأمى بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم : أنهم أمة واحدة من دون الناس ... وأن المؤمنين لا يتركون مفرحا [مثقلا بالديون] بينهم أن يعطوه بالمعروف . . وأن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى وسيعة (عظيم) ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين وأن أيديهم عليه جيعهم ولو كان ولد أحدهم . . وأن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم (١) وأن المؤمنين بعضهم موالى بعض من دون الناس . . وأن المؤمنين يبىء (يمنع) بعضهم بعضا بما نال دماءهم فى سبيل الله وأن المتقين على أحسن هدى وأقومه . . وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما فى هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا ولا يؤويه وأنه من نصره . أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل ... وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله . وأن الله على أتقى ما فى هذه الصحيفة وأبره . . وأنه لا يحول هذا

---

[١] قال ابن كثير : وقد تكلم عليه أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله فى كتاب الغريب وغيره بما يطول شرحه (السيرة النبوية — عيسى الحلبى ج ٢ ص ٣٢٣) .

[١] هذا الحديث الجامع الذى يفتح آفاقا واسعة فى النظام الإسلامى صحيح : ورد أيضا فى البخارى فى الجزية والاعتصام والفرائض ، وعند مسلم فى العتق والحج . وأبى داود فى المناسك والجهاد والديات . وعند الترمذى فى الولاء . والنسائى فى العتاقة . وابن ماجة فى الديات .

الكتاب دون ظالم أو آثم ، وأنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة إلا من ظلم أو أثم وأن الله جار لمن بر واتقى » وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وأن الكلام فى هذه المبادىء وتأييدها بما ورد فى الكتاب الكريم والسنة المشرفة لما يطول شرحه ويخرجنا عن منهجنا فى العرض على أساس السنة الصحيحة. ولكن ننبه إلى ما ورد فيه من التضامن ، ومن تحكيم للمشروعية العليا المستمدة من الإيمان بالله وتنفيذ أوامره ومنع نواهيه وتحكيم شرعه فيما شجر بين المسلمين .

وكذا ننبه إلى ما ورد فى خطبة الوداع بوصفها من الكلمات الجامعة فى نظام الإسلام .

المنصر الثانى : الأمن الدخلى :

فقد جرت المبايعة الأساسية فى تلك الليلة على أن يأمن المسلمون فيما بينهم على أموالهم وأعراضهم وأرواحهم . وقد تأكد ذلك بما ورد فى كتاب الله العزيز وبكثير مما ورد فى السنة المحمدية المشرفة مما يفيد عصمة المسلمين فى دمائهم وأعراضهم وأموالهم وبشراتهم فإن كل المسلم على المسلم حرام .

وكذلك فإن ذلك للذمى فإنه معصوم بيننا بما يعصم به المسلم .

وقد عنى هذا الميثاق بالنص على الأمن الداخلى لأنه ألزم مستلزمات تكوين المجتمع ومن أهم مقوماته . فإن مجتمعا لا أمن فيه ، لا يصدق عليه وصف المجتمع . بل يكون حالة تجمع وتجمهر لا نظام فيها ولا تكوين لها . حالة من الفوضى والعدوان .

وقد بينا من قبل أن تماسك أعضاء المجتمع من أهم عناصر النظامية وتعتبر مقياس قوة المجتمع وصلابة تكوينه . فكلما تماسك الأعضاء كلما ارتفعت قيمة المنظمة وزادت قوة وبطبيعة الحال ، إذا ساد العدوان بين الأعضاء انعدم اللحام الأساسى ولم توجد المادة التى تجعله «كالبنيان يشد بعضه بعضا » . .

ولقد بينت فى كتابات أخرى [1] إننى أرى أن الإمام البخارى يرى أن للإيمان وظيفة اجتماعية ، وأنه فصلها فى تراجمه وسياقه للأحاديث . وسقت بيانا وتدليلا

---

[١] صحيح البخارى المفسر العدد الأول ـ وعصر البخارى وأثره فى إنكاره من مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

على هذا الرأى أنه أورد الأحاديث التالية فى صحيحه (كتاب الإيمان) رتبه على وجه استشعرت منه ذلك .

فأورد أولا عن عبد الله بن عمرو بن العاص قول النبى ﷺ : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » وبدون ذلك لا تتحقق أدنى صور الاجتماع . ولا يصح أن يوصف التجمع بأنه مجتمع . فأقل مقوماته أن يكف كل إنسان أذاه عمن يعايشه .

ثم أورد عن عبد الله بن عمرو أيضا قوله ﷺ لما سئل : أى الإسلام خير ؟ قال : « تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » فهذه صورة اجتماعية أرقى، فالناس هنا كفوا أذاهم عن بعضهم ، وتبادلوا المجاملة . ربما عن تكلف فإن السلام على من لا تعرف قد يكون من ظاهر التكليف لا من دوافع القلب .

ثم أورد عن أنس بن مالك قول النبى صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » وهذه صورة أرقى ، لأن الاجتماع ؛ هنا عن حقيقة العاطفة وصادق الحب ، فهى ليست علاقة ظاهرة ، بل علاقة القلب وتماسك الأرواح .

وهذه صورة من التماسك الحقيقى بين أفراد المجتمع .

ثم كأنه لم يكتف بذلك بل تدرج إلى أن هذه الرابطة يجب أن تشدها قيادة مثالية محبوبة [1] فأورد حديث أبى هريرة : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين » نعند ذلك يستشعر المؤمن حلاوة انتمائه لهذه الجماعة ويتشبع ويتشبث بالانتماء إليه ، فأورد الإمام حديثا ـ بهذا الترتيب ـ [2] :

عن أنس عن النبى ﷺ : ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار » أى من شدة تمسكه بهذه الرابطة ويقينه بها .

ثم كأن الإمام البخارى يحذر من الانقسام للعصبية ونحوها .

---

[١] من المتفق عليه أن قوة المنظمة تعتمد على قوة السلطة الحاكمة . فهى التى تؤكد تماسك الأعضاء وتؤيده . ولا يكون ذلك إلا إذا كانت محبوبة من هؤلاء الأعضاء مثالية فى نظرهم .

[٢] راجع هذه الأحاديث بترتيبها فى صحيح البخارى كتاب الإيمان .

فأورد حديث أنس عن النبي ﷺ أن « آية الإيمان حب الأنصار ، وآية النفاق بغض الأنصار » وهذا يصدق على أي تفرقة بين أمة المسلمين لأي سبب من الجنس أو العنصر أو الأقليم أو غير ذلك ، ثم أورد حديث عبادة في بيعة العقبة الذي نحن بصدد شرحه ، والذي رأينا أنه قمة تجميع المبدأ الإسلامي وذروة تلخيص أساس الدولة الإسلامية والتي رأينا أنه يمكن التمهيد لها بما يؤدي إلى التضامن الحقيقي والتماسك العقلي باجتماع أفرادها على الحب في الله وعلى الاقتداء بالنبي ﷺ وبمن سار على نهجه من الأئمة الصالحين وعدم تفرقة الأمة وتقسيمها لعناصر العنصرية وغيرها .

وبهذه الفكرة الاجتماعية والسياسية الراقية يمكن تفهم أساس الجماعة الإسلاميه وقيامها على التضامن الحقيقي الشامل وأن هذا الأساس هو العنصر الجوهري في المجتمع الإسلامي .

وبمقابلة هذه الفكرة بالأفكار الجامعة في النظم الحالية الأخرى ، يتبين سموها ورقيها .

ففي النظم الفردية ـ التي تسود الدول الرأسمالية « الليبرالية والإمبريالية » يسود عنصر المنفعة الذاتية ، فإن كل فرد يتمتع بحقوقه في هذه المجتمعات على وجه الإطلاق ولا يتقيد إلا بقيد صريح في القانون ولذلك يسمح هذا النظام باستغلال الفرد للفرد وبتقاطع المصالح وتضادها ، وقد عانت هذه النظم كثيرا من هذا التأصيل حتى أمكن لمفكريها أن يعالجوا بعض مواضعها [1] بما ظهر من تشريعات في هذا الصدد .

وفي النظم الجماعية ـ التي تسود الدول الشيوعية خاصة ـ يسيطر المبدأ الاقتصادي فهو العامل الهام في تخطيط الدولة وتوجيهها ولذلك كثيرا ما نراه يتنكر للدوافع الطبيعية المعقولة ، ولا يعنى بالروابط المعنوية التي تنشىء حقيقة المحبة بين أعضاء المجتمع .

---

[١] فإنه مهما ظهر من تشريعات في التأمين الاجتماعي والمسائل العمالية ونحو ذلك فإنه إذا لم يكن لدى الفرد التكوين الخلقي والتربية الذاتية ، نراها تنفذ على مضض وتكلف ، وربما كان من أهم ما يحمل هذه المجتمعات على التماسك هو أن يدهمها الخطر المشترك كالحرب ونحوه ، فنرى تشريعاتها بعد أن تخوض هذه التجارب المريرة تثب نحو التضامن الجماعي ، فقد ظهرت بعض النظم الهامة في هذا الصدد كتقرير « بفردج » وميثاق « دبدتون أوكس » ونحوها في أعقاب الحرب الأخيرة .

أما النظام الإسلامى فهو يجمع بين محاسن الفردية فى الاعتراف بالدوافع الطبيعية لدى الإنسان ومحاسن الجماعية فى إنشاء التكافل الجماعى الأصيل وتقديم مصالح الجماعة على مصلحة الفرد .

العنصر الثالث ـ الطاعة :

وهو يتمثل فى هذا الحديث الشريف فى قوله صلى الله عليه وسلم : « ولا تعصوا الله فى معروف » .

فإنه بدون ذلك لا تتحقق معنى النظامية ولا يتكون ذلك التدرج الرياسى اللازم لتحوير شكل المجتمع إلى دولة .

فإذا كان عنصر التماسك لازما لتكوين المجتمع ـ أى مطلق المجتمع ـ فإن الطاعة لازمة لتحويل هـذا المجتمع من شكله المطلق إلى شكله النظامى وهو الدولة .

ولذلك قلنا : إن هـذا الحديث يشير بميلاد الدولة الإسلامية .

فإن المسلمين فى مكة كانوا جماعة متماسكة متحابة متعاطفة ، ولكنها لم تكتسب شكلها النظامى بتكوين راع ورعية إلا منذ أن أضفى عليها رسول الله ﷺ عنصر النظامية بتطلبه الطاعة وعدم عصيانه .

ولقد اتبع النبى ﷺ فى سياسته للمدينة هـذه الطريقة ، طريقة الخطاب الإلزامى المباشر عن طريق إصدار الأوامر والنواهى ، وهى تخالف الطريقة التى كانت متبعة فى التنظيم السياسى السابق فى كل من مكة والمدينة ، ففى مكة كانت بطون قريش تجتمع فى ناديها ، وتتفق على ما يلتزمون به ، وكان كل بطن تختص بأمر من الأمور ، بعضها يختص بأمور الحرب والقتال ، وبعضها ببعض أمور الحج ، وهكذا . كما أن أهل يثرب ساروا على ذلك قبل هجرته ﷺ ، فكان زعماء الأوس وزعماء الخزرج يتفقون على ما يلتزمونه من أمورهم ، ولكن لم يكونوا على وفاق كأهل مكة إذ كان اليهود يوقعون بينهم ويتحالفون مع ضعيفهم لينالوا من قويهم ويحتفظون لأنفسهم بالميزان ، وهكذا فإن عنصر التكوين السياسى لم يكن متكاملا قبل النبى ﷺ وتعتبر طريقته عليه الصلاة والسلام فى إدارة الدولة طبقا لما تسير عليه النظم القوية وما هو سائد للآن فى النظم الحديثة تقدما ملحوظا فى المجتمع العربى .

وقد تبينت من كتاب الموادعة بين أهل المدينة ويهود ما هو ظاهر من عبارته من أنه تم بطريق الخطاب التشريعى المباشر

وبينت ذلك فى كتابى « محمد ﷺ وبنو إسرائيل » ، ورددت على من ظن أنه تم بطريق الحلف كما كان سابق عهد العرب ، وليس فى التاريخ ما يدل على ذلك ، وقد تضمن ذلك الكتاب خطاب إلزامى لليهود كقوله : « وإن من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة » فهو خطاب للتبعية .

وأما من عصى من يهود ككعب بن أشرف وابن أبى حقيق وبنى قينقاع وبنى النضير وبنى قريظة فأولئك لقوا الجزاء عنوة . وبذلك فإن أصول السياسة فى الجزيرة العربية قد تغيرت من أساسها ، وتقدمت طفرة واحدة بنشوء الدولة الإسلامية ، وقيام دولة حقيقية تتألف من عنصرى الحكم : راع ، ورعية ، أو حاكم ومحكوم ، والأول يتمتع بطبيعة الحال بامتياز القهر والإجبار والسلطة والولاية العامة ، والثانى يلتزم بالتزام الطاعة والولاء والخضوع وبدون ذلك لا يتمكن الحاكم من إنفاذ كلمته وتسيير الصالح العام على وجهه المنشود فى الدولة ، فإنه إن تمرد كل محكوم برأيه واستقل بكلمته ، فلا تتكون الدولة ، وإن تعددت الرءوس كما كان شأن بطون قريش وبطون الأوس والخزرج فإنه لا يؤمن الخلاف والتطاحن كما حدث فى الجاهلية .

ومن المفيد أن نشير إلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان يعرض نفسه على القبائل وقتها ولقى من أهل الطائف ما لقى ، لم يستسلم للأنصار كلاجىء يريد أن ينجو بنفسه ، بل اشترط عليهم — وهو فى هذا الموقف العصيب — الطاعة كحاكم يلزمون طاعته !!

وفى هذا نقول من التحليل السياسى لهذا الموقف ما نشاء ، فضلا عن أنه علامة من علامات النبوة وشدة اليقين والعزة بالله تعالى .

ومن المفيد أيضا أن نشير إلى أن أساس الارتباط هو البيعة ، وهى رابطة سياسية خاصة برزت فى الإسلام ولها نتائجها وأحكامها .

ونأمل من الله تعالى أن نوفى هذا الموضوع على انفراد ، فإن البيعة من أهم الدراسات والمباحث الدستورية فى الإسلام .

والله تعالى الموفق للخير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ؟

مصطفى كمال وصفى

التصوف الإسلامى فى ضوء الكتاب والسنة

للأستاذ على عبد العظيم

---

٢ — الاعتصام بالتقوى

وصف الله سبحانه نفسه بأنه ولى المؤمنين ووصف المؤمنين الصادقين بأنهم أولياؤه وجعل مرتبة الولاية تقوم على ركنين أساسيين هما: الإيمان والتقوى، قال تعالى: « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون » والواقع أن الإيمان والتقوى هما أساس الفلاح فى الدنيا والآخرة وهما يلخصان تعاليم الإسلام أتم تلخيص ، قال تعالى : « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض » وقال جل شأنه : « ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم » وقال عز من قائل : « وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم » وقد تحدثنا عن الإيمان فيما سبق وحديثنا اليوم عن التقوى ، وهى إيمان مصحوب بالعمل الصالح ، ولهذا أوصى الله بها الأمم السابقة كما أوصى بها المسلمين قال تعالى : « ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله ».

والتقوى مشتقة من الوقاية وهى الحفظ والصيانة باتخاذ ما يحول بين الإنسان وما يؤذيه سواء كان إيذاء حسيا أو معنويا والمرء يصون نفسه من الأمراض باتخاذ الوسائل التى تحول بينه وبين الأمراض الفتاكة ، والأطباء يقون الناس شر كثير من الأمراض بما يسمونه التطعيم الواقى من جراثيمها القتالة ، والناس يخشون الفقر فيجمعون ما يستطيعون من الأموال لتكون وقاية لهم من الفقر ويتخذون المساكن والملابس للوقاية من تقلبات الجو ويجمعون الطعام للوقاية من الجوع ويتخذون الجيوش الجرارة للوقاية من هجوم الأعداء ، أما من أراد الوقاية الكاملة فى الدنيا والآخرة فإنه يعتصم بربه ويحتمى به من شرور الحياة وما بعد الحياة والوسيلة لهذا أن يتخذ الوسائل لرضاه

وأن يجعل له وقاية من تعرضه لسخطه وغضبه « ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم ».

وقد حصر الله سبحانه البر فى التقوى وجعل البر وصفا مجسما مصورا فى شخص من اتقى الله ، قال تعالى : « ولكن البر من اتقى » وبهذا أصبح حقيقة ماثلة قائمة فى أشخاص المتقين . ولقد لخصت آية البر صفات المتقين : « ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا ، وأولئك هم المتقون » فالبر هو التقوى والبر يقوم على ستة أركان أساسية هى الإيمان بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر ، ثم السخاء فى بذل المال لمعونة ذوى القربى واليتامى والمساكين والمتقطعين عن مواطنهم والذين تدفعهم شدة الحاجة إلى السؤال ، والذين وقعوا فى الرق وينشدون التحرر من أغلاله ، والذين أقاموا الصلاة والذين أخرجوا الزكاة ، والذين انطبعت نفوسهم على الوفاء بالعهود ، والذين اعتادوا الصبر فى الشدائد وفى الأمراض وفى ميادين القتال وعقبت الآية الكريمة على المتصفين بهذه الصفات بأنهم هم الصادقون فى إيمانهم وأنهم هم المتقون .

وتناولت آيات أخرى بعض هذه الصفات بالتوضيح ، قال تعالى فى وصف المتقين : « الذين يؤمنون بالغيب ، ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون » وعقب على هذه الصفات بأن أصحابها « على هدى من ربهم » وأنهم « هم المفلحون » ووضحت آية أخرى أخلاق المتقين فذكرت أنهم : « الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ، والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » فوصفت المتقين بالسخاء فى البذل فى حالتى الوفرة والقلة ، ثم بكبح جماح الغضب ثم بالعفو عمن أساء إليهم ، ثم بالإحسان فى العبادات والأعمال والسلوك ، ثم المبادرة بالتوبة من الذنوب وعدم الإصرار على

الخطأ . وعقبت على هـذه الصفات بأن جزاء أصحابها « مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ،ونعم أجر العاملين » .

ومن التدبر الدقيق فى هـذه الآيات الـكريمة نعلم أن أسس التقوى عديدة وأنه يمـكن جمعها فى ثلاث دعائم قوية : إيمان عميق ، وعمل مثمر صالح ، وسلوك خلق قويم ، وعلى هـذه الدعائم الثلاث تقوم جميع الأديان ، ومن تتبع وصايا الرسل فى القرآن الـكريم وجدها تحض جميعها على التقوى ، ومن قرأ سورة الشعراء وجد كل رسول يهيب بقومه : « ألا تتقون، إنى لـكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون » .

أما القرآن الـكريم فقدوردت فيه صفة التقوى ومشتقاتها فى أكـثر من مائتين وخمسين مـوضعا ، وحسبنا أن الله تعالى وصف نفسه بأنه « أهـل التقوى وأهل المغفرة » وأنه دعا المتزودين بالطعام أن يتزودوا بالتقوى « فإن خير الزاد التقوى » والمتجملين باللباس أن يتجملوا بالتقوى « ولباس التقوى ذلك خير » .

وللتقوى مراتب عديدة لخصها ابن قيم فى ثلاث درجات حيث قال : [1] «التقوى ثلاث مراتب : إحداها : حمية القلب والجوارح عن الآثام والمحرمات ، والثانية : حميتها عن المـكروهات ، والثالثة : حميتها عن الفضول فالأولى تعطى العبد حياته ، والثانية تفيده صحته وقـوته والثالثة تـكسبه سروره وفرحه وبهجته » .

فأول المراتب : أن يصوت المتقى نفسه عما حرم الله من الذنوب والآثام .

والمرتبة الثانية : أن يصون نفسه ـ مع هذا ـ عن الصغائر واللمم .

والمرتبة الثالثة : لا يشغل نفسه بما لا يعنيه حتى لا يقحم نفسه فيما يمس أخلاقه .

روى الغزالى أن حسان بن أبى سنان مر على غرفة بنيت ، فقال : منذ كم بنيت ؟ ثم أقبل على نفسه ، وقال : يا نفسى المغرورة تسألين عما لا يعنيك وعاقبها بصوم سنة [2] .

وقد لام عمر رضى الله عنه نفسه لأنه تساءل عن معنى قوله تعالى : « وفاكهة وأبا » .

ولقد أسهب الإمام الغزالى فى الحديث عن التقوى وبيان خطرها فقال : (إن التقوى كنز عزيز ، كم تجد فيه من

---

[1] الفوائد لابن قيم الجوزية ص ٤٣ .

[2] منهاج العابدين ص٦٣ .

جوهر شريف وعلق نفيس، وخير كثير، ورزق كريم، وفوز كبير، وغنم جسيم، وملك عظيم، فكأن خيرات الدنيا والآخرة جمعت لجملت تحت هذه الخصلة الواحدة التي هي التقوى ...)، ثم ذكر نتائجها الحميدة ولخصها في اثنتي عشرة خصلة استمدها من القرآن الكريم؛ ومن الخير أن نسوقها بإيجاز :

١ ـ المدح والثناء : قال تعالى : « وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور » .

٢ ـ الحفظ والحراسة من الأعداء : « وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا » .

٣ ـ التأييد والنصرة : « إن الله مع الذين اتقوا، والذين هم محسنون » ؛ « والله ولى المتقين » .

٤ ـ النجاة من الشدائد، والرزق من الحلال : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب » .

٥ ـ إصلاح الأعمال : « يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ... » .

٦ ـ غفران الذنوب : « ...... يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم » .

٧ ـ محبة الله تعالى : « إن الله يحب المتقين » .

٨ ـ القبول : « إنما يتقبل الله من المتقين » .

٩ ـ الإعزاز والإكرام : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

١٠ ـ البشارة عند الموت : الذين آمنوا وكانوا يتقون، لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة » .

١١ ـ النجاة من النار : « ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا » .

١٢ ـ الخلود في الجنة : « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين » [1] .

فمن أراد الحفظ والصيانة في الدنيا فعليه بتقوى الله فإنها تدفع عنه الشر وتسوق إليه الخير « ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا » .

ومن أراد الحفظ والصيانة في الآخرة فعليه بتقوى الله فإنه من يتق الله « يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا » .

---

[١] المصدر السابق ص٥٤ ، ٥٥ .

وإذا امتلأت القلوب بتقوى الله امتلأت بنور الله ونفحاته الروحية ونعمت برحماته المتوالية « يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم » .

فالمتقون المؤمنون يظفرون بنصيبين من رحمة الله فى الدنيا والآخرة ، ويمنحهم نورا يميزون به الصواب من الخطأ والهداية من الضلال ، والحق من الباطل فيشقون طريقهم فى ظلمات الحياة مستهدين بنور الله ، ثم يظفرون فى الآخرة بمغفرة من الله ورضوان قال تعالى : « يأيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم » ، فالفرقان هو الملكة المميزة المنارة التى يهبها الله المتقين ليفرقوا فى ضوئها الخامل من السداد « يهدى الله بنوره من يشاء » ، « ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور » .

وهذه الملكة فوق العقل ، ويسميها القرآن بالحكمة « ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيرا » وهى غير العلم لأن الله يمن على أنبيائه بالعلم كما يمن عليهم بالحكمة ، قال تعالى فى فصل يوسف عليه السلام : « ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما » وقال تعالى فى فصل موسى عليه والسلام : « ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما » وقال فى نعمته على داود وسليمان عليهما السلام : « وكلا آتينا حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين » .

فالتقوى ترفع أصحابها إلى أسمى الدرجات وتهبهم أكرم الهبات ؛ والمتقون ليسوا معصومين ، فقد يتعرض لهم الشيطان ولكنه لا يغويهم ، وإنما ينسيهم ولكنهم سرعان مايتذكرون فيذكرون .

وتدفعهم التقوى للمبادرة بالاستغفار فينالون المغفرة « إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون » والتقوى إذا أصبحت مسيطرة على النفس متمكنة فى القلب فإن الشيطان فى هذه الحالة لا يجد فرصة للتأثير على المتقين حتى بالنسيان ؛ وحينئذ يسمى العبد مخلصا لا يغفل عن ذكر الله فى جميع الأوقات والأحوال ، والأنبياء فى مقدمة هذه الصفوة من الأتقياء والله تعالى يقول : « إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار » ، وهم الذين وصفهم

بعبوديته وقال فى حقهم للشيطان: «إن عبادى ليس لك عليهم سلطان» .

وإبليس لا يستطيع أن يمد تأثيره بأى حال إلى هؤلاء المخلصين الأتقياء فيقول لربه: «فبعزتك لأغوينهم أجمعين، إلا عبادك منهم المخلصين» ويقول الله تعالى فى يوسف عليه السلام: «كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين» فالسوء والفحشاء لا ترتقى إلى مقام الأتقياء المخلصين .

ولما كان الناس متفاوتين فى الدرجات فإن أعلاهم منزلة وأكرمهم مكانة عند الله هم المتقون «إن أكرمكم عند الله أتقاكم» وأسمى للمؤمنين عبادة هم الأتقياء قال ﷺ: (اتق المحارم تكن أعبد للناس) ولهذا قال ﷺ: (إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له) ومن هنا كانت التقوى جماع كل خير، روى أبو سعيد الخدرى قال: (جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا نبي الله أوصنى. فقال: عليك بتقوى الله فإنها جماع كل خير) ويقول الإمام القشيرى: «التقوى جماع الخيرات، وحقيقة التقوى التحرز بطاعة الله عن عقوبته» .

وقد أوصانا الرسول صلوات الله عليه بملازمة التقوى فى جميع الأحوال فقال: (اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن) فالتقوى تنفذ إلى قلب المؤمن فتصحبه فى إيمانه ثم فى عمله، ثم تصل به إلى مرتبة الإحسان «ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات، ثم اتقوا وآمنوا، ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين» .

فالتقوى تلازم الإيمان فى هذه المراحل الثلاث حتى تصل به إلى درجة الإحسان فيفوز بحب الله ورضوانه .

وإذا درسنا التقوى فى ظل التحليل النفسى فإننا نجدها تقوم على غريزتين أساسيتين هما: غريزة الاستغاثة وغريزة الخلاص وهما غريزتان متكاملتان، فالإنسان بفطرته محدود القدرة بالنسبة إلى القوى الطبيعية المحيطة به، وهى رهيبة الطاقة، ويزيدها رهبة جهل الإنسان لها وضعفه إزاءها، وتوقع خطرها فى كل حين، فالإنسان الضعيف تباغته الزلازل والبراكين. والزوابع والعواصف، والشهب

والرجوم، والفيضانات المدمرة، والقحط والجفاف، والأوبئة الفتاكة، والأشعة الكونية، والصواعق الكهربائية إلى ما لا يدركه من آلاف الحالات ؛ ومهما بذل الإنسان من جهود وطاقات فإنه لا يستطيع أن يحفظ نفسه من هذه الآفات وأسلم الطرق لحفظ نفسه ووقايتها أن يلجأ إلى الذي يملك زمام هذه القوى الطبيعية، ويستظل بحمايته، ويلوذ برعايته، حيث يجد الأمن والسكينة والاطمئنان ولهذا حصر القرآن الكريم « الخوف » وجعله متجها إلى الله وحده، فالأتقياء لا يخشون إلا الله، ولا يتقون سواه «وله الدين واصبا أفغير الله تتقون».

وقد أمرنا أن نقصر التقوى عليه وحده « وإياي فاتقون » وذلك بأسلوب القصر حيث قدم المفعول به على الفعل ؛ وأنبأنا أن زمام النجاة من كل مكروه بيده وحده « قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب » ؛ « وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون ».

ونحن نعلم أن الخوف أساس جميع الحالات العصبية وأنه يستشري فيتحول إلى رعب ثم إلى جبن يحمل صاحبه على توقع الأمر في كل مكان وفي كل لحظة، وفي كل حركة، حتى يصل بصاحبه إلى القلق العصبي ثم إلى الانهيار ثم الجنون، أما الخوف الطبيعي فهو نزعة فطرية في النفس تنبه صاحبها إلى مكامن الخطر ثم توجهه إلى الدفاع عن نفسه سواء بالهجوم أو بالتراجع أو باتخاذ القوة أو بالتماس الوقاية ؛ والقرآن الكريم حصر الخوف في الله وحده لأنه بيده ملكوت كل شيء، فلا رعب ولا قلق ولا انهيار، والإيمان به يورث الأمن والاطمئنان « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ».

وهو سبحانه « الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم » وبذكره وبالاعتصام به تطمئن قلوبهم وهو وحده « خير حافظا وهو أرحم الراحمين » فالمؤمنون يخافون إلها رحمانا رحيما يغفر الذنوب ويعفو عن السيئات ؛ فالخوف منه ليس رعبا قاتلا وإنما هي خشية ممزوجة بالرجاء، فالمؤمن الصادق « يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه»

والأتقياء « يدعون ربهم خوفا وطمعا » ، ثم يمتزج الخوف فى نفوسهم بفيض من المحبة « والذين آمنوا أشد حبا لله ».

ونحن نعلم أن الطفل يحب أباه ويخشاه، وكذلك حالة المؤمن مع الله.

ولما كان الهدف الأسمى لكل مؤمن هو أن يكون وليا لله ؛ فقد حصر الله الولاية فى الأتقياء « إن أولياؤه إلا المتقون» والحصر هنا بصيغة القصر: النفى والاستثناء حصر دقيق.

وفى هذا كله يلتقى المتصوفون وعلماء السنة بحيث لا نجد مجالا للخلاف بينهما إلا فى حرص الصوفية على المبالغة فى العبادة وجهاد النفس والتقرب إلى الله بعمل كل ما أمر به من فرائض أودعا إليه من نوافل واجتناب المحرمات والتسامى عن الشبهات ؛ وهذا مجال يبذل فيه كل ما استطاع من جهد وطاقات « فاتقوا الله ما استطعتم » أما ما يمتاز به الصوفية عن غيرهم فهو نظريتهم فى وسيلة المعرفة، فى الحب الإلهى وفيما يتناوله الباحثون من وحدة الوجود وسنرى فى المقال التالى أنهم لا يفترقون عن جمهرة المسلمين إلا فى بعض التفصيلات الاجتهادية ،وهو اختلاف لا يمس الجوهر، وقد يكون لهم لا عليهم فى كثير من الأحيان ، وسنعالج هذه الموضوعات فى مقال تال إن شاء الله ؟

علي عبد العظيم

قال الله تعالى :

« واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين . إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون » الأعراف : ٢٠٥ ، ٢٠٦

أمير المؤمنين فى الحديث

لفضيلة الدكتور عبد الحليم محمود
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

— ٧ —

المنهج الخلقى عند الثورى

لقد حاول الفلاسفة العقليون أن يرسموا للأخلاق منهجا، وأن يقعدوا لها قواعد. وأن يضعوا لها موضوعا يلتزم. وبدأوا — منفصلين عن الدين — يتساءلون عن أهداف الإنسان من سلوكه. وأجمعوا على أن هدف الإنسان من سلوكه إنما هو «السعادة» ثم اختلفوا طرائق ومذاهب فى :

١ — تحديد السعادة.

٢ — الطريق الموصل إليها.

وكان سقراط — فى التاريخ الواضح — من أوائل العقليين الذين بدءوا فى تحديد السعادة وفى رسم الطريق الموصل إليها.

إنها الرضا.

والرضا يتأتى من تحديد الرغبات بحيث لا يرغب الإنسان إلا فيما يستطيعه.

لماذا يشقى الإنسان ؟

لأن له رغبة لم يحققها.

فإذا حدد كل إنسان آماله ومطامحه ورغباته بحسب استطاعته بحيث لا تتعداها عاش سعيدا.

وأخفق مذهب سقراط حتى عند أخص تلاميذه — أفلاطون — فقد رسم مذهبا للسعادة والسلوك غير مذهب أستاذه .. بل رسم عدة مذاهب حسب تطوره الفكرى الذى استمر طيلة حياته فى صيرورة متتابعة لا تستقر على رأى ؛ ولو طال به الزمن لرسم مذاهب أخرى غير التى تعرفها عنه.

وأخفقت جميع مذاهب أفلاطون فى النظرة الفاحصة لتلميذه — أرسطو — فقد حاول أن يرسم أيضا مذهبا للفضيلة ومنهجا للسلوك من أجل الوصول إلى السعادة. وأخفق مذهبه إخفاقا بينا.

وهكذا إلى الآن . كلما جاء فيلسوف عقلى بنى الفلسفة مذهبا أخلاقيا يرى أنه كفيل بسعادة الإنسان فردا ، والسعادة الإنسانية جماعة أو جماعات .

بيد أن هذه المذاهب لم تصل بالأفراد ولا بالإنسانية إلى السعادة . ولعل الكثيرين ممن يعالجون هذه الموضوعات يشعرون بالشقاء أكثر من غيرهم .

وإذا كانت المذاهب العقلية قد أخفقت فى رسم طريق السعادة فإن أهل الإيمان الصادق الذين حققوا إيمانهم سعدوا فى حياتهم وعبروا عن هذه السعادة بقولهم مثـلا :

نحن فى لذة لو علمها الملوك لجالدونا عليها بسيوفهم .

وذلك أن الله سبحانه وتعالى ـ وهو أحكم الحكماء ـ قد حدد السعادة وحدد الطريق إليها . ضمن لمن اتبع الطريق وسلك سبيله واستقام على صراطه . . ضمن له السعادة فى هذه الحياة الدنيا وفى الحياة الآخرة .

« من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » .

« ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون ، لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم » .

« إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون ، نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة . . » .

واستجاب قوم للدعوة إلى ما يحييهم حياة طيبة فحققوا الرضا والسكينة والطمأنينة .

والرضا ، والسكينة ؛ والطمأنينة ؛ والحياة الطيبة ؛ وعدم الخوف . وعدم الفزع ، وعدم الحزن ، والأمن .. كل هذه معانى ضمنها الله لمن حقق له العبودية الصادقة .

وأراد سفيان الثورى أن تسير الأمة إلى الهدى . وأن تسلك سبيل الله فيتحقق لكل إنسان قسط من السعادة بقدر ما يحقق من خطوات فى الطريق .

واستمر سفيان طيلة حياته يبشر بالفضيلة وبالتقوى ويدعو إلى الخير ملتزما فى كل ذلك السنن الدينى المستقيم .

لقد كان يبشر بذلك فى كلماته وفى مواعظه وفى نصائحه وفى خطاباته وكان يبشر بذلك بسلوكه المهتدى تطبيقا صادقا .

وأجمع وصاياه تعبيرا عن منهجه ماأوصى به عليا بن الحسن السلمى فقال :

عليك بالصدق فى المواطن كلها . وإياك والكذب والخيانة ومجالسة أصحابها فإنها وزر كله وإياك يا أخى والرياء فى القول والعمل فإنه شرك بعينه ، وإياك والعجب فإن العمل الصالح لا يرفع وفيه عجب . ولا تأخذن دينك إلا ممن هو مشفق على دينه فإن مثل الذى هو غير مشفق على دينه كمثل طبيب به داء لا يستطيع أن يعالج داء نفسه .

ويا أخى إنما دينك لحمك ودمك . إبك على نفسك وارحمها فإن أنت لم ترحمها لم ترحم ، وليكن جليسك من يزهدك فى الدنيا ويرغبك فى الآخرة ، وإياك ومجالسة أهل لدنيا الذين يخوضون فى حديث الدنيا فإنهم يفسدون عليك دينك وقلبك وأكثر ذكر الموت . وأكثر الاستغفار مما قد سلف من ذنوبك . وسل الله السلامة لما بقى من عمرك .

ثم عليك يا أخى بأدب حسن وخلق حسن ولا تخالفن الجماعة فإن الخير فيها إلا من هو مكب على الدنيا كالذى يعمر بيتا ويخرب آخر . وانصح لكل مؤمن إذا سألك فى أمر دينه . ولا تكتمن أحدا من النصيحة شيئا إذا شاورك فيما كان لله فيه رضا .

وإياك أن تخون مؤمنا . فمن خان مؤمنا فقد خان الله ورسوله . وإذا أحببت أخاك فى الله فابذل له نفسك ومالك . وإياك والخصومات والجدال والمراء فإنك تصير ظلوما خوانا أثيما ، وعليك بالصبر فى المواطن كلها، فإن الصبر يجر إلى البر، والبر يجر إلى الجنة ، وإياك والحدة والغضب فإنهما يجران إلى الفجور ، والفجور يجر إلى النار ولا تمارين عالما ، وإن الاحتلاف إلى العلماء رحمة والانقطاع عنهم سخط الرحمن .

وعليك بالورع يخفف الله حسابك ، ودع كثيراً مما يريبك إلى ما لا يريبك تسكن ، وإن لله عليك حقوقا وشروطا كثيرة ينبغى أن تؤديها ولا تكونن غافلا عنها فإنه ليس يغفل عنك وأنت محاسب بها يوم القيامة ، وإذا أردت أمرا من أمور الدنيا فعليك بالتؤدة ، فإن رأيته

موافقا لأمر آخرتك فخذه وإلا فقف عنه واسأل الله العافية

وإذا هممت بأمر من أمور الآخرة فشمر إليها وأسرع من قبل أن يحول بينها وبينك الشياطين ، ولا تكونن أكولا لا يعمل بقدر ما يأكل فإنه يكره ذلك ، ولا تأكل بغير نية ولا بغير شهوة ، ولا تحشون بطنك فتقع جيفة لا تذكر الله وإياك والطمع فيما فى أيدى الناس فإن الطمع هلاك الدين ، وإياك والحرص على الدنيا فإن الحرص مما يفضح الناس يوم القيامة .

وكن طاهر القلب نقى الجسد من الذنوب والخطايا ، نقى اليد من المظالم ، سليم القلب من الغش والمكر والخيانة خالى البطن من الحرام فإنه لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت ، كف بصرك عن الناس ، ولا تمشين بغير حاجة ، ولا تكلمن بغير حكم ، ولا تبطش بيدك إلى ما ليس لك . وكن خائفا حزينا لما بقى من عمرك لا تدرى ما يحدث فيه من أمر دينك .

أقل العثرة واقبل المعذرة واغفر الذنب وكن ممن يرجى خيره ويؤمن شره ، لا تبغض أحدا ممن يطيع الله ، وكن رحيما للعامة والخاصة ، ولا تقطع رحمك ، وصل من قطعك ، وصل رحمك وإن قطعك ، وتجاوز عمن ظلمك تكن رفيق الأنبياء والشهداء .

وعليك بالباس الخشن تجد حلاوة الإيمان وعليك بقلة الأكل تملك سهر الليل ، وعليك بالصوم فإنه يسد عنك باب الفجور ويفتح عليك باب العبادة ، وعليك بقلة الكلام يلن قلبك ، وعليك بطول الصمت تملك الورع ولا تكونن حريصا على الدنيا ولا تكن حاسدا تكن سريع الفهم ، ولا تكن طعانا تنج من ألسن الناس .

وكن رحيما تكن محببا إلى الناس ، وارض بما قسم الله لك من الرزق تكن غنيا ، وتوكل على الله تكن قويا ، ولا تنازع أهل الدنيا فى دنياهم يحبك الله ويحبك أهل الأرض ، وكن متواضعا تستكمل أعمال البر ، اعمل بالعافية تأتك العافية من فوقك كن عفوا تظفر بحاجتك ، كن رحيما يترحم عليك كل شىء .

يا أخى : لا تدع أيامك ولياليك وساعاتك تمر عليك باطلا ، وقدم من نفسك لنفسك ليوم العطش ، يا أخى فإنك لا تروى يوم

القيامة إلا بالرضا من الرحمن ولا تدرك رضوانه إلا بطاعتك، وأكثر من النوافل تقربك إلى الله، واجتنب المحارم كلها تجد حلاوة الإيمان.

جالس أهل الورع وأهل التقى يصلح الله أمر دينك، وشاور فى أمر دينك الذين يخشون الله، وسارع فى الخيرات يحل الله بينك وبين المعصية، وعليك بكثرة ذكر الله يزهدك الله فى الدنيا، وعليك بذكر الموت يهون الله عليك أمر الدنيا، واشتق إلى الجنة يوفق الله لك الطاعة، وأشفق من النار يهون الله عليك المصائب.

أحب أهل الجنة تكن معهم يوم القيامة وأبغض أهل المعاصى يحبك الله، والمؤمنون شهود الله فى الأرض، ولا تسبن أحداً من المؤمنين ولا تحقرن شيئا من المعروف، وانظر يا أخى أن يكون أول أمرك تقوى الله فى السر والعلانية، واخش الله خشية من قد علم أنه ميت ومبعوث، ثم الحشر ثم الوقوف بين يدى الجبار عز وجل، وتحاسب بعملك، ثم المصير إلى إحدى الدارين، إما جنة ناعمة خالدة وإما نار فيها ألوان العذاب مع خلود لا موت فيه، وارج رجاء من علم أنه يعفو ويعاقب.

وبالله التوفيق لا رب غيره ؟

د. عبد الحليم محمود

قال الله تعالى :

« والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين . الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون »

العنكبوت : ٥٨، ٥٩

عالم مجاهد :

محمد الخضر حسين

للدكتور محمد رجب البيومي

— ١ —

يحلو لكثير من النقاد أن يصنفوا المؤلفين طبقتين : طبقة العلماء، وهم أرباب البحوث العلمية فى الفقه والتشريع والعلوم اللسانية من نحو وبلاغة وتصريف ، وطبقة الأدباء، وهم أصحاب الآثار الفنية من نثر بارع الصوغ صادق العاطفة ، وشعر رائع المعنى دقيق التصوير ، فإذا نظم العالم شعراً أو ألف الأديب مصنفا علميا ، فقد سلك مسلك التكلف والافتعال ، وربما دعم هذا التقسيم لديهم ما يشاهدونه كثيرا من ركاكة أشعار العلماء وضحالة إنتاج الأدباء وهذا حق فى أكثر أحواله ، ولكنه لا يمنع أن يوجد من الموهوبين من يبرز فى الناحيتين على نحو يدهش ويروع !

أذكر أنى كنت أقرأ كتاب الوساطة بين المتنبى وخصومه للقاضى الشهير على ابن عبدالعزيز الجرجانى فأجد الرائع للبدع من التحليل الأبىّ والصوغ البيانى مع الاستشفاف الملهم لأسرار الروح ونوازع الوجدان ثم أنتقل إلى ما رواه الثعالبى من شعره فأجد المطرب المرقص مما يملك الوجدان دقة إحساس ولطافة منزع ! والرجل بعد قاض فقيه يؤلف فى الفقه والتشريع ، ويحذق أساليب الاستنباط والقياس وقواعد الأصول ذات المنحى العويص !! وتفوقه فى الناحيتين المختلفتين دليل ملموس على أن العلم لا يمنع الأدب فقد يوجد من ذوى المواهب من يطير بجناحين متعادلين فيحرز قصب السبق فى مضمارى العلم والأدب دون نزاع، ولقد كان السيد محمد الخضر حسين أحد هؤلاء دون جدال !! فالرجل قاض فقيه يكتب فى الأصول والتشريع والتاريخ كتابة المتعمق الدقيق ، وقد كان يدرس لطلاب

كلية أصول الدين أبواباً من السياسة الشرعية ويغوص فيها مغاص الأصولي الجدلي المتكلم النظار، ثم هو صاحب رسائل أدبية ومقالات تحليلية وديوان شعرى يجعله فى طليعة أرباب الفن الرفيع، ولا ندرى كيف تأتى له ذلك، ومنشأه التعليمى بجامع الزيتونة فى تونس إن استطاع أن يلهمه بصر العالم فلن يستطيع أن يورثه ذوق الأديب دون جهد جهيد!.

ولد الأستاذ بقرية من قرى الجزائر على حدود القطر التونسى، فى أسرة تعتز بعراقة النسب وتفخر بمن أنجبت من العلماء والأدباء، وحين بلغ الثانية عشرة من عمره التحق بجامع الزيتونة طالبا. وأكب على التحصيل والتلقى حتى نال الشهادة العالمية عن جدارة وتهيأ للإفادة العلمية كاتباً ومدرساً وقاضياً.

وتسألنى عن طريقة التدريس بجامع الزيتونة إذ ذاك فلا أجد أحسن مما قاله الأستاذ أحمد أمين فى كتابه (زعماء الإصلاح) ص ١٤٨.

«وعلى رأس هذه الكتاتيب جامع الزيتونة وهو صورة مصغرة من الأزهر فى ذلك العهد، تقرأ فيه علوم الدين من تفسير وحديث وفقه وعقائد، وعلوم اللغة من نحو وصرف وبيان ومعان فى كتب مقررة لها متون وشروح وحواش ويقضى الوقت فى تفهم تعبيراتهم وإيراد الاعتراضات والإجابة عنها، فالعلم شكل علم لا علم، والنتاج جدل لا حقائق، والناجح فى الامتحان الذى يستحق أن يكون عالما أقدرهم على الجدل، وحفظ المصطلحات الشكلية، أما الجميع فسواء فى عدم التحصيل إذا مسوا الحياة الخارجية، فالمناقشة فى أن شرب الدخان حلال أو حرام والغيبة أشد حرمة أم سماع الآلات الموسيقية وخيال الظل تجوز رؤيته أو لا تجوز».

ويقص الأستاذ محمد الخضر حسين نفسه طريقة أحد أساتذته فى التدريس فيقول عن شيخه عمر بن الشيخ نقلا من مجلة الهداية الإسلامية جمادى الآخرة ١٣٥٥هـ «أما أسلوب الأستاذ فى التعليم فمن أنفع الطرق، كان يقرر عبارة المتن ويبسطها حتى يتضح المراد منها ثم يأخذ فى سرد عبارات الشرح، وما تمس الحاجة إليه من الحواشى

والكتب التى بحثت فى الموضوع لا سيما الكتب التى استمد منها شارح الكتاب ويتبعها بالبيان جملة جملة. ولا يغادر عويصة أو عقدة إلا فتح مغلقها، وأوضح مجملها، بحيث يتعلم الطالب من دروسه كيف تلتقط الجواهر للمعانى من أفواه المؤلفين زيادة عما يستفيده من العلم » ثم يقول عنه : « تلقيت عن الأستاذ رحمه الله دروسا من تفسير البيضاوى ودروسا من شرح التاودى على العاصمية، ودروسا من شرح الشيخ عبد الباقى على المختصر الخليلى، وكنت بعد أن استقال من منصبى الفتوى ونظارة الجامع أزوره كثيرا حرصا على الاستفادة من علمه » .

هذه الطريقة فى الشرح والتلقين هى نفسها الطريقة الأزهرية القديمة التى نادى محمد عبده بوجوب إصلاحها، ودعا إلى نمط آخر من الدراسة يهتم باللباب دون القشور، وأرجح أن بعض أساتذة الزيتونة لم يكونوا من هذا الطراز، لأن الشيخ الخضر فى غضون مقالاته الكثيرة يتحدث عن أستاذه سالم أبو حاجب، فيرينا نمطا من العلماء الأفذاذ يهتمون بالحقائق الخالصة ويعملون على إحياء الوعى المجدد الناهض فهو مثلا فى دروسه كان يستشهد على كل كلمة لغوية ببيت من الشعر مما ينبىء بكثرة محفوظه الأدبى .

وزملاؤه إذ ذاك كانوا لا ينظرون إلى دواوين الشعر العربى نظرة تأمل واستيعاب، وأكاد أجزم أن وجود هذا الأستاذ فى حياة الخضر العلمية كان ذا أثر بعيد فى اتجاهه الفكرى، فهو الذى حدا به إلى البعد عن دائرة الحواشى والمتون والتقديرات، وهيأه لأن يرد التراث العلمى من أصفى موارده فى أمهات الكتب للشافعى وابن حزم والغزالى والفخر والشاطبى وأمثال هؤلاء من أفذاذ العلماء !

ولا تجد تعليلا لنبوغ الخضر فى حداثته، وتفوقه عن أقرانه غير صفاء مورده، ودسامة غذائه الفكرى، على حين يظل بعض الزملاء فى مصر وتونس مولعين بكتب المحاكات، وحواشى المتون ! .

تخرج الأستاذ فى الزيتونة صحيح العلم واسع الأفق فصيح العبارة، وراعه أن يرى الاحتلال الفرنسى يأخذ بقبضه الحديدى على أعناق المسلمين فى أصقاع المغرب بشتى نواحيه التونسية والجزائرية

والمراكشية ! فطفق يدعو إلى اليقظة والتحرر ، وأنشأ مجلة السعادة العظمى لتوضح للقارئين مآسيهم الدامية ، وتكشف تخلفهم الحضارى والعلمى وبعدهم عن تعاليم الإسلام فى مجتمع يقول الأستاذ أحمد أمين فى وصفه ص ١٤٩ :

« جزء كبير من السكان بدو لا يعرفون من الإسلام إلا الشهادتين ، ولا يصل إليهم شىء من علم إلا فى بعض أماكن أنشأ فيها الصوفية زوايا تعلم الناس شيئا من الدين ، وللجاليات الأجنبية من فرنسية وإيطالية وانجليزية مدارس تعلم أبناءها وقليلا من أبناء البلاد اللغات والجغرافيا والتاريخ والحساب والجبر والهندسة ، فتخرج من هم أقدر على فهم الحياة فإذا انغمسوا فيها تحولت مالية البلاد إلى أيديهم ، أما إدارة البلاد ففوضى ، الحاكم حاكم بأمره ، وأحب الناس إليه من يجمع له المال من حله وحرامه ، ولا ضبط فى دخل ولا خرج ، والعدل والظلم متروكان للمصادفات فإن تولى بعض الأمور عادل عدل وكان العدل موقوتا بحياته — وقلما يكون — ونظام القضاء والجيش والإدارة والضرائب وجباية المال وإنفاقه على النمط العتيق البالى ، وكثير من الأمور تنفذ بالأوامر الشفوية لا مرجع لها ولا يمكن الحساب عليها » .

هذه حال تونس ! وهى مشابهة لأكثر أحوال الممالك الإسلامية فى أواخر القرن الماضى ، وأوائل هذا القرن ، ولو كان الأستاذ الخضر ممن يفكرون فى ذواتهم الخاصة ، لقنع بما أسند إليه من وظائف القضاء بالمحاكم والتدريس والخطابة بالزيتونة وغيرها من المدارس . وهى وظائف تضمن العيش الرغيد ، وتوفر صحاب الرزق ، بل إنها كانت عند بعض الوصوليين مدعاة التقرب إلى المحتلين إذ يصيرون لعبة هينة فى أيديهم ، يصدرون عن آرائهم ، ويمهدون لتمكين سيطرتهم بما يلفقون من تقريب وتمهيد !

ولكن الرجل حى الضمير شديد الحساسية ، فقد رأى الأجنبى يحاول أن يطمس نور الشريعة عن عيون تهيم بالإسلام ، كما يبذل قوته الحاشدة لتشويه اللغة العربية والحكم عليها بالجمود والتقهقر ، لينصرف الناس عن قرآنهم المجيد وأحاديث نبيهم الكريم ، ثم تنقطع صلاتهم بأصحاب

الذخائر العلمية الرائعة من ورثة الأنبياء وهداة المصلين !.

لذلك أنشأ صحيفة السعادة العظمى على نمط العروة الوثقى لتنشر محاسن الإسلام، وتفضح أساليب الاستعمار، وكانت خطة السيد منذ حمل لواء الدعوة فى صباه إلى أن لقى الله فى شيخوخته واضحة مفهومة، فهو يعتقد أن فساد الأمم الإسلامية يرجع فى أصح أسبابه إلى انصراف المسلمين عن هدى الشريعة الإسلامية، ويرى أن السيطرة الأوربية لم تملك زمام الأمور فى الشرق إلا حين اعتصمت بالعلم واستضاءت بالعقل وأن الشلل العقلى لم تتمهد وسائله المؤسفة وأسبابه القاتلة فى ربوع الحنيفة إلا حين استطاع الدخلاء أن يلبسوا الحق بالباطل، فيصموا الإسلام بما هو براء منه من الجمود والتزمت والاستسلام والأخذ بالخرافات والبدع والغيبيات المزعومة مما لم يأت به وحى سماوى، أو هدى محمدى !

ولذلك كانت مهمة السعادة العظمى شاقة خطيرة، إذ أخذت تحارب القوة والمال والنفوذ بعزم واثق، وجهد صابر أمين ! والرائع حقا أن الأستاذ رضى الله عنه قد ثبت على معتقده ثبات الأبطال فى كل مكان رحل إليه، فهو فى تركيا ودمشق وألمانيا والقاهرة شابا وكهلا وشيخا هو هو فى تونس يافعا غضا يناهض الباطل بالحق، ويحارب الكفر بالإيمان ! ومن يطالع روائع قلمه، وبخاصة كتاب رسائل الإصلاح بأجزائه الثلاثة يدرك يقينه الثابت بماضى الأمة الإسلامية فهو فى كل مقال يخطه أو محاضرة يلقيها يلتمس الأدلة اليقينية على مجد السلف، وعز الأجداد، وكان ذلك أمرا لابد له أمام مزاعم الاستعمار وأذنابه ممن يرون فى الشرق كل تأخر وفى الغرب كل تقدم وازدهار، ويمكننا أن نستعير بعض ما كتبه السيد فى مقدمة كتابه (نقض الشعر الجاهلى) ليرى القارىء إجمال دعوة الرجل موجزاً بقلمه البليغ قال الأستاذ :

« نهضت الأمم الشرقية فيما سلف نهضة اجتماعية ابتدأت بطلوع كوكب الإسلام واستوثقت حين سارت هدايته سيرها الحثيث، وفتحت عيون هذه الأمم فى طريقة الحياة المثلى، سادت هذه النهضة وكان لها الأثر الأعلى فى الأفكار والهمم والآداب ومن فروعها نهضة أدبية لغوية جملت تأخذ مظاهرها العلمية لعهد

بنى أمية ، واستوت على سوقها فى أيام بنى العباس .

تمتع الشرق بنهضتيه الاجتماعية والأدبية حقبا ، ثم وقف التعلم عند غاية ، وأخذ شأنا غير الشأن الذى تسمو به المدارك وتنمو نتائج العقول فإذا غفوة تدب إلى جفون هذه الأمم ولم تكد تستفيق منها إلا ويد أجنبية تقبض على زمامها .

التفت الشرق إلى ما كان فى يده من حكمة ، وإلى ما شاد من مجد ، وإلى من شب فى مهده من أعاظم الرجال ، أخذ ينظر إلى ماضيه ليميز أبناؤه بين ما هو من تراث آبائهم وبين ما يقتبسونه من الغرب ، ويشعروا بما كان لهم من مجد شامخ فتأخذهم العزة إلى أن يضموا إلى التالد طريفا وليذكروا أنهم ذرية أولئك السراة فلا يرضوا أن يكونوا للمستبدين عبيداً » .

هذا هو المجال الذى انطلق فيه يراع الأستاذ طيلة حياته ، مجال التذكير بالأمجاد عن دراسة وتنقيب ، وكشف الخداع عن بهارج الغرب فى استشفاف ونفاذ ، ووضع العلاج لأدواء الشرق فى بصر وتشخيص !!

وقد ألح فى ذلك إلحاحا جعل فريقا من المؤرخين يفهمون رسالته الإصلاحية على غير وجهها الصحيح فالأستاذ (ولفريد كانتويل سميث) أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة مونتريال يضع كتابا عن الإسلام فى التاريخ الحديث ، يتعرض فيه إلى مجلة الأزهر موازنا بين رئيسى تحريرها السابقين : محمد الخضر حسين ومحمد فريد وجدى فيجعل الأول ممثلا للمدرسة السلفية فقط والثانى مجدداً عصرياً تسير طريقته فى التجديد على قواعد المعرفة الحديثة ، وهذا شطط بالغ تنبه إليه الأستاذ العقاد حين تعرض لنقد الكتاب ، فقال نقلا عن مجلة الأزهر رجب ١٣٨١ هـ .

« ويقول صاحب الكتاب فى مقابلته بين الشيخ الخضر ، ومنهج الأستاذ وجدى إن أولهما يعتبر الإسلام وحيا تاما قد تنزل على صورته الكاملة منذ عصر الرسالة المحمدية فلا إضافة إليه ، ولا زيادة عليه ولا تحوير فيه ، وإنما الإيمان بالإسلام هو الذى يحتمل القوة والضعف ، كما يحتمل زيادة المعرفة أو النقص فيها ، أو يحتمل المراجعة من عصر إلى عصر لتفقد الآثار المصرية ، فيه ، وليس الأستاذ الخضر كما يرى المؤلف من أنصار الحنين إلى الماضى ، بل هو من أنصار الدعوة التى لا زمان لها ، لأنها صالحة

لكل زمان ومهما تتجدد مذاهب المعرفة فالمسلم يسلم أمره إلى إرادة الله كما هدته معارفه إلى فهم تلك الإرادة الإلهية بالدرس والإلهام وقد تساوى فى نظر الشيخ الخضر كلا الطرفين من المسلمين فى الحاجة إلى التصحيح والإصلاح وهما على تعبير المؤلف طرف اليسار من المتعلمين الذين جاوزوا حدود الإسلام ، وطرف اليمين من الجامدين وأتباع الطرق الصوفية الذين ضيقوا حدوده عليهم وإن لم يجاوزوه »

ولم يسكت المستعمرون عن صاحب السعادة وقد أقض مضاجعهم بما ينادى به من استقلال وإصلاح فآذوه وناوءوه وحكموا عليه بالإعدام حتى اضطر إلى الفرار إلى الآستانة واهما أن مجال الإصلاح بها أوسع وأرحب ، ولكنه فوجىء بانهيار آماله حين وجد عاصمة الخلافة الإسلامية مسرحا للدسائس المغرضة والمؤامرات الرخيصة ، وأن من يجعلون أنفسهم رجال الدين هناك لا يدعون إلى سبيل ربهم بالحكمة والموعظة بل لا يتناهون عن كل منكر يفعلونه فهم يحيكون المكائد بالليل ويفسرون المنامات ، ويقرأون الكف بالنهار ، على أنهم يضيقون بكل عالم مصلح يصدع بالحق وينادى باليقظة والاستبصار ، فهاجر الرحالة الصابر المحتسب إلى دمشق ، وحرص على البقاء بها مدرسا للغة العربية فى المدرسة السلطانية ، ولكن مبادئه تهتف به أن يسهم بنصيبه فى البعث الإسلامى ، فيكتب ويخطب ويدعو ثم يسافر إلى ألمانيا فيلتقى بالأحرار من أنصار الفكرة الإسلامية أمثال محمد فريد وعبد العزيز جاويش وعبد الحميد سعيد ، ويعملون جميعا على استقلال الدول الإسلامية أمداً طويلا فى وطأة الحرب العالمية الأولى وبين طلقات المدافع وأزيز الطائرات فى مسرح جهنمى يشيب له الرءوس ؟

ثم يعود إلى دمشق ثانية ، فيواصل التدريس بالدار السلطانية ويقرأ كتاب مغنى اللبيب ، ليكون فيما بعد أساساً لمؤلف نحوى بلاغى شامل .

حتى إذا ختمت الحرب ، وأسرعت فرنسا باحتلال الشام رأى نفسه مضطراً إلى الهجرة بنفسه فراراً من هؤلاء الذين حكموا عليه بالإعدام فى تونس يسابقه جهاده ، وروائعه ونضاله ، فيمم وجهه شطر الديار المصرية ، ليصبح له فيها شأن جديد . . .

[له بقية] د : محمد رجب البيومى

مكتبة القاهرة الفاطمية

للأستاذ محمد جبر أبو سعده

في تاريخ القاهرة الفاطمية ثلاثة مسميات ربما يقع الوهم عند البعض في حقيقتها ، أو يظن أنها شيء واحد ، فيحسن هنا إلقاء الضوء عليها وتوضيح أمرها :

فأما الأول منها : فهو ما يسمى بمكتبة القصر أو مكتبة الخلفاء — وحولها سيدور المقال إن شاء الله — .

وأما الثاني : فهو دار الحكمة ، وقد أنشأها الخليفة الحاكم بأمر الله (٣٨٦ — ٤١١ هـ ، ٩٩٦ — ١٠٢٠ م) عام ٣٩٥ هـ ١٠٠٥ م ، وكانت مركزا علميا ضخما ، اشتمل النشاط فيه جوانب علمية شتى : كالتفسير والقراءات والحديث والفقه والنحو واللغة والتاريخ والكيمياء والنجوم وغيرها ، وقد استكملت استعدادها لتكون داراً للبحث والدرس والتأليف والنشر ، فزودت بكميات وفيرة من أدوات الكتابة والنسخ المختلفة لسد حاجة العلماء والباحثين الذين انقطعوا إليها ، وتهيئة أطيب الفرص أمامهم لزيادة إنتاجهم العلمي . . .

وأما الثالث : فهو دار العلم وهذه الدار كانت مكتبة ألحقت بدار الحكمة المذكورة قبلا ليستعين بها العلماء والطلاب من رواد وقاصدي دار الحكمة ، ولكن معظم الكتب التي زودت بها هذه الدار أخذت من مكتبة القصر [1] .

ونعود إلى الحديث عن مكتبتنا هذه ، فأشير إلى مسألة هامة هنا ، وهي أن هذه المكتبة لم يكن تأسيسها — كسابقتيها في بغداد وقرطبة — مظهرا يؤكد ميل الحكام المسلمين ورغبتهم الخالصة في نشر العلوم ، وتشجيع العلماء على البحث بتوفير أسبابه لهم فحسب ! بل إنها أسست — بالإضافة إلى ذلك وفي الاعتبار الأول — لتكون وسيلة من وسائل الإعلام والدعاية للمذهب الفاطمي ، الذي وضعت الأسس لنشره في الأقطار

[1] انظر خطط المقريزي — ط القاهرة ١٢٧٠ هـ ١ — ٤٠٨ ، ٤٠٩

الإسلامية الخاضعة لسلطان الفاطميين ، وجعله للمذهب الرسمي للدولة قولا وعملا ، وهي بهذا الاعتبار إنما توضع إلى جانب الجامع الأزهر صاحب الدور المعروف في الترويج للمذهب الفاطمي ، وكذلك غيره من مساجد القاهرة الكبيرة كجامع عمرو وابن طولون والحاكم ، يقول الدكتور حسن إبراهيم حسن : «ولم تكن المكتبات أقل أهمية من المساجد في بث عقائد المذهب الإسماعيلي (الفاطمي) بين الناس »[1] .

ويرجع تاريخ هذه المكتبة إلى عهد مؤسس الدولة الفاطمية «عبيد الله المهدي» (٢٩٧ ـ ٣٢٢ هـ ـ ٩٠٩ ـ ٩٣٤ م) ؛ فقد أورد ابن الأثير والمقريزي : أن عبيد الله حمل معه من سلمية مجموعة من الكتب والملاحم لآبائه ، ولكنها سرقت منه أثناء سيره إلى سجلماسة في موقع يسمى الطاحونة قريب من طرابلس ، غير أن ولده القائم (٣٢٢ ـ ٣٣٤ هـ / ٩٣٤ ـ ٩٤٥ م) تمكن من استعادة ما فقده أبوه من الكتب والوثائق أثناء توجهه لغزو مصر للمرة الأولى عام ٣٠٠ هـ ـ ٩١٢ م[2] .

[١] تاريخ الدولة الفاطمية ص ٤٢٨ .

[٢] الكامل لابن الأثير ط القاهرة ١٣٠١ هـ ١٥ ، واتعاظ الحنفا للمقريزي نشر الدكتور الشيال القاهرة ١٣٦٧ هـ ص ٨٣ .

فإذا ما جاء عهد المعز لدين الله (٣٤١ ـ ٣٦٥ هـ / ٩٥٢ ـ ٩٧٥ م) فإننا نجد مجلسه بمدينة المنصورية (عاصمة الدولة الفاطمية قبل القاهرة) مزدانا بخزائن الكتب ؛ يقول المقريزي : « واستدعى المعز وهو بالمنصورية عدة شيوخ من شيوخ كتامة وأمر بإدخالهم إليه ، فإذا هو في مجلس مربع كبير مفروش بالبود على مطارح ، وحواليه أبواب مفتحة تفضي إلى خزائن كتب ، وبين يديه مرفع ودواة وكتب حواليه » الخ في حديث طويل[1] .

ولما نجح الغزو الفاطمي لمصر على يد القائد (جوهر الصقلي) عام ٣٥٨ هـ ـ ٩٦٩ م وشيدت القاهرة عاصمة جديدة للخلافة الفاطمية ، انتقل إليها الخليفة المعز عام ٣٦٢ هـ ـ ٩٧٣ م وبطبيعة الحال ؛ فإن هذه المكتب التي كانت خزائنها تشغل جانبا من مجلس الخليفة بالمنصورية قد انتقلت في ركاب المعز ، وصارت المجموعة الأولى لمكتبة الخلفاء الفاطميين بالقاهرة .

وعلى الرغم من قصر الفترة التي قضاها المعز في مصر ـ وكانت المكتبة ما زال في باكورة حياتها ـ إلا أنها بدأت فتية

[١] اتعاظ الحنفا ص ١٣٦ — ١٣٨ .

مستعدة للمنافسة ، يروى المقريزى أن أحد أشراف مصر وهو أبو جعفر مسلم حمل إلى المعز للمصحف الكبير الذى يذكر أنه كان ليحيى بن خالد بن برمك — وكان قد اشتراه بأربعمائة دينار — ، فلما رآه المعز قال : « أراك معجبا به وهو يستحق الإعجاب . ولكن نفاخرك نحن أيضا . . فدعا بمصحف نصفين ما رؤى أحسن منهما خطاً وإذهابا وتجليدا . فقال هذا خط المنصور (والد المعز ٣٣٤-٣٤١هـ ٩٤٥-٩٥٢م) ، وإذهابه وتجليده بيده . فقال له مسلم : فثم مصحف بخط مولانا المعز لدين الله عليه السلام ؟ فقال : نعم وأخرج له نصفين ، فقال : ما رأيت أصبح من هذا الخط[1] » .

على أن العصر الذهبي للمكتبة والفترة الزاهرة التى عاشتها ، إنما كانا فى عهد العزيز بالله بن المعز (٣٦٥ - ٣٨٦ هـ - ٩٧٥ - ٩٩٦م) ، وقد كان عهده عهد الرخاء واليسر والتسامح الدينى والنهضة الثقافية[2] فى هذه الفترة المديدة نجد المكتبة تحظى باهتمام شخصى من الخليفة الذى حاول أن يصل بها إلى درجة التفوق على مكتبتى بغداد وقرطبة - وهما على ما نعلم من العظمة والثراء وهذا التفوق الذى اتخذ مجال الثقافة والمعرفة ميدانا له ، وهو بدون شك فوق سياسى له مغزاه ، ولا يستطيع باحث أن ينكر أن الفرقة السياسية التى أصابت العالم الإسلامى منذ القرن الثانى الهجرى (الثامن الميلادى) كانت من ناحية أخرى نعمة كبرى على الحركة الثقافة والإنتاج العلمى والأدبى عند المسلمين ، ولتبيان ذلك مقام آخــر . .

غير أن الفاطميين فى سبيل الوصول بالمكتبة إلى درجة التفوق التى وصلت إليها بالفعل ، قد سلكوا طريقا فريدة لم يسبقوا إليها ؛ يقول أحد الباحثين : « وقد اتجه الفاطميون اتجاها غريبا فى تكوين مكتبتهم فقد كانوا يحرصون على أن يجمعوا بها جميع النسخ الموجودة من بعض الكتب حتى تكون مكتبتهم المكان الوحيد الذى يوجد به هذا الكتاب أو ذاك[1] » .

ومن المظاهر التى تؤكد تفوق مكتبة

[١] المصدر السابق ص ٢٠٢ .

[٢] تاريخ الدولة الفاطمية ص ١٥٦ .

[١] تاريخ التربية الإسلامية — ص ١٧٦ .

الفاطميين على غيرها من مكاتب العالم الإسلامى فى القرنين الرابع والخامس الهجريين ما تذكره المراجع التاريخية فى هذا الصدد ويقدم إلينا المقريزى فى خططه صورا ونماذج لهذا التفوق، فيقول نقلا عن المسبحى - الكاتب المعاصر - :

« وذكر عند العزيز بالله كتاب (العين) للخليل بن أحمد، فأمر خزان دفاتره، فأخرجوا من خزائنه نيفا وثلاثين نسخة من كتاب العين، منها نسخة بخط الخليل ابن أحمد ». ويقول فى صورة ثانية : « وذكر عنده كتاب الجمهرة لابن دريد فأخرج من الخزانة مائة نسخة منها »[1].

بل إن الأروع فى مقام التفوق أن تضم المكتبة بين ما تضم من الكنوز ألفين وأربعمائة مصحف مكتوبة بخطوط جميلة مذهبة ومفضضة، يروى المقريزى : « أن الموجود فيها (فى المكتبة) من جملة الكتب المخرجة فى شدة المستنصر ألفان وأربعمائة ختمة قرآن فى ربعات بخطوط منسوبة زائدة الحسن محلاة بذهب وفضة »[2].

[١] الخطط ٤٠٨/١ .

[٢] المصدر السابق ٤٠٨/١ .

كذلك فقد احتوت هذه المكتبة بين ما احتوته من النفائس مخطوطات عدة بخط أشهر الكتاب كابن مقلة[1]، وابن البواب[2]، وغيرهما، يقول ابن واصل : « وفيها النفائس من الكتب التى لا يكاد يوجد مثلها، ومنها ما هو مكتوب بالخطوط المنسوبة التى لا توجد فى خزانة أحد من الملوك »[3].

كذلك فقد وجه اهتمام خاص بالتجليد والتذهيب صيانة للكتب وتجميلا لها، يقول الدكتور زكى محمد حسن : « وكان فى خزانة الكتب الفاطمية مخطوطات محلاة بالذهب والفضة فى جلود جميلة النقوش بديعة الصناعة، نسج المماليك على منوالها فى صناعة التجليد فى عصرهم، وأخذ الغربيون عنهم فى العصور الوسطى كثيراً من أساليبهم فى هذا الميدان »[4].

[١] انظر ترجمة ابن مقلة فى وفيات الأعيان لابن خلكان ١٩٨/٤ — ٢٠٢ تحقيق محمد محيى الدين ط القاهرة ١٣٦٧ هـ .

[٢] انظر ترجمته فى وفيات الأعيان ٢٨/٣-٣٠

[٣] مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب — تحقيق دكتور الشيال — القاهرة ١٩٥٣ م ج ١ ص ٢٠٣ .

[٤] كنوز الفاطميين — القاهرة ١٣٥٦هـ — ص ٢٨، ٢٩ .

فإذا أضفنا إلى ذلك كله - على ما يمثله من عظمة المكتبة الفاطمية وتفردها - أن رصيد هذه المكتبة قد بلغ فى أقرب التقديرات المعقولة ستمائة ألف مجلد، وأن بعضهم قد وصل به إلى مليونين من المجلدات [1]، إذا أضفنا ذلك أدركنا ما كانت تمثله تلك المؤسسة العلمية الكبرى من قيمة حضارية عظمى فى مصر الإسلامية إبان العصور الوسطى.

وإذا كان للقارئ أن يسأل - وهو لابد فاعل - عن أنواع الفنون التى كانت تحتويها هذه المجلدات وتلك الأسفار؛ فإن أحد المؤرخين المتقدمين قد أجاب عن هذا السؤال الهام بقوله: «فنها الفقه على سائر المذاهب والنحو واللغة وكتب الحديث والتواريخ وسير الملوك والنجامة والروحانيات والكيمياء، من كل صنف النسخ (أى الكاملة) ومنها النواقص التى ما تمت» [2]، وهذا عدا المصاحف وكتب التفسير وعلوم القرآن التى لم تخل منها مكتبة إسلامية على الإطلاق.

فإذا انتقلنا إلى جانب آخر من جوانب التعريف بمكتبة القاهرة الفاطمية، قلنا إن الكتب فيها كانت تحفظ فى خزائن ضخمة تتسع الواحدة منها لعديد من ألوف المجلدات، يروى المقريزى نقلا عن كتاب الذخائر: «عدة الخزائن التى برسم الكتب فى سائر العلوم بالقصر أربعون خزانة، خزانة من جملتها ثمانية عشر ألف كتاب من العلوم القديمة» [1]. كما أنه - تيسيراً على الخزان والمتناولين فيها - كان يلصق على باب كل خزانة من هذه الخزائن بطاقة تعرف بما بداخلها من أنواع العلوم، كذلك فإن تلك الخزائن تنقسم من الداخل إلى عدة رفوف، وهذه الرفوف بدورها مقطعة بحواجز - وعلى كل حاجز باب يقفل بمفصلات وقفل .. ولا شك أن هذا حتى فى عصرنا الحاضر، يمثل أقصى ما وصل إليه عالم المكتبات من النظام والحرص فى وقت معا.

ومكتبة عظيمة كهذه، لابد أن يكون العاملون بها والمتولون أمرها على مستوى طيب من العلم والخبرة، ولقد أدرك الخلفاء

[١] انظر أقوال المؤرخين فى ذلك فى خطط المقريزى ١/ ٤٠٨، ٤٠٩.
[٢] ابن الطوير نقلا عن المقريزى ١/ ٤٠٩.

[١] الخطط ١/ ٤٠٨.

الفاطميون ذلك ، يقول ابن خلكان: فى ترجمة أبى الحسن على بن محمد الشابشتى الكاتب (ت ٣٩٠هـ - ١٠٠٠م) : «كان أديبا فاضلا تعلق بخدمة العزيز بن المعز العبيدى صاحب مصر فولاه أمر خزانة كتبه .. إلى أن ذكر مؤلفاته المتنوعة التى تدل على سعة علمه وغزارة مادته»[١] .

كذلك فإن الفهارس - وهى من أساسيات النظام المكتبى - قد أسند إعدادها إلى القاضى أبى عبد الله القضاعى (ت ٤٥٤ هـ ١٠٦٢م) بالاشتراك مع أبى خلف الوراق[٢]

وهؤلاء الذين ذكرتهم إنما يمثلون نماذج الرجال الذين كان يسند إليهم أمر المكتبة والقيام على شئونها ، وقد كان هناك طائفة أخرى من العمال وكلت إليهم أعمال النظافة والصيانة وخدمة موظفى المكتبة وروادها.

كذلك فإن هذه المكتبة ، التى أنشئت وبلغت الغاية فى العظمة والفخامة والثراء بفضل غرام الخلفاء الفاطميين بالكتب والمخطوطات النادرة ، كانت تحظى بزيارة الخلفاء والوزراء لها : ليس لمجرد الزيارة وإنما للاطلاع والبحث والاستفادة وينقل المقريزى بصدد ذلك عن ابن الطوير :

« خزانة الكتب كانت فى أحد مجالس المارستان اليوم .. فيجىء الخليفة راكبا ويترجل على الدكة المنصوبة ويجلس عليها ويحضر إليه من يتولاها ، وكان فى ذلك الوقت الجليس بن عبد القوى ، فيحضر إليه المصاحف بالخطوط المنسوبة وغيرذلك مما يقترحه من الكتب ، فإن عن له أخذ شىء منها ، أخذه ثم يعيده »[١] .

ونستطيع - قبل أن نختتم جولتنا هذه - أن نقسم حياة مكتبة القاهرة الفاطمية إلى فترتين رئيسيتين ؛ فأما الأولى فتبدأ - كما سبق - منذ إنشائها فى عهد المعز ولكنها تنتهى أثناء الشدة العظمى التى أصابت مصر فى عهد الخليفة المستنصر الفاطمى (٤٢٧ - ٤٨٧هـ/١٠٣٥ - ١٠٩٤م) ففى غضون الفوضى السياسية والإدارية التى استشرت فى البلاد ، والمجاعة التى عصفت باقتصاد مصر ، امتدت الأيدى الغاشمة إلى الكتب فأخرجتها من خزائنها قسرا ، فنهبت منها مقادير كبيرة ، وهربت إلى أماكن مختلفة وأحرق البعض وألقى البعض

[١] وفيات الأعيان ٣/٨ ، ٩ .
[٢] أخبار الحكماء للقفطى - ط أوربا ١٣٢٠ ص ٤٤٠ .

[١] الخطط ١/٤٠٩ .

الآخر في النيل ، كما اتخذ النوغاء من جلودها نعالا لهم ، وما بقي بعد ذلك فقد ترك مهملا في الخلاء ، فتراكمت عليه الأتربة حتى كونت تلالا ، عرفت وقتئذ بتلال الكتب[1] » .

وأما الفترة الثانية - وهي تمثل دور الإحياء والإعادة - فقد بدأت عقب تسلم « بدر الجمالي » أمور مصر عام ٤٦٦ هـ ، وقد بدأ على الفور يعيد تنظيم شئون البلاد ويبعث الهدوء والاستقرار في ربوعها ، ثم اهتم بأمر المكتبة ، فأخذ يجمع الكتب التي سلمت من أيدي العابثين ، ويستعيد ما استولى عليه الناس من الكتب وأفلح في استرداد جزء كبير مما هرب إلى الأقطار الأخرى ، حتى نجح في إعادة مجموعات طيبة من الكتب والمجلدات . أعادت النشاط إلى مكتبة القصر الفاطمي بالقاهرة إلى حين .

ثم جاءت النهاية .. وقد كانت بالنسبة لهذا المركز الثقافي العظيم مع سقوط دولة الفاطميين وقيام دولة بني أيوب على أنقاضها عام ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م ، ومن الأمور المسلم بها أن هذه المكتبة كانت تضم كثيرا

[1] انظر خطط المقريزي ١ - ٤٠٨ ، ٤٠٩ .

من المؤلفات والتصانيف الشيعية الخالصة التي تتعارض مع المذهب السني - مذهب الدولة الأيوبية - ولكن هذا لا يعتبر مسوغا للقضاء - تماما - على هذا الصرح العلمي الشامخ الذي يذكر الفاطميين بكثير من التقدير والاعتبار .

ومهما يكن من أمر فقد أمر « صلاح الدين الأيوبي » بإبادة جميع كتب الشيعة ثم عمد إلى بقية الكتب فشتتها هنا وهناك فقد منح القاضي الفاضل (ت ٥٩٦ هـ ١٠٩٩ م) مائة ألف كتاب عندما أنشأ المدرسة الفاضلية بالقاهرة عام ٥٨٠ هـ ، ووهب كذلك عماد الدين الأصفهاني (ت ٥٩٧ هـ ١٢٠١ م) مجموعة ضخمة منها ، أما مصير الباقي بعد ذلك كله - وهو كثير - فقد أمر دلال الكتب الذي يدعى ابن صورة ببيعه تخصص له هذا يومين في كل أسبوع يقول الرواة : إن بيع ما تبقى من كتب الفاطميين على هذه الصورة قد استغرق عدة أعوام من حياة ابن صورة »[1]

محمد جبر أبو سعده

[1] انظر المصدر السابق ١ - ٤٠٩ ، وتاريخ التربية الإسلامية ص ١٢٩ .

القرآن ... والحديث القدسى

هل الحديث القدسى منزل من عند الله بلفظه ومعناه ، أم بمعناه دون لفظه ، ولماذا لا يسمى الحديث النبوى حديثا قدسيا ؟! .

يجيب المرحوم الدكتور محمد عبد الله دراز عن ذلك فى كتابه (النبأ العظيم) بأن أظهر القولين ان الحديث القدسى منزل بمعناه فقط ، ويعقب على ذلك بقوله : وهذا هو أظهر القولين فيه عندنا ، لأنه لو كان منزلا بلفظه لكان له من الحرمة والقدسية فى نظر الشرع ما للنظم القرآنى ؛ إذ لا وجه للتفرقة بين لفظين منزلين من عند الله ، فكان من لوازم ذلك وجوب المحافظة على على نصوصه ، وعدم جواز روايته بالمعنى إجماعا . وحرمة مس المحدث لصحيفته .

ولا قائل بذلك كله . وأيضا ، فإن القرآن لما كان مقصودا منه مع العمل بمضمونه شىء آخر وهو التحدى بأسلوبه ، والتعبد بتلاوته احتيج لإنزال لفظه . والحديث القدسى لم ينزل للتحدى ولا للتعبد ، بل لمجرد العمل بما فيه ، وهذه الفائدة تحصل بإنزال معناه . فالقول بإنزال لفظه قول بشىء لا داعى فى النظر إليه . ولا دليل فى الشرع عليه ، اللهم إلا ما قد يلوح من إسناد الحديث القدسى إلى الله بصيغة « يقول الله تبارك وتعالى كذا » لكن القرائن التى ذكرناها آنفا كافية فى إفساح المجال لتأويله بأن المقصود نسبة مضمونه لا نسبة ألفاظه ، وهذا تأويل شائع فى العربية . فإنك تقول حينما تنثر بيتا من الشعر « يقول الشاعر كذا » . وتقول حينما تفسر آية من كتاب الله بكلام من عندك : « يقول الله تعالى كذا » .

وعلى هذه القاعدة حكى الله تعالى عن موسى وفرعون وغيرهما مضمون كلامهم بألفاظ غير ألفاظهم وأسلوب غير أسلوبهم ، ونسب ذلك إليهم .

فإن زعمت أنه لو لم يكن فى الحديث القدسى شىء آخر مقدس وراء المعنى لصح لنا أن نسمى بعض الحديث النبوى قدسيا أيضا لوجود هذا المعنى فيه ، فجوابه أننا

قطعنا فى الحديث القدسى بنزول معناه لورود النص الشرعى على نسبته إلى الله بقوله ﷺ : « قال الله تعالى كذا » سميناه قدسيا لذلك بخلاف الأحاديث النبوية فإنها لما لم يرد فيها مثل هـذا النص جاز فى كل واحد منها أن يكون مضمونه معلما بالوحى وأن يكون مستنبطا بالاجتهاد والرأى فسمى الكل نبويا وقوفا بالتسمية عند الحد المقطوع به ، ولو كانت لدينا علامة تميز لنا قسم الوحى لسميناه قدسيا كذلك

على أن هذا الامتياز لا يؤدى إلى نتيجة عملية ، فسواء علينا عند العمل بالحـديث أن يكون من هذا القسم أو من ذاك : إذ النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى تبليغه صادق مأمون ، وفى اجتهاده فطن موفق وروح القدس يؤيده ، فلا يقره على خطأ إن أخطأ فى أمر من أمور الشريعة فكان مرد الأمـر فى الحقيقة إلى الوحى فى كلتا الحالتين ، إما بالتعليم ابتداء وإما بالإقرار أو النسخ انتهاء .

ولذا وجب أن تتلقى كل سنته بالقبول « وما آتاكم الرسول فخـذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » ـ (سورة الحشر ٧) .

« وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يـكون لهم الخيرة من أمرهم » ـ (سورة الأحزاب ٣٦) .

« الاتحاد قـــوة »

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقـذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » .

[آل عمران : ١٠٢ ، ١٠٣]

من فتاوى الإمام الراحل
الشيخ محمود شلتوت
تقديم الأستاذ : محمد أبو شادى

(علاقة الخاطب بمخطوبته)

السؤال :

ما هو الحد الذى يبيحه الشرع للخاطب ليتمتع بمخطوبته قبل أن يعقد القران ، وهل يجوز له تقبيلها ؟

الجواب :

آثار الخطبة فى الشريعة :

الخطبة هى أن يطلب الرجل من المرأة أو وليها أن يتزوجها ، فإذا وافقت أو وافق وليها تمت الخطبة ، وكانت بمثابة اتفاق مبدئى على أن تكون له ويكون لها .

ومن آثار هذا الاتفاق أنه يحرم على غير الخاطب أن يخطبها على خطبته ، وفى ذلك قال عليه السلام : (المؤمن أخو المؤمن فلا يحل للمؤمن أن يبتاع على أخيه ، ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يذر) .

وقد أخذ بعض الأئمة من هنا النهى وأن زواج الخاطب الثانى باطل ، لا تحل به المرأة ويجب فسخه ، ولكن مع هذا لا تحل المخطوبة للخاطب إلا بإجراء العقد الشرعى المستوفى لشروط الصحة الشرعية ، وجملة ما يعتبر فيه : أن يحصل إيجاب وقبول منهما أو من وكيليهما أو من أحدهما ووكيل الآخر ، وأن يكون ذلك معلنا بمحضر شاهدين رجلين أو رجل وامرأتين على الأقل ، فإذا لم يجر بينهما العقد ، أو جرى بينهما فقط دون إعلان بالشهود ، ظلت المرأة أجنبية من الرجل ، وظل الرجل أجنبياً من المرأة ، لا يحل لأحدهما من صاحبه شىء مما يحل بين الرجل وزوجه فتحرم القبلة وتحرم الخلوة ، ويحرم أن يتبادلا نظرات الشهوة والمتعة .

إساءة فهم الخطبة :

وليست الخطبة أكثر من وعد بالزوج ، وحل التمتع إنما هو من آثار العقد ، فما لم يحصل العقد لا يحصل الحل ، وقد أساء قوم فهم الخطبة ، وقالوا : إنها مقدمة الزواج فيباح بها مقدمة ما يبيحه الزواج ، وبذلك استباح الخاطبان أن يختليا وأن ينفردا فى التنزه والسينما ، بل استباحا تبادل القبل ، وجعلوا كل ذلك من دلائل الوئام والمحبة ، وكثيراً ما اقترفا فى ظلمة هذا الفهم الفاسد ما لم يبحه الشرع والدين وظهر أمرهما فيه ، فانفصمت بينهما العروة ، وفسدت الخطبة ، وعدل الخاطب عن خطبته وعادت المخطوبة إلى بيتها تحمل إثمها فى أحشائها ، وتحمل من أوزار الخزى ما ينوء به شرفها وشرف أسرتها ، وكانت وصمة عار أبدى لا يمحى أثرها من الجبين .

ولعل فيما نقرؤه ونعلمه من حوادث الخاطبين والمخطوبات التى يجرها الاختلاط ورفع الحجب ما يضىء لنا السبيل فى قبح هذه العادة الممقوتة التى تسربت إلينا من عادات قوم لا يؤمنون بدين ، ولا يكترثون بشرف ، ولا يفهمون من سعادة بناتهم سوى أن يحصلن على طريق يجمعن به المال .

تعارف لا اختلاط :

نعم نظرت الشريعة الإسلامية إلى أن الزواج ميثاق غليظ وعهد قوى ، به ترتبط القلوب ، وتسكن النفوس ، ويتعاون الزوجان على تكوين أسرة عمادها المودة والرحمة ، ومن هنا كانت الحاجة إلى التعارف الذى يرشد إلى اتجاه القلوب فأباحت أن ينظر كل منهما إلى صاحبه نظرة التعارف فقط وأباحت أن يجتمعا ومعهما الأهل والأقارب ، وفى ذلك يقول عليه السلام : (إذا خطب أحدكم المرأة فقدر أن يرى منها بعض ما يدعو إلى زواجها فليفعل) وقال للمغيرة بن شعبة وقد خطب امرأة (انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما) ومعناه أنه أجدر أن يحصل بينكما الموافقة والملاءمة فالأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف .

(فسخ الخطبة)

السؤال :

من طالب حقوق . من المتفق عليه فى الشريعة الإسلامية أن قراءة الفاتحة عقد

فإذا ما اتضح بعد ذلك لأهل العروس سوء سلوك الزوج وشراسة طباعه بأدلة قاطعة لا يرق إليها الشك، وفسخت بذلك «المخطوبة» فهل هناك مسئولية دينية فى ذلك ؟.

الجواب :

ماهى الخطبة وحقيقتها ؟ :

يعتقد السائل أن قراءة الفاتحة عقد، ويسأل عن حكم فسخ الخطبة إذا ما اتضح أن الخاطب سيء السلوك، ونظرا إلى أن كثيراً من الناس يفهمون الخطبة على غير وجهها الشرعى - ويرتب الخاطبان عليهما تصرفات لا تسمح بها الشريعة، ولا تقرها - رأيت تعميما للفائدة وإرشادا لحكم الله فى ذلك أن أتخذ من هذا السؤال حديثا عن الخطبة، وعن وضعها الشرعى وعن حكم الرجوع فيها، وكلنا يعلم أن الخطبة هى أن يطلب الرجل التزوج بالمرأة وأن هذا الطلب قد يوجه إليها مباشرة، وقد يوجه إلى أحد من أسرتها كأبيها أو أمها، أو أخيها على حسب التعارف بين الناس فى ذلك.

وقد جاءت الخطبة فى القرآن الكريم بعد بيان عدة المتوفى عنها زوجها، «ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم فى أنفسكم».

ومن هنا كانت الخطبة مجرد اتفاق مبدئى على الرضا بالتزوج وكثيراً مايقصد الطرفان بعد تحقق الرضا إعلانه بإقامة حفل صغير أو كبير يحضره الأهل والأقارب والأصدقاء وتقدم فيه للمخطوبة الهدية المعروفة باسم «الشبكة» ويقتصر الأمر فى الحفل على ذلك، وقد تقرأ فيه الفاتحة تأكيدا لهذا الاتفاق، وينتهى الحفل وينصرف الناس دون أن يدور فى نفس أحد أن العقد قد حصل، أو أن فلانا تزوج بفلانة وقد أخذ هذا الحفل فى ألسنة الناس اسم «حفلة الخطوبة».

وقد ذكر الله العقد فى آية تالية للآية التى ذكرت فيها الخطبة فقال: «ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله» والمعنى إرجاء العقد حتى تخلص المخطوبة من تبعات الزواج السابق إذا كانت قد سبق لها زواج.

العقد غير الخطبة وجودا وشرعا وعرفا:

وبهذا كان الوضع الوجودى والشرعى

والعرف للخطبة غير الوضع الوجودى والشرعى والعرف للعقد فهى إذا كانت، طلب الزواج والاتفاق عليه ، فإن عقدة الزواج هى الحالة الشرعية التى تنشأ بين الزوجين بالإيجاب والقبول عن طريق تبادل الكلمتين المعروفتين وما ماثلهما وهى : زوجتك وقبلت ، وبالإيجاب والقبول هذا ، وأمام الشهود يتم العقد ، ويحصل الارتباط الشرعى بين الزوجين ، وتقوم بينهما الحياة الزوجية بجميع آثارها وأحكامها .

ومن هنا لم تكن الخطبة ، ولا الفاتحة المقترنة بها عقدا يبيح للخاطبين ما يبيحه العقد الشرعى بين الزوجين ، وقد ذكرنا من قبل أن كثيرا من الناس أساءوا فهم الخطبة ووضعها الشرعى فجعلوها عقدا أو كالعقد ، واستباح بها الطرفان ، وأبيح لهما أن يختلطا اختلاطا ترفع فيه الحجب وتحل القيود ، وكثيرا ما جر هذا التصرف الويلات على الفتيات وأسرهن ، وكثيرا ما أعقبه إعراض الخاطبين عن المخطوبات ، وعنست به الفتيات .

التعرف المشروع :

إن الإسلام دين الخلق والكرامة ، ودين الألفة والمحبة ، وقد أباح للخاطبين أن يتعرف كل منهما على صاحبه بما لا يجر هذه الويلات ويحقق فى الوقت نفسه لكل منهما ما يحب فى صاحبه ، وأباح ذلك بالرؤية الكريمة ، والمحادثة المؤدبة ، والاجتماعات المهذبة فى ظل من الأهل والأرحام وقد جاء ذلك فى أحاديث كثيرة عن النبى ﷺ ، فلم ير الإسلام أن تظل المخطوبة فى خدرها وألا يراها خاطبها إلا ليلة الزفاف ، ولم ير أن ترفع بالخطبة حواجز الحرمات ، وكان بهذا وذاك حدا وسطا لا إفراط فيه ولا تفريط ، وهكذا يجب أن يفهم الناس الخطبة ، فيسلم الزوجان من نكسة المفاجأة ليلة الزفاف ، وتسلم المخطوبة من شر الإسراف فى المخالطة .

العدول عن المخطوبة :

أما العدول عن الخطبة وفسخها بعد تمامها فإن كان كما يقول السائل لتبين سوء السلوك ، وشراسة الطباع ، فإنه يكون أمرا مطلوبا شرعا ، حرصا على سلامة الحياة الزوجية من عبث الأخلاق الفاسدة

وإن مراعاة الأخلاق ، وبناء الزواج عليها لمن أهم ما يعنى به الشارع فى تكوين الأسرة، وكثيرا ما حثت الشريعة الإسلامية على تخير أرباب الخلق والدين .

وإن فسخ الخطبة فى هذه الحالة اتقاء لضرر قد يعسر العمل على زواله وتنشأ به الأسرة وفى جسمها عناصر الزعزعة والاضطراب ، والكيد والانتقام وبذلك يكون الزواج جحيما لا سكنا ، وبغضا لا مودة ، ونقمة لا رحمة ، وقد أباح الشارع على طلب أن يحنث الإنسان فى يمينه إذا تبين له أن المصلحة والخير فى نقضه ، وفى ذلك يقول الرسول ﷺ : (من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليفعل الذى هو خير) .

وإذا جاز ذلك فى اليمين فإنه — من باب أولى — يجوز فى الاتفاق المجرد عن اليمين متى تبين أن الخير فى نقضه .

الفسخ المحرم :

أما فسخ الخطبة لمجرد ظهور خاطب مالى أو صاحب مركز عظيم ، فهو حرام عند الله وهو فى الوقت نفسه مخل بالشرف والكرامة وينزل بالفتاة إلى مستوى السلع ، تعرض فى الأسواق لتباع بأغلى الأثمان ، وهو بعد هذا وذاك نقض للعهد الذى حرمه الله والذى يقول فيه: «وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا» .

ونصيحتى لهؤلاء الذين يعتبرون الخطبة عقدا يبيح لهم مايبيحه عقد الزواج ولهؤلاء الذين لايعنيهم فى زواج فتياتهم سوى المال الزائل ، والجاه الزائف .

نصيحتى لهؤلاء وهؤلاء أن يقفوا فى تزويج أبنائهم وبناتهم عند حكم الله وإرشاده ، وأن يتخيروا لهم رضا الدين والخلق . والله الموفق ؟

محمد أبو شادى

أنباء وآراء

مؤتمر صحفى يعقده الأمين العام:

عقد فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية ووكيل الأزهر مؤتمرا صحفيا مساء الخامس عشر من ذى الحجة ١٣٨٩ الموافق ٢١ من فبراير ١٩٧٠ بقاعة الاجتماعات بإدارة الأزهر الشريف، وقد استهل الكلام فى هذا المؤتمر بشكر رجال الإعلام على تلبيتهم الدعوة وأعرب عن تقديره لدورهم النبيل فى التعريف بالجهود الأمينة المخلصة التى يبذلها المجمع من أجل العروبة والإسلام

ثم تحدث عن أعمال المؤتمر وصلتها بالشئون العربية وبخاصة قضية الرأى العام العربى والإسلامى كله : فلسطين التى أعد المؤتمر لها فترته الأولى جميعها .

ولفت فضيلته النظر إلى قضية هامة تجب ملاحظتها والعبرة بها ، فقال فضيلته : إنه لا بد من ملاحظة ينبغى أن تكون نصب أعيننا ، فنى صدر الإسلام كانت الحرب بين عرب وعرب . وكانت الفئة المؤمنة هى التى تنتصر دائما ، فلماذا كان الجزء الأقل منتصرا ..؟ لأنه كان مؤمنا بدافع من قضية يعتقد صدقها ولذلك كان النصر فى ركابه . فالإيمان أهم عناصر الاستعداد التام ولا بد أن تتركز الفكرة المعنوية فى النفوس فيعتقد الجندى أنه يعمل فى سبيل الله .

إن الصهيونى يحمل فى كل دبابة نسخة من التوراة ، فهو يحارب عن عقيدة والجندى من صفوفنا أصدق منه إيمانا وعملا

وقد أشار فضيلته إلى اهتمام المؤتمر الخامس لمجمع البحوث بقضية التفرقة العنصرية وموقف الإسلام منها .

وتحدث عن محاولات إسرائيل تحريف المصحف وكيف واجه المجمع هذا الأمر بعملين إيجابيين : مصادرة للمصحف المحرف ثم غمر السوق بمصحف صحيح أخذ المجمع فى طبعه ليباع بثمن زهيد هو ثمن التكلفة فقط أى فى نحو خمسة قروش . وكان ذلك

نتيجة عمل متواصل للمجمع استغرق نحو ثمانية شهور .

وتحدث عن « موسوعة السنة » فذكر أنها اهتمت بتحقيق جوانب ثلاثة :

جمع الأحاديث وترتيبها أبجديا ثم ترتيبها فقهيا ، والتعريف بمصطلحات الأحاديث الشريفة والتعريف برجال الأحاديث أنفسهم.

كذلك تكونت بالمجمع لجنة (التفسير الوسيط) وباشرت عملها بالفعل ، وهو تفسير ذو منهج يتسم بأسلوب الهداية ، وتنتهى هذه اللجنة من عملها قريبا .

كذلك اهتم المجمع بـ « دائرة المعارف الإسلامية » لتكون الرصيد النقى للتعريف بالإسلام ورجاله وأعماله خالية من شوائب التشويه وسوء الفهم الذى اتسمت بهما. الموسوعات الأخرى

وقد لبى المجمع حاجة المسلمين الملحة إلى « تقنين الشريعة » فأعد لجنة لهذا الغرض تكونت من أعضاء الفتوى بالأزهر الشريف ، وكبار رجال الفقه الإسلامى ، وأعلام المستشارين ورجال القضاء .

وقد رأت اللجنة أن تقنن كل مذهب على حدة ليجد كل بلد إسلامى احتياجاته ؛ فليبيا - مثلا - إحدى البلاد التى طالبت بهذا التقنين تعمل بالمذهب المالكى ، بينما أفغانستان ، وهو بلد إسلامى آخر ، له نفس الطلب ، يعمل بالمذهب الشافعى ، بينما يجد الأردن الشقيق نفسه أمام قصور واضح فى « المجلة المدنية » ليس وافيا بالقانون الإسلامى كاملا .

ورأت اللجنة - بجانب ذلك - جمع أحكام المذاهب ليختار منها الأنسب المتلائم مع العصر الحاضر .

وقد أعدت اللجنة « التقنين » مبوبا على أسلوب القانون الوضعى ، وسارت على نهجه فى التبويب والترتيب .

هذا إلى أن نشاط مجمع البحوث الإسلامية قد اتسع . فهو يصدر سلسلته الشهرية التى تطل على المسلمين أول كل شهر عربى تحمل إليهم زاداً إسلامياً فى مختلف ألوان الثقافة الدينية الإسلامية .

وختم فضيلته مؤتمره بالدعاء لله سبحانه أن يعجل بالنصر ويوفق المسلمين ؟

على الخطيب

visible on you". The Qur'an (28/77) further enjoins " . . . and neglect not thy portion of this world". Islam does not admit that man should cease to work and become a parasite; on the contrary one must use all one's gifts and talents for profiting by God's creations, and acquire as much as possible; what exceeds one's requirements may go to the aid of those who lack the necessaries. The Prophet has unequivocally said: "It is better that you leave behind you, your relatives well-off, rather than obliged to beg alms of others". Notwithstanding the imposition of heavy daily practices, Islam does not demand mortification or voluntary misery; on the contrary the Qur'an reproaches those who would develop such an attitude:

"Say: Who hath forbidden the adornment of God which He hath brought forth for His servants, and the delicious things of nourishment? Say: they are, in the life of this world, for those who believe, being exclusively for them on the Day of Resurrection. Thus do we detail Our commands for people who have knowledge"(7/32). There are things permitted by the Divine law: to deny voluntarily for one's self is not necessarily an act of piety, as would be the case of abstaining from things forbidden by the same law.

BELIEF IN GOD

113 — Man seems to have always sought to know his Creator for the sake of obeying Him. The best religious leaders of every epoch and civilization have established certain rules of conduct for this purpose. The primitive people worshipped the manifestations of the power and beneficence of God, hoping thus to please Him. Some others believed in two separate gods, one of the good and the other of the evil; yet they overlooked the logical consequences of such a distinction which implies a civil war between gods. Yet others have enshrouded God with mysteries which mystify sometimes the person of God. And some others have felt the need of such symbols, formulas or gestures which hardly distinguish their theological conceptions from idolatry or Politheism.

114 — In this field, Islam has it's particularity. It believes in the absolute Oneness of God, and prescribes a form of worship and prayer which admits neither images nor symbols (considering them to be the remnants of primitivism and idolatry).

the good from the evil ? In the first instance, it is the revealed law which alone can be the criterion, but in the last resort, it is one's conscience which can be one's arbiter. When a problem is posed, one can refer to the text of the Islamic law, personally if one can, and with the help of the learned and the experts if necessary. Yet a jurisconsult can only reply on the basis of facts which have been brought to his notice. If certain material facts should have been concealed from him, whether intentionally or otherwise, the consequent injustice cannot be imputed to law. We may recall a charming little discourse of the Prophet, who said one day : "People ! in the complains which come to me, I decide only on the basis of facts brought to my knowledge : if, by lack of full information, I decide in favour of someone who has no right, let him know that I accord him a part of the Hell — fire." An Islamic judicial maxim stresses the same when it says : "Consult thy conscience even if the jurisconsults provide justification to thee." (contained in a Hadith reported Ibn Hanbal and al-Darimi).

111 — Never to think of others, but of one's own self, is not human but beastly. To think of others after having satisfied one's own needs is normal and permitted. Yet the Qur'an praises those "who prefer others above themselves though poverty become their lot." (59 : 9). Evidently this is only a recommendation, and not an obligatory duty laid on the average man ; if one does not observe it, one will not be considered a criminal or a sinner. We can cite the famous saying of the Prophet, in the same vein of recommendation : "The best of men is the one who does good to others".

112 — The Qur'anic direction may be considered as a characteristic trait of Islam, to wit : "and of the bounty of thy Lord (on thee) by thy discourse" (93 : 11). A saying of the Prophet (cited by Tirmidhi) explains it in an impressive manner : "God likes to see the traces of His bounty on His creature". It had so happened, that one of his companions came to see him with a miserable attire, even though he was a well-to-do person. When the Propeet asked him the reason, he replied that he preferred to have a wretched look, not for miserliness but for piety, as he preferred the needy to his own self. The Prophet did not approve it, and put a limit to self-sacrifice and odered (cf. Abu Dawud) : "When God has given you means, the traces of His bounty shoud be

108 — Speaking of a strictly temporal act, such as a tax or a war, one pays taxes to the government. It should not be astonishing, that Islam considers this act (1) as one of the five basic elements of the Faith, as important as belief, worship, fasting and pilgrimage ! The significance is deep: One unites the temporal in a single whole, and one pays the tax not as a corvee or even as a social duty, but solely for the sake of God. When this duty of paying the taxes becomes fixed in the mind as something sacred, a duty unto God from Whom nothing can be conceald and Who is, moreover, capable of resuscitating us demanding our account, one can easily understand with what care and scruple a believer will pay his dues in the performance of this obligation. Similarly, war is forbidden in Islam except in the way of God; and it is not difficult to understand that such a soldier is more apt to be humane and will not seek any earthly gain in the course of risking his life. By spiritualizing the temporal duties, Islam has had no other motive but strengthening the spiritual side of man, who, in this manner, far from seeking the material advantage of the material thing, aspires there by to obtain only the pleasure of God.

The great mystic al Ghazali did not exaggerate when he said : If somebody worships or fasts for ostentation, it is shirk (Polytheism), a worship of one's self, not of God Almighty; on the contrary, if one even cohabits with one's own wife—not for the carnal pleasure, but for performing the duty imposed by God—that is an act of piety and devotion, meriting the pleasure of and reward from God.

109 — A corollary perhaps of the same all-embracing conception of life, is the fact that the Qur'an uses very often the double formula "believe and do good deeds"; the mere profession of faith, without application or practice, has not much value. Islam insists as much on the one as on the other. The doing of good deeds without the belief in God is certainly preferable, in the interests of society, to the practice of evil deeds; yet from the spiritual standpoint, a good deed without faith cannot bring salevation in the Hereafter.

110 — But how to distinguish

(1) In the Quranic terminology, zakat does not mean charity. It is a tax on agricultural product, on mineral extractions, on commerce on herds, and all these taxes are called zakat. The expenditure is mentioned in the Qur'an 9/60, for details see infra chapter 10.

importance of both these constituents of man, and on their inseparability, so that one should not be sacrificed for the benefit of the other. If Islam prescribes spiritual duties and practices these contain also material advantages; similarly if it authorizes an act of temporal utility, it shows how this act can also be a source of spiritual satisfaction. The following examples will illustrate the argument.

107 — One will agree that the aim of spiritual practices is to get closer to the Necessary Being (dhat wajib al-wujud), our Creator and Lord, and to obtain His pleasure. Therefore, man tries to "dye himself with the colour of God" as the Quran (2/138) enjoins, in order to see with His eyes, to speak with His tongue, to desire with His will, as a Hadith says, in short to behave entirely according to His will, seeking even to imitate Him according to one's humble human capacities. A believer must fast at the moment prescribed by the Qur'an, because that is the order of God. To obey the order of the Lord is in itself piety, but in addition to that, the fast weakens the body, which fortifies the soul by diminishing material desires. One feels a spiritual uplift, thinks of God and of all that He does for us, and enjoys other spiritual benefits. But the fast also does material good. The acidities which secrete from the glands, when one is hungry and thirsty, kill many a microbe in the stomach. One develops also the capacity to bear privation at moments of a crisis and still carry on one's normal duties undisturbed. If one fasts for material ends, it has no spiritual value; yet if one fasts for gaining the good will of God, the material advantage are never lost.

Without entering into a detailed discussion, it may be observed that all other spiritual acts or practices of Islam have also the same double effect, spiritual and temporal. So is it in worship, individual or congregational, and so is it in the abnegation of the self at moment of the pilgrimage to the House of God, in charities to the poor, and in other religious and spiritual practices apart from the obligatory minimum. If one does something solely for the sake of God, it has a double merit : spiritual advantages without the least loss of material benefits. On the contrary, if one does the same thing with only a material aim, one may obtain this object but the spiritual advantage would be completely lost. Let us recall the celebrated saying of the Prophet Muhammad : "Verily actions are solely according to motives and intentions".

may even become a sort of boomerang causing its own death. For materialism often engenders egoism and lack of respect for the rights of others, creating enemies, who await their chance for reprisals. The result is mutual killing. The story of the two brigands is well known. They had captured some booty. One of them went to the town to buy provisions, and the other had to collect wood to prepare the meal. However each one resolved secretly in his heart to get rid of the other and monopolize the illicit gain So the one who had gone shoppin', poisoned the provision; while his comrade awaited him in ambush, and killed him on his return from the town; but when he tasted the food, he too joined his companion in the other world.

105 — There may be another defect inherent in a civilization, when its teachings do not contain an innate capacity for develoopment and adaptation to circumstances. However nice its teaching may be for one epoch or one environment, it may not prove so for another; to be captivated by such a teaching will evidently be fatal to those who come later. An ordinary example would illustrate the point. At a time, when there was no electric lighting and when the centres of cults had no stable revenues, it was certainly an act of piety, to light a candle in some place of religious interest, frequented during the night. Nothing may be said against a belief that an act of piety, on the part of a repentant, constitutes an expiation and an effacement of the crime committed against God, or against man which otherwise was hard to repair. But can the continuation of lighting a candle in a place which is already brilliantly lit with electric lamps be anything more than a wastage ? Let us study Islam in the light of these circumstances.

ISLAMIC IDEOLOGY

106 — It is well known that the motto of Islam is summed up in the expression of the Qur'an (2 : 101), "well being in this world and well-being in the Hereafter". Islam will certainly not satisfy the extremists of either school, the ultra-spiritualists (who want to renounce all wordly things and mortify themselves as a duty) and the ultra-materialists (who do not believe in the rights of others), yet it can be practised by an overwhelming majority of mankind, which follows an intermediate path, and seeks to develop simultaneously the body and the soul, creating a harmonious equilibrium in man as a whole. Islam has insisted on the

question may be posed in respect of several countries in several epochs. Is it purely and simply a question of chance and circumstance, or is it due to the fact that some individuals of lofty note and noble personality were born in one human group to the exclusion of other groups ? There are perhaps other possible explanations also, more complex and depending upon a variety of co-existing causes, governing the accomplishments of some, and the frustration or even extinction of the other.

101 — There is still another question. After a momentary state of splender, why do people fall anew into relative obscurity if not into a semi-barbarous state ?

102 — We propose to investigate these questions, in relation to contemporary Islam, and discuss, if possible, the chances it has of survival.

103 — If one were to believe Ibn Khaldun, the biological factor is the essential cause. At the end of a single generation, the race exhausts its vitality, and for purposes of rejuvenation there must be a change at least in the family of men at the helm of affairs. This racial theory, even if it be considered as a learned exaggeration, can affect ethnic civilizations and such religions as do not admit conversion. Islam luckly escapes this cycle of decadence ; for its followers are found among all races, and it continues to achieve greater or smaller progress everywhere in the world. Moreover it is unanimously recognized that Islam has almost completely effaced, inside its community, racial prejudices, a feature which permits it to accept without hesitation, men of any race to be its leaders and standred-bearers. The systematic emancipation of slaves, which was ordered by the Qur'an, presents another glorious example. As a matter of fact there have been several dynasties of Muslim rulers in history, drawn solely from slaves who had been freshly liberated.

104 — The life and death of a civilization depend in an equal measure on the quality of its basic teachig. If it invites its adherents to renounce the world, spirituality will certainly make great progress, yet the other constituent parts of man, his body, his intellectual faculties, etc., will not be allowed to perform their natural duties and will die even before their season of bloom. If, on the other hand, a civilization lays emphasis only on the material aspects of life man will make great progress in those aspects at the expense of others ; and such a civilization

The Islamic Conception of Life

By

Dr. Muhammad Hamidullah

The vitality of a society, a people or a civilization depends in a large measure on the philosophy of life conceived and practised. In his natural state, man scracely thinks of anything but his own individual interest, and only later of his close relatives. There have however been human groups, in every epoch, which have particularly distinguished themselves. When we study the features and characteristics of the past score of civilizations, — and possibly we are now at the dawn of another one — we find that even though one group may become distinguished as the torch - bearer of a civilization in a particular epoch, that does not necessarly mean that all other contemporary groups would be living in a state of savagery. There is rather a relative pre-eminence of one over the others, in the ladder of graded civilizations.

When the Phoenicians, for instance, appeared on the scene and developed a brilliant civilization, several other contemporary peoples were perhaps almost as civilized, although lacking the occasion and a suitable field of their activity. At the Arabo - Islamic epoch, the Greeks, the Romans, the Chinese, the Indians and others possessed all the characteristics of civilized peoples; nonetheless they did not rise to the hights of the standard-bearers of the civilization of their epoch. In our own time, if the people of the U. S. A. and Russia from the vanguard with their nuclear might, and other claims, the British, the Chinese, the Frenchmen and the Germans follow close behind. Not withstanding this progress of some, there are, at the same time, even in this second half of the 20th century, in certainparts of the globe, groups still in savagery if not actual cannibalism.

100 – The question arises as to why the evolution of some is rapid, and of others slow ? In an epoch when the Greeks enjoyed a glorious civilization why was it that Western Europe was barbarian? Why did barbarism prevail in Russia when the Arabs had risen to the height of splender ? The same

between the Muslims and the Qureish. In the sixth year of the Hijrah the Prophet concluded the famous treaty of Hudaibia with the Qureish. With this treaty the Prophet succeeded in bringing the Qureish to recognise Madinah as a power equal in importance to Makkah. The practical conclusion of it was the bloodless occupation of Makkah just after two years of that treaty.

After the conquest of Makkah the faithful followers of the Prophet in Madinah became anxious as they feared he would now abandon their town and return to his native place. Then he delivered a speech in which he reminded them how he had united them when they were living in hostility to one another and declared his gratitude for all that they had done for him, and said that he would live and die with them. Faithful to his promise the Prophet remained in Madinah till his death. His two successors, Abu Bakr and Umar resided in Madinah which thus became the Capital of the rapidly growing state.

When the Prophet appointed a governer of Makkah and himself returned to Madinah the 'Ansar' felt boundless joy. The ninth year of the Hijrah is called the year of deputations because from all parts of Arabia depntations came to Madinah to swear allegiance to the Prophet and to hear the Qur'an. In the tenth year of the Hijrah he went to Makkah as a pilgrim to perform his "Farewell pilgrimage". When from Mount Arafat he delivered his famous Farewell address. Soon after his return to Madinah he fell ill. An early dawn on the last day of his earthly life he came out from his room beside the mosque at Madinah and joined the public prayer, which Abu Bakr had been leading since his illness. Later in the day the Prophet was demised.

Madinah possesses a inestimable value in the eyes of all Muslims, as there lies buried the choosen and the last Prophet of Allah. The Mosque of Madinah which encloses the graves of the Prophet, Abu Bakr and Umar, is the one of the three most holy places of the Muslim world. Prophet Muhammad (peace be on him) classed Makkah, Madinah and Al-Quds is of equal value to Muslims.

Madinatu'Nabi

By

ABDUL RAHIM FŪDA

The city of Madinah, with its venerable associations with the history of Islam and the Prophet, became more important in the eyes of all Muslims. Its sanctity increased by the mosque of the Prophet and his tomb which is the goal of countless pilgrims from all over the World. The part that Madinah and its poeple played in the history of Islam will never be forgotten. The significance of Madinah first became apparent at the time of the Prophet; then momentous change took place when the people of Madinah, who required a leader with a strong hand.

Al-Madinah, which was known in Arabic as Yathrib, is situated in the Hijas toward the north of Makkah. There is a richness of water unusual in Arabia and there are considerable number of wells and spring. Madinah is favoured by nature, and surrounded by thick groves palms and orchards, while Makkah lies in a rocky valley. It is a beautiful story and one worthy to set the beginning of the Islamic era. The Prophet succeded in a very short time in bringing some kind of order into Madinah, hopelessly split by feuds, between its major tribes of 'Aus and Kazraj' and making a unity out of the heterogeneous elements of the town.

The way in which the Prophet brought unity and brotherhood among the different factions of Yathrib, comprised the earlier Arab inhabitants, the later emigrants (Muhajreen) from Makkah, and the local Jews showed very clearly his Divine Gift of leading men and genius. There are certain events in history which change the course of the entire future of a nation or a country. When the Prophet and his faithful followers migrated to Madinah, the faithful Madinites pledged themselves to take them into their community and to defend them as if they were of themselves.

But the Jews of Yathrib attempted to revive old hostilities, and to breach the peace and order prevailed in the city. Relations between Makkah and Madinah were still tense. There soon followed three famous battles, of Badr, Uhud and the war of the Ditch,

to have been established by an Amalekite Cheief, whose name it bore until the advent of the Prophet. Henceforth Yathrib changed its ancient name and was styled 'Al-Madina al-Munawwara' (the illuminated city) or Madinat - el - Nabi (the city of the Prophet). It is shortly called Al-Madina (the city). A mosque was soon built, in the erection of which the Prophet assisted with his own hands. The building was simple in form and structure, suited to the unostentatious religion he taught. The walls were of brick and earth and roof palm leaves. The Prophet preached and prayed standing on the bare ground or leaning against a palm tree and the devoted hearts around him beat in unison with his soul-stirring words.

The two tribes of 'Aus' and 'Khazraj' forgetting their mortal feuds in the brotherhood of the faith, rallied round the standard of Islam. The old divisions were effaced and the noble designation of 'Ansar' (helpers) became the common title of all who had helped Islam in its hour of trial. The faithful group, who had forsaken their beloved birth place, received the name of 'Muhajireen' (emigrants). In order to unite the 'Ansar' and Muhajireen in closer bonds the Prophet established a brotherhood between them, which linked them together in sorrow and in happiness



"Be Not afraid, God will protect us". Upon nearing Muhammad and Abu Bakr, the horse of the idolater reared and fell. Struck with sudden awe he entreated the forgivness of the Prophet and asked for an attestation of his pardon. This was given to him on a piece of bone by Abu Bakr. They continued their journey, without further molestation and distrubance, but under a severe June Snu.

After three days' journeying the Prophet and Abu Bakr reached the territories of Yathrib. They rested for four days at a village called Qubâ few miles south of Yathrib. He found there many Muslims, and there Ali also joined them, journeyed from Mecca on foot, hiding in the day time and travelling only at night. In this period of days the Prophet built the first Mosque in the World. The Banu Amr bin Auf, to whom the village belonged, requested the Prophet to prolong his stay amongst them. But the duty of the Prophet lay before him, and he proceeded towards Yathrib, attended by a numerous body of his disciples. Thus the Prophet entered the city on Friday, 16th of Rabi Awwal (2nd July 622 A. D.).

Holy Qur'an referred to the event of Hijrah and the story of the cavern in the following verses :

«إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه
الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ
يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل
الله سكينته عليه وأيده بجنود لم يروها
وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله
هى العليا والله عزيز حكيم . انفروا خفافا
وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى
سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون»
(التوبة ٤٠، ٤١)

It means : "If you do not help him, yet God has helped him already, when the unbelievers drove him forth the second of two, when two were in cave, when he said to his companion, 'sorrow not ; surely God is with us'. Then God sent down on him His 'Sekina' (calmness) and confirmed him with legions you did not see and He made the word of the unbelievers the lowest ; and God's word is the upper most ; God is Almighty, All - Wise. Go forth, light and heavy ! Struggle in God's way with your possessions and yourselves ; that is better for you, did you know". (9 : 40 — 41)

A Large number of Madinites waited outside the city to welcome the Prophet. With his advent to Madina a new era dawned upon the city. The city of Yathrib is said

Prophet's own green garment and to lie on the bed.

He also told Ali to remain in Makka for a few days so as to return the belongings of persons who had entrusted them to him for safe keeping. Then the Prophet departed from his house at a moment when the assassins were unaware of his intention. It is reported that a deep slumber over took the conspirators that moment and the Prophet walked among them. He went straight to the house of Abu Bakr and they walked together unobserved from the city of their birth, to a cavern in "Mount Thawr", which was a few miles to the south of Makka. They lay hide for three days in the cavern, and all this time the Prophet and Abu Bakr were sustained by food brought to them at night by the daughter of Abu Bakr, Asmâ.

The news that Muhammad (peace be upon him) had escaped and the would - be assassins had returned unsuccessful, aroused the fury of the Qureish and their whole energy. Their horsemen scoured the country searching everywhere for the two fugitives. A very handsome reward of a hundred camels was set upon the capture of Muhammad Once or twice the danger appeared so near the cavern, as some of the search party including a few, of the selected youth, reached 'Mount Thawr' and saw the cavern. One of them said that 'they may be in that cavern', and some of them climbed to it and, then, saw a very old cobweb hanging over its entrance, and also a pigeon had laid eggs just in the the entrance. Seeing this, one of them said 'by the lock of that web it was there a long time before the birth of Muhammad'. Hearing the voice of the search party so close Abu Bakr approached the prophet and touched him muttering: "If one of them had only looked down at his feet, he would have seen us". The Prophet looked at him and said in deep faith : "Abu Bakr, what you think of two, God is their third ? Grieve not, God is with us".

On the evening of the third day the Prophet and Abu Bakr left the cavern on two camels, procured with great difficulty, by unfrequented paths, to Medina. But even here the ways were full of danger. The heavy prise set upon Muhammad's head had broughtout many horsemen from Mekka, and they were diligent in search of him. Once a powerful horseman actually cought sight of the fugitives and pursued them. When the wild and firece warrior approached them Abu Bakr cried : "We are lost"; But the Prophet said :

post; when the storm was at its height and might. Nobody could say whether he would leave Makka or not. Before, he had ordered his friends to emigrate to Abyssinia while he remained and preached his mission at the city. Thus the Qureish doubted his intention to leave Makka. Even Abu Bakr asked permission from the Prophet to emigrate, but he said to him, 'Do not hurry, for God may send with you a friend".

The Qureish were fully aware of the influence and power the Muslims had in Madinah, especially in the way of trade with Syria. They were also aware of the danger of the emigration of Muhammad, and his appearance among the Muslims of Madinah.

The clouds were gathering fast. The matter had become one of life and death for the Qureish. An assembly of the Qureish met in town-hall, called "Dar-al-Nadwa" and some chiefs of other clans were invited to attened. It was as a stromy meeting for fear, of the escape of the Prophet, had entered their hearts. Imprisonment for life, or expulsion from the city were debated in the meeting. Assassination was then proposed, but assassination by one man would have exposed him and his family to the vengeance of blood. Thus Abu Jahl suggested that a number of courageous men, chosen from different families should strike simultaneously in Muhammad's bossom with their swords, in order that the responsibility of the deed might rest upon all the tribes represented, so that enough to avenge his blood. This proposal was accepted and a number of youths were selected for the execution should be carried out. The Prophet was well aware of the murderous intention of the Qureish, but this did not prevent him from staying on Makka until he received orderes from God to emigrate.

Receiving his Master's order to emigrate to Yathrib, he went to Abu Bakr and asked him to be his companion on the journey. The venerable Abu Bakr most decidedly agreed and both were ready to leave, but were sure that the Qureish would prevent them. On the appointed date as the night advanced, the assassins posted themselves around the Prophet's dwelling. They watched all night long, waiting to murder him when he should leave his house in the early dawn. They were peeping now and then through a hole in the door to make sure that he still lay on his bed. In order, to keep the attention of the assassins fixed upon his bed, the Prophet asked Ali to put on the

mission, 619 A. D. the ban was removed and the Prophet was again free to go about the city. In the year 620 A. D., at the season of the yearly pilgrimage, he came upon a little group of six men from Yathrib, a city more than 200 miles away from Makkah, who heard him gladly. On their return to Yathrib they told what they have seen and heard from the Prophet. At Yathrib there were Jewish tribes with learned rabbis, who had often spoken to the pagans of a prophet soon to come among the Arabs with whom, when he came, the Jews would destroy the pagans as the tribes of 'Aàd' and Thamud' had been destroyed of old for their idolatry.

When the man from Yathrib saw. Muhammad (Peace be upon him) they recognised him as the Prophet whom the Jewish rabbis had described to them. At the next season of pilgrimage a deputation came from Yathrib purposely to meet the Prophet. These deputies met the Prophet on the same spot which had witnessed the conversion of the former six. In that meeting they swore allegiance to the Prophet. This called in the history of Islam the first 'pact of Al-Aqaba', from the name of the hill on which the conference was held.

In the following year, 622. A.D., at the time of pilgrimage, seventy-three Muslims from Yathrib came to Makka to vow allegiance to the Prophet and invite him to their city. At Al-Aqaba, they swore to defend him as they would defend their own wives and children. Then the Prophet selected twelve men of position from among them as his delegates. Thus was concluded the second pact of Al-Aqaba. These delegates are called Naqib's. This event occured in the month of Dhul Hijja. The news of this pact spread among the Qureish and they worried about the far — reaching danger resulting in the effect of the conclusion of the great pledge. It did not take long for the Qureish to realise the effects of the Prophet's preaching and beginning of victory for his mission.

When the Qureish started a furious persecution of the Prophet and his desciples fearing a general massacre, the Prophet advised his followers to leave Madinah silently. About a hundred families left Makka, separately, and proceeded to Madinah, where they were received with enthusiasm, in order not to warn the Qureish of the planned emigration. The Prophet, his devoted cousin Ali, and his intimate friend Abu Bakr were the only notable Muslims left in Makka. Throughout this period the Prophet remained at his

times of persecutions and difficulties. For the first three years of his mission, the Prophet preached only to his family and his intimate friends. At the end of the third year he received the Command of God to preach his mission in pupilc. It was then the Qureish became actively hostile.

The Qureish were now alarmed that Muhammad's preaching took a serious revolutionary movement and their power prestige were at stake. They accordingly decided upon an organised system of persecution. The converts of the first four years were mostly humble folk unable to defend themselves against oppression so the Prophet advised all who could possibly contrive to do so to emigrate to Abyssinia. In spite of cruel persecution and emigration, the little company of Muslims grew in number. While the disciples of Muhammad were seeking safety in other lands from the presecution of their enemies, he himself stood bravely at his post and amidst every insult and outrage pursued his mission.

They tried to bring the Prophet to a compromise, offering to accept his religion if he would so modify it as to make room for their gods as intercessors with Allah, or to make him their king if he would give up attacking idolatry.

They came to the Prophet with promises of honour and riches, to seduce him from his duty; always the reply was, full of life and full of faith : "I am neither desirous of riches nor ambitious of dignity nor of dominion; I am sent by God Who has ordained me to announcee glad tidings unto you. I give you the words of my Lord; I admonish you. If you accept the message I brin you, God will be favourable to you both in this world and the next; If you reject my admonitions I shall be patient, and I leave God to judge between you and me". The idolaters grew more and more embitered and they decided to ostracise the Prophet's whole clan and protectors. With that purpose they, in the seventh year of the mission, towards the end of 616 A.D., formed an alliance against the descendants of Hashim and Muthalib. They bound themselves by a document, which was deposited in the kaba, to the effect that not to enter into any contract of marriage with the Hashimites or to buy and sell with them. Then, for three years the Prophet was shut up with all his kinsfolk in their stronghold which was situated in one of the mountain passes which run down to Makkah.

Towards the tenth year of the

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER :

ABDUL RAHIM FŪDA

MUHARRAM 1390	ENGLISH SECTION EDITED BY A. M. MOHIADDIN ALWAYE	MARCH 1970

Significance of the 'Hijrah'

By

A. M. Mohiaddin Alwaye

At this moment of time the Muslim word celebrates the beginning of the Hijrah Year. It marked the migration of the Prophet Muhammad (peace be on him) from Makkah to Madinah. This important event happened after the thirteen years of his mission. The departure of the Prophet was the turning point in the history of Islam. With his advent to Madinah a new era dawned in the history of humanity, and he started there to establish the nucleus of the first Muslim Society.

The departure of the Prophet from Makka to Madinah commenced on the 4th of Rabi Awwal (corresponding with the 20th of June 622. A.D.) and he entered Madinah (Yathrib) on Friday, 16th of Rabi Awwal (2nd of July 622. A.D) The 'Hijrah' year or the era of 'Hijrah' was instituted seventeen years later by the second Caliph Umar when he officially proclaimed the year of the 'Hijrah' as the first year of the Muslim era. However, the months of the lunar year were retained and Muharram was kept as the first month of the 'Hijrah' year. By this proclamation, Umar, gave expression to the feeling of all Muslims.

On the beginning of the Hijrah year, it is good to review the events leading up to this important happening that Muslims date their history from it. So much can be learned from this important event. The attitude of the Prophet at that crucial period of his mission, and his great wisdom and his actions, are a light and a guide for us in



مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر فى أول كل شهر عربى

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٤٧٣
٩٠٥٥٠٦

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
« بدل الاشتراك »
٥٠ قرشا فى الجمهورية العربية المتحدة
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء الثانى — السنة الثانية والأربعون — صفر سنة ١٣٩٠ هـ - ابريل سنة ١٩٧٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا المؤتمر فى مواجهة الخطر

للأستاذ عبد الرحيم فودة

بين لهب القذائف، وصخب العواصف وتفاقم الأحداث. انعقد المؤتمر الخامس لمجمع البحوث الإسلامية، فى مدينة القاهرة العامرة، ليسهم مع المجاهدين على الحدود وفى الأرض المحتلة بكلمة الدين، والعلم، والشرف، ويستنهض الهمم والعزائم لمواجهة الخطر وأداء الواجب.

ويظهر من البحوث التى ألقيت، والمناقشات التى دارت، والقرارات التى صدرت، مدى الخطر الذى تتعرض له الأمة العربية والعالم الإسلامى، والمحنة التى تزحف من وراء هذا الخطر على الحضارة والإنسانية، والدور الخطير الذى تقوم به أمريكا وبريطانيا فى تشجيع العدوان الصهيونى وإمداده بما شاء ويشاء من زاد وعتاد وسلاح ومال ورجال، ومن ثم كان من أول ما قرره المؤتمر. أن الجهاد بالأموال والأنفس أصبح فرضا عينيا على كل قادر من المسلمين، وأنه يتحتم عليهم فى كل مكان أن يبادروا إلى تحمل واجباتهم فى الجهاد والعمل على إرسال المجاهدين إلى ساحات القتال،

وحشد كل طاقاتهم المادية والمعنوية لدعم الجبهتين الشرقية والغربية .

وهذا القرار ـ وإن تكرر مثله ـ لن يضيع هباء فى الفضاء ، فإن الشعور بالخطر فى نفوس العرب والمسلمين يزداد يوما بعد يوم ، ولا شك أن ذلك سيثير الاهتمام به والإصغاء إليه ، وسيأتى اليوم الذى تزحف فيه جموعهم على جماجم أعدائهم وأعداء دينهم ويتحقق فيه قول الله لبنى إسرائيل : « فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا » ، وقول النبى صلى الله عليه وسلم للمسلمين : (تقاتلكم يهود فتسلطون عليهم حتى يختبىء اليهودى وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر يا عبد الله ، يا مسلم ، ورائى يهودى ، تعال فاقتله) .

« إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا » ، ومحنة العرب والمسلمين بهم شر سيكون منه الخير ، وإن شعورنا بالنسبة إليهم كما تمثل فضيلة الإمام الأكبر بقول الشاعر العربى الأبى :

ولو أنى بليت بهاشمى
خئولته بنو عبد المدان
لهان على ما ألقى ولكن
تعالوا فانظروا بمن ابتلانى

إنهم الذين يقول الله فيهم : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » .

وهم الذين يقول الله فيهم : « لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » .

وهم الذين يقول الله فيهم : « وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب » .

أما نحن فكما يقول الله : « وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم » وكما يقول : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

وصدق شوقى حين قال فى أسلافنا :

لو لم يسودوا بدين فيه منبهة
للناس كانت لهم أخلاقهم دينا

عبد الرحيم فودة

كلمة السيد رئيس الجمهورية
لأعضاء المؤتمر

استقبل الرئيس جمال عبد الناصر وفود أعضاء المؤتمر الخامس لمجمع البحوث الإسلامية بعد ظهر الخميس ٢٧ من ذى الحجة ١٣٨٩ هـ ـ ٦ / ٣ / ١٩٧٠ م

وقد وجه سيادته كلمة للعلماء هذا نصها :

إنها لفرصة تدعو إلى الأمل أن نرى علماء المسلمين فى هذا الاجتماع من أجل نصرة العروبة والإسلام بل من أجل نصرة الحق .

ولقد حث القرآن فى كثير من آياته على التجمع وعلى الاتحاد ، وعلى التضامن فى سبيل رد البغى والعدوان .. وإن هذه لخطوة من خطوات التضامن . إننى أرحب بكم باسم شعب الجمهورية العربية المتحدة وباسم الشعب المصرى ، وأبارك جهودكم وعملكم وأرجو أن يزداد الجهد ويزداد العمل ، لأن العدو الذى نواجهه ليس إسرائيل وحدها وإنما أيضا من هم وراء إسرائيل الذى يتمثل فيهم الاستعمار العالمى .

ولقد رأينا فى الأسبوع الماضى الضجة الكبرى التى أقامتها إسرائيل وأعوان إسرائيل فى الولايات المتحدة الأمريكية ضد رئيس جمهورية فرنسا ، وهذا دليل على أن قوة إسرائيل ليست فى إسرائيل المجاورة لنا ، ولكنها أساسا فى الولايات المتحدة الأمريكية التى أمدتها بعد العدوان ، بالطائرات قاذفة القنابل ، الطائرات الفانتوم .

وفى هذا دليل قاطع على أن الولايات المتحدة لا تريد لإسرائيل أن تنسحب من الأراضى العربية التى احتلتها ، ولكنها تريد لإسرائيل أن تفرض إرادتها على الأمة العربية وأن تتوسع .

نعمل من أجل السلام :

وقد قال زعماء إسرائيل إنهم يريدون التوسع ومساعدة الولايات المتحدة الأمريكية لإسرائيل بإمدادها بالطائرات وإمدادها بالسلاح لا يعنى إلا أن الولايات المتحدة تؤيد التوسع الإسرائيلى على

حساب العرب ، وعلى حساب المسلمين ، وعلى حساب المسيحيين أيضا ، لأن إسرائيل طردت من الأراضى التى احتلتها فى عام ١٩٤٨ كلا من المسلمين والمسيحيين .

إننا لا نريد إلا الحقوق التى كانت لنا دائما على مر السنين وعلى مر الزمن . إننا نعمل من أجل السلام ، إننا نجنح إلى السلام كما طلب منا الله سبحانه وتعالى فى القرآن ولكننا فى نفس الوقت نستعد للقتال حتى نحرر أراضينا ، وهذه أيضا من الوصايا التى أوصانا بها الله سبحانه وتعالى فى القرآن .

ولكنى أريد أن أقول كلمة صغيرة لكم أنتم علماء المسلمين من جميع أنحاء العالم الإسلامى: إن الجهد الذى نبذله حتى الآن ، سواء فى الأمة العربية أو سواء فى البلاد الإسلامية ، مازال الجهد المتواضع بالنسبة إلى الجهد الكبير الذى تقوم به إسرائيل ومن هم وراء إسرائيل .. بالنسبة إلى الجهد الكبير الذى تقوم به اليهودية العالمية .

لقد جمعت إسرائيل فى العام الماضى ٥٠٠ مليون دولار ، وتريد إسرائيل أن تجمع فى هذا العام ٥٠٠ مليون دولار أخرى ، جمعت منها حتى الآن حوالى ٣٠٠ مليون دولار . وبهذا تستطيع إسرائيل أن تشترى أحدث الأسلحة ، وأن تحصل على كل أدوات الحرب والدمار التى توجهها ضد الأمة العربية والمقدمات الإسلامية كما حدث فى المسجد الأقصى .

واجب الشعوب الإسلامية :

فعلى الأمة العربية وعلى الشعوب الإسلامية ، واجب كبير هو تعبئة الرأى العام فى البلاد الإسلامية ، وتعبئة الرأى العام فى جميع أنحاء العالم .. وفى نفس الوقت تعريف المسيحيين وتحذيرهم من الخطر اليهودى الصهيونى ، لأن إسرائيل لم تفرق بين المسلم والمسيحى حينما احتلت الأرض فى فلسطين ، ولكنها طردت المسلمين كما طردت المسيحيين ، وعندنا الآن أكثر من مليون لاجىء فلسطينى بينهم المسلم وبينهم المسيحى .

ولقد اختتم بالأمس هذا المؤتمر بتوصيات ، وإنى أرجو منكم أن لاتنتهى الأعمال بهذه التوصيات ، ولكن لابد من عمل لجان فى كل بلد من بلادكم من أجل متابعة العمل لنصرة هذه القضية .

إننا نرى فى كل بلد من بلاد العالم لجنة يهودية أو لجنة صهيونية تعمل بكل

الوسائل .. تجمع الأموال .. والمال القليل يمكن أن يجمع المـــال الكثير وبهذا نستطيع أن نساعد الشعب الفلسطيني ، وبهذا نستطيع أيضا أن نواجه إسرائيل والمساعدات التي تأخذها إسرائيل .

إن القضية كما تعلمون جميعا ، قضية كبرى معقدة كل التعقيد ، تريد منا أن نعمل بكل الوسائل السياسية وأيضا الأساليب العسكرية ، ولا نترك أي وسيلة من الوسائل إلا ونعمل بها .. لأن هذا يعبىء الرأي العام العالمي معنا ويمكننا من أن نكشف إسرائيل .

ونحن نأمل حينما تجتمعون في الاجتماع القادم ، أن يكون الله قد أعز العروبة والإسلام ومكننا من أن نخلص أراضينا المحتلة ونسترد حقوق شعب فلسطين .

أرجو الله أن يوفقكم . أرجو الله أن يوفق المسلمين في جميع أنحاء العالم .

نشكركم على هذه الفرصة التي مكنتني من أن أراكم وأقابلكم ، وأرجو أن تبلغوا تحياتي وكل أمانينا الطيبة إلى شعوبكم .. الشعوب المسلمة والشعوب المؤيدة للحرية ، ونحن في هذا لا نفرق أيضا بين دين ودين .

والسلام عليكم ورحمة الله ؟

« يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم . وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين » .

كلمة فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد محمد الفحام

شيخ الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

أفتتح المؤتمر الخامس لمجمع البحوث الإسلامية وأحمد الله سبحانه أن هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله، وأشكره جل ثناؤه أن أتاح لى فرصة اللقاء بقادة الرأى وأئمة الإسلام فى ظلال الإيمان، وأخوة الدين، وفى رحاب القاهرة بلد الأزهر الشريف، وأصلى وأسلم على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، المبعوث برسالة الحق والخير، والمنزل عليه الكتاب المبين «يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم».

وبعد: فإن من أهم عوامل الخلود لرسالة الإسلام أن قيض الله لها من كل خلف عدوله يحملون لواءها وينفون عنها زيف المبطلين وتحريف المضلين: «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا».

وإن من فضل الله علينا — معشر العلماء — علماء المسلمين فى أرض الله الواسعة أن جعلنا حملة هذه الرسالة وورثة ذلك الشرف وإنه لمن دواعى الغبطة أننا هنا فى هذا المؤتمر الإسلامى الكبير نمثل من وراءنا فى بقاع العالم، وبذلك نتحمل تبعات جساما أمام الله والمسلمين جميعا، وقد أخذ الله علينا ميثاقه بقوله: «وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه».

ومن هنا فإن مؤتمركم هذا أيها العلماء الأجلاء فى حقيقته إنما هو امتداد لمهمة أهل الحل والعقد من أسلافكم الأمجاد الذين تحملوا بأمانة رسالة الإسلام، ونيطت بهم تبعاتها ومسؤلياتها، كما تحملوا بصدق ريادة المجتمع الإسلامى والحفاظ عليه مما يتهدده من أخطار. تحملوا كل ذلك وفاء بعهد الله، التزاما بميثاقه، وجهادا فى سبيله وإعلاء لكلمته.

إن مؤتمركم مسئول أمام الله والتاريخ عن سلامة العقيدة وصيانة المقدسات

وحماية أحكام الله وثقافة الإسلام بكل أبعادها ، فكرا وبحثا ، وعلما وعملا فى مختلف نواحى الحياة، يجليها فى جوهرها الأصيل، ويوسع رقعة العلم بها ، ويستنبط منها ما يواجه مشكلات العصر ومتطلباته فى حياة المسلمين ، ويتحسس مواطن الداء من دنياهم ويضع لها الدواء ، ويتعرف مصادر الخطر عليهم ويذوده عنهم ، وهو بعد ذلك وفوق ذلك يجمع على الحق كلمة طالما تنازعتها عوامل الوهن وتهددتها مخاطر الفرقة ، حتى تبعث أمة الإسلام من حياتها الحائرة إلى مثلها العليا ، تحقيقا لقول الله تعالى: «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله» .

وما أحوج الأمة الإسلامية فى ظروفها الراهنة إلى فكركم ورأيكم ، وهى ترنو إليكم بالبصيرة والبصر والغاية والأمل والرجاء والحاجة ، لتضعوا لها مشاعل الحق على الطريق ، وتشرحوا لها ماحاك فى الصدور وتكشفوا أمامها ماادلهم من أمور ، فقد انتكست فى تمزق هلهل وحدتها وأوهى قوتها ، حتى تداعت عليها الذئاب من كل جانب ، وما محنة فلسطين إلا ظاهرة من ظواهر ذلك التمزق، وعرض من أعراض ذلك الضعف .

إن الأمة الإسلامية تعيش حاضرا مريرا تباعدت فيه عن مصدر عزتها وتهاونت فى أمر دينها وتقاعست عن نصرة الحق والجهاد فى سبيل الله ، حاضرا تحالفت فيه عناصر الإلحاد والكفر وتجمعت قوى العدوان والشر لتضرب الأمة الإسلامية فى بقعة من أعز البقاع عليها وأقدسها وأطهرها ، ثم تثب إلى غيرها بقعة بقعة . حتى تستولى عليها ـ لا قدر الله ـ

فلو أنى بليت بعبشمى
خئولته بنو عبد المدان
لهان على ما ألقى ولكن
تعالوا فانظروا بمن ابتلانى

إن صليبية الأمس التى تحطمت آمالها فى النيل من رسالة الإسلام أمام بطولتنا المؤمنة المجاهدة عادت اليوم لتنتقم لنفسها فتضرب الإسلام بيد الصهيونية الآثمة التى أقامها الاستعمار دولة عنصرية فى أرض النبوات يشد من عزمها ، ويمدها بالمال والرجال والسلاح والخبرات ، ويقذف بها من وراء

ستار رأس حربة تسفك الدماء ، وتستبيح الحرمات، وتغتصب الأرض ، لا تعبأ بقيم، ولا تأبه بمبادىء الحق ، ولا تستمع لنداء السلام القائم على العدل .

إن المحنة التى نمر بها تمثل فى جوهرها محنة إسلامية ، إنها قضية دينيـة قبل أن تـكون قضية قومية أو سياسية ، إنها قضية الساعـة تفرض نفسها على مؤتمركم فى المكان الأول من قضاياه .

والقضايا الدينية أساسها القرب والبعد من الله ، وعلينا معشر العلماء أن نتناول القضية بالصراحـة والصدق ، وليس لها من حل إلا فى العودة إلى خصائص هذه الأمة : الإيمان بالله ، والجهاد فى سبيله ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنـكر . وإنه بالأمانة والنصيحة تمسك بكتاب الله واقتداء برسول الله والتزام للهدى الإلهى فى جميع مناحى الحياة .

وإذا كان أمد المحنة قد طال ، فقد شاء الله أن يختبر إيماننا به ، ويمتحن صلابتنا فى الحق لنرجع إليه ونقبل عليـه : « ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب » .

لقد شاء الله أن يطول أمد المحنة تأكيدا لخطر أعداء الإسلام وكشفا لحقيقة أطماعهم حتى لا يشك أحـد فى طبيعة نواياهم التى حاولوا ببراعـة الدعاية وكذب الأباطيل تغطيتها ، ولـكنها انطلقت من صدورهم واضحة فى لهب النار التى أشعلوها فى القدس الشريف، بعد قليل من انعقاد مؤتمركم الرابع .

فقد تجاوزوا فى حقـدهم على الإسلام وأبناء الإسلام كل القيم والمثل، ولم يكتفوا فى عدوانهم الغادر الأخير باحتلالهم ترابا عزيزا من أراضى ثلاث دول عربية إسلامية بعد أن اغتصبوا فلسطين من أهلها، وطاردوا شعبها وأخرجوه من دياره وأمواله بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، وأسسوا دولة باغية على أرض السلام .

وإنما أسفروا عن عداوتهم للإسلام ، وامتدت يدهم الأثيمة إلى مقـدسات أرادها الله بيوتا له ، وأحرقوا المسجـد الأقصى قبلة الإسلام الأولى وثالث الحرمين ومسرى رسول الله ومجتمع أنبياء الله ومهبط رسالاته .

إنهم طعنوا الأمـة الإسلامية بهذه الجريـمة المروعة فى من دينها وتاريخها وحضارتها، إنها بداية لمرحلة عدوانية جديدة

يدق خطرها أبواب المسلمين فى جميع بقاع العالم إنه خطر جسيم يتهـدد مصير الأمة الإسلامية ، ولم يعد أمامها فى ملاقاة هذا الخطر إلا تحديد الهدف ، ووحدة الصف وحشد الجهود ، وتوحيد الكلمة مواجهة لهـذا التحدى السافر ، وتصديا لأعداء الإنسانية ، وجهادا فى سبيل الله .

إن رسالتكم لخطيرة أيها العلماء الأفاضل فى هذه الظروف العصيبة التى تحيط بأمتكم والتى تمتدى فيها صهيونية باغية ـ قطعها الله فى الأرض ـ على أوطانكم ومقدساتكم .

إن العالم الإسلامى اليوم يترقب منكم انتفاضة مؤمنة قوية، تحيي أمله، وتفك قيده وتحرر أرضه، وتصون عرضه ، وتهيىء له الحياة الحرة العزيزة التى أرادها الله « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » .

انتفاضة تتجمع فيها تجربة الشيوخ ، وفتوة الشباب وعزم المؤمن وحزم القائد المجرب ، ودفعة للتوثب، دفاعا عن العقيدة وحفاظا على الشرف، وصونا للحق ، ورفعا لذل الانتكاس .

إن قواتكم للسلحة على خطوط النار وهم جند الله وأسلحة الحق، وإن شباب المقاومة المؤمن الذى يسقى بدمائه الزكية أرضه السليبة ، وإن مقدساتنا الإسلامية التى دنسها العدو بوجوده ولوثها بأنفاسه ، وإن شعوبنا المسلمة فى كل أقطار الدنيا التى هزت مشاعرها جرائم العدوان الغادر إنهم جميعاً يحيطونكم بالأمل، وينتظرون منكم رأى الدين وصدق التوجيه .

ولقد أصبح الجهاد فرض عين على كل مسلم إعلاء لـكلمة الله ، ودفعاً للعدوان وإنقاذاً لأرض الإسلام من سيطرة أعدائه وتطهيراً للمقدسات من رجس الطغاة .

« وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله » .

« وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا » .

« أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير » .

إنه لا خيار لنا الآن فيما فرض علينا من جهاد ، وإن قضيتنا لا يجدى معها غير التوحيد والوحدة ، وغير الإعداد فى حزم وعزم لمعركة المصير ، على هدى من الله وسند من الدين ، فأسمعوا العالم صيحة الحق وأعلنوا الجهاد بحق الإسلام ، جهاداً

بالنفس ، وجهاداً بالمال ، وجهاداً بالرأى ، وجهاداً بالكلمة : « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز » .

أيها السادة الأفاضل :

إن تبعاتكم أمام الله ومسئولياتكم أمام التاريخ تفرض عليكم صدق الكلمة ووضوح الرأى ، وقوة الارادة ، فبلغوا الرسالة إلى كل من وراءكم وأدوا الأمانة فى محيطكم ، وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم : أصحاب دعوة وسفراء دين وأنصار حق .

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .

وإننى من فوق هذا المنبر من هذا الحفل الإسلامى الخالد ، أحيى جند الله وحماة دينه على خطوط المواجهة ، فى مرتفعات سوريا ، وأغوار الأردن ، وقناة السويس ، وأحيى كفاح أبطالنا الفدائيين وقوات المقاومة الفلسطينية الذين عقدوا مع الله تجارة لن تبور ، فباعوا النفس والمال والأهل والولد لحماية مقدساتنا الشريفة ، واسترداد أرض العروبة والإسلام كما أحيى كل يد تساند هؤلاء المجاهدين الأبطال ، وتشد أزرهم ، وإن يوم النصر لقريب بإذن الله .

إنه نعم المولى ونعم النصير .

أيها العلماء الأجلاء :

مرحباً بكم فى كنف الأزهر الشريف ، أزهركم ، أزهر المسلمين قاطبة ، حيا الله مقدمكم وبارك مؤتمركم ، وسدد خطاكم ، ووفقكم إلى الصواب والرشاد .

وإنى باسمكم جميعاً أحيى سيادة الرئيس جمال عبد الناصر على رعايته مؤتمركم وأشكره على إنابته السيد / الدكتور عبد العزيز كامل وزير الأوقاف وشئون الأزهر عن سيادته فى شهود حفل افتتاحه ، وأضرع إلى الله سبحانه أن يسدد خطاه على طريق الجهاد حتى نطهر بإيمانه وإيمان أمته قدسنا ، ونسترد أرضنا ، ونستعيد كرامتنا ، وتعلو كلمة الله ، وترفرف أعلام السلام على أرض السلام ، « ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم » .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

د. محمد محمد الفحام

كلمة الوفود

لسماحة الشيخ عبد الحميد السائح

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، وإمام المجاهدين والعاملين وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه إلى يوم الدين .

سيادة مندوب السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة .

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر .

حضرات أعضاء الوفود الكرام .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد : فيسعدنى ويشرفنى ، أن أقول كلمة وفود العالم الإسلامى : شرقه وغربه ، شماله وجنوبه فى هذا المؤتمر العتيد ، وأن أشكر سيادة الرئيس جمال عبد الناصر على رعايته هذا المؤتمر ، وأرجو أن يكون لهذه الرعاية أثر بارز فى نجاح المؤتمر وتنفيذ توصيه ومقرراته ، كما أشكر فضيلة الإمام الأكبر على دعوته وإتاحة هذه الفرصة لنا ، للتشاور والتدارس فى الأحداث التى نعيشها وتعيشها معنا أمتنا ، نتيجة للخطر المحدق بنا ، وبوجودنا ، وبعقيدتنا ، ومقدساتنا بسبب خلق إسرائيل الدولة الصهيونية ، فى وسط ديار العروبة والإسلام .

أيها العلماء الأجلاء .

إن مؤتمركم هذا يزيد فى تحميلكم المسئولية ، أمام الله ، وأمام التاريخ وأمام الأجيال القادمة ، بعد أن احتلت واغتصبت أجزاء عزيزة غالية من ديار العروبة والإسلام ، وانتهكت الأعراض والمقدسات ، وأحرق المسجد الأقصى المبارك وطن الإسراء والمعراج ، وديست الكرامات وإذا كان إخوانكم فى الوطن المحتل من غزة إلى القدس إلى الخليل ورام الله ، وغيرها ، مرابطين ، يتحملون صنوف الأذى والتعذيب ، ويضحون بمساكنهم وقراهم تنسف وتزال من الوجود وإذا كان الكثير من الشباب والفتيات ، ينالون مختلف أنواع القسوة والتنكيل فى السجون والمعتقلات ، ومع هذا فإنهم صابرون صامدون ، صبر ياسر وآل ياسر وبلال وأمثالهم ، وإذا كان أهل إربد والسلط والكرك وغيرهم من سكان الأردن يقابلون الموت بشجاعة نادرة ، ويستخفون بقنابل النابالم

وغيرها ومختلف أنواع الوحشية والبربرية التى توجهها اليهم إسرائيل الصهيونية بالسلاح الأمريكى - يصبرون على كل ذلك فى سبيل المحافظة على أوطانهم، والحرص على شرفهم وكرامتهم، وعقائدهم، وإذا كان سكان الجمهورية العربية المتحدة، يقابلون الغارات الإسرائيلية، بأعصاب قوية، ونفوس مؤمنة مطمئنة، يفوتون على العدو، ما يهدف إليه، من إحداث انهيار نفسى فى الشعب العربى للمؤمن، وزلزلة عقيدته، فى زعمائه وقادته، وعلى رأسهم الرئيس المحبوب جمال عبد الناصر فإن الواجب الدينى والقومى، على جميع المسلمين والعرب حيثما وجدوا، أن يدعموا مواقف الصمود وأن يهيئوا فرصة العمل، وأن يجندوا قواهم وطاقاتهم فى سبيل معركة تقرر مصيرنا، ومصير أعدائنا.

أيها السادة العلماء:

إذا كنتم . ما تملكون هو الكلمة، فإن الكلمة الجريئة من أفضل ضروب الجهاد، ومع هذا فإنى أعتقد أن باستطاعتكم، أن تضربوا أروع الأمثلة وأفضل النماذج فى التضحية بأموالكم وأنفسكم ومناصبكم، فى سبيل كرامة أمتكم وشرف عقيدتكم ومقدساتكم، اقتداء برسول الله ﷺ، وأصحابه الأكرمين، والعلماء المجاهدين وأن تصارحوا المسئولين فى كل البلاد العربية والإسلامية، بأن ذمتهم لاتبرأ من المسئولية أمام الله، مالم يساهموا مساهمة صادقة، ومالم يبذلوا كل طاقاتهم، وأموالهم وثرواتهم فى سبيل إنقاذ القدس والأقصى وسائر المقدسات، والأقطار المحتلة والعقائد والمبادىء.

وهذا كما يتطلب إعداد الجيوش بأحدث الأسلحة الفتاكة، دفاعا عن حقوقنا ومقدساتنا، فإنه يتطلب إعطاء الحرية التامة للعمل الفدائى، كى يتمكن من القيام بواجبه على أفضل وجه وأكمله. هذا العمل الفدائى، الذى كان له فضل أكبر، فى إحياء القضية الفلسطينية، وإفساد مخططات الاستعمار والصهيونية، فى طمس معالمها، وتشويه وجهها الحقيق.

أيها العلماء الأجلاء:

إن قوى الاستعمار تتآمر على العرب والمسلمين، منذ زمن كبير، ففى أواخر القرن التاسع عشر كان (تشامبرلين) فيلسوف العنصرية الآرية يصرخ فى أوربا، قائلا، ويل لأوربا، إذا استيقظ النمر الغافى،

على الشاطىء الشرقى للبحر الأبيض المتوسط .

وإن انكلترا فى سنة ١٩٠٧ م دعت إلى مؤتمر يضم الدول الاستعمارية حينئذ، وهى بريطانيا وفرنسا وهولندا وأسبانيا وبلجيكا ، والبرتغال وإيطاليا وقد تضمن تقرير ذلك المؤتمر أن الخطر الذى يهدد الاستعمار الغربى ، يكمن فى البحر المتوسط، والذى يقيم على سواحله الشرقية والجنوبية ، شعب واحد يتميز بكل مقومات الوحدة والترابط ، وبما فى أراضيه من كنوز وثروات ، يفتح لأهلها مجال التقدم والرقى فى طريق الحضارة والتقدم .

ولمواجهة هذا الخطر أوصى المؤتمر ، بأن تعمل الدول الاستعمارية على تجزئة هذه المنطقة والإبقاء على تفككها واقترح كوسيلة عاجلة ، العمل على فصل الجزأين ، الأفريقى والأسيوى ، فى هذه المنطقة أحدهما عن الآخر وإقامة حاجز بشرى، قوى وغريب ، فى نقطة التقاء الجزأين ، يمكن للاستعمار أن يستخدمه أداة لتحقيق أغراضه.

أيها المسلمون والعرب فى كل مكان :

إن الاستعمار قد حقق مخططه بإقامة إسرائيل ، فى ديار العروبة والإسلام فيجب علينا أن نقابل مخططاته بدراسات علمية واعية ، وإعدادات عسكرية متناسبة وأن نعمل جديا ، وبصورة جماعية ، على القضاء على هذا المخطط الاستعمارى الجهنمى الذى لا حد لأطماعه ، ولا نهاية لغاياته ، وأن نكون واعين لمخططاته المتوالية ، فى تصفية القضية ، وإضاعة حق شعب فلسطين فى أرضه ووطنه ، وأن نعمل على سد الثغرات التى يعمل على التسلل منها بواسطة أمريكا وأعوانها وأن نخرج من هذا المؤتمر بقرارات قوية ، متناسبة مع الخطر الذى يحيط بنا جميعا وأن نعمل على إبلاغ تلك القرارات للملوك والرؤساء للعمل على تنفيذها فى وفد يمثل العالم الإسلامى ، وأن نحدد مسئولية كل جهة ضمن طاقاتها وقدراتها ، بما يتناسب مع ما تملك من ثروات وإمكانيات .

وكما نرجو من المؤتمر أن يخرج بتلك النتيجة ، نرجو من كل وفد أن يكون رسولا إلى قومه ، ونذيراً إلى بلده وجماعته بأن الخطر يهدد الإسلام والعرب فى كل مكان ، وإن هذا يستلزم العمل الجدى

(بقية على صفحة ١٠٣)

كلمة فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، اللهم صل أفضل صلاة وسلم أزكى تسليم على أشرف المرسلين خير الخلق أجمعين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه إلى يوم الدين وبعد :

أيها الأخوة المؤمنون :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

مرحبا بكم فى وطنكم الجمهورية العربية المتحدة ، وفى داركم العلمية ، وبيئتكم الروحية ، الأزهر الشريف ، مرحبا بكم فى رحاب هذا المعهد الذى نعرف فى تقدير كبير جهاد أبنائه فى سبيل الله طيلة مئات السنين .

لقد جاهدوا ، فى صبر ، عناية باللغة العربية : لغة القرآن ، اللغة التى أصبحت لنزول القرآن بها ، لغة مقدسة : كل جهاد من أجل الحفاظ عليها ، مستكملة فصاحتها وبلاغتها ، يعتبر عبادة ، وجاهدوا فى سبيل المحافظة على المبادىء الدينية طاهرة صافية كما يحب الله ورسوله .

وجاهدوا بأنفسهم وأموالهم فى سبيل الله ضد كل مغير أو مغتصب .

وإن مشاركتهم للجيش وسيرهم معه فى غزواته ، أمر سجله التاريخ ، ودونته الكتب .

وأذكر من ذلك مثالا واحدا : حينما بدأ الجيش المصرى يستعد لملاقاة العدو فى المنصورة ، هاجر إليها كبار علماء مصر وعلى رأسهم العز بن عبد السلام ، ومجد الله القشيرى ، ومحيي الدين بن سراقة ، ومجد الدين الأخميمى ، وأبو الحسن الشاذلى ، والحافظ المنذرى ، والكمال بن القاضى صدر الدين .

هاهم أولاء بسمتهم الملائكى ، وبإيمانهم الذى لا يتزعزع ، يسيرون وسط الجند ، يحثون ويشجعون ، ويرشدون ويذكرون بالله ، ويبشرون — كما وعد الله — بإحدى الحسنيين : النصر أو الجنة وإذا لزم الأمر عملوا بأيديهم مع العاملين .

ولقد كان مجرد سيرهم فى الشوارع والمعسكرات ، تذكيراً بالنصر أو الجنة ، كان ذلك حفزاً للهمم ، وتثبيتا للإيمان ، وتأكيداً لصورة الجهاد الإسلامية التى قادها فى عصور الإسلام الأولى رسول الله ، صلوات الله عليه ، وخلفاؤه الراشدون ، رضوان الله عليهم .

حتى إذا اطمأنوا إلى الأسباب والوسائل المادية الظاهرة ، والمعنوية الباطنة ، وحتى إذا ما جنهم الليل ، اجتمع هؤلاء الأعلام فى خيمة من خيام المعسكر يتجهون إلى الله بصلاتهم ودعائهم ، يلتمسون منه النصر ، فإذا مافرغوا من ذلك أخذوا يتدارسون كتابا من الكتب ، لقد كان شعارهم : الجهاد والعلم .

وأن هذا الشعار الإسلامى : الجهاد والعلم ذكره رسول الله ﷺ ، وبين غايته فى حديث يؤكده الجو الإسلامى كله ، روى أبو نعيم عن ابن عباس رضى الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال :

(أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم وأهل الجهاد) .

(أما أهل العلم فدلوا الناس على ماجاءت به الرسل ، وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم على ما جاءت به الرسل) .

إن الأزهر الشريف سعى ويسعى طيلة مئات السنين للاحتفاظ بما جاء به خير الرسل وأفضل الخلق .

إنه يجاهد فى سبيل المحافظة على الذاتية الإسلامية ، هـذه الذاتية التى حرص رسول الله ﷺ طيلة حياته على أن تظل طاهرة متميزة بطهارتها ، وبلغ حرص رسول الله ﷺ على هـذه الذاتية حدا اعتبر معه أن القراءة فى التوراة ـ مجرد القراءة فيها ـ مساس بهذه الذاتية .

روى الإمام أحمد بإسناد صحيح عن جابر رضى الله عنه : أن عمر بن الخطاب أتى النبى ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب ، فقرأه على النبى ﷺ ، قال : فغضب وقال : (أتتهوكون فيها يابن الخطاب ؟ والذى نفسى بيده ، لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، لا تسألوهم عن شىء فيخبروكم بحق فتكذبونه ، أو بباطل فتصدقونه ، والذى نفسى بيده ، لو أن موسى كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعنى) .

وروى الحافظ أبو يعلى حديثا طويلا يقول سيدنا عمر فى نهايته :

(انطلقت أنا فانتسخت كتابا من أهل الكتاب ثم جئت به فى أديم ، فقال لى رسول الله ﷺ : (ماذا فى يدك ياعمر ؟ قلت يارسول الله : كتاب نسخته لنزداد به علما إلى علمنا) ، فغضب رسول الله ﷺ حتى أحمرت وجنتاه ، ثم نودى بالصلاة جامعة ، فقالت الأنصار : أغضب نبيكم صلى الله عليه وسلم ، السلاح السلاح ، فجاءوا حتى أحدقوا بمنبر رسول الله ﷺ فقال :(يا أيها الناس ، إنى قدأوتيت جوامع الكلم وخواتيمه ، واختصر لى اختصارا ، ولقد أتيتكم بها بيضاء نقية فلا تتهوكوا ولا يغرنكم المتهوكون) قال عمر : فقمت فقلت : رضيت بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبك رسولا ، ثم نزل رسول الله ﷺ .

لقد عمل رسول الله ﷺ جاهدا على أن تظل الذاتية الإسلامية بيضاء نقية على حد تعبيره صلوات الله وسلامه عليه .

وهذه الذاتية المحددة الواضحة ، هى المبرر الوحيد لنشأة الأمة الإسلامية ولاستمرارها وبقائها ، أن نشأة الأمة الإسلامية إنما كان من أجل رسالة هى خاتمة الرسالات ، ولقد أحاط الله سبحانه وتعالى هذه الرسالة بعناية لم تتوافر لأية رسالة أخرى ، ومن مظاهر هذه العناية أنه سبحانه وتعالى جعل مصدر هداية الأمة الإسلامية بالأسلوب الإلهى فى بلاغة المعجزة ، وفى نضرته الدائمة وفى إيحائه وإلهامه المستمر .

ومن مظاهر هذه العناية ، أن تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظه :

« إنا نحن نزلنا الذكر ، وإنا له لحافظون »

وهذا الحفظ نفسه هو الذى جعل من القرآن رسولا قائما فى العالم وإلى يوم القيامة ، وهو الذى زيف — فى منطق صارم — كل رجل يدعى النبوة من بعد الرسول ﷺ ، إن منطق وجود القرآن بالأسلوب الإلهى وتكفل الله بحفظه يلغى — حتى مجرد التخيل — الحاجة إلى رسالة جديدة ، وقوله تعالى عن رسوله الكريم : « وخاتم النبيين » وكونها قرئت بفتح التاء وبكسرها ، قراءات متواترة عن رسول الله ﷺ ، يسد كل المنافذ فى وجه هؤلاء الذين يحاولون دجلا وشعوذة ادعاء النبوة.

لقد أنزل الله القرآن بالأسلوب الإلهى عناية بالرسالة الإسلامية ، ثم كان من مظاهر عناية الله بهذه الرسالة التى تمثل ذاتية الأمة الإسلامية ، أن رسول الله ﷺ ، لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى إلا وقد طبق

هذه الرسالة تطبيقاً واقعيا، وخرجت بذلك الرسالة عن أن تكون نظرية إلى كونها واقعية، لقد تحققت هذه الرسالة فى واقع محسوس ملموس، لقد صارت مرئية مسموعة.

لقد جربت ونجحت التجربة وحطمت الرسالة المطبقة كل ما اعترضها من عقبات، وتلاشى أمام زحفها المقدس كل باطل، ودانت دنيا الباطل لقوة الحق

ويصور أحد المستشرقين شعور القارئين لتاريخ صدر الإسلام تجاه فتوحاتهم الظفرة القائمة على تطبيق رسالتهم فيقول متسائلا :ـ

هل صغرت رقعة الدنيا فى أيامهم ؟

أم أن الأرض كانت تطوى من تحت أرجلهم ؟

وما صغرت رقعة الدنيا ، وما طويت الأرض من تحت أرجلهم ، وإنما هو الإيمان وتطبيق الرسالة ، لقد أعلنت الرسالة وحدة الأمة :

« إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » .

« وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون » .

وتلاشت بذلك الحدود ، والحواجز ، والسدود بين المؤمنين ، وتوحدت أول ما توحدت الجزيرة العربية ثم كانت الأمة الإسلامية فى سعتها الشاسعة، وفى مساحتها المائلة ، وأعلنت الرسالة التوحيد فى مجال العقيدة .

إن الرسالة لم تكتف بأن يقول الإنسان : لا إله إلا الله ، وإنما أحبت أن تسمو به إلى درجة أن (يشهد) أن لا إله إلا الله ، يشهد الله سبحانه على كل ما يأتى وما يدع ، فى قوله وصمته ، فى حركته وسكونه ، يشهده فى نيته ، ويشهده فى عمله ، ويشهده سبحانه مسيطرا على إطار حياته ، يتبع ما رسم ، ويسير على ما أحب ، إنه توحيد العبودية لله سبحانه ، وإذا ما حقق الإنسان أو حققت الأمة توحيد العبودية ، فقد اتخذت الوسيلة إلى :

« وإن سألنى أعطيته ، ولئن استعاذنى لأعيذنه » .

وأعلنت الرسالة : الأخوة فى علاقات المؤمنين بعضهم ببعض .

« إنما المؤمنون إخوة » .

وإن جو الأخوة بين المؤمنين ، هو المثل الأعلى لصلاتهم ، يرحم كبيرهم صغيرهم

ويوقر صغيرهم كبيرهم، ويسود بينهم التعاون في الخير على جميع ذويه .

وأعلنت الرسالة العدل في القوانين ، والعدل الذي أعلنته ليس عدلا بشريا وإنما هو العدل الإلهي ، وليس القانون في الرسالة تابعا من فكر إنسان يخطىء ويصيب ، وإنما هو وحي معصوم من قبل الله سبحانه وتعالى، والله سبحانه وتعالى يقول : « وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا » إنها تمت صدقا في العقيدة ، وتمت عدلا في التشريع ، ومن هنا كان المنطق واضحا في قوله تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » .

وأعلنت الرسالة الرحمة في الأخلاق :

« رحماء بينهم » .

وأعلنت الرسالة : أن القيام على هذه المبادىء المحددة بالوضع الإلهي والحجة في الكتاب الكريم والتي طبقها الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأصبحت سافرة لا لبس فيها ، أعلنت الرسالة أن القيام على هذه المبادىء فرض يتمثل في صورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وأعلنت الرسالة في الجانب المادي ، وسيلة حماية هذه المبادىء ضد كل عدوان « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » .

هذا المبدأ يقتضي أن تصل هذه الأمة في الجانب المادي إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليه الإنسان في جميع المجالات المادية من هندسة ، وطب ، وكيمياء ، وفلك وصناعة أدق ما تكون الصناعة ومعامل أرقى ما تكون المعامل ، وأن أصحاب الرسالات لابد وأن يكون لهم أساس من القوة هو سناد لرسالتهم .

إنها رسالة إذن حددها الله سبحانه :

رسالة يجب وجوبا فرضيا أن تساندها قوة مادية ، يقوم على المحافظة عليها بيضاء نقية ، الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر .

هذه المبادىء المحددة بالقرآن والسنة وسلوك الرسول ﷺ مع رسائلها المحددة بالقرآن وبالسنة وسلوك الرسول ﷺ ، هي المبرر لنشأة الأمة الإسلامية ، ولبقائها واستمرارها، فإذا حققتها الأمة الإسلامية على الوضع الذي جاءت عليه مكن الله لها في الأرض وكتب الله لها النصر وحقق لها وعده الذي أعلنه في كتابه :

« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا

الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ، وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون » .

أما إذا لم تلتزم الأمة الإسلامية الاتباع الدقيق للرسالة ، فإنه لا معنى لبقائها ولا مبرر لوجودها ، وإذا تلاشت فلن تبكى عليها سماء ولن تأسف عليها أرض ولن تنقص الدنيا بفقدها عنصرا ضروريا لحياتها الفاضلة ولكن الأمة الإسلامية نشأت لتبقى ووجدت لتستمر ، يؤدبها الله من حين لحين لتعود إليه ، يؤدبها فى أفرادها حتى يعودوا إليه منيبين مستسلمين ، ويؤدبها فى جماعاتها لتلجأ إليه مطبقة لرسالته ، منفذة لمبادئه .

« ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون » .

وإن منهج مجمع البحوث الإسلامية إنما هو شعار علماء الأمة الإسلامية فى كل عصر إنه الجهاد والعلم .

الجهاد من أجل المحافظة على الذاتية الإسلامية بيضاء نقية ، ومن أجل المحافظة على الأمة عزيزة الجانب ، آمنة فى وطنها .

والعلم من أجل بيان الذاتية الإسلامية بيضاء نقية ، ومن أجل بيان فرضية الجهاد فى صوره المتناسقة .

وهذا هو المنهج الذى نملته فى وضوح للسير عليه ، وهذا هو المنهج الذى سار عليه الأزهر ، والذى يسير عليه مجمع البحوث الإسلامية ، وهذا هو المنهج الذى رسمتموه فى مؤتمراتكم السابقة .

وإن مجمع البحوث يقوم فى هذا المجال بكل ما يستطيع ، وقد أتاحت له ميزانيته أن يجند فى الجمهورية العربية المتحدة اثنين وثلاثين وستمائة من الوعاظ الدائمين يبشرون بالعلم والجهاد ، ومن هؤلاء الوعاظ ما يقرب من الثلث فى الجيش المصرى .

وأتاحت له ميزانيته أن يبعث إلى الأقطار الأفريقية والآسيوية أكثر من أربعمائة مبعوث يبشرون بالعلم والجهاد ، وتبلغ ميزانية هؤلاء وحدهم أكثر من نصف مليون من الجنيهات .

ولكن هذه الأعداد مع وفرتها النسبية لا تكاد تذكر بالنسبة لما يحتاج إليه العالم الإسلامى من جهود ، وإنه مما

يجب أن نذكره أسفا أن ليس للأمة الإسلامية إرساليات تبشيرية فى البلاد أو الأقاليم التى لا تدين بدين الإسلام، مع أن ذلك واجب إسلامى، وبينما نجد إرساليات معظم دول أوربا وأمريكا تجوب العالم، فإننا لا نجد إرسالية واحدة من دولة مسلمة، تبشر بالإسلام فى أوساط وثنية، أو فى أقاليم غير إسلامية، بل ولا نجد هيئة إسلامية واحدة اهتمت بأمر التخطيط للدعوة.

وإذا كنت أعلن ذلك اتباعا لمبدأ النقد الذاتى، فإنى أتقدم إليكم - تلافيا لهذا النقص الذى نشعر به جميعا - برجاء أن يكون مؤتمركم الموفق إن شاء الله لجنة تخطيط لصندوق الدعوة، وينبثق عنها إن شاء الله فى المستقبل لجنة تخطيط للدعوة.

إن شعار الجهاد والعلم فى حاجة إلى:

١ - جنود يجاهدون ويعلمون.

٢ - وإلى معاهد تدرب الخريجين من الكليات الدينية وتدرس وتوجه وتخطط.

٣ - وإلى بحوث ورسائل تؤلف فى أسلوب عصرى، وتترجم إلى أكثر من لغة تبين رسالة الإسلام.

٤ - وإلى نشر تراث إسلامى تفخر به الأمة الإسلامية، ولا يزال مغموراً فى زوايا دور الكتب هنا وهناك، تكاد تأتى عليه الأرضة، ويعفى عليه النسيان.

٥ - وإلى وفود من كبار علماء الإسلام تجوب أقطاره، وفود أخوة ومودة، وفود تتعرف على آمال العالم الإسلامى وأمانيه، وفود لا شأن لها إلا بما يقوى رابطة الأخوة، ويبعث الآمال فى عناية الله ورعايته.

ولقد أتاحت ميزانية المجمع فى عامه الحالى التخطيط والبدء فى عدة مشروعات يسرنى أن أعلن اغتباطى بها، وأعتقد أنها ستنال رضاكم.

لقد شرعنا فى طبع المصحف الشريف، طبعة متقنة، من أجل توزيعه على نطاق واسع فى جميع أرجاء الأمة الإسلامية، بثمن زهيد، وذلك أولا: من أجل تعميم الانتفاع بكتاب الله مصدر هداية الأمة الإسلامية، ومنبع قوتها، وثانياً: من أجل سد الطريق أمام التزييف الآثم الذى تقوم به إسرائيل، وإن لجنة من كبار العلماء المتخصصين فى القراءات تقوم على هذا المشروع فى إخلاص لله ورسوله، والعمل فى المشروع يسير بخطوات مرضية.

وشرعنا فى تقنين الشريعة الإسلامية، شرعنا فى تقنينها بحسب كل مذهب على حدة، وشرعنا فى تقنينها بصورة أخرى هى إخراج قانون يسير فى ترتيبه مع القوانين الوضعية ويستمد مواده من مختلف المذاهب باعتبارها وحدة واحدة.

وشرعنا بعون الله تعالى فى إخراج موسوعة السنة، ويتضمن المشروع ثلاثة جوانب:

أولها: جمع الأحاديث، وفى هذا المجال سنستعين إن شاء الله بكتابين جليلين أحدهما: الجامع الكبير للإمام السيوطى، الذى رتب الأحاديث أبجديا، وثانيهما كنز العمال الذى رتبها فقهيا.

والجانب الثانى: هو حصر رجال السنة رضى الله عنهم، وترتيبهم أبجديا والتعريف بهم.

والجانب الثالث: هو حصر المصطلحات فى فن الحديث والتعريف بها.

ولقد شرعنا بعون الله فى التخطيط لوضع الموسوعة الإسلامية، إن الأمة الإسلامية على سعتها تهتم كل الاهتمام بالموسوعة التى ألفها المستشرقون، وهى موسوعة لاحظ الكثيرون أنها مليئة بالأخطاء، ومليئة بالتشويه لوجه الحضارة الإسلامية، ومن الخير أن يكتب الإسلاميون تاريخهم العلمى والحضارى من جديد، ومكان الموسوعة فى هذا المجال شاغر لم يملأ بعد، ونرجو من الله التوفيق فى هذا المشروع الذى أصبح ضرورة لا غنى عنها.

ولقد خطا المجمع خطوات موفقة فى إخراج التفسير الوسيط للقرآن الكريم ويشترك فى هذا العمل أكثر من ثلاثين عالما من خيرة علماء الأمة، والأمل كبير فى أن لا يأتى المؤتمر القادم إن شاء الله إلا ويكون هذا التفسير بين يدى ضيوفنا الكرام.

ووجدت الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية أن ظروف المجتمع الإسلامى فى حاجة إلى عمل سريع يلبى رغباته من الثقافة الإسلامية التى تبصره بشئون دينه ودنياه فأصدرت من أجل ذلك سلسلة البحوث الإسلامية التى تصدر فى مطلع هلال كل شهر عربى، وكان أول كتاب صدر منها، هو عن الرسول ﷺ: لمحات من حياته ونفحات من هديه، والكتاب الذى يعد للتوزيع الآن هو (الدين العالمى ومنهج

الدعوة إليه) وهذه السلسلة بأقلام أعضاء المجمع وكبار العلماء .

أما للمعركة : فإننا نعيشها فى واقعها القاسى وقد ألف مجمع البحوث الإسلامية لجنة للمسجد الأقصى يرأسها فضيلة الإمام الأكبر ، وهى تعمل بكل ما تملك من طاقات فى سبيل النصر إن شاء الله تعالى . ولقد أصدرنا فى هذا الجانب الكتب والرسائل وجندنا أنفسنا : وعاظاً وخطباء للتعبئة المعنوية للأمة .

وإننا من منصة مؤتمرنا هذا نحيى جيشنا الصامد على الجبهة مقدرين وقفته فى سبيل الله ، وإنها لوقفة يحبها الله ورسوله ويباركها المخلصون الصادقون فى كل مكان من بقاع الأرض .

أيها الإخوة المؤمنون :

هذا بعض ما نحاول تحقيقه بتوفيق الله تعالى ، ولا أطيل عليكم ، ولكنى أعلن فى إخلاص ، أن مجمع البحوث الإسلامية مستعد تماما لبحث أية فكرة تعرض عليه فى صالح الإسلام والمسلمين، وأن ينفذ منها مايراه صالحا فى حدود ميزانيته .

وأعلن فى إخلاص : أن مجمع البحوث الإسلامية ، يمد يده لكل العاملين فى الحقل الإسلامى إنه يمد يده إلى الرابطة الإسلامية بمكة متكاتفا متعاونا ، ويمد يده إلى الجامعة الإسلامية بليبيا متكاتفاً متعاونا ، ويمد يده إلى الجامعة الإسلامية بأم درمان متكاتفا متعاونا ، راجيا أن يكتب الله لكل هذه الهيئات البقاء والاستمرار مصادر نور ومنابع هدى ، إنه يمد يده إلى الهيئات الإسلامية فى كل الأقطار الإسلامية ، وإذا كان الأمل أن تتوحد الهيئات الإسلامية ، فى وحدة واحدة بعيداً ، فإن الأمل فى أن تتعاون وتتكاتف وتتساند ، وأن يكمل بعضها بعضا ، وأن يقوى بعضها بعضا كبير ، بل قريب إن شاء الله بفضل جهودكم المخلصة الموفقة بعون الله تعالى .

أيها الإخوة المؤمنون :

إن بعض علماء الأمة الإسلامية ، شغلوا أنفسهم بالجدل والمراء فى المتشابه ، وفرقوا بينهم من أجل الجدل فى المتشابه الذى نهينا عن البحث فيه ، ولم يكن الجدل فى المتشابه يوما ما من فروض الإسلام، وإن فى محكم القرآن غنية لكل مؤمن

وبعضهم شغلوا بالجدل والمراء فى الأشخاص ، ولم يكن الجدل والمراء

فى الأشخاص فى يوم من الأيام من فروض الإسلام .

أيها الإخوة المؤمنون :

أعود من جديد فأرحب بكم فى وطنكم وفى رحاب الأزهر الشريف ، راجيا من الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا جميعا للعمل لخير الإسلام والمسلمين، وصلى الله على سيدنا محمد إمام العلماء والمجاهدين وخير الخلق أجمعين، الأسوة الحسنة والنور الهادى المبين .

ورضى الله عن آل البيت ، وكرم الله وجوههم ، وأثابهم على ما قدموا للإسلام من بطولات ، هى فى الذروة والسنام ، ورضى الله عن صحابة رسول الله ﷺ ، الذين آمنوا به وعزروه ونصروه ، واتبعوا النور الذى أنزل معه ، رضى الله عن جميع أسلافنا الصالحين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

د . عبد الحليم محمود

(بقية المنشور على صفحة ٩٣)

المخلص الواعى بإعداد وتدريب الشعب على اختلاف فئاته، والجيش بجميع قطاعاته إعدادا وتدريبا ـ يمكننا من إعادة الشرف المكلوم والكرامة المسلوبة ، وإنقاذ أهلينا فى الوطن المحتل، من براثن الصهيونية الغادرة .

وليعلم كل واحد، ملكا ورئيسا، وكبيراً وصغيراً ، وعالما ومتعلما ، أنه ما لم تسترد القدس من غاصبيها ، وما لم تعد إلينا سيادتها وإدارتها، وما لم يطلق المسجد الأقصى وسائر المقدسات ، من أسرها وأخطارها فلن يهدأ لنا بال ، ولن تستقر لنا حال ، ولن تبرأ الدمم .

وإذا كانت إسرائيل تعتمد على الصهيونية العالمية ، وعلى الإمبريالية العالمية وعلى رأسها أميركا ، فإن المسلمين والعرب ، يملكون قدرات هائلة يستطيعون بها أن يهددوا مصالح أميركا وغيرها ، ويحملوها بصورة جدية على أن تغير موقفها المتحيز إلى موقف الحياد والتعقل والإنصاف .

فنرجو لهذا المؤتمر النجاح والتوفيق ، ونحيي جميع أصدقائنا ، وأعواننا ، كما نحيي الصامدين الصابرين المرابطين فى الوطن المحتل ونحيي جميع الصامدين فى الأراضى العربية التى تتعرض للعدوان . ونحيي الفدائيين ، وجميع الجيوش المقاتلة ضباطا وجنوداً ونحيي جميع القادة المخلصين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

عبد الحميد السائح

كلمة الدكتور عبد العزيز كامل

نائب السيد رئيس الجمهورية فى المؤتمر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسول الهدى وسيد المرسلين المبعوث بالحق والعدل ، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، ويأخذ بيدهم إلى أمن الدنيا وسلام الآخرة .

السادة أعضاء مجمع البحوث الإسلامية

ضيوف الجمهورية العربية المتحدة :

يسعدنى أن أرحب بكم باسم السيد الرئيس جمال عبدالناصر ، وأن أحمل إليكم تحياته القلبية وإعزازه لكم ولمؤتمركم ، وأطيب تمنياته لكم بالتوفيق فيما أنتم بسبيله من جهاد على مبرور .

وتحية من شعب الجمهورية العربية المتحدة إلى شعوبكم الإسلامية الشقيقة ، تحية الإخاء والود ، وصدق الله العظيم «وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم» .

أيها الإخوة :

وإنها لمناسبة كريمة أن أشرف بلقائكم فى افتتاح الدورة الخامسة لمؤتمركم ، هذا المؤتمر الذى أخذ على نفسه من أول يوم أن يحمل عبء التصدى للتحديات الكثيرة التى توجه إلى الإسلام فى عصرنا الحديث .

وإذا كنتم أيها السادة قد قبلتم من قبل أن تتحملوا — فى حكمة العلماء — أمانة هذه الرسالة ، مدركين لأبعادها الخطيرة ، عالمين بطبيعة العدو وأساليبه وخبثه ، فإنكم فى هذه الدورة تلتقون ، وقوى الشر ومن وراءها قد بلغت قمة التحدى فى غيظه وضراوته . وتمثلت قوى الشر والفساد المعادية للإنسان وكرامته ، الحاقدة على دين الله الحنيف وأتباعه ، فى بؤرة تمارس الصهيونية العالمية منها دورها كأداة للاستعمار وقوى السيطرة ، تحتل أرضا هى ملك للعرب والمسلمين ، وتقتل ، وتدمر مساكن ، وتشرد أسرا فى الأراضى المحتلة وتحرق بيت الله فى القدس الشريف . . وتضرب المدنيين بالصواريخ والقنابل والطائرات التى أمدتها بها القوى الاستعمارية المسيطرة فى عالمنا الحديث .

أيها الإخوة :

إنكم فى دورتكم هذه تعالجون — للمرة الثانية — جوانب العدوان الصهيونى على

الأمة العربية ، قياما بالواجب المفروض ، ولأنكم صفوة من أهل الرأى وقادة الفكر فى الأمة الإسلامية ، تضطلعون بالمسئولية التى يلقيها الإسلام على من يشغلون مراكز القيادة والتوجيه ، وهى المسئولية التى تعلمون أهميتها فى واقع المسلمين المصيرى ، كما تدركون جلالها أمام الله سبحانه وتعالى.

أيها الإخوة :

إن الشعوب الإسلامية فى جميع أنحاء العالم ، تلك التى برهنت على أصالتها بما أبدت من إدراك صحيح ، وشعور جياش واستعداد للتضحية والبذل والفداء ، تتجه بأنظارها إلى جمعكم هذا ، تنتظر ماتعودت فيكم من شجاعة الكلمة وحكمة الرأى ، وتتوقع أن تجد فى رأيكم تأكيدا لما فى نفوسها من أمل ، وتعزيزا لما تتمنى من تطهير الأرض وتحرير بيوت الله ، وخلاص الإنسان العربى من ظلم الاحتلال الصهيونى ، وتأمل أن تجد فى مواقفكم ما يفتح لها الطريق إلى غايتها ، وهى إعلاء كلمة الحق ، وتحرير الأرض وتطهيرها واسترداد القدس الأسير ، وتحقيق النصر الذى وعدنا الله عز وجل .

وإن شعبنا فى الجمهورية العربية المتحدة لينظر إليكم ، أكثر من مجرد نظرتنا إلى صديق ، يعيش معنا فى أفكارنا وقضايانا ، يبحث ويناقش ، يخلص القول ويخلص النصيحة ، إننا ننظر اليكم فوق ذلك فى موقعكم الصحيح منا ، وهو موقع الأخوة الإسلامية التى يشبهها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبنيان يشد بعضه بعضا ، والتى يقول فيها : (مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر) ، والتى يبادر كل عضو فيها نحو منطقة العدو ، يحاصره ويناضله حتى يقضى عليه ، لا ينتظر نداء ، ولا يترقب توجيها ، ولا يحتاج إلى من يبصره بخطورة العدو المشترك .

إن العدو الإسرائيلى يحاربنا حربا لها امتدادها التاريخى ، الذى يحاول به أن يدمر تراثنا وحضارتنا ، ويحرق مقدساتنا ويهدم آثارنا ، ولها امتدادها الجغرافى الذى يشمل خطوط للواجهة جميعا ، وما وراءها عن طريق الضرب فى العمق ومهاجمة مناطق السكنى الآمنة والمصانع ، ولها امتدادها الفكرى والإعلامى الذى يحاول به تزييف تاريخ أرضنا ، وشعوبنا والقضاء على

مقومات وجودنا. ولها امتدادها الموضوعي الذي يشمل مجالات الحياة الاقتصادية والسياسية ، ولها امتدادها العالمي الذي يحشد فيه ما استطاع من قوى الاستعمار العالمي .. هي حرب تشمل الماضي والحاضر والمستقبل ، تحرق منبرا قديما ومصنعاً حديثا ، من جنودها علماء الآثار الذين يحفرون تحت المسجد الأقصى بحثا عن حفريات موهومة لا وجود لها إلا في مطامعهم، ومن جنودها قاذفو القنابل بطائرات (الفانتوم).

إن هـذا العدوان الهمجي يمتد إلى المسجد والكنيسة ، ويصطلي بناره الشيخ والقس .. وإن جنود العروبة والعقيدة ليقفون اليوم مدافعين عن تراثهم وتراث الإنسانية ، ضد سلطان الظلام الإسرائيلي ، ومن ورائه قوى الاستعمار العالمي . وإن جنودنا ليقفون في أشرف المواقع مدافعين عن أشرف الغايات .

أيها الإخوة :

إن الاطلاع على جدول أعمال مؤتمركم يعطي الإحساس بأنكم وقـد تصديتم لمواجهة العدو الظاهرة ، لم تؤجلوا التصدي لمعالجة مناطق الضعف في أمتنا الإسلامية ، تلك التي تعطي أعداءنا قوة ليست لهم ، فتناولتم بالبحث إيمان الشباب ، ووسائل دعمه ، وصيانته ومواقفه من الدين والعلم والحضارة ، كما تناولتم دور المسجد ـ نظريا وتطبيقيا ـ في إشعاع الهـدى الإسلامي في مجتمعنا المعاصر . وربطتم ذلك بدور الأزهر الخالد كجامعة ومسجد ، في خدمة الإسلام ونشر هداه ، كما واصلتم درس موضوعاتكم التي تستهدف تجديد الثقافة الإسـلامية وتجريدها من الفضول والشوائب ، فطرحتم للبحث موضوعات في التفسير والعقيدة وفي تقنين الشريعة الإسلامية وموقف الإسـلام من القضايا العالمية كالتفرقة العنصرية ، ربطا بين الدين والحياة ، وأنتم بذلك تدعمون موقف الأمة الإسلامية في مواجهتها العامـــة لتحـديات عصرها . فضلا عن أنكم تواصلون في هذا الصدد رسالة المجمع الذي قدم من أجلها في المؤتمرات السابقة نتائج طيبة وخطا في سبيلها خطوات ثابتة .

أيها الإخوة :

إذا كنا نجتمع اليوم من أجل دعم الكفاح ضـد العدوان الإسرائيلي على البلاد العربية ، فإننا لنبعث بها تحية من الأعماق إلى جنودنا المقاتلين والمرابطين من الفدائيين ورجال القوات المسلحة . . تحية الإكبار للدور البطولي الذي يقومون

به من أجل ديننا الحق وشعوبنا ، ونسأل الله أن يكون لنبضات فكرنا وخلجات أفئدتنا شرف المشاركة فى تحقيق الهدف الذى يقدمون له قطرات دمائهم الطاهرة الزكية.

ونبعثها دعوة إلى ربنا أن يتقبل شهداءنا فى مستقر رحمته.. أولئك الأبطال الذين وقعوا على الموت فى خطوط المواجهة، ويقع عليهم الموت فى الدور والمصانع وهم يعملون مخلصين من أجل حياة أفضل .

أيها الإخوة :

لم يمر وقت طويل منذ انعقاد مؤتمركم الأول ، ولا تزال كلمة السيد الرئيس جمال عبد الناصر التى وجهها إليكم فى ذلك المؤتمر ، هى النداء الذى يطيب لنا أن نستعيده « سيروا على بركة الله ، وليكن هذا المؤتمر هو البداية لجمع كلمة المسلمين على الخير والعمل من أجل السلام . . السلام القائم على الحق والعدل ، السلام الذى تصان به المبادىء وتزدهر الأرض ، وتحفظ الكرامة » .

أيها الإخوة :

قبل أن أترك مكانى هذا أذكر معكم أخا كريما وأستاذاً جليلا ظل يحمل قلمه فى يده ، وإيمانه فى قلبه ، وعلمه فى عقله ، وكلمة الحق على لسانه ، من أجل الإسلام والمسلمين . لقى ربه وهو يعد معنا لهذا المؤتمر ، فشاءت إرادة الله أن يختاره إلى جواره . إنه الأخ العالم الأستاذ الدكتور محمد عبد الله العربى عضو مجمع البحوث الإسلامية الذى عرفه المجمع شخصية إسلامية عالمية متعددة المواهب واضحة الهدف .

رحمه الله رحمة واسعة ، وتقبله فى الصالحين ، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير ما يجزى به علماءه العاملين .

أيها الإخوة :

إن شعوبنا تنتظر منا الكثير ، وتتطلع إلى قياداتها العلمية أن تبذل أقصى جهدها فى ترجمة الكلمة إلى عمل مصداقا لتوجيه الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه « قل آمنت بالله ثم استقم » ليكون من وراء الجهود المخلصة المؤمنة على الصعيد الإسلامى العالمى ما يعين على استرداد أرضنا ومقدساتنا السليبة ، والقضاء على العدوان الصهيونى ، والتغلب على قوى الاستعمار التى تحركه ، ونصرة ديننا فى معركته المصيرية العادلة ، ضد أعتى تكتل عدوانى تواجهه فى تاريخه المديد « وما النصر إلا من عند الله ، إن الله عزيز حكيم » .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

د . عبد العزيز كامل

من بحوث المؤتمر مرتبة حسب الالقاء :

الجهاد بالمال في نظر الإسلام

لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد عبد الله ماضي

عضــو المجمع

بسم الله الرحمن الرحيم :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ســـيد المرسلين ، وإمام المجاهدين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعــد :

فإن المؤمن إذا اكتمل إيمانه فآمن بالله حق الإيمان ، وآمن بالخير والحق والعدل والحرية والمساواة ، إذا آمن بالتعاليم الإلهية التي تدعو إلى إحقاق الحق وإبطال الباطل ، تمثل هــذا الإيمان المكين عملا صالحا في أن يهب المؤمن نفسه للجهاد في سبيل الله ، لتكون كلمة الله هي العليا ، ويسود الحق والعــدل ، وليقضى على الباطل والظلم .

والمؤمنون لا يقبلون الضيم ، ولا يرضون عن الباطل والظلم ، ولا يدخرون في سبيل الدفاع عن حقهم وحق الآخرين في الحياة الحرة الكريمة التي منحها الله لعباده وسواهم فيها ، لا يدخرون في سبيل ذلك جهــدا ولا وسعا ، ويعتبرونه رسالتهم في الحيــاة ، يؤدونها في رضا نفس وعن طيب خاطر ، وإن كلفهم أداؤها بذل النفس والمــال .

وهــذه هي الروح للمؤمنة الخـــيرة ، الحرة الكريمة في البذل ، الأبية القوية ، التي إذا اكتملت لإنسان أصبح أفضل الناس ، وإذا سادت في جماعة أصبحت سيدة الجماعات ، وهي الروح الإسلامية الحقة ، التي يعمل الإسلام لسيادتها بين البشر حتى تسود مبادىء الخير والحق والعدل والسلام .

ولهذا كان الجهاد عبادة ، بل أعلى مراتب

العبادة فى الإسلام إذ أن جهاد المؤمنين الراضين بالبذل فى سبيل الله فيه تهذيب لنفوسهم وصقل لها، وارتقاء بها إلى أعلى مراتب القربى من الله، وقد ورد عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال: قيل يا رسول الله ما يعدل الجهاد فى سبيل الله عز وجل؟ قال: لا تستطيعونه فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثا، كل ذلك يقول لا تستطيعونه، وقال فى الثالثة: « مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجع المجاهد فى سبيل الله » ولقد قال الله فى كتابه الكريم: «وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما، درجات منه ومغفرة ورحمة، وكان الله غفورا رحيما[1]».

ولا يحسبن أحد من الناس أن الجهاد فى سبيل الله لا يكون إلا فى ميدان القتال فكل معونة يقدمها المرء للمجاهدين فى الميدان، فهى جهاد فى سبيل الله، وكل إعداد وأهبة يعدها الفرد أو الأمة مقدما للجهاد إذا دعى الداعى للقتال، فهى جهاد فى سبيل الله.

[1] النساء ٩٥، ٩٦.

الدعوة إلى الجهاد فى سبيل الله:

ولقد دعا الإسلام إلى الجهاد فى سبيل الله أبلغ دعوة وآكدها، وحث المؤمنين على أدائه والقيام بحقه فى صور متعددة وبأساليب مختلفة، وكان مصدر اهتمام الإسلام بالدعوة إلى الجهاد إلى هذا الحد هو أن الجهاد فيه حياة الأمم وأنه يحفظ الحقوق والنظم السليمة.

ومن الصور البليغة المؤثرة فى الدعوة إلى الجهاد فى سبيل الله بالنفس والمال تلك الصورة التى تملك على المؤمنين زمامهم ومشاعرهم، وتثير فى نفوسهم الحمية والشجاعة وتجعلهم يتسابقون إلى البذل والتضحية جهادا فى سبيل الله وامتثالا لأمره وحبا فى الله ورسوله، تلك الصورة التى وردت فى قوله تعالى: « ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين، ولا ينفقون نفقة صغيرة

ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون [1] ».

ففى هاتين الآيتين ينعى الله على الذين تخلفوا عن الخروج للجهاد مع الرسول عليه الصلاة والسلام فى غزوة تبوك من أهل المدينة عاصمة الإسلام ومقر الرسول عليه السلام وممن حولهم من قبائل العرب ينعى عليهم تخلفهم ، ويبين لهم أن التخلف عن الرسول فى الخروج إلى الجهاد جريمة كبرى عند الله ، فالتخلف عن الجهاد فى نفسه جريمة يعاقب الله عليها ويحذر منها ، وهو إذا كان تخلفا عن الجهاد مع الرسول ازداد نكرا ، وكبر عند الله إثما ، لأن معناه حينئذ أن المتخلفين عن الجهاد من المسلمين يفضلون أنفسهم على نفس الرسول بصونها عن المشاق وبحفظها من التعرض لأخطار الجهاد فى الوقت الذى خرج فيه الرسول مجاهداً فى سبيل الله ، مستهينا بما يناله من مشقة أو يحل به من خطر فى سبيل الله .

وليس هذا الموقف مما يليق بالمؤمنين ولا مما يلتقى مع الإيمان بالله ورسوله لأن الإيمان يقتضى من المؤمنين أن يكون حبهم لله ورسوله أشد من حبهم لأنفسهم وأن يضحوا بأرواحهم فداء لرسول الله .

ويقول الأوزاعى وعبد الله بن المبارك وغيرهما من كبار التابعين : هذه الآية للمسلمين جميعا إلى أن تقوم الساعة ! بمعنى أن التخلف عن أداء واجب الجهاد مع ولى أمر المسلمين وقائدهم يعتبر خروجا على تعاليم الإسلام ورغبة عن سنة الرسول وعن التأسى به عليه السلام ، إذ أن من تعاليم الإسلام ومن سنة الرسول جهاد الأعداء المعتدين فى كل عصر وفى أى حال إلى يوم الدين .

وبهذا يؤكد الله سبحانه وتعالى فى الآيتين وجوب الجهاد فى سبيل الله بالنفس والمال ويحذر من التخلف عن الخروج جهادا مع الرسول عليه السلام أو مع قائد المسلمين حينما يهاجمهم الأعداء ويعتدون عليهم وعلى أوطانهم ومقدساتهم وفى حرماتهم وحقوقهم .

ثم بين الله تعالى ما أعده سبحانه لعباده المؤمنين المجاهدين من مثوبة كبرى ومن جزاء حسن ، عن كل ما يبذلون فى سبيل الله وعن كل ما يصيبهم من مشقة من عطش

---

[١] التوبة ١٢٠ ، ١٢١ .

أو تعب أو جوع أو غير ذلك من مشقات الجهاد، ومن بذل الأموال جهادا فى سبيل الله ومن مدافعة الأعداء وقهرهم والانتصار عليهم «ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين . ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون».

الجهاد فى سبيل الله أفضل ثمرات الإيمان وأقوى دليل على صدقه :

ألا وإن الجهاد فى سبيل الله ببذل النفس والمال إعلاء لكلمة الله ودفاعا عن الحقوق وعن الحرمات التى أمر الله بحفظها والدفاع عنها وبحمايتها من اعتداءات المعتدين، إن هذا الجهاد ثمرة من ثمار الإيمان بالله ورسوله والإيمان بما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام، بل هو أفضل ثمار الإيمان وآكدها دلالة على قوته وعلى تمكنه من نفوس المؤمنين تمكنا يدفعهم إلى التسابق فى بذل دمائهم وأموالهم فى سبيل الله وهم راضون واثقون بما وعدهم الله به من النصر وبما أعده لهم من النعيم المقيم

والله تعالى يقول : «إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون»[1].

وفى آية أخرى يتحدث الله عن المؤمنين الذين بلغوا درجة الكمال فى الإيمان، فباعوا الله أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة وجاهدوا فى سبيل الله .. سبيل الحق والعدل الموصلة إلى مرضاته تعالى، فيبذلون أنفسهم وأموالهم فى هذه السبيل، ينزلون ميدان الجهاد بشجاعة وقوة، فيكونون إما قاتلين لأعداء الله الصادين عن سبيله المعتدين على حرماته، منتصرين عليهم وإما مقتولين شهداء فى سبيل الله فائزين بالشهادة وبأجرها العظيم عند الله .

فيقول الله تعالى فى شأن هؤلاء المؤمنين المجاهدين : «إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم»[2].

---

[١] الحجرات ١٥
[٢] التوبة ١١١

فهؤلاء المؤمنون حق الإيمان المجاهدون في سبيل الله كرمهم الله هـذا التكريم، وأثابهم على بذل أنفسهم في سبيله بتمليكهم الجنة دار النعيم المقيم والرضوان الدائم لطفا منه تعالى وكرما، وتكريما لعباده للمؤمنين المجاهدين، فهم يجاهدون ويقاتلون في سبيل الله، لا حبا في سفك الدماء، ولا رغبة في اغتصاب الحقوق والأموال، ولا سعيا إلى ظلم العباد وقهرهم وإخضاعهم للأهواء والشهوات كما يفعل المعتدون الظالمون، كرم الله عباده المؤمنين المجاهدين في سبيله هذا التكريم وتفضل سبحانه فأعطى على نفسه العهد المؤكد به في كتبه المنزلة في التوراة والإنجيل والقرآن « ومن أوفى بعهده من الله »، وهذه هي البشرى العظيمة التي يجدر بالمؤمنين المجاهدين أن يفرحوا بها وأن يستبشروا « وذلك هو الفوز العظيم » الذي لا يتعاظمه ولا يدانيه فوز، هذا فوق ما وعد الله به عباده المؤمنين المجاهدين العاملين بمبادىء الإسلام من النصر المؤكد « وكان حقا علينا نصر المؤمنين »[1].

الجهاد بالمال واجب دائما وفي كل حال :

وإذا كان الله قد أمرنا، معشر المسلمين أن نجاهد في سبيل الله بأموالنا وأنفسنا عملا بقوله تعالى : « انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون »[1] وإذا كان الجهاد في سبيل الله يرتكز على دعامتين اثنتين – الجهاد بالنفس والجهاد بالمال – إذا كان الأمر كذلك فإن الجهاد بالنفس له وقت معلوم فهو لا يكون إلا عند مباشرة القتال، وهو لا يصبح فرض عين على كل قادر عليه من المسلمين إلا عند النفير العام ؛ حينما يعتدى المعتدون علينا وعلى أوطاننا، أما الجهاد بالمال على المقتدرين من أبناء الأمة الإسلامية فهو واجب على الدوام وفي جميع الظروف والأحوال، لأن إعداد القوة والاستعداد والتهيؤ لمدافعة الأعداء وصد العدوان أمر واجب على الدوام وفي جميع الأحوال، وهو لا يتم إلا ببذل الأموال وإنفاقها جهادا في سبيل الله، والله سبحانه وتعالى يقول : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن

---

[١] الروم ٤٧

[١] التوبة ٤١

رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون»[1].

وبذلك يأمر الله عباده المؤمنين أمرا صريحا قاطعا بأن يأخذوا الأهبة، وبأن يعدوا العدة والقوة اللازمة لحرب الأعداء وقهرهم ما استطاعوا، ما دامت الحرب الوقائية أمراً لازما لا مندوحة عنه لدفع العدوان والشر، وحماية الأوطان والأرواح، والمعتقدات والمقدسات والأموال والحرمات.

وإعداد القوة يكون بإعداد الجيوش اللازمة وتدريبها وإمدادها بكل مايلزمها ويرفع مستواها الحربى، وبإعداد كل وسائل القوة الحربية من الأسلحة المختلفة اللازمة لحرب العدو وقهره برا وجوا وبحرا بما يناسب العصر ويلاحق التطور السريع فى فنون الحرب وأسلحته ومخترعاته، فالأمر بإعداد القوة فى الآية أمر عام يشمل كل ما يتقوى به على حرب العدو وقهره، فكل ما هو آلة للغزو والجهاد فهو من جملة القوة المطلوب إعدادها بأقصى قدر مستطاع، ولا يتم شىء من هذا إلا عن طريق الجهاد بالمال ببذل الأموال وإنفاقها فى سبيل الله.

كذلك يطلب الله إلى عباده المؤمنين فى هذه الآية اليقظة الدائمة والحذر والعمل على حفظ الثغور والحدود والمراقبة والمرابطة فيها ووضع الحاميات من الجند بها حتى نكون على استعداد دائم لحماية أنفسنا وأوطاننا وحتى لا نؤخذ على غرة ولا نمكن العدو من أن يفاجئنا بما نكره وإذا تم لأمتنا إعداد القوة على هذا الوجه كان ذلك سببا لإرهاب الأعداء، المجاهرين منهم بالعداوة والمستخفين الأمر الذى يجعلهم يتهيبون حربنا والاعتداء علينا، والذى يمكننا بعون الله من قهرهم وغلبتهم إذا بدءونا بالقتال.

وإعداد القوة على الوجه المطلوب يحتاج كما ذكرنا إلى الجهاد بالمال وبذله وإنفاقه فى سبيل الله لتجهيز الجيوش وإمدادها بالأسلحة اللازمة وأدوات الحرب المطلوبة وهذا واجب المسلمين والمواطنين جميعا، الذى يطلب الله إليهم أداءه ويعدهم بالمثوبة والجزاء الأوفى على الوفاء به.

---

[1] الأنفال : ٦٠ .

ولهذا عقب الله على الأمر بإعداد القوة حسب الاستطاعة وبالمرابطة فى سبيل الله وحشد الحاميات فى الثغور وعلى الحدود وأخذ الأهبة والحيطة، عقب الله على الأمر بهذا بالدعوة إلى الإنفاق فى سبيل الله والترغيب فيه فقال: «وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون» أى ومهما تنفقوا أيها المؤمنون من شىء فى سبيل الله أيا كان هذا الشىء، نقداً كان أو غير نقد، قليلا كان أو كثيرا فى إعداد القوة المطلوب إليكم إعدادها وفى المرابطة فى سبيل الله يعطكم الله جزاء ما أنفقتم وافيا تاما، لا ينقصكم منه شيئا، بل سوف يضاعف الله للشهيد منكم فى سبيله المثوبة والأجر فى الدنيا والآخرة، فينصرهم على أعدائهم وسينصر الحق على أيديهم وسيدخر لهم الأجر العظيم والنعيم المقيم فى الآخرة.

على هذا النحو وبهذا الأسلوب المعجز رغب الله عباده المؤمنين فى الإنفاق فى سبيل الله وفى الجهاد بالمال لإعداد القوة حسب الاستطاعة ولسد نفقات المرابطة فى سبيل الله حماية للحق وأهله من بغى أهل الباطل وظلمهم، والذى لا شك فيه أنه كلما أعددنا ما استطعنا من القوة، وكلما كنا على أهبة ويقظة كلما فت ذلك فى عضد الأعداء ولعلهم يترددون فى مهاجمتنا والاعتداء علينا ويحسبون لذلك ألف حساب وإن هم اندفعوا بعد ذلك فى طريق العدوان وابتدءونا بالحرب كنا لهم بالمرصاد، واستطعنا بإيماننا وبعدتنا وقوتنا التى أعددناها أن ننتصر عليهم ونقهرهم ونردهم على أعقابهم خاسئين، والذى لا شك فيه كذلك أن إعداد القوة الذى أمرنا الله به، والذى لا يتم إلا بإعداد الجيوش وتدريبها وإمدادها بكل ما يلزمها من العتاد والأسلحة بأنواعها المختلفة، وغير ذلك مما يلزم الجيوش الحديثة على الوجه المطلوب، الذى لا شك فيه كذلك أن إعداد القوة على الوجه الذى أشرنا إليه يحتاج إلى الأموال الكثيرة والنفقات الطائلة، الأمر الذى يوجب على جميع أفراد الأمة الجهاد بالمال وبذل ما يكفى للإعداد المأمور به فى الآية فإن هم قصروا فى ذلك ولم يبذلوا الأموال اللازمة للجهاد طوعا، كان على ولى الأمر أن يتخذ من الإجراءات ما يلزم به المقتدرين ببذل الأموال الكافية والنفقات التى لا بد منها لإعداد القوة المطلوبة.

دعوة المؤمنين إلى الجهاد بالمال والإنفاق فى سبيل الله :

وفى هذا الأسلوب الحازم القوى المعجز يوجه الله الخطاب إلى عباده المؤمنين ويدعوهم إلى الإنفاق فى سبيل الله وإلى الجهاد بالمال فيقول : « ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغنى وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم[1] » .

ولقد جاءت هذه الآية الكريمة فى أعقاب آيات أخر طلب الله فيها إلى المؤمنين أن يجاهدوا فى سبيل الله وأن يطيعوا الله ورسوله وأن يسيروا قدما فى أداء الواجب بأمانة وإخلاص ، كما طلب إليهم ألا يضعفوا عن حماية الحق ولا عن الدفاع عن أنفسهم وعن حقوقهم وحرماتهم وألا يعطوا الدنية من أنفسهم ، فيستسلموا للأعداء ويقصروا فى الجهاد فى سبيل الله مهما كانت الظروف المحيطة بهم ، فعليهم أن يتشجعوا ويصبروا ، وأن يستبسلوا فى الجهاد ، ويضعوا نصب أعينهم دائما أنهم الأعلون بحقهم وإيمانهم ، وأن الغلبة لهم فى النهاية ، وأن الله معهم ، فهو ناصرهم ومؤيدهم بلا ريب ما داموا على الحق ومع الحق ، ومن كان الله معه فلن يغلبه شىء ، وإذن ، تنبهوا أيها المؤمنون « فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم »[1] .

ثم عقب الله بعد ذلك بهذه الدعوة الحارة إلى الإنفاق فى سبيل الله وإلى الجهاد بالمال ، وحذر المؤمنين من التقاعس عن المبادرة إلى القيام بهذا الواجب المقدس ، ومن التقصير فى أدائه ، مبينا لهم أن هناك طائفة من ضعفاء الإيمان تجنح إلى البخل عن تقصير وسوء تقدير ، وهى غافلة عن أن البخل والإمساك عن الإنفاق فى سبيل الله وعن الجهاد بالمال سوف يعود حتما على البخلاء والمقصرين أنفسهم دون غيرهم فالله حينما يدعوهم إلى البذل والإنفاق إنما يدعوهم إلى ما ينفعهم ويدفع الضر عنهم حيث إنهم حينما يستجيبون ويجاهدون بأموالهم فى سبيل الله فهم بذلك إنما يدافعون عن أنفسهم وعن حقوقهم ، وعن كرامتهم وشرفهم ، وهم بذلك أيضا يضعون أنفسهم فى الموضع الكريم الذى يقوم بأعباء الرسالة التى كلف الله بها

[١] محمد ٣٨ .

[١] محمد ٣٥ .

عباده المؤمنين ، رسالة الإصلاح والحق والحرية والسلام ، رسالة الإسلام .

فالله لا يريد بهذه الدعوة إلى الإنفاق في سبيل الله إلا مصلحة المنفقين وخيرهم وحدهم ، فالله ليس بحاجة إلى أحد ، وهو الغنى عن العباد ، فهو مالك الملك ومدبر الأمر ، وهو القاهر فوق عباده وهو الرزاق ذو القوة المتين ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغنى وأنتم الفقراء .

ثم وجه الله الخطاب بعد هذا إلى أولئك المقصرين محذرا لهم مبينا أنهم إن أعرضوا عن الإيمان والتقوى وإن قصروا في أداء حقهما ، وإن تقاعسوا عن تلبية الدعوة إلى الإنفاق في سبيل الله والجهاد بالنفس والمال ، فالله قادر على أن يديل دولتهم وينهى أمرهم فهذه هي عاقبة من يعرض عن ذكر الله وعن طاعته ومن يقصر في الدفاع عن نفسه وعن الحق الذى يؤمن به والله سبحانه بعد هذا قادر على أن يجعل مكان المقصرين بعد القضاء عليهم قوما آخرين يؤمنون بالله وبرسالاته ، ويطيعون أوامر الله فينصرون الحق ويحاربون الظلم وأهله ويقضون على الفساد والمفسدين ، ويجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فتكون لهم عاقبة الدار ، وصدق الله العظيم : «وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم» .

الدعوة إلى الإنفاق في سبيل الله المقترنة بالتحذير من التخلف :

وفى أسلوب آخر يقرن الله الدعوة إلى الإنفاق في سبيل الله ، وإلى الجهاد بالمال بالتحذير الجاد الحازم من التقصير في القيام بهذا الواجب الحيوى ، فيقول تعالى : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين ، وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين »[1] ، ففى هذا المقام أمر الله عباده المؤمنين أولا : بأن يدفعوا العدوان عن أنفسهم ، وأن يردوا الاعتداء عنه ، ردعا للمعتدين ، وحماية للحقوق والأموال والأنفس والأوطان ، ومنعا للفتنة ، وحفظا للنظام العام والسلام .

ثم لما كان القتال والجهاد بالنفس متوقفا على الجهاد بالمال ، عقب الله على ذلك بأمرهم بالإنفاق في سبيل الله جهادا منهم بأموالهم لإعداد القوة التى يجب عليهم أن يعدوها

[١] البقرة : ١٩٤ ، ١٩٥ .

لمنازلة الأعداء وقتال المعتدين وحذرهم من عاقبة التقصير فى القيام بهذا الواجب مبينا لهم أن تقصيرهم فى الإنفاق فى سبيل الله وفى الجهاد بالمال إنما هو إلقاء منهم بأيديهم إلى التهلكة ، وذلك أن إمساكهم عن الإنفاق فى الاستعداد للقتال يضعف جانبهم ويزيد الأعداء قوة ويمكنهم من نواصيهم فيهلكون

فعلى المؤمنين إذن أن يحذروا عاقبة التقاعس عن الجهاد بالمال ، وأن يجيبوا داعى الله فيبادروا إلى الإنفاق فى سبيل الله وعليهم أيضا أن يثمروا الأموال وينموها ليكونوا دائما على استعداد لأن ينفقوا فى سبيل الله ، فهم إذا لم يبذلوا فى سبيل الله وتأييد دينه ، وفى سبيل الحق والدفاع عنه كل ما يستطيعون من مال واستعداد فقد أهلكوا أنفسهم على ما بينا .

ويقول القرطبى فى تفسير هذه الآية شارحا معنى التهلكة : « وقال حذيفة ابن اليمان وابن عباس وعكرمة وعطاء ومجاهد وجمهور الناس : المعنى لا تلقوا بأيديكم بأن تتركوا النفقة فى سبيل الله ، وتخافوا العيلة (أى الفقر) ، فيقول الرجل ليس عندى ما أنفقه ، ويقول السدى : أنفق ولو عقالا ولا تلق بيدك إلى التهلكة فتقول : ليس عندى شىء ، ثم يعقب القرطبى بعد كلام طويل فيقول : أى إن لم تنفقوا عصيتم الله وهلكتم .

وعلى هذا النحو فهم الآية وفسرها الصحابى الجليل أبو أيوب الأنصارى رضى الله عنه الذى قضى حياته كلها مجاهدا فى سبيل الله ، فقد روى الترمذى عن يزيد ابن أبى حبيب عن أسلم أبى عمران ، قال : كنا بمدينة الروم (يقصد مدينة القسطنطينية عند مهاجمة المسلمين لها على عهد معاوية رضى الله عنه سنة ٤٩ أو سنة ٥٠ للهجرة على اختلاف فى الرواية) ، فأخرجوا إلينا صفا عظيما من الروم ، فخرج إليهم من المسلمين مثلهم أو أكثر ، وعلى أهل مصر عقبة بن عامر ، وعلى الجماعة فضالة بن عبيد ، فحمل رجل [1]

[١] ولعل هذا الرجل هو عبد العزيز بن زرارة الكلابى ، حيث روى ابن الأثير فى هذا المقام فى أحداث سنة ٤٩ للهجرة عند مهاجمة المسلمين القسطنطينية على عهد معاوية رضى الله عنه ، فيقول : « فاقتتل المسلمون والروم فى بعض الأيام واشتدت الحرب بينهم فلم يزل عبد العزيز بن زرارة الكلابى يتعرض للشهادة فلم يقتل فأنشأ يقول :
قد عشت فى الدهر أطواراً على طرق
شتى فصادفت منها اللين والبشعا =

من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم فصاح الناس وقالوا : سبحان الله ! يلقى بيديه إلى التهلكة ! فقام أبو أيوب الأنصارى فقال : يا أيها الناس ! إنكم تتأولون هذه الآية هذا التأويل ، وإنما أنزلت هذه الآية فينا معاشر الأنصار لما أعز الله الإسلام ، وكثر ناصروه ، فقال بعضنا لبعض سراً دون رسول الله ﷺ ، إن أموالنا قد ضاعت وإن الله قد أعز الإسلام ، وكثر ناصروه ، فلو أقمنا فى أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها ؟ ! فأنزل الله على نبيه ﷺ يرد علينا ما قلنا « وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » ، يقول أبو أيوب رضى الله عنه : فكانت التهلكة الإقامة على أموالنا وإصلاحها وتركنا الغزو فما زال أبو أيوب شاخصا فى سبيل الله حتى دفن بأرض الروم رضى الله عنه وأرضاه .

ويزيد صاحب المنار الأمر بيانا ، فيبين أن إصلاح الأموال واستثمارها أمر لابد منه فى نظر الإسلام ، من حيث إنه الأساس للإنفاق فى سبيل الله ، ولقضاء ما يتطلبه الصالح العام ، وهو كذلك الأساس لإعداد القوة التى يطالبنا الله بها فقوى الدول على قدر ثروتها ، ومن هنا فإن الأمة التى تقصر فى توفير ثروتها وتنميتها هى التى تلقى بأنفسها إلى التهلكة ، والأمة التى تقصر فى الإنفاق فى سبيل الله للاستعداد لقتال من يعتدى عليها تكون أدنى إلى التهلكة ، ومع هذا فلا ثروة مع الظلم واعتداء المعتدين الذين لا يمكن للمعتدى عليه أن يردهم ويردعهم .

أما قول الله تعالى فى آخر الآية : « وأحسنوا إن الله يحب المحسنين » فهو أمر بالإحسان على عمومه ، أى وأحسنوا كل أعمالكم وأتقنوها ، فلا تقصروا ولا تتركوا إتقان شىء منها ، ويدخل فى ذلك بالأولى التطوع بالإنفاق وبذل المال جهاداً فى سبيل الله .

مضاعفة الأجر للمنفقين فى سبيل الله :

وفى قوله تعالى : « وقاتلوا فى سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه

= كلا بلوت فلا النعماء تبطرنى
ولا تخشعت من لأوائها جزعا
لا يملأ الأمر صدرى قبل موقعه
ولا أضيق به ذرعا إذا وقعا

ثم حمل على من يليه فقال فيهم : وانغمس بينهم ، فشجره الروم « أى طعنوه » برماحهم حتى قتلوه رحمه الله » .

ترجعون »[1] . فى هاتين الآيتين يطلب الله إلى عباده المؤمنين أمرين هامين يرتبط بهما حفظ وجود الأمم ودوام استقلالها وصيانة عزتها وكرامتها .

يطلب إليهم أولا أن يقاتلوا فى سبيل الله لإعلاء كلمة الله وتأييد دينه ونشر دعوته ولمدافعة المعتدين ولصيانة الأنفس والحقوق والأموال والأوطان والحريات والمقدسات من أن يعتدى عليها فكل هذا جهاد وقتال فى سبيل الله يأمرنا الله به ويفرضه علينا ويربط الله طلب القتال فى سبيل الله بتذكير المؤمنين وتحذيرهم حفزا لهممهم وعونا لهم على آداء الواجب فيقول : « واعلموا أن الله سميع عليم » فيذكرهم بأن الله لا تخفى عليه خافية ، فهو رقيب على عباده يسمع ما يقولونه ويعلم حقائق الأمور والأعمال والنوايا كما يعلم السر وأخفى ، فعلى عباده المؤمنين أن يذكروا هذا دائما حتى يعينهم ذلك على امتثال أوامر الله وأداء ما أوجبه عليهم دون تقصير ولا تأخير ، وبهذا أيضا يحذر الله المؤمنين من أن يقصروا فينزل بهم عقابه الذى ينزل بالمقصرين والمخادعين .

ثم يطلب الله ثانيا إلى عباده المؤمنين الإنفاق فى سبيل الله والقيام بأداء النفقات التى يتطلبها القتال اجتهاداً منهم فى سبيل الله بأموالهم ، يطلب الله إليهم هذا ويحثهم على القيام به فى أسلوب من الترغيب بلغ حد الروعة والإعجاز فيقول معقبا على الأمر بالقتال فى سبيل الله : « من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون » فطلب سبحانه الإنفاق فى سبيل الله والجهاد بالمال بذلك الأسلوب الذى يحفز الهمم ويجعل المؤمنين يتسابقون إلى تلبية الطلب ، طلبه بأسلوب الاستفهام تلطفا منه بعباده وبيانا للأهمية ولم يطلبه بصيغة الأمر المجرد ولا بصيغة الأمر المقرون ببيان الحكمة وبالتنبيه إلى الفائدة ، كما اقتضى المقام ذلك فى مواضع أخرى .

كذلك جعل الله البذل والجهاد بالمال بمثابة الإقراض له ، وهو الغنى عن العالمين ، الذى له ملك السماوات والأرض وما بينهما ، وينبه القرطبى فى هذا المقام :

---

[١] البقرة : ٢٤٤ ، ٢٤٥ .

إلى أن التعبير عن الإنفاق فى سبيل الله بالإقراض لله إنما هو تأنيس وتقريب للناس بما يفهمونه ، والله هــو الغنى الحميد ، ولــكنه تعالى شبه عطاء المؤمن فى الدنيا بما يرجو به الثواب فى الآخرة بالقرض ، كما شبه إعطاء النفوس والأموال فى مقابل أخذ الجنة بالبيع والشراء ، بمثل ما جاء فى قوله تعالى فى سورة التوبة : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعــداً عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعــكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم »[1] .

وأيضا فإنه لم يكتف سبحانه بتسمية الإنفاق فى سبيل الله إقراضا لله ، ولا بالتعبير بصيغة الاستفهام حتى قال : « فيضاعفه له أضعافا كثيرة » فصرح بأنه سوف يجزل العطاء الــكثير للمنفق ، وأنه لا يرد له مثل ما أنفق فقط كما هو الشأن فى الإقراض ، بل سوف يعطيه أضعاف أضعافه من غير تحديد ، ويقــول القرطبى : « إنه ورد فى الخبر « النفقة فى سبيل الله تضاعف إلى سبعمائة ضعف فأكثر » والآية تقول : « فيضاعفه له أضعافا كثيرة » وهــذا لا نهاية له ولا حد .

ويجدر بنا أن نوضح أن المضاعفة إلى أضعاف كثيرة التى وعد الله بها المنفقين فى سبيله تــكون فى الدنيا أيضا كما تكون فى الآخرة ، فإن المجاهد ببــذل المال والنفس فى سبيل الله لتــكون كلمــة الله هى العليا ولتعزيز مكانة الأمة ولحفظ حقوقها وكرامتها ولصد الأعداء المعتدين والدفاع عن الأوطان والمقدسات يكون بذلك فى الواقع ونفس الأمر مدافعا عن نفسه وأهله وحافظا لحقوقه وحقوقهم ، وفى ذلك ما فيه الخير الــكثير ومن مضاعفة الجزاء الحسن فى الدنيا للمنفقين فى سبيل الله على ما أنفقوا أضعافا كثيرة دون تحديد « والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم » .

وما أصدق صاحب المنار حيث يقول فى تفسير الآية : « لو سرنا فى الأرض وسبرنا أحــوال الأمم الحاضرة وعرفنــا تاريخ الأمم الغــابرة لرأينا كيف ماتت الأمم التى قصرت فى هــذه الفريضة أو استعبدت ، وكيف عزت الأمم التى شمرت فيها وسعدت ، وهذه المضاعفة الدنيوية

---
[1] التوبة ١١١

تكون لكل أمة أقامت هذه السنة الإلهية فى حفظ بيئتها وإعزاز سلطانها .

فعلى المسلمين أن يجيبوا داعى الله وأن يبادروا إلى الإنفاق فى سبيله وعليهم أن يتدبروا هذه الآية التى لو أنزلت على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله والحياء منه .

ثم يختم الله تلك الدعوة المؤثرة إلى الإنفاق فى سبيل الله بما يشجع المؤمنين على الاستجابة إليها ، فيذكرهم ويحذرهم ، فيقول : « والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون » فعليهم إذن أن يذكروا دائما أن الأمر كله بيد الله فليس حضه للأغنياء على الإنفاق فى سبيل الله عن حاجة به أو عجز منه سبحانه وتعالى ، كلا ! بل هى هداية الله للإنسان إلى طريق الشكر على النعم بما يحفظها ويؤدى إلى المزيد منها ، فعلى أولى النعمة واليسار من عباد الله أن يتدبروا هذا ويذكروه ، وأن يعلموا أن مصيرهم ومرجعهم إلى الله وأنه سيجزى كلا بعمله ، إن خيرا فخير وإنه شرا فشر .

فالله سبحانه بمنه وفضله يرشد عباده المؤمنين بهذا الأسلوب المعجز من الترغيب إلى أن يقرضوا الله قرضا حسنا خالصا لوجهه الكريم بعيدا عن الرياء ، وبحيث يكون على الوجه المشرق من إقامة الدين وحفظ مصالح المسلمين، بل ومصالح البشرية جميعها وبالطريق الذى يقرره الإسلام ، يرشد الله عباده الذين أنعم عليهم بفضل من النعمة والمال ، ويهديهم إلى ما ينفعهم فى الدنيا والآخرة ، فيطلب اليهم أن يبذلوا مما رزقهم من الأموال فى الجهاد فى سبيل الله وفى المصالح العامة التى فيها مصالحهم الخاصة ، وفيها صلاح أحوالهم وحفظ شرفهم والدفاع عن حقوقهم وكراماتهم وأوطانهم واستقلالها ، يرشدهم إلى أن ينفقوا فى سبيل الله ، وسبل الله كثيرة ، وأعظمها الجهاد لتكون كلمة الله هى العليا .

ومما يجدر الإشارة إليه وتسجيله فى هذا المقام ذلكم الموقف الرائع المنبىء عن الإيمان العميق بالله ورسوله وبما جاء به الرسول من عند الله رب العالمين ، ذلكم الموقف الذى وقفه الصحابى الجليل أبو الدحداح ، حيث يقول القرطبى عند تفسير الآية : وقال زيد بن أسلم : لما نزل قوله تعالى : « من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا » قال أبو الدحداح : فداك أبى وأمى يارسول الله ! إن الله يستقرضنا وهو

غنى عن القرض ؟ قال الرسول عليه الصلاة والسلام: «نعم يريد أن يدخلكم الجنة به» قال أبو الدحداح : فإنى إن أقرضت ربى قرضا يضمن لى به ولصبيتى الدحداح معى الجنة ؟ قال له الرسول : « نعم ؟ قال أبو الدحداح : « فناولنى يدك » فناوله رسول الله ﷺ يده فقال: إن لى حديقتين إحداهما بالسافلة والأخرى بالعالية ، والله لأملك غيرها ، قد جعلتهما قرضا لله تعالى ، قال رسول الله ﷺ : « اجعل إحداهما لله والأخرى دعها معيشة لك ولعيالك « قال : فأشهدك يارسول الله أنى قدجعلت خيرهما لله تعالى ، وهو حائط فيه ستمائة نخلة ، فقال له الرسول عليه السلام : « إذن يجزيك الله به الجنة » فانطلق أبو الدحداح حتى جاء زوجه أم الدحداح وهى مع صبيانها فى الحديقة تدور تحت النخل ، فأخبرها خبر تلك الصفقة التى عقدها مع ربه ، وأنشأ فى ذلك شعرا ينم عن الإيمان العميق والطاعة لله ورسوله التى لاحد لها ، فقالت له زوجه المؤمنة الصالحة : ربح بيعك بارك الله لك فيما اشتريت ! وأنشأت فى ذلك شعرا يفصح عن تجاوبها مع زوجها فى الإيمان والطاعة .

الإرتفاع بمستوى الإنفاق فى سبيل الله إلى مستوى الإيمان بالله ورسوله مع ذكر الدواعى الحافزة على الإنفاق :

وفى سورة الحديد يقول الله تعالى : « آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير ، وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين ، هو الذى ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور وإن الله بكم لرءوف رحيم ، وما لكم ألا تنفقوا فى سبيل الله ولله ميراث السموات والأرض لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعلمون خبير» [1] .

ففى مستهل هذه الآيات الكريمة تمت الدعوة إلى الإنفاق فى سبيل الله وإلى الجهاد بالمال فى أسلوب يرتفع بمستوى الإنفاق المطلوب فيضعه فى مستوى الإيمان بالله ورسوله فتقترن الدعوة إلى الإيمان بالله ورسوله بالدعوة إلى الإنفاق فى سبيل الله

[١] الحديد ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ .

ويأمر الله بهما معا فى سياق واحد ، ويرتب على طاعة الأمر فيهما معا الثواب العظيم والأجر الكبير : « آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير » .

فالله سبحانه وتعالى يطلب إلى عباده ويأمرهم بأن يصدقوا ويوقنوا بأن الله إله واحد وأن محمدا عبده ورسوله ، أرسله الله إلى الناس بالهدى ودين الحق ، وهذا هو لب الدعوة الإسلامية والرسالة المحمدية ثم يقرن الله هذا بالأمر بالإنفاق فى سبيل الله . فى جميع وجوه الطاعات وبخاصة الإنفاق فى الجهاد لإعداد الجيوش وتدريبها ولتوفير كل ما يلزمها من آلات الحرب ووسائل الدفاع ، دفاعا عن الأنفس والأموال وعن الحقوق والأوطان والأعراض ، وحماية لدين الله وإعلاء لكلمته .

ثم يوضح الله مالك الملك فى طلب الإنفاق أن للمؤمن حينما ينفق ويطيع الأمر فإنما ينفق من مال الله الذى جعل الله عباده مستخلفين فيه بفضل منه ومنة ، وهذا أدعى إلى الاستجابة وإطاعة الأمر ، وإلى بذل المال فى سبيل الله عن رضا وطيب خاطر إرضاء لله وإطاعة لأمره ، عملا على نيل المثوبة عنده فى الدنيا والآخرة « وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » .

فالمال إذن مال الله ، وهو الذى يملكه ويرزقه لعباده ، والعبد ليس له فى المال الذى يرزقه الله إياه إلا التصرف ، فإذا هو أحسن التصرف وتصرف فيه على الوجه الذى يرضى الله كان له عند الله الثواب الجزيل والأجر العظيم ، وإن فعل غير ذلك بأن أنفق المال فى السبل التى لا يرضى الله عنها ساءت عاقبته ونال جزاء عمله ، وفى مقام آخر يؤكد الله سبحانه أن المال مال الله ، ورزقه لعباده وطلب إليهم طاعته فى إنفاق ماله وحسن التصرف فيه ، فيقول تعالى : « وآتوهم من مال الله الذى آتاكم »[1] .

وبعد الدعوة إلى الإيمان بالله ورسوله وإلى الإنفاق فى سبيل الله عقب الله على هذه الدعوة بشطريها بما يحفز الهمم إلى المبادرة بالطاعة وتلبية الدعوة ، وبما لا يدع عذرا للمتخلفين والمقصرين ، ففيما يتعلق بالشطر الأول ، شطر الدعوة إلى الإيمان ، بين الله سبحانه أنه بعد أن أزيلت الموانع والمعوقات وبعد أن أرسل الله رسوله بخاتمة الرسالات

---

[١] النور ٣٣ .

هاديا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ، وبعد أن منحكم الله أيها المخاطبون عقولكم التي بها تفكرون وتتدبرون ، وبعد أن أقام عليكم الدلائل والحجج التي تدعو إلى متابعة الرسول وإلى الإيمان بما يدعو إليه ، فلا عذر بعد هذا كله يكون للمتخلفين منكم عن طاعة الأمر واستجابة النداء الذي يدعو إلى الإيمان بالله ورسوله ، وقد أوحى الله إليه بالقرآن معجزة الإسلام الكبرى ، ليخرجكم به من ظلمات الشرك والكفر إلى نور الإيمان والهداية : « وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور وإن الله بكم لرءوف رحيم ».

أما فيما يتعلق بالشطر الثاني، وهو الدعوة إلى الإنفاق وإلى الجهاد بالمال فقد عقب الله على ذلك بالتحذير الحازم، وواجه المخاطبين بما يتحملون من مسئولية ، مبينا لهم أنه ليس هناك ما يمنعهم من الإنفاق في سبيل الله من مال الله الذي آتاهم وأنعم عليهم به بعد أن أمرهم الله بالإنفاق ، فليس لهم عذر إذا هم قصروا وتقاعسوا عن الجهاد بالمال وعن الإنفاق فيما يقربهم من ربهم وهم يعلمون أنهم سيموتون ويتركون وراءهم الأموال التي يبخلون بها، وأن هذه الأموال صائرة بعد مماتهم إلى الله مالك الملك يجعلها بعد ذلك لمن يشاء من عباده ، وله سبحانه وحده ميراث السموات والأرض « وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والأرض ؟ » .

المنفقون في سبيل الله تتفاوت درجاتهم عند الله :

ولقد تلا هذا التعقيب على الدعوة إلى الإنفاق في سبيل الله وإلى الجهاد بالمال الذي سبق ذكره — تعقيب ثان له طابع آخر ، فبينما كان التعقيب الأول يأخذ طابع التنبيه والتحذير من التقصير ، فإن التعقيب الثاني يأخذ طابع الترغيب في الإنفاق وإثبات فضل المنفقين والمجاهدين بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وعظيم ثوابهم في كل ظروف وعلى أي حال لجميع هؤلاء المؤمنين المجاهدين بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله على اختلاف درجاتهم قد حققوا لأنفسهم الثواب العظيم والأجر الكبير، وارتفعوا بذلك درجات عند الله .

ثم تمم الله سبحانه هذا التعقيب الثانى ببيان أن الإنفاق والجهاد فى سبيل الله له عند الله درجات متفاوتة ، هذه الدرجات تقدر بقدر الحاجة الداعية إلى الإنفاق والجهاد بالنفس والمال ، فكلما كانت الحاجة ملحة والضرورة شديدة ملزمة والظروف المحيطة بالمؤمنين المعتدى عليهم أشد قسوة كلما ارتفعت درجات المنفقين المجاهدين بأموالهم وأنفسهم وعظم ثوابهم وزاد أجرهم عند الله .

ولقد ضرب الله لذلك مثلا بأولئك الأبطال المجاهدين من أولى العزم المؤمنين السابقين الذين أنفقوا وقاتلوا فى سبيل الله قبل فتح مكة ، وقبل أن يسود الإسلام فى جزيرة العرب بسقوط قلعة الشرك فى ذلك الوقت فى مكة بهذا الفتح المبين ، الذى دخل الناس به فى دين الله أفواجا فهؤلاء الأبطال المؤمنون السابقون ، المجاهدون المضحون فى سبيل الله قبل الفتح ، فى أوقات ضعف المسلمين وأوقات الشدة التى كانت نازلة بهم أرفع درجة وأعظم ثوابا عند الله وعند الناس من أولئك الذين أنفقوا وقاتلوا فى سبيل الله من بعد الفتح فى أوقات عزة الإسلام والمسلمين وقوتهم « وكلا وعد الله الحسنى » وفى هذا يقول قتادة ـ ما ذكره القرطبى « كان قتالان أحدهما أفضل من الآخر، ونفقتان إحداهما أفضل من الأخرى ، كان القتال والنفقة قبل فتح مكة أفضل من القتال والنفقة بعد ذلك .. وإنما كانت النفقة قبل الفتح أعظم لأن حاجة الناس كانت أكثر لضعف الإسلام ، وفعل ذلك كان حينئذ على المنافقين أشق والأجر على قدر النصب .

هذا وإنى أعتقد أنى لا أغالى فى القول إذا قررت أن الظروف والأحوال التى تحيط بنا الآن ، وأن الاعتداءات الظالمة الغاشمة التى تحل بنا على يد قوى الشر المتجمعة والتى نزلت وتنزل بنا على يد الصهاينة الأشرار تؤيدهم وتشد أزرهم قوى الاستعمار الطاغية بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية التى تقف من وراء إسرائيل تظاهرها وتمدها بالمال والسلاح والرجال، وبالتأييد السافر والمستتر فى كل المجالات ، أعتقد أنى أستطيع أن أقرر أننا فى هذه الظروف العصيبة ، والتى يتخاذل فيها المسلمون عن أداء واجبهم نحو دينهم ونحو الوطن الإسلامى الكبير ، ونحو إخوانهم الذين حلت بهم وبديارهم المحنة ووقع عليهم الاعتداء

مباشرة ، أنى أستطيع لكل ما سبق وغيره أن أقرر أن ظروف الحاجة والشدة التى نحن فيها الآن يمكن أن ترتفع بدرجات الإنفاق والقتال ودرجات المنفقين والمقـاتلين فى سبيل الله عن إخلاص ورضا إلى المستوى الرفيع عنـد الله ، وصـدق الله العظيم «لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعـد وقاتلوا وكلا وعـد الله الحسنى والله بما تعملون خبير » .

الوعيـد الشديد للـذين يقصرون فى الإنفاق فى سبيل الله :

أما هؤلاء الذين يقصرون فى أداء واجب الجهاد بالمال ، والذين يجمعون الأموال ويكنزونها ولا ينفقونها فى سبيل الله أداء لحق الله وامتثـالا لأمره ، أما هؤلاء الذين يعييهم حب المال وعبادة المال ، بحيث يجعلهم ذلك فى موقف التقصير والتخلف عن أداء الواجب ، أما هؤلاء فقد توعدهم الله وأنذرهم بما أعده لهم من عذاب أليم ، ولقد ورد فى هـذا آيات كثيرة من كتاب الله .

ففى سـورة التوبة يقول الله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله، والذين يـكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتـكوى بها جباههم وجنـوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تـكنزون » [١] .

ففى هذا — على ما اختاره السدى — تحذير شديد للمؤمنين المخاطبين بتلك الآية المبينة لحال أولئك الأحبار الذين صار جمع الأموال وخزنها والافتتان فى العمل على كثرتها ومضاعفتها أعظم همهم فى الحياة ، فالله يحذر عباده المؤمنين من أن يقعوا فى مثل هذا الضلال البعيد ،فيجمعوا الأموال ولا ينفقوها فى سبيل الله، يحذرهم الله من ارتـكاب هذا الجرم العظيم ، فإن عاقبـة الذين يكـنزون الذهب والفضة ويجمعون الأموال ثم يبخلون بها ولا ينفقونها فيما أمرنا الله بالإنفـاق فيه ، أو ينفقونهـا فى غير الوجوه المشروعة ، إن عاقبة هؤلاء

---

[١] التوبة ٣٤ ، ٣٥ .

هى الخسران المبين فى الدنيا والآخرة ، فى الدنيا حيث يضيعون ببخلهم وإمساكهم عن الإنفاق فى سبيل الله مصالح الأمة ويضيعون مع ذلك مصالحهم الخاصة ويكونون بموقفهم الذميم سببا للنكبات العامة والخاصة ، وفى الآخرة يوم يعذبون أشد العذاب بأموالهم التى جمعوها فى حياتهم والتى بخلوا بها ولم ينفقوها حيث أمرهم الله «يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم » وحين يقول لهم خزنة جهنم وملائكة العذاب الموكلون بهم توبيخا لهم وتقريعا :

« هــذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ».

وعلى هذا النحو وبهــذا الأسلوب القوى الشديد يتوعد الله المقصرين فى واجب الجهاد بالمال من أولئك الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله ، ويحذر عباده المؤمنين من ارتكاب مثل هــذا الجرم الأثيم ، ويدعوهم ويحضهم على الإنفاق فى سبيل الله.

وفى سورة آل عمران يقول الله تعالى محذرا من التقصير فى أداء واجب الجهاد بالمال ، وحاضاً على المباشرة بالقيام بهذا الواجب : « ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير »[1].

ففى تفسير هــذه الآية يقول الإمام الرازى : « اعلم أن الله تعالى لما بالغ فى التحريض على بذل النفس فى الجهاد فى الآيات المتقدمة شرع هنا فى التحريض على بذل المال فى الجهاد ، وبين الوعيد الشديد لمن يبخل يبذل المال فى سبيل الله .

فالله ينبه عباده فى هــذه الآية إلى أن ما بيدهم من أموال إنما آتاهم الله إياها من فضله ومن عنده ، « ولله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير » ، كما ينبههم إلى أن مآل هــذه الأموال التى بأيديهم ومصيرها إنما هو أيضا لله وحده ، فالله هو مالك الملك ، ومدبر الأمر « ولله ميراث السموات والأرض » .

والله ينبه عباده فى الآية كذلك إلى أنه لا تخفى عليه خافية ، فهو لا يخفى عليه أيها البخلاء ، امتناعكم عن البذل فى سبيل الله

[1] آل عمران ١٨٠.

شىء من دقائق أعمالكم ولا من مكنونات صدوركم، وهو سيجزيكم بما تعملون، بالخير خيرا وبالشر شرا «والله بما تعملون خبير».

إذن فعليكم أيها الباخلون بأموال الله التى منحكم إياها، والتى مصيرها ومآلها إليه وحده عليكم أن تتنبهوا، وأن تحذروا مخالفة أمر الله فى هذه الأموال ببخلكم بها وعدم إنفاقها فى سبيل الله كما أمركم وطلب إليكم، فإن عاقبة البخل بها ستكون وبالا عليكم وشرا مستطيرا وستكون أموالكم التى بخلتم بها ولم تطيعوا أمر الله فيها طوقا من نار يلازمكم وتطوقون به فى أعناقكم يوم القيامة جزاء وفاقا.

فأى دعوة إلى الجهاد بالمال وإلى الإنفاق فى سبيل الله أبلغ وأقوى من هذه الدعوة وأى تحذير من التقصير فى أداء هذا الواجب المقدس أبلغ وأشد من هذا التحذير؟

القدوة الحسنة فى الجهاد بالمال والإنفاق فى سبيل الله:

ولقد قدم لنا أسلافنا الأمجاد من كبار الصحابة رضوان الله عليهم القدوة الحسنة والمثل الطيب الذى يحتذى فى الجهاد بالمال والإنفاق فى سبيل الله، وكان فى مقدمة هؤلاء الأبطال المجاهدين بأنفسهم وأموالهم فى سبيل الله أبو بكر وعثمان رضى الله عنهما، وقد كان كل منهما من السابقين الأولين الذين سبقوا إلى الإيمان بالله ورسوله فتمكن الإيمان من نفوسهم والتزموا فى حياتهم وفى سلوكهم مبادىء الإسلام، يعملون بها فى خاصة أنفسهم، ويحملون الناس على اتباعها بسلوكهم الشخصى وبالدعوة لها والعمل على نشرها ولقد بلغ كل منهما فى ذلك للمنزلة السامية المرموقة بإيمانه وإخلاصه وعمله، حتى استحق أن يكون من أولئك الصفوة الذين بشرهم الرسول عليه الصلاة والسلام بالجنة، وكانت لكل منهما فى الإسلام المواقف المحمودة.

أما أبو بكر رضى الله عنه فقد كان له الفضل على سائر الأمة لسبقه فى الإيمان برسالة الإسلام، ولسبقه فى الجهاد بنفسه وماله فى سبيل الله، ولقد أخرج الإمام أحمد عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ما نفعنى مال قط مثل ما نفعنى مال أبى بكر) فبكى أبو بكر وقال: هل أنا ومالى إلا لك يا رسول الله؟ وتزيد بعض الروايات فتقول: (وكان

رسول الله ﷺ يقضى فى مال أبى بكر كما يقضى فى مال نفسه).

وأخرج الترمذى عن أبى هريرة أيضا قال : قال رسول الله ﷺ : (ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافأناه إلا أبا بكر فإن له عندنا يدا يكافئه الله بها يوم القيامة وما نفعنى مال أحد قط مثل ما نفعنى مال أبى بكر).

ومما يشهد لأبى بكر رضى الله عنه بالسبق فى الجهاد بالمال وفى الإنفاق فى سبيل الله ما أخرجه أبو داود والترمذى عن عمر رضى الله عنه قال : (أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق، فوافق ذلك مالا عندى، قلت : اليوم أسبق أبا بكر - إن سبقته يوما - فجئت بنصف مالى، فقال رسول الله ﷺ : ما أبقيت لأهلك ؟ قلت : مثله ، وأتى أبو بكر بكل ما عنده ، فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام : ما أبقيت لأهلك ؟ قال : أبقيت لهم الله ورسوله ! يقول عمر : فقلت لا أسبقه فى شىء أبدا).

وإذا أردنا أن نعرف مقدار سبق أبى بكر رضى الله عنه فى هذا الباب فحسبنا أن نعلم أنه كان له من المال يوم أن أسلم أربعون ألف درهم مدخرة من ربح تجارته وأنه ظل بعد إسلامه يتجر ويجنى الربح الوفير من التجارة ، فلما هاجر مع الرسول عليه السلام إلى المدينة بعد عشر سنوات لم يبق له من الدراهم من ذلك كله إلا خمسة آلاف ، أما سائر ما كان عنده من مال وقت أن أسلم وما ادخره من ربحه فى التجارة فيما بعد فقد أنفقه جميعه فى سبيل الله، أنفقه فى الدعوة لدينه ولرسوله ، وفى حماية ضعفاء المسلمين من الأرقاء الذين كان يسومهم المشركون أشد العذاب لدخولهم فى دين الله فقد كان يشتريهم أبو بكر من ماله وينقذهم من العذاب ثم يعتقهم ويهبهم حريتهم لوجه الله .

ولقد أخرج أبو سعيد بن الاعرابى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : أسلم أبو بكر رضى الله عنه يوم أسلم وفى منزله أربعون ألف درهم فخرج إلى المدينة فى الهجرة وماله لم يكن غير خمسة آلاف، كل ذلك ينفقه فى الرقاب والعون على الإسلام ، وأخرج ابن عساكر عن عائشة رضى الله عنهما : « أن أبا بكر أعتق سبعة كلهم يعذب فى الله » .

هذا وفى تفسير قوله تعالى: « لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا

وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير »[١] . يقول القرطبي : وقال الكلبي : نزلت في أبي بكر رضي الله عنه ، ففيها دليل واضح على تفضيل أبي بكر رضي الله عنه ، وتقديمه ، لأنه أول من أسلم ، ولأنه أول من أنفق على نبي الله ﷺ .

ثم يستطرد القرطبي فيقول : « وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كنت عند النبي ﷺ وعنده أبو بكر وعليه عباءة قد خللها في صدره بخلال[٢] (يعني أمسك طرفي العباءة التي ليس له ما يلبسه غيرها وشد بعضهما إلى بعض بخلال أي بعود) فنزل جبريل فقال : يا نبي الله ! مالي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خللها في صدره بخلال ؟! فقال : « قد أنفق عليّ ماله قبل الفتح ، قال : فإن الله يقول لك : أقرأ على أبي بكر السلام وقل له : أراض أنت في فقرك هذا أم ساخط ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا بكر إن الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول : أراض أنت في فقرك هذا أم ساخط ؟ فقال أبو بكر أأسخط على ربي ؟! إني عن ربي لراض !! إني عن ربي لراض ! إني عن ربي لراض ، قال : « فإن الله يقول لك : قد رضيت عنك كما أنت عني راض . فبكى أبو بكر ، فقال جبريل عليه السلام : والذي بعثك بالحق يا محمد ، لقد تخللت حملة العرش بالعبي منذ تخلل صاحبك هذا بالعباءة » ثم يستطرد القرطبي فيقول : ولهذا قدمته الصحابة على أنفسهم وأقروا له بالسبق .

ولقد روى عن ابن مسعود وابن عباس وعبد الله بن الزبير وغيرهم أن قوله تعالى في سورة « والليل » : « فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى » وقوله في نفس السورة « وسيجنبها الأتقى الذي يؤتى ماله يتزكى ، وما لأحد عنده من نعمة تجزى ، إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى » روى عن هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم وعن غيرهم أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر رضي الله عنه ، وبهذا يقول عامة المفسرين .

وهكذا يحوز سيدنا أبو بكر رضي الله عنه قصب السبق في الإيمان بالله ورسوله ، وفي الجهاد بالمال بالبذل والإنفاق في سبيل الله

[١] الحديد : ١٠ .
[٢] يقول صاحب القاموس المحيط في مادة خل : يقال خل الكساء إذا شد بخلال ككتاب وذو الخلال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لأنه تصدق بجميع ماله وخل كساءه بخلال .

ويعطى فى ذلك كله القدوة الحسنة والمثل الطيب الذى يحتذى ، وينال بهذا عند الله وعند الناس المنزلة التى لم ينلها غيره ، فهو « الذى يؤتى ماله يتزكى ، وما لأحد عنده من نعمة تجزى ، إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى ».

وأما عثمان رضى الله عنه فقد كانت له كذلك المواقف المحمودة فى الإسلام وفى الجهاد بالمال والإنفاق فى سبيل الله ، ومن أجل هذه المواقف وأحمدها وأفضلها تجهيزه رضى الله عنه لجيش العسرة .

وذلك فى غزوة تبوك التى وقعت فى رجب من السنة التاسعة للهجرة ، وهى آخر غزوة من غزوات رسول الله ﷺ ، فقد وصل إلى علم الرسول أن دولة الروم تعد العدة لغزو حدود العرب الشمالية ، آملة من وراء ذلك أن تحد من هذا النفوذ الإسلامى العربى الذى استفحل خطره بعد فتح مكة وبعد أن دخل الناس فى دين الله أفواجا والذى شمل كل ناحية من شبه الجزيرة العربية ، وأخذ يزحف فى كل اتجاه ليتاخم سلطان الروم فى الشام وسلطان الفرس فى الحيرة من بلاد العراق ، وليحرر بلاد العرب من النفوذ الأجنبى ، وصل إلى علمه عليه السلام أن دولة الروم تعد العدة لهذا الغرض ، وأن القيصر هرقل قد جمع الجموع الكثيرة وزودها بالعتاد والعدة ورمى بها إلى الحدود بين بلاد الشام وشبه الجزيرة استعدادا للغزو.

فلم يتردد رسول الله عليه الصلاة والسلام لحظة فى تقرير مواجهة هذه القوى بنفسه والقضاء عليها ، حتى يحمى الحدود العربية من اعتداءات المعتدين ، ويؤدبهم بما يجعلهم يفقدون كل أمل فى غزو العرب أو فى التعرض لهم ، وكان الوقت وقت حرارة وقيظ شديد ووقت جدب وقحط كما أن الشقة من المدينة إلى بلاد الشام طويلة شاقة تحتاج إلى الجلد والصبر وتحتاج إلى المؤونة وإلى الماء ، ولهذا رأى النبى عليه السلام أن يطالع الناس بعزمه على السير إلى الروم وقتالهم حتى يأخذوا لذلك عدتهم وأهبتهم ، وحتى لا يفاجأوا بما يثقل عليهم ، فتكون المفاجأة سببا فى إضعاف هممهم وحماستهم ، فعل ذلك على خلاف عادته فى الغزوات السابقة ، حيث كان لا يفصح عن غرضه عند المسير إلى الغزو احتفاظا بالأسرار ، وحتى لا يعلم العدو بوجهته فيحتاط للغزو .

فأعلن النبي ﷺ عن مسيره لقتال الروم ، وأرسل فى القبائل جميعها يدعوها للتهيؤ لإعداد أكبر جيش يمكن إعداده ، كما أرسل إلى سراة المسلمين ليشاركوا فى تجهيز هذا الجيش بما آتاهم الله من فضله .

فأقبل المؤمنون الصادقون الذين لم يخالط النفاق قلوبهم يتسابقون فى تلبية النداء الذى وجهه إليهم النبي عليه الصلاة والسلام ، فتقدم الأغنياء وذوو اليسار منهم فأنفقوا لتجهيز الجيش نفقة عظيمة ، كل فى حدود طاقته ، كما تقدم كل قادر على نفقة نفسه فاشترك فى جيش العسرة بنفسه وبعدته ونفقته ، كذلك أقبل الكثيرون من الفقراء يريدون أن يحملهم النبي عليه السلام معه ويهيىء لهم وسائل الاشتراك فى الجهاد والمسير معه فى الغزو لحمل من استطاع واعتذر إلى الباقين وقال : لا أجد ما أحملكم عليه ، فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون ، واجتمع للنبي ﷺ فى هذا الجيش ثلاثون ألفاً من المسلمين ، وسمى الجيش جيش العسرة ، أى الشدة والضيق ، وذلك لشدة الظروف والأحوال التى كان فيها المسلمون وقت الشروع فى غزوة تبوك ، من شدة الحر وقلة الطعام والماء .

أما عثمان رضى الله عنه فقد اشترك فى تجهيز جيش العسرة بأوفى نصيب وأعظمه فكان فى هذا الموقف العظيم أجود الأمة وأسخاها وأعظمها نفقة فى سبيل الله ، فقدم لتجهيز هذا الجيش من خالص ماله تسعمائة وخمسين بعيرا ، وخمسين فرسا وألف دينار ، قدمها تقربا إلى الله واستجابة لنداء الرسول ساعة العسرة ، روى عبد الرحمن ابن سمرة رضى الله عنه ، قال : « جاء عثمان إلى النبي ﷺ بألف دينار فى كمه حين جهز جيش العسرة فينثرها فى حجره ، فرأيت النبي ﷺ يقلبها فى حجره ويقول «ماضر عثمان ما عمل بعد اليوم » (وكرر ذلك مرتين) ويريد عليه السلام بذلك : أن كل شىء يفعله عثمان بعد الآن فهو مغفور له عند الله ، وفى رواية أخرى أن الرسول ﷺ قال فى هذا المقام : « اللهم ارض عن عثمان فإنى عنه راض »

ولم يقف جود عثمان وبذله فى سبيل الله فى غزوة تبوك عند هذا الحد ، فقد روى أنه أصابت الناس مجاعة أثناء تلك الغزوة فاشترى عثمان لهم طعاما وأشبع الجيش كله وما كان عثمان بذلك مسرفا ولا مبذرا

وإنما كان منقذا لأمته ووطنه وقت المحنة منقذا لتعاليم الإسلام وملبيا لنداء الرسول عليه السلام ، فقدم ما قدم تقربا إلى الله، واحتسابا لما عند الله بعد أن أصبح ذلك طبعا له وسجية ، جاء فى البخارى : « قال رسول الله ﷺ : من يحفر بئر رومة فله الجنة ، فحفرها عثمان وجعلها لشرب الناس جميعا» وقال « من جهز جيش العسرة فله الجنة، فجهزه عثمان » وفى تفسير قوله تعالى من سورة البقرة : « الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » [١] .

يروى القرطبى أنها نزلت فى عثمان بن عفان رضى الله عنه ، ويقول: قال أبو سعيد الخدرى: رأيت النبى ﷺ رافعا يديه يدعو لعثمان يقول « يارب عثمان إنى رضيت عنه فارض عنه» فما زال يدعو حتى طلع الفجر فنزلت «الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى» الآية

وهكذا نرى سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه يجاهد بالمال ، وينفق عن سعة، ويبذل ماله عن طيب خاطر فى سبيل الله إعلاء لكلمة الله ، وإنقاذا لأمته ووطنه، هكذا نراه من المؤمنين الصادقين الذين قال الله فى شأنهم: «إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » [١]

فهل لنا معشر المسلمين والعرب أن نقتدى به وبرفاقه من أولئكم السادة القادة من الصحابة رضوان الله عليهم فى الإنفاق فى سبيل الله والوطن ، وفى أداء واجب الجهاد بالمال حفاظا على أمتنا ، وإنقاذا لكرامتنا وسمعتنا ، وحماية لإخواننا وحقوقنا ومقدساتنا ؟.

هل آن لنا أن نفعل وقد اشتد الخطب وعظمت الشدة ؟ .

« يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ، يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن، ذلك الفوز العظيم ، وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب ، وبشر المؤمنين » [٢] .

د محمد عبد الله ماضى

---

[١] البقرة : ٢٦٢

[١] التوبة: ١١١ [٢] الصف : ١٠-١٣

الجانب الإسلامي من القضية الفلسطينية

للدكتور إسحق موسى الحسيني

كان للقدر أن يهتز العالم الإسلامى كله للكارثة التى حلت بفلسطين ، وأدت إلى زوال اسمها من خريطة العالم ، بعد أن ظل قائما زهاء ثمانية عشر قرنا ، منذ محا الامبراطور الرومانى (البوس هاردبانوس) (Aslius Hardeni anus) مملكة يهوذا من الوجود ، وشتت شمل اليهود ، وأطلق على تلك الرقعة من الأرض اسم « فلسطين » . وهو الاسم الذى كان يطلق على الساحل الممتد بين يافا وغزة[1] مباينة بطبيعة تربتها وجنس سكانها للمنطقة الجبلية الداخلية التى تكونت فيها مملكة يهوذا وزال بزوال اسم فلسطين أسماء مئات المدن والقرى العربية ، وعلى رأسها « بيت المقدس » الذى حل محله اسم «أورشليم »

[١] اسم فلسطين مشتق من اسم الشعب الفلسطينى الذى نزل الساحل الجنوبى المعروف فيما بعد باسم السهل الفلسطينى ، فى القرن الثانى عشر ق . م . ومدنه الخمسة الشهيرة هى : غزة وعسقلان وأسدود وأكرون وجات . وجبل الكرمل كون الحدود الشمالية لفلسطين انظر The Biblical World ميتشجن سنة ١٩٦٦ .

منبأ عن زوال الصبغة الدينية لمدينة تعد ثانية مدن العالم الإسلامى قداسة وخطورة .

وربما يرجع التراخى إلى أربعة أسباب : أولها انشغال المسلمين بمشكلاتهم المحلية ، ومعظمهم حديثو عهد بالحكم الذاتى والتحرر من الاستعمار . وثانيها نفوذ القوى التى انحازت إلى العدو ، وآزرته سياسيا وعلميا وعسكريا بالخفاء حينا وبالعلن حينا آخر . وقد حاولت هذه القوى الضغط على الحكومات كيلا تندفع وراء مشاعر الجماهير ، حتى تتراخى القضية ويأخذ الأمر الواقع الحكم الشرعى .

وثالثها الإفساد بين البلاد الإسلامية على نحو يجمع بين الخفاء والدهاء ، بإثارة النعرات ، وللمطامع والخلافات حتى تضيع القضية وسط عواصف مفتعلة ، ورابعها عدم وضوح الرؤية البعيدة ؛ لبراعة العدو فى طمس الحقائق وإخفاء النوايا والتظاهر بالوداعة والمسكنة .

ولهذه الأسباب طمست معالم القضية، وخفيت أخطار جليلة، وحبست المشاعر فى النفوس انحباسا مؤقتا ربما يظهر القائد ويطلق المارد الحبيس.

والقصد من تقديم هذا البحث تهيئة الجو لوضوح الرؤية، وجلاء الخطر الذى يحيق بالمسلمين وأود أن أقول وبالمسيحيين أيضا إن جاز التحدث عنهم - لاسترداد الحق وإقامة العدل فى قضية هى بحق قضية القرن العشرين.

لا يعرف تاريخ البشرية الطويل ظلما كهذا الظلم: طائفة دينية تمردت على الله وعلى الأنبياء وعلى كل بلد حلت فيه، فجر ذلك عليها الاضطهاد وأورثها الحقد والأنانية والعقد النفسانية وبدلا من أن تفيد من تجارب الزمن ومحنه فتندمج فى الأسرة الإنسانية، متخلية عن كبريائها وأوهامها وأساطيرها، فإنها تغزو بلدا آمنا مأهولا، وتقتلع سكانه من جذورهم، متوسلة بخداع الرأى العام، وبالأسلحة الفتاكة، والقوانين العنصرية الجائرة، لتعود بالبشرية القهقرى ألفى سنة إلى الوراء متمثلة بقول ارميا:

«ومد الرب يده ولمس فى وقال الرب لى: ها قد جعلت كلامى فى فمك» انظر قد وكلتك هذا اليوم على الشعوب وعلى الممالك لتقلع وتهدم وتهلك وتنقض وتبنى وتغرس» ١/٩ — ١٠ ويقول زكريا:

«فى ذلك اليوم أجعل أمراء يهوذا كمصباح نار بين الحطب وكمشعل نار بين الحزم فيأكلون كل الشعوب حولهم عن اليمين وعن اليسار» ٦/١٢.

والخطر من هذه المطامع والأوهام يحيق بالبشرية كلها ولكن العالم الإسلامى وفى مقدمته العرب يواجه الضربة الأولى. وإذا استطاع العدو أن يفتح ثغرة فى هذا السور فسينفذ منه إلى البلاد المسيحية البعيدة — التى اضطهدت هذه الطائفة وأذلتها — «ليقلع ويهدم ويهلك»، منتقما منها شر انتقام.

وما موطن الخطر على العالم الاسلامى؟

إن فلسطين تقع فى قلب العالم العربى والإسلامى، وتصل بين شرقه وغربه، شماله وجنوبه وإذا تمكن العدو من ترسيخ أقدامه فيها، فلن يقنع بها، بل سيثب منها على ما حولها، ليكون دولة كبيرة

تمتد من النيل إلى الفرات ، ويتسع سلطانها حتى يهدد مقدساتنا : الكعبة المشرفة والمسجد النبوى وقبر الرسول ﷺ .

ورب قائل: هذا رجم بالغيب، وتهويل داعية ، إذن فليسمع . قال قاضى القضاة مجير الدين الحنبلى فى الأنس الجليل : « وفى سنة ثمان وسبعين وخمسمائة قصد الافرنج المقيمين بالكرك والشوك للسير لمدينة رسول الله ﷺ لينبشوا قبره الشريف ، وينقلوا جسده الكريم إلى بلادهم ويدفنوه عندهم ، ولا يمكنوا للسلمين من زيارته إلا بجعل ، فأنشأ البرنسى أرناط صاحب الكرك ، سفنا حملها على البر إلى البحر القلزم (الأحمر) وركب فيها الرجال ، وسارت الافرنج ومضوا يريدون المدينة الشريفة .

وكان السلطان صلاح الدين على حوران، فلما بلغه ذلك بعث إلى سيف الدولة ابن منقذ نائبه بمصر، يأمره بتجهيز الأمير حسام الدين لؤلؤ الحاجب خلف العدو فاستعد لذلك وسار فى طلبهم حتى أدركهم ولم يبق بينهم وبين المدينة الشريفة النبوية إلا مسافة يوم .

وكانوا نيفا وثلاثمائة ، وقد انضم إليهم عدة من العربان المرتدة ، ففرت العربان ، والتجأ الافرنج إلى رأس جبل صعب المرتقى، فصعد إليهم فى نحو عشرة أنفس، وضايقهم فيه ، فخارت قواهم بعد ما كانوا معدودين من الشجعان وقبض عليهم ، وحملهم إلى القاهرة ، وكان لدخولهم يوم مشهود ، وتولى قتلهم الصوفية والفقهاء وأرباب الديانة .. » ج ١ ص ٢٨٠ ، ٢٨١ .

ونقول تعقيبا على هذا النص : ما الذى يمنع الاسرائيليين من إعادة التجربة ، والكر على بيت الله الحرام وقبر المصطفى عليه السلام ؟ ألم يعلنوا أن لهم حقوقا تاريخية يجب أن يستردوها ؟ وأين ؟ فى يثرب مدينة الرسول حيث كانت لهم قلاع وحصون ، ألم يعلن قائدهم يوما عن نيتهم فى مشاركة العرب فى النفط ، فى استخراجه وتصنيعه ؟

ثم إن فلسطين نفسها متحف دينى لا نظير له فى أية بقعة فى العالم،و مع أنها تحتوى على مقدسات اليهود والمسيحيين ، كل على انفراد ، فإنها فى نظر المسلمين مثلثة التقديس : مقدسة لاحتوائها على آثار أنبياء الله ابتداء من أبيهم إبراهيم عليه السلام ، إلى آخر من بعث منهم إلى

بنى إسرائيل، والمسلمون يقدسون هؤلاء الأنبياء أكثر مما يقدسهم الإسرائيليون أنفسهم ؛ فداود فى نظر اليهود ملك لا نبى، وكذلك ابنه سليمان ، ولكنهما عند المسلمين نبيان كريمان . ولهذا أحاط المسلمون مقامهما بمثل ما أحاطوا مقدساتهم وظلا موضعين للعبادة والرعاية إلى آخر عهد المسلمين بهما .

وفلسطين مقدسة ثانية : لاحتوائها على آثار السيد المسيح وأمه البتول وحوارييه.

ومقدسة ثالثة : لاحتوائها على الآثار الإسلامية التى تراكمت وامتدت عبر العصور حتى شملت كل شبر فيها .

وأعلن على رءوس الأشهاد حقيقة ظلت خافية وهى أن معظم الأراضى الفلسطينية موقوفة وقفا إسلاميا صحيحا ، أذكر من أوقافها وقف إبراهيم الخليل ، ووقف النبى موسى ، ووقف النبى روبين ووقف النبى صالح ، ووقف سيدنا على (جد مجير الدين الحنبلى العليمى) ، ووقف سنان باشا ، وهى من الاتساع بحيث تشمل معظم الديار الفلسطينية .

وأعلن أن اليهود أقاموا على هذه الأوقاف الإسلامية مستعمرات اتسعت حتى أصبحت مدنا ، منها : (عيون قارة) المعروفة عندهم بريشون دى زيون، و(ملبس) المعروفة عندهم ببتاح تكفا ، ومنها : صرفندة ، ونجة ، وشميرة الخ ...

لقد طمست وقفية هذه الأراضى الشاسعة فى أثناء استفحال الرشوة والفساد فى أواخر الحكم العثمانى وزاد طمسها فى أثناء الحكم البريطانى الجائر ، الذى هدد وبدد، وكم الأفواه ، وأذل أعناق الرجال .

لقد استولى الإسرائيليون قبل عدوان ١٩٦٧ على نحو ألف مسجد من بيوت الله المنتشرة فى المدن والقرى ، وعلى نحو مليون دونم موقوفة ، وعلى مدارس أثرية [١] .

واستولوا بعد سنة ١٩٦٧ على رقعة عربية مائة فى المائة أرضا وسكانا ، وكثير من أراضيها موقوفة وهى ، وإن كانت أقل مساحة مما استولوا عليه سنة ١٩٤٨، فهى على جانب كبير من الخصب والخطورة من النواحى الدينية والأثرية والاستراتيجية .

وقد أشار إلى مصادرة الوقف الإسلامى ونقل ملكيته إلى (القيم على أملاك

[١] المقدسات الإسلامية فى فلسطين ، القاهرة ١٩٥٠ ص ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٧ .

الغائبين) الإسرائيلى أحد شعراء الأرض المحتلة ، راشد حسين ، فى قصيدة تهكمية رائعة ، جاء فيها .

الله أصبح غائبا ياسيدى
صادر إذن حتى بساط المسجد
وبع الكنيسة ، فهى من أملاكه
وبع المؤذن فى المزاد الأسود
حتى يتامانا أبوهم (غائب)
صادر يتامانا إذن ياسيدى
لا تعتذر من قال إنك ظالم
لا تعتذر ؟ من قال إنك معتدى
حررت حتى الساعات غداة أن
أعطيت إبراهام (أرض محمد)
أنا لو عصرت رغيف خبزك فى يدى
لرأيت منه دمى يسيل على يدى[1]

وبعد سنة ١٩٦٧ اغتصبوا سائر فلسطين وانتهكوا حرمة (بيت المقدس) التى شرفها الله وعظمها الخلفاء والعلماء، ورصعها أهلها بأنفس الآثار من مساجد ومعاهد وزوايا وتكايا ومقابر ، والتى أحرم منها المسلمون بالحج والعمرة منذ عهد عمر بن الخطاب إلى يوم الغدر الأكبر بالمدينة المقدسة.

وقد فصلنا القول فى (بيت المقدس) فيما كتبناه عن عروبة هذه المدينة العالمية ، وفيما كتبه العالم الشيخ عبد الحميد السائح[2] ولا يستطيع قلم أن يفى هذه المدينة حقها ويبين ما للمؤمنين من حقوق فيها ، أجل وأعظم من أن يفرط فيها . ونقول باختصار إن ذهب بيت المقدس من أيدينا أصبحت مكة والمدينة تحت رحمة العدو ، وإن لم يرتفع للأسود زئير فى هذه فستكون الطامة وإن لم تهتز جنبات العالم الإسلامى ، شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، وإن لم يندفع المسلمون كالسيل نحو هذه المدينة ليطهروها ، فقل على الإسلام العفاء إن أهمية بيت المقدس مزدوجة ، لذاتها ومكانتها الدينية والتاريخية ، ولموقعها الاستراتيجى الذى يجعل المسيطر عليها مسيطرا على وادى الأردن وما وراءه .

ويحدثنا التاريخ أن بنى إسرائيل لم تتحد دويلاتهم - إسرائيل ويهوذا - ولم يتمكنوا من قهر الفلسطينيين النازلين على الساحل

[١] العرب فى إسرائيل لصبرى جريس ، بيروت ١٩٦٧ ج ص ١٣٢ .

[٢] مكانة القدس فى الإسلام ، بمجمع البحوث الإسلامية القاهرة ١٩٦٩ .

إلا بعد أن استولى داود على بيت المقدس فقبل استيلائهم على هذه المدينة الحصينة بجبالها المرتفعة كانوا عاجزين عن توحيد الدولتين والسيطرة على الطريق .

فالقدس العربية - التي اغتصبها الإسرائيليون سنة ١٩٤٨ من أصحابها العرب ولم يقنعوا بها هي مفتاح المنطقة الساحلية من استولى عليها استولى على الساحل الفلسطيني. والقدس الشرقية ، التي اغتصبها الإسرائيليون سنة ١٩٦٧ هي مفتاح وادي الأردن وما وراءه؛ من تمكن منها تمكن من الوادي وسيطر عليه سيطرة تامة . ذلك أن المدينة تقع على هضاب عالية يبلغ ارتفاعها ٨٠٠ مترا عن سطح البحر، وهذه الهضاب قلاع طبيعية يتعذر اختراقها. والمدينة فوق ذلك هي الملتقى الطبيعي بين الشمال والجنوب- بين مدن الشمال ومن أكبرها نابلس، ومدن الجنوب ومن أكبرها الخليل- وبين الساحل ووادي الأردن وهذا هو سر الإسرائيليين في الاحتفاظ بالقسم الشرقي من المدينة ، ولا سر سواه ، فبسيطرتهم على المدينة تصبح جميع البلاد الفلسطينية خاضعة لهم عسكريا ، سواء أكانت تابعة لهم سياسيا أم غير تابعة .

ونقول لإخواننا الذين لم يطلعوا على كتب العدو أن الخطب جلل . فالخطة التي يبنيها العدو لفلسطين ، وتتكشف تدرجا من كتبهم ، هي أن تصبح فلسطين نقطة إرتكاز لحركة صهيونية عالمية دينية وثقافية تنشأ فيها المعاهد ذات الصبغة العالمية لدراسة التوراة وبعث العبرية، وتقام فيها الكنس الكبرى في جميع المدن ، وتبنى المدن والمستعمرات بأسماء دينية قديمة والقصد من هذه المشروعات التي كشفها الكاتب الصهيوني نورمان بنتويتش الإمعان في تهويد فلسطين وإزالة عروبتها ، إذ لا يتم ذلك إلا على حساب الكنائس المسيحية والمساجد الإسلامية ، والآثار والذكريات والحقوق التي أورثها الآباء الأبناء قرونا متواصلة .

إن كل إسرائيلي يدخل فلسطين يحل محل عربي فيها ، وكل ذراع من الأرض يستولى عليه الإسرائيليون هو حرمان العرب من رقعة أراضيهم من ناحية وحصن يصوب منه الموت والدمار لسائر البلاد العربية والإسلامية ، من ناحية أخرى ، وبو مذاك يصدق المثل . انج سعد فقد هلك سعيد.

أيها المسلمون : إنى لأسمع هاتفا من بعيد يردد قول الشاعر فى يوم حالك شبيه بهذا اليوم :

على قبة المعراج والصخرة التى
تفاخر ما فى الأرض من صخرات
مدارس آيات خلت من تلاوة
ومنزل وحى مقفر العرصات

أسمع هذا الهاتف فترتاع النفس .

ثم يجىء صدى من بعيد يردد قول الآخر فى يوم أغر محجل :

للمسجد الأقصى له عادة
سارت فصارت مثلا سائرا
إذا غدا للكفر مستوطنا
أن يبعث الله له ناصرا
فناصر أنقذه أولا
وناصر أنقذه آخرا

فتعود إلى النفس الطمأنينة ويخفق الأمل .

فيا أيها المسلمون ! أنقذوا ديار المسلمين ومقدساتكم ولا تغفلوا طرفة عين ، واذكروا قول الله تعالى : «إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » ؟

اسحق موسى الحسينى

قال الله تعالى :

« لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ، فإن تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم » .

التوبة : ١٢٨ ، ١٢٩

التولى يوم الزحف

للفريق عبد الرحمن أمين

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا وما هن يا رسول الله . قال: الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات » (رواه البخارى ومسلم)

فى هذا الحديث الصحيح من أحاديث الرسول بين لنا - ﷺ - لونا من ألوان الجرائم وأنواعاً من الإثم والمعصية هن ولا شك أمهات الكبائر ، ولا أدل على ذلك من أن يقرنها ﷺ بالكفر نعوذ بالله من شره.

ومن هذه الكبائر (التولى يوم الزحف) ولفظ التولى فى اللغة يحمل أكثر من معنى فنه التولى بمعنى القيام والمباشرة يقال: تولى زيد عمله أى تقلده وباشره .

ومنه التولى بمعنى الاتجاه أو الإقبال كما جاء فى قوله تعالى « فسقى لهما ثم تولى إلى الظل » وكما ورد أيضا فى قوله جل شأنه « فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره » ومنه ما يكون عكس ما سبق أى بمعنى الإعراض والتخلف أو الإدبار والفرار إذ يقول جل جلاله « إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان » وهذا المعنى الأخير هو ما يهدف إليه حديث الرسول من لفظ التولى . والزحف معناه السير البطىء إلا أن المراد به فى هذا الحديث هو زحف جيوش الأعداء المجهزة بأدوات الحرب والقتال حيث يقول تبارك وتعالى « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار » .

على هذا البيان والتبيان من كتاب الله وعلى هذا النور من هدى رسول الله يصبح (المتولى يوم الزحف) آثما بحكم الكتاب والسنة مطرودا من رحمة الله ، ملعونا فى الدنيا ويوم القيامة مع الكفرة والمشركين وآكلى السحت ومال اليتيم طبقا لما أخبر به رسول الله وتثبيتا لقوله من القرآن الكريم حيث يقول جل شأنه :

« ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب

من الله ومأواه جهنم وبئس المصير » .

وقد أخبر المفسرون وعلماء الحديث أن (التولى يوم الزحف) ليس مقصورا فقط على الجندى المحارب فى ساحة القتال بل هو فى الواقع يشمل الجندى المحارب والجندى غير المحارب ، إذ أن كلاهما متم للآخر ولا غنى لهـــذا عن ذلك ..

والجندى غير المحارب هو كل فرد ذى صفة ومسئولية تتعلق بالمعركة يستوى فى هذه المسئولية الكبرى القريب من ميدان المعركة والبعيد عنها فما كان لجيش مهما كان عدده، وعدته ومهما كانت شجاعته وقوته أن ينعقد له لواء النصر إلا إذا كانت من ورائه قوة ثانية من غير المحاربين وأولئك هم جنود الصف الثانى المنوط بهم خدمة هذا الجيش المحارب بإطعامه وشرابه وتضميد جراحه ومده بما يحتاج اليه من مؤونة وعتاد وكافة مستلزمات القتال، وعلى هذا التقدير يصبح كل فرد من أفراد القوات المسلحة وقت الحرب من الجندى الصغير إلى القـــائد الكبير « مجاهدا فى سبيل الله » وكل من يساهم فى القيام بخدمة هذه القوات بما يعينها ويشد من أزرها « مجاهدا فى سبيل الله » بل إن كل متكلم بكلمة خير يقصد بها وجه الله وخير الأمة ترفع من معنوية الجند وتلهب العزائم والهمم « مجاهدا فى سبيل الله » وهؤلاء جميعا هم المجاهدون حقـا وصدقا وممن اصطفاهم ربهم وفضلهم على من عداهم بقوله : (لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما »[1] .

ومن هذا نستخلص أن الجهاد فى سبيل الله وهو غاية الفضل ونهاية العمل وأن شهداء الجهاد على موعد مع الله ألا يذيقهم طعم العذاب وزفرة الموت وأنهم من ساعة استشهادهم أحياء يرزقون « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

فطوبى لعبد قتل شهيداً وبعث شهيداً وحشر شهيدا مع النبيين والصـديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

[١] سورة النساء ـ آية ٩٥ .

فيا قوم إياكم والتقاعس عن موكب الفضل وسبيل الجهاد وإياكم والتخلف عن تلبية دعوة الحق إذا ما استغاث بكم الوطن وتحرجت الأمور وحذار من الهرب والفكاك ساعة الكرب والشدة ويحذركم الله نفسه بأنكم بهذا الفكاك والهرب إنما تعبرون جسرا إلى جهنم فإن الجندى حينما يفر من وجه العدو ويوليه ظهره فقد (تولى يوم الزحف) وإن الرجل حينما يختفى هربا من التجنيد ساعة الحرج والشدة فقد (تولى يوم الزحف) ومن استطاع أن يعالج أو يواسى جرحى الحرب ولم يفعل فقد (تولى يوم الزحف) ومن لم يساهم فى حدود طاقته سواء بماله أو بلسانه أو بقلمه أو بصنعته أو بقوته ولم يفعل فقد (تولى يوم الزحف) وإن القائد الذى فى عنقه أمانة ويتحول عن الجهاد والاستشهاد ويفذ عن الجماعة فقد (تولى يوم الزحف) وضل طريق الهدى والنور وكفر بما نزل على محمد « إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم »[1] .

[1] آل عمران ٧٧

ألا فليعلم كل من لا يعلم أنه لا يوجد شىء فى هذه الحياة يعدل فضل الجهاد فى الله والاستشهاد فى سبيله . فهذا عبد الله ابن رواحة يبعثه رسول الله - ﷺ - فى سرية وافق غدوها يوم جمعة فيتباطأ ساعات قليلة لا هربا من القتال ولكن طمعا فى أن يؤدى فريضة الجمعة خلف رسول الله فلما انتهت الصلاة سأله الرسول قائلا : ما بال عبد الله لم يغد مع أصحابه فقال أحببت أن أصلى الجمعة معك يا رسول الله وها أنذا لا حق بهم فقال له النبى - ﷺ - (لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما أدركت فضل غدوتهم) .

وهذا سعد بن الربيع يبلى فى غزوة أحد أحسن البلاء ويصول ويجول فى ساحة المعركة حاملا على المشركين ، حملات قاتلة حتى إذا ما خبا صوته وهدأت جلجلته ويتفقده رسول الله ولا يجده يكلف زيد ابن ثابت بالبحث عنه ويقول له أن رأيته فاقرئه منى السلام وقل له كيف تجد نفسك قال زيد فأتيته فإذا هو فى النزع الأخير وبه نحو سبعين ضربة ما بين طعنة رمح وضربة سيف ، وقلت له أمرنى رسول الله أن أنظر إليك أأنت فى الأحياء أم فى الأموات

قال إنى فى الأموات فأقرىء رسول الله منى السلام وقل له إن سعدا يجد ريح الجنة جـزاك الله عنى وعن أمتك أحسن الأجر والجزاء ، ألا وبلغ القوم جهذاوقل لهم إن سعدا يقول لـكم لا عذر لـكم بعد اليوم إن تخاذلتم عن نصرة رسول الله ولا عذر لـكم بعد اليوم إن خطا إلى رسول الله مكروه وفيكم عين تطرف ثم استشهد رضوان الله عليه بعد ما رأى مقعده فى الجنة ، وبعد ما ربحت مع الله تجارته وبيعته « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم [١] » .

ويحدثنا التاريخ عن أم من أمهات المؤمنين الصادقين وعلم من أعـلام النساء المجاهدات الصابرات وهى (الخنساء) لقد وقفت يوما تحض بنيها الأربعة على القتال والخروج مـع جيش المسلمين فى حرب القادسية فقالت لهم كلمتها المشهورة التى سجلها التاريخ بأحرف من نور وما زالت حتى وقتنا هذا تتناقلها كتب التاريخ والأدب والسنة والخطباء والدارسون .

أى بنى ، لقد أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين فو الله الذى لا إله إلا هو إنـكم لبنو رجل واحد وبنو امرأة واحدة ، ما خنت أباكم ولا فضحت خالـكم ولا غيرت أصلـكم ونسبكم ، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقيها فيمموا شطرها وخوضوا غمارها ووطيسها ، وجالدوا رئيسا ، تظفروا بالغنم والكرامة فى دار الخلد والمقامة ، أى بنى اطلبوا الموت توهب لـكم الحياة .

وحينما جاءها الخبر بمصرع بنيها الأربعة وما كان منهم من حسن البلاء ما صاحت ولا ولولت وما أنت وما تصررت بل قالت « الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم وحبانى بجهادهم واستشهادهم ، اللهم إنى أسألك الرحمة والغفران وأن تجمعنى وإياهم فى مستقر رحمتك وواسع جنتك يا أرحم الراحمين » فسلام على الخنساء فى قبرها ، وسلام عليها يوم بعثها ونشورها ، وسـلام على أم الشهداء فى دار الخلد والبقاء .

وأخيرا فهذا عمرو بن الجموح حينما يرى أبنـاءه ذاهبين إلى ساحة الجهاد لا يتمالك نفسه ويصر على مصاحبتهم للقتال فيحولون دون ذهابه قائلين له : نحن نـكفيك وإن الله يعذرك لعرجتك وكبر سنك ولـكنه

[١] سورة التوبة آية ١١١

يصيح فيهم ما لكم تمنعوننى من دخول الجنة ثم يذهب شاكيا لرسول الله الذى يخلى بينه وبينهم، ثم يقول يارسول الله : إذا استشهدت فى سبيل الله أدخل الجنة بعرجتى هذه ؟ فيطمئنه رسول الله ﷺ ويقول: له كلا بل تدخلها صحيحا ، فيرفع يديه إلى السماء ويقول: اللهم إن أرجعتنى فارجعنى منصورا وإن قبضتنى فاقبضنى شهيدا ثم يخرج من حضرته إلى ساحة القتال مبتغيا الشهادة لامرائيا ولا مخادعا وحينما يسمع النبى بنبأ استشهاده يقول: (والله لكأنى أرى عمرو بن الجموح يمشى بعرجته هذه سليما فى الجنة).

أجل يارسول الله فوالله ما أصدقك لقد تاجر عمرو مع الله لا بمال ولا بعرض وإنما تاجر بروحه ونفسه فكان حقا على الله أن يدخله الجنة وينزل فى حقه كتابا يقرأ وقرآنا يتلى ، اقرءوا إن شئتم قول الله تعالى :« الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون . يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم، خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم ». [1]

أيها العرب الأحرار :

تلك صفحة عابرة من تاريخ أمتكم وهى كما تعلمون كانت وما برحت خير أمة أخرجت للناس تقرؤها عليكم ونحن مقبلون على أيام عصيبة وساعات رهيبة إيمانا منا بأن الحق والباطل ضدان لا يتفقان فلقد قضى الأمر وتكشف الظلم وظهر الجشع والبشع وكشر الاستعمار عن أنيابه وبانت أحقاده وأضغانه ، أقام عليه دولة اليهود بين ربوعكم وفوق قطعة غالية من من أرضكم ودياركم كانت من قبل مهبطا للوحى والرسالة ومصدرا للنور والهداية ، وما كان للعرب وهم الصفوة من الأخيار والأحرار أن يقبلوا على أنفسهم مواقف الذل والمهانة ويرتضوا وضعا فيه استعبادهم واستغلالهم وفيه هتك أعراضهم وتذبيح أبنائهم ألا فاعلموا أن الصهيونية عدوة الله فى الأرض فضحها الإنجيل والقرآن الكريم ولعنها محمد وعيسى وموسى عليهم الصلاة والسلام - فأجمعوا أمركم وصفوا صفوفكم « إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص » [1].

عبد الرحمن أمين

---

[1] التوبة ٢٠ ، ٢١

[1] سورة الصف آية (٤)

الدّين والدّولة في إسرائيل

لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد البهى

تمهيـــد :

هناك بعض المفاهيم أو بعض الحقائق يجب توضيحها قبل الحـديث عن الدولة والدين فى الوقت الحاضر ، وقبل الحكم بصحة أو بخطأ جعل الدين من مقومات الدولة فى قرننا العشرين ، قرن التقـدم العلمى والتكنولوجى والتطور نحـو الإنسانية أو العالمية .

* الحقيقـة الأولى : الدين والدولة فى الصراع السياسى والاستقلال بالحكم فى المجتمع الأوربى :

لو أن الكنيسة فى روما لم تأخذ لنفسها دور الدولة وسلطة الحكومة ـ منذ أن انتقلت المسيحية إلى أوربا ـ لما وجـد فى تاريخ المجتمع الأوربى نزاع على السلطة بين ما يسمى « دينا » وما يسمى « دولة » ولما عرفت فلسفة ما بعد الثورة الفرنسـية فى آخر القرن الثامن عشر تبريرا للفصل بين الجانبين فى توجيه الحكم فى المجتمع الأوربى .

ولو أن الكنيسة الرومانيـة توفرت فقط على العناية بالمسيحية فى تطبيق سلوكها الأخـلاقى ، دون أن تتطلع لأن تـكون هيئة سياسية لما برز الاتجاه « العلمانى » فى فصل الدولة عن الدين فى نظام الحكم فى المجتمع الغربى ، فالاتجاه العلمانى إذ يرى عدم تدخل « الدين » فى الدولة فإنه يعنى بالدين الكنيسة كهيئة صاحبـة سلطة ، ولـكنه لا يعنى إطلاقا إنكار القيم الدينية المسيحية ، أو عدم الأخـذ بها وعدم احتضانها .

إن الجمهورية الفرنسية المعاصرة ـ وهى الخامسة فى سلسلة جمهوريات ما بعد الثورة الفرنسية ـ ما زالت ترى نفسها حاميـة الكاثوليكية فى العالم ، بينما التاج البريطانى بدوره يعلن حمايته للبروتستينية [1] فى كل مكان .

---

[1] ووقوف بريطانيا ـ فى الحرب الأهليـة النيجيرية منذ قيامها فى سنة ١٩٦٨ ـ ضد بيافرا بينما تقف فرنسا للدفاع عن استقلال بيافرا يدل على أن كلا من الدولتين الأوربيتين المعاصرتين فى اختلافهما =

وإن الروح المسيحية فى الحكومات العلمانية فى المجتمعات الأوربية والأمريكية تسود فى قوانينها ـ وبالأخص فى قوانين الأسرة ـ كما تسود فى مواقفها التى تتخذها فى الداخل أو فى الخارج ، ودولة السويد ـ وهى أكثر الدول الأوربية تحررا من التقاليد المسيحية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ـ فإن عطفها على « بيافرا » الكاثوليكية ـ فى مواجهة الكثرة المسلمة فى نيجيريا ـ فى الحرب الأهلية الأخيرة تجاوز العرف الدولى ، وهى أكثر الدول حفاظا عليه .

ولا شبهة إطلاقا فى أن المقصود بالفصل بين الدين والدولة فى اتجاه العلمانية هو الفصل بين سلطة الكنيسة ، وسلطة الدولة .

* * *

الحقيقة الثانية : معنى الحكومة الإلهية وهى فى واقع الأمر حكومة الكنيسة الكاثوليكية :

فهذه الكنيسة ترى : أنها تحكم على الأرض ، نيابة عن الله ، وهى بذلك مجسمة لله الأب ، والابن ، والروح القدس ، فلها عصمة فى القول ، وطاعة على المؤمنين بها ، وأنها وحدها لها الحق فى تفسير الكتاب المقدس ، والبابا ، وهو رئيس الحكومة الإلهية تنتقل إليه هذه المبادىء الثلاثة :

١ — عصمة القول .

٢ — وحق الطاعة على المؤمنين بالكثلكة .

٣ — وحق تفسير الكتاب المقدس .

وفى شخص البابا يرتفع مستوى الإنسان العادى إلى مستوى القداسة ، بعد أن تجسدت فيه الكنيسة ، وهى بدورها تجسد المعبود فى ثلاثيته : الأب ، والابن ، والروح القدس .

وإذا كان الذى يتصور الخلاف فى الاتجاه العلمانى بين الدين والدولة أنه خلاف بين مبادىء المسيحية فى ذاتها والدولة فى المجتمع الأوربى فى توجيه شئونها ، يخطىء فى العلاقة بينهما ، فكذلك يخطىء هذا الذى يتصور الحكومة الإسلامية على

= يرجع إلى اختلاف تبنيها الاتجاه المسيحى الخاص فسياسة فرنسا العلمانية تسير حسبما تطلب دولة فاتيكان فى الشرق أو الغرب . والرباط القوى بين فرنسا ودول أمريكا اللاتينية لا يرجع إلى الثقافة الفرنسية بقدر ما يرجع إلى الاتجاه الكاثوليكى المسيطر .

عهد الرسول عليه السلام - أو على عهد الخلفاء الراشدين بعده - على أنها : « حكومة إلهية » أى حكومة معصومة عن الخطأ . أو حكومة مقدسة ، وأن الإمام بدوره يحكم نيابة عن الله فى الأرض وأن له وحده حق تفسير القرآن الكريم .

فبدأ « الاجتهاد » فى الإسلام :

١ — يحول دون العصمة فى الرأى والقول فى شرح مبادىء الإسلام ، ويحفظ على الإنسان المسلم مستواه الإنسانى فى الخطأ والصواب .

٢ — ويعطى فى الوقت نفسه الفقه الإسلامى صلاحية ملاحقة الأحداث والتطورات فى حياة المجتمع الإنسانى .

وأى فرد مسلم ، وأية حكومة إسلامية تطبق كتاب الله ، فإنها لا تخرج عن دائرة « الاجتهاد » فى التطبيق ، أى تدور بين الخطأ والصواب فيه ، ولذا لا توجد حكومة « إلهية » فى الإسلام ، كما لا يوجد دين ودولة فيه ، أى لا توجد سلطتان : أحدهما سلطة الدين ، وهى الهيئة المشرفة عليه ، وثانيتهما سلطة الدولة ، وهى الهيئة أو الهيئات السياسية .

والحكومة الإسلامية إذا هى حكومة إنسانية تستند إلى كتاب الله فى التطبيق .

والإسلام تقنين لسلوك الفرد وسياسة الأمة معا ، ولا يعرف الازدواج فى السلطة كما لا يعرف الفرق بين دين ودولة .

واللبس فى هاتين الحقيقتين فى مجتمعاتنا الإسلامية جاء نتيجة « للتقليد » والنقل عن تفكير الغرب ، دون أن تكون هناك أصالة لفهم للمبادىء الإسلامية عند المقلدين والناقلين .

وهكذا : مبادىء المسيحية ركن أساسى فى نظام الحكم العلمانى القائم على الفصل بين السلطتين : الدينية والزمنية : فى تشريعه ، وفى سلوكه وفى مواقفه ، وربما لا نجد فى المجتمع العلمانى المعاصر - وهو خلاف المجتمع الإلحادى المادى - سلطة زمنية تتنكر للمبادىء المسيحية ، رغم أنها قد تكون فى نزاع مع سلطة الكنيسة .

وإذا لم ينص فى دستور النظام العلمانى على اعتبار المسيحية دينا فلأن هذا النظام يريد أن يأخذ - على الأقل فى الظاهر - بمبدأ « المساواة » و « عدم التفرقة » بسبب الدين فى رعاية الأفراد وتطبيق القوانين التى تصدرها .

الحقيقة الثالثة: اتجاه قلة من المفكرين والسياسيين إلى إبعاد المسيحية عن حياة المجتمع العلمانى فى الغرب، وهذه القلة إذ تتجه هذا الاتجاه تتأثر:

إما بطريقة العلم التجريبى المادى،
أو بالخصومة الحادة للكنيسة.

فالذين يتأثرون بالطريقة التجريبية وحدها فى مفهوم العلم يرفضون اعتبار «ما وراء الطبيعة» علما أى يرفضون المعرفة التى لا تستخلص من «الشاهد»، والتى تعود فقط إلى الغيب، والدين هو من الله الذى لا تدركه الأبصار، وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير.

ومن هؤلاء المفكرين: David Hum الفيلسوف الإنجليزى فى القرن الثامن عشر (١٧١١ ــ ١٧٧٦) الذى يرى أن الحقائق الدينية لا يمكن أن نعرفها على الإطلاق، وإنما نعتقدها فقط.

Auguste Conte الفيلسوف الفرنسى فى القرن التاسع عشر (١٧٩٨ ــ ١٨٥٧) والذى يعتبر أن المعرفة الإنسانية إذا ابتدأت باللاهوت ثم بماوراء الطبيعة فإنها تنتهى إلى العلم الوضعى، وهو العلم التجريبى.

والفيلسوف الألمانى Max Weber فى القرن العشرين (١٨٦٤ــ١٩٢١) (والذى يرفض ما وراء الطبيعة، كعلم له اعتبار العلم التجريبى.

ومثل هؤلاء المفكرين وعلماء الاجتماع فى معارضتهم للدين فى أن يدخل دائرة (العلم) ويبعدونه عن تنظيم المجتمع والدولة تبعا لذلك يرون العلم فى دائرة التجربة المادية وحدها، ولا يقيمون وزنا للتجربة النفسية، أو التجربة الذاتية (الروحية) التى تصعد بالمعرفة إلى الله جل شأنه عن طريق الصفاء النفسى أو البصيرة، وهى تلك التجربة التى يتبناها المفكر المسلم محمد إقبال (كصنو) للتجربة المادية.

ومعرفة الله سبحانه وتعالى عندئذ نتيجة «للتجربة النفسية» كالعلم الطبيعى الذى هو نتيجة للتجربة المادية.

ويرفض مثل هؤلاء المفكرين لدخول الدين مجال العلم من جانب، وبمحاولة جعله فى نطاق التجربة من جانب، وإن كانت تجربة من نوع آخر، نشأت قضية: «العلم والدين».

ويترتب على اعتبار الدين علما (تجريبيا) وجوب تأسيس الحياة الاجتماعية على الأخذ بالمبادىء الدينية وجعل الدين كمقوم من مقومات نظام الدولة.

كما يترتب على عدم اعتباره علما فى نظر أصحاب « التجربة المادية » وحدها إبعاده عن شئون الدولة وسياسة الحكم .

وإذن أى اتجاه مادى فى نظام الحكم وسياسة الدولة يرى من الأمور الضرورية لصالح الدولة عدم مهادنة الدين فى أية صورة من صور المهادنة ، وحديثه عن العلم ، ووصفه للمبادئ أو الظواهر بـ (العلمية) وتحكيمه ما يسمى بالأسلوب العلمى وللمعالجة العلمية لأمر ما هو للحيلولة مباشرة دون الدين وقضايا الإيمان بالله .

وربما يعود بعض الدوافع إلى تهدد أصحاب الاتجاه المادى فى معارضتهم للدين باسم العلم التجريبى وقوفهم عاجزين عن تفسير :

« التثليث » فى أصل الوجود ،

و « العصمة » للإنسان ،

و « صكوك الغفران » ،

و « كرسى الاعتراف » فى نظام الكنيسة فى المجتمع الأوربى .

فهذه المبادئ تحول دون « الوحدة » المطلقة فى أصل العالم الطبيعى ، كما تحول دون « المساواة » فى الاعتبار البشرى لأفراد المجتمع .

ومن الذين تأثروا بالخصومة الحادة للكنيسة : FRANCOIS VOLTAIRE

الكاتب الفرنسى فى القرن الثامن عشر (١٦٩٤ - ١٧٧٨) .

ومن الأقوال التى تنسب إليه قوله :

« إذا لم يكن الله موجودا فيجب على الإنسان أن يخترعه حتى لا ييأس من الشقاء الموجود فى العالم ، فنظام العالم القائم لا يبعث فى حقيقة أمره على الرضا ، ولذا يجب أن يتصور : أن قدرة الله غير محدودة ، وأننا سنحقق رسالته فى العالم ، والهدف الأعلى هو :

١ - تخفيف الشقاء فى العالم .

٢ - وتحقيق القيمة العليا التى هى العدالة ، وقيمتها هى قيمة (أبدية) .

فوظيفة وجود الله فى تفكيره هى وظيفة نفسية ، يحمل تصور وجوده على عدم اليأس من العالم فحسب .

* * *

وليس المجال الآن مجال توضيح الصلة فى الإسلام :

(١) بين الدين والدولة .

(٢) وبين الدين والعلم .

ويكتفى فقط بأنه طالما لا توجه

حكومة إلهية فى الإسلام ، وطالما لا توجد هيئة خاصة ذات سلطة سياسية باسم الدين ، فيه تنازع ما يسمى بالسلطة السياسية الزمنية ، فلا توجد على الأقل خصومة بين الدين من جانب والدولة والعلم من جانب آخر .

وإلى مسئولية «الاجتهاد» فى الإسلام يعود الخطأ والصواب فى سياسة الحكم كما يعود إليه فى ذلك طريق السلوك العملى للأفراد فى الأمة :

والقرآن كتاب هداية للإنسان فى شئونه وفى وصوله — عن طريق معرفته — إلى ربه ، وهو للناس متساوين أمامه ، وليس مقسما بعضه إلى مجموعة دينية وبعضه الآخر إلى مجموعة كونية أو سياسية أخرى منهم.

إسرائيل المعاصرة :

١ — أى رباط لإسرائيل المعاصرة : فى إقامة دولة . وبقاء دولة : والتماسك فى إطار الدولة غير «اليهودية» ؟

(١) أهو رباط اللغة العبرية ، وهى التعبير عن تاريخ بنى إسرائيل على أساس من اليهودية فى الكفاح من أجلها أوفى تحريفها وتأويلها ؟.

(ب) أهو رباط «القومية» اليهودية وليست هناك قومية يهودية لا يحتوى مضمونها : اليهودية كدين ؟ :

(ج) أهو اللغات العديدة التى تعلمها اليهود فى أوطانهم الجديدة فى العالم بعد أن تفرقوا إليها ، أم هو التاريخ المختلف للشعوب التى استقر بين أبنائها هؤلاء النازحون اليهود ؟ :

٢ — أهو القيم الإنسانية الفلسفية البحتة التى تعلو الشعب اليهودى وفوق الأديان ؟ :

(١) وهل هذه القيم تصلح لأن تكون الرباط بين اليهود ، ولا تصلح أن تكون الرباط بين أفراد شعب آخر من الشعوب البشرية ؟ .

(ب) ثم هل توجد فلسفة غير متحيزة : فلسفة فوق مستوى الشعوب والأجناس وفوق الأديان جميعها ؟ .

* * *

إن اللغة العبرية لو اتخذت الرباط المشترك فى إقامة دولة إسرائيل المعاصرة — وهى تعبر فى تاريخ إسرائيل عن اليهودية فى مراحلها المختلفة — فليست إذن اللغة العبرية المكونة من ألفاظ وتراكيب هى

الرباط . إنما مضمونها التاريخى . وهـذا للمضمون ذو صلة وثيقة باليهودية كدين .

والقومية اليهودية ليست فى تحـليل واقعها سـوى الوعاء التاريخى والدينى واللغوى . فإن اتخذت هذه القومية الرابطة فى دولة إسرائيل المعاصرة فاليهودية تمثل القسط الواسع ، والمتميز فيها .

وليست هناك قومية تعتمد على لغـة القوم وحـدها كتعبير وأساليب ، وإنما أية لغـة هى كائن حى ، مظهره : التعبير باللفظ والتركيب ، وحقيقته : تاريخ القوم الذى تنتسب إليه . وأخص ما يحمله تاريخ القوم ـ أى قوم ـ هو عقيدته ، وتقاليده وكفاحه فى سبيل استقلاله أو سيادته .

والقـوم الذى يحافظ عـلى استقلاله وسيادته هو ذلك الذى تميزت شخصيته . والعناصر الأساسية فى شخصية أى قـوم من الأقوام هى :

اعتقـاده الخـاص برسالة معينة فى حياته .

وتقاليده التى تربط بين أفراده .

أما اللغات المديدة التى تعلمها النازحون من اليهود وسط الشعوب الـتى استقروا بها ، وأما تاريخ هذه الشعوب التى استوطنوها فإنها ـ هذه وتلك ـ لا تصلح أن تـكون الرباط فى إقامة دولة ، وإن صلحت أن تـكون وسيلة ترابط بين مجموعة وأخرى من اليهود .

والقيم الإنسانية التى تدعى أية فلسفة تجردها عن التحيز ، وبالتالى تدعى : أنها فوق الشعوبية والمذهبية الطائفية والدينية التى تدعى أنها « عالمية » لا توجد بعد حتى الآن ، وتوجد يوم يوجد « الإنسان العالمى » الذى يفـكر تفـكيرا عالميا فى الإنسانية وحدها : لا يتأثر فيـه ببيئة ولا وراثة ، ولا بمحدودية وجود الإنسان نفسه .

ويستحيل وجود هذا الإنسان إلا إذا ولد ونشأ على غير هذه الأرض .

وما يدعى : أنه تفـكير عالمى اليـوم فلا يعدو أن يكون تفـكيرا طلب فيـه أن تتجرد بعض الشعوب من خصائصها لصالح شعب واحـــد فيها . فالفـكرة « الماسونية » مثلا وإن ادعت فى طابعها « العالمية » فهى فى خدمة « إسرائيل » منذ وجود هذه الفـكرة .

واللغة العالمية « الإسبرنتو » لا تعبر

عن تفكير إنسانى عالمى، بل هى بالأحرى عامل لتذويب خصائص الشعوب ومحاولة دمجها وإزالة الفواصل بينها فى الاعتقاد والروابط الخاصة لصالح مجموعة مشردة، هى اليهود، كى تعيش فى تسلل واطمئنان، وكى تمارس نشاطها المالى والعقلى فى غيبة من الوعى الوطنى الذى تحييه اللغة الوطنية

* * *

اليهودية والدولة المعاصرة:

ولكن إذا صلحت اليهودية ـ أو تعينت، دون اللغة العبرية، ودون القومية اليهودية، ودون فلسفة القيم غير المتحيزة ـ أن تكون الرباط بين اليهود فى العالم أو فى أى مكان منه، هل تصلح مع ذلك أن تكون أساسا لدولة عصرية لإسرائيل كدولة تحاول أن تثبت وجودها؟

إن الدولة «العصرية» هى التى تكون لجميع الأفراد فيها، حمايتها للجميع على السواء، والعمل فيها لا يحرم منه راغب فى العمل بسبب عنصره أو طائفيته، أو عقيدته، أو لغته.

هى الدولة التى تتيح لجميع الأفراد حرية ممارسة العبادة، وعدم الإكراه فى الدين. هى التى لا تميز مجموعة من أفرادها فى الاعتبار البشرى على مجموعة أخرى فيها، على الأخص لسبب الدين أو العنصر.

١ — فهل فى اليهودية ما يحول دون أن تكون دولة إسرائيل دولة عصرية إذا قامت على أساس منها؟

٢ — هل فى اليهودية ما يجعل اليهود وحدهم أصحاب ميزة فى الاعتبار البشرى على من عداهم فى العقيدة فى دولة إسرائيل المعاصرة؟

إن الرجوع إلى اليهودية فى صلتها برسالة الله ـ وهى رسالة إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام — يمكن أن ينير الطريق إلى جواب هذا السؤال.

وخير مصدر نرجع إليه هو القرآن الكريم: «إن هذا القرآن يقص على بنى إسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون. وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين»[1].

رسالة موسى واليهودية:

إن رسالة موسى ـ كما أنزلت وكما يصورها القرآن الكريم ـ تختلف عن «اليهودية» التى يتبعها اليهود والتى يتخذون منها أساسا للترابط فى قيام دولة

[1] النمل ٧٦، ٧٧

إسرائيل المعاصرة، يقول الله عز وجل فى وصف رسالة موسى :

« أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه، ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة » [١]

فقد وصف « كتاب موسى » بأنه كان قبل القرآن إماما للبشرية ورحمة لهم وجاء القرآن شاهدا عليه ومؤيداً لما جاء به وهو (أى القرآن) كذلك إمام ورحمة للناس جميعاً .

بينما يقول فى وصف اليهودية بين بنى إسرائيل :

« وقالوا (أى أهل الكتاب) : كونوا هودا أو نصارى تهتدوا !

قل : بل ملة إبراهيم حنيفا، وما كان من المشركين .

قولوا : آمنا بالله، وما أنزل إلينا، وما أنزل إلى إبراهيم، وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط، وما أوتى موسى وعيسى، وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق : بين أحد منهم ونحن له مسلمون فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا، وإن تولوا فإنما هم فى شقاق، فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم، صبغة الله، ومن أحسن من الله صبغة، ونحن له عابدون » .

«أم تقولون: إن إبراهيم، وإسماعيل، وإسحق، ويعقوب والأسباط، كانوا هودا أو نصارى؟ قل أأنتم أعلم أم الله » [١].

فالقرآن - فيما يحكيه عن المولى جل شأنه هنا - لا يقبل اليهودية أو (النصرانية) كدين لهداية البشرية وإنما دين الله مصدر هدايته هو « ملة إبراهيم حنيفا » . فاليهودية أو (النصرانية) دين فريق معين من البشر، وليست الدين الذى هو للناس جميعا، وهو وحده الذى يقبل عند الله، وهو الدين الذى جاءت به الرسل جميعها .

ثم فى قوله تعالى : « ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا، ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين » [٢] .

ينفى أن يكون إبراهيم عليه السلام يهوديا، ثم يثبت أنه كان مسلماً، وهذا

---

[١] هود ١٧

[١] البقرة ١٣٥ - ١٣٨، ١٤٠

[٢] آل عمران ٦٧

يوضح أن هناك اختلافا وفجوة بين ما لليهود من يهودية ... وبين ما عليه المسلمون من إسلام الذى هو رسالة الله منذ إبراهيم حتى محمد بن عبد الله عليهما الصلاة والسلام .

وتختلف اليهودية عن كتاب موسى ، كما تختلف عن ملة إبراهيم ، وعما أنزل إلى الرسل جميعا :

فكتاب موسى ، ورسالة إبراهيم ، وما أنزل على الرسل من بعدهما هو الإسلام الذى جاء به القرآن مصدقا لما بين يديه من هذه الرسالات ...

وإذن :

هنا رسالة الله ، أو الإسلام . وهى الرسالة الإلهية منذ إبراهيم ... حتى موسى ، وعيسى ، ومحمد عليهم الصلاة والسلام .

وهنا شىء آخر يختلف عنها وهى : يهودية بنى إسرائيل .

والحديث كذلك عن اليهودية ليس هو الحديث عن دين الله أو عن رسالته للبشرية التى هى الإسلام منذ إبراهيم عليه السلام .

والسؤال الآن : بم تختلف اليهودية عن كتاب موسى ؟

ويجيب القرآن الكريم أيضا عن هذا السؤال فى مثل ما يذكره قول الله تعالى :

« وقالت اليهود والنصارى : نحن أبناء الله وأحباؤه .

قل : فلم يعذبكم بذنوبكم .

بل أنتم بشر ممن خلق ، يغفر لمن يشاء ، ويعذب من يشاء ، ولله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير »(١) .

فكل من اليهود والنصارى صنع فى رسالة الله ما يجعلها مصدر تمييز لهم ، بحيث يتجاوزون هم فى أنفسهم عن طريق التأويل فيها مستوى الإنسان إلى مستوى آخر أقرب إلى الله ، وهو مستوى الأبناء ، أو الأحباء .

وقد كان بنو إسرائيل يدعون أنهم أولاد إبراهيم عليه الصلاة والسلام . ولذا لا يعاقبون على ذنوب يرتكبونها ، وإن عوقبوا عليها ـ على أسوأ الفروض ـ فلمدة قصيرة ولذا جاء القرآن ـ كرسالة لله ـ ينفى هذا الادعاء ، ويؤكد أن الناس جميعا سواء أمام الجزاء ، وأنه لا فرق بين مجموعة وأخرى ، ولا بين شعب وآخر فى ذلك .

(١) المائدة ١٨ .

... جاء قول القرآن هذا فى قوله :

« وقالوا : لن تمسنا النار إلا أياما معدودة قل : أتخذتم عند الله عهداً ، فلن يخلف الله عهده ؟ أم تقولون على الله مالا تعلمون ؟ بلى : من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون .

والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون » (١)

فشعب بنى إسرائيل ليس شعبا « مختارا » يتميز عما سواه من الشعوب ، كما تنطق رسالة الله فى القرآن ، وإن ادعى اليهود ذلك لأنفسهم .

ثم إن الذين يكفرون بـ « روحية » الذين تحت تأثير الاتجاه المادى فى الإيمان بالله ، ويباشرون هذا الاتجاه فى ارتكابهم الجرائم الاجتماعية ، رغم إعطائهم العهد والميثاق على عدم ارتكابها ، لا يستبعد منهم أن يخالفوا هذه الروحية فى تمييز أنفسهم عن سواهم بعد أن يعلنوا الإيمان بها .

١ ـ فقد طالبوا برؤية الله عيانا كطريق للإيمان به : « يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا : أرنا الله جهرة ، فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ، ثم اتخذوا العجل من بعدما جاءتهم البينات » .

٢ ـ وباشروا الجرائم الاجتماعية ، رغم المواثيق المؤكدة على عدم ارتكابها .

« وإذ أخذنا ميثاقكم : لا تسفكون دماءكم ، ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون . ثم أنتم هؤلاء : تقتلون أنفسكم ، وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أسارى تفادوهم ، وهو محرم عليكم إخراجهم ، أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ؟ فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب ، وما الله بغافل عما تعملون » (١) .

واستمر شعب بنى إسرائيل نفسه تحت تأثير « المادية » قرونا وأجيالا عديدة حتى اليوم ، رغم وجود سلسلة من الأنبياء توضح لهم رسالة موسى ، ورغم أن عيسى جاء على أثرهم برسالة الله إليهم مرة أخرى : « وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقا

---

(١) البقرة ٨٠ ـ ٨٢ .

(١) البقرة ٨٤ ، ٨٥

لما بين يديه » ، ورغم مناشدته إياهم أن يسمعوا لصوت الحكمة ، ورغم توضيحه لما اختلفوا فيه عن كتاب الله . « وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الإنجيل » ، « وإذ قال عيسى ابن مريم : يا بنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة » .

ومما اختلفوا فيه عن كتاب الله قولهم إنهم شعب الله المختار ، ومع ذلك ظلوا ماديين ، ومدعين لأنفسهم بسبب ماديتهم ما يتفوقون به على غيرهم ، ولهذا كانوا ظالمين لأنفسهم .

« ولما جاء عيسى بالبينات قال : قد جئتكم بالحكمة ، ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه (أى عن كتاب الله) فاتقوا الله وأطيعون .

إن الله هو ربى وربكم فاعبدوه ، هذا صراط مستقيم . فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم »[١] .

فبنو إسرائيل ظلوا مختلفين عن دين الله ورسالته على عهد موسى .

ثم اختلفوا كذلك عن دين الله ورسالته على عهد عيسى : منهم من كفر به وبرسالته ومنهم — وهم قلة — أصبحوا حواريين له ، وهم الذين أخذوا اسم « النصارى » من أبناء هذا الشعب الإسرائيلى : « فلما أحس عيسى منهم الكفر ، قال : من أنصارى إلى الله ؟ . قال الحواريون : نحن أنصار الله آمنا بالله ، واشهد بأنا مسلمون »[١] .

واختلافهم إذن عن دين الله ورسالته — سواء على عهد موسى ، أو على عهد عيسى عليهما السلام — هو على نحو ادعاءاتهم التى سجلها القرآن الكريم عليهم فيما يحكيه عنهم :

من قولهم : « نحن أبناء الله وأحباؤه » .

وقولهم : « لن تمسنا النار إلا أياما معدودة » .

وقولهم : إن إبراهيم كان يهوديا فيما ينفيه القرآن فى قوله : « ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ، ولكن كان حنيفا مسلما » .

« وقولهم على مريم بهتانا عظيما » .

ومن قولهم : « إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله » .

« وأخذهم الربا وقد نهوا عنه .

« وأكلهم أموال الناس بالباطل » .

وقد جاء القرآن بعد ذلك يناشدهم

---

[١] الزخرف ٦٣ — ٦٥ .

[١] آل عمران ٥٢ .

عدم الغلو فى الدين ، وعدم اتباع الهوى ولكن ظل نداؤه إياهم بغير جدوى . واستحقوا بسبب ظلمهم لأنفسهم واختلافهم عن دين الله اللعن من الله جلت قدرته :

« قل يا أهل الكتاب : لا تغلوا فى دينكم غير الحق .

ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل ، وأضلوا كثيرا ، وضلوا عن سواء السبيل .

لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود ، وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا ، وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون . ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا ، لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم ، وفى العذاب هم خالدون . »[1] .

فاستعلاء شعب إسرائيل اليوم فى دولتهم المعاصرة على أساس من عقيدة (اليهودية) يحول دون أن يكون (الدين) من مقومات الدولة ، كدولة عصرية ، يجب أن تسوى بين جميع الأفراد فى الاعتبار البشرى وفى حرية العقيدة .

وتأثر شعب إسرائيل اليوم فى دولتهم المعاصره بالاتجاه المادى ـ الذى ظل طوال تاريخهم ـ لا يجعل « اليهودية » أيضا دينا ، حتى يعتبر أو لا يعتبر من مقومات دولة عصرية . أى أنه يحول دون اعتبار اليهودية دينا أولا .

« واليهودية » إذن لا تصاحبها خصائص الرسالة الإلهية وخصائص دين الله وأبرز هذه الخصائص :

أولا : المساواة فى الاعتبار البشرى : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » . « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون »[1] .

وثانيا : (روحية الدين) وهى تلك الروحية التى تحول دون الجرائم الاجتماعية فى الأموال والأعراض والأنفس ، والتى تحمل على تجاوز دائرة الطفولة البشرية فى التفكير والاعتقاد ، فلا يقف تفكير المؤمن بدين الله وروحية هذا الدين عند حد المحسوس والمشاهد ، كما لا يجمد اعتقاده وإيمانه بما يحسه فقط ، ويرفض كل ما عدا المحس إن فكر أو اعتقد . ولذا يرفض الإيمان بالله لأنه لا يحس .

(١) المائدة ٧٧ — ٨٠ .

[١] سبأ ٢٨

« ذلكم الله ربكم ، لا إله إلا هو ، خالق كل شيء فاعبدوه ، وهو على كل شيء وكيل لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير » [1] .

وإذا حال (عدم المساواة) فى الاعتبار البشرى دون صلاحية ما يدعى له الدين أو العقيدة من أن يكون دينا أو عقيدة ، ففقدان (روحية الدين) أو الوقوع تحت تأثير الاتجاه المادى أكثر إبعادا لما يدعى : أنه دين ، من أن يكون دينا فالاتجاه المادى من شأنه أن يفرق حتى بين الإخوة ، والدين من شأنه أن يكتل ويجمع حتى بين الأعداء « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » [2] .

الاتجـــاه المادى يشجع (الأنانية) و (الفردية) والدين يشجع روح الجماعـــة والمشاركة ، على حساب الذات وشهواتها . و (الأنانية) هى داء المجتمع وعدوه الأول هى مصدر الخصومات والأحقاد ، هى مصدر الاستغلال والاحتكار . هى مصدر العبث والفساد عن طريق الترف والمبالغة فى المتعة المادية . هى مصدر القتل وإشاعة الفحشاء والمنكر هى مصدر الشرك والانتهازية والنفاق .

ولذا لا يصدق إطلاقا أن أية أيديولوجية تدعو إلى المبادلة أو المنفعة (المادية) وحدها تصبح عقيدة أو دينا (فضلا عن أن تكون ذات أثر إيجابى فى حياة من يدعى أنهم يؤمنون بها) لا يصدق مطلقا : أن مذهبا ماديا فى الحياة يشيع روح الإنسانية أو يستهدف المستوى الإنسانى فى المجتمع .

الاتجاه المادى يطلب اقتناص الفرصة فى جمع المال والمتع الدنيوية ، والدين يطلب الزهد فيها الصالح الإيمان بالله والقيم العليا ، يطلب « التضحية » حتى بالنفس بعد المال والولد .

و « اليهودية » المادية إذن ، واليهودية التى تدعى أنها دين « النخبة » ودين « الشعب المختار » لو تأسست عليها الدولة المصرية ، دولة المساواة فى الاعتبار البشرى « لكانت عوامل الفرقة فيها متعددة ولكان الصراع الداخلى أشد وأعنف فيها

---

[1] الأنعام ١٠٢ ، ١٠٣ .
[2] آل عمران ١٠٣ .

وهى عوامل العنصرية من جانب، والانتهازية المادية من جانب آخر.

ولكنها فى الآونة الحاضرة لا يبدو التفرق فى مجتمعها ولا التمزق الداخلى فيه بسبب التركيز على «توسعاتها» وعلى ما يضمن لها شبه الاستقرار، ويكفل لها أمنا خارجيا.

وعوامل العنصرية إذا أوحت بها عقيدة كان تمزيقها للوحدة الداخلية أمرا لا مفر منه إن عاجلا أو آجلا. وعوامل الانتهازية المادية لا تسبب فرقة الأنانية فحسب وإنما مع ذلك تجعل الأخ يحقد على أخيه ويغدر به ويتسلط عليه إن أمكن، فى سبيل تحصيل للنعمة المادية.

الإسلام دين الله، والدولة:

وإذا كانت رسالة الله لعيسى بن مريم عليه السلام تحولت إلى مسيحية الكنيسة وأقامت هذه عليها سلطة سياسية وحكومة إلهية معصومة عن الخطأ ومن شأنها عندئذ أن تحول دون اعتبارها مقوما فى «دولة إنسانية» تصيب وتخطىء فى تقديرها، وإذا كانت رسالة موسى عليه السلام قبلها تحولت إلى دين «النخبة» و «شعب الله المختار» تحولت إلى «اليهودية» ومن شأنها عندئذ أن تحول دون اعتبارها مقوما فى «دولة عصرية» لا تفرق بين الأفراد فيها، ولا ترى «الشعوبية» أمراً فى تمييز هؤلاء الأفراد بعضهم عن بعض، فإن الإسلام دين الله ورسالة محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، وقد جاء مصححا لاختلاف الرسالتين السابقتين قبله، ولبيان ما اختلف فيه أهل الكتاب هنا وهناك عن كتاب الله، يضع الناس جميعا سواء أمام الاعتبار البشرى، ويرفع العصمة عن الإنسان إلا فى نطاق ما يكلف به رسوله لتبليغه من وحى الله إلى الناس كافة:

فالإسلام دين الله، ورسالة محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، لا يعرف:

١ - التفرقة العنصرية ولا الشعوبية كأساس لتقدير الناس والأفراد، وإنما يعرف مقياسا واحدا تقاس به منازلهم ومستوياتهم وهو مقياس «التقوى» أو السلوك الإنسانى المهذب أو المستوى البشرى الفاضل، فهو لا يبدأ بالتفرقة بين الأفراد وإنما يرجىء التفاضل بينهم إلى وقت مسئوليتهم عن التصرف والسلوك وإلى وقت حريتهم وعدم إكراههم على الفعل، بعد أن يضمن لهم أن رسالته قد بلغت إليهم.

وبذلك يصحح الإسلام ما اختلف فيه بنو إسرائيل عن كتاب الله ودينه، وهو كتاب موسى ومحمد على السواء. وقد آذى الله اليهود بسبب تأويلهم لدين الله وادعائهم: أنهم «شعب الله المختار» وسلط عليهم آلام «التفوق» في العنصر والعرق فيما ادعته أوربا من «الآرية» وتفوقها على «السامية» في النصف الأول من قرننا الحاضر.

٢ — ولا يعرف الإسلام أيضا القداسة والعصمة للبشر. فالناس كما هم سواء في الاعتبار البشرى، هم سواء أيضا في التعرض للخطأ والصواب. والفاضل بينهم ليس هو الذى لا يخطىء، وإنما هو الذى لا يقصد إلى الخطأ.

وبهذا أيضا يصحح ما اختلف فيه النصارى عن كتاب الله ودينه، وهو كتاب موسى، وعيسى، ومحمد على السواء.

والاتجاهات الراديكالية — وهى الاتجاهات المتطرفة فى الفلسفة الغربية — فى المجتمعات الأوربية هى فى الأغلب وليدة استنكار «القداسة» و«العصمة» للإنسان فى دين الكنيسة.

كما أن تصادم الأحداث فى تطور الحياة للمجتمعات المسيحية المعاصرة مع نظام الكنيسة يعود كذلك إلى المبدأ الكنسى وهو: «الربط بين الله وابن الله والروح القدس والإيمان بحلول الوحدة «الثلاثية» بينها فى رئيس الحكومة الإلهية. الذى له وحده حق القول والتفسير وحق الطاعة والولاء».

وهكذا: الإسلام دين الله ورسالة محمد ﷺ لا يعرف تفرقة عنصرية أو شعوبية ولا يعرف حكومة إلهية ولا إنسانا معصوما فى الحكم أو التقدير والرأى، ولا إنسانا مقدسا فوق مستوى البشر وأقرب إلى مستوى الملائكة، فضلا عن مستوى الله جل شأنه.

الإسلام يعرف الإنسان كإنسان ويقدم له المشورة والهداية كصاحب طبيعة بشرية يعرض لها الخطأ والصواب، والزلل والسداد والمرض والصحة، والفقر والغنى، والطفولة والشيخوخة، والموت والحياة، والضعة والشرف بالمال أو بالعصبية أو بالحكم، والتواضع والطغيان .. يعرض له النقيض ونقيضه من صفات الوجود.

ويريد للإنسان فحسب أن لا يسقط إلى مستوى الحيوان فى إغفال العقل والقلب وأن

يركز فقط على المعدة والفرج.. يريد للإنسان أن يكون لبنة مصقولة فى بناء مجتمع إنسانى كبير. وصقلها عن طريق الحد من « الأنانية » وإفساح مجال لمعنى الجماعة ومشاركة الحياة والوجود.

القومية كبديل عن دين الله ورسالة محمد عليه الصلاة والسلام :

والآن إذا ترك الإسلام — دين الله ورسالة محمد عليه السلام — فى المجتمعات الإسلامية، وأبعد عن أن يكون من مقومات الدولة المصرية فذلك يرجع إلى أحد أمرين:

١ — إما إلى تقليد المجتمع الأوروبى — فى غربه أو فى شرقه — تقليدا ينطوى على التبعية المطلقة لتطور هذا المجتمع وأحداثه التى تتعاقب فيه، فى إعراض عن مراجعة الإسلام وتاريخ المجتمع الإسلامى.

٢ — وإما سعيا إلى التخلص من مبادىء الإسلام فى الحكم، وهى تلك المبادىء التى لا تساعد على أن تكون السلطة للتسلط، ولا على أن يكون الحكم لجاه الحكم..

تلك المبادىء التى أدناها العدل، وأرفعها الإحسان، والعدل إذا كان توازنا فى المبادلة والمعاملة وإحقاق الحق لكل صاحب حق فالإحسان هو إعطاء من إنسانية المحسن، ممثلا فى عمل خير إنسانى أو فى مال أو فى معاونة للغير، أكثر من الأخذ منه.

تلك المبادىء التى تجعل «الحرية» أمرا مكتسبا للفرد لا توهب من أحد سواه، وإنما تنزع عن طريق العبادة لله سبحانه وتعالى من هوى النفس وشهوتها، واكتسابها هو « جهاد أكبر » وهو أعظم شأنا من جهاد «الميدان» ولقاء الأعداء. لأن هذه الحرية لو تحققت لدى الأفراد فى المجتمع كانت هى سبيل النصر فى ميدان القتال فى كل مرة يواجه فيها الأحرار من المؤمنين عدو الله وعدوهم، ولكن النصر فى ميدان القتال مرة لا يكفل حرية المجتمع الدائمة التى تتجلى فى قوته وفى تماسكه، وفى بقائه معتزا بشخصيته التى تميزه عن غيره، وتجعله مستقلا غير تابع إلا لله وحده جلت قدرته.

و « القومية » التى يحاول بعض مدعى التفكير الاجتماعى من الأجانب من أمثال: ساطع الحصرى [1]، وجورج حبش [2]، وميشيل عفلق [3] — أن يجعل كل منهم

---

[١] الذى لا يعرف مذهبه ومعتقده بقدر ما يعرف بعده عن العرب والعربية.

[٣،٢] اللذان لا يعرف ولاؤهما الكنيسة بقدر ما يعرف عداؤهما للاسلام والمسلمين.

« بديلا » منها عن الإسلام فى الترابط إن هى إلا وعاء لا يحتوى إلا الحقد على الإسلام ، بعد جهل بمبادئه ، وفى الوقت نفسه بعد وعى بآثاره الإيجابية فى تجميع الأمة وفى نهضتها بعد استقلالها السياسى .

إن «القومية» التى يعنيها ساطع الحصرى قومية ألفاظ لغوية وقومية تاريخ لا يصور أحداث أمة كانت لها رسالة وقيم عليا وعاشت من أجل هذه الرسالة والقيم ، وتريد أن تعيش لها فى أجيالها المستقبلة ، فهى قومية جسم لا روح فيه .

و « قومية » جورج حبش ، وميشيل عفلق ، قومية إلحاد بدين الله ، وقومية « استيراد » لفكر متعثر يقوم على الدعوة لتنمية « الحقد » فى النفوس ويضع الغدر واللا إنسانية فى ضروبها المختلفة أساس السلوك ، كما يضع الأفراد فى الأمة فى متاهة الخصومات ودوامة النزاع وسوء العلاقات .

هى « قومية » تحيل مجتمع « القوم » المطمئن الآمن على نفسه وعلى رزقه إلى مجتمع يكفر بنعم الله ، فيقع فى اضطراب الجوع والخوف ويشق عليه أمر الحياة . وهذه سنة لا تتغير فى حياة المجتمعات . « وضرب الله مثلا : قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون »[١] .

هى قومية تدعو إلى الوثنية المادية : « واتخذوا من دين الله آلهة لعلهم ينصرون . لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون »[٢] .

إن الإسلام دين الله ، ورسالة خاتم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، لا يعرف :

١ ـ الفصل بين دين ودولة ، إنما يعرف الحياة الإنسانية للفرد وفى علاقته بغيره .

٢ ـ ولا يعرف : قضية الدين والعلم ، وإنما يعرف مؤمنا بالله يحكى صفاته فى نفسه من : علم ، وغنى ، وخلق وإبداع . ويتقرب بما يحاكيه إليه جل جلاله .

٣ ـ ولا يعرف : حكومة إلهية ، ولا رفعا لإنسان عن مستواه الإنسانى ، وإنما يعرف إنسانا يصيب ويخطىء فى تقديره وفى رأيه وفى علمه .

٤ ـ ولا يعرف تفرقة بين الناس على أساس من العنصر والعرق ، وإنما يعرف أن الناس جميعا سواء فى الاعتبار البشرى

---

[١] النحل ١١٢ .
[٢] يس ٧٤ ، ٧٥ .

وفى المسئولية أمام الله ، وأن التفاضل بينهم هو فى مدى تحقيق مستوى الإنسانية فى تفكير المؤمن وسلوكه وعمله ، هو فى التقوى والعمل الصالح .

٥ ـ ولا يعرف : تواكلا عن السعى والعمل ، وإنما يعرف متوكلا ومعتمدا على الله سبحانه ، بعد العزم وتحديد الطريق الذى يسلكه فى سعيه وفى عمله .

٦ ـ ولا يعرف : إنسانا ماديا أنانيا يطغى بماديته وأنانيته ، وإنما يعرف إنسانا محسنا : يعطى من إنسانيته على الأقل بقدر ما يأخذ إن لم يكن يعطى أكثر .

٧ ـ ولا يعرف : إنسانا راهبا أو مترهبا وإنما يعرف إنسانا يستمتع بمتع الحياة وبزينتها فى غير غلو وفى غير ترف يجر إلى العبث والفساد .

٨ ـ ولا يعرف مالا منفعته خاصة وإنما يعرف أن المال إذا كانت ملكيته خاصة فوظيفته اجتماعية ، ومنفعته عامة للناس جميعا « والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون »[1] :

٩ ـ ولا يعرف واليا يطلب الولاية فيولى ، وإنما يعرف الولاية بيعة واختيارا ممن يملك حق الاختيار فى الأمة .

١٠ ـ ولا يعرف عصيانا لوال يولى إلا فى معصية مؤكدة لله ولرسوله .

أى شىء قبل هذا أو بعد هذا يصلح أن يكون بديلا عنه فى حياة الإنسان وفى شئون أفراده ؟

قرآن الله موجود بأيدى المسلمين ، وليس لهم أن يشكو من ضعف أو هزيمة إلا أنفسهم .

والتقدم العلمى والتيكنولوجى لا يغنى عن الإسلام ، دين الله ورسالة خاتم الرسل محمد عليه الصلاة والسلام ، فى إسعاد البشرية وفى خيرها وفى الترابط والاطمئنان بينها .

إن التقدم العلمى والتيكنولوجى يساعد على التطور المادى وتوفير الإمكانيات المادية للبشرية .

ولكنه لا يحول دون أن يحتكر فريق من الناس هذه الإمكانيات ويحرم منها فريقا آخر .

لا يحول دون أن توجه هذه الإمكانيات المادية للإضرار ببعض الناس ولشقائهم .

[١] النحل ٧١ .

لا يحول دون أن تكون هذه الإمكانيات مصدر تهديد للقلق والخوف للبشرية كلها ونذير سوء بمستقبلها.

لا يحول دون أن تكون هذه الإمكانيات سببا لتربص بعض الناس ببعض ولغدر بعضهم ببعض.

لا يحول دون أن تكون هذه الإمكانيات عاملا للفساد والعبث والتحلل من القيم الإنسانية العليا.

فإذا أضيف إلى الإسلام فى الدولة العصرية العلم والتكنولوجيا، أصبحت هذه الإمكانيات المادية التى يوفرها التقدم العلمى والتيكنولوجى:

فى خدمة «الإنسانية»

فى خدمة الخير والنفع العام.

فى خدمة للقيم العليا للمجتمع الإنسانى العالمى.

وليست فى خدمة الأنانية:

١ — «ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب، (وهم اليهود والصليبيون)».

٢ — «ولا المشركين (وهم الوثنيون الماديون الملحدون)» [1].

أن ينزل عليكم من خير من ربكم، والله يختص برحمته من يشاء، والله ذو الفضل العظيم» [2].

«ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا، حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق.

فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره إن الله على كل شىء قدير.

وأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله إن الله بما تعملون بصير» [3].

وصدق الله العظيم.

د. محمد البهى

---

[١] «وبل للمشركين: الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون»، فطابعهم طابع مادى صرف: وإذا تحدثوا عن الدين: «وقال الذين كفروا: لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون».

[٢] البقرة ١٠٥.

[٣] البقرة ١٠٩، ١١٠.

قرارات وتوصيات الفترة الأولى

المؤتمر الخامس لمجمع البحوث الاسلامية

عام ١٣٨٩ هـ — ١٩٧٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

فى مرحلة من أدق المراحل التى تجتازها الأمة العربية والإسلامية ، وتواجه فيها خطراً جسيما يتهدد مصيرها على مستوى العالم الإسلامى كله ، وتحتشد فيها عزائمها الصادقة لرد العدوان الذى نزل بها ، انعقد المؤتمر الخامس لمجمع البحوث الإسلامية فى شهر ذى الحجة سنة ١٣٨٩هـ . (مارس ـ آذار سنة ١٩٧٠ م) بالقاهرة فى فترته الأولى التى بدأت من يوم السبت ٢٢ من ذى الحجة سنة ١٣٨٩ هـ الموافق ٢٨ من فبراير ـ شباط سنة ١٩٧٠م وانتهت بإعلان هذه التوصيات فى يوم الأربعاء ٢٦ من ذى الحجة سنة ١٣٨٩ هـ الموافق ٤ من مارس ـ آذار سنة ١٩٧٠م . وذلك بدعوة من الأزهر الشريف .

وقد التقى فيه وفود علماء المسلمين من البلاد المختلفة فى القارات الثلاث : آسيا ، أفريقيا ، أوربا ، بإخوانهم أعضاء المجمع لينظروا فى حاضر الأمة الذى تعلوه سحب الاعتداء والظلم والطغيان ، وليخططوا لمستقبلها الذى لا بد أن تشرق عليه شمس الحق والعدل ، والإنصاف والسلام .

وقد خصصت الفترة الأولى من دورة المؤتمر الحالية لمعالجة جوانب العدوان الإسرائيلى على العرب فى بقعة من أكرم بقاع الإسلام ، وللتصدى لتحديه المتغطرس لجميع القيم والمبادئ الدولية والإنسانية بمساندة سافرة من الولايات المتحدة الأمريكية وسائر الدول الاستعمارية ، حتى استشرى هذا الطغيان الإسرائيلى فامتدت يده الأثيمة فأحرقت المسجد الأقصى المبارك بالقدس الشريف .

ودرس المؤتمر ما قدم إليه من بحوث

وناقش كل فكرة تتعلق بقضية المصير، وقد التقت الآراء فى إجماع حاسم على تحديد أبعاد القضية، وعلى التصميم على مواجهة التحديات الصارخة التى وجهت وما تزال توجه إلى الإسلام، عقيدة وحضارة، ومقدسات وأرضا وأهلا، فى هذه المرحلة الحاسمة من تاريخه.

وانطلاقا من هذا الموقف، والتزاما بالمسئولية التى يتحملها المؤتمر أمام الله تعالى، وأمام التاريخ، وأمام الأجيال القادمة التى ستذكر لهذا الجيل ما قام به فى سبيل الحفاظ لها على وطنها ومقدساتها وتراثها وحضارتها، يرى أن قضية فلسطين والأرض المحتلة من الدول العربية الثلاث الأردن وسورية والجمهورية العربية المتحدة ليست قضية قومية أو سياسية فحسب، بل هى بالمكان الأول قضية إسلامية، يعيش المسلمون جميعا واقعها الحاضر المرير ويتحملون مسئوليتها ونتائجها لأن شعوبهم جميعا — مهما تعددت أجناسهم ولغاتهم واصطنعت بينهم الحدود — أمة واحدة يتداعى سائرها بالألم إذا أصاب جزءاً منها أى مكروه.

وقد أرادها الله كذلك فى وحدة أهدافها، وجمع كلمتها، وحشد عزيمتها، واستقطابها حول مسئوليتها فقال سبحانه وتعالى: « إن هذه أمتكم أمة واحدة، وأنا ربكم فاعبدون »، فالعدوان على أى جزء منها عدوان عليها وامتهان لسيادتها وكرامتها.

ومن ثم فإن الجريمة المنكرة التى ارتكبتها الصهيونية بإحراق المسجد الأقصى تشكل فى حقيقتها قمة من قمم الصراع بين الأمة الإسلامية، وقوى البغى والعدوان، أعدائها وأعداء الإنسانية.

وليست هذه الكارثة العظمى آخر مطمع من مطامع إسرائيل، بل هى مرحلة من مراحل عدوانها المخطط الذى يستهدف أقطارا إسلامية أخرى فى تخطيط يعد للانقضاض فى مراحل متتالية على باقى المقدسات الإسلامية والمسيحية معا ليتحقق للصهيونية حلمها الذى يؤجج شرهها، ويذكى نيران أطماعها، وهو إسرائيل الكبرى.

ودرءا لهذا الخطر الزاحف، وصونا لمقدسات المسلمين والمسيحيين فى فلسطين

واستجابة لأوامر الله تعالى بالدفاع عن دينه وعلى هدى من تعاليم الإسلام، وتوضيحا للرؤية بالكشف عن الدسائس الصهيونية والاستعمار لجميع المسلمين أفرادا وجماعات شعوبا وحكومات، وتجاوبا مع مشاعر المسلمين، وتحقيقا لإرادتهم فى واجب الدفاع عن كل ما هو مقدس يفتدونه بأنفسهم وأموالهم، من عقيدة، ووطن وعرض، وتراث، وحضارة، يعلن المؤتمر :

أولا : توصيات عامة :

(١) يؤكد المؤتمر أن الجهاد بالأموال والأنفس أصبح فرضا عينيا (النفير العام) على كل قادر من المسلمين، ومن يتخلف عن تحمل أعبائه، فقد سلك سبيلا غير سبيل المؤمنين.

وبما أن إسرائيل تحشد كل طاقاتها المادية والمعنوية للحرب مدعومة من الصهيونية العالمية ودول الاستعمار، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية.

وبما أن الأرض المقدسة والقدس الشريف والمسجد الأقصى ملك للمسلمين كلهم يتحتم على المسلمين فى كل مكان أن يبادروا إلى تحمل واجباتهم فى الجهاد والعمل على إرسال المجاهدين إلى ساحات القتال.

ولكى يتم للبلاد الإسلامية تدريب المجاهدين وتسليحهم وتنظيمهم وقيادتهم يوصى المؤتمر بتأليف منظمات للقيادات الثلاث : العسكرية، والمالية، والروحية فى كل بلد إسلامى.

(٢) يدعو المؤتمر البلاد الإسلامية إلى إرسال المتطوعين من الطيارين والفنيين إلى جبهات القتال لمعاونة إخوانهم المرابطين فى خطوط المواجهة الأمامية.

(٣) يوصى المؤتمر حكومات الدول العربية أن يبادروا إلى اختيار قيادة عسكرية عامة للمجاهدين، وقيادة مالية وقيادة روحية، لتنسيق الجهاد ووضعه فى حيز التنفيذ.

(٤) يحث المؤتمر الدول العربية على حشد كل طاقاتها المادية والمعنوية دعما للجبهتين الشرقية والغربية، ويدعو إلى وضع الوحدة العسكرية العربية موضع التنفيذ ويهيب بالدول العربية أن تعمل على تقوية

القيادة العربية الموحدة ، ويدعو المسلمين كافة إلى مساندة هذه الوحدة والقيادة ماديا ومعنويا.

(٥) يدعو المؤتمر الأمة الإسلامية إلى إنشاء صندوق للجهاد فى كل بلد إسلامى أسوة بالجمهورية العربية الليبية - لتمويل كفاح أبناء الشعب الفلسطينى والإنفاق على المجاهدين وأسر الشهداء ، وأن تخصص الحكومات قسما من ميزانيتها لهذا الصندوق ، وأن تساهم فيه الشعوب من دخل كل فرد منها بقدر استطاعته وغيرته وإيمانه .

(٦) يهيب المؤتمر بالمسلمين أن يبادروا إلى تعبئة القوى الدينية وتعميق القيم الإسلامية فى المساجد والمدارس والمعاهد والجامعات والمنتديات والقوات المسلحة وفى كل وسائل النشر والإعلام ، ويحثهم على التمسك بتعاليم الإسلام وآدابه وحشد القوى فى جميع المرافق والمصانع والمزارع استعداداً لمواجهة احتمالات الموقف العسكرى على أن يكون ذلك فى صورة جدية دائمة ، وتمكينا للقيام بذلك يوصى المؤتمر باتخاذ الإجراءات لإنشاء وكالة أنباء إسلامية .

ثانيا : بخصوص فلسطين :

(١) بما أن الشعب الفلسطينى قد مارس حقه المشروع وأعلن قيام الثورة الفلسطينية والعمل الفدائى ، ليحرر وطنه من المغتصبين والمعتدين الصهاينة ، فإن هذا المؤتمر يعترف بهذه الثورة ويبارك خطواتها ويعتبرها طريقا مشروعا للدفاع عن الحق واسترداد الديار المقدسة .

(٢) يوصى المؤتمر الشعوب والمجتمعات الإسلامية بالدعوة للثورة الفلسطينية فى كل المؤتمرات والتجمعات والمناسبات .

(٣) يقرر المؤتمر أن على جميع المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها دعم الثورة الفلسطينية دعما كاملا على المستوى المادى والمعنوى ، وتقديم المساعدات والتسهيلات التى تكفل لها نجاحها ، وفى سبيل تحقيق هذا الدعم يوصى المؤتمر بتشكيل لجان من علماء المسلمين وأصحاب الغيرة الإسلامية فى كل بلد أو مجتمع إسلامى لتنظيم الوسائل التى تؤدى إلى هذا الدعم الفعلى .

(٤) يقرر المؤتمر أن دعم الثورة الفلسطينية لا يعفى الشعوب والمجتمعات الإسلامية من المساهمة الفعلية فى جهادها بالنفس والمال لإنقاذ الأرض المقدسة وتحريرها، ويهيب المؤتمر بالمسلمين أفرادا وجماعات، شعوبا وحكومات أن لا يقتصر تأييدهم القضية الفلسطينية على القرارات والبيانات بل لابد من اتخاذ خطوات إيجابية بالمشاركة بالنفس والمال.

(٥) يعلن المؤتمر رضاه ومباركته لتشكيل القيادة الموحدة للعمل الفدائى الفلسطينى ويرجو من حكمة القائمين على هذه الوحدة القيادية أن يعملوا على استمرارها وتقويتها بما يجعلها مقدمة لوحدة العمل الفدائى قيادة وتنظيما لتكوين قوة ضاربة قادرة على النهوض بواجباتها الموحدة فى الجهاد داخل الأراضى المحتلة ضد العدو الذى لا يفرق بين عناصرها فى بغيه وعدوانه.

(٦) يوصى المؤتمر جميع المسئولين فى البلاد العربية والإسلامية أن ييسروا للعمل الفدائى القيام بمهمته الشريفة على الوجه الأكمل، حتى يكون تأييد المسئولين مناسبا لتضحية الفدائيين.

(٧) يقرر المؤتمر أن العمل الفدائى ضرب من أهم ضروب الجهاد المشروعة بل المفروضة، ولذلك فإن تجهيز الفدائيين بالسلاح والمال وكل ما يحتاجون إليه هو من الواجبات الشرعية، وأن دفع الزكاة فى هذا السبيل هو من مصارف الزكاة الشرعية تبرأ به ذمة المزكى أمام الله سبحانه وتعالى.

(٨) يقرر المؤتمر أن إقدام إسرائيل على إحراق المسجد الأقصى المبارك يمثل ذروة الجرائم على بيوت الله تعالى، وقمة الاعتداء على مشاعر المسلمين حيثما كانوا، وأنه لا سبيل لحماية المقدسات واطمئنان المسلمين فيها إلا بإجلاء العدو الصهيونى عن القدس وسائر الأراضى المحتلة إجلاء تاما، وأن أى تفكير فى حل القضية الفلسطينية لا يعيد القدس فى سيادتها وإدارتها إلى الحالة التى كانت عليها قبل العدوان — مرفوض رفضا قاطعا، لأنه تفريط فى حقوق المسلمين، وأن أى حديث عن تدويل القدس مرفوض كرفض تهويدها تماما.

(٩) يؤكد المؤتمر قراره فى العام الماضى بتأييد الفتوى الدينية الصادرة من علماء المسلمين ومفتيهم وقضاتهم فى الضفة الغربية للأردن بتاريخ ١٧ من جمادى الأولى سنة ١٣٨٧ هـ (٢٢ من أغسطس سنة ١٩٦٧ م) التى تنص على أن المسجد الأقصى المبارك بمفهومه وتحديده الإسلامى يشمل المسجد الأقصى المعروف الآن، ومسجد الصخرة المشرفة والساحات المحيطة بهما، وما عليه السور وفيه الأبواب، وأن العدوان على أى جزء من ذلك كله هو انتهاك لحرمة المسجد الأقصى المبارك واعتداء على قدسيته وأن الحرم الإبراهيمى فى الخليل مسجد إسلامى مقدس، وأن كل اعتداء على أى جزء منه انتهاك لحرمته وقدسيته.

(١٠) يقرر المؤتمر أن المسلمين كما يجب عليهم المحافظة على المقدسات الإسلامية والدفاع عنها يجب عليهم كذلك المحافظة على مقدسات المسيحيين فى فلسطين والدفاع عنها والتمكين من حرية زيارتها عملا بحكم العهدة العمرية وتعاليم الشريعة الإسلامية.

(١١) يعلن المؤتمر سخطه وإدانته لجميع القوى الاستعمارية التى تقف وراء العدوان الصهيونى، تشجعه على العدوان، وتدعمه بالسلاح والمال، وعلى رأس هذه القوى الاستعمارية الولايات الأمريكية التى كشفت عن تواطئها وانحيازها عما يخالف العرف الدولى، والوضع الإنسانى، والتزامها فى الأمم المتحدة.

(١٢) يوجه المؤتمر تحية تقدير وإكبار إلى إخواننا فى مختلف المناطق المحتلة لثباتهم وصمودهم، ولمواقفهم البطولية الرائعة فى مقاومة المعتدين.

(١٣) يوجه المؤتمر تحية إجلال وإعزاز إلى الجيوش العربية الباسلة وسائر القوات المسلحة المرابطة على خطوط النار والمواجهة للعدو بشجاعة واستبسال، فهى حصن الأمة المنيع، ودرعها الواقية، وسهمها الصائب بإذن الله تعالى.

كما يوجه هذه التحية إلى الفدائيين الأبطال الذين تحوطهم الأمة بإعزازها وإعجابها وإجلالها.

(١٤) يقرر المؤتمر أن المعركة القائمة اليوم معركة مصيرية، معركة بقاء أو فناء للشعوب العربية والأمة الإسلامية فالعروبة هى وعاء الإسلام، وقد قال الرسول ﷺ: «إذا ذلت العرب ذل الإسلام».

وأنه بناء على ذلك يجب على جميع العرب والمسلمين أن يشتركوا فيها اشتراكا فعليا .

وأن المؤتمر يدعو بهذا إلى واجب شرعى، وواجب وطنى ومصلحة مشتركة، درءا لخطر زاحف لن يكتفى بما امتد إليه عدوانه .

(١٥) يؤكد المؤتمر الدعوة إلى التعاون الاقتصادى الوثيق بين الدول العربية والإسلامية إلى أقصى الحدود والعمل على تنسيقه بما يحقق التكامل الاقتصادى بينها .

(١٦) يوجه المؤتمر عميق شكره وتقديره لجميع الدول والشعوب والمنظمات والهيئات والأفراد التى وقفت إلى جانب قضيتنا، وأمدتنا بعونها المادى والمعنوى .

(١٧) يوصى المؤتمر بتأليف وفود تمثله لزيارة البلاد الإسلامية لنشر مقررات المؤتمر على المستوى الرسمى والشعبى .

أنبــاء المؤتـــمر

للأستاذ علي الخطيب

● وجهت الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية الدعوة لحضور المؤتمر الخامس للمجمع إلى البلدان والجماعات الإسلامية في كل من آسيا وإفريقيا وأوربا :

فحضر مندوبون من آسيا عن : الأردن وأفغانستان ، وأندونسيا ، وباكستان وسوريا ، والمملكة العربية السعودية وسيلان والعراق وعمان وفلسطين والفلبين والكويت ، ولبنان ، وماليزيا ، والهند ، واليمن ، والصين ، وجزر مالديف ، وكوريا واليابان .

ومن إفريقيا : أوغندا ، والجـــزائر والسودان ، والصومال ، وكينيا ، وليبيا وموريتانيا ونيجيريا وجنوب إفريقيا .

ومن أوربا : بريطانيا ، وتركيا ، وروسيا والنمسا ، وبوغسلافيا .

● عملت كل وحدات مجمع البحوث الإسلامية في إدارة وتنظيم المؤتمر ، وقد أدى أعضاء الوفود صلاة الجمعة الموافق ٢١ من ذي الحجة ١٣٨٩ ـ ٢٧/٢/١٩٧٠ بالجامع الأزهر الشريف . وقد أم المصلين الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر .

كذلك أقام فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية حفل استقبال للوفود بفندق كليوباترا في المساء حضره الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر والسيد الدكتور عبد العزيز كامل وزير الأوقاف وشئون الأزهر .

وقد اهتمت وسائل الإعلام بالجمهورية العربية المتحدة ووكالات الأنباء العالمية ومراسلوها في القاهرة بتتبع أنباء المؤتمر ، ووالت نشرات الأخبار بالإذاعة الإعلان بأنبائه .

● افتتح صباح السبت ٢٢ من ذي الحجة ١٣٨٩ هـ المؤتمر الخامس للمجمع بقاعة الاجتماعات بمحافظة القاهرة . حضر حفل الافتتاح فضيلة الإمام الأكبر والأمين العام لمجمع البحوث والسيد وزير الأوقاف وشئون الأزهـــر نائبا عن الرئيس جمال عبد الناصر ، والأمين العام لجامعة الدول العربية ، وفضيلة مفتي الجمهورية ومدير

جامعة الأزهر ، ووفود الدول والجماعات الإسلامية .

وبعد تلاوة القرآن الكريم توالت كلمات : الإمام الأكبر فضيلة الدكتور محمد محمد الفحام تليها كلمة الوفود وقد ألقاها سماحة الشيخ عبد الحميد السائح ، فكلمة الأمانة العامة وقد ألقاها فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود ثم كلمة السيد وزير الأوقاف وشئون الأزهر الدكتور عبد العزيز كامل .

● أدار فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود الأمين العام جلسات المؤتمر يساعده الأستاذ عبد الرءوف شلبي والأستاذ محمد الونكلوني .

● جاء في تصريحات السادة أعضاء الوفود بضعة حقائق هامة :

فقد كشف اللواء الركن محمود شيت خطاب عن سر يتعلق بحرق المسجد الأقصى قال :

لقد حددت إسرائيل يوم ٢١ أغسطس ١٩٦٩ لحرق المسجد الأقصى ، لأنه نفس اليوم الذي أحرق فيه «تيتوس» الروماني هيكل سليمان .

وها أنذا أقول لكم ، ولست أتنبأ ، ولكني أقول - قبل شهور - : إن إسرائيل تعتزم أن تبنى هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى يوم تضع الحجر الأساسي في يوم ٢١ / ٨ / ١٩٧٠ م بمناسبة مرور سبعة عشر قرنا على هدم الهيكل ، وقد استقدموا لذلك أحجاراً من ولاية « أنديانا » الأمريكية .

● بين سماحة الشيخ عبد الحميد السائح دور الولايات المتحدة الأمريكية مع إسرائيل فقال :

طلب الرئيس روزفلت من المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود عندما اجتمع به على ظهر بارجة أثناء الحرب العالمية الثانية أن يعطى اليهود طريقا إلى خيبر ، فتساءل الملك مندهشا : لماذا ؟

قال : لأن هذه بلادهم وهم يريدون العودة إليها .

● ناشد الأستاذ عبد الغنى الشيخ أحمد قاضى المحكمة العليا بالصومال ، ومندوب بلاده في المؤتمر السادة أعضاء المؤتمر أن يوجهوا ضربة قاصمة إلى كل انحراف يكون عاملا هداما في وحدة الصف العربي الإسلامي . فقال :

إن المسلمين في البلاد غير العربية ينظرون إلى العرب نظرة تقديس ، وكل عربي يكتب

كلمة منحرفة ضد الإسلام أو يقلل من شأنه يحدث بذلك فى البلاد الإسلامية غير العربية رد فعل سيء فى صف الجهاد الإسلامى . وأنتم أيها المسلمون العرب تستطيعون أن تميزوا بين الخبيث والطيب وتدركوه، والقلة الواعية فى البلاد الإسلامية الأخرى لا تستطيع أن تقاوم هذا التيار بسهولة فعلى العرب ألا يتهاونوا فى درء هذا الخطر .

● صرح الأستاذ الفيلسوف مالك بن نبي مندوب الجزائر فى المؤتمر عن النشاط اليهودى الذى لا يكل من تخطيطه ، فقال : ضبطت حكومة الجزائر جماعة من الشباب تعمل لحساب إسرائيل وتسمى (جماعة يهوه) ثم قال والألم يغمره :

إننى لن أناقش آراء أحد فى كلمتى هذه ، ولكنى أقول لكم :

كان للإسلام ثلاثة مراكز إشعاعية قوية تتمثل فى تركيا، والهند، والقاهرة وقد ضاع على التوالى مركزا تركيا والهند فى مدى نصف قرن وبقيت القاهرة . ومن هنا تتكتل قوى العدوان المختلفة للقضاء على المركز الثالث .

● صرح السيد (محمدوى) نائب رئيس اتحاد المسلمين فى كوريا بأن فى بلاده : (كوريا الجنوبية) ٢٤ مليون نسمة من البشر فطريين وهؤلاء لا ينقصهم إلا نشاط تبشيرى بالإسلام حتى يعتنقونه سريعا .

● صرح الدكتور عبد العزيز كامل وزير الأوقاف وشئون الأزهر فى حفل التكريم الختامى للوفود الذى أقيم بفندق (شبرد) بأن الشباب المسلم فى الفيلبين حمله رسالة جاء فيها :

لو كانت بلادكم عقيدة لكانت الإسلام .
ولو كانت بلادكم مؤسسة لكانت الأزهر الشريف .

ولو كانت بلادكم رجلا لكان الرئيس جمال عبد الناصر ؟

علي الخطيب

enemy, inciting him to pursue his aggression, and providing him with armaments and money.

Foremost amongst these imperialist Powers is the United States of America which has unmasked its collusion and bias, in a way diametrically opposite to international norms, human usages; besides being inconsistent with her solemn obligations to the United Nations.

12 — The Conference pays homage to our brothers in the various occupied territories, and hails their unshaken resolve, superb steadfastness, and admirable heroic feats repulsing the aggressors.

13 — The Conference pays tribute to the courageous Arab armies, and the rest of the armed forces, deployed along the front-lines. They are the impregnable strong hold of the Arab Nation, its protective shield, and the deadly weapon that will gain victory by God's Leave.

The Conference extends equally its greetings to the Commandos upon whom the Nation looks with affection, admiration, and respect.

14 — The Conference holds that the present-day struggle is a Battle of Destiny which means either the survival or the annihilation of the Arab peoples, including the entire Muslim Community; since Arabism is the backbone of Islam.

In this connection, the Prophet (P.B.U.H.) is reported to have said: "Were the Arabs to be humiliated, Islam would suffer an identical fate". For this reason, the entire body of Arabs and Muslims have to share effectively in this struggle.

The Conference, thereby, calls for prompt action, through the fulfilment of a lawful obligation, patriotic duty, and collective well-being, so as to stave off an advancing aggression, the perpetrators of which would never be content with what they have wrested.

15 — The Conference stresses its call to establish economic co-operation among Arab and Muslim States, and that necessary measures be taken to the farthest possible extent towards its co-ordination, in a way as to ensure full economic integration among them.

16 — The Conference expresses its hearty acknowledgement and gratitude to all the States, Peoples, Organizations, Associations, and individuals who have stood firm in support of our cause, and have never failed in providing us with their material and moral aid.

17 — The Conference recommends that delegations, acting as its representatives, be formed to visit Muslim countries where these resolutions be made known to official and non-official circles.

its payer would thus be acquitting himself well before God, Glory be to Him.

8 — The Conference declares that Israel's action of setting the blessed Aqsa Mosque on fire, constitutes the climax of her heinous crimes against God's Sanctuaries; and that it is the culminating point in brutally injuring the feelings of Muslims wherever they be.

The Conference holds that there would be no way for the safeguarding of the sacred shrines and quietening Muslims, feelings, save by a wholesale expulsion of the Zionist enemy from Jerusalem and the rest of the Occupied territories; that any proposal disregarding the restoration of Jerusalem to its former sovereignty & administration before the Israeli aggression, is to be met with categorical rejection; since this would be downright renouncement of Muslims' rights.

Equally to be unreservedly rejected is any talk about the internationalization of Jerusalem; Internationalization is as unacceptable as judaisation.

9 — The Conference confirms the religious verdict issued last year by Muslim scholars, muftis, and Qàdis in the western bank of the Jordan, on 17th of Jumada al-Ula 1387 A.H. (August 22nd, 1967 A.D.) which states that the Aqsa Mosque, in its religious concept, covers the blessed Aqsa Mosque as it is known at the present time, as well as the Holy Dome of the Rock, their precincts, including the walls, doors, and the surrounding courtyards.

The Conference considers that aggression against any of these parts of the Mosque as tantamount to the desecration of its sanctity and holiness.

The Conference also declares that the Ibrahimy Shrine in Khalil (Hebron), is a sacred Muslim Mosque, and that aggression against any of its parts is, therefore, a profanation of its sanctity.

10 — The Conference declares that, alongside the duty of Muslims to safeguard and defend their shrines and holy places, it is likewise their duty to safeguard and defend the shrines and holy places of Christians in Palestine. Furthermore it is their religious duty to accord free access to them conformably to the Pledge of "Umar", the Second Caliph after the Prophet Muhammad, and also in obedience to the teachings of the Muslim Shari'at.

11 — The Conference denounces and condemns all the imperialist forces, siding with the Zionist

3 — The Conference declares that all Muslims in the east and the west are bound to help to the utmost the Palestinian Revolution on both the material and moral scale. Hence, should be offered the assistance and facilities which would secure its ultimate victory.

In seeking to implement such support, the Conference recommends the formation of committees whose members are to be drawn from the Ulemas, and other members noted for their zealous and firm Faith, in each Muslim country.

These committees have to be in charge of organizing the adequate means most conducive to substantial aid.

4 — The Conference declares that the aid to be afforded to the Palestinian Revolution does not exempt Muslim peoples and muslim Communities from participating effectively in the struggle with life and wealth, for the rescue and liberation of the Holy Land.

The Conference calls upon the entire body of Muslims : individuals and groups, peoples and governments, not to let their support be confined to the issuing of decisions and declarations; but rather should they take positive steps to participate in the struggle with their lives and wealth.

5 — The Conference announces that it approves of, and blesses the formation of a joint Command for the Palestinian Commandos, hoping that it shall be maintained and reinforced by those in charge of its organization; until it becomes a prelude to the formation of a task force, most efficient in the accomplishment of its unified feats of jihad inside the occupied territories, against the zionist enemies, who, in their wanton aggression and barbarous crimes, make no distinction between the various elements of commandos of the Joint Command.

6 — The Conference recommends that those in authority in the Arab and Muslim countries, provide the commandos with all the means and facilities that enable them to perform, to the utmost degree, their most honourable struggle. Thus, the support rendered by those in authority, would be proportional to the sacrifices made by the commandos.

7 — The Conference declares that commando - raiding is one of the important sorts of jihad ; nay it is one of the most binding duties.

For this reason, providing Commandos with weapons and money, besides everything they need is one of the Muslim injunctions. The payment of Zakat for this purpose, is one of the lawful ways, respecting the expenditure of its proceeds.

4 — The Conference urges the Arab States to mobilize all their material and moral potentialities to reinforce both the eastern and western fronts; and calls upon them to carry into effect the joint military command; besides making further efforts for its consolidation. Equally does the Conference prompt the whole body of Muslims to support this united command materially and morally.

5 — The Conference earnestly appeals to the Muslim Community to establish a fund for the jihad in every Muslim country, as has been done by the Libyan Arab Republic, so as to subsidize the struggle of the Palestinian People, and to finance the Mujahids and maintain families of the martyrs. The Arab Governments are requested to assign a portion of their public revenues to this fund.

Peoples are also requested to contribute to this fund, each individual from his income in accordance with his means, the fervence of his zeal, and the depth of his Faith.

6 — The Conference enjoins Muslims to mobilize the religious potency, and to deepen the Islamic values in mosques, schools, institutes, universities, clubs, the armed forces, and in all forms of mass media.

Thus the bodies working in all the establishments of public utility factories, and farms, should be urged to adhere to the teachings of Islam; so as to be well-prepared for facing all the possibilities of the military situation, in a way that has to be accomplished earnestly and persistently. To facilitate the implementation of these tasks, the Conference recommends taking the necessary measures for establishing an Islamic News Agency.

B— Recommendations Related to Palestine :

1 — Owing to the fact that the Palestinian People have exercised their legitimate right, and have announced the outbreak of the Palestinian Revolution, and the operations of the Commandos, so as to liberate their fatherland from the Zionist usurpers and aggressors, the Conference accords this Revolution, full recognition, and blesses the steps it is taking, considering it a legitimate way for the safeguarding of rights, and the recovery of the Holy Land.

2 — The Conference recommends that the Muslim peoples conduct propaganda campaigns for the support of the Palestinian Revolution in all the meetings that might be held, and on all occasions that might arise.

Hence, for the sake of warding off this prevailing peril; To safeguard the sacred territories of both Muslims and Christians in Palestine.

In compliance with the Commandments of God, be He exalted, enjoining the defence of His Faith; In conformity with the teachings of Islam.

To make the issue crystal-clear, by unmasking the intrigues of Zionism and imperialism, to the entire world of Islam, individuals and groups, nations and governments.

In response to Muslims' feelings, and putting into effect their determination to defend everything held as scared: faith fatherland, honour, heritage and civilization, for which they readily give their lives and wealth.

The Conference, hereby declares:

A — General Resolutions :

1 — That fighting with life and wealth has come to be incumbent duty upon every sound Muslim. (A universal Call for defence). He, who stands back would certainly be seeking out a way other than that of the Faithful.

Since Israel is accumulating and mobilizing all her material and moral potentialities, aided and abetted by World Zionism and the imperialist Powers, at the head of which is the United States of America; and owing to the fact that the Holy Land, Jerusalem, and the Aqsa Mosque are the legitimate property of the whole body of Muslims.

Muslims, wherever they may be, have to hasten to fulfil their duty of striving and to send fighting men to the battle-fields.

In order that the Muslim countries be enabled to carry out the training, equipping, organizing, and commanding the combatants, the Conference recommends the formation of three commands : military, financial, and spiritual, in every Muslim country.

2 — The Conference calls upon the Islamic countries to send to the theatres of operations, pilots and technicians to take their place, side by side with their brothers-in-arms on the front-lines.

3 - The Conference recommends that the governments of the Arab States as well as the Arab League should immediately form (a general) military command for the combatants, and two other commands for both the financial and spiritual affairs, so as to co-ordinate the struggle, and to put it into effect.

The Conference has studied the papers that were submitted to it, and discussed every viewpoint related to the Battle of Destiny. The conferees have agreed in a decisive unanimity on determining the dimensions of the issue in question and have taken the firm resolve to face the flagrant challenges that are persistently directed against Islam in its faith in its culture, its sacraments, its land and its people, in this decisive stage of its history. In view of this situation, and in commitment to its responsibility before God and history, as well as before posterity who will remember what the present generation had done to safeguard their fatherland, their sacraments, and their cultural heritage, the Conference declares that the Palestinian cause and the occupied territories, of three Arab States : Jordan, Syria, and the United Arab Republic, is not only a national or political issue, but is also first and foremost, an Islamic one.

The whole body of Muslims are experiencing its grievous reality, and assume full responsibility for all its bearings and consequences ; since their entire peoples, however might be the multiplicity of their races, languages and artificially-imposed boundaries, are but one and a single Community. Were a misfortune to befall any of its constituent parts, it would immediately be felt in the rest of it.

God hath destined the Muslim Nation to be such, as regards the unity of its aims, the unanimity of its resolve, the mastering up of its will, and the convergence on responsibility. God Almighty, said : "Verily, this community of yours, is one Community, and I am your Lord and Cherisher; therefore serve Me (and no other)" (XXI, 92).

Hence, the heinous crime committed by Zionism; which has been the arson of the Aqsa Mosque, constitutes one of the culminated points in the struggle that is raging between the Muslim Nation and the forces of injustice and aggression, its avowed enemies, and the enemies of humanity.

This great disaster does not constitute the last act of rapine to be committed by Israel.

Only is it one of the phases of its planned aggression which aims at wresting other Muslims countries, in a well-prepared design to destroy successively the rest of secred places of both Muslims and Christians. Thus would be realized Zionism's dream, which incites its excessive cupidity for the culmination in the establishment of "Greater Israel".

• • •

RESOLUTIONS AND RECOMMENDATIONS

ISSUED BY

The Fifth Conference of the Islamic Research Academy, at the end of its First stage, on 4th March 1970 A. D. (26th Dhulhijjah 1389 A. H.) .

In the name of Allah the Beneficent, the Merciful.

In one of the most crucial phases through which the Arab and Muslim Nation (World) is passing, facing a tragic peril which threatens its destiny on the scale of the entire World of Islam ; a phase in which it has made a firm resolve to repel the aggression that has befell on it; the Fifth Conference of the Academy of Islamic Research has been convened in Cairo in the month of Dhul - Hijjah 1389 A. H. (March 1970 A.D.), in response to the invitation of illustrious Azhar.

The first session started on Saturday the 22nd of Dhul - Hijjah 1389 A. H. (the 28th of February, 1970) and ended on Wednesday the 26th of Dhul-Hijjah 1389 A.H. (the 4th of March, 1970). The following are the Resolutions of this session.

• o •

Delegations of Muslim scholars, coming from various countries in the three continents of Asia, Africa and Europe, have met their brothren, members of the Academy of Islamic Research, to consider the present conditions of the Muslim Nation shrouded by clouds of aggression, injustice and tyranny to plan for its future which is due to be ligthened by the dawn of right, justice, equity and peace.

The first session of the presennt Conference was devoted to the discussion of the various aspects of the Israeli aggression against the Arabs, in one of the most highly valued territories of Islam, and to stand against this arrogant challenge of all human and international values and principles flagrantly supported by the United States of America, and other imperialist countries; thus the Israeli oppression has become so outrageous as to set on fire the sacred Aqsa Mosque in Jerusalem.

• • •

the Fifth conference was held in the conference hall of the Cairo Governorate on Saturday 28th February 1970 (22nd Dhulhijjah, 1389 A. H.). It was attended by more than 100 Muslim Scholars representing 36 countries in Asia, Africa and Europe. The inaugural session was presided by the Grand Sheikh of Al-Azhar, Dr. Muhammad Fahham. Members of the ASU Higher Executive Committee, the ministers, Arab League Secretary General, heads of Diplomatic missions, a large number of University Scholars and representatives of Educational and Cultural Organizations were present. The Grand Sheikh, in his opening address said that the Muslim world expected a word from the conference which will invigorate its hopes and liberate its land. Paying warm tribute to the role of Palestinian resistance, the Grand Sheikh hailed 'the soldiers of God' in the firing line.

Sheikh Abdul Hameed Sayieh, a former Jordanian minister, then spoke on behalf of the delegates participating in the conference. He said that the Scholars have to face the enemy's plans with both scientific studies and military preparations, and counter imperialist-Zionist designs to liquidate the Palestine question. Dr. Abdul Haleem Mahmud, the Secretary General of the Islamic Research Academy, explained the tasks and efforts of the Academy. Reviewing the Academy's role he sumed up its mission in the dissemination of knowledge to preserve the entity of Islam and the Muslim Community.

Dr. Abdul Aziz Kamel, Minister of wakfs and Al-Azhar Affairs, delivered a speech at the inaugural session. He welcomed the guest-delegates and the members of the Academy on behalf of President Gamal Abdul Nasser, and wished them success in their tasks. The Minister pointed out in his speech: "International Zionism had occupied land which is the property of the Arabs and Muslims, killed innocent people with bombs and rockets supplied by imperialist forces, pulled down their houses, rendered the people homeless and burnt the house of God in Jerusalem".

The General session of the Conference remained for five days, during which the members of the Academy and the guest-delegates discussed ten major research papers presented by distinguished Scholars. Those papers dealt mainly with Israel's expansionist objectives, racial discrimination, commando action, & the 'Jihad' for restoring the rights of the people of Palestine.

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER :

ABDUL RAHIM FŪDA

SAFAR 1390	ENGLISH SECTION EDITED BY A. M. MOHIADDIN ALWAYE	APRIL 1970

Review and Annotation

The Fifth Conference of the Islamic Research Academy

By

A. M. Mohiaddin Alwaye

The Fifth Conference of the Islamic Research Academy of Al-Azhar took place in Cairo at a time when the Arab and Muslim world, and the peace loving people all over the world, confronted the Zionist-imperialist conspiracy against the people of Palestine, who have been wrongfully driven out. At the same time the Zionist Israelites sacrileged Al-Aqsa Mosque, one of the holiest spots on earth and dear to the hearts of all Muslims.

The Islamic Research Academy of Al-Azhar serves as the highest body of the distinguished Scholars who shoulder the responsibility of solving the problems facing the Muslim world, in the light of the Holy Quran, the Traditions of the Prophet, and Islamic Jurisprudence. It was the fitness of the things that the Academy responsed to the urgency of the crucial period through which the Arab and Muslim world is passing.

The Academy devoted the sessions of its fifth conference to the study of the Palestine question, Israel's expansionist objectives, and explain to the Muslims their duty to liberate occupied Arab lands, and to rescue the city of Jerusalem from the grip of Zionism.

The inaugural session of the


مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
« بدل الاشتراك »
٥٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٤٧٣
٩٠٥٥٠٦

الجزء الثالث — السنة الثانية والأربعون — ربيع الأول سنة ١٣٩٠ هـ - مايو سنة ١٩٧٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مولد الخير والنور والرحمة

للأستاذ عبد الرحيم فوده

عن أبي أمامة رضى الله عنه قال : قلت : يارسول الله ما كان أول بدء أمرك ؟ قال : دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى بي ورأت أمي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام .

١ — ومن ذلك يفهم أن مبدأ ظهور أمره ﷺ يرجع إلى ذلك الدعاء المشهور الذي رفع إبراهيم به صوته ، وهو يرفع مع ابنه إسماعيل قواعد البيت ويقولان : « ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ، ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم » .

ويظهر من قوله تعالى : « هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين » - أن دعوة إبراهيم قد تحققت ، وأنه كان يستشف بالأمل الجذل حجب الغيب ، ليرى النور الذي احتجب في صلبه وصلب آبائه وأبنائه الأخيار يبعث بالهدى ودين الحق ، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور .

٢ — أما أنه عليه الصلاة والسلام بشرى

عيسى عليه السلام . فذلك ما ينطق به قول الله فى القرآن : « وإذ قال عيسى ابن مريم يابنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » ، بل ذلك ما كان مسطورا مشهورا فى التوراة والإنجيل كما يفهم من قول الله فيه : « الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون » .

٣ — هذا مبدأ ظهور أمره — ﷺ — ويظهر من قول الله جل شأنه : « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا ، قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين » — أنه ﷺ كان صورة وضيئة مضيئة فى قلوب الأنبياء قبله ، وأن أمره كان مفهوما معلوما عندهم جميعا ، فلا عجب أن يكون سره المستور عن غيرهم . كما قال ، عليه الصلاة والسلام ، لابن عباس حين سأله : أين كنت وآدم فى الجنة ؟ : كنت فى صلبه . وأهبط إلى الأرض وأنا فى صلبه ، وركبت السفينة فى صلب أبى نوح ، وقذفت فى النار فى صلب أبى إبراهيم . لم يلتق لى أبوان قط على سفاح ، لم يزل ينقلنى من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام النقية مهذبا ، لا تتشعب شعبتان إلا كنت فى خيرهما ، أخذ الله لى بالنبوة ميثاق ، وفى التوراة بشر بى ، وفى الإنجيل شهر اسمى ، تشرق الأرض لوجهى . والسماء لرؤيتى . .

٤ — هذا هو سيد الخلق محمد ﷺ ، وسر الخير فى البذرة التى انفلقت عن شجرة الإنسانية ، وقد أشرق نور مولده فى عام تجاوبت فيه أرجاء العالم بحادث لم يعرف له فى التاريخ مثيل إذ أرسل الله على جيش أبرهة طيراً أبابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول . وحمى بيته الحرام لتخفق فوقه راية الإسلام ، ثم ليكون كما قال الله له ﷺ : « قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره » . وكما قال — عليه الصلاة والسلام — : هذا البيت دعامة الإسلام فمن خرج يؤم هذا البيت من حاج أو معتمر كان مضمونا على الله إن قبضه أن يدخله الجنة وإن رده رده بأجر وغنيمة ...

٥ — وكان اليهود يعرفونه كما يعرفون

أبناءهم . ويترقبون مولده . ويتوعدون المشركين بالقتال معه « فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به » ودبروا المؤامرات لقتله . والقضاء عليه ولكن الله عصمه منهم وردهم بغيظهم لم ينالوا خيرا ، وطهر الجزيرة العربية من جرائمهم ومآثمهم ، وما زال - عليه الصلاة السلام - يجاهد أعداء الله وأعداء دينه حتى دخل الناس فى الإسلام أفواجا ، ونزل قوله تعالى : « اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا » .

٦ — فإذا احتفل المسلمون بمولده - صلى الله عليه وسلم - فإنما يحتفلون بمولد النور الذى هداهم إلى الحق والخير ، واليمن الذى قادهم إلى العزة والكرامة ، والرحمة التى جعلتهم خير أمة أخرجت للناس وإذا امتحن المسلمون فى هذه الأيام بالأحقاد الصهيونية والصليبية ، فلهم فى رسول الله وجهاد أسلافهم معه ، ما يحفز هممهم ويقوى عزائمهم ويقرب النصر إليهم ، فقد قال تبارك وتعالى : « إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد » وقال جل شأنه : « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز » .

٧ — إن الاحتفال بمولده - عليه السلام - تقليد حميد ، يصلنا بسيرته العطرة وأخلاقه الكريمة وسلوكه الرشيد ، وشريعته العظيمة . والثمرة النافعة لذلك : أن نقتدى به فى كل ما كان يعمله ، وأن نتبع سنته وننهج طريقه ، فإن ذلك هو الطريق إلى حب الله . كما يفهم من قوله تعالى : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله » ولا شك أنه عليه السلام المثل الأعلى فى كل ما عرف الناس من مكارم الأخلاق ، وأنه جمع الله فيه كل ما تفرق من الفضائل فى الأنبياء قبله ، ومن ثم كان حقيقا بقول الله فيه : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » .. وقوله جل شأنه : « إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » .

٨ — وقد صدق الواقع المشهود ما رأته أمه - ﷺ - فقد أشرق نور الإسلام على ربوع الشام ، وقد ظل يشرق ويتألق ويزحف خلف ظلام الكفر والفساد فى كل اتجاه ، لأنه نور الله « ويأبى الله إلا أن يتم نوره » ولأن الرسول الذى بعث به كما يقول الله فيه : « يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا » .

عبد الرحيم فودة

صفوة الصفوة محمد ﷺ

للدكتور عز الدين على السيد

— ١ —

« إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم » .

انطلق نور النبوة من هذا الأصل يصعد ، وحملته السلالة فى أطهر الأعراق التى انحرف عنها انحراف الجاهلية ، فلم تعرف سفاحها للشين ، ولم تنزلق لمهاوى ضلالها ، فكان فيها مناصب الخير والشرف ، والعفاف والفضيلة ، حتى أذن الله للنور أن يكون نبيا ، فكان (محمداً) عليه الصلاة والسلام . يولد فى دار مات ربها قبل مولده ، ويولد لأم تنحدر دموعها فى عبرتين : عبرة الفرح بفجر شاقها مطلعه يكشف عنها كثيراً من الحزن والضنى . . وعبرة إشفاق وأسى ، لمولود يحس الفقد فى مهده . ولوالد ربما كان يشوقه أن يسمع يوما : يا أبى . ! ليجيب فى لهفة حب : أى بنى . !

ولكن محمداً ملأ قلبها رضا بما صحب حمله من بر بها ، فما شكت منه ما تشكو الحوامل ، وبما صحب وضعه من حب لها ، فما نال من عزمها جهدا ، وما رأت إلا وجها من البهاء يرمق السماء كأن له عندها سراً . !

وفرح الجد العطوف بالبشرى ، بامتداد ظله فى الحفيد كأنما ولد له عبد الله من جديد . ! فحمله مغتبطا وقبله ، وسماه بالحمد ليحمد فى الأرض والسماء ، وطاف به الكعبة ليربط بين التاريخ خير فصل فيه !

— ٢ —

ولا يعنى (محمدا) العظيم بذاته أن نفيض فى إرهاص يشك فيه الجاحدون ، لأن شك الجاحدين لا ينال من العظمة الذاتية ، لأنها أصدع لقلبه وأثقب فى عينه وإن كره ، وما أعظم ما تميزت به الذات المختارة من خصائص شاهدة بانفرادها .

وماذا يعنينا من عنت لا يخضع للحق وعزة آثمة لا يقنعها الدليل ؟ وإذا كان

قرآنه الذى جاء به من وحى ربه فآمنا به وصدقنا ، يقص علينا من أحسن القصص ما صاحب ميلاد موسى من عجائب ، وماصاحب ميلادعيسى من خوارق؛ فيحكى قصة طفل ينفرد بالنجاة من الذبح ، يلقى فى اليم فلا يموت ، ويحمل إلى الطاغية فيدال ، ويرد إلى أمه كى تقر عينها ولا تحزن ، فيربى فى حماية فرعون الظاهرة لخاتمة فرعون الخفية .كما يحكى قصة حامل بلا بعل ، يلجئها المخاض إلى جذع النخلة ، فتتمنى سبق الموت على وضع الجنين ، فيكلمها فى الحال مؤنسا : « ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا ، وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا » . يلقنها النصح بخطة الصمت ، ليعوضها عن كلام متهم ـ دفاعا لا يشك فيه .

إذا كان محمد عليه السلام يحكى لنا قرآنه المعجز أمثال هذا فنصدقه مصدقا فماذا تنكر ، أو ينكر الجاحدون ، من إرهاص سبقه أو رافق صباه ، وقد جاءت معجزة الوحى دامغة ، ومعها فى الجوانب المشرقة ، أجنحة خفاقة من معجزات لو لم يجىء القرآن لكانت كمعجزات الأنبياء فى إثبات مدعاه ؟.

لقد كان شىء من الإرهاص مشكوكا لو لم تلد المقدمات النتائج ولكن بعد أن تأكدت النتائج ، فقررت للمقدمات لا سبيل إلى إنكار الإرهاص !.

يحفظ التاريخ فى اللامع من وجهه نبذاً ترغم الكاتب على الذكر ، لا يمكن أن تكون من تملق الرواة لأن الجوانب الفارعة من عظمة النبى لا يعوزها أن ترفد بهذه الروافد ، وقد كان عليه الصلاة والسلام مع الأدب الجم والتواضع الرفيع ألمس الناس لأسرار عظمته ، لأنه أوثق الناس بما أوحى إليه ، فليس بحاجة إلى تزكية الرواة ، وإنه لبحسبه أن اصطفاه الله ليختم به الرسل ويتم به البلاغ ويقيم الحجة على من عاصره أو سمع به إلى يوم الدين ، وإنه لبحسبه أن يناديه معظما مكرما : «ياأيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا ، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا » .

« وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » .

« قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين » .

إلى آخر ما قرر الحق من صفاته التى ما شاركه فيها ملك ولا بشر ،وأى مؤرخ

يحب مجاملة نبيه بالتزيد له وقد أنذره قائلا «من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» ولهذا فإننا نذكر أنفسنا فى المناسبة الحبيبة ببعض تلك الظواهر تزيدنا له حبا ومنه قربا ، قائلين للشانئين والشاكين ما قال ابن الرقيات :

فرضينا فمت بدائك هما

لا تميتن غيرك الأدواء

٣ — وهم يذكرون لنا من بشراه أن السيدة آمنة قد رأت حين حملها به عليه السلام أنها أنجبت نوراً رأت به قصور بصرى من أرض الشام ، ويصدر ابن هشام هذا الخبر وما سبقه بقوله : « ويزعمون فيما يتحدث الناس به والله أعلم .. » وهى عبارة ورعة حقا ، ولكن أى بعد للخبر وما حملت آمنة إلا نورا وما وضعت إلا نورا كما تدل النصوص ؟ ثم أى بعد فى أن يكرم الله أم حبيبه وصفوته فيريها ما رأت ورؤياها أقرب إلى التصديق من وحى إلى أم بإلقاء طفلها فى اليم حفظا لحياته ومن حمل أم جنينا وما مسها بشر . ؟ لقد آمنا بهذا وأكبرنا . ! .

ويذكرون لنا أن حسان بن ثابت قال : والله إنى لغلام يفعة ابن سبع سنين أو ثمان أعقل كل ما سمعت إذ سمعت يهوديا يصرخ بأعلى صوته على أطمة بيثرب : يا معشر يهود ، حتى إذا اجتمعوا إليه قالوا له : ويلك مالك ؟ قال : طلع الليلة نجم أحمد الذى ولد به .

وإذا كان مثل ذلك قد استفاض من قصته تبشير أهل الكتاب فأيه ننكر ؟ والله يقول : « ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون · الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزوه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون . »

وهم يذكرون من يمنه وبركته ما حدثت به السيدة حليمة أمه التى أرضعته من اضطرارها إلى ضمه إذ لم تجد غيره وقد صدفت عنه ليتمه المراضع ، فيفيض له ثديها وقد جف قبل فلم يرضع أخاه حتى إنه اينام من الجوع فإذا به يشبعهما معا فيناما وينام الأهل ، وتفيض بالبن أخلاف شارف عجفاء ما كانت

تبض بقطرة ، وتنطلق فى الرحيل بها أتان هزلت فأضجرت القوم إذغدواحتى لا يكون أعجب من سبقها فى الرواح ، وتنقلب السنة الشهباء المجدبة فى أرض حليمة وشاتها خيرا وسعة والناس من حولها يصرخون .

وإذا كان القرآن يقص علينا فى أحسن القصص قوله تعالى : « كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يامريم أنى لك هذا ؟ قالت : هو من عند الله » فنؤمن جازمين بإكرام الله دون سبب مكشوف، فأى شىء يمنع إيماننا الجازم بأن آلات الأفعال وأسبابها الظاهرة ينالها اليمن فتبادر فى نشاطها العادى وأداء وظيفتها ، فيدر الثدى من الأم ، والأخلاف من الشارف ، ويذهب الضر عن الأتان والجدب عن الأرض ويجعل الله من بعد عسر يسرا .

لقد لزم كفه الشريفة النماء والبركة فى كل شىء قبل البعثة وبعدها ، فبارك الله به مال السيدة خديجة أم المؤمنين ، ورأى أنس رضى الله عنه الماء ينبع من بين أصابعه فى الإناء حتى توضأ القوم عن آخرهم وروى جابر رضى الله عنه أنه ﷺ وضع يده فى ركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون حتى توضأ خمس عشرة مائة وشربوا . قال : لو كنا مائة ألف لكفانا . وعن البراء رضى الله عنه فى بئر الحديبية مثل ذلك . وقد أطعم ﷺ أهل الخندق الألف حتى تركوا وانحرفوا من برمة لحم عند جابر وصاع خبز ، وما نقص ذلك منهما شيئا ! .

أتكون زيادة الطعام والشراب على هذا الوجه أعظم خطراً مما صاحب دعوته من بركة ويمن على الأنس والجن ؟

لقد غيرها وجه الأرض ، وحول مجرى التاريخ ، ونقل النفوس من طباعها ، والقلوب عن عقائدها ، ينزل عليه الوحى منفردا فيهتف به داعيا ، فيبلغ به المشرق كما يبلغ به المغرب ، ويدخل على ما دخل عليه الليل ، فإذا بالبشر ينهلون مناهل الإيمان فى كل أرض ويتزودون زاد التقى فى كل عصر ، وإذا بنا اليوم بعد أربع عشرة مائة نعيش على زاده المبارك وريه .

ألا ياسيدى صاحب الذكرى ! . ما أسعد الحياة يوم مولدك ! . وما أعظم البشرى بمقدمك ! . وما أجل أن يكون احتفالنا بذكراك احتفالا بمولد أنفسنا على الهدى ، فنك ياسيدى عرفنا الهدى ، واحتفالا

(البقية على صفحة ١٨٨)

في ذكرى المولد النبوي :

هذا الأمين رضينا.. هذا محمد

للأستاذ أنور الجندي

ما تزال سيرة رسول الله ﷺ تمد الباحثين بزاد متجدد يغرى بالمراجعة والبحث والتأمل ، ويتفتق دوما عن رؤية جديدة ، ويكشف حقائق مشرقة تلقى أضواء ساطعة على طريق الإنسانية وتمد المسلمين بزاد جديد ، ومنها نجد دائما ما يدحض شبهات أصحاب الشبهات مما يحوكون حول حياته عليه السلام وبخاصة في مرحلة ما قبل البعثة .

ولقد كنت دائما أتطلع إلى إلقاء نظرة على حياة النبي قبل البعثة ، خلال فترة الأربعين عاما التى أرسل محمد ﷺ على رأس العام المتم لها . لأرى كيف كان يعيش هذا الرسول الكريم قبل أن يلقى إليه هذا الأمر ، ولقد نجد في كتب السيرة توسعا كبيرا عن مرحلتى البعثة والهجرة في حياته عليه السلام بينما لا تقدم إلا صفحات قليلة عن هذه المرحلة السابقة للنبوة .

ولكن هذه الصفحات القليلة ، وتلك الوقائع اليسيرة ، تكفى في إعطاء صورة واضحة لشمائل هذا الإنسان الكريم المختد الذى كان يعده مولاه لأعباء الرسالة الكبرى . خاتم رسالات السماء ودين الإنسانية إلى يوم تقوم الساعة .

ولا يهز النفس شىء مثل ذلك الموقف ، يوم أعيد بناء الكعبة واختلفت القبائل وعزمت على أن تقاتل بعضها من أجل أيها تفوز بالشرف في وضع الحجر الأسود في مكانه من بناء الكعبة ثم تتفق على أن ترضى بحكم أول داخل من باب الصفا ، فإذا به (محمد بن عبد الله) هنالك هتفوا جميعا في صوت واحد :

« هذا الأمين رضينا ، هذا محمد » .

تلك هي الشهادة التي تكذب كل ماقالته قريش من بعد مما أرسلته من ادعاءات وأكاذيب عند ما جاء محمد برسالة الإسلام يدعوهم إلى التوحيد .

ويروى هـذا الموقف الحاسم الخطير ابن هشام فيقول :

« إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبناء الكعبة . كل قبيلة تجمع على حدة ، ثم بنوها حتى بلغ البنيان موضع الركن (الحجر الأسـود) فاختصموا منه ، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى، تحاوروا وتحالفوا وأعدوا للقتال فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما ، ثم تعاقدوا هم وبنو عدى بن كعب بن لؤى على الموت ، وأدخلوا أيديهم فى ذلك الدم فى تلك الجفنة فسموا (لعقة الدم) فمكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمسا ثم إنهم اجتمعوا فى المسجد وتشاوروا وتناصفوا .

وقال أبو أمية بن المغيرة بن عبد الله وكان عامئذ أسن قريش كلها :

« يا معشر قـريش : اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضى بينكم » ففعلوا ، فكان أول داخـل رسول الله ، فلما رأوه قالوا : .

« هذا الأمين رضينا حكمه ، هذا محمد »

فلما انتهى إليهم أخـبروه الخبر فقال :

« هلم إلى ثوبا » .

فأتى به فأخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ففعـلوا ، حتى إذا بلغوا به موضعه ، وضعه هو بيده ، ثم بنى عليه وكانت قريش تسمى محمـدا قبل أن ينزل عليه الوحى (الأمـين) .

ماذا تعطى هذه الواقعة .

إنها تعطى الكثير مما يرسم صورة حية للرسول ﷺ . هذا الموقف الحاسم الخطير. كيف فصل فيه محمد (وقد وقع قبل الهجرة بثمانى عشرة سنة) وبين البعثة والهجـرة ثلاثة عشر عاما . أى أن الرسول كان فى سن الخامسة والثلاثين — وعلى هذا النحو من البداهة السريعة والذكاء ، والإلهام، والقوم على ما هم فيه من جهامة واستعداد للقتال وكيف استراحت نفوسهم لهـذا الرجل الكريم الذى ما عرفوا عنه إلا الخـير ، كل الخير ، وكيف أجـزل الله مع العطاء فأعطاه هذا الشرف أن يحمل الحجر ويضعه فى ثوبه مرة ثم يضعه فى مكانه من البناء مرة أخرى

ولقد جاءت هذه الثقة، حتى لقب محمد بالأمين نتيجة وقائع كثيرة وأحداث متصلة (١) منها ما يتصل بالتجارة (٢) ومنها ما يتصل بخلقه وتعففه ﷺ (٣) ومنها ماعرف من ازوراره عن المجتمع الجاهلي كله. وتحنثه فى الغار.

وفى هذا تروى مواقف عديدة:

يقول الرسول: (لقد رأيتني في غلمان قريش ننقل حجارة لبعض ما يلعب به الغلمان، كلنا قد تعرى وأخذ إزاره فجعله فى رقبته يحمل عليه الحجارة، فإنى لأقبل معهم كذلك وأدبر إذ لكمنى لا كم ما أراه لكمة وجيعة ثم قال: شد عليك إزارك. قال: فأخذته وشددته ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتى وإزارى على من بين أصحابى:

فإذا انتقل من مجال اللعب إلى مجال اللهو وجدنا صورة أشد عمقا:

عن على رضى الله عنه قال سمعت رسول الله يقـــول:

(ما هممت بشىء مما يهم به أهل الجاهلية إلا مرتين: كلتاهما عصمنى الله عز وجل منهما أى من فعلهما، قلت ليلة لفتى كان معى من قريش بأعلى مكة فى غنم لأهله يرعاها: أبصر لى غنمى حتى أسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الفتيان، قال نعم، فخرجت فلما جئت أدنى دار من دور مكة، سمعت غناء وصوت دفوف ومزامير، فقلت: ماهذا، قالوا: فلان زوج فلانة لرجل من قريش فلهوت بذلك الصوت حتى غلبتنى عينى فنمت فما أيقظنى إلا مس الشمس فرجعت إلى صاحبى فقال: ما فعلت، فأخبرته، ثم فعلت الليلة الأخرى مثل ذلك.

فقال رسول الله: (ما هممت بعدها بسوء مما يعمله أهل الجاهلية حتى كرمنى الله عز وجل بالنبوة).

* * *

وكانت رحلته إلى التجارة مجالا واسعاً للكشف عن شخصيته أمانة وحسن معاملة وقدرة على البيع والشراء. وكان رعى الغنم من قبل التجارة من هذه الخيوط التى كانت تتجمع لينسج لهذه الشخصية عناصر تكاملها وبنائها فى كل مجال، وكان يقول: (ما من نبى إلا وقد رعى الغنم).

وقد رحل ﷺ مع عمه أبى طالب وعمره اثنتا عشرة سنة، ثم رحل رحلته الشهيرة مع ميسرة فى سن الخامسة والعشرين وكان فى تجارة خديجة.

يقول ابن هشام: كانت خديجة بنت

خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال ، تستأجر الرجال فى مالها وتضاربهم إياه بشىء تجعله لهم ، وكانت قريش قوما تجارا فلما بلغها عن رسول الله ما بلغها من صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه ، بعثت إليه ، فعرضت عليه أن يخرج فى مال لها إلى الشام تاجرا وتعطيه أفضل ماتعطى غيره من التجار مع غلام لها يقال له «ميسرة»، حتى قدم الشام فباع سلعته واشترى ثم أقبل قافلا الى مكة ، فلما قدم مكة على خديجة بمالها باعثا ما جاء به فأضعف أو قريبا وحدثها ميسرة عنه ، وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة ، فلما أخبرها ميسرة بما أخبرها به بعثت إلى رسول الله .

قالت نفيسة بنت علية: «أرسلتنى خديجة قلت : ما يمنعك أن تتزوج ؟ فقال عليه السلام: ما بيدى ما أتزوج به ، قلت: فإن كفيت ذلك ودعيت إلى المال والجمال ، قال : فمن هى ، قلت خديجة »

وكان ذلك من أبرز أحداث حياته قبل البعثة وتمضى الرواية فتصور له ﷺ مواقف مختلفة : منها اشتراكه فى حلف الفضول : يقول لقد شهدت فى دار عبد الله ابن جدعان حلفا ما أحب أن لى به حمر النعم ولو أدعى به فى الإسلام لأجبت » .

ثم حببت إليه الخلوة فلم يكن شىء أحب اليه من أن يخلو وحده ، فكان يخلو بغار حراء ، فيقيم فيه الليالى ذوات العدد ثم يرجع إلى أهله فيتزود لمثلها .

تلك الصور الخاطفة تستطيع أن تعطى ملامح هذا الإنسان العظيم الذى اختاره الحق سبحانه وتعالى ليحمل رسالة الحق، بطبيعة تكوينه ، وبما امتلأت به نفسه من الخير والأمانة والسماحة والحياء حتى قيل : إنه كان إذا خرج لحاجته أبعد حتى تحسر عنه البيوت ويفضى إلى شعاب مكة وبطون أوديتها .

ومن هنا قالت قريش فى أشد أزماتها وأدق مواقفها عندما أهل من باب الصفا:

« هذا الأمين رضينا ، هـذا محمد»

ومن هنا فإنه يوم وقف على الصفا بعد أن أنزل إليه « وأنذر عشيرتك الأقربين » ونادى القبائل قبيلة قبيلة ، يا بنى عبد مناف ، يا بنى هاشم ، يا بنى كذا فلما سمع القوم نداءه قالوا : هـذا محمد على الصفا ينادى، فاجتمعوا له : هم فى السفح وهو على الجبل قال : أرأيتم لو أخبرتكم

أن خيلا وراء هذا الوادى تجرى أكنتم مصدق ؟

قالوا : ما عهدنا عليك كذبا قط .

هـذه الكلمات التى جاءت فى موقف الخطر والحسم تكشف من الحقيقة الكامنة ومثلها ما قالته خديجة عند ما نزل يرجف بعد أن جاءه الوحى لأول مرة : والله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتعين على نوائب الدهر

تلك المواقف ، تجرى على الألسنة كلمة الحق التى تضىء أمام الباحث سبيل الحقيقة وتعطى أصفى بيان عن محمد ﷺ قبل أن يبعث بما يدحض كل ما يذهب إليه بعض المستشرقين وما يخلطوا فيه من دعاوى وأضاليل ، ويدحض كل ما قالته قريش بعد البعثة حقدا وحربا لمحمد وللإسلام .

وهذه كلها مقدمات واضحة لحياة نبى اصطفاه ربه لأعظم رسالة وليست صورة بشر من البشر الذين كانوا يضطربون فى أنحاء مكة فى آخر عصر الجاهلية ؟

أنور الجندى

(بقية المنشور على صفحة ١٨٣)

بمعاهدتك على التقى ، فبدينك يا سيدى يرتسم الخير والتقى ! . وما أحرانا – وما تركت الجهاد فى سبيل ربك – أن نتخذ من جهادك القدوة ، ومن صبرك الأسوة ، حتى يظهر دين الله ويعلو الحق ، ويقوى اللسان على الجهر بانتسابنا إليك ؛ فكم من المخجل ياسيدى أن يذل المنتمون إليك أمام الباطل الساخر . . وسلاحهم أقرب إلى أيديهم لو كانوا يعلمون ، فادع لنا الله أن نتبع الهدى معك ، ونسلك الدرب على خطاك . . وصلى الله عليك يوم مولدك ، وصلى الله عليك يوم ذكراك . . وصلى الله عليك شافعا ومشفعا . . وصلى الله عليك فى كل خطرة روح وكل خفقة قلب ياصفوة الصفوة يارسول الحياة . . ؟

د عز الدين على السيد

دين آباء الرسول ﷺ

للأستاذ علي حسن عمر

الحقيقة التي ينبغي أن تأخذ حظها من الالتفات هي أن الإسلام قديم قدم الخليقة والمشيئة، ونزل على الأنبياء والرسل منجما بالقدر الذي أرادته المشيئة الربانية وفق تطور البشرية « إنا كل شيء خلقناه بقدر » حتى إذا اكتمل التطور الإنساني .. بعث سيدنا ومولانا محمد بكامل الدين مصدقا لما قبله من الكتاب ومهيمنا عليه : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » .

وجميع الأنبياء والمرسلين قبل الرسالة قد آمنوا بالرسالة المحمدية وناصروا مولانا خاتم النبيين وإمام المرسلين محمد بن عبد الله « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين » .

فكل الأنبياء والمرسلين كانوا مسلمين « إن الدين عند الله الإسلام » ، « ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » .

ولب الإسلام قبل بعث مولانا محمد ابن عبد الله ﷺ ، الاعتقاد بالإله الواحد لا شريك له والتسليم له والرضا بقضائه وقدره واليوم الآخر واتباع القواعد التي نزلت على أنبيائه من الكتاب والحكمة ... وهذا قدر مشترك تزداد التكاليف فيه بتقدم البشرية . والصورة الواضحة للإسلام قبل البعثة هي عبادة الله الواحد وتقواه وإطاعة أوامره واجتناب نواهيه والتمسك بمكارم الأخلاق .

وأبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام أتى بالملة الحنيفية المسلمة « إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين، ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون » .

« ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين » وحين أمر بالرحيل إلى مكة أناخ بهاجر وإسماعيل في المهد بواد غير ذي زرع عند بيت الله المكرم وأسكنها هناك « ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ».

ثم بنيت الكعبة .. فكانت قبلة الصلاة في جزيرة العرب يعبد الله حولها ذرية إبراهيم ومن تبعهم من العرب .. وإذن فإن ذرية إبراهيم من ناحية ابنه إسماعيل عليه السلام كانت أمة مسلمة تنقل رسول الله من أصلابها وأرحامها، حتى ولد ﷺ من أشرف جبين من هذه الذرية هاشم وزهرة.

وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال « خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي ولم يصبني من سفاح الجاهلية شيء، ما ولدني إلا نكاح أهل الإسلام » وصح عنه أيضا: « ما ولدني بغي قط منذ خرجت من صلب آدم .. ولم تزل تتنازعني الأمم كابرا عن كابر حتى خرجت من أفضل جبين في العرب: هاشم وزهرة ».

فنفى عن آبائه البغي وأقوى مظاهره الشرك « إن الشرك لظلم عظيم » وصح عنه قوله القاطع « لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات » فقطع بذلك ألسنة تشدقت بكفر بعض آبائه إذ لا يستقيم الكفر مع الطهارة.

وكان مولانا رسول ﷺ يقول « أنا دعوة إبراهيم وبشرى عيسى بن مريم ».

أما بشرى عيسى عليه السلام فسجلتها الآية السادسة من سورة الصف « وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد »

وأما دعوة إبراهيم فقد جاءت بها الآيات ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩ من سورة البقرة « وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث

فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم » .

وواضح الدعوة شمولها لشقين أولهما : ذرية إبراهيم واسماعيل يضرع إلى الله أن يجعل من هذه الذرية أمة مسلمة لله وثانيهما : بعث رسول الله من هذه الذرية التى أنجبها فى جزيرة العرب وجعلها أمة مسلمة لله ، وقول رسول الله « أنا دعوة ابراهيم » قاطع فى استجابة الله جل وعلا لدعوة ابراهيم فوسعت هذه الاستجابة أن تكون ذرية إسماعيل من آباء رسول الله أمة مسلمة لله وليست كافرة .

وإذن فإن آباء رسول الله ﷺ من الأمة المسلمة . .

وثابت نسب نبينا ﷺ أنه « محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة ابن كعب ابن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . . »

وأمه ﷺ آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك . . إلى آخر النسب . .

وتلتقى رضى الله عنها مع زوجها عبد الله فى جدها الرابع كلاب بن مرة . .

والجد العاشر لرسول الله ﷺ هو فهر ابن مالك وهو قريش أساس اسم قبائل قريش . . وإليه يجتمع نسب جميع قبائل قريش . . وسمى قريشا لما تميز به من أنه كان يقرش (أى يفتش على) حاجة المحتاج فيقضيها له من حلال ماله وكان يأمر بنيه فيقرشون حاجة أهل الموسم ويرفدونهم (يقضونها لهم) وكان الرسول ﷺ يفتخر لنسبه من قريش . . « أنا سيد ولد آدم بيد أنى من قريش » فرفع قريش إلى سيادة قبائل العرب . . وهو مركزها قبل البعث المحمدى .

وقد أجمع العلماء أن رسول الله كان إذا انتسب انتهى إلى عدنان لا يجاوزه ويقول « كذب النسابون » .

وأجمعوا أيضا على أن نسب عدنان ينتهى إلى اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ويؤيد إجماعهم قول بعضهم لرسول الله ﷺ يا ابن الذبيحين . . والذبيح الأول إسماعيل عليه السلام فدل على أن نسبه يصل

من عدنان إلى اسماعيل عليه السلام . . وثبوت نسبه ﷺ تقرير يؤكد أن أجداده من القرية الصالحة المسلمة التي وصعتها دعوة إبراهيم والممتدة إلى الأجداد الصالحين من إبراهيم إلى آدم عليه السلام .

وربما ثار جدل وغموض حول أجداد النبي من كلاب بن مرة إلى عبد المطلب إلى عبد الله . .

ففي السيرة الحلبية أن « الحافظ السيوطي أورد أن أجداده ﷺ من آدم إلى مرة ابن كعب مصرح بإيمانهم من الأحاديث وقول السلف ، وبقى بين مرة وعبدالمطلب أربعة أجداد لم يظفر الحافظ السيوطي فيهم بنقل » .

والأجداد الذين يشير إليهم الحافظ السيوطي هم كلاب بن مرة، وقصي بن كلاب وعبدمناف بن قصي ، وهاشم بن عبدمناف .

ورأيي أن القصور اعترى بحث الحافظ السيوطي خاصا بهؤلاء الأجداد الأربعة الأخيار . .

أما كلاب بن مرة الجد الرابع لعبدالمطلب فعنده يلتقي نسب النبي من جهة والده ونسب أمه من جهة قصي بن كلاب وزهرة ابن كلاب .. والمأثور عنه القدرة والقوة والشجاعة والعفاف والامتناع عن شرب الخمر ، والعزوف عن عبادة الأصنام والنهى عن الزنا والسرقة . . وتوجيه الناس إلى عبادة رب البيت . وكان وضيء الوجه يتلألأ فيه شعاع من نور . واسمه حكيم ــ وسمى كلابا لمكالبته أعداء قريش والأخذ عجامعهم وظاهر ما يخلص من سلوكه وما جاء فيه من أقوال يقطع بأنه كان على ملة إبراهيم حنيفا مسلما ولم يكن من المشركين . .

وأما الجد الثالث لعبدالمطلب فهو قصي ابن كلاب . . اسمه زيد وقيل يزيد ويكنى بمجمع إذ جمع الله به القبائل من قريش بمكة حول الكعبة . . وهو الذى أزاح خزاعة عن مكة وولى أمرها وشرفها وجمع في يده السقاية والرفادة والحجابة والندوة واللواء والقيادة ، وسميت داره بدار الندوة وقد اتخذتها قريش دار المشاورة لا يدخلها عليهم من قل سنه عن الأربعين .

وقد أوتى قصي الحكمة .. « ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً » . ومن المأثور عنه « من أكرم لئيما شاركه في لؤمه ، ومن استحسن قبيحا ترك إلى قبحه ، ومن لم تصلحه الكرامة أصلحه الهوان ، ومن طلب فوق قدره استحق

الحرمان ، والحسود هو العدو الخفى » ، وكان ينهى عن الظلم والبغى وشرب الخمر ويدعو إلى تعظيم رب البيت وشعائر الله فى الحجيج ويندفع إلى إكرام الوافدين فى الموسم ويحسن إلى أهل مكة إكرامهم . ولم يؤثر عنه عبادة الأصنام . . ومأثور أقواله وأفعاله يقطع بإيمانه برب البيت مسلما على ملة إبراهيم يتلألأ فى وجهه نور .

وأما الجد الثانى لعبد المطلب فهو عبد مناف بن قصى . ويكنى بقمر البطحاء لحسنه وجماله ووضاءة وجهه . واسمه المغيرة ، وهو أشرف أبناء قصى وأكرم الناس وسمى بالفياض لذلك : وقد جمع فى يده لواء نزار وقوس إسماعيل وحفظت له قريش حجارة عليها وصيته « أنا المغيرة ابن قصى أوصى قريشا بتقوى الله وصلة الرحم » .

ومن كانت هذه وصيته فإنها وحدها تقطع بإيمانه العميق بالله رب العالمين ووجوب تقواه . . وقد جاءت الوصية بالأساس فى الدين السمح « يا عبادى فاتقون » ، و « قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى » .

وأما هاشم بن عبد مناف فاسمه عمرو ويطلق عليه عمرو العلا لعلو رتبته فى قريش والعرب ، وسمى هاشما إثر مجاعة شديدة حلت بقريش والعرب ، خرج من أجلها إلى الشام واشترى دقيقا وكعكا وقدم مكة فى موسم الحج فهشم الخبز والكعك وذبح الذبائح وجعل ذلك كله ثريداً أطعم به الناس وأشبعهم وامتدت موائده وظلت منصوبة على الدوام وأصبحت سنة امتدت إلى خلفاء رسول الله ﷺ حتى انقرضت الخلافة فى عهد الأتراك . .

والمأثور عنه خطبته البليغة حين هل هلال ذى الحجة فقام وأسند ظهره إلى إلى الكعبة من تلقاء بابها وخطب فى قريش « يا معشر قريش إنكم سادة العرب وأحسنها وجوها وأعظمها أحلاما وأوسطها أنساباً وأقرب العرب بالعرب أرحاما . . وأنتم جيران بيت الله ، أكرمكم الله بولايته وخصكم بجواره دون بقية بنى إسماعيل . . وإنه يأتيكم زوار الله يعظمون بيته ، فهم أضيافه وأنتم أحق من يكرم أضياف الله وزوار بيته . .

وإنى لمخرج من طيب مالى وحلاله ما لم يقطع فيه رحم ولم يؤخذ بظلم ولم يدخل فيه حرام ، ولو كان ما عندى يكفى الناس

لكفيتكم ؛ فمن شاء منكم فعل ولا يخرجن رجل منكم من ماله لكرامة زوار الله وتقويتهم (إطعامهم) إلا حلالا طيبا».

وواضح من خطبته رسوخ إيمانه بالله وتعظيمه للكعبة بيت الله وشعائره، وأن الحجاج وفد الله وأضيافه وصلة الرحم والسعي للمال الحلال الطيب.

وكان هاشم وضيء الوجه يتلألأ فيه نور عرفه كل من التقى به من الأحبار والرهبان فكانوا يقبلون يديه وعرفه هرقل عظيم الروم ورائد المسيحية وحاميها. فعرض عليه زواج ابنته للعلامات التي تنبيء بظهور النبي الموجود في كتبهم وأملا في أن يكون للمسيحيون خئولة النبي المنتظر وهو نفس ما فعله المقوقس عظيم القبط حين دعاه رسول الله للإسلام فقد أهداه جاريتين إحداهما مارية القبطية التي أسلمت وتزوجها رسول الله وأنجب منها إبراهيم عليه السلام الذي انتقل إلى رحمة الله طفلا. وشاءت الإرادة الإلهية أن يظهر دينه ليظهره على الدين كله وأن يسلم أهل البيت من خئولة أهل الصليب.

ولو كان هاشم على الكفر ماحرص حامي المسيحية (هرقل) على أن يزوجه ابنته.. وإنما كان على الإيمان على ملة إبراهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين.

يبين من هذا أن ما ذهب إليه الحافظ السيوطي بشأن هؤلاء الأجداد الأربعة لعبد المطلب جد رسول الله الأول - إنما هو مذهب مبتسر متسرع تنقصه الدقة والتدقيق والبحث والتقصي ويتسم بالقصور..

وقد ثار الجدل حول عبد المطلب ابن هاشم الجد الأول لرسول الله ووليه وكفيله والأقوال فيه ثلاثة : أولها : أنه لم تبلغه الرسالة وأنه مات على الفطرة إذ مات وسن النبي ثمان سنين.. والتكليف والعذاب عنه مرفوع لقوله تعالى: «وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا».

وثانيها : أن الله سبحانه أحياه وولده عبد الله والد النبي بعد البعثة إكراما لرسول الله ﷺ فنطقا بالشهادة وآمنا بمحمد ﷺ ثم أماتهما على الإسلام.

وثالثها : (وهو الأولى بالاعتبار) أنه مات على ملة إبراهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين وهو الأقوى عندي لثبوت ما يؤيده من حياة عبد المطلب والمأثور

عنه ولكونه من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الذين وسعتهم دعوى سيدنا إبراهيم عليه السلام.

وقد سجل التاريخ عنه أنه عبدالمطلب ابن هاشم. واسمه شيبة الحمد وسمى كذلك لميلاده وفى رأسه شيبة. وإضافة الحمد رجاء أن تحمده الناس، واشتهر باسم عبدالمطلب لنشأته يتيما فى حجر عمه المطلب بن عبدمناف وكانت عادة العرب أن يسمى اليتيم عبد المن تربى فى كنفه. وقد أتاه الله الحكمة. وكان مجاب الدعوة يتحلى بمكارم الأخلاق، وقد حرم على نفسه وعلى ذويه الخمر وكان أول من اعتكف الليالى الطوال ذوات العدد فى غار حراء يتفكر فى خلق السموات والأرض وقدرة الله وعظمته.

وكانت قريش إذا أصابها قحط أخذت بيد عبد المطلب وخرجت به إلى كبير يستسقى لها الله وكان مجاب الدعوة مكرما من ربه.

وقد انتهت إليه رياسة قريش بعد موت عمه المطلب، فنشر فى الناس تعاليمه وعظاته وحثهم على مكارم الأخلاق وأمرهم بالوفاء بالنذر وكان لهم قدوة إذ هم بذبح ابنه عبد الله والد النبى ﷺ فى نذر نذره وفداه بمائة من الإبل بالقصة المشهورة وذلك قبل تزويجه بآمنة أم النبى.

ويؤثر عنه أنه كان يقول « لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم الله منه وتصيبه عقوبة، فلما قيل له فى ظالم هلك بالشام دون عقوبة أطرق ثم قال « والله إن وراء هذه الدار لدارا يجزى فيها المحسن بإحسانه ويعاقب المسىء بإساءته » . فهو يؤمن بالثواب والعقاب والجزاء والدار الآخرة والبعث.. ونسوق صور لإيمانه برب العالمين والاستنجاد به، منها رجزه بالمناجاة لنجاة ولده حين ضرب القداح :

ربنا أنت الملك المحمود
وأنت ربى الملك المعبود
من عندك الطارف والتليد

وصورة أخرى تفصح عن رسوخ إيمانه بربه حين قدم أبرهة مع الأحباش ومن سلاحهم الفيلة لهدم بيت الله (الكعبة) قال لأبرهة « للبيت رب سيمنعه » وخطب فى قريش « يامعشر قريش لا يصل لهدم البيت (يقصد أبرهة) فللبيت رب يحميه ثم أخذ بحلق باب الكعبة وناشد ربه :

لا هم إن المرء يمنع رحله فامنع رحالك
وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

وقد استجاب الله له دعوته وأرسل على أصحاب الفيل طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول .

وقد صح عنه ﷺ فى حديث ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ « يبعث جدى عبدالمطلب فى زى الملوك وأبهة الأشراف » .

أما عبد الله بن عبد المطلب والد النبى فإنما جاء إلى الدنيا طاهرا . وكأنما استظل الدنيا وهجرها سريعا لتأدية رسالة خصه الله بها وهى خروج السراج المنير سيدنا محمد من صلبه . . وقد ساوى رسول الله بينه وبين نبى الله اسماعيل بن ابراهيم بقوله « أنا ابن الذبيحين » .

كان أوسم وأصلح وأجمل أهل زمانه يشع من جبينه نور النبوة ..

وقد رأته سيدة بنى أسد بن عبد العزى أجمل نساء زمانها وهو يطوف بالكعبة عقب افتدائه بالإبل المائة وكان أحسن رجل يرى . فقالت له لك من الإبل مثل ما نحرت عنك وقع بى الآن فاستعصم وأنشدها :

أما الحرام فالممات دونه
والحل لا حل فاستبينه
يحمى الكريم عرضه ودينه
فكيف بالأمر الذى تبغينه

فهو يفضل الموت على ارتكاب المعاصى ويستنكر كبائر الإثم . ويقرر أن الكريم يحمى عرضه ودينه .. فتأمل .. وأكبر فى والد رسول الله مكارم الأخلاق التى خص الله بها نبيه « وإنك لعلى خلق عظيم » وفى هذا ما يكفى للتقرير بأن آباء رسول الله صلى الله عليه وسلم .. هم من ذرية إبراهيم مسلمين حنفاء يملأهم الإيمان برب العالمين وقد انتقاهم ربهم وفضلهم وطهرهم لغاية فى مشيئته هى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين أصلابهم وترائبهم الطاهرة .

* * *

سلام على ابراهيم واسماعيل وذريتهما آباء رسول الله وسلام على آدم والمرسلين والصلاة والسلام على سيد الخلق مولانا النبى السراج المنير .. والحمد لله رب العالمين .

على حسن عمر

الرحمة المهداة للبشرية

للأستاذ صلاح عزام

والدنيا كلها تفيق لحظة من صراعها العنيف ، ودوارها القاسى لتنحنى فى جلال وخشوع لذكرى مولد سيد الخلق ورحمة الله المهداة للبشرية ، يعيش فى أعماق أكثر من سؤال حول صاحب الرسالة المحمدية .

هل هناك نبى أو رسول لقى ما لقيه سيدنا محمد خلال سنوات دعوته من عذاب واضطهاد ، ومجافاة وقطيعة ؟

وهل هناك من كان نصيبه مع قومه وأهله كهذا الذى رآه سيدنا رسول الله حتى بلغ الأمر ، بكل الأهل أن يتجمعوا حوله لا ليدفعوا عنه إيذاء القوم ، بل ليقتلوه وفى أكثر من مرة ؟

وهل هناك من لقى من عذاب القلب فى فقد الأهل ، وموت الأولاد ، وفراق الأحبة ، بل من عاش هذه الحياة الشاقة الصعبة مثل النبى ﷺ ؟

وهل هناك من قابل هـذا العقوق ، وهذا العـذاب ، حتى من الأنبياء عليهم السلام ، بمثل ما قابل سيدنا رسول الله ، رحمة تقابل القسوة .. وعفو أمام كل اضطهاد .. ؟

إن سيدنا رسول الله كان فى حياته وهو بشر ، فوق كل البشر ، ومعلم لكل الدنيا ، إنسان لم تر البشرية منذ آدم إلى أن تقوم الساعة نظيراً له .. والقرآن الكريم دليلنا فى محاولتنا لمعرفة جوانب الإنسانية والرحمة فى رسولنا العظيم صلوات الله عليه ، ونحن نأخذ من الآيات الكريمة معلوماتنا التاريخية ، عن مقابلة أنبياء الله لضراوة مواقف شعوبهم .

فنوح عليه السلام يوم مر عليه القوم يتغامزون ، بعد أن لبث فيهم ما لبث يدعوهم فيستخفون ويهزءون ، راح يدعو الله تبارك وتعالى أن يقصم ظهورهم ويبيدهم من الوجود ، والحق تبارك وتعالى يقدم ذلك الواقع فيقول : « قال رب إنى دعوت قومى ليلا ونهاراً فلم يزدهم دعائى إلا فراراً . وإنى كلما دعوتهم لتغفر لهم

جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا ».

« قال نوح رب إنهم عصونى واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خساراً، ومكروا مكراً كباراً، وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً. وقد أضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين إلا ضلالا ».

حتى يقول نوح لربه: « وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا. إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا ».

ومثل نوح عليه السلام غيره من الأنبياء الكثيرين، منهم من علمنا خبره ومنهم من لم نعلم، ومن هؤلاء على سبيل المثال - والقرآن الكريم مصدرنا أيضا - موسى عليه السلام ولم يجد من قومه، ولا من خصومه كهذا الذى وجده نبينا ﷺ من أهله، بل أن موسى هو من نعلم من القوة والبطش، وعلى ذلك يخاطب الله تعالى قائلا: « وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم ».

و.. داود وعيسى عليهما السلام كان منهما مثل ما كان من غيرهما من أنبياء الله وفى هذا يعبر القرآن الكريم « لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ».

أما النبى.. الرسول. سيدنا محمد ﷺ فقد كان نسيج وحده، إن خصومه يمنعونه من الصلاة فيدعو لهم، وإنهم يقاطعونه هو ومن آمن به ثلاث سنوات حتى لا يجد الواحد منهم ما يأكله غير حصى الأرض، وأوراق الشجر، ويؤخذ بالواحد منهم فيكوى بالنار والرسول الرحيم يدعو لهم ويخرج القوم مما تعارف عليه العرب من أخلاقيات، فيردونه عن ديارهم ويرسلون وراءه الأتباع والصبية يؤذونه بالقول واليد، يوم ذهب إلى الطائف داعيا، لاجئا، وأيضا لا يزيد النبى على الدعاء لهم وفى ذلك يروى التاريخ أن الله تبارك وتعالى أرسل جبريل إلى رسوله فور هذا الموقف ليقول « إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا به عليه، وقد أمر ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداه ملك الجبال

وسلم عليه وقال : مرنى بما شئت ، فإن شئت أطبق عليهم الأخشبين » فكان رده للشرق ، المعلم . (بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا ، واللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون) .

ومواقف كثيرة ، تعرض لها النبى ، ولا يقابلها إلا بالرحمة ، وتنتهى بما كان منهم ليلة هجرته حيث اجتمعوا على رغبة قتله ، ويترك النبى مكة ، إلى المدينة المنورة ومع ذلك فلا يتحرك لسانه بالدعاء عليهم ، وإنما بمناجاة :

« والله إنك لأحب أرض الله إلى ولولا أن أهلك أخرجونى ما خرجت » .

ولم يزد صلى الله عليه وسلم .

وفى المدينة أيضا ، يستمر إيذاء القوم ، ومؤامرات الأهل ، وسيدنا رسول الله يلقى ذلك كله بالرحمة والدعاء لهم بالهداية ، والتاريخ والأحاديث مليئة بمواقف العظمة الإنسانية عند سيد البشرية ، حتى فى أشد لحظات القتال ، حيث يتمنى أى إنسان مهما ارتقى بإنسانيته موت خصمه أما النبى فكان أمراً آخر ، وحيداً فى خلق الله من حيث الإنسانية الفريدة .

مرة . . وقبل أن يبدأ القتال . . إذا به صلى الله عليه وسلم يدعو الله فيقول : « اللهم إنهم عبادك . . ونحن عبادك . . فانصرنا . . » .

ومرة والقتال العنيف فى أحد يبلغ مداه فيدعو الله تبارك وتعالى ويقول : اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك . اللهم فنصرك الذى وعدتنى به . .

ويمثل هذه المعانى الرحيمة التى لا تطلب فناء القوم بل تترك المولى أن يختار طريق النصر وهو العليم . . وهى فى الغالب عند رسول الله الهداية . . كان دائما موقف رسول الله من خصومه ومكذبيه .

وتبلغ قوة الإنسانية عند الرسول يوم جاءه وحش قاتل حمزة . وحمزة عند الرسول ليس عمه فحسب بل أكثر وأكثر ويعلن إسلامه . . ويصبح جندا واحداً من المسلمين له مالهم وعليه ما عليهم . فلا يرده النبى رغم ما كان من طلبه . بل يطلب منه أمرا واحدا (أن لا يريه وجهه) حتى لا يثير عليه مواجع القلب ، هكذا . حتى من غير دعاء عليه .

و . . بكاء الطفل يمس القلب الرحيم فى عنف، وفى هذا يروى أبو قتادة بن الحارث رضى الله عنه (قال رسول الله ﷺ إنى لأقوم إلى الصلاة وأريد أن أطيل منها فأسمع بكاء الصبى فأتجوز فى صلاتى كراهية أن أشق على أمه .) .

و . . موافقة الرحيمة من طالبي الصدقات ومن ألد خصومه . . ومن المنافقين .

وتمر الأيام . . وينتصر النبى العظيم . . ويدخل الناس فى دين الله أفواجا . . وتقف عند يوم الفتح . . وقد عاد رسول الله إلى مكة فاتحا منتصراً . ويجتمع الخصوم أمامه انتظاراً للنتيجة الحتمية التى تصاحب كل انتصار حربى ، من قتل الخصوم ومحاكمة الأعداء . ومصادرة أموالهم . وسبى نسائهم وهدم دورهم . ولكن هذا كله . ليس عند معلم الإنسانية . وإنما وضع قواعد جديدة لأمته . تذهل الدنيا . يوم نظر إلى هؤلاء الطغاة . الأعداء . وأعلنها على مسمع التاريخ . (اذهبوا فأنتم الطلقاء)

و . . (من دخل المسجد الحرام فهو آمن . . ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن . . ومن دخل داره فهو آمن) .

وخلال هذا الخط المبارك من حياة النبى لم نسمع دعوة . بل دعاء . ودعاء باستمرار . حتى ليقول الله للناس فيه صلوات الله عليه « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ؛ حريص عليكم بالمؤمنين ، رءوف رحيم . » .

وصلى الله على سيدنا محمد يوم مولده ، وكل يوم حتى تقوم الساعة ؟

صلاح عزام

قال تعالى :

« يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً » . (صدق الله العظيم)

قصيدة شعر : فى ذكرى مولد المختار :

لقد أهلّ بنُور الحقّ مشرقُه

للأستاذ محمد هارون الحلو

في كل عام لنا بالمصطفى عيد … فيوم مولده بشر ، وتغريدُ
هذا النبيّ ، وعين الله تحرسهُ … وملء عطفيه إيمان وتوحيدُ
هو البشير الذى أصفاه بارئه … بالأمر ، وهو بفضل الله موعودُ
لقد أهلّ بنور الحق مشرقُه … والخير فى ظلّه ، والبر ، والجود
الله أكبرُ ، كم بين القرون له … بكلّ أفقٍ لواء ، وهو مشهود
وكان دعوة إبراهيم حين غدا … بالبيت يرفعه ، والبيت مشدود
ولم يكن غيره للأمر يحملهُ … من بعد عيسى وموسى ، وهو محمود
جاد الزمان به ، والبشريات لها … بموكبِ الدهر تعظيمٌ ، وتمجيدُ
وقد وعى عهده الأحبار ، فارتقبوا … نجم الهدى ، وهو بالآفاقِ مرصود
كلٌ يؤمل أن يحظى برايته … وكيف ، والمصطفى للأمر منشود
وافى بفيض الهدى ، والمهرجان به … ظلٌ من الألق البسّام ممدود
تخسّر إيوان كسرى فى جلالته … وما لساوةَ نبعٌ منه مورود
وأطفئت للمجوس النار ، وهى بهم … ضلالةٌ ، هاجها للإثم عربيدُ
أهلّ إصباحهُ ملء الوجود سنا … ولم يجىءْ مثلهُ فى شأوِه عيد
لله يوم بهى النور مزدهرٌ … لواؤه بالأمانى الزُّهرِ معقودُ
يفيض عنه صباحٌ باسمٌ ، ورؤًى … تشو فى كل فؤادٍ ، وهو معمود
والطير فيه طراب ، وهى هائمة … بالوجد نشوى ، وكم فيهن غريد
وكم شجا القلب من فردوسه عبق … وحفّه زهرٌ كالسحر منضود

والروح تصحبه الأملاك مرتقب ذاك الوليد ، وقد دوت به البيد
هذا نبي الهدى، هذا الذي احتفلت به العناية ، تحدوه الأغاريد
تبارك الله ، قد لاحت بغرته حقيقة ، مالها في الدهر تفنيد
أنعم به أملا للمرتجين به — هدى ونورا به نصر ، وتأييد
وإن محمد المختار في شرف ما نال قدسيه في الدهر مولود
ينمى إلى خير آباء له سلفوا وكم تسامى بـه آباؤه الصيد
هم الميامين أصحاب السقاية أصحاب اللواء ، هم الشم الصناديد
إذ ورثوه من الأحساب ماشرفت به قريش ، وهم نعم المناجيد
فقد كساهم لباس الحمد ، فانتثروا به الزمان ، وما كالحمد تخليد

محمد هارون الحلو

قال الله تعالى :

« قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم » .

(صدق الله العظيم)

دراسات قرآنية :

الدّعاء والقدر

للأستاذ مصطفى الطير

« ادعو ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين »

طاقات البشر وقوامم متفاوتة ، فإذا كان فى بعضهم اقتدار فى ناحية فإن فيه ضعفا فى ناحية أخرى ، وهكذا الشأن فى جميع أفراد الإنسان بالاستقراء والتقصى ، فلهذا يدعو بعضهم بعضا ليعينه على استكمال النقص فيه ، ويقضى له من شئونه ما لا يستطيع قضاءه ، ومن أجل ذلك نشأت الحرف المختلفة تبعا للطاقات والهوايات الكامنة فى النفس البشرية .

ولقد أحس الإنسان منذ نشأته أن طاقات البشر مجتمعة أو متفرقة تعجز فى أحيان كثيرة عن نجدته فيما هو مضطر إليه ، فلهذا اتجهت نفسه إلى قوة فوق قوى البشر يطلب منها العون والمساعدة ، ومنهم من وفق إلى معرفة خالق الأكوان فدعاه ليجلب له نفعا أو يدفع عنه ضرا ، ومنهم من خانه التوفيق فدعا أربابا سواه ، لم تسعفه فى تحقيق مناه « أمْ مَنْ يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض . أإله مع الله » .

ولما عَرَفَ عُبَّاد الأرباب الكاذبة هذه الحقيقة وتركوا دعاءها عند الشدة منيبين إلى الواحد القهار ، لكنه إذا كشف الضر عنهم ومنحهم الرخاء والنعمة إذا هم به مشركون ، قال تعالى : « وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبا إليه ثم إذا خوله نعمة منه نسى ما كان يدعو إليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله » .

(هل يرد الدعاء القدر)

قد يقول قائل كل شىء بقضاء الله وقدره ، فإن كان فى قضائه تعالى جلب نفع للعبد أو دفع ضر عنه حدث ما قضاه الله سواء دعا العبد مولاه أو لم يدعه ، وإن لم يكن ذلك فى قضائه فلا يستطيع الدعاء أن يغير مما قضاه الله شيئا ، بل لا يستطيع أهل السماء والأرض

أن يغيروه بأى سبب من الأسباب « وكان أمر الله قدراً مقدورا » .

قلنا رداً على ذلك: إن الدعاء ينفع فيما جعله الله أزلا مترتبا على الدعاء ، فلابد من حصول الدعاء ليحصل ما جعله الله مترتبا عليه .

وإن مثل الدعاء كمثل الدواء ، فإنه إن كان مقدورا عند الله الشفاء بتناول المريض له تناوله وحدث الشفاء ، وإن لم يكن مقدورا لم يحصل سواء تناول الدواء أو كف عن تناوله .

وكما أنه لا يصح له ترك العلاج بالدواء اعتمادا على أن ما كتبه الله من شفائه أو سقمه سيحدث سواء تناول الدواء أو تركه ، فكذلك أمر الدعاء ، فعلى العبد أن يتعاطى الأسباب والله تعالى بعد تعاطيها يتفضل بتحقيق ما كتبه أزلا .

ولمثل هذه الشبهة سأل الصحابة رسول الله ﷺ فقالوا : أرأيت أعمالنا أهى شىء قد فرغ منه ، أم هى أمر يستأنفه الله تعالى ؟ فقال (بل هى شىء قد فرغ منه) فقالوا : ففيم العمل إذن ؟ فقال : (اعملوا فكل ميسر لما خلق له) .

(الدعاء مخ العبادة)

على أن الدعاء له مدلولان أحدهما أن الداعى يعترف بدعائه ربه أنه هو القادر على تحقيق ما دعاه إليه ، وثانيهما أنه يقر بعجزه أمام الأحداث وأنه محتاج إلى العون من خالقه ليحقق له ما عجزت عنه قدرته وقدرة سواه ، وكلاهما مظهران من مظاهر العبودية والخضوع لخالق الأكوان ، فلذا كان مطلبا عظيما من مطالب الشريعة الإسلامية ، قال ﷺ « الدعاء مخ العبادة » .

وحسبك دليلا على فضل الدعاء ومنزلته عند الله أنه تعالى يغضب حين يتركه العبد إذا نزلت به محنة ، قال تعالى « فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ، ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون » .

فعلى العبد أن يدعو ربه فى أمره كله ، فهو مظهر من مظاهر خضوعه لربه وإقراره بحاجته إليه ، واعترافه بقدرته على تحقيق مآربه ، وعليه أن يستسلم لقدر الله وحكمته فيما دعاه إليه سواء وافق مبتغاه أو لم يوافقه ، فهو أعلم بمصلحة عبده وينبغى له أن يجزم فى دعائه ولا يعلقه على المشيئة ، قال ﷺ « لا ينبغى لأحدكم أن يقول اللهم اغفر لى إن شئت ، ولكن يجزم ويقول اللهم اغفر لى » .

(لماذا لا يجاب الدعاء دائما)

وليس من مصلحة الخلائق أن يجابوا

إلى دعائهم كلما دعوا فإن لهم مطالب ليس من الحكمة تحقيقها ، ولو أجابهم الله إليها لفسدت الأرض وعم الخراب ، فما من إنسان إلا له عدو يرجو هلاكه ، ويدعو به ، فلو استجاب الله لكل داع لهلك أهل الأرض جميعا وما من فقير إلا طالب الغنى ، فلو استجاب الله لكل فقير لاستغنى الناس ولم يستطع أحد أن يسخر سواه فى تحقيق مطالبه ، وبذلك تتعطل مصالحهم وتفسد أمورهم ، وليس ذلك من الحكمة :

« ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا » .

وما من إنسان إلا كاره للموت محب للبقاء فى الأرض أحقابا ، فلو استجاب الله دعاء عباده بالبقاء لتكاثر الناس حتى ملئوا فجاج الأرض وضاقت عليهم بما رحبت ، ولم تكفهم أرزاقها التى قدرها الله بقدر يناسب نظام الحياة الذى قدره الله لخلقه ، ولأكل الناس بعضهم بعضا لضيق الأرزاق عن كثرتهم .

وما من إنسان إلا راغب فى أن يكون سيدا على غيره وسواه من رعيته ، فلو أجاب الله دعاء كل الناس بأن يكونوا رؤساء وملوكا لفسدت الأرض ، والأمثلة كثيرة وكلها شاهدة بأنه ليس من مصلحة الخلق أن يجاب دعاؤهم على الدوام ، بل يكون ذلك تابعاً لحكمة الله ومشيئته كما قال تعالى : « فيكشف ما تدعون إليه إن شاء » .

على أن دعاء المسلم إذا لم يحققه الله سبحانه فإنه تعالى يعوضه عن إجابته فى الدنيا أو الآخرة .

فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال – قال رسول الله ﷺ : « دعوة المسلم لا ترد إلا لإحدى ثلاث ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ، إما أن يعجل له فى الدنيا وإما أن يدخره فى الآخرة ، وإما أن يصرف عنه من السوء بقدر ما دعا » .

(صراعنا مع إسرائيل)

ونحن الآن فى صراع مع إسرائيل تؤيدها دول استعمارية معينة ، وقد أعددنا له من الأسلحة والخطط ما استطعنا ، ولا نزال نأخذ فى أسباب القوة ، ومن أهم ما يجب الاعتماد عليه أن نلجأ إلى عظمة الله وجلاله بالإيمان والعبادة والإخلاص فى الدعاء والصدق فى اللقاء والوحدة فى الداخل واجتماع الكلمة بين الأمم العربية « فعسى

الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين ».

ولنا في مواقف الرسول وأصحابه أسوة حسنة حين تألبت عليهم قوى الشر والعدوان من كل مكان، فإنه لم يترك تلك الأسلحة المعنوية إلى جانب الأسلحة المادية حتى جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا.

فلنكثر من التضرع واللجوء إلى الله تعالى، فلن يأتي النصر بغير معونته والتوفيق إليه.

(أمثلة من أدعية مستجابة)

لما يئس نوح عليه السلام من إجابة قومه إلى دعوة الله بعد أن مكث يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عاما دعا ربه فقال: «رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا» فاستجاب الله دعاءه فأهلكهم بالطوفان وهم يعمهون.

وحين تعاظم البلاء على أيوب دعا ربه أن يكشف ضره، فاستجاب له وأمره أن يضرب الأرض برجله، فضربها فنبعت منها عين ماء بارد، فأمره أن يغتسل من هذا الماء ويشرب منه ففعل فشفاه الله.

وفي أول الدعوة الإسلامية آذى مشركو مكة رسول الله كثيرا، ومن ذلك أنهم عمدوا إلى فرث[1] جزور في كرشه فوضعوه على رأسه وهو ساجد في المسجد الحرام، فجاءت ابنته فاطمة الزهراء فنحته عنه، فلما انتهى من صلاته دعا على من تآمروا عليه، فقال اللهم عليك الملأ من قريش، وسمى أفرادا منهم، قال ابن مسعود فرأيتهم صرعى يوم بدر.

ولما اشتد أذاهم قال ﷺ: «اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف» فأصابهم القحط حتى أكلوا الكلاب والجيف.

ودعا مرة فقال: «اللهم أعز الإسلام بعمر ابن الخطاب»، كما رواه الحاكم وصححه، ورواه البيهقي وغيره بلفظ «اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب» وكان عمر في ذلك الوقت مشركا فحصلت له بركة دعوته ﷺ فآمن وأعز الله به الإسلام.

ولما هاجر ﷺ أدركه سراقة في الطريق ليقتله أو يمسكه لقريش حتى يقبض الدية التي جعلتها لذلك، فلما دنا منه ﷺ دعا الله سبحانه فقال: «اللهم اصرعه فصرعه فرسه» كما جاء في صحيح البخاري، وقد

[1] الفرث: السرجين في الكرش.

ساخت قوائم فرسه فى الأرض مع أن الأرض جلدة.

ولما نفذ الماء من المسلمين فى غزوة تبوك وكانوا فى الصحراء والجو شديد الحرارة جعلوا يذبحون بعض الإبل ويعتصرون فرثها ليبلوا بعصارته حلوقهم من شدة الظمأ، فقال أبو بكر يا رسول الله إن الله عودك فى الدعاء خيرا فادع الله لنا، قال: «أتحبون ذلك» قال: نعم فدعا الله رافعا يديه إليه سبحانه، فلم يرجعهما حتى كان السحاب قد أمطرهم، ولم يتجاوز الماء عسكرهم، فشربوا وملئوا ما معهم من الروايا[1] رواه ابن جرير والحاكم وصححه وغيرهما، وقد رويناه بالمعنى:

وعن أنس قال: «أصابت الناس سنة[2] على عهد رسول الله ﷺ: فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة قام أعرابى، فقال: يا رسول الله هلك المال وجاع العيال، فادع الله لنا، فرفع يديه وما نرى فى السماء قزعة[3] فوالذى نفسى بيده ما وضعهما حتى صار السحاب أمثال الجبال، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته، فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد ومن بعد الغد حتى يوم الجمعة الأخرى» إلى آخر الحديث، ولهذا شرعت صلاة الاستسقاء والدعاء بإنزال المطر عند الجدب، ومازالت تلك سنة للمسلمين، وكثيراً ما يحقق الله دعاءهم، ويسقيهم بالمطر.

ومن ذلك ما رواه الإمام أحمد أن الناس قحطوا على عهد معاوية، فخرج يستسقى بهم، فلما وصلوا إلى المصلى قال معاوية لأبى مسلم الخولانى: قد ترى ما حل بالناس فادع الله تعالى، فكشف البرنس عن رأسه ثم رفع يديه ثم قال: اللهم إنا منك نستمطر وقد جئت إليك بذنوبى فلا تخيبنى، فما انصرفوا حتى سقوا.

قال أبو مسلم: اللهم إن معاوية أقامنى مقام سمعه، فإن كان عندك لى خير فاقبضنى إليك، وكان ذلك يوم الخميس، فمات أبو مسلم يوم الخميس المقبل – انتهى مرويا بالمعنى ومقتصرا.

فاللهم إياك نسأل أن تنصرنا على أعدائنا وتوفقنا لطاعتك، ومعرفة حقك إنك سميع الدعاء؟

مصطفى محمد الطير

[١] الروايا جمع راوية وهى وعاء الماء الذى تحمله الإبل، ويجمعه القربة.
[٢] السنة: والجدب والقحط.
[٣] أى سحابة.

من أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم

للدكتور محمد محمد أبو شهبة

روى الشيخان في صحيحيهما بسندهما من أنس رضي الله عنه قال:

« كان النبي ﷺ أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق الناس قبل الصوت فاستقبلهم النبي ﷺ، قد سبق الناس إلى الصوت وهو يقول: «لم تراعوا، لم تراعوا» وهو على فرس لأبي طلحة عرى ما عليه سرج في عنقه سيف فقال: «قد وجدته بحرا أو إنه لبحر» وهذا لفظ البخاري.

ولفظ مسلم « كان رسول الله ﷺ أحسن الناس، وكان أجود الناس، وكان أشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق ناس قبل الصوت، فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعا، وقد سبقهم إلى الصوت، وهو على فرس لأبي طلحة عرى في عنقه السيف، وهو يقول: «لم تراعوا، لم تراعوا» قال: «وجدناه بحرا أو إنه لبحر» قال: «وكان فرساً يبطأ».

تخريج الحديث :

أخرج هذا الحديث البخاري أو بعضه في مواضع كثيرة من كتابه: في كتاب الهبة وفضلها ـ باب من استعار من الناس الفرس، وفي كتاب الأدب ـ باب حسن الخلق، والسخاء، وما يكره من البخل، وفي كتاب الجهاد: باب إذا فزعوا بالليل، وباب الشجاعة في الحرب، وباب ركوب الفرس العرى، وباب مبادرة الإمام عند الفزع، وغيرها.

وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الفضائل ـ باب شجاعة النبي ﷺ من طرق عدة.

« الشرح والبيان »

أما أنس بن مالك فقد تقدمت ترجمته:

« كان رسول الله ﷺ أحسن الناس »،

يعنى فى الخَلق - بفتح الخاء - ، والخُلق - بضم الخاء واللام - والخلق يتعلق بالجسم والصورة، والخلق يتعلق بالطباع والسجايا والشمائل ، ورسولنا صلى الله عليه وسلم قد جمع الله له الكمالين : الجسمانى ، والخلقى ، وكان فيهما على سواء .

وقد تكفلت كتب الأحاديث والسير ببيان كماله الخِلقى والخُلقى ، أما كماله الخلقى فقد ورد فى الصحيحين وغيرهما عن البراء ابن عازب رضى الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجها ، وأحسنهم خلقا[١] ، ليس بالطويل البائن[٢] ولا بالقصير » ولكنه ﷺ كان أقرب إلى الطول ، ولا ينافى هذا وصفه ﷺ فى الروايات الأخرى بكونه ربعة[٣] لأن ذلك من الأمور النسبية .

ومع هذا فقد وقع فى حديث عائشة - عند ابن أبى خيثمة - « لم يكن أحد يماشيه من الناس ينسب إلى الطول إلا طاله رسول الله ﷺ ، ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما فإذا فارقاه نسبا إلى الطول ، ونسب رسول الله ﷺ إلى الربعة » ولا أدرى أكان ذلك من خصوصياته ، ومعجزاته الخلقية كما قال بعض الأئمة ، أم أن كماله ﷺ الجسمانى ومهابته فى العيون والقلوب تخيل إلى الرائى أنه يطول أى طويل ؟ ويتضاءل بجانبه أى فارع ؟!.

وقد ورد فى الصحيحين[١] وغيرهما فى صفاته الجسمانية أحاديث كثيرة تجمله صلى الله عليه وسلم فى الذروة من كمال الجسم والخلقة ولعل أوفى ماروى فى هذا ما رواه سبط رسول الله الحسن بن على عن خاله هند بن أبى هالة ربيب رسول الله وكان وصافا ، وقد ذكره الترمذى فى شمائله وغيره ، وعسى أن تكون لى عودة لهذا فى مناسبة أخرى إن شاء الله تعالى .

وأما محاسن شمائله وأخلاقه ﷺ من سماحة وجود وشجاعة ، وعفو ، وحلم وتواضع ورحمة ، ورأفة ، وإغضاء ، وعدم انتقام

[١] الأكثرون من العلماء على أنه بفتح الخاء ويكون من عطف العام على الخاص بيانا لكماله الجسمانى فى الوجه وغيره ، وقيل بضم الخاء فيكون من عطف المغاير .

[٢] أى الظاهر الطول والخارج عن حد الاعتدال .

[٣] بين الطويل والقصير .

[١] انظر صحيح البخارى - باب صفة النبى صلى الله عليه وسلم ، وصحيح مسلم - كتاب الفضائل ، وكتاب الشمائل النبوية للترمذى ، والشفا للقاضى عياض ، والسنن للبيهقى ، والمواهب اللدنية للقسطلانى ، والبداية والنهاية لابن كثير ، وغيرها كثير .

لنفسه . . فحدث عنها ولا حرج ، وقد اشتملت كتب الأحاديث ، والسير والتاريخ من ذلك على الشيء الكثير ، وألفت فيه كتب ورسائل .

«وأجود الناس» وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل فى كل ليلة منه ، فيدارسه القرآن ، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة ، روى هذا الشيخان عن ابن عباس .

وكان من جوده وسخائه «أنه لا يسأله أحد شيئا وهو عنده فيقول : لا ، وقد جاءه رجل فسأله فأعطاه غنما بين جبلين ، فرجع الرجل إلى قومه ، فقال : يا قوم أسلموا فإن محمدا يعطى عطاء من لا يخشى الفاقة » رواه مسلم فى صحيحه ، ولما تكاثر عليه الناس منصرفة من حنين وقد قسم بينهم الغنائم قال لهم : « لو كان لى عدد هذه العضاه[1] لقسمته بينكم ثم لا تجدونى بخيلا ، ولا كذوبا ، ولا جبانا » وقد أعطى المؤلفة قلوبهم يوم حنين حتى رضوا وغدا الإسلام أحب إليهم من الدنيا وما عليها وصار الله ورسوله أحب إليهم مما سواهما .

« وكان أشجع الناس » والشجاعة نوعان شجاعة الرأى ، والمصارحة بالحق مهما قل الناصرون ، وكثر المعادون وشجاعته فى مواطن الجهاد والنزال والطعان ، وقد استأثر النبى ﷺ بكمال الشجاعتين وليس أدل على الأولى مما رواه كتاب السير من أن قريشا وقد ضاقت بالنبى ذرعا ، ولم تجد معه سياسة الإيذاء ، ولا سياسة الاستمالة والإغراء ، جاءوا إلى عمه أبى طالب وقالوا له : إما أن تكف عنا ابن أخيك وإما أن ننازله وإياك ، وعز على أبى طالب فراق قومه وعداوتهم له ، وهو شريفهم وسيدهم ، كما عز عليه إسلام ابن أخيه لهم أو خذلانه فأرسل إليه وأخبره بما قالوا ، وقال له ابق على ، وعلى نفسك ، ولا تحملنى من الأمر ما لا أطيق ا فظن رسول ﷺ أنه بدا لعمه رأى ، أو أنه خاذله ومسلمه ، أو أنه قد ضعف عن نصرته ، ووقفت الدنيا تصيخ إلى ما عسى تفتر عنه شفتا النبى ، وانتظر عمه أبو طالب الجواب ، فإذا النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « يا عم ، والله لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته » ! ثم استعبر

[١] شجر ذو شوك يكثر بالصحارى والبوادى.

الرسول ، وبكى ، وقام ! ووقف الشيخ للهيب فى قومه مشدوها أمام هذه العظمة الخلقية ، والبطولة النفسية فنادى ابن أخيه فلما أقبل عليه قال له : قل يا ابن أخى ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لشىء أبدا !

وأما البطولة الجسدية فكان فيها نسيج وحده ، فقد ثبت فى المواقف الحرجة ، حيث فر بعض الشجعان : ثبت فى أحد ، وثبت فى حنين ، وهو يردد ويقول : أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب .

ولولا ثباته ﷺ فى أحد لكانت الهزيمة ساحقة ماحقة ، وبفضل ثباته فى حنين ، تبدلت الهزيمة إلى نصر وغنيمة ، وإنا لنستشف هذه البطولة الفائقة من قولة فتى الفتيان ، والشجاع الذى لم يفر قط سيدنا على رضى الله عنه قال : « إنا كنا إذا حمى البأس [١] ، واحمرت الحدق [٢] ، اتقينا برسول الله ﷺ ، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه ، ولقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ بالنبى ﷺ وهو أقربنا إلى العدو ، وكان من أشد الناس بأسا » رواه أحمد ، وأعظم بها من شهادة من مثل البطل على !

إلى غير ذلك من البطولات النفسية والجسمانية التى تستحق كتابا برأسه .

وقد اقتصر سيدنا أنس رضى الله عنه على هذه الشمائل الثلاث من شمائله ﷺ لأنها أمهات الأخلاق والفضائل ، فإن فى كل إنسان ثلاث قوى : القوة الغضبية والقوة الشهوانية ، والقوة العقلية ، وقد بلغ رسول الله الكمال الخلقى فى هذه القوى الثلاث ، فكمال القوة الغضبية بالشجاعة وكمال القوة الشهوانية بالعفة التى هى من أظهر مظاهرها الجود والسخاء ، وكمال القوة العقلية بالحكمة ، وهى إحكام الفكرة ، والإصابة فى القول ، بل وفى العمل والاعتقاد وقد تضمنت الفقرة الأولى هذه الفضيلة فإن الأحسنية تشمل الإصابة فى الاعتقاد والقول ، والعمل ، ومن ثم يتبين لنا أن هذا الحديث من جوامع الكلم ، ثم دلل سيدنا أنس على كونه ﷺ أشجع الناس بهذه القصة الآتية قال : ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة » فزع - بكسر الزاى خاف ، ذات ليلة أى فى ليلة من الليالى وكان فزعهم لأنهم سمعوا صوتا مزعجا ، فخافوا أن يكون قد دهمهم عدو فى عقر دارهم .

فانطلق الناس قبل الصوت ؟ قبل بكسر

[١] اشتدت الحرب .

[٢] أى علا الدم فى العروق حتى احمرت العيون

القاف ، وفتح الباء أى جهة المكان الذى ظنوا أن الصوت منه «فاستقبلهم النبى ﷺ قد سبق الناس إلى الصوت» .

أى استقبلهم راجعا والحال قد سبق الناس إلى مصدر الصوت ، فالجملة حالية ، وقد جاءت رواية مسلم أوضح من هذه ، وهكذا خف الرائى إلى مكان الصوت قبل أن تخف الرعية ، فلله ما صنع رسول الله ! !

« وهو على فرس لأبى طلحة عرى » .

الفرس : تطلق على الذكر والأنثى ، والمراد هنا الأول بدليل رجوع الضمير عليه مذكراً ، و « أبو طلحة » هو زيد ابن سهل الأنصارى زوج السيدة «أم سليم» وهى أم أنس بن مالك راوى الحديث ، وخادم رسول الله ، وكان أبو طلحة من خيار الأنصار ، وهو الذى تصدق ببئر له تسمى « بير حاء » وكانت من أعذب المياه وأحلاها وأحبها إليه ، وذلك لما نزل قوله تعالى : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » وكان رسول الله يستعذبها ، ويشرب منها .

« عرى » بضم العين ، وسكون الراء وتفسيره ما بعده وهو « ما عليه سرج » وهذا الوصف خاص بغير الآدمى كالخيل يقال : فرس عرى ، ولا يقال : عريان ، كما لا يقال : رجل عرى ، وإنما يقال : عريان .

« فى عنقه سيف » الضمير يعود على النبى بدلالة المقام ، أى وهو ﷺ متقلد سيفه كما هو شأن المجاهد المدافع لا يفارقه سيفه فى مثل هذه المواطن

وفى ركوبه ﷺ على فرس ليس عليه سرج دلالة واضحة على فروسيته البالغة ، فإنه لا يركب الفرس بدون سرج إلا من تمكن فى الفروسية ، وعرك ركوب الخيل ، ولازم ذلك .

وهو يقول : « لم تراعوا ، لم تراعوا » معظم الروايات فى البخارى ومسلم بلفظ « لم » وفى بعض روايات البخارى « لن تراعوا ، لن تراعوا » وهى رواية أبى ذر الهروى فى كتاب الأدب أى لا تخافوا أو لم تراعوا روعا مستقرا أو يؤذيكم وإنما هو أمر عارض .

« قد وجدته بحرا أو إنه لبحر » .

البحر من الخيل : واسع الجرى شبهه بالبحر لسعته و « أو » للشك أى الجملتين قالها النبى ﷺ ؟ والمعنى واحد ولكنها

(البقية على ص ٢١٧)

من الأصول السياسية والدستورية فى الاسلام

للدكتور مصطفى كمال وصفى

— ٣ —

فى المشروعية الاسلامية

المشروعية فى المصطلح الحديث[1] : هى سيادة القانون . وخضوع الدولة والأفراد له . فإذا كان القانون له السيادة فى نظام من النظم ، فإن هذا النظام يوصف بأنه نظام قانونى . والدولة توصف بأنها دولة قانونية وإذا كان القانون لا سيادة له ، فإن هذا النظام يوصف بأنه نظام واقعى والدولة توصف بأنها دولة بوليسية ، أى تعتمد على تدابير الأمن وإجراءاته فقط فى ضبط الأمور ويكون لكل حالة حكمها على حدة عند وقوعها . ويحصل هذا أحيانا فى الحروب والاضطرابات ومبادىء الثورات . كما يكون فى الدول المتأخرة التى يسودها حكام مستبدون .

والمشروعية فى الدول الحديثة أهم الظواهر القانونية . وعليها عماد النظام . وعلى استقرارها واستتبابها يتوقف الحكم على النظام كله ، فإن كان للنظام مشروعية قوية ثابتة مستقرة ، وصف بالرقى والتقدم وإن لم يكن له ذلك وكانت الأمور تسير بالهوى ، أو كانت المشروعية غير مستقرة كان النظام مختلا متخلفا .

وتتميز الدولة الإسلامية بأنها أقوى الدول مشروعية وأثبتها وأعلاها . فالمشروعية فيها قوية ظاهرة محددة لا خلاف فيها ، وهى ثابتة دائمة لا تبديل فيها .

ذلك بأن النظام الإسلامى كله يعلوه ماجاء فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . ومنهما تستمد جميع طرق الاجتهاد وذلك فى جميع مرافق الحياة وشئونها ، سواء فى نظام الدولة أو فى

---

[١] لفظة المشروعية لها مدلول آخر فى الشريعة . إذ يستعملها الفقهاء عند بيان أدلة حكم من الأحكام فيقال : مشروعية الصلاة أى الأدلة على فرضيتها . ومشروعية النكاح أى الأدلة التى جعله الله بها مشروعا .

علاقاتها بالأفراد أو في علاقة الناس بعضهم ببعض .

وتقوم المشروعية الإسلامية على مبادئ ومثل عليا تطابق أعلى المصالح الإنسانية وأرق الأغراض البشرية .

وليس هذا هو الشأن في كل النظم . فالمثل والمبادىء متفاوتة في رقيها في مختلف الدول .

فمن الدول ما كان هدفه عدوانى ، كدولة جانكيز خان التى قامت على السلب والنهب والتدمير . ومنها ما كان هدفها متصفا بالعنصرية والتعصب ، كدول النازى والفاشيست التى كانت تنتصر لشعبيتها وعنصريتها وتراها فوق الجميع . ومنها ما هو نفعى استغلالى ، كالدول الرأسمالية والإمبريالية التى تتجه إلى استغلال العمال والطبقات الفقيرة والشعوب المتخلفة ، فكل هذه الأهداف ليست على تمام الكمال والإنسانية والمطابقة للمثل العليا السليمة التى تحقق الصالح للجميع بلا أنانية وعلى أساس من العدل والإحسان والمسئولية عن الواجبات .

وفيما نرى فإن مضمون المشروعية الإسلامية هو : تضامن المسلمين فى تنفيذ أمر الله تعالى وفى منع نواهيه .

هذا هو الغرض الأعلى والهدف الأسمى الذى يسيطر على النظام الإسلامى ويحكمه .

وهذا التحديد يستفاد من قوله تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون »[1] .

فقوله تعالى اعتصموا : من الاعتصام وهو المنعة والحماية ، وحبل الله : سببه : قيل يعنى الإسلام ، وقيل القرآن ، وقيل أى الجماعة ، فعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : ستفترق أمتى على اثنين وسبعين فرقة كلهم فى النار إلا واحدة . قيل : ما هذه الواحدة ؟ قال : الجماعة ، وتلا الآية .

وقال الطبرى معناها : أى تمسكوا

---

[١] من آل عمران . قيل نزلت فى شأن الأوس والخزرج ، فإن رجلان من اليهود مرا بمجلس من الأنصار فساءه ما هم عليه من الاتفاق والألفة فبعث فيهم من يجلس بينهم ويذكرهم بما كان من حروبهم يوم بعاث وغيره . ففعل . فلم يزل ذلك دأبه حتى حميت النفوس وثار بعضهم على بعض ونادوا بشعارهم وهرعوا إلى سلاحهم وتواعدوا إلى الحرة . فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فجعل يسكنهم ويقول : « أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ؟ » وتلى عليهم هذه الآية فندموا واصطلحوا وألقوا السلاح .

بدين الله الذى أمركم به وعهده الذى عهد إليكم فى كتابه من الألفة والاجتماع على كلمة الحق والتسليم لأمر الله ولتكن منكم أمة أى جماعة يدعون إلى الإسلام وشرائعه التى شرعها الله لعباده .

كما يستفاد أيضا من قوله تعالى : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » فإن غاية النشاط الإنسانى ونهايته هى عبادة الله تعالى وذلك بالطاعة المطلقة والتسليم التام له والخضوع لأحكامه .

ويستفاد أيضا من قوله صلى الله عليه وسلم : (تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتى) رواه الحاكم فى مستدركه . وقوله : (تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك . ومن يعش بعدى فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بما عرفتم من سنتى وسنة الخلفاء الراشدين) صحيح رواه أحمد فى مسنده وابن ماجه ، وورد فى معناهما فى خطبة الوداع .

ويستفاد كذلك من حديث عبادة ابن الصامت ليلة العقبة : بايعونى على ألا تشركوا بالله شيئا ولا تزنوا ولا تسرقوا) متفق عليه رواه البخارى وغيره .

ولما بعث النبى ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن قال له : (فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فإن هم أطاعوا (أو طاعوا) لك بذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوا (أو طاعوا) لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم) [صحيح البخارى ـ كتاب الغزوات باب بعث أبى موسى ومعاذ إلى اليمن ـ بخارى الشعب جزء ٥ صفحة ٢٠٦] .

وهذه العبادة الخاصة تتكيف بها جميع شئون الحياة تدعو إلى العدل والإحسان إلى جميع المخلوقات لقوله تعالى : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان » .

والعدل يؤدى إلى إنصاف الإنسان للناس من نفسه ، فلا يقدم نفسه عليهم بلا حق فتنتزع من الحياة أغراض الأنانية والاستغلال .

والإحسان يقتضى تحرى الأفضل فى كل شىء . وقال ابن عباس فى تفسير قوله تعالى : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان » أى قولهم لا إله إلا الله : بمعنى أن تكون

أفعالهم مطابقة لهذه الشهادة ، لأن الشهادة ليست نية فقط بل هى أيضا قول وعمل ، ويجب أن يكون النطق بها مطابقا للنية والعمل فيكون صادقا فى شهادته ، ولعل البخارى فى قوله: «لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون » : عن قولهم لا إله إلا الله .

والأحكام التى يستفاد منها هذا الأمر نوعان :

النصوص القطعية وما يستمد منها بالقياس .

والمصالح المرسلة التى تستخلص وفق للمقاصد الشرعية لحفظ الضرورات ودرء المفاسد ورفع الحرج وتحقيق المنافع الشرعية .

فهذه هى خلاصة للشروعية الإسلامية التى تتقيد بها الجماعة الإسلامية .

والمشروعية الحديثة متدرجة : بمعنى أن ما ورد فى الدستور يعلو ما ورد فى القانون ، وما صدر به قرار من رئيس الدولة يعلو ما صدر به قرار من وزير وهكذا .

أما فى الإسلام فالعبرة بالمطابقة للنصوص والمقاصد الشرعية ، لا فرق بين أن يكون ذلك من إمام أو أمير أو صغير[1] ، فالحق أحق أن يتبع .

ويجوز للفرد أن يعترض باسم للشروعية على الأوامر .

قال أبو بكر رضى الله عنه فى كتابه الذى وجهه إلى البحرين : (بسم الله الرحمن الرحيم . هذه فريضة الصدقة التى فرض الله ورسوله ﷺ على المسلمين والتى أمر الله بها رسوله ، فمن سئلها من المسلمين على وجهها فليعطها ، ومن سئل فوقها فلا يعطى) [صحيح البخارى كتاب الزكاة - باب زكاة الغنم - بخارى الشعب الجزء الثانى صفحة ١٤٦]

ولكن ليس معنى الاعتراض هو الخروج والتمرد فهذه فوضى ، التبست بها أفهام البعض بسبب آراء الخوارج ، وإنما ذلك يكون بالتمسك بالحق بآداب المطالبة وحسن الحجة .

وليست للشروعية فى الشئون النظامية فحسب ، بل إن الشريعة الإسلامية هى مصدر كل شىء حتى فى علاقات الأفراد ،

---

[١] وذلك فى غير الانشاءات ، فإن التعيين من الإمام مقدم على التعيين من الأمير ، والولايات المستمدة من كل تندرج فيما بينها ، وإنما الذى تقرره هو فى إنزال الأحكام على النوازل بالقضاء والفتيا ونحوها ، وقال عمر : « أخطأ عمر وأصابت امرأة » .

لجميع العقود والمعاملات تتقيد كذلك بشروط الله، وكل شرط جاء خلافها هو باطل فشرط الله، أحق وأوثق، وجميع أحكام العقود تستمد من الشريعة، ولا دور للإرادة إلا فى إنشائها.

ولا شك أن المشروعية الإسلامية مكانتها العليا فى نظم الدول الإسلامية الحديثة، فإن أغلبية الشعب فيها من المسلمين والشعب هو مصدر السلطات فى الدستور

ولذلك فلابد من سيادة هذه العقيدة الغالبة وإعلائها، وقد جاء الميثاق باحترام الأديان السماوية، وينصرف ذلك إلى الإسلام أولا؛ لأنه دين الأغلبية، كما أن خطب الرئيس جمال عبد الناصر (خطابه فى ٣٠/٥/١٩٦٦) أعلنت خضوع الثورة للإسلام وتعنى سياسة الدولة أشد العناية بربط الحياة بالدين، وإظهار محاسن الشريعة ليتيسر تطبيقها ومحاولة تقنين الشريعة وغير ذلك من الجهود الموفقة بإذنه تعالى م؟

د. مصطفى كمال وصفى

(بقية المنشور على ص ٢١٢)

دقة المحدثين والرواة تأبى عليهم إلا التدقيق فى تحرى الألفاظ.

وفى رواية مسلم « وكان فرسا يبطأ » يعنى أنه لم يكن معروفا بالسرعة الفائقة ولكن لما ركبه ﷺ صار بحرا فى سرعة جريه، وطول نفسه فى الجرى، وهذا من بركاته ﷺ، وخيره على العالمين.

« وبعد » فإنا نرجو أن يكون لنا فى هذا الخلق النبوى العظيم أسوة حسنة لمن كان يريد خيرى الدنيا والآخرة، ولا سيما فى سهره ﷺ وحدبه على مصلحة الرعية، واليقظة التامة، والحذر الشديد من أن يبغت للمدينة باغت، أو يدهمها عدو، وفى غزوة الخندق التى تكالبت على المسلمين فيها جموع الشرك، والغدر والخيانة من اليهود كان النبى يقضى ليله سهران يصلى ويدعو الله « اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا » ويقول: « اللهم منزل الكتاب ومجرى السحاب، وهازم الأحزاب، اهزم أعداءنا، وانصرنا عليهم » فلنأخذ فى إعداد العدة للأعداء، وفى أسباب النصر، ولنرفع أكفنا بهذا الدعاء، حتى يحقق الله لنا النصر والرجاء، كما كتبه لأسلافنا الأولين م؟

الدكتور محمد محمد أبو شهبة

قضية بنت الأخ والعمة وبنت العم في الميراث

للأستاذ كمال عون

— ٣ —

انتهينا مبدئيا من النظر فى رأى القائلين بتوريث ذوى الأرحام ، ومن بينهم بنت الأخ والعمة وبنت العم ، واستبان لنا حقيقة وضعهن من المورث ، وأنه وضع عاص بين هذه القرابات المسماة اصطلاحا بذوى الأرحام ، وأنهن فى قرابتهن القريبة ينزلن عند الجمهرة من العلماء فى كثير من المسائل منزلة العصبة ، بل يرثن كثيرا بالتعصيب .

ونمضى مستعينين بالله سبحانه إلى مناقشة من منعهن الميراث ، ونرجو أن يكون فى ذلك بالنسبة لتصحيح وضعهن من الميراث فصل الخطاب .

وفى التمهيد للبحث نسأل :

١ — هل منع القرآن الكريم أنثى ورث أخوها فى حال من الأحوال ؟

٢ — وهل جاءنا المانعون لهؤلاء من الميراث بحديث واحد صحيح نص فيه على منع أنثى ورث أخوها ؟

٣ — وهل معنى الحديث الواحد المروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ، والذى فهم منه من فهم منع بنت الأخ والعمة وبنت العم أن يرثن مع إخوتهن أو من يساويهن من أبناء عمومتهن نص فى منعهن أو راجح فيه ؟

٤ — وهل ينتهض حديث واحد تكلم فى سنده وفى متنه ، وأفعم بالاحتمالات الكثيرة فى معناه ، للنصوص الواضحة فى الآيات الكريمة ، والأحاديث النبوية المؤكدة حقوق ذوى القربى فى مواريث أقربائهن ، والتى ينص بعضها صراحة على توريث من قيل بمنعهن ؟

٥ — وأخيرا فهل هؤلاء النسوة الثلاث ومن بعدهن ، هن اللاتى قيل بحرمانهن حال إرث إخوتهن ؟ أو أن غيرهن ممن نص على نصيبهن فى الكتاب والسنة قيل كذلك بحرمانهن فى بعض الحالات مع إخوتهن أو مع من هو أبعد منهن ، ثم سلمن

من دعوى الحرمان هذه بضروب من الفهم فى كتاب الله تعالى وسنة نبيه صححت وضعهن ، وحفظت حقهن ؟

أما عن السؤال الأول ومحصله : هل ورث القرآن ذكرا من دون أنثى تساويه فى قرابته ؟ فنستطيع الإجابة والحمد لله مطمئنين بأن القرآن الكريم فى نصوصه المحكمة مجملة أو مفصلة لم يحرم أنثى مع ذكر تساويه قط ، ولم ينزل بها عن نصف نصيبه أصلا ، بل قد نص فى بعض الحالات على مساواة الأنثى للذكر ، وذلك إن كانوا إخوة لأم ، ومن هنا قال بعض الأئمة الذين ورثوا ذوى الأرحام وهم أقارب الأم بمساواة الأنثى للذكر فى نصيبها من الميراث معللين ذلك بتساويهما فى الإدلاء بالرحم المجرد كما سبقت الإشارة اليه .

وفى القرآن الكريم بشأن الميراث إجمالا ، للرجال والنساء من الأبناء والأقرباء: «للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا » (النساء) وفيه : «وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله » (الأنفال) «وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين » (الأحزاب) .

وأولو الأرحام: هم الأقارب ، ويقع ذلك على كل من يجمع بينك وبينه نسب ، كما قال المفسرون وعلماء اللغة — وتخصيصهم بقرابات الأم اصطلاح فقهى — فالرحم فى اللغة وفى لسان الشرع : هى القرابة .

* * *

وفى تفصيل حق الأولاد يقول سبحانه : «يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك ، وإن كانت واحدة فلها النصف » .

* * *

وفى شأن الأبوين يقول سبحانه من نفس الآية الكريمة السابقة : «ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد ، فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فإن كان له إخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصى بها أو دين» .

وبالنسبة للزوجية يقول تعالى : «ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ، ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد ،

فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين ».

وفى شأن الإخوة حيث لا والد ولا ولد جاء قوله تعالى :

« وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس ، فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث » وهذه فى الإخوة والأخوات لأم بإجماع .

كما قال تعالى :

« يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك ، وهو يرثها إن لم يكن لها ولد ، فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك ، وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين يبين الله لكم أن تضلوا ، والله بكل شىء عليم » — وهذه فى الإخوة والأخوات أشقاء أو لأب .

* * *

تلك آيات للمواريث فى القرآن الكريم ، وبعضها مجمل وبعضها مفصل ، وجميعها نصت صراحة على أن للأنثى حقها فى الميراث مع كل ذكر تساويه بنوة أو أبوة أو زوجية أو أخوة أو قرابة — ثم هى قد وضعت مجملها ومفصلها قواعد العدل الإلٰهى وأبطلت صنيع الجاهلية فى حرمانها النساء وصغار الذكور . فإذا لم تستوعب على التفصيل جميع الوارثين ، فليس من بأس فى ذلك إذ النصوص عادة لا تستوعب الجزئيات ، وإن شملتها فى قواعدها العامة ، ونهجت للعلماء السبيل .

فالقول بأن النصيب للفروض فى الآيات المجملة مبين كله تفصيلا فى آيات المواريث يخالف بداهة . ماثبت بالسنة من استحقاق العصبة الميراث ، ومن تحديد نصيب الجد وغيره ، وما استنبطه العلماء فى توريث ذوى الأرحام قياسا على من وردت فيهم النصوص .

الحديث والميراث :

فإذا جئنا إلى جمهرة الأحاديث الصحاح فى الميراث ، رأيناها كذلك لم تحرم أنثى قط مع ذكر تساويه فى قرابته للميت ، اللهم إلا ما فهمه بعض العلماء من حديث ابن عباس — وقد تكلم العلماء فى سنده ، كما تكلموا فى متنه ، كذلك اختلفوا على أقوال كثيرة فى معناه مما سنعرض له بعد .

وفى كتاب الفرائض من صحيح البخارى يروى أبو سلمة عن أبى هـــريرة عن رسول الله ﷺ : « أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فمن مات وعليـه دين ولم يترك وفاء فعلينا قضاؤه ، ومن ترك مالا فلورثته » وفى رواية أبى حازم عن أبى هريرة « من ترك مالا فلورثته ومن ترك كلا فإلينا » ، وفى رواية أبى صالح : « فماله لموالى العصبة » .

وفى روايات مسلم لهـذا الحديث وهى كثيرة : « من ترك مالا فلورثته ـ أو ـ فإلى العصبـة من كانوا ـ أو ـ فليؤثر به عصبته » .

ونحو ذلك روايات أبى داود وغيره .

والمراد بالعصبة هنا الورثة ، نقله العينى فى شرحه وابن حجر فى الفتح ، كلاهما عن الداودى ، وفى القسطلانى على البخارى جـ ٩ ص ٥١٥ : العصبة يسمى بها الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ، وسموا عصبة لأنهم يعصبونه ويعتصب بهم ـ قال : والعصبة الأقارب من جهة الأب من لا مقدر له من الورثة ويدخل فيه من يرث بالفرض والتعصيب كالجد .

وملخص ما قال العلماء : أن العصبـة فى اللغة وفى لسان الشرع الشريف ، هم الأصول والفروع والحواشى من قبل الأب ، أو على حـد تعبير بعضهم من يلتقى مع الميت من الذكور والإناث فى أب ولو علا .

فتخصيص العصبة بالذكور أحيانا ، وتقسيم العصبة إلى عاصب بنفسه وعاصب بغيره وعاصب مع غيره ، هو تقسيم فقهى لاعتبارات ملحوظة لا يخرج المعنى الشرعى عن أصل وضعه ، ولا يتحكم فيه فيهدر قرابة بعض العصبة ، أو يدفعها عن مكانها بل مرجع المعنى الشرعى إلى أصل استعماله فى لسان الشرع .

* * *

هذا هو القـرآن الـكريم وليس فيه ـ على ما نعلم ـ نص أو إشارة تحرم ابنة الأخ مع أخيها ، أو العمة مع العم ، أو ابنة العم مع ابن العم .

وهذه هى الأحاديث الصحاح لا نرى من بينها ما يمنع إحدى هذه الإناث مع من يساويها . نعم روى فى العمة والخالة وحدهما حديث أعله العلماء وضعفوه من جملة وجوه ، كما قد عورض بما هو أصح منه من جعل العمة أبا والخالة أما ، وبما روى عن كثير من الصحابة .

جاء فى العينى على صحيح البخارى (ص ١٠٦ جـ ١١) فى توريث ذوى الأرحام عند الكلام على حديث « الخال وارث من لا وارث له ..» الخ قوله : فإذ قلت روى الحاكم من حديث عبد الله بن جعفر عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر: أقبل رسول الله ﷺ على حمار فلقيه رجل فقال يارسول الله : رجل ترك عمة وخالة لا وارث له غيرهما فرفع رأسه إلى السماء فقال : اللهم رجل ترك عمة وخالة لا وارث له غيرهما ، ثم قال أين السائل ؟ قال ها أنذا قال : لاميراث لهما وقال الحاكم : صحيح الإسناد قلت: عبدالله ابن جعفر فيه مقال ، قال أبو حاتم : منكر الحديث جدا ، يحدث عن الثقات بالمناكير يكتب حديثه ولا يحتج به وقال الجرجانى : واهى الحديث، وقال النسائى: متروك الحديث وعنه ليس بثقة - وأخرجه الدار قطنى من حديث أبى عاصم موقوفا اهـ.

وذكر الإمام القرطبى مثل ذلك فى تفسيره عند قوله تعالى : « وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض » من سورة الأنفال ، ثم قال: «قال الدار قطنى لم يسنده غير مسعدة عن محمد بن عمرو، وهو ضعيف والصواب مرسل، ثم قال القرطبى بعد ذلك وروى عن الشعبى قال : قال زياد بن أبى سفيان لجليسه هل تدرى كيف قضى عمر فى العمة والخالة ؟ قال : لا ، قال : إنى لأعلم خلق الله كيف قضى فيهما عمر : جعل الخالة بمنزلة الأم ، والعمة بمنزلة الأب » .

هذا : وقد تقدم الحديث الذى استشهد به ابن قدامة فى المغنى على صحة تنزيل العمة منزلة الأب ، وهو من رواية الزهرى والإمام أحمد كما سبق ، ومنه يؤخذ أن عمر فى قضائه متبع لا مجرد مجتهد برأيه .

حديث ابن عباس :

إذا فمن أين فرق العلماء بين بنت الأخ وأخيها ، والعمة وأخيها ، وبنت العم كذلك فقالوا بتوريث الرجال الثلاثة ، وحرمان أخواتهم الثلاث مطلقا ، أو إلحاقهن بقرابة الأم ؟ سند القوم فى ذلك فهمهم فى حديث ابن عباس رضى الله عنهما فى الصحيحين وغيرهما عن رسول الله ﷺ « ألحقوا الفرائض بأهلها ، فما بقى فلأولى رجل ذكر » والمعنى الذى استظهروه أن يبدأ بأصحاب الفروض ، فما بقى بعد الفروض اختص به أقرب الرجال من دون النساء وهذه الزيادة فى تقييد معنى الحديث - أعنى من دون النساء - هى موضع الإشكال وهى غير مسلمة.

ولو قيل : إن المعنى فلأولى رجل ذكر دون من هو أبعد منه من الذكور، ودون من هي أبعد منه من الإناث ، لا دون المساويات له من الإناث لما بعدنا عن السداد إن شاء الله ، ولرئي هـذا المعنى واضحا وسليما في ضوء النصوص المحكمة من الكتاب والسنة ، كل من لم تقيده عصبية الآراء ، وسنرى ذلك المعنى هو ما يرشد إليه ويعينه دون سواه، هو صنيع الإمام البخاري رحمه الله عند روايته للحديث أربع مرات في أربعة مواضع من كتاب الفرائض في صحيحه .

كذلك هو ما نص عليه ابن حجر في فتح الباري نقلا عن ابن بطال من أنه تأويل حـديث الباب على ما سيجيء بإذن الله .

كذلك قرر الجمهور هذا المعنى عمليا في توريث ذوي الأرحام ، فلم يقدم ذكرا على أنثى تساويه ، وإنما قدم المقدم من الجانبين أو ساوى بينهما في أصل الاستحقاق ولكنه لم يقرره بالنسبة للعصبة ، بل غرق هذا المعنى أو كاد في موجة زاخرة من الآراء عند توجيه عجز الحديث : فما بقي فلأولى رجل ذكر ، أو فلأولى عصبة ذكر ، أو فلأولى ذكر ، ثم احتج بالحديث في منع أولئك المذكورات .

نظرة فاحصة :

ولا بد من وقفة مع هـذا الحديث الشريف تجلو منه نواحي عدة ، فقد رأيناه على تسليم الفقهاء من المذاهب الأربعة وغيرها فيما اطلعنا عليه من المراجع الفقهية

والملاحظ أن العمل بما استظهروه من معنى الحديث يكاد يكون إجماعا بالنسبة لأقارب الأب ، فالرأي عند عامة العلماء أن الذين لم يحدد لهم نصيب من الميراث يختص ذكرهم بالمال مهما كان بعيدا دون أناثهم مهما كانت أقرب منه ، بل قد اتسع القول به عند ابن عباس حتى شمل أحيانا بعض الإناث المجمع على توريثهن، والمحدد نصيبهن في الكتاب والسنة ، مع ذكر يساويهن قرابة أو يكون أبعد منهن ، من ذلك رأيه في أولاد الابن مع البنت ، فلها فرضها النصف ، والباقي عنده للذكر من أولاد الابن دون الأنثى — وكما في بنت وأخت شقيقة وأخ لأب ، للبنت فرضها ، والباقي للأخ لأب دون الأخت الشقيقة ، وذلك خلافا للصحابة وجمهور الأئمة القائلين

بمشاركة أولاد الابن فى الباقى ، للذكر مثل حظ الأنثيين ، واختصاص الأخت الشقيقة بالباقى تعصيبا دون الأخ لأب .

* * *

فإذا جاء دور توريث ذوى الأرحام لم يكن لما قرروه فى معنى الحديث أدنى أثر فى تخصيص الذكر بالمال من دون أنثى تساويه ، بل قد تساوى ذكرهم وأنثاهم فى أصل الاستحقاق أو فى أصله ومقداره على ما سبقت الإشارة إليه ، متى تساووا فى درجة القرب أو البعد من الميت ، مع أن معناه فى الحالتين لم يتغير ، والقول بأن التوريث فى ذوى الأرحام إنما هو بالرحم المجرد لا ينفى تحقق معنى الحديث فى بعض صور توريثهم ، كما لو ترك الميت زوجته وخاله وخالته ، أو زوجته وأولاد أخته ذكوراً وإناثا .

فلو طبقنا المعنى الذى استظهروه فى الحديث لكان للميراث بين الزوجة وفرضها الربع ، والخال وله الباقى دون الخالة أو بين الزوجة وأبناء الأخت دون بنتها ، ولم يقل بهذا أحد فيما علمنا من القائلين بتوريث ذوى الأرحام — كما لم يقل به قانون المواريث فى الجمهورية العربية المتحدة ، فهذا الإجماع من القائلين بتوريث ذوى الأرحام على تشريك المتساويين من الذكور والإناث واضح فى أن اختصاص الذكر بالباقى دون من هو أبعد منه من الجنسين ، لا دون من تساويه من الإناث.

* * *

والكلام بعد على الحديث فى سنده ومتنه وفقهه .

سنده : (١) هو من رواية ابن عباس رضى الله عنهما ، لم نجده لغيره فى كل ما تتبعناه من كتب الحديث والفقه ، فهو من أحاديث الآحاد.

(٢) تكلم علماء الحديث فى سنده واختلفوا بين وصله وإرساله .

جاء فى عمدة القارىء شرح صحيح البخارى للعينى جـ ١١ ص ٩٥ عند الكلام عليه فى باب الميراث ما يلى : « تفرد بوصله وهيب ، ورواه الثورى عن طاووس ، ولم يذكر ابن عباس ، بل أرسله — أخرجه النسائى والطحاوى ، وأشار النسائى إلى ترجيح الإرسال ، والمرجح فى الصحيحين الوصل ، وإذا تعارض الوصل والإرسال ولم يرجح أحد الطرفين قدم الوصل » .

وجاء مثل ذلك فى فتح البارى لابن حجر

ج ١٢ ص ٨ بتفصيل أكثر وإن لم يخرج معناه مما ذكر.

كما جاء فى التعليق على سنن أبى داود للشيخ محيى الدين عند ذكر هذا الحديث قوله: أخرجه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه بنحوه، وقال الترمذى حسن، وذكر أن بعضهم رواه مرسلا، وذكر أن المرسل أشبه بالصواب.

متنه: وأما النظر فى متنه فقد روى: «.. فما بقى فلأولى ذكر- فلأولى عصبة ذكر — فلأولى رجل ذكر» وبالتعبير الثالث جاء فى جل الروايات.

وفى الكلام عليه استشكل وصف رجل بذكر، وهو لا يكون إلا كذلك، ذكر ذلك لاستشكال العينى وابن حجر فى شرحيهما المذكورين، واللفظ للعينى إذا يقول: «فيه أقوال كثيرة: أعنى فى توصيف الرجل بالذكورة، الأول: قال ابن الجوزى والمنذرى: هذه اللفظة ليست بمحفوظة وقال ابن الصلاح فيها بعد عن الصحة من حيث اللغة فضلا عن الرواية».

ثم مضى كل من الرجلين يورد فى شرحه لهذه اللفظة أقوالا متشابهة زادت عن عشرة، ووصف ابن حجر بعضها بالغموض، وقال العينى بعد كل ما أورده من أقوال «وقيل غير ذلك مما الغالب فيه النظر والرد» (ص ٩٦) ومن هذه الوجوه:

إن وصف الرجل بالذكر للتأكيد — أو للإشارة إلى الكمال — أو احترازاً عن الخنثى — أو للتنبيه على سبب استحقاقه وهى الذكورة التى هى سبب العصوبة وسبب الترجيح حتى كان للذكر مثل حظ الأنثيين، لأن الرجال تلحقهم مؤن كثيرة بالقتال والقيام بالضيفان وغير ذلك — أو ليدخل الطفل على خلاف صنيع الجاهلية فى حرمانها الأطفال.

أو أن الوصف بالذكورة هو لأولى لا لرجل، فالمال لأولى ذكر من جهة الصلب لا من جهة البطن احترازا عن الأولى من جهة الأم، وهذا المعنى وصفه ابن حجر بعد إسهاب وكثرة نقول، بالغموض.

أو الاحتراز عن العمة مع العم، وبنت الأخ مع ابن الأخ، وبنت العم مع ابن العم، فالميراث للذكور منهم فقط، ونسب للخطابى وابن التين.

أو لأن الإحاطة بالميراث إنما تكون للذكر من دون الأنثى — ومن اعترض على هذا الوجه بأن البنت قد تحيط بالمال،

أجيب بأن ذلك بسببين (أعنى الفرض والرد إن لم يكن غيرها) لا بسبب واحد كالذكر ، ونسبه ابن حجر فى فتح البارى لابن العربى الذى قال : وهذا لا يتفطن له كل مدع .

وللقسطلانى جـ ٩ ص ٥١٥ فى شرحه لحديث قوله : « فلأولى رجل ذكر » ، قال الطيبى : أوقع للموصوف مع الصفة موقع العصبة ، كأن قيل : فما بقى فهو لأقرب عصبة — ومضى يقول : والعصبة يسمى بها الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كما قال المطرزى وغيره — والعصبة الأقارب من جهة الأب من لا مقدر له من الورثة .

***

هذه خلاصة وافية لأهم الأقوال فى الشروح الثلاثة بإيجاز وتوضيح ، والغرض من إيرادها على كثرتها وضع وجهات نظر العلماء المتفاوتة فى فهمهم للحديث أمام الناظرين .

وأحب أن أنبه أولا إلى أن من قاله من خص العاصب الذكر بالمال دون من تساويه من إناث العصبة فى تعليله لرأيه بأن الرجال تلحقهم مؤن كثيرة من القيام بالعيال والضيفان والأقارب ومواساة السائلين وتحمل الغرامات وغير ذلك أقول: إن هذا القول علة التفضيل لا علة التخصيص فذلك صالح لبيان الحكمة فى تفضيل الرجل بمثل حظ الأنثيين إذا احتاج الأمر إلى بيان ، لا فى إيثاره بالميراث من دون الإناث ، ولو صح هذا التعليل فى حرمان بعض الإناث — ولن يصح قط — لصح يقينا فى جميعها ، ولكان هو منطق الجاهلية بعينه ، وحاشا لحديث رسول الله أن يحتمل غير ما شرع الله .

أما التوجيه السليم لحديث ابن عباس بما يضع الأمر فى نصابه ، ويتسق مع باقى الأحاديث الصحاح فى التوريث ، وروح النصوص القرآنية فى آيات المواريث ، ومنطق العدالة الإسلامية الذى لا شك فيه فموعدنا به حديث قابل بإذن الله ؟

كمال أحمد عون

الأشهر الحرم والنسيء
أوضاع هذه النظم في الإسلام

للدكتور علي عبد الواحد وافي

من شهور السنة العربية أربعة أشهر سميت بالأشهر الحرم : ثلاثة منها سرد أي متواليات، تبدأ من غرة ذي القعدة وتنتهي بآخر المحرم ؛ وواحد فرد وهو رجب . وسميت بذلك لحرمة القتل والقتال فيها . ومنها شهران يدل اسمهما نفسه على حرمة القتال فيهما ، وهما ذو القعدة (سمي بذلك لقعودهم فيه عن القتال) والمحرم (سمي بذلك لحرمة القتال فيه) .

وقد تقرر هذا النظام عند العرب في جاهليتهم ، وظلوا أمدا طويلا محافظين كل المحافظة على حرمة هذه الشهور في مواقيتها حتى إن الرجل منهم كان يلقى قاتل أبيه فيها فلا يمسه بسوء . ثم انتاب هذا النظام لديهم خلل كبير . فقد شق عليهم الكف عن القتال ثلاثة أشهر متواليات وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، فأدخلوا على نظام الأشهر الحرم تعديلا يبيح لهم تقصير هذه المدة ، وهو نظام النسيء (من نسأه إذا أخر أجله) . وذلك أن يراعوا حرمة شهرين متتابعين ، وهما ذو القعدة وذو الحجة ، ويحلوا القتال في شهر المحرم على أن ينسئوا حرمته ، أي يؤخروها ، وينقلوها إلى شهر آخر كصفر مثلا . فإذا جاء صفر واحتاجوا فيه للقتال أحلوه وحرموا ربيعا الأول .. وهكذا دواليك . فكان المعتبر في التحريم عندهم مجرد العدد لا خصوصية الأشهر الحرم . وكانوا أحيانا يحلون شهرا آخر من الأشهر الحرم غير شهر المحرم ويؤخروا حرمته وينقلوها إلى شهر آخر من غير الأشهر الحرم . وكانوا أحيانا يزيدون من عدد شهور السنة فيجعلونها ثلاثة عشر أو أربعة عشر ، ويجعلون أربعة أشهر فيها حراما ليتسع لهم الوقت للقتال . ومن أجل ذلك اضطربت مواقيت حجهم ، فاتفق أن جاء حجهم في موعد سابق أو لاحق لشهر ذي الحجة الفلكي ، وإن كانوا يعتبرونه في ذي الحجة بحسب ما يؤدي إليه تحريفهم لشهور السنة وفقا لأهوائهم في النسيء .

ويروى أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه حينما حج بالناس فى السنة التاسعة من الهجرة قد جاء حجه فى شهر ذى القعدة بحسب الميقات الفلكى الصحيح ، لأن اضطراب المواقيت عند أهل مكة من جراء نظمهم فى النسىء قد تأخر بالحج فى هذا العام شهراً عن موعده .

وقد أقر الإسلام نظام الأشهر الحرم ، وقضى على كل ما حدث فيها من تلاعب . فقرر أن عدة شهور السنة العربية اثنا عشر شهرا قمريا لا يصح نقصها ولا زيادتها ، وأن الأشهر الحرم الأربعة لا يصح استبدالها بغيرها ، وأن النسىء الذى كان يسير عليه العرب فى الجاهلية ، وهو إحلال القتال فى شهر من الأشهر الحرم ونقل حرمته إلى شهر آخر من غير هذه الأشهر ضلال وكفر وتغيير لكلمات الله .

وفى هذا يقول الله تعالى : « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض ، منها أربعة حرم ، ذلك الدين القيم ... » ويقول : « إنما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا ، يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله ، فيحلوا ما حرم الله » أى ليجعلوا عدة الشهور التى يحرمونها متفقا مع عدة الشهور التى حرمها الله ، فيعتبرون فى التحريم مجرد العدد لا خصوصية الأشهر الحرم « زين لهم سوء أعمالهم ، والله لا يهدى القوم الكافرين »[1] .

ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام فى خطبته فى حجة الوداع ، وهى الخطبة التى لخص فيها كثيراً من أحكام الإسلام : « أيها الناس ! إن الشيطان قد يئس أن يعبد فى أرضكم هذه ، ولكنه قد رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم (أى الأمور التى تعدونها صغيرة) أيها الناس ! إنما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض (وذلك أن الرسول عليه السلام قد أعاد الشهور إلى أوضاعها الصحيحة ، فكانت حجة الوداع فى شهر ذى الحجة) ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض ،

[١] آيتى ٣٦ ، ٣٧ التوبة .

منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات وواحد فرد: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذى بين جمادى وشعبان. ألا هل بلغت ؟! اللهم فاشهد!».

غير أنه قد أبيح للمسلمين القتال فى الأشهر الحرم فى حالة الاعتداء عليهم أو للمعاملة بالمثل، فقد تصدى للشركون للمسلمين عام الحديبية فى ذى القعدة، واتفق خروج للسلمين فى العام التالى لعمرة القضاء فى شهر ذى القعدة كذلك، وتوقعوا أن يضطروا لقتال المشركين، ولكنهم كرهوا قتالهم فى هذا الشهر لحرمته، فأباح الله لهم ذلك للدفاع عن النفس ولمقابلة المشركين بالمثل، فقد بدأ المشركون بالتصدى لهم فى العام السابق فى نفس الشهر الحرام.

وفى هذا يقول الله تعالى: «الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص» أى إن انتهاك غيركم لحرمة الشهر الحرام يبيح لكم معاملتهم بالمثل وقتالهم فى الشهر الحرام، فالحرمات يجرى فيها القصاص، أى المقابلة بالمثل «فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم، واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين»[1].

ولم يثبت عن طريق يقينى إقدام للسلمين على القتال فى الأشهر الحرم فى عهد الرسول عليه السلام فى غير حالات الدفاع والمعاملة بالمثل إلا ما حدث عن خطأ فى حساب الأيام من عبد الله بن جحش وسريته.

فقد روى أن الرسول عليه السلام بعث ابن عمته عبد الله بن جحش على سرية فى جمادى الآخرة قبل غزوة بدر بنحو شهرين ليترصد عيراً لقريش فيها عمرو بن عبد الله الحضرمى وثلاثة معه. فقتلت السرية عمرو بن عبد الله الحضرمى وأسرت اثنين ممن كانوا معه واستاقوا العير وفيها عروض من تجارة الطائف، وكان ذلك فى غرة رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة. فقالت قريش: (استحل محمد الشهر الحرام، شهرا يأمن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس إلى معاشهم)، أى يتفرقون وينتشرون فى الأرض لابتغاء معاشهم. وكتبوا إلى الرسول عليه السلام يستنكرون ذلك، وتساءل الناس من كفار ومسلمين عن هذا الوضع.

فأنزل الله تعالى قوله: «يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه؟ قل قتال فيه كبير، وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد

[١] آية ١٩٤ البقرة.

الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله »[١] أى يسألونك كيف جاز لكم القتال فى الشهر الحرام وهو رجب فى هذه الحادثة (ويلاحظ أن رجب كان من أكثر الشهور تعظيما عند قريش، ولذلك كانوا يسمونه رجب قريش، بل إن اسمه نفسه معناه المعظم، من رجب فلانا إذا هابه وعظمه) ؛ فقل لهم: حقا إن القتال فى الشهر الحرام ذنب كبير. ولكن هناك ما هو أبشع جرما منه وهو ما تفعلونه أيها الكفار من الصد عن سبيل الله والكفر به والصد عن المسجد الحرام وإخراج أهله منه فذلك أعظم وزرا عند الله تعالى من حدوث القتال عن خطأ فى أول يوم من رجب للجهل بدخول زمن الشهر.

وقد ذهب كثير من الفقهاء والمفسرين إلى أن القتال فى الأشهر الحرم قد نسخ فيها بعد قوله تعالى: « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم »[٢] وبما روى أن رسول الله ﷺ قد حاصر الطائف وحاصر هوازن فى غزوة حنين فى شوال وذى القعدة. وذهب آخرون منهم عطاء بن أبى رباح إلى أن حرمة هذه الأشهر لم تنسخ. فقد روى عنه أنه قال: « لا يحل للناس أن يغزوا فى الأشهر الحرم إلا أن يقاتلوا ليدافعوا عن أنفسهم ». وهذا الرأى الأخير هو الراجح فى نظرى وهو المتسق مع الآيات والأحاديث الكثيرة التى وردت فى هذا الصدد والتى ذكرنا بعضها فيما سبق، كما أنه هو المتسق مع تقريع القرآن للمشركين لتلاعبهم بالأشهر الحرم واختراعهم نظام النسىء ووصفه ذلك بأنه: « زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا ». وأما قوله تعالى: « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » فإن العموم الذى يفيده مقيد تقييدا مكانيا بالآيات التى تحرم القتال فى الحرم، ومنها قوله تعالى: « ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه »[١]، ومقيد تقييدا زمانيا بالآيات التى تحرم القتال فى الأشهر الحرم والتى سبقت الإشارة إليها[٢] وهذا من الباب الذى يسميه علماء الأصول

[١] آية ٢١٧ البقرة.

[٢] آية ٥ التوبة.

[١] آية ١٩١ من البقرة.

[٢] لم نقل فى الاستدلال على رأينا إن قوله تعالى: « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » قد جاء بعد قوله: « فإذا انسلخ الأشهر الحرم » لأن المراد بالأشهر الحرم فى هذه الآية أشهر أخرى قد حرمت تحريما خاصا لمعاهدة أبرمها الرسول مع بعض قبائل العرب، وهى غير الأشهر التى نتحدث عنها فى هذا المقال. كما سيأتى بيان ذلك.

تخصيص العام وتقييد للطلق . وأما حصار الطائف فالصحيح أنه قد بدأ قبل الأشهر الحرم، وأن الرسول عليه السلام قد أمر بفكه حينما حل ذو القعدة حتى لا تجرى عملية حربية فى الأشهر الحرم .

هذا وقد جاء فى الآيات الأولى من سورة براءة ذكر لأربعة أشهر من سنة بالذات وصفت بأنها أشهر حرم ، وهى غير الأشهر السابق ذكرها، ولم تكن حرمتها دائمة كحرمة تلك الأشهر، بل كانت مقصورة على السنة التى تتحدث عنها هذه الآيات ؛ وذلك أن الرسول عليه السلام كان قد عقد مع جماعات من مشركى العرب معاهدة سلام وعدم اعتداء ، وحددت لهذه المعاهدة مدة ينتهى بعدها العمل بها ، فنكثوا جميعا بعهدهم فى أثناء هذه المدة ، ما عدا جماعات من بنى ضمرة وبنى كنانة . فأنزل الله تعالى على رسوله هذه الآيات يأمره فيها أن ينبذ عهده لمن نكث منهم بأيمانه ، وأن ينذرهم بذلك يوم الحج الأكبر وهو يوم النحر على ملأ من الحجيج على أن يعطيهم مهلة أربعة أشهر يظلون فى أثنائها آمنين حتى لا يفاجئوا بالقتال ولا يأخذهم جيش الرسول على غرة، وفى هذا أقطع دليل على مبالغة الإسلام فى التسامح مع أعدائه وشدة حرصه على احترام العهود والمواثيق حتى مع من بدأ بنكثها ، ونفوره من جميع مظاهر الغدر والعدوان . وفى هذا يقول الله تعالى : « براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين، فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر » أى سيروا فى الأرض طلقاء آمنين مدة أربعة أشهر، وهى المهلة التى أعطيت لهؤلاء المشركين، وتبدأ هذه المهلة على أصح الأقوال من العاشر من ذى القعدة فى السنة التاسعة من الهجرة ، وهو اليوم الذى تم فيه تبليغ هذا الإنذار وتنتهى فى العاشر من ربيع الأول (ويلاحظ كما أشرنا إلى ذلك فى صدر هذا المقال أن الحج فى هذا العام قد وقع فى ذى القعدة لا فى ذى الحجة، نتيجة لتلاعب قريش فى عدة الأشهر فى السنة . ومن ثم جاء هذا التبليغ يوم الحج الأكبر الذى اتفق وقوعه هذا العام فى العاشر من ذى القعدة): « واعلموا أنكم غير معجزى الله ، وأن الله مخزى الكافرين . وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله ، فإن تبتم فهو خير لكم ، وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزى الله ، وبشر الذين كفروا

بعذاب أليم . إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم، إن الله يحب المتقين » يشير بذلك إلى جماعات من بنى ضمرة وكنانة ظلت محافظة على عهدها مع الرسول « فإذا انسلخ الأشهر الحرم » أى الأشهر الأربعة المشار إليها فيما سبق والتى تنتهى بالعاشر من شهر ربيع الأول: «فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد، فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ، إن الله غفور رحيم، وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه، ذلك بأنهم قوم لا يعلمون » ، أى إن أحد من هؤلاء المشركين فر من قومه ولجأ إليك واستجارك فأجره ثم أبلغه مأمنه وفى هذا أقطع دليل على مبالغة الإسلام فى التسامح مع أعدائه وحفاظه على حق الالتجاء .

وكان الرسول عليه السلام ، وهو مقيم بالمدينة قد أرسل قبل نزول هذه الآيات أبا بكر الصديق إلى مكة أميرا على الحج فى السنة التاسعة من الهجرة . وكان من الممكن بعد أن نزلت هذه الآيات وورد فيها إنذار للمشركين بنبذ عهدهم أن يبعث الرسول إلى أبى بكر برسالة يكلفه فيها أن يتولى هو نفسه ، فى أثناء قيامه بشئون إمارة الحج ، تبليغ المشركين هذا القرار فى الموعد المحدد لتبليغه . ولكن الرسول عليه السلام كلف على بن أبى طالب أن يشخص من المدينة إلى مكة وأن يقوم هو نفسه بتبليغ المشركين هذا القرار . وذلك لأنه قد جرت العادة عند العرب ألا يتولى إبرام العهد ولا نقضه بالنيابة عن شخص إلا رجل من عشيرته . وعلى بن أبى طالب من عشيرة الرسول ، بل من أقرب الناس إليه ، فهو ابن عمه أبى طالب شقيق أبيه عبد الله . على حين أن أبا بكر الصديق ينتمى إلى بنى تيم بن مرة ، وهم رهط آخر من قريش غير رهط بنى هاشم . فهو قرشى ولكنه ليس هاشميا . فأراد الرسول عليه السلام أن يجرى فى ذلك على سنة العرب . ولذلك حينما قيل له : « لو بعثت بها إلى أبى بكر » قال : « لا يؤدى عنى إلا رجل منى » ، وفى رواية أخرى « لا ينبغى لأحد أن يبلغ هذا إلا رجل من أهلى » . ولما دنا على من جماعة الحجيج راكبا ناقة لرسول ﷺ تسمى

(البقية على صفحة ٢٥٠)

من صبر العلماء :

محمد الخضر حسين

للدكتور محمد رجب البيومي

— ٢ —

حضر السيد محمد الخضر حسين إلى مصر فى وقت عصيب من تاريخها الفكرى ، وكانت الحاجة ماسة إلى كل رجل مثقف من رجال الدين قد فهم الشريعة فهما صحيحا ، يستند إلى الأصول من القواعد والأمهات من المراجع ، مع مطاوعة سهلة للبيان النير المشرق ، يوضح به للقراء ما التبس عليهم من أوجه الخلاف بين دعاة الإلحاد وأنصار الفكرة الإسلامية ، هؤلاء الذين وُصفوا فيما بعد بأنصار القديم ، ووصف خصومهم بأنصار الجديد ، كما حلا للدكتور طه حسين أن يسهب فى ذلك ويزيد !

نعم كان المخلصون من حماة الفكرة الإسلامية فى غير الدوائر الدينية الرسمية كثيرين ، ولكن وجود أمثال العالم المحقق الأديب المبين محمد الخضر حسين أمر ضرورى ، يحتم أن يقوم أحد أصحاب العمائم المستنيرة بالجهر بكلمة الإسلام فيما ران من شكوك ، وما أذاعه أذناب الاستشراق من مفتريات !

وقد ملىء كتاب الشعر الجاهلى والإسلام وأصول الحكم بأقسى عبارات التهكم بالمعممين ! حتى لأحدهم أن يقول فيجيد !

كانت سيطرة الثقافة الاستعمارية بعد الحرب العالمية الأولى مدعاة إلى إغراء براق بأوربا وازدراء ناقم لأمجاد الشرق فى رأى من جهلوا الحق فضلوا عن سبيله ، ومن عرفوا الحق مستبصرين ولكنهم مالئوا الباطل ليصلوا إلى الشهرة والجاه والزعامة الفكرية من سفاح دنىء لا يعرف معنى الشرف فى القول أو الفعل ، وإن تستر بخداع زائف من التصايح بالحرية الفكرية ، والمنهج العلمى ، ويشهد الله أن لا حرية ولا منهج ، ولكن الهوى يعمى ويصم ! .

ما كاد الأستاذ الخضر ينزل حى الحسين بمصر غريبا لا يعرف أحدا من الناس ، ومهاجرا فى سبيل الله بقلمه الجاهد الشجاع ، حتى وفق لعمل بدار الكتب بأجر زهيد لا يتفق ومنزلته الكبيرة ، ولكنه كان بتوفيق الله صلة حميدة إلى اشتهاره الأدبى ، ونبوغه العلمى ثم إلى اتصاله بأشباهه من الغير على مقدسات الإسلام من أعلام المفكرين ، كأحمد تيمور ، ومحب الدين الخطيب ، وعبد الحميد سعيد ، وعبد الوهاب النجار ، ومحمد رشيد رضا ، ثم شاءت الأقدار أن تفتضح معركة الشعر الجاهلى ، وأن يكون الأستاذ بطلا معلما من أبطال المعركة ، يصيح بالحق ويندد بالضلال .

لقد ظهر كتاب الشعر الجاهلى ينادى باحتقار كل قديم دونه فى صحف الأدب والشك فيه ، ويزعم أن جل ما قيل منسوبا إلى شعراء الجاهلية اختلاق زائف بغيض ، وهذه الآراء مهما صادمت البداءة الواضحة لا تحدث ضجة بين الناس يسعى إليها الدكتور طه حسين باذلا جهده الجهيد ، فلابد إذن من الهجوم على المقدسات الدينية هجوما لا هوادة فيه ، فليتعرض الكاتب إلى القرآن المجيد ، وليزعم أن حديثه عن إبراهيم وإسماعيل لا يكفى لإثبات وجودهما فى التاريخ !

إذ أن رواية ذلك وتسجيله لا يكفيان لإثباته دون بحث عن العوامل القريبة والبعيدة فى الرواية والتدوين !

ونحن لا نريد أن نفيض فى دعوى الانتحال الشعرى لأنها لب الكتاب ونحواه ، وهى دراسة أدبية يتبين وجه الحق فى بطلانها من أيسر طريق ، ولكننا نلخص ما تورط فيه الكاتب ملحا ليهاجم الإسلام هجوما يرضى أساتذته من قساوسة المستشرقين ، ويجعل الرجل صاحب دعوة جديدة فى الفكر الإسلامى الحديث .

فالدكتور طه يعلن أن محمدا قد استغل المقدسات الدينية بمكة وفى مقدمتها البيت الحرام الذى بناه إبراهيم كيلا يفقد قوته الروحية مع صراع الشرك فالمسألة مسألة استغلال للسيطرة فحسب لا أن بيتا لله بناه إبراهيم على وجه التحقيق .

والدكتور يعلن أن القرآن لم يكن جديداً على العرب إذ أن عقائده الجديدة كانت معروفة فى شبه الجزيرة بدليل عجيب يرتضيه طه وحده ، وهو قبول من قبل

الدين ومعارضة من عارض ، إذ لو لم يكن مألوفا ما حفل به أحد .

والدكتور طه يعلن أن دعوة الإسلام دعوة محلية فى جماعة خاصة وفى حياة خاصة ، فهى ليست دعوة عامة للبشرية كما ينطق بذلك القرآن الصريح .

ومنطق هذا كله كما يقول الأستاذ الدكتور البهى فى كتابه « الفكر الإسلامى الحديث ص١٩ » إن القرآن ليس وحيا لرسالة الله !!

وإذا كان المؤلف النابغة قد أثبت اقتراب هذه الأفكار من كتاب المذهب المحمدى للمستشرق الانجليزى (جب) فإن الأستاذ الخضر قد استطاع أن يجد الأصل الاستشراقى الذى سطا عليه الدكتور سطواً فاحشا فيما كتبه الدكتور مرغليوث فى مجلة الجامعة الأسيوية الملكية سنة ١٩١٦ وفى كتاب محمد المطبوع سنة ١٩٠٥ ، وقارئ الرد المفحم الذى كتبه الأستاذ يرى عجبا حين يجد الدكتور يضطر للشك فى المتواتر من أخبار القرآن بحكم منهج ديكارت ثم يقبل كل رواية مريضة واهية يذكرها كتاب الأغانى كحق مسلم يستند إليه فى قضية الانتحال حتى اضطر القارئ إلى الاعتقاد بأن المنهج الديكارتى لا يصلح فقط إلا حين يجابه الحقائق لا الأراجيف .

وإذا كان فريق من الأساتذة الأعلام كالأستاذ الرافعى ، والدكتور الغمراوى ، ومحمد لطفى جمعه ، ومحمد فريد وجدى قد مزقوا كتاب الدكتور تمزيقا علميا بما فضحوه من السرقة والتدليس ومجافاة الحق فإن الأستاذ الخضر قد زاد عليهم جميعا بشىء تفرد به ، وهو غوصه على النصوص العربية من أمهات كتبنا العلمية التى جهلها الدكتور، فظن أفكاره فى الشك والانتحال والاستشهاد بالقرآن ستكون جديدة على القارىء العربى ! وأكثرها مدون بنزاهة فى الكتب الأمينة التى حرفها الاستشراق عن قصد ثم سطا عليها طه بعد التحريف فثرثر وأطال .

فطه مثلا يقول فى ص ٩ « وينتهى بنا البحث إلى نتيجة غريبة ، وهى أنه لا ينبغى أن يستشهد بهذا الشعر على تفسير القرآن وتأويل الحديث ، وإنما يستشهد بالقرآن والحديث على تفسير هذا الشعر وتأويله » والأستاذ الخضر يقول ــ مثلا ــ فى الرد على ذلك ص ٢٢ « لم تكن هذه النتيجة غريبة إلا عند من يتناول البحث خطفا

ولا يمشى فيه على روية وأناة ، وقد أنكر بعض أهل العلم فيما سلف على من يتوقف من النحويين فى تقرير ألفاظ القرآن على شاهد عربى، ومن هؤلاء فخر الدين الرازى حيث يقول فى تفسيره الكبير « إذا جوزنا إثبات اللغة بشعر مجهول عن قائل مجهول فجواز إثباتها بالقرآن العظيم كان أولى وكثيرا ما أرى النحويين متحيرين فى تقرير الألفاظ الواردة فى القرآن فإذا استشهدوا فى تقريرها ببيت مجهول فرحوا به ، وأنا شديد التعجب منهم فإنهم إذا جعلوا ورود ذلك البيت المجهول على وفقه دليلا على صحته فلأن يجعلوا ورود القرآن دليلا على صحته أولى ».

وأنكر أبو محمد بن حزم على من لا يمضى فى الاحتجاج بظاهر القرآن فقال فى كتاب الفصل : « ولا عجب أعجب ممن إن وجد لامرىء القيس أو لزهير أو لجرير أو الطرماح أو لأعرابى أسدى أو تميمى أو من سائر أبناء العرب لفظا فى شعر أو نثر جعله فى اللغة ، وقطع به ولم يعترض فيه ، ثم إذا وجد لله تعالى خالق اللغات وأهلها كلاما ، لم يلتفت إليه ، ولا جعله حجة وجعل يصرفه عن وجهه » .

وهكذا نرى فى الكتاب عشرات النصوص القوية التى تسلك مسلكا جديدا فى الفهم ، ولو كانت هذه مزية الكتاب وحده لكفته فخرا ؟ فكيف إذا لم يدع شبهة تحوم إلا بددها برأيه ونقله وعقله فى بصر وتمكين !

وكأن المصادفات العلمية الفذة قد هيأت للرجل أن يجول الجولة الثانية بمصر ، حين صدر كتاب الإسلام وأصول الحكم لعالم من علماء الأزهر قد امتلأ يقينا بأقوال الاستشراق فجعلها المنبع الأول لفهم الحكم فى الإسلام على نحو يقرب من تعاليم المسيحية وحدها ، إذ أن المعروف المتفق عليه أن المسيحية دين لا دولة ، ولكن الإسلام شىء والمسيحية شىء آخر فالإسلام دين ودولة ، والرسول حاكم ومبلغ معا ، ونصوص القرآن مليئة بما يجعل هذه الحقيقة فى مرتبة البدهيات !

ولكن الأستاذ على عبد الرازق يجهر بدعواه ، واهما أنه وحده صاحب القول الفصل ! وقد تطرق إلى الرد عليه فى الصحف اليومية من لا يقف معه فى مستوى واحد، كما وجد من تساند الإلحاديين وتكالبهم على تأييده بما يملكون من صحف وأندية

وأقلام ما يخلع على كلامه بعض الوجاهة لدى الضعفاء، ولكن السيد محمد الخضر نضر الله وجهه يتصدى لهذا الإفك الصريح فيأتى على بنيانه من القواعد، وكان مجاله النقدى هذه المرة فى قمة من القوة والتمكن والإحكام، لأن الجدال ليس فى الرواية والقصص والانتحال كما فى أكثر فصول الشعر الجاهلى، ولكنه يدور حول قواعد أصولية عميقة فى الفقه والحكم والتشريع ويجد من تاريخ الإسلام الحافل برجاله وحوادثه ومؤلفاته ما يعين على جلاء الشك ورد الزيغ، لذلك كان مؤلف الخضر حجة قوية تقود المنصفين إلى مراشد اليقين، وقد ظل الأستاذ على عبد الرازق ضائقا به حتى بعد ربع قرن من صدوره وانتهاء المعركة على نحو يرضى المخلصين فقد قرأت بالسنة الثامنة على ما أذكر من مجلة لواء الإسلام كلمة للأستاذ على عبد الرازق تنبىء عن غضبه الموقد على الأستاذ، وتعيب طريقته فى نقد الكتاب، ومجمل العيب فى رأى الأستاذ عبد الرازق أن الأستاذ الخضر ينقل كل نص من نصوص الكتاب على حدة ثم يفنده بالرأى والدليل وذلك أدعى إلى تمزيق الفصل الواحد وتفتيته

ونحن نقول للأستاذ عبد الرازق إنه قد ظلم الحق فيما قال، لأن هذه النصوص تأتى متوالية متعاقبة، وقارىء النقد يستطيع أن يجمعها بسهولة لتكون كل ما جاء بالفصل الواحد من الكتاب، وهى بعد خير وأقوم من مسلك ناقد يلخص الموضوع من عنده ثم يعقب عليه، إذ ربما فات من التلخيص شىء هام لا يعرفه القارىء المحايد ولا ندرى كيف يحافظ الخضر على نصوص الكتاب جميعها فلا يسقط منها شيئا ذا بال ثم يكون ذلك مطعنا يوجه إليه من ناقد نبيه، إن الغيظ وحده لم يستطع أن يخمد فى نفس المنقود على تطاول الأيام به حتى وجد للنقد على صفحات لواء الإسلام ! ولو كان نقد الأستاذ عبد الرازق للأستاذ الخضر علميا نزيها ما تعرض لأمور شخصية لا تتصل بالبحث فى شىء، ولكنه تخيل الموهوم ثم خاله حقيقة فينتقنه اعلى طريقته بعض الناس .

لقد كان تمكن الخضر فى الدفاع مدعاة التقدير من ذوى الأحلام، فتقدم لامتحان العالمية بالأزهر، وكان الشيخ عبد المجيد اللبان رئيس اللجنة مع نخبة من زملائه المختارين فأبدى الشيخ من الرسوخ والتمكن،

ما أدهش، حتى أن الشيخ الببلاوى صاح بملء فيه « هذا بحر لا ساحل له فكيف نقف معه فى حجاج » ونال الشهادة العالمية الأزهرية وبها صار أستاذا فى الأزهر فدرس بكلية أصول الدين، بل كانت طريقه فيما بعد إلى مشيخة الأزهر ذات القدر الخطير.

وقد اتجه الأستاذ إلى تأسيس الجماعات الدينية، فكان أحد مؤسسى جمعية الشبان المسلمين وقد وضع لأختها الأولى مع صديقه محب الدين الخطيب، وقامت هذه الجمعية برسالتها المخلصة فى هداية الشباب الإسلامى ومحاربة الإلحاد العلمى والنزق الخلقى واستطاعت أن تصد هجوم الحضارة الملحدة المادية بما تقوم به من ندوات ومحاضرات وما تنشره من صحف ومؤلفات.

وكأنى بالخضر وقد شاء أن ينشىء جماعة الهداية الإسلامية لتساند أختها فى الدعوة إلى الله، وقد كان نشاطها علميا أكثر منه اجتماعيا إذ أن محاضراتها المتتابعة قد وجهت الأذهان إلى كنوز الثقافة الإسلامية كما أن مجلتها الشهرية كانت تحمل الروائع من التفسير والتشريع واللغة والتاريخ. وإذا عرفنا أن مجلة الأزهر ومجلة لواء الإسلام قد ظلتا سنوات عديدة تصدر عن رأى الشيخ وتوجيهه أدركنا جهاده الشاق فى مضمار الصحافة العلمية الراقية؛ وعرفنا مصادر متنوعة تجمع إنتاجه الدسم الفياض، هذا ولم يفت الأستاذ أن يحارب على صفحات هذه المجلات جميعها ما يند من الأقوال المتطرفة فى الأدب واللغة والدين، حتى اختلف فى الرأى مع أناس مخلصين لا نرقى إليهم الشبهة فى علم أو خلق أو دين، ولكن العلم الأصيل شىء غير الإخلاص والخلق فقد يكون المخلص الغيور متسرعا ينظر إلى زاوية واحدة فلا بد أن يناقشه إنسان مطمئن ثاقب النظر منفرج الزوايا واسع الاطلاع كالأستاذ الخضر والنقاش بعد سديد مفيد.

هذا وقد اختير الرجل عضوا فى المجمع اللغوى بمصر، فأبدى من الآراء السديدة فى الإصلاح اللغوى ما تشهد به مجلة المجمع ومحاضر جلساته، وهو أول من أعلن بالمجمع صحة الاحتجاج بالحديث النبوى وأحد من اشتركوا فى معارك النقاش اللغوى حول الوضع الاصطلاحى، وحق المحدثين فى وضع الكلمات، هذا غير ما خاضه من بحوث تتعلق بالاشتقاق والتعريب والفصيح والدخيل وجموع التكسير قياسية وسماعية مما يشهد

بالتخصص الماهر الفاحص في فنون اللغة والبيان ، على أنه تقدم إلى هيئة كبار العلماء برسالة في القياس ، يقول المغفور له الأستاذ محب الدين الخطيب عنها بمجلة الأزهر شعبان سنة ١٣٧٧ هـ .

« وفي أثناء إقامته بدمشق شرع في دراسة كتاب مغني اللبيب في علم العربية لجمال الدين بن هشام بمحضر جماعة من أذكياء طلاب العلم بدمشق ، وكان يرجع في تقرير المسائل المتصلة بالسماع والقياس إلى تلك الأصول المقررة والمستنبطة ، فاقترح عليه أولو الجد من الطلبة جمع هذه الأصول المتفرقة ليكونوا على بينة منها ساعة المطالعة ، فألف مقالات تشرح القياس وتفصل شروطه وتدل على مواقعه وأحكامه ومن هذه المقالات تألفت رسالة القياس في اللغة العربية التي أعاد عليها نظره بمصر » وهي كما رأيتها تجمع الأصول العالية في أحكام القياس والسماع وتضم فصولا عن شروط القياس وأقسامه وقياس التمثيل والقياس الأصلي مع إيضاح الأمور المشتركة بينهما ، هذا إلى أبواب في فضل اللغة العربية ومسايرتها للعلوم المدنية ، وحاجتها إلى المجتمع وحاجة المجتمع إليها وتأثيرها في التفكير ، وتأثير التفكير فيها ! وغير ذلك كثير ! فإذا أضفنا إلى رسالته عن القياس رسالته الأدبية في الخيال العربي عرفنا جهد هذا الأديب كما عرفنا من قبل مقام ذلك الفقيه !

أما مشيخته الكبرى للأزهر فقد كانت دليلا على أن الله لا يتخلى عن رجاله المناضلين إذ يأبى عدله الرحيم أن يترك هذه الجهود المضنية في الدين واللغة والأدب تضيع بدداً دون تقدير مادي ملموس ، فرأى الأزهر لعهده حلقة ذهبية من حلقات الكمال والجلال والوقار ، وطفق الزائرون من كتاب وعلماء وصحفيين يتقاطرون على مكتبه ، وكلهم يسأل عن أمور هامة في الإصلاح الديني والتشريع الإسلامي والتقدم الحضاري فيجد الإجابة الرصينة السديدة يفوح بها شيخ الإسلام الدارس المستنير ، ولكن أعباء السنين تتراكم على كاهله الضعيف فيترك المشيخة معتكفا محتسبا حتى يلبي نداء ربه في ١٣ رجب سنة ١٣٧٧هـ وهو التاريخ الهجري الذي كان رضي الله عنه يحرص على تدوينه في كل مكاتبة أو رسالة ، ونحن نسجل به رحيله الطاهر إلى ساحة الرحمة والرضوان في جنة عرضها السموات والأرض؟

د . محمد رجب البيومي

في ميدان الفكر :

حول عبقريات العقاد

للأستاذ أبو الوفا المراغي

—————

ممن كان يتخذ قدوة كاملة لرجالات المسلمين بعد مولانا وسيدنا محمد ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فعمر قدوة في جميع ميادين الفضيلة ، قدوة في الشجاعة والصراحة والعدل والسياسة والإحسان والإيثار ودقة الإحساس إلى درجة الإلهام وقدوة في الغيرة والرحمة والتواضع وغير ذلك مما لا يحصى من فضائل الرجال ، وقد ضرب بكثير من فضائله الأمثال ، وحسبنا في الشهادة على قوة حدسه ، وصدق ظنه قول رسول الله فيه : قد كان في الأمم محدثون ، فإن يكن في أمتي أحد ، فعمر ابن الخطاب « المحدث » الملهم الذي يلقى في نفسه الشيء فيخبر به حدسا وفراسة كأنه حدث بشيء فقاله .

وما زال المثل في عدله يجرى على ألسنة الخواص والعوام ، وهو كما قال العقاد عنه دقيق الحساب عميق الفكر ، ألمعي الخاطر يتوخى الحق والصلاح في كل ما يأتي وما يدع ولا يهمه أوقع عمله من نفوس الناس موقع الرضا والقبول أم وقع موقع الكره والإنكار . وقد جمع رسول الله ﷺ ما تفرق من فضائل عمر في كلمته الخالدة : « لم أر عبقريا يفرى فريه » وحسب عمر ذلك عظمة وخلوداً !.

ولقد تناول المؤرخون القدامى سيرة عمر بأسلوب السرد التاريخي التقليدي الذي يكتفي بعرض الوقائع والحوادث وسير الرجال دون نظر إلى الدوافع والبواعث الحقيقية التي تكمن وراءها ، وردها إلى أسبابها وعللها ، حتى كان من منهج التأليف التاريخي الحديث أن يعنى بفلسفة التاريخ ولا يقف من الحوادث موقف التسجيل والإحصاء . فاصطنع هذا المنهج كثير من المؤلفين المحدثين في التاريخ الإسلامي والسياسي . اصطنعه هيكل في حياة محمد ، واصطنعه عبد الرحمن الرافعي في كتبه عن الثورات المصرية ، وعن زعماء تلك

الثورات : كعرابى ومحمد فريد ، واصطنعه العقاد فى عبقرياته المختلفة ، ولا شك أن هؤلاء تأثروا خطوات المؤلفين الغربيين فى ذلك المنهج .

وقد تناول العقاد فيما تناول من كتب العبقريات سيرة عمر فى « عبقرية عمر » وجمع ماتناثر من مناقب عمر فى باقة قدمها إلى المسلمين كما يجمع البستانى ما تناثر من الأزهار والورود فى باقات منسقة تونق الأنظار والأذواق ، وحاول العقاد أن يربط كل فضيلة من فضائل عمر بوشيجة من شخصيته ويصلها بسبب من أسباب عظمته حتى لا يضل قارئ فى تقدير تلك الفضائل فيردها إلى محض الصدفة أو الأريحية العابرة .

والعقاد دقيق الفهم عميق الإحساس ، لماح الذهن ذو قدرة على استشفاف للمعانى من العبارات واستنطاقها إذا استعجمت على غيره ، وله فى النصوص أفهام لا تخطر لغيره كما أنه لا يدع نصاً تاريخيا إلا إذا لخصه واستنزف زبده وهذه ناحية من نواحى التفوق فى العقاد بين الكتاب ، وكان العقاد منهوم القراءة ، قرأ مئات الكتب فى مختلف العلوم وبمختلف الأساليب وعلق بذهنه كثير مما قرأ حتى صار موسوعة علمية يسترفد منها من شاء ، ويرتوى من معينها من شاء .

وقد تفرد العقاد بأسلوب اختلفت أنظار القراء فى تقديره إلا أن الجمهرة من من قراء العربية حتى محبيه على أن أسلوبه عميق مركز موجز لا يعطيك كل مايجنيه من معان إلا بكثير من الروية والتأمل والتيقظ وإلا بشىء من المرانة عليه والتمرس به لكى تفهم ما يراد منه وما يشير به إليه .

ومن هنا كانت عبقريات العقاد كباقات الزهور فى أوراق من (السلوفان) يروقك منظرها ويحجبك (السلوفان) عن نشق عبيرها والاسترواح بشذاها ، وكانت فى حاجة إلى من يكشف عنها هذا (السلوفان) ليكتمل لقارئها أناقة المنظر وطيب الرائحة .

وقد قررت وزارة التربية — فى شىء من القسوة — دراسة بعض هذه العبقريات على طلبة الثانوية العامة تقديرا لمكانتها الإسلامية ، ومنذ أن قررتها الوزارة شعر المشتغلون بالأدب العربى بمسئولية النهوض بتبسيطها وإبراز مكنوناتها تيسيرا على الطلبة واستكمالا للفائدة .

فالعقاد لم يتناول فى عبقرياته شخصيات هذه العبقريات تناولا تاريخيا معتادا

وإنما تناولها فى شىء من الفلسفة والتحليل العميق قصدا إلى الدفاع عما أثير حول تلك الشخصيات من تصرفات كانت موضع المؤاخذة والتشهير من أعداء الإسلام كتصرفاتهم فى تعدد الزوجات وفى الرق وفى الحروب وغيرها ، فكان ضروريا أن يكون أسلوبه فيها على مستوى هؤلاء الذين عنى بإقناعهم وإفحامهم .

وقد نهض هؤلاء الأدباء بهذه المسئولية وبذلوا فيها جهوداً مشكورة ، وكان ممن شارك فى ذلك وجرى فى هذا الميدان زميلنا الأستاذ فوده فتناول بعض هذه العبقريات بالبحث والدرس ، وأخذ يروض الغامض من عباراتها ويتألف الآبد من معانيها طوال شهور رمضان من أعوام مضت على منبر صحيفة الأخبار حتى كانت تلك الدراسة من لوازم شهر رمضان فى تلك الصحيفة .

وقد حالف الأستاذ فوده التوفيق فيما تصدى له وجلى بين أقرانه فى هذا الميدان، وأضاف إلى ثروة العقاد التاريخية فى بعض العبقريات ثروة تاريخية أدبية لغوية ، فقد تضمنت العبقريات ألفاظاً وعبارات وإشارات تاريخية ربما كانت بديهية فى نظر العقاد ، ولكنها كانت فى نظر غيره وفى الواقع فى حاجة إلى تجلية وكشف وخاصة بالنظر إلى أبنائنا طلبة الثانوية العامة .

وقد اقترن اسم العقاد باسم فوده فى العبقريات ، الأول مؤلفا مصنفا ، والثانى شارحا موضحا ، ولا يغض من قدر العقاد أن تحتاج كتبه إلى الإيضاح والشرح كما لا ينقص قدر فوده أن يكون شارحا وموضحا ، لأن ذلك تعاون على مألوف فى مناهج تأليفنا الأدبى وهو تعاون مشكور .

تلك كلمة حول عبقريات العقاد وحول من تصدى لها ، وقد ينفس لها بعض الناس رءوسهم أو يسيئوا فهمها ولكن متى كان جحد الحق من بعض الناس مانعا من الجهر به ؟؟

وقد يعرف مقدار الحق فيما قلنا من يتاح له أن يقرأ كتاب فوده « مع العقاد فى عبقرية عمر » .

وإذا كان من حقنا أن نقول للمسىء أسأت ، فمن واجبنا أن نقول للمحسن أحسنت ، تأدبا بأدب رسول الله حيث يقول : (لا يشكر الله من لا يشكر الناس) .؟

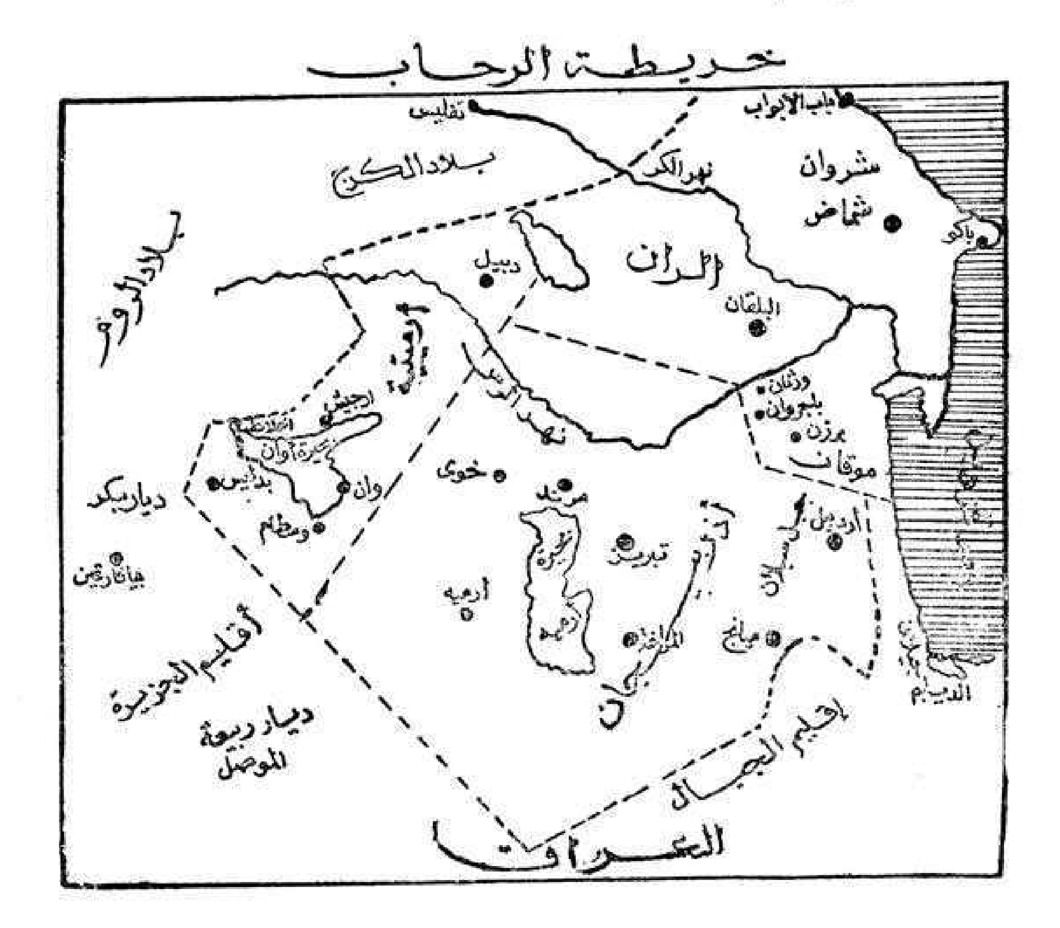
أبو الوفا المراغى

انتشار الإسلام في الرّحاب

للدكتور حامد غنيم أبو سعيد

— ١ —

كلمة الرحاب اصطلاح جغرافي ، أطلقه المقدسي على إحدى مناطق العالم الإسلامي في القرن الرابع الهجري ، ويعني بها المنطقة التي تضم أقاليم أذربيجان وأرمينية وأرّان أو (الران) وعلى الصفحات التالية سيدور الحديث عن انتشار الإسلام في هذه المنطقة من المناطق المحصورة بين آسيا الصغرى وبحر قزوين .



ونبدأ الحديث عن انتشار الإسلام فى هذه المنطقة بتحديدها من الناحية الجغرافية فنقول : إن الرحاب هى تلك المنطقة التى تعتبر امتدادا نحو الشمال لإقليم الجبال والعراق وديار ربيعة ، حيث يوجد إقليم أذربيجان إلى الشرق وإقليم أرمينية إلى الغرب ، وأخيراً إقليم أران إلى الشمال من أذربيجان ويتصل فى الوقت نفسه بالشاطىء الغربى لبحر قزوين .

والمنطقة ككل تجاورها من الغرب بلاد الروم وقسم من حدود الجزيرة ، وتحدها من الشرق بلاد الديلم ، فإقليم جيلان ثم موقان وأخيراً بحر قزوين ، أما من الجنوب فإنا نجد إقليم الجبال والعراق وبعض حدود الجزيرة ، وفى الشمال توجد بلاد الكرج (جورجيا) وبلاد اللان وجبال القَبْق .

كانت هذه المنطقة تضم عدداً من الأجناس البشرية ، ففى أذربيجان كانت الأغلبية الساحقة للأكراد ، فى حين أن الأرمن كانوا هم الجنس البشرى السائد فى أرمينية . أما إقليم أران فإن أهله كانوا خليطا من الأكراد والخزر والأرمن ، ولعل ذلك يعود إلى اتصال الإقليم الأخير ببحر قزوين ، الأمر الذى جعله يستقبل الكثيرين ممن يعملون بالتجارة على اختلاف أجناسهم .

ومن الناحية الدينية فإن النصرانية كانت هى الديانة السائدة فى إقليم أرمينية ، وبجانب ذلك كانت توجد فى هذا الإقليم أيضا أقليات من أتباع اليهودية والمجوسية هذا ، وفى الوقت الذى كانت فيه النصرانية هى الديانة السائدة بين الأرمن ، فإن المجوسية كانت هى عقيدة الأغلبية الكبيرة من الأكراد ، أما الأقلية من الأكراد فإن أفرادها كانوا يعتنقون النصرانية من وجهة نظر اليعاقبة ، ويضاف إلى هذا وذاك وجود بعض الجماعات اليهودية .

وبالنسبة للإقليم الثالث إقليم أران ، فإنه كان يوجد تشابه كبير بينه وبين إقليم أرمينية ، وذلك من حيث المعتقدات الدينية التى كانت موجودة فى كل ، غير أن عدد اليهود فى إقليم أران كان كثيرا إذا قورن بعدد إخوانهم فى إقليم أرمينية ، ويعود ذلك إلى أن إقليم أران كان فيما سبق ضمن مملكة الخزر ، ومعروف عن الخزر أنهم فى عمومهم كانوا يدينون بالديانة اليهودية .

فإذا انتقلنا إلى الجانب السياسى فإن أذربيجان كانت واحدة من المناطق المكونة للإمبراطورية الساسانية، هـذا مع أنها كانت تتمتع فى نطاق هذه الإمبراطورية بما يشبه الاستقلال الذاتى، شأنها فى ذلك شأن معظم الأقاليم الفارسية وقت الفتح الإسلامى، وكان حاكم أذربيجان يحمل لقب (المرزبان) ويتخذ من مدينة أردبيل مقرا له.

أما أرمينية فإنها كانت فيما مضى تحت حكم الروم، وقد استطاع كسرى أنوشروان أن ينتزعها من أيدى الروم ويضمها إلى الإمبراطورية الساسانية، وظلت على هذا الوضع حتى قامت الدولة الإسـلامية، مع ملاحظة أن الحكم الداخلى فيها ظل فى أيدى عدد من البطارقة من أهل البلاد الأصليين، ومعنى هذا أن السلطة الفعلية فى أرمينية أثناء محاولات الفتح الإسلامى لها كانت فى أيدى رجال الدين المسيحى، وسيتضح لنا فيما بعد إلى أى مدى كان لهـذا الوضع تأثيره على محاولات نشر الإسلام فى هذا الإقليم.

والأمر لا يكاد يختلف بالنسبة لإقليم أران، فقد كان تابعا للإمبراطورية الساسانية، وكان يقبض على زمام الحكم فى هـذا الإقليم وقت محاولات الفتح الإسلامى له رجل فارسى يحمل لقب «ملك» ويسمى «شهربراز» وكان يقيم فى مدينة الباب التى كانت فى ذلك الوقت المركز الرئيسى لإقليم أران، ويستحسن فى هذه المناسبة أن أنبه إلى أن كثيراً من المؤرخين قد اعتبروا إقليم أران جزءا من أرمينية، وكان هذا الإقليم، لدى أصحاب هذا الاتجاه يكون مع بلاد السيسجان ما يطلق عليه اصطلاح «أرمينية الأولى».

يتضح لنا من هذه المقدمة أن التركيب البشرى فى منطقة الرحاب كان متنوعا، فمن أكراد فى الشرق إلى أرمن فى الغرب إلى خزر فى الشمال. وبجانب تنوع التركيب البشرى كان يوجد تنوع أيضا فى المعتقدات الدينية التى كانت موجودة فى المنطقة ككل. وكانت الديانتان البارزتان هما : المجوسية والنصرانية، وبجانب هـذا وذاك كانت توجد جماعات يهودية فى كل من الأقاليم الثلاثة.

يحاول الدارس المعاصر أن يجد فى تنوع التركيب البشرى وتنوع المعتقدات الدينية التى كانت سائدة فى المنطقة فرصة لتبيان موقف هذه العناصر المختلفة من الدعوة

للدين الإسلامى، وبمعنى آخر أكثر تحديداً: إن تنوع التركيب البشرى وتعدد الاتجاهات الدينية فى منطقة الرحاب يفتح الباب أمام الدارس المعاصر للتعرف على الدرجات المتفاوتة فى ردود الفعل التى قوبل بها الدين الإسلامى من أفراد هذه الأجناس البشرية . وأتباع هذه الاتجاهات الدينية .

وتناول الموضوع من هذه الزاوية يقدم للقارىء محاولة علمية جادة ، بجانب أنه فى الوقت نفسه يشتمل على عناصر الطرافة والتشويق ، ومما لا شك فيه أن محاولة كهذه كان من الممكن أن تكون ميسورة لو توافرت لها المادة العلمية بدرجة كافية ، وهذا ما لا نستطيع أن نقول به ، وذلك لما هو معروف من أن اهتمامات المؤرخين العرب فى العصور الوسطى قد توجهت فى المرتبة الأولى إلى معالجة حركة توسع الدولة الإسلامية ، لا إلى تعقب حركة انتشار الدين الإسلامى ، وحتى بالنسبة لأولئك المؤرخين الذين عنوا بالتأريخ لانتشار الدين الإسلامى فإنهم لم يلتفتوا بالقدر المطلوب إلى هذه الجزئيات التى تشكل الأساس الذى لا بد منه لتقديم مثل هذه المقارنة .

مهما يكن من أمر ، ففى ثنايا الدراسة التى بين أيدينا سنحاول بالقدر الذى تسمح به المعلومات التى نعثر عليها أن نقارن بين الدرجات المتفاوتة فى الاستجابة التى قوبل بها الدين الإسلامى فى هذه المنطقة ، ونبدأ دراستنا هذه بالحديث عن إقليم أذربيجان.

قلنا فيما سبق أن أذربيجان هى تلك المنطقة التى تقع إلى الشمال الشرقى من ديار ربيعة بالجزيرة الفراتية ، وإذا أردنا تحديد موقع أذربيجان فى الخريطة الجغرافية المعاصرة فمن الممكن أن نقول بأن الجزء الأكبر منها يقع ضمن إيران الحديثة ، فى أقصى الشمال الغربى ، أما الأجزاء الشمالية لأذربيجان فإنها أصبحت ضمن مناطق نفوذ الاتحاد السوفيتى كما أن بعض مناطقها الغربية تقع فى هذه الأيام ضمن ممتلكات جمهورية تركيا .

وقد أصبحت الأجزاء التى سيطر عليها الاتحاد السوفيتى تشكل مع إقليم أران ما يعرف الآن بالجمهورية الأذربيجانية ، وهى واحدة من جمهوريات اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية ، ولا يزال يغلب على هذه الجمهورية الطابع الإسلامى حتى

اليوم ، وآخر إحصاء للمسلمين فيها يصل بعددهم إلى مايقرب من ثلاثة ملايين ونصف مليون نسمة ، وهم بهذا يشكلون مايقرب من ثمانين فى المائة من مجموع السكان هناك .

بعد ذلك نبدأ فى تتبعنا لانتشار الإسلام فى هذه المنطقة ، وبخصوص هذه القضية نقول : إنه فى عهد الخليفة الثانى عمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه أخذت الإمبراطورية الفارسية تتهاوى أمام زحف الجيوش الإسلامية المنتصرة .

وقد استطاعت الدولة الإسلامية ، بصفتها السياسية ، أن تبسط سيادتها على الأقاليم الفارسية من الجنوب إلى الشمال ومن الغرب إلى الشرق وكان إقليم أذربيجان من المناطق التى توجهت إليها الجيوش الفاتحة فى تلك الفترة المبكرة من تاريخ الفتوحات الإسلامية .

اختلف المؤرخون حول الوقت الذى اتجهت فيه الجيوش الإسلامية لفتح أذربيجان ، ولكن هذا الاختلاف ليس من الخطورة بمكان ، إذ أنه محصور بين سنة ١٨ وسنة ٢٢ من الهجرة ، وكما اختلف المؤرخون حول توقيت أول حملة عسكرية وجهتها الدولة الإسلامية إلى هذا الإقليم ، فإنهم قد اختلفوا بالتالى حول شخص الصحابى الذى كان أول من فتح هذه البلاد ، فنهم من يقول إن الذى فتحها هو الصحابى عتبة بن فرقد رضى الله عنه ، ومنهم من يعزو فتحها إلى الصحابى حذيفة بن اليمان رضى الله عنه .

وتوفيقا بين وجهات النظر التى يبدو أنها متضاربة يمكن أن نذهب إلى القول بأن أولى الحملات العسكرية الإسلامية قد توجهت إلى الإقليم موضوع الدراسة فى سنة ١٨ هـ ، وكانت تحت قيادة الصحابى عتبة ابن فرقد ، وبعد ذلك توالت الحملات الإسلامية إلى أذربيجان بقصد السيطرة الكاملة على كل أنحاء الإقليم ، وكان أبعدها أثرا تلك التى قادها الصحابى حذيفة بن اليمان فى سنة ٢٢ من الهجرة .

مهما يكن الأمر ، فقد كان من نتيجة الحملة الأولى التى هزم فيها الأذربيون ، كتاب أمان من عتبة بن فرقد لأهل أذربيجان بمقتضاه منحوا الأمان « على أنفسهم وأموالهم وملهم وشرائعهم ، على أن يؤدوا الجزية على قدر طاقتهم » . ووثيقة الأمان هذه التى أوردها الطبرى

(ج ٤ ص ١٥٥ طبعة ذخائر العرب) والتى يرجع تاريخها إلى سنة ١٨ هـ توضح لنا أن أهل أذربيجان قد اختاروا طريق التمسك بدياناتهم السابقة فى مقابل دفع الجزية للدولة الإسلامية، كما يفهم من هذه الوثيقة أيضا أن أتباع الديانات الثلاث: المجوسية والنصرانية واليهودية قد اتخذوا موقفا موحدا وهو عدم الاستجابة لما دعوا إليه من اعتناق الدين الإسلامى.

لم يلتزم أهل أذربيجان بشروط هذا الاتفاق، وكانت نتيجة نقضهم له أن توجهت إلى الإقليم حملات أخرى، كان من أهمها تلك الحملة التى قادها الصحابى حذيفة بن اليمان سنة ٢٢ هـ، وقد توغل حذيفة بقواته فى أذربيجان حتى وصل إلى مدينة أردبيل عاصمة الإقليم، وهناك تصدى المرزبان بمجموعه للقوات الإسلامية، وبعد قتال شديد طلب المرزبان من القائد المسلم أن يعقد معه صلحا، واستجاب له حذيفة ابن اليمان، وتم بين الاثنين الاتفاق على أساس أن يدفع أهل أذربيجان للدولة الإسلامية جزية سنوية مقدارها ثمانمائة ألف درهم «على أن لا يقتل منهم أحدا ولا يسبيه، ولا يهدم بيت نار، ولا يعرض لأكراد البلاسجان وسبلان وساترودان ولا يمنع أهل الشيز خاصة من الزفن فى أعيادهم وإظهار ما كانوا يظهرونه»[1].

وكما هو واضح فإن الاتفاق الذى عقده الصحابى حذيفة بن اليمان مع المرزبان يلتقى مع الاتفاق الذى سبق أن عقده عتبة ابن فرقد مع أهل أذربيجان فى نقطة واحدة هى التى تسترعى انتباه المهتم بدراسة انتشار الإسلام، وهذه النقطة هى تعهد القوات الإسلامية الفاتحة بعدم التعرض للأذربيين فيما يختص بشئون معتقداتهم أى عدم إجبارهم على نبذ دياناتهم واعتناق الدين الإسلامى.

وينفرد اتفاق حذيفة بتفصيل أكثر فيما يختص بتوضيح تسامح المسلمين مع أتباع الديانة المجوسية، ويتضح لنا ذلك من النص على أن لا يهدم المسلمون للمجوس بيت نار كما يتضح لنا ذلك أيضا من تخصيص طوائف معينة من الأكراد وأنه لا يحق للقوات الإسلامية أن تتعرض لها فيما يتصل بممارسة هذه الطوائف لشعائرها الدينية، وسيتضح

---

[١] البلاذرى: فتوح البلدان، طبعة دار النشر للجامعيين، ص ٤٥٥ - ٤٥٦.

لنا فيما بعد سر تخصيص هـذه الطوائف بالتحديد .

ولا شك أن المسلمين فى هـذا التسامح الدينى قد وصلوا إلى المدى الذى لا مندوحة بعده ، وخاصة إذا عرفنا أن الأذربيين هم الذين نقضوا الاتفاق الذى سبق أن عقد بينهم وبين الجانب الإسلامى . وهذا التسامح الذى بدا فى موقف كل من عتبة بن فرقد وحذيفة بن اليمان إزاء أهل أذربيجان من مجوس ونصارى ويهود هو سمة من السمات الرئيسية التى لازمت حركة انتشار الإسلام بين مختلف الجماعات وفى شتى الأنحاء ، وليس هذا القول مجرد شهادة من فـرد يعتنق الإسلام ، بل إنه اتفاق التقى حوله الكثير من الدارسين غير المسلمين .

رغم هذا التسامح الدينى وهذه المرونة السياسية قامت فى أذربيجان سلسلة من الحركات المناوئة للسيادة الإسلامية ، سواء أكان ذلك فى العام الأخير من خلافة عمر ابن الخطاب أم فى أوائل عهد الخليفة عثمان ابن عفان رضى الله تعالى عنهما وقد استطاعت الدولة الاسلامية أن تتغلب على هذه الحركات المناوئة محافظة بذلك على المكاسب السياسية التى حققتها .

ومن الممكن القول بأن العلاقة بين الدولة الإسلامية وإقليم أذربيجان فى هذه الفترة والمراد بها الفترة التى تجمع بين السنوات الأخيرة من خلافة عمر بن الخطاب والشهور الأولى من خلافة عثمان بن عفان ، كانت ذات صبغة سياسية خالصة ، إذ لم تسجل المراجع التى بين أيدينا عن المسلمين أنهم قد نظموا حملة معينة أو وضعوا خطة خاصة لدعوة أو حمل أكراد أذربيجان على اعتناق الدين الإسلامى .

ليس معنى هذا القول أن المسلمين لم يسبق لهم أن دعوا الأكراد إلى الإسلام ، إذ أنه من المعروف عن الفاتحين المسلمين أنهم كانوا يلتزمون بخطوات محددة مع أهالى البلاد المراد فتحها ، خطـوات تصاعدية تترتب اللاحقة منها على عدم استجابة أهل البلاد للسابقة ، وهذه الخطوات هى : الإسلام فالجزية ثم أخيرا السيف — ولـكن الذى نعنيه أن العلاقة بين الطرفين فى أثناء تلك الفترة قد تجمدت عند الحدود السياسية ، بل وفى داخل الإطار الرسمى منها ، فقد كان المرزبان فى كلتا المعاهدتين المشار إليهما سابقا يعتبر نفسه هو الممثل لجماهير الأكراد ، وذلك بوصفه الحاكم الرسمى لأذربيجان .

وقد قبل الجانب الإسلامى منه هذه الصفة وتعامل معه على أساسها دون القيام بمحاولة لاستطلاع رأى الجماهير ، وهـذا هـو ما نعنيه بتجمد العلاقة بين الطرفين أثناء تلك الفترة فى داخل الإطار الرسمى للحدود السياسية .

ولـكننى فى الوقت نفسه أسارع فأقول : إن هذا المستوى من العلاقات كان مؤقتا بفترة قصيرة ، وقد أعقب ذلك أن انتقل الجانب الإسلامى بعلاقته مع أهالى هذا الإقليم إلى مستوى جديد، أساسه الاتصال المباشر بجماهير الأذربيين، والعمل على نشر الدين الإسلامى بينهم .

وبعون الله تعالى سنفتتح المقال التالى بالحديث عن هذا المستوى الجديد ومدى النجاح الذى حققه بالنسبة لانتشار الإسلام فى هذا الإقليم من منطقة الرحاب .؟

: حامد غنيم أبو سعيد

(بقية المنشور على صفحة ٢٣٢)

« العضباء » وسمع أبو بكر رغاء الناقة عن بعد ، عرفها وقال : هذا رغاء ناقة رسول الله واتجـه إلى مصدر الرغاء حتى التقى بعلى ، فقال له : أمير أم مأمور ، أى هل أرسلك الرسول عليه السلام أميرا على الحج بدلا منى ، أم أنت مأمور بتبليغ رسالة ما ؟ قال : مأمور . فلما كان يوم النحر قام على عند جمرة العقبة حيث يلتئم شمل الحجيج كله، فقال أيها الناس : إنى رسول رسول الله إليكم فقالوا بماذا ؟ فقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية من أول سورة براءة ، ثم بلغهم على لسان الرسول ألا يقرب البيت بعد هذا مشرك ولا يطوف به عريان ، وذلك لأنهم كانوا يطـوفون بالبيت فى الجاهلية وهم عرايا يصفقون ويصخبون . وإلى هـذا يشير القرآن الـكريم إذ يقول : « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية » .؟

د . على عبد الواحد وافى

مما يدور على ألسنة المولعين بالفصحى

للأستاذ عباس أبو السعود

تدور على ألسنة المولعين بالفصحى من العلماء والدارسين من أبنائنا موضوعات ذات بال ، يجب أن يحيطوا بها علما ، لتزداد معارفهم العلمية ، وتغزر ثروتهم اللغوية ، وتصفو أساليبهم الأدبية ويصير منهم الكاتب البارع ، والخطيب المصقع [1] والشاعر المفلق [2] .

من أجل هذا رأيت أن أمدهم بهذه الموضوعات وأيسر لهم الحصول عليها ، وذلك بنشرها تباعا فى مجلة الأزهر حصن اللغة العربية ، وملاذ كل من يبتغى أن يكون من المبرزين فى هذا الميدان العظيم ، ويهمنى أن أستهل هذا العمل الجليل بالموضوعين التاليين :

الأول : (وسط بفتح السين وسكونها)

كلمة وسط قد تكون مفتوحة السين ، وقد تكون ساكنتها : فإذا فتحت سينها كانت اسما ، ودلت على ما بين طرفى الشىء وإذا سكنت كانت ظرفا بمعنى بين .

[١] المصقع : البليغ أو من لا يرتج عليه .

[٢] المفلق : من يأتى بالفلق وهو الأمر العجيب .

تقول : أمسكت وسط الحبل ، وكسرت وسط الرمح ، وجلست فى وسط الدار ، كل أولئك بفتح السين ، ومن ذلك المثل : يرتعى وسطا ويربض [1] حجرة ، والمعنى يرتعى أوسط المرعى وخياره مادام القوم فى خير ، فإذا أصابهم شر اعتزلهم وربض حجرة ، أى ناحية منعزلا عنهم ، ومنه أيضا قول الراجز :

الحمد لله العشى والصفر
ووسط الليل وساعات أخر

وتقول فى ساكنة السين : جلست وسط القوم أى بينهم ، قال ثعلب : وكل موضع صلح فيه بين فهو وسط بالسكون وإن لم يصلح فيه بين فهو وسط بالتحريك .

وقال ابن برى : الوسط بالتحريك اسم لما بين طرفى الشىء وهو منه ، وجاء الوسط محركا أوسطه على وزان يقتضيه فى المعنى وهو الطرف ، لأن نقيض الشىء يتنزل منزلة نظيره فى كثير من الأوزان ، نحو جوعان وشبعان ، وطويل وقصير .

[١] الربوض : كالبروك للإبل والجثوم للطير .

ومما جاء على وزان نظيره قولهم : الخصب والجدب ، لأن وزانهما العلم والجهل فالعلم يحيي الناس كما يحييهم الخصب ، والجهل يهلكهم كما يهلكهم الجدب ، والنفاق فى السوق على وزن الكساد ، والنفاق فى الرجل على وزن الخداع .

والوسط بالتحريك قد يأتى صفة ، وإن كان أصله اسما ، لأن أوسط الشىء أفضله وخياره ، فوسط المرعى خير من من طرفيه ، ووسط الدابة خير من طرفيها لتمكن الراكب ، ولذا قال الراجز :

إذا ركبت فاجعلونى وسطا
إنى كبير لا أطيق العندا [١]

ومنه الحديث «خيار الأمور أوساطها» .

فلما كان وسط الشىء أفضله وأعدله ، جاز أن يقع صفة ، وذلك فى مثل قوله عز وجل : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا » أى عدلا .

وأما الوسط بسكون السين فهو ظرف لا اسم ، جاء على وزن نظيره فى المعنى وهو بين ، تقول : جلست وسط أبنائى أى بينهم ، ومنه قول سوار بن المضرب

إنى كأنى أرى من لا حياء له
ولا أمانة وسط الناس عريانا

وفى الحديث « أتى رسول الله ﷺ وسط القوم » أى بينهم .

ولما كانت بين لا تصلح أن تكون بعضا مما يضاف إليها بخلاف الوسط الذى هو بعض ما يضاف إليه ، كذلك وسط بالسكون لا تكون بعض ما تضاف إليه ألا ترى أن وسط الدار منها ، ووسط القوم غيرهم ؟

ومن ذلك قولك : وسط رأسه صلب بالفتح لأن وسط الرأس بعضه ، فإذا قلت وسط رأسه دهن بسكون السين نصبت وسطا على الظرف لأنه ليس بعض الرأس .

وقال بعضهم : الوسط بالتسكين يقال فيما كان متفرق الأجزاء غير متصل كالناس والدواب ونحوهما ، فإذا كان متصل الأجزاء كالدار والرأس فهو بالفتح ، وكل ما يصلح فيه بين فهو بالسكون ، وما لا يصلح فيه بين فهو بالفتح .

مما عرضنا من الأمثلة والنصوص اتضح الفرق بينهما من جهة اللفظ ومن جهة المعنى : أما من جهة اللفظ فإن وسطا بالتسكين لا يكون بعض الشىء الذى

[١] العند بضم ففتح مشدد : جمع عاند وهو البعير يحيد عن الطريق ويعدل .

يضاف إليه بخلاف وسط المتحرك ، وأما من جهة المعنى فإن ساكن السين يلازم الظرفية ولا يصح رفعه على أنه فاعل ، ولا نصبه على أنه مفعول به ، بخلاف المتحرك أيضا .

فإن قلت : قد ينتصب الوسط المتحرك على الظرفية كما ينتصب ساكن السين ، كما فى قولك : جلست وسط الدار ، وكما جاء فى الحديث « أنه كان يقف فى صلاة الجنازة على المرأة وسطها » فالجواب أن نصب الوسط على الظرف إنما جاء على جهة الاتساع والخروج عن الأصل على حد ما جاء فى مثل قوله : كما عسل[1] الطريق الثعلب ، وليس نصبه على الظرف على معنى بين كما كان ذلك فى وسط ، ألا ترى أن وسطا بالسكون لازم للظرفية ؟ وليس كذلك وسط المتحرك ، بل اللازم له الاسمية فى الأكثر .

وإذا دخل على وسط ساكن السين حرف[2] الوعاء خرج عن الظرفية ، ورجع فيه إلى وسط بالتحريك ، ويكون بمعنى ساكن السين كقولك : جلست فى وسط القوم ، وفى وسط رأسه دهن ، والمعنى فيه مع تحركه كمعناه مع سكونه .

وقد يستعمل الوسط الذى هو ظرف اسما ويبقى على سكونه كما استعملوا بين اسما (مع أنها ظرف) فى قوله تعالى « لقد تقطع بينكم » برفع بين على أنها فاعل لتقطع ، قال عدى بن زيد :

وسطه كاليراع[1] أو سرج المجـ
ـدل[2] حينا يخبو[3] وحينا ينير

والثانى : (التراكيب التى يجتمع فيها الذكور والإناث) .

إذا اجتمع الذكور والإناث فى تركيب أضيف فيه العدد إلى المعدود ، وعطف فيه أحد النوعين على الآخر ، كان حكم العدد للسابق منهما ، عاقلا كان المضاف إليه أو غير عاقل .

تقول : لى سبعة أبناء وبنات ، أو لى سبع بنات وأبناء .

[١] عسل : تقول : عسل الثعلب أو الذئب عسلا ، وعسلانا إذا اضطرب فى عدوه وهز رأسه ، والأصل عسل على الطريق .
[٢] حرف الوعاء : هو فى .

[١] اليراع : ذباب يطير بالليل كأنه نار ، الواحدة يراعة .
[٢] المجدل بكسر الميم : القصر .
[٣] يخبو : ينطفىء .

وابتعت تسعة كتب وصحف ،
أو ابتعت تسع صحف وكتب .

ولك فى كل من التراكيب الأربعة وجهان :
أحدهما : جر كلمة بنات مثلا فى التركيب الأول ، بالعطف على أبناء ، ويكون لك حينئذ أربعة أبناء ، وثلاث بنات ، أو أربع بنات وثلاثة أبناء ، وكذلك فى التراكيب الأخرى .

والوجه الآخر . أن ترفع كلمة بنات عطفا على سبعة ، ويكون لك فى هذه الحالة من الأبناء سبعة ، ومن البنات أى عدد ، على شرط أن يكون ثلاثا فأكثر ، وكذا كل عدد احتمل أن يفرد منه جمعان ، كالستة والثمانية والعشرة .

أما إذا كان العدد لا يحتمل أن يفرد منه جمعان كالثلاثة والأربعة والخمسة ، فالرفع لا غير ، عطفا على العدد ، لا على المعدود .

تقول : لى خمسة أبناءٍ وبناتٌ برفع المعطوف ، أو لى خمس بناتٍ وأبناءٌ بالرفع أيضا .

أما العدد المركب للمميز بمذكر ومؤنث من العقلاء ، فيكون التمييز للمذكر مطلقا سواء تقدم أو تأخر ، وذلك لتغليب المذكر على المؤنث .

تقول : أقاربى خمسة عشر رجلا وامرأة أو خمسة عشر امرأة ورجلا .

فإن لم يكن التمييز للعقلاء كان هذا العدد للسابق منهما ، بشرط اتصال التمييز بالعدد .

تقول : عندى خمسة عشر كتابا وصحيفة وعندى خمس عشرة صحيفة وكتابا .

فإن فصل التمييز من العدد بكلمة بين ، كان العدد للمؤنث فقط .

تقول : عندى خمس عشرة بين كتاب وصحيفة ، وعندى خمس عشرة بين صحيفة وكتاب لأن مذكر ما لا يعقل فى استعمالهم كالمؤنث .

وأما العدد المعطوف عليه فكالمركب تماما فى كل الأحكام السابقة .

تقول : أقاربى خمسة وعشرون رجلا وامرأة ، أو خمسة وعشرون امرأة ورجلا بتغليب المذكر لأنه من العقلاء .

وتقول : عندى خمسة وعشرون كتابا وصحيفة ، أو خمس وعشرون صحيفة وكتابا أى للسابق منهما .

وتقول : عندى خمس وعشرون بين كتاب وصحيفة ، أو بين صحيفة وكتاب ، بتغليب المؤنث ، للفصل بكلمة بين ؟

عباس أبو السعود مصطفى

من بحوث الدورة الخامسة لمجمع البحوث الإسلامية :

الكلمة والحركة
ودورهما الأساسى فى نهضة المسلمين

للأستاذ إبراهيم الطحاوى

مقدمـــة :

تحتاج الدعوة ـ أية دعوة ـ إلى الكلمة و (الحركة) معا لتصل إلى الناس من جهة ولتأخـذ بهم إلى أيتها من جهة أخرى فكلتاهما بالنسبة للدعوة أشبه ماتكونان بجناحى الطائر لا غنى له بأحدهما عن الآخر كى يحلق فى السماء ويطير فى الفضاء .

ومن ثم ، فإذا كان السبيل إلى الدعوة الإسلامية قد بدأ بكلمة : « اقرأ باسم ربك الذى خلق » وكان التكليف بها قد أخذ شكل كلمـة أيضا : « وأنذر عشيرتك الأقربين » فإن ممارستها والقيام بها لم يقف عند مجرد الكلمة وإنما ضم إليها الحركة متمثلة فى اعتلاء النبى ﷺ جبل الصفا ثم ندائه على آله من قريش بأسمائهم ، بيتاً بيتا ... حتى إذا ما تجمعوا حوله كانت كلمته فيهم : (إنى رسول الله إليكم) .

كانت هذه هى البداية التى تلاها بعد ذلك تحركه للقاء الناس به أفراداً وجماعات يبلغهم دعـــوته ، هنا وهناك ... تارة فى البيوت وأخرى فى الأسواق ، وحينا فى مواسم الحج ، وأحيانا مع القبائل فى قراها أو مضارب خيامهم ... ومرة فى السر وأخرى فى العلن ... يعرض دعوته عليهم ... فيكلمهم ويحدثهم فى شأن دين الله ، ولهم فى أسلوب حياته وتحركاته نموذج عملى لدعوته وكلماته ...

حتى إذا ما ضاقت أخـلاق أهل مكة وما حولها بكلمته وحركته ، وتحجرت القلوب فقست حتى اشتد الإيذاء عليـه وعلى أصحابه وحاقت بهم الأخطار من كل جانب ، أذن لأصحابه أولا فى التحرك ، هجرة إلى الحبشة ثم انتهى به الأمر إلى أن هاجر هو شخصيا إلى يثرب داعيا كل مسلم

إلى أن ينهج نهجه ويصنع صنيعه، محركا بالدعوة من محيط إلى محيط، ومن مجال إلى مجال، ذات كل الدلائل على أن من فيه سيكونون للإسلام ردءا وظهيرا ..

ومن ثم يتأتى للمسلمين فى موطنهم الجديد أن يتجمعوا، استعداداً لطور آخر من أطوار تبليغ دعوتهم ونشرها.

وهناك فى المدينة المنورة تعاونت (الكلمة) مع (الحركة) فى نشر الإسلام والتمكين للمسلمين، فبالكلمة حالف اليهود ليؤمن إقامة للمسلمين فيها، وبالكلمة آخى بين المهاجرين والأنصار ليجانس بين وحدات الصف. وبالحركة ترصد لتجارة قريش فى طريقها من وإلى الشام فكانت غزوة بدر الحاسمة فى تاريخ الإسلام.

ثم هو بين هذا وذاك كان يدعو الناس إلى الصلاة ثم يؤمهم فيها، وإلى الصيام ويشاركهم فيه، وإلى الزكاة ويكون فى عطائه أجود من الريح المرسلة، وإلى الحج ليحفزهم على امتلاك الفرصة للتمكن من أداء مناسكه.

وبالكلمة دعا، إلى الإسلام الملوك، والأكاسرة، والأباطرة والقياصرة، وعظماء أقوامهم من الذين تحيط مناطق نفوذهم بالجزيرة العربية، وبالحركة قاد الجيوش، وأرسل البعوث والسرايا شمالا وجنوبا وشرقا وغربا، ليدفع عن الإسلام أذى المتربصين به والمتجمعين للقضاء عليه.

وبالحركة كان يطبق فى العلم شريعة الإسلام فى حياة الناس وأحوالهم: المدنية والجنائية، والاجتماعية، والاقتصادية والسياسية والثقافية، ويرسل الدعاة إلى الأطراف ليعلموا الناس أمور دينهم ويولى الولاة على الحواضر والأقاليم ليقيموا بين الناس حكم الإسلام - فى شئون دنياهم، كما كان فى الحرب يمتشق الحسام ويشارك المسلمين قتال أعداء الله، حتى إذا ما حمى وطيسها، وأحمرت الحدق لم يكن أحد أقرب إلى العدو منه.

وهكذا، فى مزيج من «الكلمة» «والحركة» سارت حياة النبى ﷺ وعلى سنته فى ذلك استمر خلفاؤه الراشدون يترجمون بالحركة الإيجابية الهادفة كل كلمة قرأوها فى كتاب ربهم، أو تلقوها من نبيهم، أو استنبطها منهما علماؤهم وأولو الرأى فيهم فانتشر ذكرهم، واتسعت حدود دولتهم حتى احتوت مساحة من الأرض لم تتكرر منذ كانت حتى الآن.

فقد كانت راية التوحيد . . راية : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، تظلل كل البلاد من جنوب أوربا وشواطئها على الأطلسي غربا حتى أسوار الصين شرقا .

ثم خلف من بعدهم خلف اكتفوا من « الكلمة » بترديدها ، دون أن يقرنوها بتحرك يترجمها إلى واقع محسوس فذهبت ريحهم ، وضعفت قوتهم ، وزالت شوكتهم ونزع الله من قلوب عدوهم المهابة منهم ، فذالت دولتهم وأصبحت نهبا لكل ناهب .

حاضر مؤلم :

وها نحن نحس الآن ريح اليقظة تهب على المسلمين بعد طول رقاد . غير أنها يقظة تواجه حاضرا لا يمت بسبب إلى دينهم الرشيد ، ولا يتصل بوشيجة إلى ماضيهم البعيد . وإنما هو حاضر هبطوا إليه بسبب تقاعسهم عن القيام بواجبهم فى نصرة هذا الدين والتمسك به .

إنهم يواجهون اليوم عالما تجمعت فيه قوى البغى والعدوان لتضرب أبناء الأمة الإسلامية فى مركز دائرتها ، وهى البلاد العربيـة ، أملا فى أنه إذا انهار المركز فقد انفرط عقد الدائرة ، ولم يبق لها تماسك . ومن ثم تتناثر أجزاؤها أشلاء فى كل جهة ومكان ، نهبا للبوم والغربان .

وفى سبيل ذلك جاءوا بالأمس القريب إلى أرض فلسطين ، قلب البلاد العربية فزرعوا فيها جرثومة إسرائيل وتعهدوها بالرعاية حتى جعلوا منها دولة سنة ١٩٤٨ ممزقين بذلك وحدة البلاد العربية ، ثم بذلوا محاولة لتوسيعها لم تنجح سنة ١٩٥٦ . . وكان لهم فـوق ما يحلمون من ذلك فى محاولة أخرى سنة ١٩٦٧ حيث احتلوا القدس ، وأجزاء أخـرى غالية من ثلاث دول عربية ، ولا تزال الجولة بين الطرفين لم تصل إلى نهايتها بعد .

إن خطـر إسرائيل ليس كغيره من الأخطار التى تعرضت لها الأمة الإسلامية منذ انحسر مد دولتها وذهبت ريح قوتها لأنه خطر من نوع جديد ، خطر يتمثل فى سلطان إسرائيل على جميع أسـواق المال فى العالم ، وفى سيطرتها على معظم أجهـزة الإعـلام والتوجيه الفـكرى فى أنحاء الدنيا ، مما مكن لها أن تعيث فى الأرض فسادا : ... تحـطم اقتصاديات ما تشاء من البلاد ، وتلعب بالثقافة

الإنسانية بما تصدره أجهزتها المتخصصة من أفكار وبدع تستهدف هدم معنويات الشعوب وتقويض مقومات الرجولة عند الشباب . بنشر الفساد فى كل مكان . . . تارة باسم التطور ، وأخرى باسم العلم الحديث وطورا باسم الوجودية وآخر باسم الفن .

ألا وإن هذا الخطر ليصرخ فى أسماعنا وضمائرنا أن نسرع إلى ميدان « الحركة » الإيجابية تطبيقا للكلمة المخلصة الصادقة وتنفيذا لها ، بعد أن طال الأمر علينا فى نطاق الكلمة الجوفاء وحدها .

تبعات المستقبل المرجو :

على أننا ، فى الوقت نفسه ، نعيش فى دنيا القوة التى تعتمد على « العلم » و « العمل » ومن ثم أصبح لا يكفينا فى إسلامنا ، مجرد الحديث عن الصلاة والصيام والتحلى بمكارم الأخلاق ، وإنما يجب أن تمتلىء حياتنا ، إلى جوار العلم بالعمل الدائب المتواصل ، والجهاد من أجل رفع راية : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » بكل ما تومئ له أو تدعو إليه ، حتى تستعيد مكانتها التى كانت لها فى صدر الإسلام ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، وهذا هو ما يأمرهم به الله حينما لم يكتف فى سبيل نشر دعوته بقوله تعالى :

« ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن [١] » .

ولا بقوله : « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن [٢] » . وإنما قرن هذا أيضا بالكثير من أمثال قوله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون [٣] » « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم [٤] » . وقوله : « قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة [٥] » . وقوله : « فقاتلوا أولياء الشيطان [٦] » . وقوله : « ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيما [٧] » . وأخيراً - وليس آخراً - قوله تعالى :

---

[١] النحل ١٢٥ . [٢] العنكبوت ٤٦ .
[٣] الأنفال ٦٠ . [٤] الأنفال ٦١ .
[٥] التوبة ١٢٣ . [٦] النساء ٧٦ .
[٧] النساء ٧٤ .

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون[1] » .

ومن ثم فالحركة والعمل إلى جوار الكلمة أمران أساسيان فى تقدير الإسلام لنشر دعوته وتبليغ رسالته ، ولا أدل على قيمة « العمل » فى نظر الإسلام من أن مادة « العمل » وردت فى القرآن الكريم ٣٦٠ مرة وأن مادة « الفعل » وردت فيه ١٠٩ مرات ، مما يعطى أنه لا يمكن نجاح مجهود فى نهضة الأمة الإسلامية يعتمد على « الكلمة » وحدها ، ويهمل شأن « الحركة » و « العمل » وبالتالى فلا قيمة لكلمة بدون حركة تصدقها ، كما لا قيمة لعمل لم يكن رد فعل لكلمة دفعت إليه ؛ لأن كلمة بلا عمل يترتب عليها، إنما هى فكرة موءودة ، كما أن عملا بلا كلمة تدعو إليه هو فى ذاته قيمة مفقودة .

الـكلمة التى نحتاجها :

ومن هنا فنحن فى حاجة إلى كلمة إسلامية نابضة بالحياة ، تكشف أباطيل المخربين وتضىء الطريق أمام الحائرين ، وما أكثرهم كلمة إسلامية تأخذ بيانها وبرهانها من كتاب « لا يضل ربى ولا ينسى[1] » . . كتاب « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد[2] » وتأخذ هداها من حديث سيد المرسلين الذى أدبه ربه فأحسن تأديبه ، وعلمه ما لم يكن يعلم .

نريدها كلمة تتمثل فى الدعوة للتمسك بتعاليم القرآن ، وأخلاق الإسلام ، وفى الدعوة إلى وحدة الصف ، ونبذ الفرقة والخلافات وأسباب الفتن ، فإن نيران العدوان تحرق أبواب المسلمين ، وكلنا نواجه اليوم مصيرا واحدا ، يوجب علينا التجمع تحت راية : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » التى نؤمن بها جميعا ، ونعتز بهذا الإيمان . . . طارحين وراء ظهورنا كل ماعداها من عوامل الفرقة والانقسام فلنتجمع تحت هذه الراية ولنهتف من أعماقنا بهتاف واحد ، فى مواجهة الدنيا بأسرها هو : الله أكبر الله أكبر . . شعار النصر الذى ردده المنتصرون الأولون وسيكون إن شاء الله شارة انتصار الآخرين .

[١] التوبة ١٠٥ .

[١] طه ٥٢ .
[٢] فصلت ٤٢ .

ومن ثم فنحن فى حاجة إلى (كلمة) تبلورعقيدتنا ، وتوحد بين أفكار المسلمين، وتجمعهم على كلمة واحدة ، فإلههم واحد ، وكتابهم واحد ، ورسولهم واحد ، ومصيرهم اليوم يتهدده خطر واحد .

كما أننا فى حاجة إلى (كلمة) تصحح أفكار المسلمين ، وتدفع بالاجتهاد ليؤدى من جديد دوره فى بيان أحكام الله فى قضايا العصر ومشكلاته عن طريق تحرر واع ، وتخلص وعالم بين سطور كتاب الله وحديث رسول الله ليوضح لنا : كيف نبنى مجتمعا يفقه روح الإسلام وسر تعاليمه ، ويتجاوب مع كتاب الله فى كل ما يدعو إليه « حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله »[1] .

ومن ثم نستحق ما وصف الله به المسلمين بقوله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله »[2] .

نريدها كلمة تسندها البراهين والأدلة لتبدد بنورها ظلام الآخرين ، وتمحو جهالاتهم ، وتقضى على فلسفات عديدة ظهرت ... وضعتها عقول مدمرة ، وصاغتها أقلام مخربة ، خرجت من أوكار الصهيونية لتسحق عقول الشباب وتقوض مقومات الأمم ... منها ما ينادى بالفوضوية أو العزلة والبطالة ، أو العرى والهمجية .

وكل ذلك تحت شعار ادعاء البحث عن السلام ، بينما هو فى حقيقته يستهدف تحقيق حلم عبرت عنه « بروتوكولات » صهيونية ، وهو تدمير القيم الدينية وتخريب الأوطان بالقضاء على الرجولة والنخوة فى الشباب حتى لا يبقى على وجه الأرض شعب متماسك إلا شعب الصهيونية ولا يبقى على ظهرها إلا دين الصهيونية ، ومن ثم يتحقق ما يزعمه اليهود من أنهم شعب الله المختار « كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا »[1] .

وهذا يوجب على الفكر الإسلامى : الشعبي والرسمى أن يبحث ويدرس من جديد ليقدم للمسلمين (كلمة التشريع الإسلامى) ، (وكلمة العلم الإسلامى) الذى يسد حاجات العصر ، يحل مشاكل الناس فيه ، ويرسم الصورة الصادقة عن المجتمع الإسلامى الصحيح ، والصورة

[١] البقرة ١٩٣ .
[٢] آل عمران ١١٠ .

[١] الكهف ٥ .

الحقيقة للمعبرة من الفرد المسلم الذى يعيش أيامه غير منعزل عن الحياة، متخلف عن سيرتها.. ومن ثم تتلوها حركة إيجابية للبعث الإسلامى من جديد.

وحتى تكون هذه الحركة مجدية لابد أن تكون كلها معتمدة على العلم والمعرفة فى أسلوبها لتناسب عقلية وعلم العصر الذى نعيشه، عقلية وعلم الصواريخ والوصول إلى القمر وامتلاك ناصية الفضاء، ذلك أن أمتنا الإسلامية قد تخلفت فى ميادين العلم لدرجة جنت على أمنها، وكرامتها وسيادتها واستقلال بلادها.

ولا ندرى مدى آثار العقل عند الآخرين على الإنتاج ومختلف جوانب الحياة الإنسانية مما يثير فى أنفسنا التساؤل عن مدى ما سيصير لدى الآخرين من قوى وطاقات علمية ومادية نتيجة لما وصلوا إليه من علم ومعرفة، وعما سيحدثه كل هذا فى تقدمهم الإنتاجى عموما، والاقتصادى خصوصا؟ وعما سيحدثه من انقلابات وتطورات فى أساليب الصناعة، والزراعة، والتجارة، والطب، والفنون، والآداب، والعلوم الاجتماعية؟ فهل سألنا أنفسنا عن المسافة الواسعة التى ستفصلنا عن غيرنا حينئذ؟

ثم ماذا يكون حالنا لو توصل السادة الآخرون إلى أن يملكوا من أسباب القوة والعلوم ما يحركون به الأشياء بأجهزة علمية؟

وهل إذا وصل السادة الآخرون إلى هذا الوضع فمن يا ترى سيكونون العبيد؟ لاشك أنهم سيكونون نحن، أبناء الشعوب الإسلامية، إن لم نبادر إلى تجميع كل طاقاتنا العلمية، وكل إمكانياتنا فى مجالات البحث والتقدم العلمى، حتى نواجه الخطر المقبل قبل فوات الأوان، وحتى نأخذ مكاننا على الطريق بين كافة الحياة الصاعدة.

فلتكن لنا بداية انطلاق نحو رسم المنهج العملى الذى نسير عليه وبعبارة أخرى أسلوب «الكلمة» و«الحركة» لنتخطى أسباب تخلفنا ونجتاز معوقات تقدمنا ونستأنف على درب الحضارة مسيرتنا، ونأخذ فى ركب المدنية الرشيدة، مكانتنا كى نقود البشرية من جديد إلى خيرها وازدهارها كما كنا بالأمس البعيد ننشر بين الناس العدالة والأمن، ونشيع فى قلوبهم الطمأنينة والسكينة ونحقق لهم السعادة التى ترفرف عليها راية الإسلام.

تحديد المسئولية :

لا شك أن النهوض بهذا العبء بلغة العصر الذى نعيش فيه - يقتضى منا تحديد الهدف وتوحيد الاستراتيجية من أجله ووضع التنظيم الذى يوصل إلى تحقيقه، غير أن للمسئولية فى هذا ليست قاصرة على الحكومات الإسلامية وحدها أو الشعوب الإسلامية وحدها، وإنما هى موزعة بينهما كل بحسب وظيفته وإمكانياته .

١ - مسئولية الحكومات الإسلامية :

فعلى الحكومات الإسلامية أن تعد العدة، وتجيش أبناء المسلمين لخدمة معركة المصير، وتضع الخطط التى تكفل سلامة الجبهة الداخلية والخارجية للأمة الإسلامية التى يحيط بها الأعداء من كل جانب، كما عليها أن تنسق فيما بينها خططها السياسية والعسكرية، والاقتصادية والإعلامية والثقافية، حتى تأمن شر الحاجة إلى غيرها والتخلف عن سواها، والعدوان الذى يبدو واضحا أنه يستهدف القضاء على دينها وتعويق وحدتها ليسهل عليه أن يلتهمها، واحدة بعد أخرى .

ومن البديهيات المعروفة لكل إنسان أن أمتنا الإسلامية غنية بمواردها، غنية بخاماتها . . غنية بأبنائها، وأن أعداءها يسلبونها ثروتها ويسيطرون على مقدراتها ويدمرون عقول بنيها بما يقدمونه لهم من أفكار معينة أو ثقافات تدعوهم للانحلال، وتمزق الصف، وتنشر روح اليأس كما أنه من المسلمات التى جدال فيها أنه طالما تجمع المسلمون وكانوا أولياء بعض، فإن النصر يكون حتما، إلى جانبهم ؛ مما يعنى أنه ليس للمسلم إلا المسلم . وهذا يضع على عاتق الحكومات الإسلامية واجبا هو أن تسهم فى كل ما يؤدى إلى التعاطف والوحدة دون تفريط أو إهمال سواء فى ذلك ما كان على المستوى الرسمى أو الصعيد الشعبى

٢ - مسئولية الشعوب الإسلامية :

تلك هى بعض واجبات الحكومات الإسلامية فى معركة المصير والإعداد لها ابتغاء كسبها . أما الشعوب الإسلامية فإنها لا تقل فى هذا المجال مسئولية، فإن النبى ﷺ قد وضع الجميع أمام مسئولية عامة خطيرة حينما قال « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » مما يضع الشعوب الإسلامية أفراداً أو جماعات أمام واجبات كبيرة وخطيرة بإزاء نهضة الأمة الإسلامية من كبوتها.

٣ — أمثلة الحركة إيجابية تتعاون فيها الحكومات والشعوب :

وإذ قد أشرنا إلى نوع « الكلمة » التى نحتاجها ، فإننا نقدم هنا أمثلة من الحركة التى نريدها :

(١) فى مجال الشباب :

فلنعمل على إيجاد تنظيم عالمى ، يضم شباب المسلمين فى كل مكان ممثلا فى الهيئات والجمعيات الإسلامية، وليأخذ هذا التنظيم اسم : «الاتحاد العالمى للشباب المسلم» :

وليكن طريقنا إلى إيجاد هذا التنظيم أمرين :

الأول : أن نضع له دستوراً يكفل حمايته من الضياع والتيارات الفوضوية واللا إنسانية التى يبتدعها بين حين وآخر أعداء الله وأعداء الدين . ولن يتوافر هذا الدستور إلا إذا استمد أسسه وأهدافه من كتاب ديننا الذى فيه خبر ما قبلنا ، وحكم ما بيننا ، ونبأ ما بعدنا « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » ، « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون »[1] .

[١] الأنعام ١٥٣

الثانى : هو إنشاء المراكز الثقافية لنشر الفكر الإسلامى ونشر الخلق الإسلامى فى كل بلد ـ مع إقامة منظمة عالمية للنشر والإعلام ، على ما سيأتى بيانه ـ لتوجيه فكر الشباب المسلم إلى مثل دينه والاعتصام بها ، ومن ثم يكون هديا لشباب البشرية كلها .

ولتجتمع فروع هذا التنظيم ، دوريا ، فى صورة مؤتمر عالمى إسلامى لرواد الشباب ، وقادة الجماعات والهيئات الإسلامية وأساتذة الشباب من علماء ومفكرين للأغراض الآتية :

١ — أن يتعارفوا فيما بينهم تعارف الأخوة ، فى ظل من روح الإسلام ومثله وما تهدف إليه .

٢ — تبادل الرأى حول مشاكل الشباب المسلم ، آمالا ، وآلاما ، وشواغل ، وتطلعات ومن ثم نأمل فى تكوين عقيدة ومبدأ وهدف أقرب ما يكون إلى الوحدة فى أفكار الشباب المسلم ، الذى هو أمل المسلمين فى « حركة » اليوم ، ومجد الغد .

٣ — دراسة مشاكل الأمة الاقتصادية والاجتماعية، والسياسية ، والعسكرية بعيدة عن الخلافات المذهبية ، أو الاختلافات

السياسية . عن طريق لجان متخصصة مشتركة تدرس مشاكل التخلف ، وأسبابه وتوصى بما يحقق التغلب عليه .

٤ — وضع دليل للخبراء المسلمين — على اختلاف تخصصاتهم — فى جميع بلاد العالم ، ليكون تحت نظر جميع الدول الإسلامية عند القيام بمشروعاتها الإنمائية فتستغنى عن الحاجة إلى الأجانب فى هذا المضمار ونحفظ أسرار بلادنا ، ونضمن تداولها بين أيد مخلصة مع الاطمئنان إلى خبرات علماء إخوة ، يهمهم تحقيق هدف واحد مشترك بين جميع المسلمين ، هو مجد وعزة الأمة الإسلامية .

(ب) فى مجال الثقافة والفكر والإسلام:

وهذه ناحية لها أهميتها وخطورتها البالغة ، لملء الفراغ الذى أحدثه أعداء الإسلام فى أفئدة شباب الإسلام وأدمغتهم من ناحية كل ما هو إسلامى ، حتى وصلوا إلى مرحلة من الضياع الفكرى والروحى وأصبحوا نهباً لكل فكر غريب أو مبدأ هدام . ومن ثم كانت حاجتنا ضرورية لإقامة منظمات فكرية ، وثقافية ، وإعلامية عالمية إسلامية ، تشع بتوجيهها السليم على أرجاء أمتنا فتغذى عقول ناشئتنا وقلوبهم بما يأخذ بأيديهم نحو طريق الرشاد .

وبالتالى نقدم للإنسانية خير دواء لما تعانيه من أمراض الحضارة الغربية وأدوائها .

ولكى ينفتح المجال ، فسيحا ، أمام علماء المسلمين ومفكريهم لأداء هذا الدور المطلوب منهم لابد من إنشاء دار عالمية إسلامية للفكر ، والثقافة ، والإعلام ، تقوم على أساس مدروس ، لتحقيق هدف واضح ، فى ظل خطة سليمة .

ولكن طريقنا إلى هذا دعوة الشعوب الإسلامية إلى المساهمة والمشاركة فى إقامة هذه الدار لتقدم للمسلمين ، فى مرحلتها الأولى ، صحافة عالمية إسلامية ، وكتابا عالمياً إسلامياً بجميع لغات المسلمين ، وتكون جامعة شعبية إسلامية عالمية تلتقى فيها أفكار القدامى مع أفكار المحدثين من علماء المسلمين وخبرائهم ، فينتج عن هذا اللقاء فكر ناضج سليم ، يستجيب لمتطلبات العصر الذى نعيشه ، ويتمشى مع عقليته ، وبهذا يتحقق لنا الجناح الأول من جناحى العمل الكامل هو « الكلمة » الصادقة الحرة ، المؤمنة ،

الواعية التى تدفع إلى « الحركة » الحية البصيرة الناجحة بإذن الله .

حتى إذا ما نمت هذه الدار واشتد عودها، أمكنها أن تتوسع فى أداء مهمتها بصورها الأخرى بما فى ذلك الإذاعة المسموعة والمرئية ، وحينئذ يتأتى لعلمائنا ومفكرينا وخبرائنا ، أن يجدوا مجالهم على الصعيد العالمى ، ولمعلوماتهم ومهاراتهم أن تتخطى الحدود ، مندفعة إلى المشاركة فى كل ميادين النشاط الإنسانى للمسلمين ، بل ولغير المسلمين . وبذلك تكون قد فتحنا أبواباً كثيرة من العلم والخبرة لأبنائنا بعد أن أوينا حصيلتهما فى كل مجال من مجالاتهما ، وفجرنا ينابيعها لينهل منها كل إنسان ، كما نكون ، فى الوقت نفسه ، قد حملنا « كلمة » القرآن لكل الشعوب ، لتستلهمه حل مشاكلها ، وتستضىء به فى كل مسائلها ، وتستعيض به عما تعانيه من جدب روحى ، دفع بها إلى متاهات الضياع ، وأتاح للصهيونية أن تلعب بأفكار بنيها وتذهب بعقولهم وميولهم كل مذهب تراه .

ج) فى مجال التنمية الاقتصادية :

وهناك جانب آخر من جوانب (الحركة) يتمثل فى ميدان المال وهو - كما يقولون - عصب الحياة، ومن ثم فهو من أخطر أسلحة النصر وأهمها ، ونحن نعيش اليوم بين أرجاء عالم تتكتل فيه دوله وشعوبه لتحمى نفسها من الفقر والجوع ، الذى يهدد معظم الجماعات البشرية ، فأخذت تبحث فى اقتصادياتها ، ومواردها ، وإمكاناتها لتستغلها ، كلها بأقصى طاقة من أجل حياة أفضل ، ثم شرعت تنسق فيما بينها ، الخطط والمشروعات حماية لاقتصادياتها من جهة ورفعا لمستوى معيشة شعوبها من جهة أخرى .. بالعلم ، والدراسة ، والعمل الجاد المنظم المثمر ، فسمعنا عن السوق الأوربية ، كما سمعنا عن غيرها من الأحلاف والمعاهدات المتعددة .... فأين الأمة الإسلامية من كل هذا النشاط ، ولها من تراثها الاقتصادى ، نظريا وتطبيقيا ، ومن إمكانياتها المادية والمعنوية ، ومواردها الطبيعية ، ما يكفل لها من الحياة أفضلها وأطهرها وأنجحها ؟ .

إن هذا يحتم على أبناء هذه الأمة ، فى كل مكان ، أن يتنادوا للعمل على أن يكونوا ضمن ركب التقدم الاقتصادى ، والحضارة ، قبل فوات الأوان.. وليكن

طريقهم إلى هذا اجتماع عالمى إسلامى يدعى إليه جميع اقتصاديى المسلمين ليتدارسوا أوضاعنا الاقتصادية ويرسموا الطريق لمساهمة جميع الشعوب الإسلامية وحكوماتها فى إقامة صروح اقتصادية إسلامية تسند اقتصاديات البلاد الإسلامية وتعين دولها النامية على تحقيق برامج التقدم والرفاهية لأبنائها بنجاح ، باعتبار ذلك خطوة أساسية على طريق الحرية والقوة ، والمنعة ، والعزة .

ويمكننا فى هذا الصدد ، أن نبدأ بإنشاء منظمة اقتصادية عالمية إسلامية فى تكوينها فكرا وتطبيقا . . يساهم فى الإعداد لإنشائها كل علماء المسلمين وخبرائهم بأفكارهم وآرائهم ، ومهاراتهم كما يساهم فيها ماديا كل فرد مسلم أو حكومة إسلامية . . كل بما يستطيع تقديمه من مال ويكون الغرض الأول من إنشائها خدمة أهداف التنمية ومشروعاتها فى الدول الإسلامية ، حتى نضمن لهذه المشروعات مالا نظيفا ، وخبرة صادقة ، ورغبة مؤمنة فى تقديم الخير - كل الخير - لأبناء أمتنا الإسلامية ، كما نضمن لها سلامة أسرارها وأمنها ، بالإضافة إلى تحقيق وفر مادى كبير فيما تدفعه هذه الدول لو أنها اعتمدت فى تمويل مشروعاتها الإنمائية على الاقتراض من البنوك العالمية الحالية ، باعتبار أن المنظمة المقترحة ستقدم قروضها فى ظل من شريعة الإسلام وتعاليمه ، ومن ثم فهى منزهة عن إثم الربا ، ورجس الفائدة .

ولتأخذ هذه المنظمة اسم : « البنك العالمى الإسلامى للتنمية » ، حيث يختار مقره المركزى فى بلد يتفق عليه المساهمون يساعد إنشاؤه فيه على تحقيق الغرض منه وحينئذ يمكنه - بفضل أخلاق العاملين فيه نتيجة لإيمانهم بالقضية الكبرى والهدف العظيم - أن يحقق أرباحا وفيرة يستفاد بها فى تحقيق أهداف كثيرة وكبيرة ، وهى فى منتهى الضرورة للأمة الإسلامية على أن وفرة هذه الأرباح لن ترجع إلى التعامل بالربا كما هو شأن البنوك الحالية ، وإنما عن طريق وفرة النشاط ، وتعدد ميادين العمل ؛ ومن ثم يقدم خيرا كثيرا للمساهمين وللمودعين ، وبالتالى يجتذب أموال الأغنياء من أبناء الأمة الإسلامية الذين سيشجعهم على إيداعها فيه ما سيحصلون عليه من ربح مجز ، ونظيف ، فضلا عما فى ذلك من خدمة أدوها لدينهم ، وإخوانهم

فى الإسلام ، وتيسير التمويل للمشروعات الإنمائية اللازمة لنهضتهم ، ذلك أن هذا البنك بعد قيامه سيتولى :

(١) إنشاء فروع له فى كل بلد إسلامى تكون فى خدمة أعمال التنمية والتجارة .

(٢) إنشاء شركات عالمية تحقق أهدافه وتيسر أعماله ، وتعود فى الوقت نفسه بالخير على كل بلاد المسلمين ، ومن ذلك :

(ا) تأسيس شركات للملاحة ، والنقل البرى والبحرى والجوى ، تضمن سلامة بضائعنا المصدرة إلى الخارج من التلف والتدمير بدلا من أن تظل - كما هى الآن - تحت رحمة أعدائنا . . ينقلونها بوسائلهم متعمدين إتلافها ، أو على الأقل تعريضها للتلف حتى تقفل أبواب الأسواق العالمية فى وجهها ، فكثيراً ما حدث أن أساءت شركات النقل والملاحة العالمية إلى صادراتنا عن طريق إيصالها لمشتريها تالفة أو متأخرة عن مواعيدها ، مما تسبب فى كثير من الأحوال فى عدم تكرار طلبها من بلادنا مرة أخرى . . . وكل ذلك إفساحا للتجارة غير الإسلامية أن تظل لها السيطرة ويدوم لها الرواج .

(ب) تأسيس شركات للتجارة العالمية تدرس بواسطة مندوبيها ووكلائها الأسواق العالمية فى كل مكان من الدنيا ومدى احتياجاتها من كل أنواع إنتاجنا والظروف الملائمة لتصديرها ، وأسباب رواجها وتمد بذلك كله شركات الإنتاج الإسلامية متعاونة معها فى مواجهة المنافسة العالمية الشديدة .

(جـ) تأسيس مراكز أبحاث عالمية ، خاصة بالاقتصاد الإسلامى ، يكون لها من الإمكانيات ما قد لا يتوافر أو يتيسر لدولة إسلامية بمفردها .

(د) تخصيص نسبة مئوية محددة من صافى ربحه السنوى لخدمة الميدان الإنسانى والثقافى والاجتماعى لنشاط الاتحاد العالمى للشباب المسلم حتى يستطيع أن يبنى المراكز الثقافية والإسلامية والمدارس التعليمية لأبناء المسلمين والمساجد التى يحتاجها المسلمون فى كل البلاد التى تعيش على أرضها أقليات إسلامية هى فى أشد الحاجة للرعاية والعناية ... فلنا اليوم إخوة مسلمون فى أفريقيا وآسيا وأمريكا الشمالية والجنوبية وأوربا ، كلهم يطالبون بمدارس لتعليم اللغة العربية وتعليم الدين الإسلامى ويطالبون بمساجد يقيمون فيها شعائر

الإسلام . ولا شك أن الاعتماد على جمع التبرعات بين حين وآخر أمر غير جاد وغير عملى بينما لو خصصنا نسبة محددة من عائد مشروعاتها الاقتصادية لخدمة هذا الغرض الإسلامى النبيل . فإننا نضمن موردا مستمرا من المال يخدم المسلمين فى كل مكان وهو بالتالى عن طريق نشر هدى القرآن وثقافة الإسلام سيكون قد أدى خدمة كبيرة للأمة الإنسانية بما ينشره على الناس من معارف وعلوم فيها حل مشاكل الناس الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، فكتابنا كتاب كل زمان ومكان ، وفيه الحكمة وبين سطوره تضىء الحقيقة التى يبحث عنها الجميع .

هذا ، وإنى لمؤمن كل الإيمان أنه يوم أن ننشر على الناس أضواء القرآن ويوم أن نفسر للناس من جديد آيات الرحمن فإننا سنكون على بداية نصر من الله وفتح قريب سيعقبه حتما ، دخول الناس أفواجا فى دين الله عن عقل وإيمان ، فديننا دين العقل والعلم . دين المنطق والبرهان ، وفيه كل ما يبحث عنه الإنسان .

أيها السادة ـ أيها الإخوة :

هذه أمثلة لخطوات على الطريق أرجو الله سبحانه وتعالى أن أكون قد وفقت فى لمس بعض جوانبها ، كمؤتمر نتعاون ، فى اتجاهه على كل ما يحقق النهضة والحرية والعزة ، لأمتنا الإسلامية ، حتى نكون قد قمنا بعمل صالح ، تعاونت فيه (الكلمة) و(الحركة) معا على تحقيق الهدف المشترك.

ألا وإن الفكر الإسلامى فيه متسع لتحقيق السعادة لا لأبناء المسلمين فحسب ولكن للبشرية كلها ، ففى تعاليم الإسلام ما يضىء ظلام الحياة ، ويهدى الحائرين فيها ، ويحل عقد مشاكلها ويحقق الأمن والرفاهية للأجيال القادمة كلها ، لأن قرآن الإسلام إنما نزل للناس كافة ، هدى ورحمة « كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد »[1] « يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً ، فأما الذين آمنوا بالله ، واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطا مستقيما »[2] .

وإنى لأسأل الله جلت قدرته أن يقيض لأمتنا الإسلامية رجالا يؤمنون بالله وباليوم الآخر . يتقون فى الله ولا يخافون

---

[١] ١ إبراهيم .

[٢] ١٧٤ ، ١٧٥ النساء .

لومة لائم . يتقدمون ليقفوا معا على الطريق ويبدأوا باسم الله الرحمن الرحيم ، ويتجمعوا ليخوضوا معا معركة المجد . معركة (الكلمة) و (الحركة) وحينئذ سيتم العمل الكامل ، وسيكون النصر بإذن الله وستكون قد اقتربت الساعة . . ساعة الخلاص من أعدائنا وساعة النصر لرايات أمتنا لتعلو مرة ثانية فوق أراضى المسلمين فى عزة وإباء .

ويومئذ سنلتقى معا لنؤدى صلاة العيد ـ عيد النصر ـ عيد العزة ـ عيد الكرامة ، بل عيد الرجولة فى ساحة المسجد الأقصى .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

والله أكبر ، الله أكبر

والعزة لله ، ولرسوله ، وللمؤمنين ؟

ابراهيم الطحاوى

عندما تكون الأغانى بديلا عن القرآن

يقول المؤرخون : إن أمراء الأسبان كانوا يتربصون بالدولة الإسلامية فى الأندلس ويرصدون تحركاتها للقضاء عليها . ومن أجل هذا الهدف كان هؤلاء الأمراء يبثون عيونهم فى أوساط المسلمين ، ليروا : هل الفرصة متاحة أم لا ؟

وفى بعض الفترات كانت تقارير هؤلاء العيون تقول :

إن من يمر فى المدن الأندلسية قبيل الفجر يسمع فى كل بيت قراء القرآن ، وأصوات الناس تدوى به كدوى النحل ، وسيجد المساجد عامرة بالمصلين ، وسيرى كل المسلمين وكأنهم جند الله حقيقة يعيشون به وله من أجل أن تكون كلمته هى العليا .

ومضت فترة وجاءت فترة تمكنت فيها عوامل الترف ، وصنع الفساد الخلقى بالمسلمين ما صنع ، وقالت تقارير عيون أمراء الأسبان عن المسلمين : إنهم يسهرون حتى الفجر يعزفون على المعازف ويسمعون الأغانى ويطربون ويرقصون .

لقد تركوا قراءة القرآن وتخلوا عن صلاة الجماعة ، وتحولت أمتهم إلى أمم متعددة .

وكانت هذه هى الفرصة المتاحة ، وضاعت دولة المسلمين فى الأندلس وكان سقوطها منطقيا فى حكم التاريخ . (الأخبار ٢٤/٤/١٩٧٠)

ابن الهيثم ..

عالم سبق هذا القرن بعشرة قرون

للأستاذ حسن عبد ربه حسن

احتفلت دولة الباكستان الإسلامية فى شهر نوفمبر ١٩٦٩ بمرور ألف عام على مولد العالم العربى الكبير ابن الهيثم. ذلك العالم الذى وصفه مؤرخو الغرب بأنه رجل عاش فى القرن العاشر بعقلية رجال القرن العشرين ويلقبونه «أبو علم البصريات» ويقول عنه الدكتور محمد رضا مدور. « إذا أردنا أن نقارن ابن الهيثم بعلماء عصرنا الحاضر فلن أكون مغالياً إذا اعتبرت الحسن بن الهيثم فى مرتبة العلامة إينشتين فى عصرنا هذا ».

من هو ؟ هو الحسن أبو على بن الحسن ابن الهيثم يميل أغلب من تعرضوا لحياته بالدراسة إلى القول بأنه ولد بالبصرة عام ٣٥٤ هجرية (٩٦٥ ميلادية) . ويعتبر هذا القرن الذى ولد فيه ابن الهيثم مرحلة الانتقال بالحضارة العربية إلى عصر الازدهار بعد أن أتم العرب نقل الكثير من كتب الإغريق فى الفلسفة والطبيعة والهندسة وكتب الهند وفارس فى العدد والفلك ، إلى اللغة العربية .

ومنذ الصغر أحب ابن الهيثم العلم وانكب على الدراسة ولم يترك كتاباً وقع تحت يده دون قراءة ، ولكنه لم يكن يكتفى بالقراءة بل كان يلخص ما يقرأ ويعلق عليه ويضع ملاحظاته وآراءه . بلغت تصانيفه فى الفلسفة والطبيعة أكثر من أربعين كتاباً ،وفى الرياضيات ، والعلوم حوالى خمسة وعشرين كتاباً وكتاباً ، واحداً فى الطب .

والغريب أن هذا المجهود الشاق فى التحصيل كان يتحمله جسم ضئيل ، صاحبه قصير القامة إلا أنه كان يتقد بالذكاء وكثرة العمل ويتصف بالزهد وسمو النفس .

واشتهر ابن الهيثم بغزارة إنتاجه العلمى وأطبقت شهرته آفاق العالم الإسلامى فى ذلك الوقت ، اشتهر كعالم فى الرياضة وكمهندس له آراء مبتكرة فى فنون الهندسة .

وكان من نتيجة حركة الازدهار التى بدأ مجتمع البصرة يدخل فيها بعد أن مر بمرحلة التحول أن حدثت اصطدامات أدت إلى تصدع جدران المجتمع حيث كان المجال مفتوحاً لمثل هذا الصراع بين الجديد والقديم بالإضافة إلى مجموعة من التقاليد والأنماط الجديدة الوافدة مع العناصر التركية والإيرانية الوافدة على المجتمع .

وكان أن ترك عدد من علماء البصرة موطن آبائهم إلى أنحاء متفرقة من الأرض الإسلامية الرحبة هرباً من هذا الصراع الذى ربما أحسوا أنه سوف يقضى على ملكاتهم الفكرية ، وكان منهم الفارابى وابن الهيثم حيث توجها إلى الشام . وعاش عالمنا العظيم عند أمير من أمراء الشام حيث أجرى عليه هذا الأمير أموالا كثيرة .

ولكن من الواضح أنه لم يجد فى مجتمع الشام ما يغريه بالبقاء فما أن تلقى دعوة الحاكم بأمر الله حاكم مصر فى هذا الوقت للحضور إلى القاهرة حتى لبى الدعوة .

ولهذه الدعوة قصة .. من الأمور المتفق عليها أن العصر الفاطمى يعد من أزهى العصور فى مصر الإسلامية من الوجهة العلمية فلقد بلغت فيه الحياة العلمية درجة عظيمة من النمو وذلك لكثرة العلماء الوافدين إلى القاهرة من جميع أنحاء العالم الإسلامى .

وكان الحاكم بأمر الله يميل إلى العلم وإلى تشجيع العلماء ودعوتهم للحضور إلى قصر دولته ، وكانوا إذا حضروا أغدق عليهم من كل نعمة .

وقد بلغه عن ابن الهيثم وهو بالشام أنه قال « لو كنت بمصر لعملت فى نيلها عملا يحصل به النفع فى كل حالة من حالاته من زيادة ونقص ، فقد بلغنى أنه ينحدر من موضع عال وهو فى طرف الإقليم المصرى » فأرسل اليه الأموال والهدايا ودعاه للحضور إلى مصر . ويقال أنه خرج لاستقباله خارج أسوار القاهرة مما يدل على الدرجة التى كان يحظى بها هذا العالم الجليل فى أرجاء العالم الإسلامى .

وبعد فترة طالبه الحاكم بما قاله عن النيل . فما كان من ابن الهيثم إلا أن سار مع النيل جنوباً مع جماعة كبيرة من الصناع المحترفين لأعمال البناء حتى وصل إلى أسوان ومنها إلى بداية الشلالات (الجنادل) ولما عاين المكان رأى أن أفكاره النظرية لا يمكن أن تطبق . وعاد إلى القاهرة واعترف بفشله فى تحقيق أفكاره .

وإذا كان الحاكم بأمر الله قد أثر فى نفسه هذا الفشل ولكنه لم يظهره وإذا كان بعض المؤرخين يرون فى هذا الموقف نقطة ضعف فى حياة هذا العالم الجليل إلا أننا نرى أنه موقف يتكرر فى كل ركن من أركان المعمورة ، فهناك كثير من العلماء تشغلهم بعض الأفكار المتطورة ولكنهم عندما يدرسون المشروع على الطبيعة يجدون بعض المعوقات أو العقبات التى تحول دون التنفيذ .

يضاف إلى ذلك أنه كان يملك قدراً عظيما من الشجاعة جعله يعتذر لرأس الدولة وهو أمر قل أن يحدث فى أيامنا هذه وكان يمكن أن يركب الغرور ويكذب على الحاكم الذى دعاه وأرسل اليه الأموال والهدايا وينفذ المشروع ولن يجد من يعترض عليه ثم يغادر البلاد حتى يحقق الغرض ولا يهمه بعد ذلك إلى أى مدى سوف يصل الطوفان .. ولكنه لم يفعل .

وتظاهر الحاكم بقبول الاعتذار وولاه منصبا من مناصب الدولة فقبله ابن الهيثم وهو غير راغب فيه خوفا من بطش الحاكم لأن حياة الدواوين لا تتفق وحياة البحث العلمى التى عشقها . ولكنه لم يصمد فى هذا الصراع طويلا ولم يكن أمامه من مخرج إلا أن يتظاهر بالجنون . وكان له ما أراد ، ولما علم الحاكم بأمره عزله من منصبه وصادر أمواله وأمر بحبسه فى منزله . وقد ظل ابن الهيثم على ما تظاهر به حتى توفى الحاكم فعاد إلى الحياة الطبيعية ومارس البحث والقراءة والتأليف .

وتعتبر هذه الفترة من أصعب فترات حياته حيث أنه كان يعمل بنسخ الكتب ليجد قوت يومه وكان الناس والعلماء يتنافسون على اقتناء الكتب التى ينسخها .

وفى هذه الفترة أنجز ابن الهيثم كتابه « المناظر » وهو الكتاب التى ضم نظرياته فى علم البصريات التى تعتبر أساس التقدم العلمى فى القرن العشرين .

وظلت الأمور كما هى عليه مع ابن الهيثم فعاش فى الفقر إلى أن مات عام ٤٣٠ هجرية (١٠٣٩ ميلادية) عن أربعة وسبعين عاما ولم يترك وراءه مالا بل حتى لم يشيد له ضريح ولذا لم يعرف أحد قبره حتى اليوم إلا أن أبحاثه العلمية وكتبه التى درسها طلبة الجامعات الأوربية فى عصر النهضة خير ما نعتز به وخير ما يخلد هذا العالم العربى الإسلامى العظيم .

محمد عبد ربه محمد

من أضابير لجنة الفتوى

تقديم الأستاذ محمد أبو شادى

النبيذ حينما يتعين دواء

السؤال من السيد / أحمد حسين مغنم

مريض وصف له الطبيب دواء يشتمل على نبيذ (مسكر) فما حكم تناوله ؟

الجواب :

إذا كان الطبيب يصف له دواء بديلا عن المسئول عنه ويكون خاليا من النبيذ فلا يجوز استعمال هذا الدواء المشتمل على النبيذ . وإذا تعين هذا الدواء بشرط أن يكون المخبر بذلك طبيبا مسلما عادلا فلا مانع منه والله تعالى أعلم ؟

حكم تناول المحرم من المأكولات

السؤال من السيد / محمود حافظ

لى ابن يتلقى العلم فى أمريكا ويشكو من أنه علم أن الخبز يضاف إليه (دهن خنزير) وأن هذه الإضافة شائعة فى مأكولات أخرى — حتى أصبح يشك فى مأكولات مكتوب عليها دهن ولو لم يذكر أنه دهن خنزير .

وقد بحث عن خبز بديل له بزيوت أخرى فلم يجد — فما حكم الشرع بالنسبة لهذا الموضوع ؟

الجواب :

إذا علم أو غلب على ظنه أن الطعام الذى يقدم إليه مضاف له دهن خنزير حرم عليه أن يتناول شيئا منه وما لم يعلم أو غلب على ظنه ذلك جاز له أن يأكل مما يقدم إليه ؛ لأن الأصل الحل قال تعالى «وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم » .

فإذا لم يجد غير ما حرم عليه واضطر إلى الأكل منه بحيث إذا لم يأكل لحقه المرض ، أو الضعف ولا يمكنه القيام بواجبه ولم يكن واجدا لشىء سواه مما يقوم مقامه فى التغذية مما أحله الله كان له أن يأكل منه بقدر مايدفع عنه الحاجة ولا نظن أن الحاجة له فى مثل أمريكا تصل إلى هذا الحد من الضيق بحيث يضطر المسلم إلى تناول ما حرم الله ، فهناك من

المأكولات ما هو حلال يقينا ويستغنى به عن المحرم والله تعالى أعلم ؟

زواج المسلمين ومعاملتهم فى الفليبين

السؤال من السيد / عابدين تاما (من طلبة الفليبين بالقاهرة)

١ – فى الفليبين يتم عقد الزواج بين المسلمين بالطريقة الإسلامية من إيجاب وقبول وولى وشهادة شاهدين، ثم يذهب العريسان إلى القاضى وهو مسيحى لعقد الزواج لديه وللحصول على الوثيقة الرسمية وتتضمن هذه الوثيقة المنع من تعدد الأزواج والمنع من الطلاق – فما حكم الشرع الإسلامى فى كيفية عقد الزواج المذكور ؟

وما مدى صحة عقد الزواج لدى القاضى المسيحى ثم القيام بإجراء العقد بالطريقة الإسلامية ؟

٢ – ما رأى الإسلام فى المسلمين الذين يعيشون تحت ظل حكومة غير إسلامية ؟ علما بأن هذه الحكومة تمنع من تعدد الزوجات وتمنع أيضا الطلاق ؟ وهل يصح لهم أن يتناكحوا بعمك الحكومة الغير إسلامية أم لا يصح لهم ذلك ؟ مع الإحاطة بأنهم مجبرون على تطبيق هذا الحكم ؟

٣ – مسلمون يعيشون فى ظل حكومة غير إسلامية يعقدون نكاحهم لدى المأذون الشرعى للحكومة، وليس هذا المأذون يجرى العقد على الطريقة الإسلامية وإنما يجريه بالطريقة المدنية التى يحرم تعدد الزوجات ويبيح الطلاق . فهل يعتبر هذا العقد صحيحا بالنسبة للمسلمين ؟ وإذا كان غير صحيح فماذا يعمل المسلمون فى هذا البلد بالنسبة لعقود نكاحهم ؟

الجـــواب :

عن الأول بأن المعتبر هو العقد الشرعى الحاصل من إيجاب وقبول وحضور شاهدين مع تسمية المهر سواء تقدم هذا العقد على التسجيل أمام القاضى المدنى أم تأخر عنه، وأن التسجيل عند القاضى المدنى لا يغير شيئا مما أباحه الله من تعدد الزوجات والطلاق، وإن كان الأفضل فى الشريعة الإسلامية أن لا يحصل تعدد الزوجات وأن لا يحدث الطلاق إلا بسبب ملجىء إلى ذلك وأنه فى حالة تقدم التسجيل المدنى على العقد الشرعى لا يجوز معاشرة الزوج

بناء على هذا التسجيل حتى يعقد العقد الشرعي .

ونفيد عن الثاني والثالث : بأن إقامة المسلم في دولة يحكمها حكام غير مسلمين لا مانع منها ما دام المسلم متمكنا من أداء ما فرض الله عليه ، ومن معاملة أهله وذوى قرابته وعموم المسلمين ، للمعاملة التي يبيحها الشرع ، وأن هذه الإقامة لا تمنع المسلم مما أباحه الله له من الطلاق لزوجته أو التزوج عليها على ما أسلفنا ، فإن قضى قانون الدولة غير المسلمة بعقاب المسلم إذا طلق أو عدد الزوجات ، فإن كانت العقوبة مما يحتمل فعليه أن يصبر عليها ، وإن كانت فوق احتماله أو كان فيها إلزام بما يخالف الشريعة كأن يعاشر مطلقته طلاقا بائنا ، فعليه أن يهاجر إذا وجد نفسه مضطرا إلى ذلك والله تعالى أعلم .

الصلاة والسلام على رسول ﷺ عقب الأذان :

من إدارة الشئون العامة بالأزهر :

نأمل التفضل بإبداء الرأى فى نظرة الشريعة الإسلامية إلى كلمات الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد سكتة قصيرة بعد كلمات الأذان بنحو : « وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم » بصوت منخفض مغاير لأداء الأذان ، وبصوت المؤذن نفسه ، وذلك بالنسبة للمذاهب كلها ، وتاريخ هذه الزيادة .

الجواب :

أنه يسن لكل مؤذن ومقيم وسامع ومستمع أن يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ من الأذان لخبر مسلم (إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا على فإن من صلى على مرة صلى الله عليه بها عشرا) ، وتحصل السنة بأى لفظ يأتى مما يفيد الصلاة على النبى ﷺ ، ومن ذلك ما يقع للمؤذنين من قولهم بعد الأذان ، الصلاة والسلام عليك يارسول الله . أما رفع الصوت بالأذان فإنه ورد فيه حديث البخارى عن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبى صعصعة ، أن أبا سعيد الخدرى قال له : إنى أراك تحب الغنم والبادية ، فإذا كنت فى غنمك أو باديتك ، فأذنت الصلاة فارفع صوتك بالنداء فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة ، سمعته من رسول الله ﷺ ، أما رفعه بالصلاة والسلام على النبى ﷺ بعده ، فقد ورد فى شرح العباب (فقه شافعى) أفتى شيخنا زكريا وغيره ،

بأن ما يفعله المؤذنون الآن من الإعلان بالصلاة والسلام مرارا حسن ، لأن ذلك مشروع عقب الأذان في الجملة فالأصل سنة ، والكيفية حادثة . وأول ما زيدت الصلاة والسلام على النبي ﷺ بعد كل أذان على المنارة في زمن السلطان المنصور بن الأشرف في شعبان سنة إحدى وتسعين وسبعمائة (من شرح الأذكار للنووي لابن علان الجزء الثاني عند الكلام على الأذان) .

واللجنة لا ترى في التشدد لمنع هذا وجها ، إذ الأمر لا يخرج عن كونه صلاة على الرسول ﷺ وزيادة في التنويه عليها .

شرعية الدفن في اللحد :

السؤال من السيد / الأستاذ مدير إدارة صحة البيئة بوزارة الصحة :

ما هو نظام اللحد في الدفن وما مدى شرعيته ؟

الجـــواب .

إن اللحد في الأرض الصلبة أفضل من الشق ، أما في الأرض الرخوة التي تنهار فالشق أفضل ، وطريقة اللحد أن يحفر إلى عمق بحيث يمنع رائحة الميت واعتداء أي حيوان متوحش عليه ثم يحفر اللحد في الجانب الذي هو إلى جهة القبلة ويوضع فيه الميت متجها إلى القبلة على جنبه الأيمن ويسند ظهره باللبنات ثم يهال التراب في الحفرة حتى تمتلىء ، أما الشق في الأرض الرخوة فبعد الحفر إلى ما يمنع رائحة الميت واعتداء الحيوان المتوحش عليه كما تقدم ، يعمل الشق في وسط الحفرة ويوضع فيه الميت على جنبه الأيمن متجها إلى القبلة كذلك ، وتوضع لبنات على جانبي الشق بصورة تمنع أن يقع التراب على الميت ثم يهال التراب في الحفرة حتى تمتلىء على نحو ما سبق .

وهذا هو الدفن الشرعي ، أما الدفن في الفساقي المعروفة الآن التي هي أشبه بحجرة يدفن فيها أكثر من واحد فإنما جوز للضرورة بسبب كثرة الموتى وضيق الأرض . والله تعالى أعلم .

هل ثواب قراءة القرآن يصل إلى الميت ؟

السؤال من السيد / الأستاذ عطية سليم نجم :

١ — أنا زوجة توفى زوجي ووالدي ووالدتي — أقرأ كثيراً من القرآن وأهبه إلى أرواحهم فهل يصلهم ثوابه أم لا ؟؟ وما هي الأعمال الصالحة التي يمكن أن أفعلها لهم ؟؟

٢ – سمعت أن العتاقة « قراءة لا إله إلا الله محمد رسول الله وقل هو الله أحد الخ مائة ألف مرة تعتق للمتوفى من النار فهل هذا صحيح ؟ .

الجــــواب :

عن الأول : بأن الأعمال الصالحة التى يصح أن يقوم بها الولد عن أمه أو أبيه بعد الوفاة هى : الصدقــة والدعاء ويصح أن يقوم بالحج عنهما وأن يصوم كذلك فإن صلى عنهما نفــلا يرجى أن تنفعهما صــلاته .

وعن الثانى : بأن عمل العتاقة ، إنما تعمل على رجاء أن يتقبل الله منا فيعفو عن الميت جميع ذنوبه أو يغفر له بعض ما اقترف من ذنب وما وقع فيه من تفريط وليس معنى هــذا أن يتكل الإنسان على ما قد يفعله أو يفعل عنه بعــد موته من أعمال الــبر كالعتاقة مثلا فيترك ما كلف به من أوامر الله ونواهيه وإلا لضاعت التكاليف وأصبحت غير ذات موضوع يكلف بها الشخص من الله ثم يتركها اعتمادا على مثل ما قد يفعل عنه من العتاقة وإسقاط الصلاة وغير ذلك، فلا يأتمر ولا ينتهى وهذه هى الفوضى فى الدين وهو أمر لا يقره عقل ولا يأتى به شرع . والله تعالى أعلم ؟

محمد أبو شادى

بمناسبة ذكرى للمولد العطر ، ستصدر الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية ، كتاب (الرسول ﷺ : لمحات من حياته ، ونفحات من هديه) وذلك بناء على كثرة الطلبات التى انهالت على الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية لطلب هذا الكتاب .

هذا الكتاب هو أول كتاب صدر فى سلسلة المجمع الشهرية

أنباء وآراء

من قبل بحر البقر :

مات أطفال بحر البقر حرقى وأشلاء ، مثلما مات — من قبلهم — عمال أبى زعبل غرقا وإحراقا ، وفى كلا الحالين صدرت اعتذارات إسرائيل.

إن من أكبر الخطأ أن نفهم عدونا إذا وضعناه فى مستوى الإنسان فى حروبه وتمادينا فى تصوير ما نتوقعه منه فى ضوء أحداث الحروب التى قاتل فيها الشجعان ، بعضهم بعضا بعيدا عن الجبن والخسة ، وتحت لواء الشرف والفروسية .

إن عدونا شىء آخر :

عدو يعتقد أن دينه يأمره بالقتل الجماعى وإبادة الشعوب بمن فيها من : أطفال ونساء وشيوخ وشباب ، مرضى كانوا أو أصحاء عجزة كانوا أو أقوياء .

ومن الخطأ هنا أن تناقش مبلغ صحة العقيدة هذه ، فحسبنا أنهم يؤمنون بها واقرأ إن شئت — فى العهد القديم — ما فعله (نوب) إذ ضرب مدينة « .. بحد السيف : الرجال والنساء والأطفال والرضعان والثيران والحمير والغنم بحد السيف (صموأول ٢٢ / ٢٠) .. » .

وفيه .. « .. اذهبوا واضربوا سكان (يابيش جلعاد) بحد السيف مع النساء والأطفال (قضاة ٢١ / ١١) .. » .

هذا عدونا ! ! .

فأين نضعه من مستوى الخلق ؟ أيتساوى مع مستوى تعاليم رسول الله ﷺ أن نقتل من أعدائنا المقاتلين والمعدين للقتال ونترك الأطفال والنساء والشيوخ والمتعبدين ولا نحرق شجرة ولا نفسد نباتا ؟ !

إن ضمير العالم الذى اهتز أسى لأطفالنا لن يستطيع أن يملى حكما فى هيئة الأمم ! أو قراراً فى مجلس الأمن .

إننا يجب أن ننتصر بكل إيماننا بالله واستعدادنا للقاء عدوه وعدونا فى ساحة الجهاد.

ويومئذ ينتهى الغدر .. إلى الأبد

أنباء

● فى الثامن من صفر عام ١٣٩٠ ١٦/٤/١٩٧٠ زار فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد الفحام فرع جامعة الأزهر بأسيوط ، ومعهد أسيوط ، كذلك افتتح فضيلته القسم الثانوى بمعهد بنى عدى ، وتفقد نشاط علماء الوعظ والمعاهد الأزهرية

اصطحب فضيلته فى هذه الزيارة فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية ووكيل الأزهر وفضيلة الشيخ عبد العزيز عيسى مدير المعاهد الأزهرية ، وفضيلة الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار أمين المجلس الأعلى للأزهر ، وفضيلة الأستاذ بسيونى رسلان مدير الوعظ بالأزهر ، وفضيلة الأستاذ عبد الحكيم سرور مدير الشئون العامة بالأزهر ، وفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الحكيم نعناع مدير مكتب فضيلة الإمام الأكبر وفضيلة الدكتور محمد هلال سكرتير فضيلته ، وفضيلة الشيخ يحيى هاشم فرغل مدير السكرتارية الفنية لمجمع البحوث الإسلامية

عاد فضيلة الإمام الأكبر والوفد صباح الأحد ١١ من صفر الموافق ١٩/٤/١٩٧٠ إلى القاهرة .

● افتتح الإمام الأكبر فى زيارته لأسيوط مع وفد العلماء جمعية المحافظة على القرآن الكريم فى الحواتكه وقد صرح فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود أمين عام مجمع البحوث الإسلامية بأن الدكتور عثمان خليل عضو المجمع قد تبرع بمكافأته من المجمع لمدة عام لجمعية المحافظة على القرآن الكريم بالحواتكه .

دكتور عثمان خليل من الحواتكه .

● شارك فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود فى الموسم الثقافى لجامعة أسيوط وألقى محاضرة عن الدين والعلم بكلية الهندسة

● افتتح فضيلة الإمام الأكبر جمعية الغايات المسلمات بأسيوط .

● بناء على قرارات المؤتمر الخامس لمجمع البحوث الإسلامية يستعد الإمام الأكبر شيخ الأزهر للقيام بجولة فى العالم الإسلامى مع وفد من العلماء للدعوة لإنقاذ فلسطين والأراضى المقدسة .

تتخذ وزارة الخارجية مع المجمع إجراءات ترتيب برنامج الجولة وتحديد مواعيدها .

● تقرر أن يسافر فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية إلى المملكة العربية السعودية

بدعوة من المجلس الأعلى لهيئة الإذاعة والتليفزيون بالجمهورية العربية المتحدة .

يلقي فضيلته في العاشر من ربيع الأول الموافق ١٥ ـ ٥ ـ ٧٠ ليلتي محاضرة تذاع على الهواء في مناسبة المولد النبوي للرسول صلى الله عليه وسلم .

● انتهت لجنة « دائرة المعارف الإسلامية » بمجمع البحوث الإسلامية من إعداد « حرف الألف » ، تكاد تقع مادة هذا الحرف في مجلدين من القطع الكبير تجمع المادة : الأعلام والبلدان ومسائل في التفسير والحديث والفقه والأصول والتاريخ الإسلامي .

تختلف هذه الدائرة عن دائرة المعارف الإسلامية المترجمة بأنها أعمق مادة وأغزر بحثا وأنقى جلاء للحقائق التي شوهتها المعاجم الأجنبية لدوائر المعارف .

● يجري المجمع الطبع حاليا في الجزء الأول من « الجامع الكبير » للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، يقع في هذا الجزء الأحاديث التي تبدأ بحرف « الألف » وسيوالي المجمع طبع البقية .

● يطبع مجمع البحوث الإسلامية بمطبعة الأزهر — كتاب « صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام » للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي أيضا .

● فقد مجمع البحوث الإسلامية عضواً عاملا من أعضائه هو المغفور له فضيلة الشيخ الفاضل بن عاشور العضو التونسي .

رحم الله الفقيد ، وعوض الإسلام والمسلمين فيه خيراً .

● تسلم فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية مكتبة فضيلة الشيخ محمود ربيع المدرس بالأزهر الشريف .

والأمانة العامة تتقدم بالشكر لفضيلة الشيخ محمود ربيع على ما أسدى للدين والعلم من فضل مهد للباحثين طريقا ذلولا ييسر عليهم عملهم .

● يعلن مجمع البحوث الإسلامية عن استعداده لقبول إنتاج أو تحقيق في التراث الإسلامي عن القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، والسيرة النبوية .

يرسل الإنتاج أو التحقيق إلى مكتب فضيلة الأمين العام للمجمع .

يعطي المجمع ، لأصحاب البحوث الفائزة ، مكافآت مالية مجزية ؟ على المطايب

efforts in preparing a variety of Qur'anic Dictionaries, differing in standard, size and approach, conformably to the needs of the various Islamic circles.

3 — The Conference recommends that the editions of the Holy Qur'an be made in clear and legible type. Equally most requisite is the adoption of the Uthmanic orthography.

4 — The Conference recommends, as well, that the Academy take measures to form a world Islamic organization, to be in charge of supervising the prints of the Qur'an before their issuance.

5 — The Conference notifies the Muslim world of the grave crime committed by Zionists who had deliberately changed certain words from their context in the Holy Qur'an.

Thereupon, the Conference calls upon Muslims :

A) To be well-aware of everything related to these textual alterations.

B) To inform the Academy of any tampering with the Qur'anic text.

C) To co-operate with the Academy in blotting out any traces of this crime.

6 — The Conference recommends that the United Arab Republic Broadcasting Corporation take measures to reinforce the Broadcasting Station of the Holy Qur'an, and to give additional support to its message, so that all Muslim peoples mihgt be enabled to listen in to it, and to make full use of its possibilities.

E) On Muslim Jurisprudence :

The Conference stresses what it had already decided in its previous sessions, that Muslim Jurisprudence should be made the basis for any legislation that might be enacted in Muslim countries. It has been proved beyond doubt, from a historical and scientific standpoint, that Muslim Jurisprudence as a legal system, is deemed to be exceedingly adaptable to every age and country; nay it is the highly perfect code to mankind at large.

And God, Glory be to Him, is the Sole Guide to the Right Path.

● ● ●

4 — The Conference consideres that the safeguarding of youth (against straying) is the foremost issue to be taken care of by Muslims respecting any measures they take to reform their internal affairs; since youth are undoubtedly the most valued manpower they possess. However, God is to be praised, because Muslim youth, as compared with their brethren all the world over, are deemed rather remote from deviation and quite close to the straignt path. Nevertheless, Muslim communities have to do everything possible for the protection of their youth.

It is for this reason that the Conference has decided to make youth affairs a subject to be fully dealt with, from a scientific standpoint, in the Academy. Such inquiry will be pursued by the Conference in its coming sessions, in co-operation with all the associations and departments engaged in youth services. If God will, the results of these studies will be submitted (for discussion) in subsequent conferences, so as to be considered and decided upon by all the Members who represent the various Muslim peoples and communities all over the world.

C) On Islam and Science :

The Conference declares :

1 — That Islam is a fervent supporter, of science.

2 — That Islam encourages (the acquisition of) every sort of scientific knowledge which proves to be beneficial to man in worldly life or in the Hereafter.

3 — That the call of both the Holy Qur'an, and the Prophetic Sunnah to gain such knowledge is explicit, categorical, (and emphatic).

Moreover, the whole universe is reflected upon as a book that carries firm conviction in God's Existence. It implies a corpus of Divine Laws the discovery of which reinforces cognizance of God, and acknowledgement of His Omnipotence.

D) On the Holy Qur'an :

1 — The Conference recommends that all Muslim States give care to the Holy Qur'an, as regards its memorizing, recitel end comprehension ; since it is the source of their jurisprudence, and the mainstay of their power and revial.

2 — The Conference recommends that the Azhar pursue its strenuous

transactions these entail, have to be made in conformity with the injunctions of Muslim Jurisprudence.

9 — The Conference is gratified by the efforts made to train preachers from amongst the imams of mosques, so as to raise the standard of their qualifications and competence in propagating the Message of the Call. The Conference ardently supports all the endeavours accomplished for this purpose, and hopes that they achieve far reaching results.

10 — The Conference recommends the establishment of close relations between the Azhar and other Muslim universities, through the exchange of professors, students, books and all other possibible means.

B) On Youth Affairs :

1 — The Conference recommends that the youth of the Muslim Community be afforded the opportunity of gaining a deep insight into Islamic culture; and that they have recourse, in this respect to well-informed people noted for their enlightenment and stable faith, seeking their verdict, as regards issues that seem to them to be bewildering and confusing. Thus, they would be enabled to gain authentic judgments about certain intellectual currents designed to lead the faithful astray.

When these misleading trends come to be completely refuted the youth would, thereby, be better qualified to dispel their doubts, restore their Faith and reform their lives.

2 — The Conference enjoins that parents, teachers, preachers, and all who are engaged in ethical guidance, show forbearance towards youth, and try to understand their particular conditions, sympathizing with the problems that cause them embarrassment, and distraction, so that God might show them the right path.

3 — The Conference recommends that Islamic culture be fully dealt with in all educational levels whether it be demonstrated in religious lessons, or others related to history and social sciences.

However, in seeking to give Islamic culture its due among the prescribed subjects in various curricula, throughout Muslim countries, the Conference recommends that schools be established in certain specific localities in which well-qualified teachers can give a genuine survey of Islamic culture to pupils and students in limited hours, during their weekly holidays and further leisure time.

Republic, and their colleagnes in various Muslim countries.

4 — The Conference recommends that the Academy establish bureaus affiliated to it, outside the United Arab Republic. Their personel have to be formed out its officials who are noted for their competence and religious zeal. Their function is to strengthen the relations between the Azhar and the various Muslim communities to execute the resolutions and recommendations of the Conference, and to provide the Academy with studies and data that are most helpful to forward the Academy's aims in propagating the Islamic Message.

5 — The Conference recommends that the Islamic Research Academy establish local committees within the United Arab Rebublic which have to be linked with regional communities, and information media. They will be concerned, in the first place, with affording, in various ways, ample enlightenment, and direction, as regards the battle against Israel.

6 — The Conference recommends that the Zionist expansionist scheme be printed in two or three pages with a map ; and that models of these be sent to every Muslim country where copies have to be made ; some of which are to be assigned for educational programmes ; others to be announced to the public from the pulpits of mosques, and to be widely disseminated by all possible means. Thus, would the entire body of Muslims be made fully aware of the plots concocted by enemies against their Faith and countries.

7 — The Conference recommends that Muslim Leaders throughout the Islamic World, direct Muslim's attention to renounce sectarian dissensions and join hands with other Muslims, basing the bond of unity on the Book of God, be He Exalted, and the Sunnah of His Apostle.

8 — The Conference supports the call of the Young Men Muslim Association to establish :

A) A General Association for Young Muslim Men, throughout the Islamic World.

B) A Hall of Islamic Thought to disseminate the culture of Islam in various languages, on a worldwide scale.

C) An Islamic Treasury to which Muslims : individuals and associations, peoples and governments offer money contributions The

— An Approach to Comprehend the Verses Dealing with the Universe in the Holy Quran.

After having discussed these topics, the Conference has unanimously decided that the following resolutions and recommendations be addressed to the Muslim Community as : individuals and groups, peoples and governments ; trusting that they be taken by every Muslim as a practical guide, and rule of life ; so that he might strive hard to put them into effect, and call upon others to adopt. Thus, he would be enjoining what is right and forbidding what is wrong, to attain to the welfare of worldly life, and the ample reward of the Hereafter.

A — On the Islamic Call and Society :

1 — The Conference recommends that the Islamic Research Academy draw and execute plans for the propagation of the Islamic Call, in its various forms, inside of the United Arab Rebublic, and the other countries of the Muslim World.

2 — The Members of the Conference have exhorted one another that, after their return, they would follow up propagating and executing the resolutions and the recommendations of the Conference in their respective countries. Their studies and reports which deal with the affairs of their Muslim compatriots, are to be sent to the general Secretariat of the Academy.

Special emphasis is to be laid on putting into effect the resolutions and recommendations of the Conference ; particularly as regards those that are related to the standing and function of the mosque, youth's attitude towards religion, and what has so far been accomplished by their peoples in the sacred battle in which the Muslim World is being engaged against Zionism and colonialist Powers.

3 — In order to strengthen the links between the Islamic Research Academy and Muslims outside the United Arab Republic, the Conference recommends that the Academy establish committees abroad, formed out of the Conference's Members, together with other well-noted Muslim personalities.

Every committee has to establish close and uninterrupted relations with the Academy, so as to carry out the injunctions of the Islamic Call, and to execute the resolutions and recommendations of the Conference. Moreover, it has to further the exchange of visits and delegations between the Ulemas of the Azhar in the United Arab

RESOLUTIONS AND RECOMMENDATIONS

ISSUED BY

The Fifth Conference of the Islamic Research Academy, at the end of its Second Stage, on 17th of Muharram, 1390 A. H. (25th March, 1970 A. D.)

In the name of Allah the Beneficent, the Merciful.

In the Name of God, be He Exalted, in compliance with the Guidance of His Holy Book, and the Sunnah (Traditions) of His Apostle and in seeking to realize the aims of the Islamic Research Academy, has been held within the precincts of the illustrious Azhar, the fifth Conference of the Academy, in its second session, which was attended by the Academy members of the United Arab Republic, together with their colleagues from the other Muslim countries.

The meetings started on Tuesday the 2nd of Muharram, 1390 A.H. (10th, March, 1970), and went on till Wednesday, the 17th Muharram, 1390. A.H. (25th, March 1970).

The researches made by the Conference were entirely devoted to the gravest issue, that is, completely, occupying the attention of Muslims all over the World of Islam. It is the one concerned with Jihad, striving, to recover the Islamic shrines, and the usurped territories ; besides making plain the verdict of Islam, respecting the duty of Jihad with life and wealth, (that has become most incumbent upon every Muslim), to repel the Israeli and colonialist aggression.

During the second session, the the Conference turned to investigate the issues of the Muslim World to which it has devised appropriate solutions, drawn from the principles of Islam. Thus have been read papers, dealing with the following topics : –

- Propagating the Faith of Islam.
- The Function of the Mosque.
- The Role of the Imam in Muslim Society.
- The Role of the Azhar in Serving the Islamic Message.
- Islam and Science.
- Islam and the Youth.
- Muslim Jurisprudence and its Codification.

calls upon the Muslims to spend in His way, He is merely enjoining them to do what is most beneficial to them and to ward off the injury that might overtake them. By their response to Jihad, they would be, in fact, defending themselves and their rights as well as their honour and self-respect. The Call to spend in God's way is equally meant to serve the interests of those who strive with their wealth, since God is, altogether independent of all His servants".

After quoting many notable examples that had been set by the Companions of the Prophet and other early Muslims in striving with their wealth for the cause of God, the preservation of their community, the maintenance of their prestige, and the safeguarding of their lands, he concluded the paper with the following verse of the Holy Qura ; which means :

"O ye who believe ! Shall I show you a commerce tnhat will save you from a painful doom ? Ye should believe in Allah and His messenger, and should strive for the cause of Allah with your wealth and your lives. That is better for you, if ye did but know. He will forgive you your sins and bring you into Gardens underneath which rivers flow, and pleasant dwellings in Gardens of Eden. That is the supreme triumph. And (He will give you) another blessing which ye love : help from Allah and present victory. Give good tidings (O Muhammad) to believers."
(61 : 10 - 13)

A paper prepared by Dr. Ishaq Musa Al-Husainy, member of the Academy (read by Sheik Abdul Hakeem Surur, Director of Al-Azhar General Affairs), dealt with many aspects of the Palestine Question, with special reference to the Islamic aspect of it. He pointed out that the remisness of Muslims in performance of their duty towards this vital problem, might have been due to these reasons :

Their intense preoccupation with their internal and local problems. The influence exercised by certain powers saiding with the enemy. Moreover these powers have been attempting to exert pressure on Muslim Governments, the latter should impetusily comply with the sentiments of their people.

The General picture of the deliberations of the Conference shed light on the efforts and achievements of the Islamic Research Academy under the banner of Al-Azhar, the great and glorious seat of learning since it was founded ten centuries ago.

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER :

ABDUL RAHIM FŪDA

Rabī'Awwal 1390	ENGLISH SECTION EDITED BY A. M. MOHIADDIN ALWAYE	MAY 1970

Review and Annotation - II

Papers and Discussions of the Academy's Annual Conference

By

A. M. Mohiaddin Alwaye

The Fifth Conference of the Academy heard, in the many sessions of its first stage, a number of research papers prepared by the learned scholars. The first paper, presented by the Grand Sheikh of Al-Azhar, Dr. Muhammad Fahham, and read out in the conference by Dr. Muhammad Baisar, General Secretary of Al - Azhar Higher Council, was on the topic of 'the Restoration of Jerusalem' from the clutches of Zionism. The paper reviewed the history of Jerusalem and its centuries of Islamic glory. It also stressed the high standing of Jerusalem in Islam. Concluding, the Grand Sheikh urged Arabs and Muslims to cooperate in defending themselves and working to restore their rights. And he called them to extend all kinds of material help to the militant Arab strugglers.

The paper prepared by Dr. Muhammad Abdulla Madi, member of the Academy, discussed the 'Signification of contributing money to Jihad, from the Islamic point of view. In the introduction of the paper the author gave a detailed review of the Islamic conception of Jihad in the light of Qur'anic verses and the Traditions of the Prophet.

The author said " . . . When God



مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
« بدل الاشتراك »
٥٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٤٧٣
٩٠٥٥٠٦

الجزء الرابع — السنة الثانية والأربعون — ربيع الثاني سنة ١٣٩٠ هـ - يونيه سنة ١٩٧٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

صورة الرسول فوق التصور والتصوير

للأستاذ عبد الرحيم فودة

---

١ — لم يستطع أحد ممن عاشر النبي وصاحبه أن يرسم بقلم أو كلام، صورة مستكملة الأوضاع والمعالم تمثله على حقيقته كما كانوا يرونه بأبصارهم وبصائرهم، وكل ما نجده في كتب السيرة أوصاف لأجزاء بدنه إذا ضم بعضها إلى بعض رأينا صورة مجملة بلغت من الحسن والجمال ما لم تبلغه صورة إنسان، ولكنها مع ذلك لا تمثله التمثيل الذي ينقله بكل مشخصاته ومميزاته إلى أذهان القراء، بل إنها مع ذلك لا تقنع شعور المؤمنين بأنها هو، ولا تنطبق مع ما ينطبع في وجدانهم من تصوره، وحبه، والإعجاب به.

كان عظيم الهامة، واسع الجبين، أدعج العينين، أزج الحواجب، سهل الخدين، أقنى العرنين، ضليع الفم، مفلج الأسنان، يتلألأ وجهه كتلألؤ القمر، بل كأن الشمس تجري في وجهه، وكان رقيق البشرة، أزهر اللون، أبيض كأنما صيغ من فضة، شثن الكفين والقدمين سائل الأطراف.. إلى آخر ما ذكر من أوصاف بدنه الزكي.

كل هـذه دون شك تمثل سمته العام ، ولـكنها لا تمثله على حقيقته وقد نظر إليه رجل فقال : والله ما هـذا الوجه بوجه كذاب ، ورآه آخر فأخـذ من هيبته ووقع على قدميه يقبلهما فقال ﷺ : هون عليك . أنا لست بملك . أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد .

٢ — وكيف يستطيع مصور أن ينقل صورته عليه السلام فى نفس مولاه (ثوبان) وقد ضعف وأصابه الذبول والنحول ، وألح عليه الحزن فى الليل والنهار ، ولما سأله النبى عن سبب حزنه قال فى طهارة الأبرار : إنى إذا لم أرك ، اشتقتك واستوحشت وحشة عظيمة ؛ فذكرت الآخرة حيث لا أراك هناك ، لأنى إن دخلت الجنة فأنت تكون فى درجات النبيين فلا أراك ، فهو لا يرى نعيم الجنة نعيما إذا كان يحجبه عن رؤية الرسول .

ولهذا نزل قول الله : « ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا » ، وقـد بلغ حبه فى نفوس أصحابه إلى درجة أن أحـدهم — وهو بلال رضى الله عنه — كان يعلن ابتهاجه بالموت وفرحـه به وهو يحتضر وأهله يضجون من حوله بالبكاء ويقولون : واكرباه ؛ فقـد كان يرد عليهم بقوله : واطرباه ؛ غدا ألقى الأحبة محمدا وصحبه .

٣ — وإذا استطاع مصور ماهر أن يستوحى من أصافه المشهورة المذكورة فى كتب السيرة ، صورة لسمته وملامحه وطوله وعرضه وتناسق أعضائه ، فكيف يستطيع — بكل وسائل الرسم والتصوير — أن يرسم نفاذ نظراته ، ونبرات صوته ، وجلال منظره ، وجمال حديثه ، وهو كما يقول البوصيرى :

دع ما ادعته النصارى فى نبيهمو
واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف
وانسب إلى قدره ما شئت من عظم
فإن فضل رسول الله ليس له
حـد فيعرب عنه ناطق بفم

٤ — إن مكانة النبى عند الله كما يقول فيه : « يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهـدا ومبشرا ونذيرا ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجا منيرا » وكما يقول: « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » ومكانته عند المؤمنين

(البقية فى الصفحة التالية)

الإسلام والعلم

لفضيلة الدكتور عبد الحليم محمود

أهداف الرسالة الإسلامية :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه إلى يوم الدين — وبعد :

فإن الإسلام حدد هدف الرسالة الإسلامية فى عدة آيات من القرآن الكريم منها قوله تعالى :

« ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم »[1] .

ويذكر الله سبحانه وتعالى تفضله على المؤمنين بإرساله رسولا من أنفسهم ، ويحدد الله سبحانه وتعالى الهدف من الإرسال ، والحكمة منه فيقول :

« لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم ، يتلو عليهم آياته ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين »[2] .

(١) البقرة : ١٢٩ . (٢) آل عمران ١٦٤ .

كما يفهم من قوله سبحانه : « النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم » وكما يقول : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله » وقوله : « يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون . إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم » .

• — ومن ذلك يظهر أن رسمه بأية أداة من أدوات الرسم والتصوير ، إخلال بالصورة الكريمة العظيمة ، وجرأة على الله ورسوله ، واستهتار بعواطف المسلمين وصدق الله إذ يقول :

« إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ، إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا » ؟

عبد الرحيم فودة

وفى سورة الجمعة يبين الله سبحانه ، أن ما فى السموات وما فى الأرض ينزهه سبحانه إذ أنه يسبح له ، ويذكر سبحانه من صفاته : الملك ، القدوس ، العزيز ، الحكيم ، ثم يقول :

« هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ، ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين » .

وهذه الآيات الكريمة وما يشبهها من القرآن الكريم ، لا تحتاج إلى تأمل بالغ ، أو تفكير عميق ، من أجل فهم معانيها ، وذلك أن المعنى فى هذه الآيات الكريمة واضح كل الوضوح ، فهى تبين أن الحكمة فى إرساله صلى الله عليه وسلم تتمثل فى أمرين :

١ — العلم .

٢ — التزكية .

والعلم إذن فى الرسالة الإسلامية شطرها بل هو شطرها الأساسى ، أى الشطر الذى تقوم عليه التزكية ، إذ لا يتأتى أن تقوم التزكية على الجهل .

نشأ الإسلام حليفاً للعلم :

ولعل مما يبين الأهمية الكبرى التى منحها الإسلام للعلم أن نرجع بنظرة سريعة إلى اللحظات الأولى التى أشرق فيها فجر الرسالة الإسلامية .

روى الإمام البخارى نضر الله وجهه ، بسنده عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، وروت كتب السنة كذلك حديث بدء الوحى .

وهو حديث طويل ، وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بينما كان فى غار حراء يتعبد ، جاءه الملك ، فقال :

اقرأ .

قال : ما أنا بقارىء . قال : فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى ، فقال :

اقرأ .

قلت : ما أنا بقارىء .

فأخذنى فغطنى الثانية ، حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ .

فقلت : ما أنا بقارىء ، فأخذنى فغطنى الثالثة ، ثم أرسلنى فقال :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان مالم يعلم » .

وحينما فسر المرحوم الشيخ محمد عبده هذه الآيات عقب عليها قائلا :

« لا يوجد بياذأبرع ، ولا دليل أقطع على فضل القراءة والكتابة والعلم بجميع أنواعه ، من افتتاح الله كتابه وابتدائه الوحي بهذه الآيات الباهرات » اهـ

لقد افتتح الله الوحي في الدين الإسلامي بهذه الآيات المعجزة الخالدة ، التي تذكر القراءة والكتابة والقلم ، والتي ترددت فيها مادة العلم أكثر من مرة .

وبعد أن نزلت هذه الآيات الكريمة ، نزل قوله تعالى :

« ن والقلم وما يسطرون »

وفي هذه المرة الثانية من الوحي بدأ الله سبحانه بحرف من حروف الهجاء ، وأقسم بالقلم ، والكتابة ، فكان أول قسم في القرآن ، هو القسم بالقلم ومايسطر بالقلم .

أما اسم الكتاب الموحى به ، فإنه : القرآن . يقول الراغب الأصفهاني :

قال بعض العلماء : تسمية هذا الكتاب قرآنا من بين كتب الله ، لكونه جامعا لثمرة كتبه ، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم كما أشار تعالى إليه بقوله : « وتفصيل كل شيء » وقوله : « تبيانا لكل شيء » اهـ

والقرآن بتسميته .

وبأول آيات نزلت منه .

وبأول قسم فيه .

يوجه الإنسان بطريق مباشر وبطريق إيحائي إلى الاتجاه نحو المعرفة : قراءة وكتابة وعلما .

منزلة العلم في الإسلام من طريق القصص :

لقد نشأ القرآن حليفا للعلم ، وأشرق نوره مبشراً بالعلم ، وأخذ القرآن فيما بعد يوالي الحث على العلم بشتى الأساليب : فيبين لنا مثلا أن الله سبحانه وتعالى حينما خلق آدم عليه السلام علمه الأسماء كلها :

ثم يبين الله سبحانه وتعالى أن آدم ـ بهذه المعرفة ـ أصبح أسمى من الملائكة ويقول في ذلك .

« ثم عرضهم على الملائكة

فقال : أنبئوني بأسماء هؤلاء ، إن كنتم صادقين » .

ولم يكن للملائكة علم بها ، فأجابوا في تواضع :

« قالوا : سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم » .

وبين لهم الله سبحانه مكانة آدم ـ بصورة غير مباشرة ـ حينما قال :

« يا آدم أنبئهم بأسمائهم » .

وصدع آدم بالأمر ، وبين الله سبحانه

وتعالى النتائج حينما أنبأهم آدم بأسمائهم فقال:
« ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض ، وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ».

ومن الأمور التى لها مغزاها الواضح ، والتى تشير إليها ، ولا تتعمق فيها : أن الله سبحانه وتعالى قال بعد ذلك مباشرة :

« وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ، فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين »

لقد ذكر الله سبحانه أمره تعالى للملائكة بالسجود لآدم بعد أن بين لهم أن آدم أعلم منهم، واستجاب الملائكة للأمر فسجدوا . فكأن السياق يوحى بسمو مكانة العلم سموا يصل إلى درجة سجود الملائكة له .

* * *

وقصة أخرى ثرية بالمغزى وللمعنى والحكمة .

أن رسل الله تعالى صلوات الله وسلامه عليهم فى الذروة من المكانة والفضل ، وفى الذروة من العلم والحكمة . ومع ذلك فها هو ذا موسى عليه السلام يجد فى السير هو وفتاه من أجل البحث عن عالم أنبأه الله بوجوده ، وبعد جهد وصبر وجداه ، يقول سبحانه :

« فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما .

قال له موسى : هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً .

قال : إنك لن تستطيع معى صبرا ، وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا .

قال : ستجدنى إن شاء الله صابراً ولا أعصى لك أمراً .

قال : فإن اتبعتنى فلا تسألنى عن شىء حتى أحدث لك منه ذكراً ».

ويسيران ، ويتعلم موسى رسول الله عليه السلام من صاحبه مالم يكن يعلم ، ومما أفادته هذه القصة ـ كما يقول البيضاوى ـ أن يداوم المرء على التعلم ، ويتذلل للمعلم ، ويراعى الأدب فى المقال ،

ويأخذ منها السيوطى :

« استحباب الرحلة فى طلب العلم ، واستزادة العالم من العلم ، واتخاذ الزاد للسفر ، وأنه لا ينافى التوكل ، ونسبة النسيان ونحوه من الأمور المكروهة إلى الشيطان مجازا وتأدبا عن نسبتهما إلى الله تعالى ، وتواضع المتعلم لمن تعلم منه ولو كان دونه فى المرتبة واعتذار العالم إلى من يريد الأخذ عنه فى عدم تعليمه

ما لا يحتمله طبعه، وتقديم المشيئة فى الأمور، واشتراط المتبوع على التابع ، وأنه يلزم الوفاء للشروط وأن النسيان غير مؤاخذ به»

* * *

وقصة ثالثة نذكرها لننتهى بها من الحديث فى العلم من طريق القصص القرآنى ، ولنتجه بعدها إلى الأسلوب القرآنى المباشر ، ثم إلى السنة النبوية الشريفة .

ها هو ذا سليمان عليه السلام ، يجلس بين أصفيائه ويتحدث معهم عن ملكة سبأ وعن عبادتها الشمس من دون الله ، وعن رده الهدية التى أرسلتها إليه ملكة سبأ ، تريد بذلك أن يغض الطرف عنها وعن زيغها وضلالها ، قائلا حين ردها :

« أتمدوننى بمال ؟ فما آتانى الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون .

ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون » .

ثم يلتفت سليمان إلى من حوله قائلا :

« يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين » .

فرد عليه عفريت من الجن قائلا :

« أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإنى عليه لقوى أمين » .

وأجاب شخص آخر يصور القرآن إجابته على الوضع التالى :

« قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك »

ونفذ الذى عنده علم من الكتاب ما قال ، وجاء بالعرش فى لمح البصر .

فلما رأى سليمان العرش مستقرا عنده قال :

« هذا من فضل ربى ليبلونى ، أأشكر أم أكفر ، ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ، ومن كفر فإن ربى غنى كريم » .

والقرآن يعرفنا بهذه القصة ، أن العلم يفعل الأعاجيب ، وأنه يفعل ما لا تفعله الجن ، وأن مقدرة العالم تصل إلى ما لم تصل إليه مقدرة عفريت من الجن ، وأنه بالعلم تطوى الأرض ، وتزول المسافات وتتحقق المعجزات .

الطريق المباشر لبيان مكانة العلم فى الإسلام

والآن نأتى إلى موقف القرآن من العلم عن طريق مباشر ، أى من خلال الآيات التى تتحدث عن العلم حاثة عليه مشيدة به يقول الله تعالى :

« إنما يخشى الله من عباده العلماء » .

وإنه بمقدار تعمق الإنسان فى الجانب العلمى فى صدق وإخلاص تكون خشيته

لله تعالى: ذلك أنه يرى من نواميس الكون ومن الإتقان فى الصنع ، ومن الحكمة فى التدبير ما يجعله ساجدا لمبدعه ومنسقه

وإن هـؤلاء الذين يتصلون مثلا بعلم التشريح من قرب أو يتخصصون فيه يرون من الإحكام المحكم ، ومن الدقة الدقيقة فى مختلف الأجهزة الجسمية وفى مفردات هذه الأجهزة ما يضطرهم اضطرارا إلى المعبود لرب هذا التنسيق ، والترتيب والإبداع .

وليس علم التشريح وحده ، هو الذى يبهر العالم المتبحر فيه ، وإنما يبهر علم الفلك العالم الفلكى ، ويبهر علم الأحياء عالم الأحياء ، وهكذا تجد انبهار النفس فى كل ميدان من ميادين للمعرفة الكونية أرضها وسمائها وما بين الأرض والسماء .

« تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير ، الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور ، الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت ، فارجع البصر هل ترى من فطور ؟ ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير » .

وصدق الله سبحانه إذ يقول :

« إنما يخشى الله من عباده العلماء » .

وخشية الله التى هى ثمرة العلم أساس من أهم أسس إسلام الوجه لله ، ومن هنا كانت ضرورة العلم فى الإسلام إنه ضرورة وليس ترفا ، فهو من أسس الإسلام نفسه .

ومن أجل ذلك كان من مقومات شخصية المسلم : العلم ، العلم بالكون ، وبالإنسان وبالنفس ، وبكل ما تتسع له الكلمة من معنى كريم .

إلام تؤدى الخشية ؟

إلام ينتهى العلماء الصادقون المؤمنون ؟

يقول الله تعالى :

« شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم » .

أنهم يصلون عن طريق العلم الذى يثمر الخشية إلى التوحيد : التوحيد الذى هو سمة الدين الإسلامى ، كما يرى البيرونى – والذى هو فى حقيقة الأمر سمة التدين الصادق .

ويشهد العلماء التوحيد مع الله سبحانه ومع الملائكة الأطهار .

إن الله سبحانه قرن العلماء به وبملائكته فى شهادة التوحيد وهذا أسمى ما يمكن أن يصل إليه تكريم العلماء من مكانة .

وشهادة التوحيد التى هى قمة الركن

الأول للإسلام ، وهو : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله - لا يشهدها إلا العلماء المؤمنون .

وشهادة التوحيد التي هي منتهى ما يمكن أن يصل إليه السالك في معراجه إلى الله سبحانه لا تتحقق إلا في العلماء المؤمنين .

إن شهادة التوحيد هذه قد وجه الله الأنظار إليها بأساليب شتى ، ومن هذه الأساليب ما لا يقدره في دقته وروعته الرائعة إلا العلماء .

« قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون ؟

أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ، أإله مع الله ؟ بل هم قوم يعدلون .

أمن جعل الأرض قرارا ، وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي ، وجعل بين البحرين حاجزا ، أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون .

أمن يجيب المضطر إذا دعاه ، ويكشف السوء ، ويجعلكم خلفاء الأرض ، أإله مع الله ؟ قليلا ما تذكرون .

أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ، ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته أإله مع الله ؟ تعالى الله عما يشركون .

أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ، ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله ؟ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » .

ثم يعقب الله على هذه الآيات بأنه مهما بلغ العلماء بعلمهم ، فإن المجهول كثير ، وأنه لا يعلم هذا المجهول المغيب إلا الله سبحانه والتعقيب الكريم معناه أن العلم لا ينتهى إلى غاية ، وأن كشف المجهول رسالة لا تنتهى ما دامت السموات والأرض ، فيقول سبحانه :

« قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله ، وما يشعرون أيان يبعثون » .

ومن أجل شهادة التوحيد ، أو من أجل وصول الإنسانية إلى أقصى ما ينتهى إليه - بالنسبة للإنسانية : كل بحسب استطاعته - في معارج القدس ، حث الإسلام على العلم ووجه إليه ، وجعله من أسس الدين نفسه .

لقد حث عليه في صور بلغت من الروعة حدا لا يجارى .

والآيات والأحاديث التي وجهت الأمة الإسلامية إلى العلم كثيرة مستفيضة ، وإذا كان العلماء يشهدون التوحيد مع الله ومع الملائكة ، فإن منزلتهم بالمكان السامى ودرجاتهم سامية ، في الرفعة والعلو .

« يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » .

ولهذه الجوانب من فضل العلم والعلماء أمر الله سبحانه وتعالى رسوله - وهو قدوة للمسلمين وأسوتهم - أن يقول :

« رب زدني علما »

رب زدني علما في كل يوم ، بل في كل لحظة ، ذلك ما يجب أن يكون شعار للمسلم وإذا ما ازداد المسلم علما . ازداد خشية ، وإذا ما ازداد خشية ، تحقق فيه إسلام الوجه لله على صورة أكمل .

ومن الملاحظات التي يجب أن تكون دائما في الذاكرة ، أن الكلمة الأولى التي نزل بها الوحي على المصطفى ﷺ ، مبشرة بعهد من النور جديد ، هي كلمة . اقرأ .

مكانة العلم في السنة النبوية الشريفة :

ونأتي الآن إلى موقف أمرنا الله سبحانه وتعالى بأن نتخذه أسوة .

« لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، وذكر الله كثيرا » .

لنأت الآن لنتبين موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم من العلم .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة ومن يسر على معسر ، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه ، ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما ، سهل الله له به طريقا إلى الجنة ، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا حفتهم الملائكة ، ونزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وذكرهم الله فيمن عنده ومن أبطأ به عمله ، لم يسرع به نسبه) [1] .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام :

(إن مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم يهتدى بها في ظلمات البر والبحر ، فإذا انطمست النجوم أوشك أن تضل الهداة) [2]

وعن كثير بن قيس قال : كنت جالسا مع أبي الدرداء في مسجد دمشق ، فجاء رجل فقال : يا أبا الدرداء ، إني جئتك من

[١] رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه ، وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرطهما .

[٢] رواه أحمد .

مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ما جئت لحاجة ، قال : فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

(من سلك طريقاً يطلب فيه علماً ، سلك الله به طريقا من طرق الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم ، وإن العالم يستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض والحيتان فى جوف الماء ، وإن فضل العالم على العابد ، كفضل القمر ليلة البدر ، على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر)[1] .

وعن أبى أمامة الباهلى قال : ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان : أحدهما عابد والآخر عالم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(فضل العالم على العابد ، كفضلى على أدناكم) ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض ، حتى النملة فى جحرها ، وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير)[1] .

وعن عائشة أنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول .

(إن الله عز وجل ، أوحى إلى ، أنه من سلك مسلكا فى طلب العلم ، سهلت له طريق الجنة ، ومن سلبت كريمتيه ، أثبته عليهما الجنة ، وفضل فى علم ، خير من فضل فى عبادة ، وملاك الدين الورع)[2] .

وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع)[3] .

وعن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(لا حسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة ، فهو يقضى بها ويعلمها)[4] .

---

[١] رواه أحمد والترمذى وأبو داود وابن ماجه والدارمى ، وسماه الترمذى قيس بن كثير .

[١] رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح .

[٢] رواه البيهقى فى شعب الإيمان .

[٣] رواه الترمذى والدارمى .

[٤] متفق عليه .

وعن عون قال : قال عبد الله بن مسعود : منهومان لا يشبعان ، صاحب العلم ، وصاحب الدنيا ، ولا يستويان ،

أما صاحب العلم : فيزداد رضى الرحمن ، وأما صاحب الدنيا ، فيتمادى فى الطغيان ثم قرأ عبد الله :

« كلا إن الإنسان ليطغى ، أن رآه استغنى » ، قال : وقال فى الآخر :

« إنما يخشى الله من عباده العلماء »[١].

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة أشياء : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له)[٢].

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته : علما علمه ونشره ، وولدا صالحا تركه ، أو مصحفا ورثه ، أو مسجداً بناه ، أو بيتا لابن السبيل بناه ، أو نهراً أجراه ، أو صدقة أخرجها من ماله فى صحته وحياته ، تلحقه من بعد موته)[٣].

[١] رواه الدارمى .

[٢] رواه مسلم .

[٣] رواه ابن ماجه والبيهقى فى شعب الإيمان .

وعن صفوان بن عسال المرادى رضى الله عنه ، قال : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى المسجد متكىء على برد له أحمر ، فقلت له : يا رسول الله ، إنى جئت أطلب العلم ، فقال : (مرحباً بطالب العلم ، إن طالب العلم تحفه الملائكة بأجنحتها ، ثم يركب بعضهم بعضاً حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب)[١].

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن النبى عليه الصلاة والسلام قال :

(أفضل الصدقة أن يتعلم المرء المسلم علما ثم يعلمه أخاه المسلم)[٢].

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(مثل علم لا ينتفع به كمثل كنز لا ينفق منه فى سبيل الله)[٣].

* * *

العلم

الذى يدعو إليه القرآن والحديث :

وقد يظن بعض الناس أن العلم الذى

[١] رواه أحمد والطبرانى بإسناد جيد واللفظ له، وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

[٢] رواه ابن ماجه بإسناد حسن من طريق الحسن أيضاً عن أبى هريرة .

[٣] رواه أحمد والدارمى .

يدعو إليه القرآن إنما هو العلم بالدين ، أي العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والعلم بالفروض الدينية من صلاة وصيام وزكاة وحج ؛ والعلم بالقانون الأخلاق والتشريع الإلهي .

والواقع أن العلم بالدين : عقيدة وأخلاقا وتشريعا مما يحث عليه الإسلام ، بل هو في المرتبة الأولى ، لأن الإيمان هو الأساس في كل دعوة دينية منذ أن كان الدين .

ومعرفة الإنسان بالله وبقوانين صلته بالله من طريق رسله ، هي أسمى معرفة بالنسبة للإنسان باعتباره فرداً ، وبالنسبة لأمن المجتمع ، وطمأنينته على الدماء والأموال والأعراض .

بيد أنه إذا كانت للمعرفة بالله عن طريق رسله لها الصدارة في الأجواء الدينية ، فإن القرآن بين لنا أن الكون كله هو كتاب للعلم بالله سبحانه وتعالى . أنه مجموعة من النواميس الإلهية التي يؤدي اكتشافها إلى زيادة المعرفة بالله وزيادة الخشية منه .

وتأمل معي قوله تعالى :

« ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ، ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء ، إن الله عزيز غفور »

لقد أتى قوله تعالى :

« إنما يخشى الله من عباده العلماء » .

في معرض الحديث عن تنسيق العالم المادي وترتيبه والإبداع فيه .

لقد دفع القرآن للمسلمين دفعا إلى مختلف مجالات المعرفة في الكون :

لقد دفعهم إلى مجال المعرفة بالتاريخ الذي يسميه : « أيام الله » أيام الله التي أنعم فيها على من اتبع هديه واستقام على أمره ودمر فيها ، من سار في طريق للمعصية والشر ، أيام الله التي نصر فيها أولياءه وخذل فيها أعداءه :

« قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ، ثم الله ينشيء النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير » .

« قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل ، كان أكثرهم مشركين » .

« أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم ،

كانوا هم أشد منهم قوة وآثاراً فى الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق »

« ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا ، وجعلنا الأنهار تجرى من تحتهم ، فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين؟ »

ودفعهم إلى المعرفة بالفلك حينما أقسم ببعض الكواكب مشيراً إلى منزلتها بهذا القسم ، وحينما أقسم بمواقع النجوم ، والقسم بمواقع النجوم فيه ما فيه من بعث للتأمل والتدبر والبحث .

يقول سبحانه :

« فلا أقسم بمواقع النجوم ، وإنه لقسم لو تعلمون عظيم » .

ويقول سبحانه : « والنجم إذا هوى »

ويبين سبحانه أنه رب الشعرى : « وأنه هو رب الشعرى » .

ويتحدث سبحانه عن النظام الدقيق الذى تسير عليه الأفلاك :

« لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار ، وكل فى فلك يسبحون » .

ويبين سبحانه الدقة فى الصنع :

« تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير ، الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا ، وهو العزيز الغفور ، الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر ، هل ترى من فطور ، ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير » .

وهذه النجوم والأفلاك التى أقسم الله بها ، وأقسم بمواقعها ، أعلن سبحانه وتعالى أنه سخرها لنا وامتن سبحانه وتعالى علينا بتسخيرها .

يقول سبحانه :

« وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار » .

ويقول تعالى فى سورة النحل :

« وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر ، والنجوم مسخرات بأمره إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون » .

ويقول سبحانه :

« ألم تر أن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل ، وسخر الشمس والقمر كل يجرى إلى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير » .

وللمعنى الذى أحبه الله سبحانه وتعالى من وراء بيان ذلك ، ومن امتنانه ، هو أن يصل الإنسان إلى اكتشاف قوانينها ، إلى تسخيرها ، إلى السيطرة عليها ، إلى امتلاكها .

وإنه لمن الجهل أن يتحدث إنسان عن غزو الفضاء ، وعن الوصول إلى القمر فيقول : إن الإسلام يعارض ذلك ، إنه من الجهل بالإسلام أن يقول إنسان ذلك، فقد أنزل القرآن الكواكب منزلتها بينما كان الآخرون يقدسونها ، بل ويعبدونها، يقول سبحانه لهؤلاء الذين سجدوا لها وعبدوها :

« لا تسجدوا للشمس ولا للقمر ، واسجدوا لله الذى خلقهن » .

إنها مخلوقات ، الله ربها ، وكما أنه سبحانه ، رب الشعرى ، فإنه رب كل كوكب ورب كل نجم ، وكما أنه خلق الشمس ، والقمر ، فهو الخالق لكل السموات التى زين السماء الدنيا منها بزينة الكواكب .

وكما دفع القرآن المسلمين إلى التعرف على (أيام الله) وكما دفعهم إلى النظر والتأمل والبحث فى النجوم والكواكب ، فإنه دفعهم على وجه العموم إلى البحث والنظر والتأمل فى الكون كله ، والآيات القرآنية فى هذا المجال تتعاون وتتناسق لتوجه الإنسان إلى التنقيب فى جميع مجالات الكون لاكتشاف نواميس الله فى كتابه هذا المنظور ، يقول سبحانه :

« إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ، وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » .

ويقول سبحانه :

« إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب »

ويذكر الله سبحانه وتعالى فى أوائل سورة الرعد ، ما يلى :

« المر تلك آيات الكتاب والذى أنزل إليك من ربك الحق ؛ ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ؛ الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش ؛ وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ؛ يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم

بلقاء ربكم توقنون . وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى وأنهاراً ومن كل الثمرات ؛ جعل فيها زوجين اثنين ؛ يغشى الليل النهار ؛ إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ؛ وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ؛ ونفضل بعضها على بعض فى الأكل ؛ إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ».

ويمتن الله سبحانه وتعالى على الإنسانية أجمع بآياته الباهرة ؛ ضارباً المثل للعقلاء المستبصرين ؛ ليتجهوا بالبحث والدراسة إلى ما وجههم سبحانه نحوه ؛ يقول سبحانه:

« فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ؛ وله الحمد فى السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون ».

« يخرج الحى من الميت ؛ ويخرج الميت من الحى ؛ ويحيى الأرض بعد موتها ؛ وكذلك تخرجون » .

« ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون » .

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ؛ إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ».

« ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ؛ إن فى ذلك لآيات للعالمين » .

« ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ، إن فى ذلك لآيات لقوم يسمعون » .

« ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيى به الأرض بعد موتها إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون » .

« ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ، ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون ، وله من فى السموات والأرض كل له قانتون » .

« وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم » .

ولقد سخر الله سبحانه وتعالى البحر ، يقول سبحانه :

« الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء ، فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره ، وسخر لكم الأنهار » .

ويقول تعالى :

« وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا ، وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ، وألقى فى الأرض

رواسى أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون ».

ويقول سبحانه :

« ألم تر أن الفلك تجرى فى البحر بنعمة الله ليريكم من آياته إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور ».

وينتهى الأمر فى القرآن، بأن الله سبحانه وتعالى سخر الكون كله للإنسان.

يقول سبحانه :

« ألم تر أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض ؟ ».

ويقول سبحانه :

« أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج . والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب . ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد . والنخل باسقات لها طلع نضيد . رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج ».

ويقول تعالى :

« أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت : وإلى الجبال كيف نصبت : وإلى الأرض كيف سطحت » ؟

ومعنى هذا كله أن الله سبحانه وتعالى يوجه نظر الأمة الإسلامية إلى دراسة كتابه الكونى ، إنه سبحانه يوجه نظرها إلى البحث فى الآفاق على مختلف أوضاعها : إنه يوجه نظرها إلى البحث فى الأرض والسماء وما بين الأرض والسماء :

« سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد » ؟

من فضل العلم الدينى :

ومع ذلك فإنه إذا كنا قد تحدثنا للآن فى الأغلب الأعم ، عن العلم فى مجاله الكونى ، أى فى مجاله المادى المحسوس .

وإذا كانت الأحاديث السابقة فى فضل العلم على وجه العموم ، فإنه مما لا مرية فيه أن العلم الدينى خاصة قد وردت فيه أحاديث كثيرة أيضا .

وأن ما نذكره هنا وفيما سبق فى العلم على وجه العموم ، أو فى العلم الدينى خاصة لا يحيط بكل ما ورد فى فضل العلم وإنما نذكر غيضا من فيض :

عن ابن عباس رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :

(أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم وأهل الجهاد :

أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل ، وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم على ما جاءت به الرسل)(١) .

(١) رواه أبو نعيم ، والجو الإسلامى كله يؤيده .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

(ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده)[1]

وعن معاوية قال : قال رسول الله ﷺ :

(من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، وإنما أنا قاسم والله يعطي)[2] .

وعن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(نضر الله وجه عبد سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأداها ، فرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم : إخلاص العمل لله ، والنصيحة للمسلمين ، ولزوم جماعتهم ، فإن دعوتهم تحيط من وراءهم[3])

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد)[4] .

[١] رواه مسلم وأبو داود وغيرهما .
[٢] متفق عليه .
[٣] رواه الشافعي والبيهقي في المدخل .
[٤] ورواه الترمذي وابن ماجه .

وعن سفيان أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال لكعب : (من أرباب العلم ؟ قال : الذين يعملون بما يعلمون . قال : فما أخرج العلم من قلوب العلماء ؟ قال : الطمع)[1] .

ومن أبي هريرة قال : فيما أعلم عن رسول الله ﷺ قال :

(إن الله عز وجل يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)[2] .

من آداب العلماء :

ولقد حذر رسول الله ﷺ العلماء ، وأنذرهم ، وبين لهم آدابا من آداب العلم والعلماء كثيرة ، منها ما يلي :

عن عبدالله بن مسعود قال : (يا أيها الناس من علم شيئا فليقل به ، ومن لم يعلم فليقل : الله أعلم ، فإن من العلم أن تقول لما لا تعلم : الله أعلم ، قال الله تعالى لنبيه :

« قل ما أسألكم عليه من أجر ، وما أنا من المتكلفين » .

[١] رواه الدارمي .
[٢] رواه أبو داود .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(إن أناسا من أمتي سيتفقهون في الدين، ويقرءون القرآن : يقولون : نأتي الأمراء فنصيب من دنياهم ونعتزلهم بديننا . ولا يكون ذلك كما لا يجتنى من القتاد إلا الشوك، كذلك لا يجتنى من قربهم إلا ... قال محمد ابن الصباح : كأنه يعني الخطايا)(١) .

وقال عمر رضي الله عنه لأحد الصحابة :

(هل تعرف ما يهدم الإسلام ؟ قال : قلت: لا . قال: يهدمه زلة العالم، وجدال المنافق بالكتاب وحكم الأئمة المضلين)(٢)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

(من سئل عن علم علمه ثم كتمه ، ألجم يوم القيامة بلجام من نار)(٣) .

الصحابة والحث على العلم :

ولقد تابع المسلمون القرآن والحديث الشريف في الحث على العلم ، ونكتفي في هذا بما قاله سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه .

روى الإمام الغزالي في الإحياء قال : عن معاذ بن جبل رضي الله عنه - ورأيته مرفوعا - قال :

(تعلموا العلم ، فإن تعلمه لله خشية ، وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة ، لأنه معالم الحلال والحرام ومنار سبل أهل الجنة ، وهو الأنيس في الوحشة ، والصاحب في الغربة ، والمحدث في الخلوة ، والدليل على السراء والضراء ، والسلاح على الأعداء والزين عند الأخلاء ، ويرفع الله به أقواما فيجعلهم في الخير قادة تقتفى آثارهم ، ويقتدى بفعالهم ، وينتهى إلى رأيهم ، ترغب الملائكة في خلتهم ، وبأجنحتها تمسحهم ، ويستغفر لهم كل رطب ويابس ، وحيتان البحر وهوامه ، وسباع البر وأنعامه ، لأن العلم حياة القلوب من الجهل ، ومصابيح الأبصار من الظلم ، يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار والدرجات العلى في الدنيا والآخرة ، والتفكير فيه يعدل الصيام ، ومدارسته تعدل القيام ، به توصل الأرحام ، وبه يعرف الحلال من الحرام ، وهو إمام العمل ، والعمل تابع ، يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء) .

[١] رواه ابن ماجه.
[٢] رواه الدارمي .
[٣] رواه أحمد وأبو داود والترمذي .

الثمرة التي أدى إليها الحث على العلم :

وكانت نتيجة ذلك كله أن اندفع المسلمون إلى البحث في جميع ميادين الحياة، روحية كانت أو عقلية، أو مادية، ونشأت من ذلك الحضارة الإسلامية التي أنتجت أمثال جابر بن حيان في الكيمياء، وابن الهيثم في الطبيعيات، وأبي بكر الرازي في الطب، وابن سينا في الطب كذلك، والفلسفة، والغزالي في الجانب الروحي، وابن رشد في الفلسفة العقلية، وابن خلدون في الاجتماع والتاريخ، والخوارزمي في الجبر، وكثيرين غيرهم.

المكانة التي وصل إليها علماء الإسلام :

ونضرب الآن بعض الأمثلة على ما وصل إليه علماء الإسلام من مكانة مرموقة

الكندي :

يقول «دي بور» عن الكندي في دائرة المعارف الإسلامية :

إن كوردان ؛ وهو فيلسوف من فلاسفة النهضة : (رينياسانس) يعد الكندي واحدا من اثنى عشر، هم أنفذ الناس عقلا، وإنه كان في القرون الوسطى يعتبر واحدا من ثمانية، هم أئمة العلوم الفلكية .

والطريف في حياة الكندي أنه كان يجري الكثير من التجارب حتى تقوم معرفته - في الميدان التجريبي - على أساس سليم .

وأنه كان يعرف الموسيقى نظريا وعمليا : ويمزج الموسيقى بالطب في أمر العلاج .

ويحكى عنه في هذا الميدان حكاية طريفة، وسواء أصحت أم لم تصح، فإنها تدل على أساس من معرفة الكندي بالموسيقى وبالطب، ومن مزج بينهما .

روى صاحب كتاب : (أخبار الحكماء).

وقد ذكروا من عجيب ما يحكى عن يعقوب بن إسحاق الكندي، هذا : أنه كان في جواره رجل من كبار التجار، موسع عليه في تجارته، وكان له ابن قد كفاه أمر بيعه وشرائه وضبط دخله وخرجه.

وكان ذلك التاجر كثير الإزراء على «الكندي» والطعن عليه مدمنا لتكفيره والإغراء به ؛ فعرض لابنه سكتة فجأة، فورد عليه من ذلك ما أذهله وبقي لا يدرى ما الذي له في أيدي الناس وما لهم عليه . مع ما دخله من الجزع على ابنه فلم يدع بمدينة السلام طبيبا إلا ركب إليه واستركبه لينظر ابنه ويشير عليه من أمره بعلاج . فلم يجبه كثير من الأطباء - لكبر العلة وخطرها - إلى الحضور معه، ومن أجابه منهم فلم يجد عنده كبير غناء .

فقيل له : أنت فى جوار فيلسوف زمانه ، وأعلم الناس بعلاج هذه العلة فلو قصدته لوجدت عنده ما تحب .

فدعته الضرورة إلى أن يحمل على «الكندى» بأحد إخوانه : فتقبل عليه فى الحضور فأجاب وسار إلى منزل التاجر فلما رأى ابنه ، وأخذ بجسه ، أمر بأن يحضر إليه مع تلامذته فى علم «الموسيقى» ومن قد أتقن الحذق بضرب العود وعرف الطرائق المحزنة والمزعجة والمقوية للقلوب والنفوس فحضر منهم أربعة نفر فأمرهم أن يديموا الضرب عند رأسه وأن يأخذوا فى طريقة أوقفهم عليها ، وأراهم مواقع النغم بها من أصابعهم على «الدساتين» ونقلها .

فلم يزالوا يضربون فى تلك الطريقة و «الكندى» آخذ بجس الغلام وهو فى خلال ذلك يمتد نفسه ويقوى نبضه ، ويراجع إليه نفسه شيئا بعد الشىء إلى أن تحرك ، ثم جلس وتكلم ، وأولئك يضربون فى تلك الطريقة دائما لا يفترون .

فقال « الكندى » لأبيه : سل ابنك عن علم ما تحتاج إلى علمه ، مما لك وعليك وأثبته فجعل الرجل يسأله وهو يخبره ، ويكتب شيئا بعد الشىء .

فلما أتى على جميع ما يحتاج ، غفل الضاربون عن تلك الطريقة التى كانوا يضربونها وفتروا فعاد الصبى إلى الحال الأولى وغشيه السكات . فسأله أبوه أن يأمرهم بمعاودة ما كانوا يضربون به فقال :

هيهات . إنما كانت صبابة قد بقيت من حياته ، ولا يمكن فيها ما جرى ، ولا سبيل لى ولا لأحد من البشر إلى الزيادة فى مدة من قد انقطعت مدته . إذ قد استوفى العطية والقسم الذى قسم الله له .

ابن الهيثم :

لقد كان يتخير الأماكن التى يجرى فيها تجاربه فى الضوء ثم وضع كتابه عن تجربة ولقد كان كتابه مصدر الإلهام لكثير من علماء الغرب ، فى أبحاثهم عن الضوء والحـــرارة .

وعن ابن الهيثم يقول «سارتون»: إنه من أكبر الباحثين فى علم البصريات (الضوء) فى جميع الأزمان .

ابن النفيس :

إن الغرب يشيد بـ « هارفى » باعتباره مكتشف الدورة الدموية ، وينسى الغرب أو يتناسى ما قام به ابن النفيس من تجارب

ومن ملاحظات واختبارات ، وصل على أساس منها إلى اكتشاف الدورة الدموية قبل هارفي بعدة قرون ، لقد أثبت ابن النفيس أن الدم ليس مستقرا ثابتا فى الأوردة والشرايين ، بل هو سائل سائر يدور فى جميع أجزاء الجسم .

ابن يونس :

وابن يونس يخصص الكثير من وقته للنظر فى الساعات وتطويرها ، ويخترع بندول الساعة الذى نسميه (الرقاص) . يقول الدكتور عبد الحليم منتصر فى كتابه (العلوم عند العرب) :

ولقد رصد ابن يونس كسوف الشمس وخسوف القمر فى القاهرة سنة ٩٧٨ م وقد وصف فى زيجة الحاكمى الطريقة التى اتبعها فلكى العرب فى عصر المأمون فى قياس محيط الأرض .

وهو الذى اخترع « البندول » وبذلك يكون قد سبق «جاليليو» بعدة قرون، وكان يستعمل لحساب الفترات الزمنية أثناء الرصد كما استعمل فى الساعات الدقاقة ، وقد برع ابن يونس فى حساب المثلثات وأجاد فيها وفاقت بحوثه بحوث كثير من الرياضيين وقد حل مسائل صعبة فى المثلثات الكروية واستعان فى حلها بالمسقط العمودى للكرة السماوية على كل من للمستوى الأفقى ، ومستوى الزوال .

وابتدع قوانين ومعادلات كان لها قيمة كبرى قبل اكتشاف اللوغاريتمات .

البيرونى :

يقول عنه للمستشرق الألمانى الذى نشر بعض كتبه أنه أكبر عقلية ظهرت على مجرى التاريخ ، وكتبه عن عقائد الهند ، وعن المجتمع الهندى فى عصره تعتبر من للمصادر الأولى فى الدراسة عن الهند فى العصر الحاضر ، ولقد روى عن أبى الريحان البيرونى قصة واقعية تبين مدى حرصه على العلم :

روى ياقوت فى معجم الأدباء ، عن الفقيه على بن عيسى الولوالجى ، قال : (دخلت على أبى الريحان وهو يجود بنفسه قد حشرج نفسه ، وضاق به صدره فقال فى تلك الحال: كيف قلت لى يوما حساب الجدات الفاسدة (يعنى ميراث الجدات لأم) فقلت له إشفاقا عليه : أفى هذه الحالة ؟ قال لى : يا هذا ، أودع الدنيا وأنا عالم بهذه المسألة، ألا يكون خيرا من أن أخليها وأنا جاهل بها .

ولسنا هنا بصدد التأريخ لعلماء المسلمين ونكتفى بكلمة للدكتور عبد الحليم منتصر عن ابن الهيثم ، وعن البيرونى ، إنه يقول

فى كتابه النفيس « محاضرات فى العلوم عند العرب » :

يقول ابن الهيثم : إنه ما مدت له الحياة سيبذل جهده ، ويستفرغ قوته فى التأليف متوخيا أمورا ثلاثة : أولها — أن يجد الناس فى كتبه بعد موته الفائدة والعلم الذين يقدمهما لهم فى حياته .

وثانيها : أن يجعل من التأليف وتدبيج الرسائل ارتياضا لنفسه بهذه الأمور .

وثالثها : أن يدخر من تلك التأليف عدة للشيخوخة وأوان الهرم .

وعند ما أراد أحد العلماء أن يجرى عليه أموالا كثيرة ، قال ابن الهيثم يكفينى قوت يوم وتكفينى جارية وخادم فما زاد على قوت يومى إن أمسكته كنت خازنك وإن أنفقته كنت قهرمانك ووكيلك وإذا اشتغلت بهذين الأمرين، فمن الذى يشتغل بأمرى وعلمى ، فما قبل بعد ذلك إلا نفقة احتاج إليها ولباسا متوسطا .

وقد رد ابن الهيثم لأحد الأمراء ماكان قد دفعه أجر تعليمه قائلا :

خذ أموالك بأسرها فلا حاجة لى إليها وأنت أحوج إليها منى عند عودتك إلى ملكك ومسقط رأسك ، واعلم أن لا أجرة ولا رشوة ولا هدية فى إقامة الخير .

يقول «سارتون» عن ابن الهيثم : إنه أكبر عالم طبيعى مسلم ، ومن أكبر المشتغلين بعلم المناظر (الضوء) فى جميع الأزمان . فقد كان أساس الأخلاق عند ابن الهيثم إيثار الحق وطلب العلم ، ألسنا نجد فى خلق ابن الهيثم العالم العربى المصرى خلق العالم الفاضل ! ؟ ألسنا نرى أنه مثل يحتذى فى حياته ؟ وأنه لمثل يحتذى به عصره ، ومن بعده بنحو ألف من الأعوام[1] .

وكذلك تميز البيرونى بعقلية علمية نادرة المثال ، نستطيع أن نضعها فى مصاف أرقى العقليات العلمية فى الوقت الحاضر ، ومن عجب أن يتميز البيرونى فى فنون مختلفة غاية الاختلاف ، فهو فى الفلك فلكى ممتاز بشهادة علماء الفلك من الفرنجة والعرب ، وهو فى « الجيولوجيا » « جيولوجى » ممتاز بشهادة « الجيولوجيين » المعاصرين .

وهو فى التاريخ مؤرخ محقق مدقق واسع الاطلاع شامل المعرفة ، قادر على الاستقراء والاستنتاج وإنما استطاع أن يجمع بين هذه العلوم بما أوتى من قدرة

[١] محاضرات فى العلوم عند العرب للدكتور عبد الحليم منتصر ص ٨١

قائمة على البحث والدرس ، وما وهب من ذهن خارق جبار .

يروى أنه لما أتم البيرونى تأليف كتابه « القانون للمسعودى » حمله إلى السلطان الذى أراد أن يجزيه على هذا العمل العظيم ما يستحقه ، فوجه إليه ثلاث جمال تنوء بأحمالها من نقود الفضة ، فردها البيرونى قائلا :

إنه إنما يخدم العلم للعلم لا للمال[1] .

ويعد الأستاذ أحمد عبد الرحيم السائح بعض أعلام العلماء المسلمين فيقول :

والإسلام بدعوته إلى العلم هو الذى خرج رجال الحضارة ، وجهابذة العلم وأساتذة الدنيا وعمالقة العلماء أمثال :

ابن الهيثم ، والكندى ، والفارابى ، وابن سينا ، والبيرونى ، والفرغانى ، والطوسى والبغدادى ، والدينورى ، والرازى ، والقزوينى ، والأنطاكى ، والزهراوى ، والخوارزمى ، والصرفى ، وجابر ، والجاحظ وابن البيطار ، وابن النفيس ، وابن حيان وابن حمزة ، والإدريسى ، والمسعودى ، وابن بطوطه ، وابن زهرة[2] . هؤلاء الأعلام وكثير غيرهم فى كل فن ، هم ثمرة هذه الدعوة الاسلامية التى بلغت فى الإشادة بالعلم الذروة .

أسطورة التعارض بين الإسلام والعلم :

إن مسألة الصلة بين الدين والعلم - انسجاما واتفاقا ، أو تعارضا ونزاعا - تثار من آن لآخر على صفحات الجرائد ، وفى ثنايا الكتب ، وبين المفكرين فى أنديتهم .

ولقد كتب الغربيون كثيرا فى هذا الصدد ، بل هم أول من كتب فيه ، ولكن هذه المسألة تجاوزت الغرب إلى الشرق وكتب مفكرو الشرق فيها ، واختلفوا فيما بينهم كما اختلف مفكرو الغرب . وإن ما كتبه العلامة الفرنسى : « اميل بوترو » بهذا الصدد يعطينا صورة عن هذه المسألة فى الغرب وفى الشرق الحديث ، إنه يقول :

« إن أمر العلاقات بين الدين والعلم ، حين يراقب فى ثنايا التاريخ ، يثير أشد العجب ، فإنه على الرغم من تصالح الدين والعلم مرة بعد مرة ، وعلى الرغم من جهود أعاظم المفكرين التى بذلوها ملحين فى حل هذا المشكل حلا عقليا لم يبرح العلم والدين قائمين على قدم الكفاح ، ولم ينقطع بينهما

---

[١] المصدر السابق ص ٨٢ .

[٢] مجلة الرسالة الإسلامية التى يصدرها ديوان الأوقاف بالعراق.

صراع، يريد به كل منهما أن يدمر صاحبه، لا أن يغلبه فحسب ».

على أن هذين النظامين لا يزالان قائمين، ولم يكن مجديا، أن تحاول العقائد الدينية تسخير العلم، فقد تحرر العلم من هذا الرق، وكأنما انعكست الآية منذ ذاك.

وأخذ العلم ينذر بفناء الأديان، ولكن الأديان ظلت راسخة، وشهد بما فيها من قوة الحياة عنف الصراع [1] ا هـ.

ويسترسل المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق فيقول:

ولسنا نريد أن نعرض لتاريخ العلاقات بين الدين والعلم على مر العصور، وما تناوبها من سلام وحرب، فإن ذلك بحث طويل، وليس هو مما قصدنا إليه في هذا الكتاب، على أنه قد يكون غير خلو من المناسبة لغرضنا أن نذكر ما كتبه أميل بوترو عن موقف العلم والدين في أيامنا هذه إذ يقول:

(ليس التصادم الآن فيما يظهر بين الدين والعلم باعتبارهما مذهبين، بل التصادم أدنى أن يكون بين الروح العلمي والروح الديني، فليس يعني العالم أن يكون ما جاء في الدين من عقائد متفقا مع نتائج العلم، لأن الأساس الذي يعتمد عليه الدين فيما يجيء به يختلف عن الأساس الذي يعتمد عليه العلم، فالدين يقدم مسائله على أنها عقائد يجب الإيمان بها، أي يجب أن يتقيد بها العقل والوجدان، ويعرضها في صورة تدل على اتصال الإنسان بنوع من الأشياء يعجز علمنا الطبيعي عن إدراكه، وفي ذلك ما يجعل العالم — إن لم يرفض هذه المسائل نفسها — يرفض الأسلوب الذي يسلكه المتدين في الأخذ بها.

والمتدين من ناحيته إذا وجد جميع عقائده وعواطفه وأحكامه العملية مفسرة، بل مثبتة بالعلم يكون حينئذ أبعد شيء عن مسالمة العلم، فإن هذه الشئون إذا شرحت على هذا الوجه فقدت كل خواصها الدينية) ا هـ.

والواقع أن كلام أميل بوترو الذي ترجمه الشيخ مصطفى عبد الرازق، يتحدث عن الجو الأوربي المسيحي، وعن البيئة الأوربية المسيحية، ومن الخطأ أن ننقل ذلك النزاع إلى البيئة الإسلامية.

(١) الدين والوحي والإسلام للمرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق.

أما كونه يصور البيئة الأوروبية المسيحية ، فإن ذلك واضح لكل من درس تاريخ أوربا المسيحى ، فى موضوع العلاقة بين الدين والعلم .

إن الكنيسة فى فترة من فترات حياتها تبنت آراء « أرسطو » لقد تبنتها فى الطبيعة وتبنتها فيما بعد الطبيعة ، وما كانت آراء « أرسطو » فى يوم من الأيام دينا . وكان للكنيسة فضلا عن ذلك آراء آمنت بها ، تتعلق بالعالم الطبيعى لا أساس لها من الحق ، ولا تستند إلى علم يقينى — ولا تمت إلى الدين المسيحى بصلة — وإنما هى شائعات اتخذت طريقها إلى العقائد ، وما كانت إلا أساطير .

وحينما بدأت النهضة ، وحينما بدأ تطبيق المنهج الاستقرائى : منهج التجربة والملاحظة ، تبين العلماء من خلال المراصد والمعامل ، ومن نتائج التجارب والملاحظات ، أن آراء أرسطو فى الطبيعة لا تخلو من خطأ ، وأخذوا يعلنون هذه الأخطاء المرة بعد المرة .

وكانت الكنيسة حينئذ مسيطرة على أوروبا وكانت محاكم التفتيش قائمة على قدم وساق ، تنكل بكل منحرف عن تيار الكنيسة .

وبدأ إذن التنكيل بالعلماء ، يأخذ مجراه ، فى صورة قاسية بشعة ، لا تعرف الرحمة ولا الإنسانية .

ولكن العلماء لم يثنهم ذلك عن البحث والدراسة ، وإعلان النتائج والإسفار عن الحقائق . فلما رأت الكنيسة ذلك زاد غيظها وزادت حدتها ، وكان لها فى كل يوم فريسة ، وكان للعلم فى كل يوم شهيد ، وكثر شهداء العلم كثرة جعلت الناس يعتقدون أن بين الدين المسيحى والعلم تعارضا وتضاربا واختلافا .

والواقع أنه كان بين المذاهب كما تراه الكنيسة ، والعلم ، تعارض وتضارب واختلاف ولكنك لا يمكنك أن تسمى المذهب الذى كانت تراه الكنيسة إذ ذاك دينا ، وإذن فإنه ما كان يمكن أن تقوم فكرة التعارض بين الدين والعلم ، لو التزمت الكنيسة الدين المسيحى ، كما جاء به السيد المسيح عليه السلام . هذا من جانب ، أما من الجانب الآخر ، فإنه إذا كانت فكرة التعارض بين الدين والعلم نشأت فى أوربا للأسباب التى ذكرناها ، فإنه ما كان يجب أن تنقل إلى الشرق وتناقش فى الأجواء الإسلامية ، فإن

الإسلام نشأ كما رأينا حليفاً للعلم ، حاثا عليه ، موجبا له ، مشيداً به إلى درجة لا يدانيه فيها غيره .

ومع ذلك : فإن الأمر العام الذى نريد أن ننبه عليه ، هو أن مسألة التعارض بين الدين والعلم إنما هى مسألة وهمية إذا نظرنا إلى حقيقة الأمر .

ذلك أن العلم وممثليه الحقيقيين : يعترفون فى صراحة ، لا لبس فيها ، وفى وضوح لا خفاء فيه : بأن دائرة أبحاثهم : إنما هى المادة ، وإنما هى الحس ، وأنهم يعتمدون فى ذلك على التجربة ، وعلى الملاحظة ، إنهم يعتمدون على الاستقراء على وجه العموم ، وليس الاستقراء إلا تتبع جزئيات محسة ، تتبعها بالملاحظة أو بإجراء التجارب عليها .

والمنهج العلمى إذن إنما هو منهج لمعرفة كيفيات المادة ، وإذا ما خرج الأمر عن دائرة المادة فقد خرج عن دائرة العلم .

وعلى هذا الأساس : فليس للعلم مطلقا دخل فى أمور الدين : إثباتا وإقراراً أو نفيا وإنكاراً ، وإذا ما قال قائل : إن العلم يثبت كذا من الأمور الروحية ، فإنه يكفينا منه هذه الكلمة ، لنسحب ثقتنا به كاملة ، وإذا ما قال :

إن العلم ينكر كذا من الأمور الروحية ، فإن هذه الكلمة تكفى أيضاً لنسحب ثقتنا به كاملة : إذ أن العلم فى المجال الروحى : لا يثبت ولا ينفى ، وهذا واضح مما سبق أن ذكرناه .

ومع ذلك فقد يتيح العلم بأبحاثه فى ارتباط الكون وتنسيقه وإبداعه ، والتناغم الذى يسوده ، والحقائق الباهرة التى يبينها (علم التشريح) مثلا فى التركيب الحيوانى .. قد يتيح العلم من كل ذلك لعلماء الدين وسائل يبنون عليها تذكيرهم ، وعظاتهم وبيانهم القائم على أن العالم لم يكن نتيجة الصدفة العمياء ، أو الاتفاق الأعمى ؛ ويبينون من نتائج العلم ، أن الآيات فى مجال المادة نفسها : تشهد أنها من صنع الله الذى أتقن كل شىء .

« سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد » .

إن دائرة الدين لا تتحد مع دائرة العلم ، فلا يتأتى أن يكون بينهما تعارض . إن العلم لا يبحث فى العقائد من حيث هى وحى ، ولا فى الخير والشر باعتبارها حقائق

أخلاقية، ولا فى التشريع من حيث ما يجب على الأمة أن تسن من قوانين، وهذه كلها هى المجالات التى يعلن الدين وحى السماء فيها، واجبات وفروضاً، أو مباحات وجائزات، أو محرمات ممنوعات، وإنه لتقليد بمحاولات أن تنقل الفكرة التى نشأت فى التعارض بين الدين والعلم، من بيئتها الجزئية، ومن ظروفها الخاصة، إلى مجال الدين عامة، أو مجال الدين أينما كان، وفى أى زمان وجد، وإنه لمن التهريج الواضح، وسوء النية المبيتة، أن تنقل الفكرة من جو المسيحية إلى جو الإسلام الذى كانت أول كلمة فى وحيه (اقرأ) والذى يصل بالعلماء إلى أن يشهدهم التوحيد مع الله ومع الملائكة.

المناهج العلمية بين الإسلام والحضارة الحديثة:

ولا ريب فى أن الحضارة الحديثة بدأت فى قوة جارفة، بمنهجين فى العلم يختلفان ويتعارضان ويتنازعان:

أحدهما: المنهج الحسى التجريبى، أو المنهج البيكونى.

والثانى: المنهج العقلى البدهى، أو المنهج الديكارتى، أو المنهج الحدسى حينما نفسر الحدسى، كما فسره المناطقة بأنه انتقال الذهن إلى المطلوب بسرعة، وكل من المنهجين نشأ معارضا، لمنهج القياس الأرسطى:

وكل منهما يرى أن القياس الأرسطى إنما يعنى بالصورة والشكل، ولا شأن له بالواقع والتطبيق، ومن أجل ذلك سمى بالمنطق الصورى: أى منطق الصورة لا الجوهر.

والمنهج البيكونى هو منهج علمى.

أما المنهج الديكارتى فإنه منهج فلسفى، والمنهج التجريبى: هو المنهج الذى قامت عليه الحضارة الحديثة، ومن أجل ذلك سنقصر حديثنا عليه.

إنه منهج الاستقراء: أى تتبع الجزئيات عن طريق التجربة فيما يمكن أن يخضع للتجربة، ومن طريق الملاحظة فيما لا يتأتى أن يخضع للتجربة، للوصول إلى الحكم عليها فى صورة من صورها، حكما كلياً، أو — بعبارة أخرى — الوصول إلى اكتشاف القوانين العامة، أو للوصول إلى معرفة نواميس الكون.

ومجال الاستقراء: إنما هو الطبيعة لأنه ملاحظة جزئيات فى عالم الطبيعة، وأداته الحس، فهو ملاحظة محسوسات. وعلى

أساس من هذا المنهج قامت الحضارة الأوربية الحديثة بكل ما فيها من صناعة فى الطبيعة ومن اكتشافات فى الكيمياء، ومن قوانين فلكية، ومن اختراعات فى جميع المجالات المادية والحسية، وعلى أساس من هذا المنهج أيضا، ستتطور هذه الحضارة وترقى وتتسع كما وكيفا إلى ما شاء الله.

وهذا المنهج فى المشهور المتعارف يدين فى وجوده إلى «فرنسيس بيكون» ولكنه عند الدارسين لتاريخ الفكر الأوربى، يدين «لروجر بيكون» أكثر مما يدين لغيره والملاحظون الدارسون للعلوم يرون أن روجر بيكون، كان أدق وأعمق فى بيان المنهج وفى تطبيقه، بيد أن روجر بيكون - على خلاف كثير من مواطنيه - يعترف فى صراحة لا لبس فيها، وفى وضوح لا شائبة فيه، أنه مدين فى منهجه للعرب وللحضارة العربية.

وهذه الحقيقة التى حاول الغربيون جاهدين، أن ينكروها ويخفوها فيما مضى يعلنها الآن بعض المنصفين منهم: فها هو ذا الأستاذ (بريفولت) يتحدث فى كتابه (بناء الإنسانية) عن أصول الحضارة الغربية فيقول:

إن روجر بيكون درس اللغة العربية، والعلوم العربية فى مدرسة اكسفورد على خلفاء معلميه فى الأندلس:

وليس لروجر بيكون، ولا لسميه الذى جاء بعده، الحق فى أن ينسب إليهما الفضل فى ابتكار المنهج التجريبى، فلم يكن روجر بيكون إلا رسولا من رسل العلم والمنهج الإسلاميين إلى أوربا المسيحية، وهو لم يمل قط من التصريح: بأن تعلم معاصريه اللغة العربية، وعلوم العرب. هو الطريق الوحيد للمعرفة الحقة. والمناقشات التى دارت حول واضعى المنهج التجريبى هى طرف من التحريف الهائل لأصول الحضارة الأوربية.

وقد كان منهج العرب التجريبى فى عصر بيكون قد انتشر انتشارا واسعا وانكب الناس فى لهف على تحصيله فى ربوع أوربا.

ويقول (بريفولت) أيضا:

لقد كان العلم أهم ما جادت به الحضارة العربية على العالم الحديث: ولكن ثماره كانت بطيئة النضج. إن العبقرية التى ولدتها ثقافة العرب فى أسبانيا لم تنهض فى عنفوانها إلا بعد مضى وقت طويل على اختفاء تلك الحضارة وراء سحب الظلام.

ولم يكن العلم وحده هو الذى أعاد إلى أوربا الحياة بل إن مؤثرات أخرى كثيرة من مؤثرات الحضارة الإسلامية بعثت باكورة أشعتها إلى الحياة الأوربية .

ويقول بريفولت أيضاً :

إن ما يدين به علمنا لعلم العرب ، ليس فيما قدموه إلينا من كشوف مدهشة لنظريات مبتكرة ، بل يدين هذا العلم إلى الثقافة العربية ، بأكثر من هذا إنه يدين لها بوجوده نفسه ، فالعالم القديم ، كما رأينا ، لم يكن للعلم فيه وجود .

وعلم النجوم عند اليونان ، ورياضياتهم كانت علوما أجنبية استجلبوها من خارج بلادهم وأخذوها عن سواهم ، ولم تتأقلم فى يوم من الأيام ، فتمتزج امتزاجا كليا بالثقافة اليونانية وقد نظم اليونان المذاهب وعمموا الأحكام ، ووضعوا النظريات ، ولكن أساليب البحث فى دأب وأناة ، وجمع المعلومات الإيجابية وتركيزها ، والمناهج التفصيلية للعلم ، والملاحظة الدقيقة المستمرة والبحث التجريبى ، كل ذلك كان غريبا تماما عن المزاج اليونانى ، ولم يقارب البحث العلمى نشأته فى العالم القديم إلا فى الإسكندرية فى عهدها . أما ما ندعوه العلم ، فقد ظهر فى أوربا نتيجة لروح من البحث جديدة ، ولطرق من الاستقصاء مستحدثة لطرق التجربة ، والملاحظة ، والمقاييس ، ولتطور الرياضيات إلى صورة لم يعرفها اليونان ، وهذه الروح وتلك المناهج العلمية ، أدخلها العرب إلى العالم الأوربى » :

ويقول الدكتور إقبال ما نصه :

« ومن أين استقى روجر بيكون ما حصله فى العلوم من الجامعات الإسلامية فى الأندلس والقسم الخامس من كتابه (Lepus majus) الذى خصصه للبحث فى البصريات : هو فى حقيقة الأمر : نسخة من كتاب المناظر لابن الهيثم ، وكتاب بيكون فى جملته ، شاهد ناطق على تأثره بابن حزم .

هذه الحقائق التى قدمناها عن حضارة العرب : منهجا وعلما : أصبحت من الذيوع والشهرة لدى المنصفين : بحيث لا تحتاج إلى التوسع فى الاستدلال عليها .

أخذت أوربا المنهج العلمى المادى من الإسلام باعتراف واضع هذا المنهج نفسه وباعتراف المنصفين من المؤرخين ، وليس بعد اعتراف واضع المنهج نفسه مقال لقائل ومع ذلك : فإن للمنهج الإسلامى أكمل وأتم

وأشمل، وقد أخذته أوربا ناقصا .

إن المنهج التجريبي يقف عند الطبيعة، وهو منهج إسلامي، ولكنه ليس بالمنهج الإسلامي الكامل . فالمسلم لا ينتهي إلى الطبيعة كغاية، ولا يقتصر عليها كهدف وإنما غايته وهدفه هو ماعبر عنه سبحانه بقوله :

« وأن إلى ربك المنتهى » .

وإذا اقتصرت أوربا على العلم المادي، فإن الإسلام : لا يقف عند ذلك وإنما يوجه الإنسانية إلى مصدر آخر للعلم والمعرفة هو القلب، أو هو الروح أو هو البصيرة

إن الإسلام يوجه الإنسانية إلى المعرفة الإشراقية، أو الكشفية، أو الإلهامية ويجمع الإسلام الاتجاه العلمي الحديث إلى الاتجاه البصيري في قوله :

« إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » .

فالسمع والبصر هما أساس العلم المادي: علم التجربة والملاحظة، أما القلب فإنه أساس العلم الإلهامي .

إن الله سبحانه وتعالى، يوجه المسلم إلى الملاحظة والتجربة، ويوجهه أيضا إلى الاستشراف للهداية والنور القلبي عن طريق الخلق الكريم، والتقوى، والإخلاص وحب الإنسانية والمعاونة في الخير .

وإذا كان الإسلام : أوسع نظرة في الجانب العلمي عن الحضارة الحديثة وأدق وأشمل فإنه يختلف معها اختلافا جذريا حاسما في مسألة الإرادات والنوايا وفي أمر الأسباب والبواعث، وفي اتجاه الغايات والأهداف .

إن الحضارة الحديثة تقول : العلم لا صلة له بالأخلاق، أو تقول : العلم لا أخلاق، والعلم في نظرها لا شأن له بالخير والشر .

ولكن الإسلام يجعل أسس العلم متصلة بالخير، ويجعل غاياته منغمسة في الخير ويجعل من العلم قربى إلى الله، ويجعل منه عبادة لله، إنه سبحانه يجعله باسمه الكريم، إن العلم في الجو الإسلامي قراءة باسم الله .

والآن نحب بتوفيق الله تعالى أن نذكر نتائج بحثنا في كلمات موجزة :

١ — العلم في الإسلام شطر الغاية التي من أجلها نزلت الرسالة وذلك أن مهمة الرسول ﷺ، كما حددها القرآن : التعليم، والتزكية : « يعلمهم الكتاب، والحكمة، ويزكيهم » .

انحرافات المذاهب

للأستاذ أبو الوفا المراغى

من ظواهر الفكر البشرى الحركة والتجديد. والتاريخ على امتداده فى الماضى الطويل مرآة لهذه الظاهرة. وبحركة الفكر وتجديده، نمت الحضارة وتطورت إلى صورتها الراهنة وستنمو وتتطور أيضا إلى صور لا يمكن تحديدها ولا حصرها.

والفكر البشرى قد يستحكم نضجه. ويستقيم أمره فتأتى ثماره خيرة صالحة تفيد منها الجماعات والأمم وتهتدى بأنوارها فى ظلمات حياتها وتتخذمنها أسسا لحاضرها ومستقبلها فى حضارتها وعمرانها وبمقدار ما تفيد منها الجماعات يكتب لها البقاء والخلود ويستحق أصحابها الثناء والتقدير.

وقد ينحرف الفكر البشرى عن منهج الصواب فتأتى ثماره فجة مرة وتترك آثارها السيئة فى عقائد الجماعات وسلوكها وتضطرب

---

٢ — نشأ الإسلام حليفا للعلم منذ أن ابتدأ الوحى بقوله تعالى: «اقرأ».

٣ — الإشادة بالعلم فى القرآن والسنة لا يماثلها فى سموها وجلالها، إشادة فى الآداب العالمية.

٤ — العلم الذى يدعو إليه القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، هو العلم بكل نافع فى مجال الكون، وفى مجال ما وراء الكون، فى مجال العقائد، وفى مجال الأخلاق، وفى مجال الطبيعة.

٥ — المنهج العلمى الأوربى الحديث، منهج أخذته أوربا عن الإسلام باعتراف الواضع الحقيقى للمنهج وهو (روجر بيكون).

٦ — لا تعارض بين الدين والعلم، لأن دائرة الدين: الإيمان، ودائرة العلم المادة، وأن الأمل الكبير فى أن تستجيب الأمم الإسلامية لدعوة الله ورسوله، فتجعل من العلم أساسا لنهضتها ومعاراً لها فى قيامها برسالتها.

والله الموفق الميسر، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن اتبع هديه إلى يوم الدين؟

د. عبد الحليم محمود

لها شئونها إلى أن تسفر التجربة عن زيفها وخطئها فتموت وتندثر مشيعة باللعنات عليها وعلى من ابتدعها .

والتاريخ سجل حافل بالأفكار والمذاهب البناءة الصالحة ، وبالأفكار والمذاهب المقوضة الهدامة ، والأفكار والمذاهب كالأمواج يدفع بعضها بعضا ويقضى بعضها على بعض .

وقد امتاز هذا العصر بكثرة الأفكار والمذاهب فى شتى نواحى الحياة يتلو بعضها بعضا ، وينسخ بعضها بعضا ، وطابع أكثرها الشذوذ والغرابة لا تبالى التقليد الرشيد ، ولا تعنى لصلات الماضى الحميد . وبالشذوذ والغرابة تأخـــذ طريقها إلى الذيوع والانتشار .

ومن المذاهب الاجتماعية ذات الطابع الشاذ الغريب مذهب الهيبز الذى ابتدعه جماعة من شباب أمريكا واتخذوا له هذه الشعارات الغريبة : إرسال الشعور والتقذر والتعطل والانعزال عن تيار الحياة الجادة والاختلاط الجنسى البغيض ، والعكوف على المكيفات والمخـــدرات ، وما إلى ذلك .

وإذا كان للمذاهب والدعوات أهداف ومقاصد مفهومة وتشتمل على خير للجماعة البشرية ولو فى نظر أصحابها، فإن ذلك المذهب قد خلا من كل غرض وهدف ، وحاطه الإبهام والغموض من كل جانب . وقد حاول جماعة من الكتاب أن يلتمسوا لهذا المذهب غرضا ليجعلوا منه مـذهبا جادا يسلك فى نظام المذاهب الجادة المعقـولة ، ففسر بعضهم الهدف منه بأنه احتجاج سلبى على ما جنته الحضارة الحديثة على البشرية من فزع وقلق وتنازع وتصارع أفضى بالعالم إلى الافتنان فى وسائل التدمير والتخريب وإلى أن يعيش فى جو قاتم تظلله سحب التهـديد والإرهاب فـلا يهنأ له عيش ولا تطيب له حياة .

وحاول بعضهم أن يفسر الهـدف منه بأنه احتجاج على مغامرات بعض الدول فى حروب استعمارية استغلالية تذهب بزهرة الشباب فى آفاق مترامية عن حدودها دون مبرر مقنع كما حاول تفسير تلك الشعارات بمعان ورموز أبعد ما تـكون فى نظرنا عن أذهان القائمين بها والحاملين لها ، وحاول أيضا أن يربط بالمشابهة والمقارنة بين هـذه الدعوة والدعوات التـاريخية

للمعروفة كدعوات الصوفية ورموز الصوفية .

والواقع أن هذه التفسيرات المختلفة عبث فى عبث كعبث هذه الدعوة نفسها ، والاشتغال بتفسيرها جهد ضائع وعناء لا طائل تحته ، لأن الدعوات التى تستحق أن تخص بالعناية والتحليل هى الدعوات المفيدة ذات المقاصد الواضحة والأهداف الصريحة والتى لا يجبن أصحابها عن الإفصاح عنها واتخاذ الوسائل الفعالة لتنفيذها وتحمل مسئولياتها وتضحياتها التى تصل أحيانا إلى بذل المهج والأرواح ، ولا تقوم تلك الدعوات إلا على كواهل المفكرين الذين أهلهم العلم والتجربة للخلق والابتكار وابتداع الرسالات النافعة .

أما دعوة الهيبز وأمثالها . فإن من البله وامتهان العقول أن تسمى دعوات وإنما هى هوس صبيانى ولوثات عقلية وانحرافات خلقية ، أصحابها مرضى العقول والأجسام وهم أحوج ما يكونون إلى العلاج النفسى والجسمى ، والشباب أحوج ما يكون إلى الوقاية منهم حتى لا تسرى عدوى أولئك إليهم ، ومعاذ الشباب أن يكون قادتهم القائمون بها ذوى كفايات ومواهب ذهنية وخلقية وجسدية وذوى وسائل إيجابية فعالة يتسلحون بها لمقاصدهم لتجتذب إليهم الأنصار والأعوان حتى يبلغوا الأهداف والمقاصد ، وما عهدنا المؤنثين والمخمورين والانعزاليين والمبلين ان يكونوا أصحاب رسالات سامية وأغراض شريفة وما كانت السلبية والتقذر والانحلال وسائل إلى تحقيق فكرة وإنجاح دعوة ، إن محاولة تفسير تلك الظاهرة تقدير لها وإغراء بها وينبغى أن يتنزه الكتاب عنه حتى لا يفتن الأغرار من الشباب بتلك التفسيرات ويتمسكوا بها ويكون لهم منها عذر وسند بل ينبغى أن يكون الحديث عنها حديثا عن الأمراض الخلقية والاجتماعية التى توجب الحذر منها والوقاية من أخطارها ، ويكفى أن تكون هذه الظاهرة مثار السخط والاستنكار فى منبتها وبيئتها وإذ ينظر إليها العقلاء كمشكلة من مشاكل الشباب التى يجب أن يطب لها ويفكر وقدوتهم السكارى والمنحلين والمؤنثين . إن عهدنا بالدعوات الجادة أن يكون الباعث عليها غرضا واضحا شريفا . وأن يكون

(بقية المنشور على صفحة ٣٢٨)

دراسات قرآنية :

الإيمانُ والصّبرُ أمامَ الحربِ النفسيّة

للأستاذ مصطفى الطير

« الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء » من سورة آل عمران

لا شك في أن النفس أعظم الآثار في حياة الإنسان ، وأنه يصح بصحتها ويمرض بمرضها ، ويسعد بصفائها وقوتها ويشقى بنكوصها وضعفها ، ويسر بإشراقها وصفائها ويحزن بقتامها وغيرتها .

والنفس هي الروح عند معظم علماء التوحيد ، وهي اللطيفة الربانية التي إن وجدت في الجسد أدى وظيفته في الحياة ، وإن تخلت عنه أدركه الموت والفناء .

ولقد أجهد المفكرون أنفسهم في تعرف حقيقة النفس أي الروح فباءوا بالفشل ووقفوا عند مجاهيلها مستسلمين ، وقد حسم القرآن الكريم الأمر فيها بقوله : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » وهم وإن لم يعرفوا حقيقتها وكنهها ، يعرفون بعض وظائفها مما يرونه من آثارها ، وذلك من العلم القليل الذي آتاه الله عباده .

ومن أهم وظائفها أنها تعطي الإنسان طاقات وقدرات يدافع بها عن نفسه وأسرته وأمته ، فإذا كانت عالية الهمة معافاة من العلل فإنها تدفع المرء إلى الاستهانة بالخطوب واسترخاص التضحيات ، وتجعله أخطر من كل سلاح وأقوى من كل قذيفة ، إنه حينئذ يدك المعاقل ويقتحم الحصون ويبيد الأعداء في صبر وجلد وبغير فتور أو ملل ، إنه ينسى ذاته وأهله ويذكر قومه ووطنه فينفق طاقاته الروحية بغير تحفظ ويتساوى عنده أن يعيش عزيزاً أو يموت كريما ، والرقي بالنفس إلى هذا الحد لا يتم إلا بالإيمان بالله والثقة بوعده المؤمنين بالنصر ، والإيمان بما أعده الله للشهداء من النعيم المقيم .

وهذا النوع من بنى الإنسان هو الذى يرهبه الأعداء ويخشونه أشد من خشيتهم الحديد والنار ، فما قيمة الحديد والنار بدون محارب جبار ، وصدق الله تعالى إذ يقول : « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون »

فإذا اعتلت النفس لأى سبب من الأسباب المخالفة لما تقدم، هبطت بالمستوى الإنسانى إلى الحضيض، وعرضته للفشل أمام الأعداء ومكنت منه شتى الأمراض والعلل ، فالإنسان بنفسه وروحه لا بجسمه وهيكله .

والمعركة مع الأعداء تفتقر إلى سلامة النفس وقوتها فى الجهتين: الداخلية والميدانية فالجهتان يجب أن يكونا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، فإذا كانت إحداهما ضعيفة أثرت على الأخرى وسببت لها الضعف والهوان ، والهزيمة والخذلان ، وتلك قضية معروفة ومسلمة منذ عرف الإنسان الحروب .

والعدو الذكى يحسن استعمال الحرب النفسية لأنها تضعف خصمه بما تبعثه فيه من الرعب والفزع حتى يندفع إلى الاستسلام السريع ، رغبة فى تقليل خسائره ، وحرصا على السلامة والأمن ، فينتفع حينئذ بالنصر السريع ويجتنى ثمراته من السيطرة على الأمة المهزومة واستنزاف خيراتها وإذلال أهلها ، وتعويض خسائره من مواردها وإراحة جنوده من متاعبهم وإيقاف خسائرهم .

وذلك أمر تشهد به وقائع التاريخ ويقره علم النفس .

وإذا كان الأمر كذلك فإنه يجب على الأمة المعتدى عليها أن تصمد أمام الحرب النفسية والميدانية من عدوها ، فلا تترك له فرصة يمترح فيها ، ولا تعطيه أملا فى التغلب عليها ، ولا تدعه يظن فيها الميل إلى السلام الذليل ، وذلك بفناء كل فرد فى واجبه نحو وطنه ، يستوى فى ذلك الفلاح فى مزرعته ، والعامل فى مصنعه ، والطالب فى مدرسته أو جامعته ، والأستاذ فى تثقيفه والموظف فى وظيفته ، والرجل والمرأة فى أسرتهما ، والجندى والضابط فى ميدانهما والقائد فى خططه وتوجيهه لجنوده وتعميق إرادة الانتصار العزيز أو الاستشهاد الشريف فيهم .

وأن يتعاون الجميع فى هزيمة العدو وانتزاع الانتصار من غمار المعارك الصادقة

بيننا وبينه ، فلا خير فى سلام يبنى على الذل ، ولا لذة فى حياة يتحكم فيها عدو لدود.

ولا ريب فى أن الثبات والصمود يستعقبان النصر دائماً ، فإن العدو مهما كان قويا فهو ضعيف بباطله ، والمعتدى عليه ولو كان ضعيفاً فهو قوى بحقه ، وصدق الله إذ يقول حاثا على الصبر والمرابطة للعدو ورجاء الفلاح : « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » والتاريخ ملىء بالوقائع الدالة على أن الصبر والإخلاص والصدق فى اللقاء كثيراً ما حول المهزوم منتصرا والمنتصر مهزوما .

انتصار الألمان ثم هزيمتهم :

وأقرب مثل لذلك أن الألمان فى الحرب العالمية الأولى انتصروا على الدول العظمى والصغرى ، ووصلوا فى انتصاراتهم إلى ستالينجراد فى آسيا وإلى العلمين فى أفريقيا ولكن المهزومين لم ييئسوا بل صمدوا وصبروا طويلا حتى حولوا فى النهاية هزائمهم إلى نصر ، وحولوا نصر الألمان إلى هزيمة ، وصدق الحكيم إذ يقول : على الباغى تدور الدوائر .

إسرائيل فى الأرض العربية :

ولقد ابتليت الأمة العربية بعدو غريب أقامه الاستعمار بينهم ، واقتطع له من الوطن العربى أرضا عزيزة على المسلمين فى فلسطين ، وأنشأ له فيها دولة سميت إسرائيل ، وأمدها بالسلاح والخبرة ، وبالرجال والمال ، وأسبغ عليها التأييد ، وتركها تعيث فى أرضنا فسادا ؛ وتفرغ فى العرب حقدها الدفين ؛ وتوسع رقعتها التى اغتصبتها من أرضنا على حساب تاريخنا وكرامتنا وعزتنا القومية ؛ وأصم أولئك المستعمرون أسماعهم عن سماع صرخات اللاجئين ؛ وأماتوا مشاعرهم فلم تحس بآلام المشردين .

والغرض الأساسى من خلق هذه الدولة بيننا أن تكون شوكة فى ظهورنا وغصة فى حلوقنا وسبباً للفرقة بيننا ومعولا يحطم استقلالنا ؛ ومبضعاً تنزف منه دماؤنا ؛ وفتنة تقضى على أموالنا وقدراتنا ؛ أو نستسلم لقبضة المستعمرين فيحتكروا مواردنا ليكفوا عنا كلبهم المقور الذى سلطوه علينا.

وقد أفسحوا لهذه الدولة فى أطماعها وتركوا لها الحبل على الغارب ، وصنعوا

لها أسباب النصر على العرب سنة ١٩٦٧ ، فاقتطعت من الأردن الضفة الغربية ومن سوريا مرتفعات الجولان ، ومن فلسطين غزة ، ومن الجمهورية العربية المتحدة سيناء ، وأصبح لديها من الأرض المغتصبة أضعاف رقعتها ولا تزال تمد أطماعها إلى ما يرويه النيل والفرات من أرضنا، والحرب بيننا وبينهم شديدة الأوار بالغة الاستعار لتفرض علينا الاستسلام الذليل .

ولا تقتصر فى حربها لنا على ميدان المواجهة ، بل تحاربنا محليا وعالميا بأجهزة الإعلام المختلفة إضعافا لنفوسنا وتعزيزا وانتصارا لدعاواها ، كما تحاربنا بالغارات الجوية فى الأعماق لتحطيم وحدتنا وتفريق جمعنا وإضعاف ثقتنا فى دفاعنا وقوادنا وجيشنا ، وأنى لها أن تصل إلى ما تريد من ركوعنا واستسلامنا وقد خيبنا ظنها بوحدتنا وثقتنا بقادتنا فى كل محنة أصابتنا ، ولسوف نخوض المعارك معها فوق كل شبر من أرضنا وفى جونا وبحرنا ، فإما أن نعيش أعزة أو نموت كراما ، والعاقبة للصابرين .

أثر الحرب النفسية فى غزوة أحد:

كان للحرب النفسية فى غزوة أحد آثارها المعروفة فى علم النفس وفى واقع الحياة ، ثم عصم الله تعالى المسلمين بعد الدرس الأول منها فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ، وتأثر بها المشركون فانصرفوا عنهم كما سنوضحه فيما يلى

بدأت الحرب فى أحد بنصرة المسلمين على عدوهم فى الجولات الأولى وقت ما كان رماتهم فوق أحد يحمون ظهورهم بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم فلما رأوا هزيمة المشركين ترك معظمهم أماكنهم ونزلوا للاشتراك مع الجيش فى قهر المشركين والحصول على غنائمهم مخالفين وصية الرسول أن لا يبرحوا أماكنهم ، فانتبه المشركون لذلك فبعثوا خالد بن الوليد الذى كان مشركا وقتئذ ومعه جماعة منهم فاحتلوا أحداً وقتلوا من بقى فوقه من الرماة ثم نضحوا المسلمين بنبالهم وسهامهم فانهزموا ، وساعد على هزيمتهم أكثر ما أشاعه الأعداء من قتلهم رسول الله ﷺ ، فإن ابن قيئة للشرك لما قتل مصعب بن عمير صاحب راية الرسول صرخ قائلا : ألا إن محمدا قد قتل ، فانكفأ الناس وأوغلوا فى التفرق والإصعاد لا يلوون على أحد والرسول يدعوهم فى أخراهم قائلا: إلى عباد

الله ، فانحاز إليه ثلاثون من أصحابه وحموه وكشفوا للمشركين عنه وتفرق الباقون ظانين صدق ابن قميئة المجرم ، وقال بعضهم ليت ابن أبي يأخذ لنا أمانا من أبي سفيان ، وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا إلى إخوانكم ودينكم ، فقال أنس بن النضر : إن كان محمد قتل فإن رب محمد حي لا يموت ، وما تصنعون بالحياة بعده ، فقاتلوا على ما قاتل عليه ، ثم قال اللهم إني أعتذر إليك مما يقولون وأبرأ إليك منه ، وشد بسيفه حتى قتل وحينما لام النبي ﷺ الفارين من المعركة بعد أن عادوا إليه قالوا يا رسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا ، أتانا خبر قتلك فولينا مدبرين فنزل قوله تعالى: «وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل . أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم » الآيات ومنها قوله سبحانه : «وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين ، وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين » .

ومن هذا المشهد نعلم أن التأثر بالحرب النفسية وتصديق دعايتها يورثان الهزيمة وأن على الجندي أن يقاتل للمبادىء والغايات الشريفة، وأن لا ترهبه الإشاعات ولا توهن عزمه الوقائع مهما عظمت نكاية الأعداء في المقاتلين وقوادهم وأمتهم فإن النصر مع الصبر والعاقبة للصابرين وهذا هو الذي تحقق بعد هذه الغزوة فلقد بقي الإسلام وعظم شأنه وهاأن المسلمين حتى قوضوا دعائم الشرك في مكة وسائر الجزيرة العربية ، وجاء نصر الله والفتح ودخل الناس في دين الله أفواجا حتى عم المشارق والمغارب بفضل صمود المسلمين بعد هذه الغزوة

مقابلة الحرب النفسية بمثلها :

لا بد من مقابلة الحرب النفسية بمثلها لإرهاب الأعداء وشد هزيمة النصراء ، ولا مانع من المبالغة في أهبتنا واستعدادنا عند اللزوم ، كما أنه لا بد من التظاهر بالقوة مهما أصابنا من القرح منعا لشماتة الأعداء ودرءاً لطمعهم في قتالنا ، ومن ذلك أن النبي ﷺ بعد عودته إلى المدينة في أعقاب هزيمة أحد ، أمر مناديا أن يؤذن في الناس بالتأهب للخروج معه ﷺ فلما اجتمعوا خرج بهم إلى حمراء الأسد على ثمانية أميال من المدينة فأقام بها ثلاثة أيام .

ومن هناك انطلق معبد بن أبى معبد الخزاعى (من قبيلة خزاعة حليفة الرسول) إلى أبى سفيان ، فلما رآه قال : ما وراءك يا معبد ، قال: محمد خرج فى أصحابه يطلبكم فى جمع لم أر مثله قط ، وهم يتحرقون عليكم تحرقا ، وقد اجتمع معه من تخلف عنه فى يومكم وندموا على ماصنعوا وفيهم من الحنق عليكم شيء لم أر مثله ، قال: ويلك ماتقول ، قال: والله ما أرى أن ترحل حتى ترى نواصى الخيل ، قال أبو سفيان لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم قال : فإنى أنهاك عن ذلك ، ولقد حملنى ما رأيتهم عليه على أن قلت فيهم شعرا ، قال: وما قلت ، قال قلت:

كادت تهد من الأصوات راحلتى
إذ سالت الأرض بالجرد الأبابيل [١]
تردى بأسد كرام لا تنابلة
عند اللقاء ولا ميل معازيل [٢]

[١] الجرد خيل قصيرة شعر الجلد ، والأبابيل جماعة فى تفرقة واحدها أبيل .

[٢] تردى بأسد ترجم الأرض بحوافرها وهى: تحمل رجالا كالأسد ، والتنابلة القصار جمع تنبال ، والميل جمع الأميل وهو الكسل الذى لا يحسن ركوب الخيل والفروسية ، والمعازيل جمع معزال وهو من لا سلاح معه .

فظلت عدوا كأن الأرض مائلة
لما سموا برئيس غير مخذول
وقلت ويل ابن حرب من لقائهمو
إذا تغطمطت البطحاء بالخيل [١]
إنى نذير لأهل النبل ضاحية
لكل أربة منهم ومعقول
من خيل أحمد لا وخشا تنابلة
وليس يوصف ما أنذرت بالقيل

فكان لهذا الإنذار المشوب بالتهويل فى أمر المسلمين وتحرقهم للقاء أعدائهم ليثأروا منهم أثره النفسى فى نفوس المشركين إذ عدلوا عما عزموا عليه من العودة إلى المسلمين للإجهاز عليهم ، ومما ثنى عزمهم أيضا لون آخر من الحرب النفسية أجراه الله على لسان أحدهم لمصلحة المسلمين بعد ما ألقى فى قلبه الرعب «وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى» .

فلقد أخرج ابن هشام أن أبا سفيان لما أراد الرجوع إلى حرب الرسول قال لهم صفوان ابن أمية بن خلف : لا تفعلوا فإن القوم قد حربوا ، وقد خشينا أن يكون

[١] أى إذا جاشت الصحراء بالخيل . والأبيات كلها مردفة بحرف مد ولين وهذا البيت ليس كذلك، وهو عيب شعرى يسمى السناد .

لهم قتال غير الذى كان ، فارجعوا إلى محالكم فرجعوا .

وقد تجسم تصميمهم على العودة إلى القتال حينما مر بهم ركب من عبد القيس ، فقال لهم أبو سفيان : أين تريدون ؟ قالوا : نريد المدينة ، قال : ولم ؟ قالوا نريد الميرة . قال فهل تبلغون محمدا رسالة أرسلكم بها إليه وأحمل هذه لكم غدا زبيبا بعكاظ إذا وافيتموه ، قالوا : نعم ، قال : إذا وافيتموه فأخبروه أن قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم فمر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الأسد فأخبروه بالذى قال أبو سفيان وأصحابه . فقال « حسبنا الله ونعم الوكيل » .

ولا شك أن إنذارا كهذا يأتى عقب الهزيمة النكراء من شأنه تحطيم النفوس حتى تخر لخصمها فى ذلة وضراعة ، ولكن ثقة الرسول بوعد ربه بالنصر فى نحو قوله : « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » جعلته ومن ورائه المسلمون يقفون هذا الموقف العتيد دون أن تتحرك فيهم عوامل الضعف والاستسلام ، فلهذا كافأهم الله فبعث إليهم من حيث لا يعلمون معبدا الخزاعى فاتخذ سبيله إلى أبى سفيان فأرعبه وثنى عزمه ، وأجرى على لسان صفوان بن أمية ما جعلهم ينصرفون دون تحقيق ما يريدون ، فلذلك امتن الله عليهم بقوله « فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء » وحذرهم من مثل ذلك بقوله : « إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين » .

فلنثق بما وعدنا الله من النصر إن نصرناه ، وبالعزة إن حمينا أمتنا من الهوان « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز » وعلينا أن نتخذ من غزوة أحد عظة وعبرة ومن الصمود لحرب هتلر النفسية والميدانية درسا وذكرى ، فقد استعقب هذا الصمود النصر بعد الهزيمة والحرية بعد الاستعمار ورحم الله أمة جعلت تاريخ غيرها مرآة تنظر فيها غدها ومستقبلها ، وآمنت بوعد الله « فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا » واستعذبت الشهادة فى سبيله كما استعذبها خبيب ابن عدى وهم يعدونه للقتل إذ قال :

ولست أبالى حين أقتل مسلما
على أى جنب كان فى الله مصرعى
وذلك فى ذات الإله وإن يشأ
يبارك على أوصال شلو ممزع

مصطفى محمد الطير

الأسوة الحسنة

للدكتور محمد محمد أبو شهبة

روى الإمام البخاري قال : حدثنا خلاد ابن يحيي قال : حدثنا عبد الواحد بن أيمن عن أبيه قال : أتيت جابرا ـ رضي الله عنه ـ فقال :

(إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة ، فجاءوا النبي ﷺ فقالوا : هذه عرضت في الخندق !! فقال : أنا نازل ثم قام وبطنه معصوب بحجر ، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقاً فأخذ النبي ﷺ المعول ، فضرب في الكدية فعاد كثيباً أهيل أو أهيم فقلت : يا رسول الله أئذن لي إلى البيت ، فقلت لامرأتي : رأيت بالنبي ﷺ شيئاً ما كان في ذلك صبر !! فعندك شيء ؟ قالت عندي شعير ، وعناق ، فذبحت العناق ، وطحنت الشعير ، حتى جعلنا اللحم في البرمة ثم جئت النبي ﷺ والعجين قد انكسر والبرمة بين الأثافي قد كادت أن تنضج ، فقلت طعيم لي ، فقم أنت يا رسول الله ، ورجل ، أو رجلان قال : (كم هو ؟ فذكرت له ، قال : (كثير طيب) فقال : (قوموا) فقام المهاجرون والأنصار ، فلما دخل على امرأته قال : ويحك جاء النبي ﷺ بالمهاجرين ، والأنصار ، ومن معهم ، قالت هل سألك ؟ قال : نعم ، فقال : (ادخلوا ولا تضاغطوا) فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ، ويخمر البرمة ، والتنور إذا أخذ منه ، ويقرب إلى أصحابه ثم ينزع ، فلم يزل يكسر الخبز ، ويغرف حتى شبعوا ، وبقي بقية !! قال : (كلي هذا وأهدي ، فإن الناس أصابتهم مجاعة) .

(تخريج الحديث) رواه الإمام البخاري في كتاب المغازي ـ باب غزوة الخندق وهي الأحزاب وهو من أفراد البخاري عن مسلم

(الشرح والبيان)

« جابر بن عبد الله » هـو من خيار الصحابة، وأعلمهم، وقد قدمت ترجمة له فيما سبق .

« فقال : إنا يوم الخندق نحفر » يوم: منصوب على الظرفية ، ونحفر . خبر إنا .

وغـزوة الخندق أو الأحزاب كانت فى شوال من السنة الخامسة على الصحيح وكان السبب فى إيراد سيدنا جابر لهـذه القصة الممتعة ما رواه الإسماعيلى بسنده عن أيمن هذا قال : قلت لجابر بن عبدالله : حدثنى بحديث عن رسول الله ﷺ أرويه عنك ، فقال : « كنا مع رسول الله ﷺ يوم الخندق .. » وحدثه بهذا الحديث .

ورضى الله عن سيدنا جابر فما أعظم ما فى الحديث من مثل عليا ، وتحمل البرد والجوع ، والعطش فى سبيل إعلاء كلمة الله والدفاع عن الوطن ، وما فيها من نبوءات صادقة للنبى ﷺ ، ومن معجزة له ظاهرة واضحة فى البركة فى الطعام القليل حتى أشبع المئين وفضل منه ، وكيف أن النبى ﷺ لم يأكل حتى أكل أصحابه وشبعوا ، وأنه شاركهم فى الحفر ، وحمل التراب حتى وارى التراب جلده وصدره ، وبطنه ، وكان كلما وجد منهم تعبا وإعياء نشطهم بدعائه ، وصدق حديثه ، فنى صحيح البخارى أيضا عن أنس رضى الله عنه قال : « خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق ، فإذا المهاجرون ، والأنصار فى غداة باردة فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم ، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال :

اللهم إن العيش عيش الآخره
فاغفـر للأنصـار والمهاجره

فقالوا مجيبين :

نحن الذين بايعوا محمدا
على الجهـاد ما بقينا أبدآ

وفى الصحيح أيضا عن البراء بن عازب قال : « لما كان يوم الأحزاب ، وخندق رسول الله ﷺ رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عنى التراب جلدة بطنه وكان كثير الشعر ، فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحة وهو ينقل التراب، يقول :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا
ولا تصـدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا
وثبت الأقـدام إن لاقينا

إن الأولى قــد بغوا علينا
وإن أرادوا فتنة أبينا

قال : ثم يمد صوته بآخرها[1] .

« فعرضت كدية شديدة » .

الكدية : القطعة الصلبة الصماء ، وفي وصفها بشديدة ما يدل على أنها صخرة استعصت على الكسر ، وقد ورد في الروايات الأخرى كما سيأتي التعبير عنها بالصخرة ، ولما عرضت لهم وعجزوا عن كسرها ذهبوا إلى النبي فأخبروه « فقال : أنا نازل ثم قام وبطنه معصوب بحجر ، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقا »

معصوب : أي مشدود ومربوط إلى بطنه ﷺ ، وقد كان ذلك من الجوع كما نصت عليه هذه الرواية وغيرها ، « ذواقا » بفتح الذال المعجمة فعال بمعنى مفعول من الذوق ، ويقع على المصدر ، والاسم ، يقال : ذقت الشيء أذوقه ، ذوقاً ، وذواقاً ، وما ذقت ذواقاً ، وهو للمأكول وللمشروب ، كما قال ابن الأثير والفائدة في ربط الحجر عند شدة الجوع على البطن أنه يمنع من انحناء الصلب انحناء يضر ، ويساعد على شد الظهر ، وقيل : فائدته تسكين حرارة الجوع ببرودة الحجر ؛ والأول أولى .

« فأخذ النبي ﷺ المعول ؛ فضرب في الكدية ؛ فعاد كثيبا أهيل أو أهيم » .

المعول : بكسر الميم ؛ وسكون العين المهملة ؛ وفتح الواو . وفي آخره لام : الفأس الذي يكسر به الحجر ؛ وقيل : المسحاة ؛ والأول هو الصحيح ؛ لأن المسحاة المجرفة ؛ وهي لا تكسر الصلب ؛ وفي بعض الروايات : « فأخذ المعول أو المسحاة » و « أو » للشك من أحد الرواة ؛ وقد عينت الرواية التي معنا المراد .

« الكثيب » هو الرمل قال تعالى : « وكانت الجبال كثيبا مهيلا »[1] أي تفتت حتى كادت كالرمل يسيل ؛ ولا يتماسك « أهيل » الأهيل هو الذي ينهال فيسيل

---

[1] في مد الصوت بهذا المقطع من هذا البيت ما فيه من التطابق بين اللفظ والمعنى ، واللحن المعبر عن المقصود فهو إباء ، أبي ، متصل ، ممدود لا نهاية له . لا يعرف الضعف والاستخذاء ، ولا الاستكانة والاستسلام ولغة العربية في هذا الباب القدح المعلى .

[1] المزمل ١٤ .

من لينه ، ويتساقط من جوانبه «أو أهيم» أو شك من الراوي ، والأهيم بمعنى الأهيل وقد جاءت رواية الإسماعيلي «أهيل» بغير شك .

وقد جاءت رواية البخاري في صحيحه مجملة ، وقد فسر هذا الإجمال ووضحه الروايات الأخرى .

فقد روى الإمام أحمد والنسائي هذه القصة بزيادة ـ بإسناد حسن ـ من حديث البراء بن عازب قال : «لما كان حين أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق عرضت لنا في بعض الخندق صخرة لا تأخذ فيها المعاول فاشتكينا ذلك إلى النبي ﷺ فجاء فأخذ المعول فقال : «بسم الله» فضرب ضربة فكسر ثلثها ، وقال: «الله أكبر ، أعطيت مفاتيح الشام ، والله إني لأبصر قصورها الحمر الساعة ، ثم ضرب الثانية فقطع الثلث الآخر ، فقال : «الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس ، والله إني لأبصر قصر المدائن أبيض» !! ثم ضرب الثالثة وقال : «بسم الله» فقطع بقية الحجر ، فقال : «الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن ، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا الساعة» !!

وقد رواها الطبراني ، والبيهقي بأطول من هذا وفيها «فذهب سلمان إلى رسول الله ﷺ فأخبره عنها ، فجاء فأخذ المعول من سلمان ، فضرب الصخرة ضربة صدعها ، وبرقت منها برقة أضاءت ما بين لابتيها ـ أي المدينة ـ حتى كأنها مصباح في ليل مظلم ، فكبر رسول الله ﷺ وكبر المسلمون ، ثم ضربها الثانية فكذلك ، ثم الثالثة فكذلك ، فسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك ، فقال : لقد أضاء لي من الأولى قصور الحيرة ، ومدائن كسرى .

فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ومن الثانية القصور الحمر من أرض الروم ، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ، ومن الثالثة قصور صنعاء وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها فأبشروا ، فاستبشر المسلمون ، وقالوا موعود صادق» [1] .

وقد صدق الله نبوءة نبيه ، فكانت معجزة ظاهرة من معجزات النبي : إذ لم

---

[1] فتح الباري ـ ج ٧ ص ٣٠٥ ط بولاق .

بعض على هذه الحادثة إلا نحو ربع قرن حتى فتحت هذه البلاد كلها، ودخلت تحت لواء الإسلام، ولذلك كان أبو هريرة - رضى الله تعالى عنه - يقول حين فتحت هذه الأمصار: «افتتحوا ما بدا لكم، فوالذى نفس أبى هريرة بيده ما افتتحتم من مدينة، ولا تفتتحونها إلى يوم القيامة إلا وقد أعطى الله محمداً ﷺ مفاتيحها قبل ذلك»!!

وكنت أحب من الذين ينكرون نبوة نبينا محمد ﷺ أن يتأملوا فى هذه النبوءات التى صدقها الزمن مع أن الظروف والملابسات التى قيلت فيها لا تحمل عليها، فإن أشد الناس تفاؤلا ما كان يجول بخاطره أن يقول هذا فى وقت اشتد فيه الكرب، وعظم البلاء، وجهدوا أنفسهم فى حفر الخندق حتى لا يغتنم الأحزاب ولما ينتهوا منه، اللهم إلا أن يكون نبيا يوحى إليه.

ولا جائز لقائل أن يقول: لعلها رمية من غير رام فأصابت!! لأنا نقول: إن تاريخ حياته ﷺ وما عرف عنه من الاتئاد والتروى فى الأمور، وعدم المجازفة فى القول إلى نحو ذلك مما أقر به الأعداء والأصدقاء - يرد هذا الجواز، ويبعده، فلم يبق إلا أنها نبوءات صادقة من نبوءات الوحى، فاعتبروا يا أولى الأبصار.

فقلت يا رسول الله: ائذن لى إلى البيت، يعنى فأذن له، وهو من الإيجاز الذى يدل عليه المقام.

«فقلت لامرأتى رأيت بالنبى ﷺ شيئا ما كان فى ذلك صبر»!!

امرأته هى السيدة سهيلة بنت مسعود الأنصارية إحدى نساء الأنصار الفضليات العاقلات، يريد ما رأى من حال النبى من أثر الجهد، والجوع حتى ربط الحجر على بطنه.

«فعندك شىء»؟ يعنى أفعندك شىء؟ فالكلام على الاستفهام، فأجابته بأن عندها صاعا من شعير وعناقا، وهى الأنثى من المعز.

«فذبحت» بضم التاء «العناق» «وطحنت» بفتح النون وسكون التاء، فالذابح هو، والطاحنة زوجه.

«ثم جئت النبى ﷺ، والعجين قد

انكسر ، والبرمة بين الأثافى قد كادت أن تنضج » .

« انكسر » لان وتمكن منه الخمير حتى علا فى الإناء « البرمة » بضم الباء ، وسكون الراء القدر الذى يطبخ فيه اللحم ، و « الأثافى » بثاء مثلثة بعدها ألف ثم فاء هى الحجارة التى يوضع عليها القدر ، ويوقد تحته النار ، وهى ثلاثة ، واحدتها أثفية .

« فقلت : طعيم لى ، فقم أنت يارسول الله ، ورجل ، أو رجلان » .

« طعيم » بضم الطاء ، وتشديد الياء التحتانية يريد أنه طعام قليل حقير لا يليق بمقام النبى ﷺ وقد قالوا : (من تمام المعروف تعجيله وتحقيره) وهو يتضمن اعتذاراً منه ـ رضى الله عنه ـ للنبى ﷺ من قلته ، وأنه غير لائق بمنزلته .

(قال : كم هو ؟ فذكرت له قال : كثير طيب) .

وكأن النبى استشعر من كلام جابر رضى الله عنه قلته ، فطمأنه وبشره بأنه ستحل فيه البركة ، ويصير كثيراً فسرى بذلك عن نفس جابر .

(فقال قوموا . . .) أى أمرهم النبى بالقيام إلى طعام جابر ، فقاموا جميعا ، كما جاء فى بعض الروايات (فقال للمسلمين جميعاً : قوموا) وهو ما يليق بأدب الرسول ، فما كان ليخص قوما دون قوم ، وإنما خص المهاجرين والأنصار بالذكر لشرفهم ، فلما دخل النبى والمسلمون أدرك زوجة جابر حرج شديد ، ولقيت من الحياء ما لا يعلمه إلا الله تعالى ، كما حدثت بذلك عن نفسها فى رواية أخرى ، وسألت زوجها هل أعلم الرسول بالطعام ؟ فلما أعلمها أنه أعلمه سكنت نفسها ، واطمأنت ، وذهب عنها ما نزل بها من الغم والخوف أن لا يكفى الطعام ، لما تعلمه عن رسول الله من البركة والخير ، وهذا يدل على كمال عقلها ووفور فضلها .

وتولى النبى الكريم للتواضع بنفسه إعداد الثريد ، وتقديم اللحم حتى أكلوا جميعاً ، وبقيت بقية منه ، فقال : (كلى هذا ، وأهدى فإن الناس أصابتهم مجاعة) قال جابر : (فأكلنا نحن ، وأهدينا لجيراننا) وقد اشتمل الحديث على هذه المعجزة أيضاً ، فإن البركة فى الطعام القليل حتى يكفى الكثير مما لم يعهد فى العادة ، وقد استفاضت الرواية عن الصحابة الكرام

بذلك ، ورووا فى ذلك قصصا كثيرة فى الصحيحين وغيرهما .

(وبعــد) فما أحوج حاجتنا اليوم فى المرحلة الحرجة التى نمر بها أن نقتدى بالأسوة الحسنة نبينا محمد ﷺ ، وصحبه الكرام الذين تكالبت عليهم عوامل الشر والبغى فما زادهم ذلك إلا إيمانا بحقهم وثباتا على مبادئهم حتى كانت العاقبة لهم ، ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً

وما أجدر قوادنا فى الميدان أن يقتدوا بالمثل الكامل ﷺ فقد رأينا كيف شارك جنــده المسلمين فى البأساء ، والضراء ، والعسر ، واليسر ، والجوع والعطش ، وإنه أبى أن يستأثر عليهم براحــة ، أو بطعام أو شراب ، وغير نفسه ساعات فى سبيل الله ، وهو قرير العين ، رضى النفس ، ولا عجب فقد كان أرحم به من أنفسهم ، صلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله يا بطل الأنبياء ، ويا إمام الأتقياء ؟

د . محمد محمد أبو شهبة

(بقية المنشور على صفحة ٣١٤)

فى علاجها حتى لا يستفحل خطرها وينقلب الشباب بها — وهم أمــل الأمم وعدتها وقوتها العامــلة المنتجة — إلى جماعات عليلة متعطلة يخشى شرهم ولا يرجى خيرهم .

إن دعوة الهيـبز أو انحرافات الهيبز لن تــكون آخــر الدعوات والانحرافات وسيمطرنا الغرب بوابل منها ، وواجبنا وواجب الشعوب ذات التقاليــد السامية والقيم الــكريمة أن تدفع عن نفسها مخاطر تلك الدعوات بسائر الوسائل ولا نصغى إلى التفسيرات والتمحلات التى يراد بها تبريرها ، وما ذلك إلا تصوير للشر فى صورة الخير ، والباطل فى صورة الحق ، ووسائل النصح لا تــكفى ، وإن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .

أبو الوفا المراغى

من أدبائنا المجهولين :

عثمان زناتى
شاعر أزهرى كبير

للدكتور محمد رجب البيومى

كنا نقرأ فصلا أدبيا من فصول رحلة الأندلس التى كتبها البحاثة المغفور له الأستاذ محمد لبيب البتانونى بك فوجدناه يستشهد بقول القائل :

إذا ما التقى ذو شمـــلة عربية
بذى عجمة فالكل فى النطق أعجم

فحسبنا الشعر لقائل من شعراء العصور الأولى ، لأن أمثال البتانونى بك لا يستشهد بشاعر معاصر إلا إذا كان شعره ذائعا غير مغمور ، وقد أخذت أتساءل عن الشاعر فأخبرنى المغفور له الأستاذ محمـد هاشم عطية مؤرخ الأدب الجاهلى وأستاذه بدار العلوم وكلية اللغـة العربية لمناسبة طارئة أنه صديقه القديم الشاعر عثمان زناتى فألححت عليه أن يقول شيئا عنه فـلم يتفضل ، إذ كان يشرح لنا حينئذ دالية طرفة بن العبد ، وكأنه آثر ألا ننتقل فى الدرس من قائل إلى قائل .

ومرت أيام فوقعت بين يدى شعر جميل للأستاذ أحمد الزين ، يذكر فيـه شعراء عصره ، ويخص كل شاعر ببيتين أو ثلاثة أو أربعة تشرح اتجاهه الشعرى فى نصاعة ووضوح ، فطربت حين وجـدته يذكر عثمان زناتى ويقول عنه :

ولا تنسيا عثمان إنــ قريضه
يعيد لنا عهد البداء ويذكر
يؤرقه برق الغضا وإشوقـه
نسيم على أزهار (توضح) يخطر
فذاك أمرؤ أهدته أيام وائل
لأيامنا فالجيل للجيل يشكر

وإذن فعثمان كلاسيكى ينحو نحـــو المتقدمين فى إيثار الجزالة العربية ، والهج بأماكن البادية التى ترددت فى التراث العربى القديم فهو قريب من عبد المطلب والكاظمى ، وحمزة فتح الله على اختلاف فى الصياغـة يختلف غرابة وسهولة عند

هؤلاء، ولكن طابعه العام متحد فى حنينه إلى آفاق العربية وأمجاد الإسلام السالفة؛ لقد كنا على شىء من الحق إذن حين حسبنا الأستاذ محمد لبيب البتانونى بك يستشهد ببيت قديم!

ومرت الأيام مرة أخرى، فوقع فى يدى عدد الرسالة (٤٠٩) فوجدت الدكتور زكى مبارك يكتب مقالا عن شاعر العراق وعالمه (السيد محمد سعيد الحبوبى)، ثم يختمه بعنوان جانبى هو (زناتى) يقول إثره:

«مرت إشارة (فى مقاله عن الحبوبى) إلى الشاعر زناتى عند الحديث عن الشعراء الذين عجز عن مجاراتهم الحبوبى، فمن هذا الشاعر المصرى المجهول؟ هو الشيخ أحمد زناتى أحد أساتذة اللغة العربية، وكان الشاعر الثانى بعد شوقى فى نظر أستاذنا الشيخ محمد المهدى (أستاذ الأدب بالجامعة المصرية القديمة)، وكنا نحفظ له فى عهد الحداثة قصيدا نخاله مبتدأ بهذين البيتين.

أرقت وأصحابى خليون نوم
وما أنا ذو شوق ولا أنا مغرم
ولكن هما بين جنبى شبه
على ذوو القربى عفا الله عنهم

وقد أرجع إلى البحث عن آثار هذا الشاعر بعد حين، الشاعر الذى عرفه العراقيون وجهله المصريون» هذا ما قاله المبارك، ولكن جعل الشاعر أحمد، لا عثمان، فهل هما شخصان شاعران لا شاعر واحد، لقد بدأت المسألة تتعقد بعض الشىء؟ ولكن الدكتور وعد بالحديث عنه فى مقال مفصل.

فلأتابع أعداد الرسالة فقد ينجلى على صفحاتها بعض الرأى، وكان ما توقعته، فقد بادر الأستاذ الكبير أحمد العوامرى يقول بالعدد التالى مباشرة (٤١٠) تحت عنوان زناتى ما نصه:

(فى العدد ٤٠٩ من الرسالة الغراء مقال للدكتور زكى مبارك ذكر فيه «الشاعر المصرى المجهول الشيخ أحمد زناتى» الشاعر الذى جهله المصريون وعرفه العراقيون». فليأذن لى حضرة الدكتور أن أنبه على أن الشاعر الذى يعنيه هو الشيخ عثمان زناتى الذى درس فى الأزهر وصلخ وقتا غير قصير من حياته مدرسا للغة العربية بالمدرسة الحربية، ولا يزال كثير من أصفيائه يتحدثون بمناقبه ويروون شعره ويتمثلون به وكان رحمه الله بين الفئة الممتازة من شعرائنا

الذين ازدانت بهم أواخر القرن التاسع عشر وأوائل هذا القرن، ولم يبالغ الشيخ محمد المهدي في أن عده الشاعر الثاني بعد شوقي فقد رويت لي منذ حقبة طويلة بعض قصائده ومقطوعاته فأحسست من الرصانة والجزالة شيئا كثير الشبه بشعر المتنبي والبحتري وأبي تمام.

وليتني كنت قد دونت إذ ذاك ما سمعت فإني والله لشديد الأسف على أن أفلتت مني الفرصة، على أني عظيم الرجاء أن يتاح لأنجاله، وهم على ما بلغني من صفوة المثقفين، أن ينشروا هذا التراث حتى يضيفوا إلى ثروتنا الشعرية في تلك الحقبة من تاريخ الأدب فنا ممتازا، أما الشيخ أحمد الزناتي بك فأخو شاعرنا .. الخ).

هذا بعض ما ذكره الأستاذ العوامري وقد أكد أن عثمان الزناتي من كبار الشعراء في العصر الماضي، وأن الأستاذ محمد المهدي لم يبالغ في شيء حين جعله الشاعر الثاني بعد شوقي! ومثل هذا الشاعر الأزهري الكبير جدير بقراءة شعره واستظهاره، ولكن متى؟ وكيف؟ لقد صمت أنجاله فلم يجيبوا دعوة العوامري إلى نشر تراث الشاعر؟ أتراهم لا يقدرون على نشره، وهم من صفوة المثقفين؟ أم أن الشاعر نفسه قد ساعد على ذلك حين أهمل جمع الديوان فغاب في خضم النسيان؟

على أن الزمن قد أسعف ببعض شعر الرجل إذ وقع في يدي الجزء الثاني من مجموعة شعرية تحت عنوان شعراء العصر جمعها محمد صبري سنة ١٩١٢ م - ولعله الدكتور محمد صبري السوربوني فيما بعد - وقد ضمت نماذج جيدة لبعض شعراء العصر من أمثال الزهاوي والكاشف، وحسن القاياتي والقبيبي وعثمان زناتي وعبد المحسن الكاظمي واليازجي والحداد، وقد لزم صاحب المجموعة أن يقدم لكل شاعر بتعريف موجز، وكان مما قال عن زناتي ص ٨١ من المجموعة:

«هو عثمان بن زناتي بن سراج بن مدين، ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما، ولد في الحجة سنة ١٢٧٩ هـ وحفظ القرآن في بلده: بني عبيد، وهي قرية من أعمال مديرية المنيا، وهاجر إلى القاهرة سنة ١٢٩٢ لتلقي العلوم بالجامع الأزهر، وكان له ميل فطري إلى حفظ أشعار العرب، وابتدأ يقول

الشعر بعد هجرته إلى القاهرة بثلاث سنوات تقريباً، ولم يهج أحداً قط، ومدحه قليل وترك الشعر بعد الثلاثين إلا ما دعت إليه الضرورة، وتعين مدرساً للغة العربية فى مدرسة باب الشعرية الأميرية، ثم نقل منها فى ١٨٩٨م إلى المدرسة الحربية وما زال بها إلى اليوم (يعنى سنة ١٩١٢ وهى التى طبعت بها المجموعة) أما شعره فلا يحتاج إلى تقريظ» وقد أفادنا هذا التعريف الموجز أشياء هامة، فالشاعر عربى صريح النسب إلى الحسن بن على، وكل ثقافته الأدبية أزهرية محضة أصلها فى نفسه هيامه الفطرى بحفظ أشعار العرب، وقد ترك الشعر بعد بلوغه الثلاثين. وإذن فجل ما ترك من تراث سامى به الفحول حتى عد عند المهدى والعوامرى معاً ثانى الشعراء بعد شوقى، قد صاغه فى طور شبابه الأول فكيف به إذا ثابر على الشعر، وأعطاه حظه الوافر من الاهتمام وهو بهذه المنزلة العالية فى البيان أما أخلاقه النفسية فذات شمم نادر إذ لم يهج أحداً، ومدحه قليل فى مصر كان المديح فيه باب الشهرة والذيوع والمنصب والمال! ويخيل إلى أن ترفعه الخلقى قد صدف بنفسه عن قول الشعر، إذ رآه لدى كثير من زملائه مطية الملق والزلف، وكأنه آثر ألا يذكر مع قوم يسيئون الظن فى رأيه أكثر مما يحسنون، وإلا فكيف استطاع أن يسكت أحاسيسه النابضة بالشاعرية الجزلة؟ أيكون قد أصيب فى حياته بما أورثه الزهد فى كل شىء فى الشعر، والصيت والتأليف وما يتوهمه الشعراء من بقاء الذكر وخلود الحديث؟! إن ما رويته (المجموعة الشعرية) من قصائده ليوحى بغضب حبيس يشتعل فى صدره، ويصور نقمة مريرة على ملأ من مخالطيه ومنهم ذوو قرباه الذين يتحدث عنهم فيقول

أرقت وأصحابى خليون نوم
وما أنا ذو ثأر [1] ولا أنا مغرم
ولكن ما بعض جنى هاجه
على ذوو القربى عفا الله عنهم
فإن يك حلمى مد أعناق جهلهم
فلا زلت فيهم يجهلون وأحلم
هم ثلموا عرضى لغير جريرة
سوى أنهم منى وأنى منهمو
يطول على الليل إن طال ليلهم
ومهما يطل ليلى فهم عنه نوم
إذا أنا أنهمت استقلوا فأنجدوا
وإن أنا أعرقت استقلوا فأشأموا

---

[١] روى الدكتور مبارك أنه قال: «وما أنا ذو شوق ولا أنا مغرم» وهو تحريف ظاهر لأن الشوق هو الغرام فبطل التقسيم!

وضعت دوائي فوق موضع دائهم
ولكن من الأدواء ما ليس يحسم
إذا كان لا يرجى شفاء لعلة
فترك التداوي بالعقاقير أحزم
ولم أر في الدنيا شقيا بأهله
كبان لهم مجدا إذا ثم هدموا
وما أسفي أني بنيت فقوضوا
وأني إذا أعربت في القول أعجموا
بلى أسفي أني إذا مت قبلهم
أضيموا ولم أسمعهم إن تظلموا
يحول الثرى بيني وبين دعائهم
ولا يؤذن الموتى بأن يتكلموا
بني أمنا لا تنكروني وأجملوا
فإني وإن أنكرتموني أخوكم
فلا رحم موصولة قد قطعتها
ولا رحما مقطوعة قد وصلتم
وإني لسيف تضربون بحده
فإياكمو أن تغمدوني فتهزموا
حملت لكم في ذروة المجد حبوتي
فهل كان ذنبي أن شهدت وغبتمو
وبوأتكم من ذروة العز مقعدا
فلما تبوأتم سهرت ونمتموا
أعيذكم بالله أن يغلب الهوى
على أسركم أو تقطعوني فتندموا
سأضرب في الآفاق شرقا ومغربا
وأنجو برحلي حيث لا الحر يهضم

وهي صرخة لاهبة تذكرنا بصرخة المقنع الكندي التي يقول فيها .

وإن الذي بيني وبين بني أبي
وبين بني عمي لمختلف جدا
إذا أكلوا لحمي وفرت لحومهم
وإن ضيعوا عهدي حفظت لهم عهدا

واتفاق التجربة بين شاعرين لا يعني تقليد اللاحق للسابق كما يتوهم قوم يقصدون للاتفاقات النفسية كل مرصد ، إذ أن توارد الخواطر النبيلة أو الهابطة على ما يناسبها من المعاني حقيقة ملموسة ، وأقول ذلك تمهيدا لعرض ما أفاض الزناتي من انتوائه هجرة الناس في مجتمعاتهم المغرضة لاجئا إلى صحراء قاحلة تقفر من الأنس ، وتعمر بالوحش ! فقد يظن بعض الناقدين أن الشاعر يسطو على الشنفرى في لاميته المعروفة حين ترك الناس وأنس بوحوش البادية فجعلها أهلا وأصحابا ، وليست المسألة سطواً ينقل فيه شاعر عن شاعر ، ولكنها أحلام تتشابه وتتماثل ، فقد ضاق الزناتي بمجتمعه الذي يتألب فيه ذوو قرباه عليه فكيف بالبعداء من الناس ؟ إنه ليجنح إلى عالم ناء عن كل إنسي ، وإن يكون ذلك في غير الصحراء القاحلة ذات الوحوش والطيور ، هو إذن شعور يعتاد كل ضائق

بأهله وذويه ، وإذا أفصح عنه شاعر كبير فلا يوصف بالسطو لأنه أعاد تجربة قد عاناها سواه ، كما يعانيها هو ساعة جاشت خواطره بالنقمة وحب الفرار ، وإذا كان الشاعر ممن يعيشون بعقولهم الفكرية فى عهود البداوة ، يصدرون عن دواوينها ويتعمقون صورها وأخيلتها ، فلابد أن ينسج على منوال ما يحب ويألف ، لا لأنه يقلد، ولكنه يتنفس فى أفق خاص ويشم عبيرا يرتضيه فى زهور معينة لا يبلغ سواها مبلغها من نفسه ، فزناتى إذ يصور اعتزاله الناس إلى مرابع الوحش فى البادية إنما يعبر عن أحلام اليقظة التى ترتسم فى الخواطر ، وإن لم تتحقق فى عالم الواقع ، فهو صادق أتم الصدق بالنسبة إلى شعوره الخاص حين يقول :

وما العز إلا ظهر مخطومة لها
بعرض الفيافى جولة وتوسم
وليس لنا حاد سوى رجع صوتها
كفى بصداها حاديا يترنم
فآونة أهوى بجنبى الحصى
وللرمل أخرى إننى لمنعم
وخير الحشايا فى الجبال حشية
من الرمل تستلقى عليها الهموم
أخوض بها لج السراب وحولنا
من الوحش أسراب رواتع هوم
وذى لبد ملء الفجاج زئيره
تكاد له أصلابه تتقصم
رأى رجلا قد لبد الجهد شعره
وأظفاره مشحوذة لا تقلم
فما شك أنى ضيغم غير أننى
إذا قلت لم يفهم ولو قال يعجم
إذا ما التقى ذو شملة عربية
بذى عجمة فالكل فى المنطق أعجم

وقد أضيف إلى هموم الشاعر بذوى قرباه همومه بأمانيه ، فقد كان كما يلوح من أشعاره الباقية ذا آمال فى الرخاء والسعة ليرضى حاجة الكرم فى نفسه وليكون دوحة يستظل بها زائروه وقاصدوه ، ولكنه موظف محدود الراتب ، يؤمه القاصدون فلا يبرم بما يتصوره من أمجاد الأريحية وشمائل الفتوة فيستشعر مرارة ألية تتجسد فى وهمه حتى تكدر صفوه وتؤرق خاطره ، وقد أبان عن بعض ذلك فى قوله من قصيدة طويلة روتها المجموعة الشعرية أيضاً مع قصيدتين أخريين :

حلبت الدهر أشطره إلى أن
ملأت من التجاريب الوطابا
سأسمى ما استطعت فإن غنياً
رجعت حمدت المسعى الإيابا
وإن أحرم وما قصرت جهدى
فلا لـوما علىّ ولا عتابا
ولكن حاجة الأحرار عندى
تكلفنى التأوب والذهابا
إذا أنا لم أكن لهموجنا
(فلا كسبا بلغت ولا كلابا)
وقائلة وقد أودى بمالى
سخاء قد ملكت به الرقابا
بسطت يديك بالجدوى إلى أن
قبضت ببسط كفيهما الترابا
وما يدريك أن غداً سيأتى
بما لا تستطيع له غلابا
أمعتذر إذا استجداك قوم
أناخوا دون ساحتك الركابا
يشق عليك جوبهمو الفيافى
وقد رجعوا وما ملأوا العيابا
فلا أنت امرؤ مثر فتسخو
ولن تستطيع دونهمو حجابا

وهى أخلاق هتفت بها أعراقه العربية العلوية ، وغذتها أحاديث الكرم البطولى من أجواد العرب فى الجاهلية والإسلام ، مما يؤكد أن من تراث العربية ما يدفع إلى النبل السخى والهمم البعيدة ، ولو شئنا أن نستطرد فى تحليل ما بقى من شعر الزناتى لامتد القول دون انقطاع ، ولكننا نجتزىء هنا بما يشير إلى موهبته ولا نعلم إلى الآن إلى أى مدى تنفس به العمر ؟ ومتى ودع دنياه ؟ ولكن شعره يؤكد أنه تجاوز مرحلة الشباب إلى الشيب حيث يقول من أبيات نختم بها هذا المقال :

ألا رحم الله الشباب فطالما
ركبت به خيل الهوى وهو مقرم
فكم هتكت عذراء أستار هودج
لتنظر من هـذا الفتى المتلثم
ومحصنة ودت ، على حب بعلها
وقـد أعجبتها لمتى ، لو تتيم
فأصبحت لا أرجو مودة عانس
وكانت قبيل الشيب باسمى تقسم

د . محمد رجب البيومى

من الأصول السياسية والدستورية في الإسلام

للدكتور مصطفى كمال وصفي

— ٤ —

خصائص النظام الدستوري الإسلامي

لم يكن للبحث في النظام الدستوري في الإسلام أهمية كبيرة حتى أقبل مفكرو هذا العصر على المقارنة بين الإسلام وبين النظم المعاصرة .

وفي ذلك يقرر فضيلة الأستاذ الشيخ محمود شلتوت في كتابه : (الإسلام شريعة وعقيدة) « صفحة ٤٤٥ » أن أسس الدولة في الإسلام أربعة :

١ — الأخوة الدينية لقوله تعالى : « إنما المؤمنون إخوة » (الحجرات) وقوله تعالى : « فأصبحتم بنعمته إخوانا » (آل عمران) وقوله ﷺ « المسلم أخو المسلم » و « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » .

٢ — التكافل الاجتماعي وله مظهران : أحدهما مظهر مادي بالزكاة ، ومظهر أدبي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٣ — الشورى .

٤ — والعدل لقوله تعالى « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا » (المائدة ٨) وقوله « إن الله يأمركم بالعدل والإحسان » (النحل) .

وقال الأستاذ محمد يوسف موسى في كتابه نظام الحكم في الإسلام (صفحة ١١٨) إن الحكم الإسلامي يقوم على أمرين لا ثالث لهما ، هما : الشورى والعدل . وأورد الأستاذ الدكتور ضياء الدين الريس في كتاب (النظريات السياسية الإسلامية) طائفة من آراء المستشرقين يزعم بعضهم أنها حكومة كهنوتية (ثيوقراطية) أو استبدادية أو غير ذلك . ثم قرر أن أساسها سيادة القانون ، وأن الفكرة فيها تختلف عن المبدأ الديموقراطي الحديث .

وبنى أستاذنا المرحوم الدكتور محمد عبد الله العربي فكرة الدولة الإسلامية على اقتران الكيانين : المادي والروحي فيهما

وامتزاجهما، وأن الكيان المادى فيها يقوم - أسوة بكل دولة - على العناصر الثلاثة المعروفة وهى : الأرض والشعب والحكم. وإن الكيان الروحى فيها ممتزج بالكيان المادى المذكور، فإن التنظيم الإسلامى يقوم على أسس عقدية يغرسها الإسلام فى وجدان الفرد ووجدان الجماعة، وهذه الأسس تعمد أولا إلى تحديد الصلة بين الفرد والمجتمع على أساس من التوفيق فيجعل الفرد مسئولا عن المجتمع، والمجتمع مسئولا عن الفرد. (كتابه: النظم السياسية الجزء الأول صفحة ١٢).

والذى نراه فى ذلك أن الخصيصة الأساسية للدولة الإسلامية، هى أنها دولة عقدية أو مذهبية، أى أنها دولة مكافحة.

وهذا النوع من الدول يتميز بأن المجتمع فيه يرتبط كله - حكومة وشعبا - بعقيدة واحدة ومذهب واحد يسيطر عليه ويسعى كله كتلة واحدة، وفى اتجاه واحد لتحقيقه.

فالحكومة فيه تعتنق المذهب، والشعب فيه يعتنق المذهب والحاكم فيه يجب أن يكون من أكثر الناس حماسة وفهما للمذهب. وبذلك كله يكون المجتمع كله من أدناه إلى أعلاه مرتبطا برباط واحد من العقيدة الراسخة القوية التى يدين كله بها.

وقد بينا فى إحدى المقالات السابقة أن من عناصر الدولة الإسلامية عدم الإشراك بالله (عدد المحرم ١٣٩٠)، كما بينا فى مقالة أخرى (عدد ربيع أول ١٣٩٠) أن هذا العنصر هو الذى يشكل المشروعية الإسلامية، أى المبدأ الأعلى الذى يهيمن على المجتمع الإسلامى، فالمجتمع الإسلامى كله يقوم على التضامن فى تنفيذ ما أمر الله به ومنع ما نهى الله عنه، وهذا المبدأ هو العقيدة الإسلامية والمذهب الذى تكافح الدولة الإسلامية من أجله.

وهذه الخصيصة الأساسية التى يتميز بها النظام الإسلامى تؤدى إلى النتائج الهامة الآتية:

١ - النظام الإسلامى فى الحقيقة هو نظام شعبى، فهو يعتمد أولا وقبل كل شىء على الرجل المسلم، وعلى البيئة المسلمة، وبقدر ما يتحقق هذا العنصر الأساسى يقوم نظام إسلامى حقيقى، وبقدر ما يتخلف، يكون الشكل الإسلامى للنظام صوريا غير حقيقى.

٢ - وهذه الخصيصة هى التى تجعل

للسلطة الشعبية والممارسة الشعبية أهمية عظمى في النظام الإسلامي، فهي يجب أن تكون سلطة حقيقية مباشرة، وليست سلطة وهمية اعتبارية يمارسها ممثلون ينوبون عن الشعب كما في النظام الديمقراطي فإن السلطة الشعبية عندنا تقوم أولا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا تقوم كسلطة تشريعية كما في النظم القانونية الحديثة، لأن التشريع انقضى زمانه وانتهى أمره منذ عهد النبي ﷺ ولم يبق إلا تطبيق أصوله والاجتهاد فيها على وجهها في كل زمان، وهذا في الواقع أقرب إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منه إلى التشريع، يتطلب ممارسة شخصية مباشرة ولا يستلزم النيابة، وربما أذن الله أن يبسط ذلك على وجهه إن شاء الله فإن له أثراً كبيراً في شكل الأجهزة الدستورية، وفي أشكال التصرفات العامة، أي القوانين والأوامر والمراسيم والأحكام القضائية ونحوها.

٣ — أن هذه الخصيصة تتطلب قاعدة شعبية جماهيرية حقيقية واسعة تكون على دراية تامة بالمبدأ وعلى وعلم تام بحقيقة الإيمان والإسلام والأحكام، وتتطلب توعية دائمة للشعب في هذا الخصوص ويقظة تامة من الشعب في الحرص على أساس المجتمع، وقد كفل الإسلام ذلك بتكليفه المسلمين إقامة الصلوات الخمس في المساجد جماعة، مما يؤدي إلى الترابط الشعبي التام في وحدات سكنية وجماهيرية حقيقية ثم يجتمعون في شكل أوسع كل جمعة في المسجد الجامع ثم في شكل شامل في المسجد الحرام في الحج.

٤ — أن الحريات الإسلامية هي حريات عملية حقيقية ومقيدة وموصوفة بمبدأ معين، هو المشروعية الإسلامية سابقة الذكر فهي ليست حريات لا موضوع لها كما في النظم الديمقراطية الحديثة، فحرية العقيدة مثلا في تلك النظم، هي حرية جوفاء تسمح للإنسان أن يعتنق ما يشاء فيكون ملحداً أو زنديقا أو على أي لون شاء، وبذلك لا يكون للمجتمع لون عقيدي واحد، أما قيام فكرة إيمانية شعبية عامة، فإنه يستلزم حتما أن تتقيد الحريات إزاء مخالفة هذه الفكرة والخروج عليها.

٥ — أن الإمام يجب أن يكون من أكثر الناس تشبعا بالعقيدة، لأنه جمرة الجماعة ومناط إصلاحها، وكلما قوى إيمانه

بها كلما كان أقدر على جمع الخليقة الاجتماعية وجذب عناصرها نحو مركز القوة فتكون أقوى بناء، وبالتالى أقدر على التقدم وأداء وظيفتها ويجب ألا ينفصل عن الجماعة بما يفسد عقيدته أو يضعفها، فلا يحتجب عن الناس ولا ينفصل عنهم بحياة النعيم والترف لأنه — كما قال الطرطوشى فى كتابه تاج الملوك — كلما زاد الحجاب كلما وجد أهل الفساد وبطانة السوء فرصتهم. اهـ وكذا فإنه يؤدى إلى عدم الشعور بمشاكل الناس ومصاعب حياتهم ولا يحسن تقديرها

وهذا الشرط، وهو شعبية الحاكم، وتشبعه بالعقيدة وعلمه بها، هو الذى يفسر بعض شروط الإمامة، كما وردت فى الإسلام. حقيقة أن الظروف قد أوجبت القول بصحة إمامة المفضول، ولكن هذه ضرورات يفرضها الاستقرار الاجتماعى وليست هى أصولا فى ذاتها، وربما كان شرط القرشية ليس لأن هذا الحى تدين له الأمة فحسب، ولكن لأن منه رسول الله صلى الله عليه وسلم جمرة إيمان هذه الأمة وعصب إيمانها، فيذكرونه به ويتمثلونه فى شخصه والله أعلم.

وإننى بعد أن بينت ذلك أرى أن الأسس السابق ذكرها، بعضها يمت إلى هذا التخريج وبعضه لا نراه شيئا، فالقول بأن الأمة الإسلامية تقوم على الأخوة والتكافل الاجتماعى هو قول حق عن يقين. والقول بأنها تقوم على العدل، هو كذلك قول ثابت حق، لأن العدل بمعناه الاصطلاحى هنا هو العدل النظامى، أى إنزال أصول النظام (أى أصول الإسلام) على النوازل. فهو بعيد عن المشروعية الإسلامية السابق ذكرها. وأما القول بأن الشورى أساس الحكم الإسلامى فنراه فى المكانة الثانية؛ فإن السنة الصحيحة والعمل فى عهد الخليفتين يظهران أن الإمام أحيانا كان لا يستشير، ولم تجر الشورى إلا فى نوازل قليلة لا تصلح أن نسمو بها إلى حد هذا التأصيل. كما أن هيمنة المبدأ الإسلامى ووضوحه وشموله — فإن لله حكما فى كل نازلة — تجعل المسألة فى الغالب ليست شورى ولكن اجتهاد. فالشورى إنما تكون فى المسائل التقديرية البحتة التى تحتاج للاستحسان وتحكيم المصالح المرسلة والتحسين العقلى. ولكنها لا تلزم أبدا حيث يوجد نص أو يمكن القياس، فمحلها فى الملاءمات فقط وليس فى تطبيق النصوص الشرعية، وبذلك تكون لها مكانة ثانوية، وإنما نظن أن التأثر بها الآن سببه بريق المذاهب البرلمانية

والنيابية الحديثة ، فأرادوا أن يقولوا : عندنا مثلهم !

وكذلك أشير إلى أن الفكر الإسلامي قد أصابه شيء من الإحجام عن الشعبية بعد عهد النبي ﷺ وخليفتيه أبي بكر وعمر ، فبعد أن كان الحكم على ما رسمنا كان الحاكم من صميم أهل الإيمان وأفضلهم وخيرتهم ، وكان يجلس إليهم طيلة يومه في المساجد ويعيش دون الكفاف ، وكان لرجل الشارع أن يطاول بالحجة الشرعية ما شاء الله له أن يفعل ، انقلب الأمر ملكا واستبدوا بالأمر ، ونكلوا بالأحرار ، وخاف بعض أهل الفهم واعتزلوا . . .

واكتست الأفكار تدريجيا على مر العصور مسحة (ارستقراطية) تعترف بالسيادات والرياسات ، وتتناسى الشعب والحريات .

وكان لذلك أثر واضح في ترتيب كتب الفقه لموضوعات الإمامة والسياسة ، فنجدها تعنى كل العناية ببسط أحكام الإمامة ، ثم الوزارة ، ثم الإمارات والأحكام ثم لا شيء إطلاقا عن الشعب والحريات . وأين الكلام عن التوازن الدستوري ؟ أين الكلام عن الشورى وكيفية ممارستها ، لا شيء إطلاقا مما أدى إلى نقص خطير في إظهار الفكر السياسي الإسلامي وإلى إغفال موضوعات غاية في الأهمية في العصر الحديث وأصبحت ذات حساسية كبرى خاصة في أذهان الشبان المثقفين ممن يطلعون على تيار الفكر الحديث في الدول الأخرى ، وصار من المتعين علينا أن نواجه هذه الحساسية وأن نغمرها تماما مخافة أن تتسرب أذهان أبنائنا إلى تلك التيارات الأخرى الغريبة .

ولا شك أن الإسلام يعرف الحريات والسلطة الشعبية والتوازن الدستوري ، وله رأى في الفصل بين السلطات والتمثيل الشعبي ، وكل المسائل الدستورية الحديثة . لأنه كما قلنا نظام شعبي بطبيعته ، كما كان على حقيقته في عهد النبي ﷺ وصاحبيه الجليلين ولا شك أن علينا أن نظهر الشريعة الإسلامية في هذه الأمور وإن كان ذلك يتطلب جهداً مضنياً .

ولذلك فإن المنهج الذي أراه في عرض السياسة الشرعية هو البدء بالمسائل الشعبية ، وهي الحريات والسلطة الشعبية والتوازن الدستوري ، فهذه موضوعات يجب إشباعها تماما دون الاكتفاء بالأحكام السلطانية المعروفة والتي تنحصر في بحث الإمامة والولايات العامة .

والله سبحانه وتعالى الموفق للخير وصلى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

مصطفى كمال وصفي

ملامح شخصية السفير في الإسلام

للعقيد : حسن فتح الباب

عرف العرب نظام السفارة بينهم وبين غيرهم من الأمم والشعوب المجاورة منذ أقدم العصور ، وكانت لهم أنظمة وتقاليد راسخة فى علاقاتهم ومعاملاتهم الخارجية قبل الإسلام .

فقد اقتضت العلاقات التجارية الوثيقة التى نشأت بينهم وبين جيرانهم أن تتبادل القبائل العربية فيما بينها وبين هؤلاء الأقوام المراسلات والبعثات ، وأن يصبح لها بتواتر هذه السفارات أسلوب تقليدى تصرف به شئونها وتدير مصالحها التجارية وغيرها .

والعرب بطبيعتهم قوم رحل جوابو آفاق ، تشهد بذلك أسفارهم وقوافلهم التجارية وندواتهم فى سوق عكاظ وغيرها من الأسواق ، واجتماعاتهم فى مواسم الحج ، ووفادات شعرائهم وحكامهم إلى ملوك فارس والحيرة وغسان وحمير .

وقد ساعد على قيام السفارات بين العرب والبلاد المجاورة وتوثيق صلاتهم بها موقع جزيرتهم بينها منذ كانت معبرا للقوافل التجارية قبل الإسلام ، وقد أتاح لهم ذلك مركزا تجاريا ممتازا ، وعلاقات ودية حميدة فى العالم المعروف إذ ذاك . وتحفل كتب التاريخ بأخبار رسلهم إلى الملوك ووفاداتهم ومفاوضاتهم ، بل إنه قدمت إليهم بعثات من هـذه الممالك والبلاد تخطب ودهم وتطلب مؤازرتهم .

فلما بعث النبى ﷺ اقتضته طبيعة الرسالة أن يتخذ من السفارات وسيلة لنشر دعوته فى الجزيرة العربية ومنها إلى أرجاء العالم . وهكذا تطورت نظم السفارات لتفى بهذه الحاجة الجـديدة ودخلت فى مرحلة أكثر تقدما فى شكلها ومحتواها ونعنى بها السفارات الإسـلامية فى نشأتها الأولى . وتختلف حلقات هذه المرحلة بحسب ظروف الدعـوة وأغراضها وتطورها المرتقب فى المستقبل .

فقد كانت العلاقات الخارجية التى أقامها الرسول قاصرة فى بداية الأمر على المحادثات الشخصية وإرسال الكتب وإيفاد البعثات

إلى القبائل العربية وإلى ملوك الدول المجاورة ورؤسائها للتعريف بالإسلام والدعوة إليه، ومن أجل هذا الغرض كانت سفارات الصحابة إلى مختلف القبائل، وكانت المؤتمرات التي عقدت بالجزيرة العربية لشرح الإسلام والإقناع به فيما بعد .

ولما أثمرت الدعوة وتحققت للعرب - لأول مرة - وحدتهم السياسية ، فقامت أول دولة في المدينة برياسة النبي ، أصبح انتهاج أسلوب السفارات ضرورة جوهرية لدعم أركان الدولة الناشئة ، فاتسع نطاقها وتعددت وسائلها وأغراضها وتطورت دعائمها ، فلم تعد علاقات المسلمين بجيرانهم قاصرة على التبادل التجاري ، بل امتدت إلى مختلف النواحي الأخرى لشدة حاجة الدولة الجديدة إلى الاتصال بالدول المجاورة في سبيل تنفيذ السياسة الخارجية الإسلامية عن طريق إيفاد السفارات .

وكان عهد الخلفاء الراشدين امتداداً لعهد النبي الكريم ، فظلت السفارات الإسلامية وسيلة لتوطيد أركان الدولة بالإفادة من الأسلوب الودي كبديل للحرب أو مساعد لها في تنفيذ الخطط السياسية إذ كان ذلك من طبيعة بث الدعوة إلى الإسلام والدفاع عنها .

ولم تختلف السفارات كثيرا من حيث أغراضها في العصر الأموي وإن جد تطور عليها في أسلوبها وطابعها وتنظيمها فاستمرت تستخدم في نشر رسالة الإسلام وإعلان الحرب دفاعا عن حرية العقيدة والتمكين للإسلام دينا ودولة - بعقد المعاهدات مع ممثلي المدن والأمصار التي فتحها المسلمون .

ثم كان عصر العباسيين الذي اشتد فيه ساعد الدولة الإسلامية فأصبحت في طليعة القوى السياسية الدولية ، إذا امتدت رقعتها من أطراف الصين شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا ، فضلا عن اتساع أرجائها شمالا وجنوبا ، فكان لذلك أثره البالغ في السفارات ، فازدادت باتساع نطاق العلاقات الدولية بين العباسيين في بغداد ، والبيزنطيين في القسطنطينية ، وتعددت أغراضها ووظائفها بحيث أصبح تبادل السفراء أو الممثلين السياسيين وسيلة لتوثيق الصلات التجارية، وتبادل الأسرى، وتبادل العطايا ، وفض المنازعات، وعقد المعاهدات وغير ذلك من الأغراض السياسية والعسكرية كما استحدث غرض آخر للسفارات ، وهو تعزيز الروابط العلمية والثقافية بين الدول

لما يحققه ذلك من إقرار علاقات المودة والسلام بينها ودعم الحركة الثقافية فى البلاد

ومن ثم كان إيفاد الدولة الإسلامية السفارات إلى الدول الأخرى ضرورة حيوية لمباشرة نشاطها السياسى والتجارى والعلمى ودعامة قوية من دعائم نموها وتطورها ، فلا غرو أن تغدو السفارات على اهتمام الدولة المتزايد ورعايتها السابغة وأن يكون اختيار السفراء خليقا بتحقيق المصالح العليا للدولة ، فكان السفير يختار وفق معايير دقيقة تضمن صلاحيته لتمثيل الدولة الإسلامية، وأهليته ليكون عنوانا لها ، وكان يشترط فيه توافر المواهب والمؤهلات التى بدونها لا يمكن الوفاء بمسئوليات تلك المهمة الكبيرة البالغة الحساسية ، فهو يمثل مصالح بلاده ويعبر عن سياستها لدى الموفد إليهم . ومن ثم يجب أن يكون مثلا عاليا فى الخلق الممتاز لأنه الناطق بلسان دولته ، وهو كذلك يتتبع أنباء البلاد المضيفة وينقلها أولا بأول إلى حكومته مع محاولته التنبوء مقدما بأى اتجاه جديد قد يظهر فيها ، ولذلك يجب أن يتصف بالكياسة والذكاء فى عمله .

ولما كانت المهنة الأولى للسفير هى توثيق علاقات دولته مع الدول الأخرى حتى تطمئن إلى سلام يساعد حقا على السير قدما فى جو من الاستقرار دون الزج بها فى حمأة اللهب السياسى وفقدانها مكانتها الدولية وانغماسها فى مغامرات قد تضيع عليها مصالحها الحيوية مما يضعف من شأنها ويورث الشعب الوهن ويفقد قوى هامة مادية ومعنوية وقد يزج بها فى حرب مدمرة تلقى على مستقبل الأمة ، لما كان الأمر كذلك فلا مناص فى اختيار السفراء ممن يتصفون بالقدرة على المفاوضة لأن تنظيم العلاقات الدولية إنما يبدأ بالتفاوض فعقد الاجتماعات ثم إبرام الاتفاقات والمعاهدات ، وقد يسير هذا العمل سيرا منتظما كمجرى النهر الضخم فى الوادى المنبسط السهل وقد يعترضه العقبات والشلالات فيتعثر فى السير، والسفير الكفء هو الذى يتلافى المنازعات ويحل المشكلات ويكسب الموقف بالإقناع والتأثير فى الطرف الآخر تأثيرا خفيا أو ضمنيا دون أن يظهر لهفته وتهافته على حل المشكلة.

وكان العرب يختارون سفراءهم من بين الشخصيات البارزة فى الدولة ذات المنزلة المعروفة بحصافة الرأى ، وبلاغة القول ، ورجاحة العقل، وسرعة البديهة ، واحتيال

الحيل، وتقليب الأمور، مما يجعلهم أهلا لما يمهد به الخلفاء والسلاطين إليهم من أمور السفارة ومفاوضة الملوك ووزرائهم وقد حفلت المؤلفات العربية بالوصايا التي خلفها الحكماء والقادة والحكام في شأن السفارة وصفات السفير ووسائل اختباره واختياره وما يستحب فيه من طباع وأوصاف ليكون أهلا للرسالة وتمثيل مرسله. فلم يكن يقع الاختيار إلا على الأكفاء لتلك السفارات من ذلك أن الخلفاء المسلمين قد عهدوا بالسفارة إلى القضاة والفقهاء كالشعبي رسول عبدالملك بن مروان إلى الروم، والمحدثين كالزينبي، والعلماء كيحيى بن الربيع، والمتصوفة كالسهروردي رسول الخليفة الناصر، وإلى كبار موظفي الدولة كالوزراء والكتاب والأطباء كعبيد الله بن نصر، وكبار التجار كالسلامي رسول السلطان الناصر محمد لعقد الصلح مع أبي سعيد ملك المغول.

ولعل أبلغ ما كتب في صفات من يصلح للسفارة ما جاء في رسل الملوك لابن الفراء على لسان أحد الحكماء:

اختر لرسالتك، في هدنتك وصلحك، ومهماتك، ومناظرتك، والنيابة عنك، رجلا حصيفا حولا قلبا، قليل الغفلة، منتهز الفرصة، ذا رأي جزل، وقول فصل ولسان سليط وقلب حديد. فطنا للطائف التدبير، ومستقبلا لما ترجو أو تحاول بالحزامة وإصابة الرأي، ومتعقبا له بالحذر والتمييز، ساميا إلى ما يستدعيه إليك ويستدفعه عنك. حاضر الفصاحة، مبتدر العبارة، ظاهر الطلاقة، وثابا على الحجج، مبرما لما نقض خصمك، ناقضا لما أبرم، يحيل الباطل في شخص الحق، والحق في شخص الباطل.. عالما بأحوال الخراج والحسابات وسائر الأعمال ... وليكن من أهل الشرف والبيوتات، فإنه لابد مقتف آثار أوليته، محب لمناقبها مساو لأهله منها...»

والصفات التي تشترط في السفير على نوعين: أولهما خاص بالمظهر الخارجي، والثاني خاص بالطباع والخصائص النفسية.

ومن أخبار السفراء المسلمين الذين عرفوا بالوسامة وبهاء الطلعة والرواء في المظهر والزي. أن نصر بن الأزهر – وكان رسول المتوكل إلى (ميخائيل بن تيوفيل) امبراطور الروم سنة ٢٤٥ هـ – ٨٦٠ م – وصل في أبهى زينة متشحا بالملابس السوداء.

وهى الزى الرسمى للعباسيين ، وعلى رأسه قلنسوة ، متمنطقا سيفا وخنجرا ، فأبى القائم بأمور الأمبراطور إدخاله عليه بهذه الهيئة ، ولكن السفير حرص على تقاليد دولته الدبلوماسية ، ودخل على الأمبراطور وجلس فى مكان قرب سريره الكبير بملابسه الكاملة .

ومن أشهر السفراء المسلمين فيما اتصفوا به من رواء المظهر ، سفير عبد الرحمن الثانى خليفة الأندلس إلى ملك النورمان سنة ٢٣١ هـ — ٨٤٥ م الملقب الغزال نسبة إلى جماله الظاهر ، وكان شاعر الخليفة أديبا مشهورا بين أدباء عصره . وقد أثبت لدى قيامه بمهمته من ضروب النشاط وإجادة فنون الرياضة واللباقة وسعة العلم ما أثار إعجاب النورمان وملكهم وملكتهم « نود » .

ونخلص من تحليل الصفات التى كانت تستحب فى السفير للوفد لأداء رسالته أن منها ما يتعلق بصحة الجسم ، وما يتعلق بالمظهر وحسن الهندام ، وما يتعلق بحسن النطق وسلامة الأداء ، فيستحب فى الرسول « تمام القد وعبالة الجسم ، حتى لا يكون قميئا ولا ضئيلا فأعين الملوك تسبق إلى ذوى الرواء من الرسل .. يملأ العيون المتشوفة اليه فلا تقتحمه ، ويشرف على تلك الخلائق المتشوفة له فلا تستصغره » « صحيح الفكرة والمزاج ذا بيان وعبارة بصيرا بمخارج الكلام ووجوهه ، صدوق اللهجة » . وقد أوصى الوزير السلجوقى نظام الملك فى مؤلفه « سياسة نامه » أى فن الحكم ، أن يكون السفير « مسنا عالما » .

ويستدل مما أولاه الخلفاء والحكام المسلمون من عناية بمظهر سفرائهم — إذ كان الرواء شرطا عند اختيار السفير — على سعة أفقهم ، وعمق نظرتهم ، وسلامة بصيرتهم ، ذلك أن الصفات العقلية والخلقية لا تكفى وحدها ولا تتكفل بذاتها نجاح السفير فى مهمته ، مما يرجع إلى طبيعة السفارة وأغراضها بوصفها وظيفة رسمية تعنى بالشكليات المتعارف عليها والمراسيم النابعة من العرف والتقاليد السائدة . كذلك ، فإن أهمية الشكل فى عالم الدبلوماسية ترجع إلى ما له من تأثير فى الموضوع ، وفى النص السالف إشارة إلى هذا المعنى : « فأعين الملوك تسبق ذوى الرواء من الرسل » . ومن الثابت فى النظريات الحديثة

أن الشكل هو إطار الموضوع الذى يحدد أبعاده ، أو هو الوعاء الذى يحتوى المضمون ويصوغه فى قالبه ويخلع عليه لونه وطابعه .

أما الصفات التى تتعلق بالطباع والخصائص العقلية التى ينبغى أن يتحلى بها السفير فهى حسن الرأى ، ورجاحة العقل ، والتصرف والنزاهة عن بيع الأمانة أو خيانة مرسله والحذر من تجاوز مارسم له أو تغيير شىء من رسالة من اختبر ثقته أو رد من أرسل إليه . ويعدد ابن الفراء هذه الصفات فى عبارة أخرى فيقول : ان السفارة تقتضى حسن أخلاق السفير كأن يكون عفيفا نزيها ، أمينا لا أمين عليه ، بحيث لا يقبل الرشا ، ولا يستفزه العطاء ، فيقصر فيما يجب لصاحبه ، ويبالغ فيما لا ينبغى لمن أرسل إليه ، وأن يكون جيد اللسان لا تبدر منه البذية ، كاظما للغيظ لا تلحقه سورة الغضب ، يؤثر الصدق فى القول ، عتالا فى محاورته ومكائده ، يناظر كلا بحسب ما يراه من صوابه وخطئه ، وأن يكون وقورا ذا حزامة ، حليما ذا أصالة رأى ، جريئا لا يرتاع لتهديدات مرهبة ، ولا يتغير بأطماع مرغبة ، بل يضع الأمور فى مواضعها ويقابل كل فعل بما يليق به .

قال البحترى فى وصف الرسول :

وكأن الذكاء يبعث منه
فى سواد الأمــور شعلة نار

وقال الآخر :

وابعث رســولا فى ملاطفة
قــد أحكمت أحكامه الحيل

ومن الأبيات المشهورة :

إذا كنت فى حاجة مرسلا
فأرسل حــكيما ولا توصـه

ومن الصفات التى اشترطها العرب فيمن يحمل الرسالة ويقوم بالسفارة ، ألا يكون ميالا للنساء حتى لايستخرجن أسراره ، أو ممن يحب شرب النبيذ : « فإن كان شارب خمر فليتركه فى ذلك الوقت بالكلية ، فإن الخمر تفضح شاربها وتطلع على ما فى نفسه من الأسرار . فقد كانت الحزمة من ملوك الفرس تحرم على الرسل شربها وتضرب عليه الأعناق عند المخالفة » .

وثمة خلال ومناقب أخرى من مقومات شخصية السفير ، وهى أن يكون غزير العلم واسع الثقافة ، كأن يكون جامعا للشريعة والسنن والأحكام والسير (التاريخ) ، أديبا راوية للشعر وما يتبعه من جودة البيان وقوة اللسان وحكمة الأوائل وأمثالها ، عالما بأصول فرض الضرائب وتحصيلها وبالقواعد المالية ، وهى علوم من يصلح للسفارة من القضاة والفقهاء والعلماء .؟

عفيفى : حسن فتح الباب

انتشار الإسلام في الرحاب

للدكتور حامد غنيم أبو سعيد

— ٢ —

اتضح لنا من المقال السابق أن العلاقة بين الجانب الإسلامى وأهل أذربيجان قد تجمدت أثناء المرحلة الأولى داخل الإطار الرسمى للحدود السياسية ، واتضح لنا أيضاً أن هذه المرحلة قد استغرقت السنوات الأخيرة من عهد الخليفة عمر بن الخطاب ومعها الشهور الأولى من عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنهما (من أواخر سنة ١٨ إلى أوائل سنة ٢٥) ولسنا بحاجة إلى أن نؤكد هنا أن هذا المستوى من العلاقات لم يحقق أى نجاح بالنسبة لحركة انتشار الدين الإسلامى فى هذا الإقليم .

ونقول اليوم : إن الجانب الإسلامى قد تجاوز هـــذا المستوى من العلاقات إلى مستوى جديد أساسه الاتصال المباشر والمعايشة التى لا تحدها موانع مع الجماهير فى أذربيجان ، وذلك للعمل على نشر الدين الإسلامى بينهم ، وقد حدث هذا التطور الذى له أهميته البالغة فيما نحن بصدده من دراسة انتشار الإسلام فى هذا الإقليم من أقاليم الرحاب — أقول : حدث هــذا التطور فى سنة ٢٥ .

ففى تلك السنة أتى الأشعث بن قيس إلى هذا الإقليم فى صحبة الوليد بن عقبة ، وبعد انصراف الأخير بقى الأشعث فى أذربيجان ، وقد استطاع هذا الصحابى ، ومعه القوات الإسلامية التى كان يقودها ، أن يتغلب على حركات التمرد ، وأتى بجماعات عربيـة وأسكنها فى الإقليم ، وأمرها بدعاء الناس إلى الإسلام .

والنص الذى أورده البلاذرى بخصوص هذه النقطة هو[1] : « ففتحها (أى فتح الأشعث أذربيجان) على مثل صلح حذيفة وعتبة بن فرقد ، وأسكنها ناسا من العرب من أهل العطاء والديوان ، وأمرهم بدعاء الناس إلى الإسلام » .

١ — فتوح البلدان ص ٤٠٩

ما قد وضع المسئولون فى الدولة الإسلامية خطة معينة ونظموا حملة محددة، والهدف هو دعوة أهالى أذربيجان إلى اعتناق الدين الإسلامى، وذلك عن طريق الاتصال المباشر والمعايشة المنفتحة . ولا يسع الدارس إلا أن يقول : إن الوضع الجديد يعتبر دون شك تطوراً بعيد المدى فى مجرى العلاقات بين الدولة الإسلامية والأذربيين، وذلك لأن الدولة الإسلامية لم تعد تخاطب أهل أذربيجان من خلال ممثل سياسى لهم قد تكون مصلحته فى أن يحجب عن أنظار المسلمين الرغبة الحقيقية للمواطنين هناك، بل إنها عمدت إلى الاتصال المباشر بأهل البلاد لا على المستوى السياسى أو الرسمى ، بل عن الطريق الجماهيرى أو الشعبى ، وهو الطريق الذى من خلاله تصل المصارحة إلى أقصى درجاتها، وفى نطاقه يعبر الفرد بصدق عن حقيقة مشاعره وإحساساته .

وهنا نود أن نؤكد أن الهدف الرئيسى، بل والوحيد، من إسكان ناس من العرب فى أذربيجان، كان هو العمل على نشر الدين الإسلامى بين أهالى الإقليم ولا شىء آخر وراء ذلك وتؤكد هذه الحقيقة التى يبرزها النص السابق، وذلك فى مواجهة من يزعمون أن استيطان المسلمين فى المناطق التى لم يكن الإسلام قد انتشر فيها بعد، كان يرمى إلى الاستغلال والاستئثار بخيرات هذه المناطق على حساب المواطنين الأصليين .

هذا، ونحاول الآن أن نتعرف على مدى النجاح الذى حققته هذه الخطة، وفى هذا الصدد نقول : إن المراجع التى بين أيدينا تؤكد لنا أن هذه الخطة قد قوبلت باستجابة كبيرة من قبل الأكراد، وقد ذهب بعض المؤرخين فى المدى الذى وصلت إليه هذه الاستجابة إلى درجة القول بأن عامل الخليفة على بن أبى طالب على أذربيجان (أى بعد حوالى عشرة أعوام من وضع هذه الخطة موضع التنفيذ) وجد أغلبية الأذربيين قد أسلموا وقرأوا القرآن .

ومما لا شك فيه أن هذه النتيجة طيبة للغاية، وليس لقائل أن يقول : إن هذا الخبر قد سيق فى إطار المبالغة، إذ أن الطبرى (حـ ٤ ص ٢٤٦) يذكر لنا أن القوة الإسلامية التى كانت ترابط فى أذربيجان فى تلك الفترة كان قوامها

ستة آلاف رجل يستبدلون بغيرهم كل سنة .

ومعنى هذا القول أنه قد أتى إلى إقليم أذربيجان على مدى عشر سنوات ستون ألف مسلم ، وهذا العدد الضخم من الرجال المسلمين ، مع أن مهمتهم الرئيسية كانت هى الحفاظ على المكاسب الإسلامية من الناحية السياسية فإن ذلك لم يحل بينهم وبين العمل الدعائى من أجل إقناع الأذربيين باعتناق الدين الإسلامى ، ولا شك أن بعضهم ، ولا نقول أغلبهم ، قد نجح فى مهمته الثانوية ، ومن ثم انضم إلى الجماعة الإسلامية أفراد جدد من بين الأكراد فى أذربيجان .

فإذا أضفنا ذلك إلى نتائج الجهود التى بذلتها الجماعات العربية التى كلفتها الدولة الإسلامية بالاستيطان فى الإقليم ، والهدف الوحيد من وراء استيطانها هناك هو دعوة أهل أذربيجان إلى اعتناق الإسلام — أقول : إذا أضفنا نتائج الجهود الدعائية التى قامت بها القوات المرابطة إلى ما أسفر عنه النشاط الذى بذلته هذه الجماعات العربية ، وخاصة أن مهمة الأخرين كانت دعائية خالصة ، فإنه يتضح لنا إذن أن القول بأن أكثر أهل أذربيجان كانوا قد أسلموا حوالى سنة ٣٦ هـ ليس من قبيل المبالغات .

لم يحدد لنا البلاذرى الأمكنة التى استوطنها أهل العطاء والديوان الذين نيطت بهم مهمة دعاء أهل أذربيجان إلى الإسلام ، فلم يذكر مدينة باسمها ولم يحدد منطقة بعينها ، وهذا الإطلاق مقصود من البلاذرى ، إذ أنه يتفق والمهمة التى كان يعمل من أجلها أهل العطاء والديوان ، وهى العمل على نشر الإسلام بين أهل أذربيجان .

فمثل هذه المهمة تقتضى من الرجال الذين يقومون بها أن يتحركوا ويلتقوا بالأذربيين فى مختلف الأنحاء والبقاع ، ولذا فإنه من الممكن للدارس المعاصر أن يقول فى ضوء هذا الفهم أن أغلبية أكراد أذربيجان على امتداد بلادهم ، من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب ، قد اعتنقوا الدين الإسلامى فى هذه الفترة التى تبدأ من سنة ٢٥ هـ حتى أوائل عهد الخليفة على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه (٣٥ — ٤٠ هـ) .

ولكن ما هو سر هذه الاستجابة

الكبيرة التي قوبل بها الدين الإسلامي من أكراد أذربيجان، وما هي حقيقة الدوافع التي حملت هؤلاء الأكراد على أن ينبذوا دياناتهم السابقة ويعتنقوا الدين الإسلامي؟ وما هي طبيعة الظروف التي ساعدت الدين الوافد في التغلب على المجوسية التي ظلت سائدة هناك لأجيال عديدة؟؟.

إن أياً من المؤرخين الذين نعتمد على كتاباتهم هنا لم يخلف لنا أساساً نعتمد عليه في تقديم إجابة مدعمة بالأدلة عن هذه التساؤلات، ومن ثم فإنه لا مفر أمامنا من تلمس بعض الخيوط التي قد تساعد المرء في إشباع تطلعه إلى معرفة سر النجاح الكبير الذي حققه الإسلام هناك في هذه الفترة القصيرة.

وعلينا قبل هذا أن نتعرف على مركز المجوسية في أذربيجان وقت الفتح الإسلامي ونقصر الكلام على المجوسية بصفة خاصة لأنها كانت الديانة الغالبة بين أكراد أذربيجان، وذلك بالنظر إلى كل من النصرانية واليهودية.

بعد هذا نقول: إن إقليم أذربيجان كان قبل دخول الإسلام إليه واحداً من المراكز المعدودة للديانة المجوسية، ونعتمد في تقرير هذه الحقيقة على كل من ابن الفقيه والمسعودي وياقوت الحموي؛ فالأول يقول عن (الشيز) التي هي ناحية من نواحي أذربيجان: « وبها بيت نار آذرجشنس، وهو عظيم القدر عند المجوس[1] ».

أما الثاني فإنه يقول في مروج الذهب، وفي سياق حديثه عن بيوت النيران: « وبيوت النيران كثيرة مما بنته المجوس بالعراق وأذربيجان وأران »[2].

كما أنه يقول أيضاً: « كان يوجد بيت نار ببلاد الشيز وأران[3] ».

ويزداد الموقف وضوحاً من المعلومات التي يمدنا بها ياقوت فهو يقول عن الشيز: « ... ناحية من أذربيجان ... وقصبتها أرمية ... وكان بها بيت نار عظيم الشأن عندهم، منها تزكى نيران المجوس من المشرق إلى المغرب[4] ».

كما يقول أيضاً: « إن بالشيز نار آذرخش، وهو بيت معظم عند المجوس، كان إذا ملك ملك منهم زاره ماشياً[5] ».

(١) مختصر كتاب البلدان: طبعة ليدن ص ٢٨٦.
(٢) مروج الذهب: طبعة الشعب ج ١ ص ٤٧٠.
(٣) المصدر السابق ج ١ ص ٤٢٠، ٤٧١.
(٤) معجم البلدان: طبعة طهران ج ٣ ص ٣٥٥.
(٥) المصدر السابق: ج ٣ ص ٣٥٦.

هذه لمحات سريعة عن مركز المجوسية فى أذربيجان وقت الفتح الإسلامى ، ومن هذه اللمحات يتضح لنا أن هذه الديانة كان لها مركز بالغ القوة فى أذربيجان ، بل إن إحدى النواحى فى هذا الإقليم ، وهى ناحية الشيز، كان بمثابة أكثر الأماكن قدسية فى نظر أتباع الديانة المجوسية ، حتى من خارج أذربيجان ، وعلى امتداد الإمبراطورية الفارسية من المشرق إلى المغرب ، ليس على المستوى الجماهيرى فحسب، بل وعلى مستوى الملوك والأكاسرة .

ونصل من هذا إلى القول بأنه كان على الإسلام أن يواجه فريقا من كبار رجال الديانة المجوسية ، وذلك فى واحد من المراكز الرئيسية لهذه الديانة ، ومما لاشك فيه أن قادة المجوس هناك قد بذلوا أقصى ما فى طاقتهم واستخدموا كافة الوسائل والسبل ليفسدوا فاعليات النشاط الذى كان يقوم به رجال الجانب الإسلامى بغية تقديم الإسلام للمجوس .

والأمر الغريب حقا والذى يسترعى الانتباه، هو أن الإسلام فى فترة استغرقت حوالى عشرة أعوام ، قد ضم تحت لوائه معظم الأكراد الذين كانوا يعتنقون المجوسية ، تحققت هذه النتيجة الرائعة عن طريق الدعوة الخالصة البعيدة عن العنف والإكراه والتى كانت تخاطب فى الوقت نفسه عقول وقلوب الأكراد ، وهذه الحقيقة تقدم نفسها لأولئك الذين لا يحلو لهم إلا أن ينالوا من الدين الإسلامى فيعزون انتشاره السريع إلى السيف والإكراه .

ومع أن المؤرخين لم يزودونا بمعلومات تساعدنا فى الإفصاح عن سر انتصار الإسلام على المجوسية ، رغم ما كان للديانة الأخيرة من قوة وسلطان فى إقليم أذربيجان فإن الدارس يستطيع أن يرجع هذا النجاح الباهر إلى عاملين أساسيين .

أول هذين العاملين : هو القوة الذاتية التى كان يمتاز بها الإسلام كعقيدة ، والتى كانت تنبع من تعاليمه ومبادئه التى تتفق مع الفطرة البشرية السليمة ، والتى تلبى فى الوقت نفسه متطلبات الإنسان فى النواحى الروحية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية . وليس هنا مجال لتفصيل الحديث عن هذه التعاليم والمبادىء .

ولكن مما لاشك فيه أن الأكراد فى أذربيجان قد وجدوا فى هذه التعاليم والمبادىء كل ما كانوا يفتقدونه فى المجوسية

الأمر الذى دفعهم إلى نبذ الديانة التى توارثوها من آبائهم جيلا بعد جيل، نبذوها طواعية وعن طيب خاطر، وذلك حينما وجدوا دينا جديداً تؤكد لهم تعاليمه ومبادئه أنه سيملأ الفراغ الروحى والفكرى الذى كانوا يعيشون فيه مع المجوسية.

أما العامل: الثانى فهو القدوة الحسنة التى كانت متمثلة فى المسلمين الذين نيطت بهم مهمة الدعوة إلى الإسلام بين الأكراد إذ أنه من المعروف من رجال الجيل الأول من المسلمين، وهم الرجال الذين تلقوا تعليمهم وتأديبهم من المعلم الأول، وهو الرسول محمد ﷺ، من المعروف عن هؤلاء الرجال أنهم كانوا مثلا عالية ونماذج رائعة فى السلوك والأخلاق والتمسك بتعاليم الدين، ومن الطبيعى أن الدعاة إلى الإسلام بين الأكراد حتى بدون عقد سلسلة من المقارنات بين الحال التى عليها هؤلاء الدعاة المسلمون والأوضاع التى يعيش هو بوصفه مجوسيا فى إطارها. وقد اعتنق أكثر الأكراد الدين الإسلامى اتفاقا مع النتيجة التى أبرزتها لهم سلسلة المقارنات.

هذان هما العاملان الأساسيان وراء النجاح الكبير الذى أحرزته الدعوة إلى الإسلام بين الأكراد فى أذربيجان. ولنا أن نقول الآن: إنه بعد تحقيق هذه النتيجة العظيمة، أخذ المسلمون يتركزون فى مدينة أردبيل، عاصمة الإقليم، وهذا ما عمل على تحقيقه الأشعث بن قيس، عامل الخليفة على بن أبى طالب رضى الله عنه فى إقليم أذربيجان، فما يذكر عنه أنه: «أنزل أردبيل جماعة من أهل العطاء والديوان من العرب، ومصرها وبنى مسجدها[1]» والمسجد الذى بناه الأشعث بن قيس فى مدينة أردبيل هو أول بناء من نوعه فى عاصمة أذربيجان، ويمكن اعتبار سنة ٣٧ هـ الوقت التقريبى الذى تم فيه إنشاء هذا المسجد. وبالتالى أخذت هذه المدينة بمظاهرها الإسلامية تنمو لتأخذ شكل مركز هام من مراكز الدين الإسلامى.

مع تحقيق هذه النتيجة العظيمة، ومع الغلبة الكبيرة التى حققها الإسلام على حساب المجوسية — أقول مع هذا وذاك لم يوقف المسلمون نشاطهم فى سبيل نشر الإسلام وتعميق مفاهيمه بين مواطنى الإقليم، فها هو ذا اليعقوبى يذكر فى تاريخه عن الخليفة على بن أبى طالب رضى الله عنه

(١) البلاذرى: فتوح البلدان، ص ٤٦٠.

من أيام الإسلام :

يوم الاستشهاد العظيم

للأستاذ محمد فرج

مؤتة :

محلة صغيرة تقع على الحدود بين الجزيرة العربية وبلاد الشام .

محلة صغيرة ولكنها تحتل مكانا مرموقا فى التاريخ الإسلامى وفى تاريخ الحروب ، فقد دارت فوق أرضها معركة كان لها شأن كبير أبرزت دروسا مستفادة وأرست قواعد هامة للحرب يجب أن يلتزم بها المحاربون فى كل العصور ، وأعطت أعظم الأمثلة وأروعها للاستشهاد الكريم فى سبيل الله وللمبدأ والعقيدة :

محلة صغيرة استشهد فوق أرضها ثلاثة

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

أنه أرسل رسالة إلى قيس بن سعد بن عبادة عامله على أذربيجان ، يقول له فيها : « وعلم من قبلك مما علمك الله » (١) .

وهذا التوجيه يمكن فهمه على مستويين : المستوى الأول هو تعريف المسلمين هناك بمعانى دينهم وتعاليم عقيدتهم ، والمستوى الثانى : هو العمل على دعوة غير المسلمين هناك إلى اعتناق هذا الدين الحنيف .

والمستوى الأول يهدى إلى تأكيد مفاهيم الإسلام وتعميقها بين الذين اعتنقوه

أما المستوى الثانى ، فإنه يرمى إلى اجتذاب عناصر من أتباع الديانات التى كانت موجودة فى الإقليم إلى اعتناق الإسلام ، ومن المرجح أن هذا التوجيه كان له أثره الإيجابى بالنسبة لكل من المستويين .

هذا هو مدى النجاح الذى حققه الإسلام فى أذربيجان حتى آخر عهد الخلفاء الراشدين ، ولنا لقاء فى المقال التالى حيث نتابع ما نحن بصدده من دراسة انتشار الإسلام فى هذا الإقليم من أقاليم الرحاب ؟

د . حامد غنيم أبو سعيد

---

(١) تاريخ اليعقوبى : طبعة المكتبة المرتضوية فى النجف حـ ٢ ص ١٧٨ .

من أبطال الإسلام المغاوير، وكان استشهاد كل منهم قصة تروى ، وبطولة تحكى واستشهاداً يقتدى .

استشهد هناك زيد بن حارثة ، وحياة زيد صفحات مشرقة من الكفاح والبطولة والإخلاص والتقوى ، والصلاح والإيمان والفدائية ، فقد خطفه، وهو صغير، قوم من بنى القين بن جسر ، وعرضوه للبيع فى سوق عكاظ ، فاشتراه حكيم بن حزام ابن خويلد لحساب السيدة خديجة التى وهبته لرسول الله فأسلم ، ولما جاء أهله فى طلبه من رسول الله ، أبى أن يعود إليهم ، وقرر أن يمضى فى نور الدعوة المحمدية « ما أنا بالذى اختار عليك أحدا ، أنت منى بمكانة الأب والأم » ، وأعلن الرسول أمام هذه الرغبة أن زيدا ابنه يرث كل منها الآخر ـ وذلك قبل تحريم التبنى ـ وهاجر زيد إلى المدينة ، وآخى الرسول بينه وبين حمزة واشترك فى مواقع كثيرة ، وخرج أميرا لسبع سرايا. وكانت مؤتة هى نهاية الطريق بالنسبة إليه . . قالت فيه عائشة رضى الله عنها (ما بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة فى جيش قط إلا أمره عليهم ولو بقى بعده لاستخلفه) .

واستشهد هناك جعفر بن أبى طالب الذى عاش شبابه فى كنف العباس عمه وعم رسول الله ثم أسلم ، وأصابه ضرر شديد حتى جاءه الأمر بالهجرة فكان على رأس للهاجرين إلى بلاد الحبشة حيث واجه محاولات عمرو بن العاص وعبد الله ابن أبى ربيعة فى حضرة النجاشى . هما يطلبان تسليم المسلمين وهو يدافع عن الإسلام دفاعا مجيدا نابعا من قلبه ووجدانه استطاع به أن يرد مبعوثى قريش دون أن يحققا هدفا أو يصلا إلى نتيجة ، وعاد إلى المدينة مع عودة الرسول منتصرا من خيبر فقبله رسول الله قائلا : ما أدرى بأيهما أفرح بقدوم جعفر أو بفتح خيبر ثم آخى بينه وبين معاذ بن جبل .

واستشهد هناك عبد الله بن رواحة البشير الذى حمل إلى المدينة نبأ الانتصار العظيم فى بدر ، والمؤمن الذى أخذ بزمام ناقة رسول الله وهو يدخل مكة فاتحا منتصرا والشاعر المؤمن الصالح الذى سمع رسول الله يتلو قول الحق ، والشعراء يتبعهم الغاوون » فقال : إنا منهم ؟ فنزل قوله تعالى : « إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات » وللقاتل الذى حمل سلاحه دفاعا

عن الدين والعقيدة وتمنى الموت فى سبيل الله يوم دعى للخروج إلى مؤتة :

لكننى أسأل الرحمن مغفرة
وضربة ذات مزع تقذف الزبدا
أو طعنة بيـد حران مجهزة
بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يقولوا إذا مروا على جدثى
أرشده الله من غاز وقد رشدا

هؤلاء الأمراء الثلاثة استشهدوا فى مؤته ، وكان استشهادهم عن يقين وثقة ورغبة خاضوا غمار المعركة بقلوب ثابتة ونفوس مطمئنة وعقيدة راسخة وعزم قوى لم تضعضهم شدة القتال ، ولم تخفهم كثرة عدوهم ، ولم تزلزلهم نازلة ، كانوا يسمون إلى أحد أمرين : انتصار عظيم يؤيد الله به الإسلام ، أو استشهاد كريم يعز به دين الله.

كان اللقاء فى مؤتة نتيجة طبيعية لتعرف أحق لحق بالمسلمين من جانب الروم وأشياعهم ، فقد بعث رسول الله كعب ابن عمير الغفارى على رأس سرية يدعو الناس على حدود الجزيرة من ناحية الشام إلى الإسلام فقتلوهم إلا كعبا الذى نجا بجراحاته وبعث الرسول بعد ذلك الحارث بن عمير الأزدى إلى ملك بصرى بدعوه إلى الإسلام فعرض له شرحبيل بن عمر الغسانى وعدا عليه وقتله واشتد ذلك على النبى ، ودعا الناس للخروج فاجتمع لديه ثلاثة آلاف مقاتل يبغون الثأر لقتلاهم ويطلبونه ..

وأصدر الرسول الكريم أمره إلى زيد ابن حارثة ليتولى قيادة الجند ، وهذا التعين درس هام من دروس غزوة مؤتة ، لماذا اختار الرسول زيدا دون غيره من رجالات الإسلام كخالد بن الوليد القائد المحارب الذى ذاع صيته وعرف اسمه وعلا شأنه وكجعفر بن أبى طالب ابن عم الرسول والبطل القوى القادر ، لقد خضع هذا الاختيار لمبدأ هام من مبادىء الإسلام وتم فى ضوء تعاليم الدين الجديد ، الذى دعا إلى المساواة المطلقة بين الناس والذى كان ينظر إلى الإنسان كانسان من خلال صفاته وأعماله وعقيدته وليس من خلال أصله وحسبه ونسبه وغناه فالأنساب والأحساب والأصل ليست موازين يزن بها الإسلام رجاله ، وزيد هو عتيق رسول الله وتوليه القيادة يرسى قواعد المساواة فى المجتمع الإسلامى ويحققها ويؤكدها ومؤتة هى أول موقعة يحدد فيها رسول الله ثلاثة من القادة يتولى كل منهم القيادة ، الواحد بعد الآخر . .

وهذه خطوة جديدة في تاريخ الحرب فلم يحدث قبلها أن رتبت القيادة هذا الترتيب الإسلامي الرائع .. فالقائد الذي يكون في مكان الصدارة يهجم مع جنده ويقاتل في الصفوف الأولى، يكون معرضا للموت، وهنا لا يجوز أبدا أن يترك مكانه خاليا ولا يجوز أيضا أن يترك شغل هذا المكان الحيوي الحساس للجند يتنازعونه ويسعى كل منهم إليه طمعا فيه وأملا أو رغبة فيه وشرفا . وكانت تعليمات رسول الله : «أمير الجيش زيد بن حارثة فإن قتل فجعفر بن أبي طالب ، فإن قتل فعبد الله بن رواحة ، فإن قتل فليرتضي المسلمون منهم رجلا فليجعلوه عليهم » .

وكان اللقاء في مؤتة لقاء من نوع غريب . المسلمون ثلاثة آلاف يواجهون عدوا كثيف العدد، جيوشه جرارة لم يشهد لها مثيل من قبل : قيل في عدده : إنه مائتا ألف وقيل يزيد ... ولم تكن الكثرة العددية هي صفة الجيش وإنما كانت هناك رغبة جادة لدى هذه الجموع في القضاء على الجيش الإسلامي المتقدم إلى حدود بلادهم لأن ملكهم (هرقل) كان قد هم بالاستجابة إلى الإسلام حين دعي إليه لولا أن قومه عارضوه فبقي على نصرانيته .. وحين فوجيء المسلمون بهذا الحشد المخيف ترددوا وعرض بعضهم : نكتب إلى رسول الله فإما أن يمدنا بالرجال وإما أن يأمرنا بأمر فنمضي له .. وغضب عبد الله بن رواحة كيف يتردد المسلمون أمام كثرة عدوهم وهم جند الله المؤمنون الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأرواحهم وأموالهم بالجنة الموعودة . أثاره هذا التردد فوقف يخطب في القوم ويقول لهم بصوت الإيمان والعقيدة « والله ياقوم ان الذي تكرهون للذي خرجتم تطلبون الشهادة . وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة وما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به فانطلقوا فما هي إلا إحدى الحسنيين إما ظهور وإما شهادة» واستجاب له الناس وأدركوا قيمة جهادهم ونبل غايتهم وعظمة الجنة التي وعدهم الله بها ، فاندفعوا يقاتلون وعلى رأسهم زيد بن حارثة الذي اندفع إلى صدور العدو بروح صدق وحماس وعزم وإصرار حتى مزقته رماح الروم وأخبر رسول الله قومه باستشهاده «استغفروا له وقد دخل الجنة وهو يسعى» وحمل الراية من بعده جعفر بن أبي طالب وجاءه الشيطان يمنيه بالحياة ويخيفه بالموت

فقال « الآن حين استحكم الإيمان فى قلوب المؤمنين تمنينى بالدنيا ! » وتقدم جسورا شجاعا هماما غير هياب يطلب الآخرة ويزهد فى الدنيا ويسعى إلى لقاء ربه وظل يقاتل القوم على فرسه فلما أحاطوا به نزل عنها وعقرها وظل على شجاعته وإقدامه يواجه عدوه وهو يردد :

يا حبذا الجنة واقترابها
طيبة وباردا شرابها
والروم روم قد دنا عذابها
كافرة بعيدة أنسابها
على إذا لاقيتها ضرابها

وأحس الروم بخطورته فحشدوا له قواتهم وأحاطوا به من كل جانب فلم يضعف أو يجبن بل ظل على عنفه فى القتال وشدته فى النزال حتى أصابته ضربة سيف قطعت يمينه فأخذ اللواء بيساره فأصابتها هى الأخرى ضربة سيف فحمل اللواء بعضديه وأخذ يكبر ويهلل ويثير فى الناس روح القتال ورأى الروم أن جعفرا هو مصدر الخطر فقرروا أن يسكتوا هذا الصوت الذى يدوى فى أرجاء المعركة تشحذ الهمم ويحمس الناس فسلطوا عليه سيوفهم فأخذته من كل جانب وأصابته فى صدره وشطرت جسده وسقط كريما شريفا فى حومة الوغى وبكاه الرسول وهو يقول لقومه « لقد رأيته فى الجنة له جناحان مضرجان بالدماء مصبوغ القوادم » .

وتولى عبد الله بن رواحة أمر المسلمين ولم يكن أقل من زميليه رغبة فى نيل الشهادة فقال مخاطبا نفسه « يا نفس إلى أى شىء تتوقين .. إلى امرأتى فهى طالق وإلى غلمانى فهم أحرار ، وإلى حصن حائط فهو لله ولرسوله » وأخذ سيفه وخاض المعركة وقيل إنه تردد بعض الشىء فاشتعلت عواطفه وثار إيمانه وتفجرت فى جوانبه أحاسيسه الإسلامية فخاطب نفسه :

يا نفس إلا تقتلى تموتى
هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيت
إن تفعلى فعلهما هديت
وإن تأخرت فقد شقيت

وقاتل عبد الله ولحق بزميليه ونال شرف الشهادة ، وصدق فيه « نعم الرجل عبد الله ابن رواحة ، وهكذا يكون القادة الثلاثة الذين عينهم رسول الله قد استشهدوا وأصبح المسلمون فى حاجة إلى قائد يتولى أمرهم ، وكان رسول الله قد ترك الأمر بعد

ذلك لهم . . رأى البعض أن يتولى الأمر عبد الله ثابت بن أقرم وهو رجل من أهل بدر، ومن السابقين إلا أنه رفض واقترح اسم خالد بن الوليد، لأنه أحق به منه « خذ أيها الرجل أنت أعلم بالقتال منى ».

وتولى خالد القيادة . وهنا تبرز صفة هامة من صفات مؤتة ودرس رائع من دروسها وحدث عظيم من أحداثها إذ وضحت (استراتيجية) خالد (وتكتيكاته) التي أكدت أنه رجل حرب لا تزعزعه الشدائد ولا يقعده البلاء ولقد قفز خالد بقيادته الحكيمة إلى مصاف رجال الحرب العظام لا في العصر الإسلامي وحده ولكن في تاريخ الحرب عامة فوقفه في مؤتة كان موقف العالم بشئون الحرب، الخبير بأمورها القدير على إدارتها القائم لمسئوليته المقدر لرسالته .

تولى خالد القيادة وقد نالت الحرب أقصى ما تناله من جيش قليل العدد يحارب بعيدا عن مركز قيادته العليا لا يجد سبيلا للإمداد ولا وسيلة لتعويض الخسائر لخطوط مواصلاته طويلة تمتد من المدينة إلى حدود الشام ولا تسمح بمده أو بأى تحرك جديد يشد من أزره فى محنته . .

تولى خالد القيادة، وجيشه يواجه جيشا كثيف العدد ضخم العدة يقاتل فوق أرضه، عدته كاملة موفورة وإمداده ملك يديه سهل ميسور . . الموقف إذن خطير والأمر جد عسير يحتم على المسلمين أن يلقوا سلاحهم وأن يفروا من الميدان فلا سبيل إلى استمرار القتال .

ولكن المسلمين قوم يفضلون الشهادة ويرغبون فى الموت ويتمنون الجنة، وعلى رأسهم قائد هو خالد الذى عجزت النساء أن يلدن مثله ، ولهذا لم يفكر واحد من الجيش فى أن يلقى سلاحه ويفر من المعركة بل ثبتوا جميعا وفكر خالد وهو القائد المحنك فى الأمر بعمق وفهم وإدراك للمسئولية وقدر موقفه بهدوء وعلم وخبرة وانتهى إلى خطة تتميز بالإحكام والبراعة.

واجه خالد الروم فى اليوم الأول وقاتلهم بهمة وقوة حتى انقطعت فى يده تسعة أسياف « لقد اندق فى يمينى يوم مؤتة تسعة أسياف فما ثبت فى يدى إلا صحيفة يمانية فلما حاجز القوم ليلا أعاد تنظيم قواته وغير مواقعها فجعل الميمنة ميسرة والميسرة ميمنة والساقة مقدمة والمقدمة ساقة وراقب الروم هذه التحركات وخيل إليهم أن مددا جديدا

قد وصل وأن إمدادات أخرى على الطريق تخفت حدة هجومهم انتظارا لما يسفر عنه الموقف .

وانتهز خالد الفرصة فكان يواجه الروم ويقوم بما يسمى فى حروب اليوم بعملية تخفيف القوات أى سحب أجزاء منها إلى الخلف أثناء تغيير مواقعها وظل سبعة أيام يناوش الروم وتنسحب قواته فى الخفاء حتى أتم انسحاب المسلمين جميعا .. وخطة خالد هذه هى أعلى ما وصل إليه التكتيك العسكرى فى عصرنا الحاضر وفى الاستطاعة أن تقارن بها عملية (روميل) فى الصحراء الغربيـــة حين راوغ بقواته جيـوش (مونتجمرى) ونجح فى الانسحاب بها وأطلق عليه الناس وقتها اسم ثعلب الصحراء فإذا كان خالد قد وضع الأسـلوب ونفذ الخطة بهذه القدرة والكفاءة قبل روميل بأكثر من ألف عام فما هو يا ترى اللقب الذى يستحق خالد أن يطلق عليه؟

إن خطة خالد قد أدخلت فى روع العدو أن مددا جديدا قدم على للمسلمين مما أضعف بروحـه المعنوية فأوهن من قوته وكسر من حدة غروره وأقنعه أن المسلمين جادون فى لقاء جديد يصدون به هجماته ثم يشنون عليه هجوما مضادا يكتسحونه به أرضه .

ومن عجب أن المؤرخين اعتبروا انسحاب المسلمين من مؤتة هزيمة وانكسارا ونسوا أو تناسوا أن مؤتة تمثل جزءا من معركة طويلة مع الروم وأن انهزامهم لم يعن أنهم خسروا المعركة فقد عادوا من جديد على عهد رسول الله إلى تبوك ثم عادوا مرة أخرى على عهدى أبى بكر وعمـــر وكان نصرهم نصرا عظيما فى اليرموك ودمشـــق وفى غيرهما من المعارك التى أوهنت من عزم هرقل وأفقدته الأمـل فى البقاء ففر هاربا من سورية وهو يناجيها ويودعها « وداعا سورية . وداعا لا لقاء بعده » .

هذه هى موقعة مؤتة .

كانت بداية معـركة فاصلة ضد الروم انتهت بزوال عهدهم وأصبح الإسلام هو دين الناس فى سورية وكانت بداية لشروق نجم سيف من سيوف الله هـو سيف الله المسلول خالد بن الوليد وكانت أيضا يوم الاستشهاد العظيم ؟

محمد فرج

من غرائب المصطلحات النحوية
"ذوات الثلاثة" و"ذوات الأربعة"

للدكتور أحمد مختار عمر

في أثناء اشتغالي بمعجم «ديوان الأدب» للفارابي دراسة وتحقيقاً صادفت مصطلحاً غريباً يتردد في هذا الكتاب وهو إطلاق « ذوات الثلاثة » على ما يعرف بالأجوف، و« ذوات الأربعة » على ما يعرف بالناقص. وقد شغلني هذا فترة من الزمن، وبذلت المحاولات لمعرفة صاحب هذه التسمية، وسبب التزام الفارابي لها، وسر إطلاقها، حتى اهتديت إلى ذلك.

أما صاحب هـــذه التسمية فهم الكوفيون الذين ابتدعوها، ثم استعملوها وروجوا لها. وأول من رأيته يستعملها منهم الفراء(١٤٤-٢٠٧هـ) فقد نقل ابن السكيت عنه في « إصلاح المنطق » أنه قال «.. وليس في ذوات الأربعة مفعل - بكسر العين - إلا حرفان: مأقي العين ومأوي الإبل، قال الفراء: سمعتها بالكسر، والكلام كله مفعل.. قال وليس يأتي مفعول من ذوات الثلاثة من ذوات الواو بالتمام إلا حرفان: « مسك مدووف وثوب مصوون » (ط المعارف طبعة ثانية ١٩٥٦ ص ٢٢٢). وتردد هذا الاصطلاح بعد ذلك في كلام ابن السكيت (ت ٢٤٤ هـ) ولم يتخل منه مرة واحدة في كتابه « إصلاح المنطق » (انظر ص ١٤٢ ، ١٤٤ ، ٢٢٠). وابن السكيت — كما هو معروف — من علماء النحو الكوفي ومن تلامذة الفراء. وقد عقد باباً بعنوان: « باب ما يقال بالياء والواو من ذوات الثلاثة » ذكر فيه كلمات مثل أغير وأغور، وتحوز وتحيز، وتوه وتيه ... الخ وباباً آخر بعنوان: «ومما يقال بالياء والواو من ذوات الأربعة » ذكر فيه كلمات مثل حكوت وحكيت.

وقد علق الخطيب التبريزي على هـذا الإطلاق في كتابه « تهذيب إصلاح المنطق » فقال: « ترجم هذا الباب بأنه من بنات الأربعة والذي قبله بأنه من ذوات الثلاثة، وكلا البابين من ذوات الثلاثة لأن غار وحكى بابهما واحد، إلا أنه سلك في هذا طريقة الكوفيين، وذلك أنهم يقولون لما كان معتل العين من الأفعال هو من بنات الثلاثة

وذوات الثلاثة، ولما كان معتل اللام هو بنات الأربعة .. » (مخطوطة دار الكتب رقم ٥١٢ لغة ص ٢٤٢).

ونحن نوافقه في أن هذا الاصطلاح من وضع الكوفيين ولكن نخالفه في هيئتين:

١ — دعواه أن الكوفيين يطلقون على معتل العين اسم «بنات الثلاثة» وعلى معتل اللام «بنات الأربعة» كما يطلقون عليهما ذوات الثلاثة وذوات الأربعة، فلم أجد أحدا منهم قد استعمل اسم «بنات الثلاثة» أو بنات الأربعة» وإنما يستعملون ذوات الثلاثة (فقط)، وذوات الأربعة (فقط) وابن السكيت نفسه الذي ادعى عليه أنه ترجم الباب بأنه من «بنات الأربعة» لم يقل ذلك، وإنما قال «ذوات الأربعة» كما جاء في نسخة إصلاح المنطق بتحقيق الأستاذين الكبيرين أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون.

والكوفيون كانوا على وعي وإدراك حين اختاروا ذوات الثلاثة وذوات الأربعة دون بنات الثلاثة وبنات الأربعة، لأن التعبير الثاني كثير التردد على ألسنة البصريين ويريدون بالأول الثلاثي، وبالثاني الرباعي، وهم يستعملون كذلك بنات الخمسة ويريدون به الخماسي.

وقد تكرر هذا الاصطلاح في كلام سيبويه عن الأبنية عشرات المرات، كما تكرر في «المنصف» (شرح تصريف المازني ت ٢٣٦) والمقتضب للمبرد (ت ٢٨٦) عدة مرات [1]، ولذلك ترك الكوفيون ما للبصريين للبصريين، واختاروا ذوات الثلاثة وذوات الأربعة منعا للبس وتجنبا للاشتباه.

لكن جاء في «أدب الكاتب» لابن قتيبة ما نصه «وقال سيبويه وغيره ليس في الكلام من ذوات الأربعة مفعل بكسر العين، وإنما جاء بالفتح نحو مرمى ومدعى ومغزى، وقال الفراء: «قد جاء على ذلك حرفان نادران جمعتهما بالكسر وهما مأقى العين، ومأوى الإبل» فهذا يوهم أن البصريين أيضا كانوا يسمون الناقص «ذا الأربعة» وقد رجعت إلى كتاب سيبويه، فوجدت نص عبارته «هذا باب ما كان من هذا النحو من بنات الياء والواو التي الياء فيهن لام فالموضع والمصدر فيه سواء، وذلك لأنه معتل، وكان الألف والفتح أخف عليهم من الكسرة مع الياء ففروا إلى مفعل

١ — لم يدرك المبرد هذه التفرقة الاصطلاحية، ولذلك تراه في المقتضب يستعمل بنات الثلاثة وذوات الثلاثة، وبنات الأربعة وذوات الأربعة مريدا الثلاثي والرباعي، وكذلك فعل الزجاج في كتابه «سر النحو» مخطوطة دار الكتب رقم ١٤٩ نحو، ورقة ٢٤٧ ٨،

إذ كان مما يبنى عليه المكان والمصدر، وأما بنات الواو فيلزمها الفتح، لأنها يفعل ولأن فيها ما في بنات الياء من العلة »، ولهذا فأنا أرجح أن العبارة التي نقلها ابن قتيبة ليست عبارة سيبويه، وإنما هي عبارة الفراء الموجودة في إصلاح المنطق، ولما كان هو وسيبويه يشتركان في مدلولها فقد اكتفى ابن قتيبة بإيراد لفظ الفراء مراعاة للاختصار

٢ — تقييده معتل العين بقوله: « من الأفعال » فهو يوهم أن هذا الإطلاق مقصور على الأفعال فقط، وليس ذلك بصحيح، فهو إطلاق عام في الأسماء والأفعال.

أما لماذا اختار الفارابي هذه التسمية فلأنه كان ذا نزعة كوفية، ولذلك أكثر في معجمه « ديوان الأدب » من استخدام مصطلحات أخرى للكوفيين، انفردوا بها واشتهرت عنهم، ويعد إصلاح المنطق لابن السكيت وأدب الكاتب لابن قتيبة والغريب المصنف لأبي عبيد أهم المصادر التي استقى منها الفارابي مادته اللغوية، وكلها ينتمي أصحابها إلى المدرسة الكوفية.

ولكن، ما سر هذه التسمية؟ ولماذا اصطلح عليها الكوفيون؟ أهو مجرد الرغبة في مخالفة البصريين وحب الاستقلال عنهم؟ أم وراء ذلك حكمة وسبب؟

لم يصرح أحد من المتقدمين بسر هذه التسمية، كما لم يصرح به الفارابي، ولذلك أجهد المتأخرون أنفسهم في محاولة تعليل ذلك والوقوف على سره. وأول من رأيته يحاول ذلك الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢) في تهذيب إصلاح المنطق إذ قال: « وذلك لأن (غار) إذا رددت الفعل إلى نفسك قلت (غرت) فيكون على ثلاثة أحرف، و (حكى) إذا رددته إلى نفسك قلت (حكيت) فيكون على أربعة أحرف » (ص ٢٤٢، ٢٤٣). ووافقه على ذلك الرضي (ت ٦٨٨) في شرحه لشافية ابن الحاجب فقال: « سمي (الأجوف) ذا الثلاثة اعتباراً بأول ألفاظ الماضي، لأن الغالب عند الصرفيين إذا صرفوا الماضي أو المضارع أن يبتدئوا بحكاية النفس نحو ضربت وبعت لأن نفس المتكلم أقرب الأشياء إليه والحكاية عن النفس من الأجوف على ثلاثة أحرف نحو قلت وبعت ».

وقال في موضع آخر: « وسمي المعتل باللام ذا الأربعة لأنه — وإن كان فيه حرف علة — لا يصير في أول ألفاظ الماضي على ثلاثة كما صار الأجوف عليها، فتسميتها ذا الثلاثة وذا الأربعة باعتبار الفعل لا باعتبار الاسم ».

ونحن نرى أن الكوفيين ومن لف لفهم لم يعنوا ذلك، ولم يلحوا هذه الصفة حين التسمية، وإنما كانوا أبعد نظرا

وأعمق غورا من ذلك ، فقد اهتدوا فى بحوثهم من الأبنية إلى حقيقة هامة ، هى أن منتهى أبنية الأجوف هو الثلاثى لا يتجاوزه ، ومنتهى أبنية الناقص هو الرباعى لا يتجاوزه ، فاستفدوا من هذه الحقيقة فى وضع هذا الاصطلاح .

ونستطيع أن نستخلص هذه الحقيقة إذا تتبعنا الأبنية الموجودة فى (ديوان الأدب) وهو أول معجم عربى جامع يحصر أبنية اللغة العربية ويضع الألفاظ تحت كل بناء ففى أبنية الأفعال ، لا يوجد مكان للأجوف بين الرباعى منها ، فمنتهى بناء الأجوف هو الثلاثى ومزيده ، ولا يوجد فعل أجوف رباعى الأصول ، فى حين أن باقى الأقسام جاء منها أفعال رباعية الأصول ، فبناء (فعلل) جاء منه السالم والمضاعف والمثال والمهموز ، وبناء (افعوعل) - وهو عند الفارابى من أبنية الرباعى - جاء منه السالم وذو الأربعة وبناء (افعلل) جاء منه السالم والمهموز . وهكذا لا نجد للأجوف وجودا بين الأفعال الرباعية ، ولذا كان جديرا أن يسمى (ذا الثلاثة) . وكذلك إذا تتبعنا أبنية الأسماء نجد أن منتهى بناء الأجوف منها هو الثلاثى ومزيده ، ولم يأت منه بناء رباعى الأصول ، وإنما جاء منه بناءان ملحقان بالرباعى هما « فَيْعال » و « فَيْعول » نحو ديار وضياع وعيوق . ومعنى إلحاقهما بالرباعى أنهما يشتملان على ثلاثة أصول ، ثم زيد عليها حرف لتبلغ حد الرباعى ، فهما فى الحقيقة من أبنية الثلاثى ، ولم تزد أصولهما عن ثلاثة أحرف ، أما الناقص فاستحق اسم ذى الأربعة ، لأن منتهى بنائه وصل إلى أربعة أحرف أصول سواء فى الأفعال أو الأسماء ، فهناك أفعال رباعية الأصول معتلة اللام جاءت على مثال (افعوعل) مثل (اظرورى) أى اتخم ، و (اعروريت) الفرس أى ركبته عريا ، و (احلولى) الشىء أى حلا ، و (اذلولى) أى انطلق فى استخفاء ، و (اقلولى) أى أشرف ، و (احووى) أى أسود ، و (اثنونى) أى انثنى .

وكذلك فى الأسماء لم يزد بناء الناقص من أربعة أحرف أصول ، ولم يأت منه إلا بناء واحد من الرباعى الملحق بالخماسى وهو (فعوعل) مثل (خجوجى) الطويل الرجلين ، و (شجوجى) للطويل ، و (شروري) اسم جبل ، و (قطوطى) للذى يقارب المشى ، و (قلولى) الطائر الذى يرتفع فى طيرانه .

وعدم تجاوز الناقص أربعة أحرف أصول هو - فى الحقيقة - وصف لا يختص به وحده ، فإنه يشاركه فيه أقسام أخرى (فى الحقيقة لم يأت مما زاد على أربعة

إلا السالم فقط ، فكأن سائر الأقسام تشارك الناقص فى وصف ذوات الأربعة) ،

ومع ذلك فإطلاق (ذى الأربعة) على الناقص هو مقابل إطلاق (ذى الثلاثة) على الأجوف لبيان الاختلاف بين القسمين مع احتواء أصول كل منهما على حرف من حروف العلة وهذا وحده مسوغ لإطلاق هذا الوصف عليه مع عدم اختصاصه به .

ولا شك أن هذا أولى من تعليل التبريزى والرضى ؛ فإن نقص أحرف الأجوف عن الناقص إنما يتحقق فى الفعل دون الاسم ؛ فكلاهما فى حال الاسمية على ثلاثة أحرف نحو القول والرمى وهو لا يتحقق فى الفعل إلا إذا اتصل به ضمير المتكلم أو المخاطب فقط ، فإذا أسند إلى ضمير الغائب بطل التفاوت نحو قال ورمى . بل إن الأمر ينعكس إذا اتصلت بهما تاء التأنيث نحو باعت ورمت أو أخذ منهما اسم الفاعل نحو قائل ورام فيصير الأجوف جديرا باسم (ذى الأربعة) والناقص جديرا باسم (ذى الثلاثة) . ثم أين هى الأحرف الثلاثة فى الفعل (قت) والأحرف الأربعة فى الفعل (رميت) ؟ ومتى كانت تاء الفاعل داخلة فى بناء الكلمة معدودة بين أحرفها ؟

ومما هو جدير بالذكر أن الجوهرى قد تصرف فى هذا الاصطلاح فاستعمل (الثلاثى) بدل ذى الثلاثة (الأجوف) ، و(الرباعى) بدل ذى الأربعة (الناقص) فقال: (ويقال أيضا جرف هار خفض فى موضع الرفع ، أرادوا (هائر) وهو مقلوب من الثلاثى إلى الرباعى، كما قلبوا شائك السلاح إلى شاكى السلاح) (الصحاح ـ هور) أراد أن يقول إن فعله مقلوب من (هار) الأجوف إلى (هرى) الناقص ، ولذلك جاء على هار دون هائر .

ولغرابة هذا المصطلح لم يفطن ابن برى إلى مدلوله، وظن أن الجوهرى أراد بالثلاثى ما كان على ثلاثة أحرف ، وبالرباعى ما كان على أربعة أحرف ولذلك عقب بقوله: (هذه العبارة ليست بصحيحة ، لأن المقلوب من هائر وغير المقلوب من الثلاثى . ألا ترى أن هاريا وهائرا على وزن فاعل ؟ وإنما أراد الجوهرى أن قولهم هار على ثلاثة أحرف وهائر على أربعة أحرف) . (التنبيه والإفصاح ـ مخطوطة دار الكتب رقم ٨ لغة تيمور) .

ولو كان هذا هو مراد الجوهرى لعكس العبارة وقال : (وهو مقلوب من الرباعى إلى الثلاثى) لأن المقلوب على أربعة أحرف والمقلوب إليه على ثلاثة؟

د . أحمد مختار عمر

ترجمة القرآن "لإدوار مونتيه"

للدكتور محمد محمد غلاب

هذا الكتاب هو الطبعة الجديدة من ترجمة القرآن لإدوار مونتيه أستاذ اللغات الشرقية بجامعة جنيف، إذ نشرت الطبعة الأولى فى سنة ١٩٢٩ وقد سبقت هذه الترجمة بديباجة قصيرة بقلم ج. ريسلير الأستاذ بالمعهد الإسلامى بباريس، ومقدمة للمترجم يستعرض فيها ما يسميه « أصول القرآن وتكوينه » ثم يحدثنا عن محمد والقرآن، وعن الصحف القديمة أو المجموعات القرآنية الأولى وعن مصحف عثمان، وتأريخ السور المكية والمدنية، وإلى جانب هذا الاستعراض الموجود فى المقدمة، هو يغمر القارئ فى هوامش يزعم أنه يوضح فيها النصوص الغامضة أو المحتملة لعدة معان، أو توجيهات لا تقوى الترجمة العادية على توضيحها.

وأول ما يلفت النظر إلى هذا المترجم هو أنه يعتمد فى معلوماته على المستشرق الألمانى نولديك وينبغى — قبل أن نعرض لهذه الترجمة وآراء المترجم فى القرآن — أن نقف وقفة سريعة عند ديباجة الأستاذ ريسلير التى يبدؤها ببضع عبارات معسولة براقة عن أهمية القرآن والإسلام التى أبانت النهضة العربية قيمتها. ثم لا يلبث أن يحقن تلك القطرات اللذيذة الطعم بحقن من السم الزعاف الذى لا يمهل الحياة إلا قليلا، فيعلن أن القارئ لا يكاد يطالع القرآن حتى يتبين فيه « التأثير القوى للتوراة العبرية والروايات اليهودية، وللإنجيل والمأثورات المسيحية ».

وكذلك يعثر القارئ « فى كل لحظة » على آثار العقائد القديمة التى سبقت الأديان الموحاة، وشرح هذه الأحداث فى رأى الأستاذ ريسلير بسيط ميسور وهو : « أن الرياح قد حملت مظاهر الأفكار الدينية وألقت بها على شعوب العالم الشرق النائمة. وهذه الأساطير وتلك المأثورات الغفوية وهاتيك الذكريات هى التى فهم

النبي محمد أنه ينبغي أن يجمعها وأن يصوغها في صيغة قوانين أخلاقية صادرة عن صوت السماء » .

حقا نحن نجهل المادة التي يدرسها الأستاذ ريسلير في المعهد الإسلامي بباريس، ولكن الذي لا شك فيه هو أننا موقنون بأنه لم يفهم شيئا من روح الإسلام ، بل بأن هذه العقلية لم تدرك أي معنى من معاني القرآن ونحن — اعتمادا على هذا — نعلن غير باغين ولا عادين، أن ديباجته هي تقديم خاطئ لهذه الترجمة .

وإذا غادرنا هذه الديباجة واتجهنا إلى المترجم الأستاذ مونتيه ألفينا أن فكرته الرئيسية هي عينها فكرة صاحبه ريسلير وهي أن القرآن من عمل محمد الذي لا يزيد في رأيه عن كونه « مصلح العرب ومنظمهم الأكبر » .

وقبل أن نذكر آراءه في هذا ينبغي أن نقف هنيهة عند المستشرقين عامة ونبين أنواع آرائهم بإزاء القرآن فنقرر أن فريقا منهم يؤمن بأن الرسول صلوات الله عليه صادق قولا وعملا وأنه أوحي إليه حقا فيقول : « وشتان بين وحي الإله وإلهام الشياطين » ، وأن فريقا آخر يعتقد أن النبي مخلص قولا وعملا ولكن كان يخبر بما خيل إليه أنه رآه أو سمعه وهو في حالة غيبوبة ، وأن فريقا ثالثا يعتقد أنه جمع مأثورات يهودية ومسيحية وأساطير دينية قديمة وروايات شعبية شفوية ثم نشرها في قومه على أنها وحي من عند الله ، وعذره أمام ضميره أن هذا الصنيع يرشد أولئك القوم الفوضويين ويهديهم إلى الصراط المستقيم ويجمع متفرقهم ويخلق فيهم الوحدة والتماسك أي أنه مؤمن بفكرة « أن الغاية تبرر الوسيلة » . وأن فريقا رابعا لا يتعمق في شيء من هذا كله وإنما هو يقف منه موقف المرتاب أو الجاحد المنكر في جزم متهكم . ومترجمنا الأستاذ مونتيه هو من هذا الطراز الأخير . وآية ذلك أن عباراته على طول الخط ، وفي كل نقط مقدمته ، وفي الهوامش التي يضيفها ليوضح بها بعض معاني الآيات في رأيه تشهد بما نقول وإليك بعض أمثلة ذلك :

حين يعرض لما يسميه بالينابيع الثلاثة للمعرفة الدينية في القرآن وهي الينبوع اليهودي والمسيحي والينبوع العربي السابق على الإسلام ، وعنصر الإسلام الجديد

الذى لم يعرف إلا على لسان محمد . ويقول عن الأول ما نصه :

إن محمدا قد استطاع أن ينتهل ما انتهله بوساطة الروايات الشفوية فحسب ، لأن من الموقن به أنه لم يقع بين يديه الكتابان المقدسان : اليهودى والمسيحى . وبالنسبة للينبوع الثانى ، فقد احتفظ النبى ببضع عادات عربية قديمة أضافها إلى ما استفاده من منقولات ذينك الكتابين المتداولة حوله .

والهدف الوحيد الذى يرمى إليه هذا المستشرق هو أن القرآن من وضع محمد وأنه جمع من المأثورات الشفوية المتناقلة هنا وهناك من التوراة والإنجيل ومن روايات أخرى ما سماه قرآنا واستند المؤلف فى ذلك إلى ما أنماه فى الكتاب الكريم من اتفاقات فى كثير من المواقف بين الكتب الثلاثة ، وغفل أو تغافل عن أن مصدرها كلها واحد وهو السماء ، وأن القرآن جاء مصدقا للتوراة والإنجيل الحقيقيين ، ومكملا لما نقص فيهما ، لا قصوراً من منزلهما تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً . بل لأنهما عملان مؤقتان بزمان ومكان معينين وظروف محددة ، بينا أن القرآن كونى أبدى « نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان » (سورة آل عمران آيتا ٣ ، ٤) ولكن مايعقلها إلا العالمون المجردون من التعصب والأغراض والأهواء .

وبالنسبة إلى الينبوع الثالث قد أدخل محمد العنصر الجديد الذى هو الإسلام ، وهو فكرة مستحدثة ابتدعتها «عبقرية» محمد الدينية .

وهذه العبقرية هى فى رأيه قانونية أو تشريعية فقط ، وليست إلهية ولا تنسكية وهو فى هذا يقول : « ينقب المرء فى القرآن عبثا عن معتقد تنسكى إسلامى » أى أنه لا يجد شيئا من ذلك أو يقول : « إن هذا الكتاب الشهير تنقصه التنسكية » .

ولسنا ندرى كيف انغلقت الأبواب أمام عقلية هذا الكاتب فلم يتنبه إلى الحقيقة البديهية هنا بل لم تسعفه طبيعته بأية كيفية من كيفيات الإدراك لهذه الإلهيات التى يفيض بها القرآن فى جميع مواقفه والتى تكفينا هنا بأن نحيله فيها إلى ما كتبه أحد علماء المستشرقين الفرنسيين الدائقين المتازين وهو «البارون كارادى» فو الذى سجل أن أمهات المشكلات الأساسية التى

اختلف فيها الفلاسفة منذ أن عرف العقل نفسه وكشف طبيعته قد عرض لها القرآن وقال فيها كلمته الحاسمة .

أما زعمه أن القرآن تنقصه التنسكية ، فإنه زعم مخجل يستوجب العار على شخص يدعى أنه مستشرق ويتصدى لترجمة القرآن وهو يجهل البديهيات البارزة فى القرآن بروز الشمس الساطعة فى رائعة النهار ، وهنا أيضا لا يسعنى إلا أن أحيله على ما كتبه الأستاذ (لويس ماسينيون) الذى ألف كتابا ضخما خاصا ، سجل فيه التعبيرات التنسكية الفنية التى وردت فى القرآن ، ثم أسائله كيف يبلغ به الجهل الفاضح إلى هذا الحد بهذه المعلومات التى توشك أن تكون بديهية والتى عممها الأستاذ ماسينيون وجعلها فى متناول حتى أنصاف المتعلمين فضلا عن متفيهق المستشرقين الذين لا يخجلهم أن يحكموا قبل أن يعلموا .

وبعد أن ينتهى من زعمه أن القرآن ملىء من الأثورات الشفوية من التوراة والإنجيل ، والروايات العربية القديمة ، والمخترعات المحمدية الإصلاحية ينتقل إلى فرية أخرى يزعم فيها أنه أثناء العشرين عاما التى تلت وفاة النبى ، وجدت نسخ متباينة من القرآن عند أبى بن سعد ، وعبد الله ابن مسعود ، وأبى موسى الأشعرى ، والمقداد بن الأسود وغيرهم ، وأن هذه النسخ المتغايرة - بسبب عدم تماثلها - قد اقتضت ارتيابا فى عقول المؤمنين ، وكانت جديرة بأن تزلزل عقائدهم ، وأن المصحف العثمانى قد جمع بطريقة خالية من معنى النقد والتمحيص وأن السور والآيات قد حشدت فيه حشدا بغير انتقاء .

ولا ريب أن هذا لم يحدث أو أن مترجمنا قد أخذ ذلك الحادث العادى وألبسه صورة زائفة ضالة ، مضلة وأن الحقيقة لم تعد أن المؤمنين قد رأوا أن عددا من حفاظ الوحى وكتابه قد استشهدوا فى القتال من جهة ، وخافوا من محاولة دس بعض المنافقين بين الصحف أو المصاحف المتفق عليها شيئا من الزيف ، فضرب عثمان بن عفان على الفتنة قبل وقوعها بيد من حديد ، وأمر باعتماد النسخة المراجعة فى دقة على أسخ أعلام المؤمنين التى لم يقع فى صحتها أدنى اختلاف ، ثم أمر بإحراق ما عدا هذه النسخة الرسمية المتفق عليها ، ولم يكن ذلك لوجود اختلافات فى النسخ كما يزعم مترجمنا بل سحقا للفتنة قبل وقوعها : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

فأما هوامش هذا المترجم فتنقسم إلى ثلاثة أقسام :

أولها : الهوامش التي يشرح فيها المعاني التي اعتمد في ترجمتها على بعض المفسرين وهي قد تكون أقرب إلى الحقيقة ما لم يكن هؤلاء المفسرون قد استندوا فيها بدورهم على الخرافات الإسرائيلية التي تكتظ بها — مع الأسف الشديد — كتب عدد من المفسرين عندنا وهذه الخطة هي التي تنقذه من نقدنا في تلك الجزئيات .

وثاني هذه الأقسام : هي التي يقدم فيها الترجمة الحرفية لبعض آيات القرآن التي ذكرها في النص بعبارات من إنشائه تتفق مع الأسلوب الفرنسي .

وثالثها : الهوامش الشخصية التي يعبر فيها عن رأيه الخاص والتي يقرر فيها غالبا أن محمداً هو مؤلف القرآن ، ويعلن فيها ما يسميه بالتناقض ، ويزعم أنه هو الذي استكشفه ويشير فيها إلى النصوص الزائفة التي أضافها النساخ إلى القرآن في زعمه . ويسجل فيها عيوب الأسلوب ، وينوه عن الجمل التي لم تتم فبقيت ناقصة المعاني ، ويلح في هذه الهوامش على التأثيرات المسيحية واليهودية ، وعلى الأخص هذه الأخيرة بسبب أنه متخصص في « الاستهواد » وأنه ألف عدة كتب عن التوراة والتلمود وتاريخ الإسرائيليين وما إلى ذلك وسنشير إلى هذا بأمثلة مقتضبة في الوقفة التالية :

(١) سورة ٢ - آية ٢٨٥ - ص ٨١ - مجلد (١)

يقول هذا المسترجم الغريب العقلية والتفكير حين يعرض للآية الكريمة ٢٨٥ من سورة البقرة عند كلمة « لا نفرق بين أحد من رسله » إن هذه العبارة تقطع تتابع الخطبة . ولهذا من المرجح أن تكون غير صحيحة بل إنها بلا ريب جاءت بعد النص الأصلي للإيضاح ثم ألحقت في وقت متأخر بالنص لا سيما أنها تشتمل على تناقض مطلق مع آية ٢٥٤ من نفس السورة التي تقول : « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض » .

ولسنا ندري كيف شاءت لهذا المترجم عقليته ألا يدرك الفرق بين قول الله على لسان المؤمنين « لا نفرق بين أحد من رسله » أي في الإيمان فنؤمن ببعضهم ونكفر بالبعض الآخر كما فعل اليهود والنصارى وقول الله معبرا عن ذاته : « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض » :

الحق أن من الكوارث العظمى أن تتصدى أحط العقليات البشرية لترجمة أسمى الكتب السماوية التي رآها البشر .

(٢) سورة ٩ ـ آية ٢٦ ص ٢٤٥ مجلد (١)

ومن هذه المضحكات المستوجبة للسخرية ترجمته لكلمة « ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين » بقوله « إن الله أنزل وجوده الإلهى على رسوله والمؤمنين » ثم يشرح هذا بقوله « وإذا فهمت هذه الكلمة على أصلها العربى كان معناها الهدوء أو السكون النفسانى وفى هذه الحالة تكون الآية لا معنى لها . والمفسرون فى عمومهم لم يفهموا هذه الكلمة التى ترجع إلى أصلى عبرانى فالسكينة أصلها شكينة ومعناها فى التلمود المسكن والاستراحة والألوهية وإذن فالسكينة هنا هى الألوهية الحاضرة » ونحن لا يسعنا إلا أن نعلن باسمين أن اللغة قد عجزت عن الرد على هذا المترجم ولا يبقى أمامنا إلا أن نلجأ إلى القرآن فنقول : « إنا لله وإنا إليه راجعون » .

(٣) سورة ٥٢ آية ٤٠ ص ٢٥٥ مجلد (٢)

ومن هذه الأخطاء التى تدل على أنه لا يفهم ما يترجم ألبتة أنه عندما أراد ترجمة آية ٤٠ من سورة الطور : « أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون » أطلق العنان لخياله الحالم جيئة جعلته يصدر فى ترجمته عن أساس ، صداه الجهل ، ولحمته الأوهام ، فذكر أن معناها « أم تسألهم مساهمة مالية ولكنهم مثقلون بالديون » وفى الهامش يشرح الآية فيقول : « لو فرض أن خصوم محمد هؤلاء سيعتنقون الإسلام ، فإنهم سيكونون غير قادرين على الإسهام فى الميزانية الضرورية لإنجاز عمل النبى لأنهم مرهقون بالدين » .

ونحن نعلم أن هذه استفهامات إنكارية للتهكم والسخرية كقول القرآن مثلا : « أله البنات ولكم البنون » ولكن هذا الكائن الغريب للدهش حول الآية إلى الإسهام المالى فى إنجاز أعمال النبى كما يقول ، وفصل صدر الآية عن عجزها ، وجعل الثانى إجابة عن الاستفهام الموجود فى الأول ولم يلتفت لحرف الفاء فى « فهم من مغرم مثقلون » التى تجعل كون هذا الجزء إجابة لما قبله بعيداً . ولكن لعل عذره فى هذا الغلط هو إسهام المسيحية بالمال فى مشروعات الكنيسة فقاس عليه الآية الكريمة ، وهى فى أشد البعد من هذا المعنى الذى لا يرمى إلى تسجيل أن النبى لا يريد من وراء القرآن المرشد جزاء ولا شكوراً .

(٤) سورة ٥ آية ٩٨ ص ١٦٣ مجلد (١)

ومما هو غريب أن هذا المترجم قد وصل به الغرور إلى درجة أنه فهم فى نفسه أنه عرف أسرار اللغة العربية وأدرك روحها، وتعمق فى خباياها إلى حد يمكنه من الحكم على أسلوب القرآن ونقده، فيزعم أن آية ٩٨ من سورة المائدة ضعيفة الأسلوب، أو على حد تعبيره أن أسلوبها مهمل إذ ذكرت فيها مادة علم أربع مرات وهو تكرار معيب:

« ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض، وأن الله بكل شىء عليم اعلموا أن الله شديد العقاب ... »

ولا يخفى أن هذه المرة الرابعة فى آية أخرى.

ونحن نسائل هذا المترجم هل عرف علوم البلاغة ودرس فروعها من بيان ومعان وبديع واطلع على القواعد التى توجب شرط التكرار فى الأسلوب الرفيع فى بعض المواقف ولا تبيحه فحسب بل هل سمع عن هذه العلوم فى حياته ؟ اللهم لا، اللهم اجعل أمثال هؤلاء المتطاولين المتعالمين حرضا أو اجعلهم من الهالكين.

بان من كل ما تقدم أن هذا المترجم ينكر الوحى إنكارا صريحا ويجحد إخلاص النبى الجليل وصدقه ولا يرى فيه إلا مصلحا ومنظما وعبقريا ممتازا من عباقرة العرب. ولا ريب أن هذا يستتبع بالضرورة جحود الضبط فى القرآن كما يستتبع وجود آيات أجنبية ليست من تأليف محمد ألحقها المغرضون بهذا الكتاب وقد سمحت له هذه النزعة الاستبدادية العريضة بأن يفتح أبواب الطعون فى القرآن على مصاريعها فيدعى أنه ضعيف الأسلوب وأن بعض آياته ناقص، وبعضها مشتمل على تكرارات معيبة وأن بعض السور مضجر فى سماعه وهذا كله إلى جانب جهله بمبادئ الإسلام الأساسية وإدخال هذا الجهل فى الترجمة، الأمر الذى يبدو فى وضوح لا لبس معه أن هذا المترجم يقدم لقارئه نفسية تفيض بالحقد على الإسلام والتعصب البغيض مما يجعل كتابته بعيدة كل البعد عن نطاق النظر العلمى الجاد الذى تتطلب مقاييسه الحيدة والنزاهة والإنصاف.

د: محمد غلاب

باب الفتوى

تقديم : الأستاذ محمد أبو هادى

حكم تمثيل شخصيات الصحابة وبنات النبى والتابعين

[الإجابة للجنة الفتوى]

ما حكم الشريعة الإسلامية فيمن يمثل الشخصيات الآتية على شاشة التليفزيون أو السينما :

١ — الصحابة رضى الله عنهم ، وهل منهم من يجوز ظهور من يمثله علما بأن بلالا قد ظهر من يمثله فى فيلم (ظهور الإسلام) وخالد بن الوليد فى فيلم (خالد بن الوليد) .

٢ — بنات النبى صلى الله عليه وسلم .

٣ — أبا طالب ممن لم يثبت إسلامهم وكان لهم عون أكيد للنبى ﷺ فى دعوته وكذلك التابعين وتابع التابعين .

٤ — مسلمون ومسلمات لم يثبت صحبتهم للرسول وعلى الأخص طالب بن أبى طالب .

الجـــواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد فنفيد بأن التمثيل فى ذاته وسيلة ثقافية ســـواء كان على المسارح أو شاشة السينما أو التليفزيون ، فإن كثيرا من وقائع التاريخ وأحداث السياسة ومواقف الأبطال فى ساحات الجهاد والدفاع عن الأوطان ينبغى أن يتجدد ذكرها ويتنادى بها لتكون فيها القدوة الحسنة للأجيال الحديثة .

وخير وسيلة لإحياء تلك الذكريات أن يكون القصص عنها بتمثيلها تمثيلا واقعياً ، غير أن التمثيل قد يتجاوز الأهداف الجدية ويتخذ وسيلة للترفيه الممنوع وبث الدعاية نحو أغراض غير كريمة ، وخاصة فيما يتعلق بالتاريخ حول شخصيات من السابقين ، والتاريخ يكون مشوباً بما يحتاج إلى تمحيص من العصبيات .

وبما أن السابقين من الصحابة ــ رضى الله عنهم ــ لهم مقام كريم ، وشأن خاص بين جماعة المسلمين وبما أن تمثيلهم على المسارح أو الشاشة قد ينحرف إلى ما يمس شخصياتهم أو من تاريخهم الحق — لما يتعرضون له أحياناً من أكاذيب القصاصين أو أهواء المتعصبين لبعض ضد البعض الآخر من جراء الفتن والخلافات التى قامت حولهم فى أزمانهم وانقسام الناس فى تبعيتهم إلى طوائف

وأحياء بسبب الدسائس بينهم — فإن اللجنة إزاء هذه الاعتبارات تفتى بما يأتى :

أولا : عدم جواز ظهور من يمثل كبار الصحابة كأبى بكر وعمر وعثمان وعلى والحسن والحسين ومعاوية وأبنائهم — رضى الله عنهم جميعاً — لقداستهم ولما لهم من المواقف التى نشأت حولها الخلافات ، وانقسام الناس إلى طوائف مؤيدين ومعارضين .

أما من لم ينقسم الناس فى شأنهم كبلال وأنس وأمثالهما فيجوز ظهور من يمثل شخصياتهم بشرط أن يكون الممثل غير متلبس بما يمس شخصية من يمثله .

ثانياً : عدم جواز ظهور من يمثل زوجات النبى — صلى الله عليه وسلم — وبناته لأن حرمتهن من حرمته عليه الصلاة والسلام ، وقد قال الله فى شأن نسائه « يا نساء النبى لستن كأحد من النساء » وبناته أولى بذلك ، كما أنه لا يجوز ظهور من يمثل أبوى النبى — صلى الله عليه وسلم أو أحد من أجداده كذلك .

ثالثاً : من لم يثبت صحبته من الرجال المسلمين وكذلك التابعون وأتباعهم لامانع من ظهور من يمثل شخصياتهم متى روعى فى التمثيل ما من شأنه ألا يعرض بكرامة المسلم.

وأما النساء المسلمات فيجب الاحتياط فى تمثيلهن أكثر مما يحتاط فى تمثيل الرجال المسلمين الذين لم تثبت صحبتهم ، وعلى المرأة التى تقوم بالتمثيل ألا يوجد مع تمثيلها اختلاط بأجنبى عنها من الرجال ، ولا يصحبه كشف ما يحرم كشفه من جسمها ، ولا يكون معه تكسر فى صوتها ولا حركات مثيرة للغرائز ولو مع ستر الجسم ، إذا كان الأمر كذلك فلا حرية فى التمثيل خصوصاً إذا كان التمثيل لغرض علمى يعود على الأفراد والأمة بالفائدة .

وأما أن صحبة الاختلاط بالرجال الأجانب أو كشف ما لا يحل كشفه من جسمها أو وجد معه تكسر فى صوتها أو حركات مثيرة للغرائز بجسمها ولو مع ستره أو كان لباسها يحدد مفاتن جسمها فإن التمثيل حينئذ يكون محرماً على من تقوم به من الممثلات وكذلك يحرم على النظارة مشاهدة هذا التمثيل المحظور .

رابعاً : من لم يثبت إسلامه كأبى طالب وغيره ممن له عون أكيد فى دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام ونصرته لامانع من ظهور من يمثله إذا روعيت صلة مودته للنبى — صلى الله عليه وسلم — من مناصرة وعون أكيد . والله تعالى أعلم؟

أنباء وآراء

اليونسكو بين إسرائيل وميثاق هيئة الأمم المتحدة

منذ أقر مؤتمر سان فرنسيسكو عام ١٩٤٥ م قيام المنظمة الدولية : هيئة الأمم المتحدة بكافة فروعها تعى العالم ألا يصيبها ما أصاب عصبة الأمم من قبل ، وأن تجد الشعوب فيها آمالها محققة ومساعيها للسلام واقعا يسعد الإنسانية ، فقد نص ميثاقها على ذلك كما حدد هذا الميثاق لهيئة اليونسكو - المنبثقة منها - أن تتولى الشئون العلمية التى تهدف إلى تحقيق للميثاق ، فلا عجب أن تكون اليونسكو من أهم واجباتها على الإطلاق مقاومة النظريات العنصرية وإبطالها بالوسائل العلمية غير القابلة للنقض فيتعلم أبناء الإنسانية جميعا أنه لا أحد خير من أحد والكل سواسية .

ويبدو أن هيئة اليونسكو كانت على إيمان بميثاقها ، يوم قدمت دراستها الحرة عن التمييز العنصرى ، فأبطلت دعاواه لا بنظريات علمية أو فروض مذهبية ، بل قدمت لذلك حقائق هى فى ذاتها فى مستوى القانون العلمى الذى لا يقبل الجدل بحال ، فصدر كتابها : (خرافات عن الأجناس) لجوان كوماس ، وكان بردا وسلاما لأحرار العالم فى كل مكان .

وكان طبيعيا أن يتعرض للمؤلف لشعب الله المختار فيبطل حججه وينقضها ، لا أقول ذلك باعتبارى عربيا ، فما طلبت الجامعة العربية إلى اليونسكو أن تمد هذا البحث لكن اليونسكو قدمت : « العلم » لاختصاصها به .

فما بال اليونسكو تنقض ما بنت وتنأى عن ميثاق الأمم المتحدة ، فتقبل دراسته عن « الحياة الاجتماعية والقيم الروحية للشعب اليهودى » لمؤلفيه : بن ساسون ، وايتنجر من أساتذة الجامعة العبرية بالقدس وقد مول الدراسة مؤسسة الثقافة اليهودية فى نيويورك !؟ والدراسة تقرر من جديد

امتياز بنى إسرائيل على البشر وأحقيتهم فى امتلاك فلسطين .

فكيف يصدر هذا المؤلف باسم العلم، ورضاه هيئة اليونسكو ، أو كيف تقبله ؟ اللهم إن الفجيعة هينة فى الجمعية العامة لهيئة الأمم .. وربما فى مجلس الأمن ، أما الفجيعة فى العلم فشىء لا يهون .

● أصدرت صحيفة (الميثاق) المغربية بيانا علمياهاما بشأن تلحين القرآن الكريم فقدأقدم أحدالمطربين المغاربة (عبدالوهاب الدوكالى) ملحن آيات من القرآن وتغنى بها المطرب المذكور الذى أقدم على هذه المحاولة لم يدرس قط فن التجويد ولاعلم له بحقوق تلاوة القرآن العزيز .

● يرأس تحرير الصحيفة الأستاذ عبد الله كنون عضو مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة ، وفى هذه الخطوة المباركة تعاون وثيق لدفع هذا المنكر مع مجمع البحوث ، فقد سبق أن أصدر الأمين العام للمجمع فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود بيان المجمع ضد هذه المحاولات ونشر فى حينه .

● صرح أردشير زاهدى وزير خارجية إيران بأن الحرب بين العرب وإسرائيل تتجه إلى كارثة كبرى. وقال:

إن الوقت يعمل ضد إسرائيل ،والعرب ليسوا وحدهم فهم يتمتعون بتأييد أكثر من ٧٠٠ مليون مسلم كذلك يتمتعون بتأييد جميع الدول المستقلة حديثا فى إفريقيا ، ويتزايد جانب تأييد الرأى العام العالمى لهم .

وقال : لقد ولى الزمان الذى كانت توجد فيه دولة تدافع عن إحتلال أراضى دولة أخرى بالقوة . وإن إيران تعترف بكيان الشعب الفلسطينى .

● تصدر قريبا من مجمع البحوث الإسلامية سلسلة علمية أخرى تأخذ طريقها إلى جانب سلسلةالبحوث الإسلامية للمجمع ستختص السلسلة الجديدة بإحياء التراث الإسلامى .

يكون كتابها الأول « صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام » .

للإمام جلال الدين عبد الرحمن ابن أبى بكر السيوطى.

ويصدر فى هذه السلسلة أيضا « بستان العارفين » للإمام العلامة أبى زكريا محى الدين بن شرف النووى .

« وارد على المنطقيين » لابن تيمية .

● أدلى الدكتور أحمد الحسينى عميد كلية الفنون الجميلة بكلمة عن « الملابس القصيرة » قال : إن قداسة العلم لا تسمح أبدا بالمظهر الخارج فى معاهد العلم ، ولا يمكن قبول وجهة النظر التى تقول : إن هذا الزى يدخل فى نطاق تذوق الفن . . فتذوق الفن شىء آخر غير هذه المجاراة العمياء للشكل دون أى مضمون .

ويضيف الأستاذ عبد السلام الشريف أستاذ الفنون الزخرفية بالكلية فيقول: جو الفنون عموما يتسم بالحرية . هذا صحيح ، ولكن بعضهم يفهم من الحرية إمكان ممارسة اتجاهات أخرى تهتم بالمظاهر الشكلية فى الحياة وهذا لا يعطيه الفن أية قيمة .

ولا شك أن الملابس الحالية تنزلق بالطالبات إلى اهتمامات أصغر من الاهتمامات الحقيقية المطلوبة لشخصية الفنان ، ولقد زرت أغلب معاهد الفنون فى الخارج فوجدتها أشبه ببيوت العبادة ، ولم أجد فى باريس نفسها طالبة واحدة تدرس فى أى معهد من معاهد الفنون المنتشرة وهى ترتدى « الميني جيب » .

● انتقلت بعض لجان لمجمع البحوث الإسلامية إلى مقرها الجديد بمدينة ناصر للبحوث الإسلامية مع السكرتارية الفنية للمجمع .

يحتوى المبنى الجديد مكتبة لمجمع البحوث الإسلامية وقاعة اجتماعات . تشغل مطبعة الأزهر الدور الأرضى من المبنى .

على الخطيب

العدد القادم يصـــدر فى أول رجب

نظراً لأجازة المجـــلة السنوية

philosophic question of the free will. This eternal dilemma can never be resolved by logic alone. For, if man enjoys free will with respect to all his acts, the omnipotence of God suffers thereby. Similarly, if God predestines, why should man be held responsible for his acts ? The Prophet Muhammad has emphatically recommended his adherents not to engage in discussions on this topic, "which has led astray those peoples who preceded you", (as Ibn Hanbal, Tirmidi and others report); and he has separated the two questions, viz., the omnipotence of God and the responsibility of man. In fact there is no logic in love, and the Muslim loves his Creator: he cannot admit that God should have defective attributes; God is not only wise and powerful, but also just and merciful in the highest degree. Islam separates celestial affairs, which are the attributes of God, from human temporal matters, and insists on the faithful to act; and since the Divine will rests concealed from man, it is man's duty never to despair after a preliminary failure, but to try again and again until the object is either relized or becomes impossible of attainment. The Islamic concept of predestination comes in this latter case to console man: that was the will of God, and the success or failure in this world has no importance in connection with eternal salvation, in which matter God judges according to intention and effort and not according to the measure of realization and success.

122 — According to the Qur'an (53/36-42), among other passages) such is the truth always revealed by God to His successive messengers:

"O hath he not news of what is in the leaves (Books) of Moses and of Abraham who paid his debt: That no laden one shall bear another's load, and that man hath only that for which he maketh effort, and that his effort will be seen, and afterwards he will be repaid for it with the fullest payment; and that thy Lord, He is the goal . . . ?"

If man should not consider himself responsible for his crimes and sins to the All Powerful God, he should also not claim a reward for his good deeds, since they would also be predestined, therefore mechanical and not deliberate. To sum up, since Islam separates completely the two questions, it is not difficult for it to admit simultaneously the requirements of man (effort, sense of responsibility) and the rights of God with all His attributes, including the power to predetermine. *(to be Continued)*

message of God, so often repeated at the hands of prophets. It prohibits all compulsion in the matter, of religious beliefs; and however unbelievable it may sound, Islam is under the self-imposed religious dogmatic duty of giving autonomy to non-Muslims residing on the soil of the Islamic State. The Qur'an, the Hadith and the practice of all time demand that non-Muslims should have their own laws, administrated in their own tribunals by their own judges, without any interference on the part of the Muslim authorities, whether it be in religious matters or social (cf. infra ch. 12 : 406 ff.).

120 — The social importance of economic questions is too evident to require emphasis. The Qur'an does not exaggerate when it declares (4 : 5) that the material goods constitute the very means of the subsistence of humanity. If everyone were to think of none but his single self, society will be more and more in danger, for the simple reason that there are always a very few rich and a very many poor; and at a moment of struggle for existence, the vast majority of the famishing will in the long run exterminate the small minority of the rich. One can bear many privations, but not of ailments. The Islamic conception on this subject is well known. It envisages the constant redistribution and circulation of the national wealth. Thus, the poor are exempt from taxation, whereas the rich are taxed to provide for the needy. Again, there are laws, which require the obligatory distribition of the heritage, those which forbid the accumulation of wealth in the hands of the few, by banning interest on loans, and prohibiting bequest to the detirment of the near relatives, etc. and those which prescribe rules for the expenditure of the State revenue, aiming at the beneficial redistribution of this income among the beneficiaries among which the poor top the list. If this principle is kept in view, it tolerates differences in the means and methods according to regions, epochs and circumstances, provided the goal is achieved. The competition of free enterprises may be tolerated if this does not degenerate into the cut throat exploitation and ruin of those who are economically weak. The planning of the whole may equally be tolerated if that appears necessary, due to circumstances or economico-demographical evolution. In any case, wastage of goods as wellas of energy is to be avoided, and such means adopted which are better adapted to the needs of the moment.

FREE WILL AND PREDESTINAION

121 — This leads us to the

to the same objective. It goes without saying that in collectivity, or society, there is a force which persons do not possess individually,

118 — For reasons best known to Him, God has endowed different individuals with differents talents. Two children of the same couple, two pupils of the same class do not always have the same qualities or capacities. All lands are not equally, fertile; climates differ; two trees of the same species do not produce the same quantity or quality. Every being, everypart of a being has its own peculiarities. On the basis of this natural phenomenon, Islam affirms, on the one hand, the original equality of all, and on the other, the superiority of individuals one over the other; All are creatures of the same Lord, and it is not material superiority which counts for obtaining the greater appreciation of God. Piety alone is the criterion of the greatness of the individual. After all, life in this world is but ephemeral, and there must be a difference between the behaviour of a man and a beast.

NATIONALITY

119 — It is in this sense, that Islam rejects the narrow basis of birth and common blood as the element of solidarity. The attachment to parentage or to the soil on which one is born, is no doubt natural; yet the very interest of the human race demands a certain tolerance towards other similar groups. The distribution of the natural wealth in different parts of the world in varying quantities renders the world interdependent. Inevitably one is forced to "live and let live"; otherwise an interminable succession of vendettas will destroy all Nationality on the basis of language, race, colour, or birthplace is too primitive; therein is a fatality, an impasse — something in which man has no choice. The Islamic notion is progressive, and is based solely on the choice of the individual. For it proposes the unity of all these who believe in the same ideology, without distinction of race, tongue, or place of abode. Since extermination or subjugation of others is excluded, the only valid possibility is assimilation. And which means can serve better such assimilation, if not belief in the same ideology? It may be repeated that Islamic ideology is a synthesis of the requirements both of the body and the soul; moreover it inculcates a tolerance. Islam has proclaimed that God has always sent His messengers, at different epochs among different peoples. Islam itself claims nothing more than the function of renewing and reviving the eternal

The Islamic Conception of Life

By Dr. MUHAMMAD HAMIDULLAH

(Continued from March 1970 issue)

115 — It will thus be seen that Islam seeks to develop the personality of the individual. It admits that man has his weaknesses, as he is constituted simultaneously of the capacities both of good and evil; yet it does not admit that there is original sin in him, as this would be an injustice If Adam had committed a sin, this should create no responibility on his posterity, each indivividual human being remaining resposiblo for his personal account only.

116 — In his weakness, the individual may commit offences against God or against fellow creatures. Each offence has in principle a proportionate liability (punishment), yet Islam recognizes the possibility of pardon, the elements of which are repentance and reparations. As to offences against man, they should be amended, as far as possible; so that the victim may pardon either gratuitously; or at the restitution of the object taken away from him or by having it replaced, or in any similar way. As regards offences against God, man may receive either a suitable punishment or a gracious pardon from the Lord. Islam does not admit that God needs to punish first some innocent person in order to accord His pardon to other repentant sinner; for this vicarious punishment would be unjust on the part of God,

117 — Even as Islam seeks to develop individuality in man, it seeks also social collectivity. This could be seen in all its prescriptions, be they religious or temporal. Thus the service of worship is collective in principle, (if in case of need there is some exemption regarding the five daily prayers, there is none regarding the weekly or annual prayer services); pilgrimage is an even more manifest example, since the believers assemble in the same place, coming from all points of the globe; the collective aspect of fasting manifests itself in the fact that it takes place in the same month for the faithful all over the world; the requirement of having a caliph, the obligation of .paying the Zakat — tax intended for the needs of the collectivity, etc. — all these things testify

United Arab Republic, by being attached to the Presidency of the Republic; Care has however taken to coordinate it with other universities in so far as this coordination will be consistent with the special character of Al-Azhar and the durpose of its studies.

2 — A minister of Al-Azhar affairs shall be duly appainted by a decree of the President of the Republic.

3 — The University Rector, who would be appointed by a decree of the president of the United Arab Republic, shall manage the university's academic, administrative and finanical affairs, and will represent the university before other bodies.

4 — Having been the university of all Muslims, Al-Azhar provided for equal opportunity of enrolement in its faculties and sections attached to them, for muslim students from any country in the world.

5 — Al Azhar is, as the supreme Muslim educational institution, attaching great importance to its cultural and educational relations with Islamic and other forgein universities and educational institutions in the World.

By this law, new Faculties were established, i.e. Facelties of Medicine, Engineering, Agriculture and Commerce. As one of the main aims of the University is to provide educational Faculties for women, Al-Azhar university has established a Girls College with its different branches of studies i e. Islamic Studies, Medicine, Arts, Science Philosophy, Psychology, etc. This college will be the nucleus of a Muslim University for girls. It is recalled that women were getting their share in Al-Azhar circles unitl recently. The history says that special study circles were held in many times for women in Al-Azhar. After shutting its doors in the face of women for many years, Al-Azhar has, now come forward to give women the same chance which men are already getting in the fields of knowledge and sciences.

From the time of its foundation, Al-Azhar has opened wide its doors to students and research scholars from all over the world. Special facilities offered to foreign students by providing them free education and lodging. In 1959 a University Hostel was established for Al-Azhar in the name of Nasser City of Islamic Missions.

other sciences i. e. Geography, astronomy, engineering medicine, mathematics etc.

In its long history, various necessary reforms have been made, from time to time, both in the methods of study in the Al-Azhar and the rules of administration. Al-Azhar entered in a new era from the time of Imam Muhammad Abdu (1848 - 1905 A. D.) who had made great efforts to introduce modern reforms into Al-Azhar Institutions and many scholers followed him in that field. As the result of those efforts several laws and regulations were adopted to reorganise and to develop it. The Year 1911 A. D. (1329 A, H.) was most important turning point in the history of Al Azhar. In that year, by a new law, the study courses divided into stages and modern subjects were introduced to each stage. A grant Ulama Committee was created and new modifications were made in rules of the appointment of teaching staff, admission of students and examination system.

In the year 1936 Al-Azhar entered the first stage of a full scale university. According to the law N. 26 of 1936, the education in Al-Azhar had been classified into stages i.e. The primary stage of four years, the secondary stage of five years, the Higher section of four years and the section of specialisation (تخصص) or license (إجازة) of two years. Thus immediately after the promulgation of that law, three faculties were inaugurated. They are : The Faculty of Theology, the Faculty of law and the Faculty of Arabic literature. Studen's completing the four year course of study with success in any of these faculties are granted the Higher certificates equal to B. A. Candidates admitted to the specialistation section were required to be holders of the higher certificate from Al-Azhar Faculties or its equivalent, from a recognised higher institution and after completing the two year course of study they were granted the certificate of Alimiya with licence, equal to M. A., in the subject in which they were specialised

When the revolution occurred in Egypt in 1952 and it started a complete reform in the country it payed due attention to Al-Azhar in a manner compatible with the statues and aims of this great international cen're of learning. This law which is known as the law No. 103 of 1961, has referred to the following points :

1 — Having regard to the special character of Al-Azhar, as a university of all Muslims throughout the world, Al-Azhar University should be independent of other universities in the

وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم . (الحجرات ١٣)

It means : "O mankind ! Lo ! We have created you, male and female and have made you nations and tribes that ye may know one another. Lo, the noblest among you in the sight of Allah, is the best in conduct" (XLIX : 13). These bases are clearly represented in the teachings of Islam and in its social, economical and political systems. By carrying out this great human mission Al-Azhar has carried out a great service for all people and by its great efforts it has taken many people from darkness to light.

It was first housed in the glorious mosque of Azhar more than one thousand years ago. The building of the mosque was started in the year 971 A. D. (359 A. H) on the 14th of Ramadan, by Gawhar the Sicilian, commander of the Fatimid Caliph, Al Muizzu Li Dinillah. He founded the mosque immediately after the building of the new capital city of Al Kahira (Cairo) for Fatimids. The building of the mosque of Azhar was completed on the 7th Ramadan 361 A.H. Since then it was a place of worship, and a centre of Learning.

The title of Al-Azhar signifies the meaning of flourishing or shining. It is said that the name Al-Azhar came from Al-Zahra, a title of eldest daughter of Prophet Muhammad, Fatima, from whom the Fatimid Caliphs descended. It was remained so far many centuries as a proof positive that in Islam worship and learning go hand in glove with each other and that Islam knows no conflict between religion and learning in the widest sense of the word.

Al-Azhar rose to the position of a most important educational institution and it has attracted students and research scholars from different parts of the world, and Egypt, since then, has become the unique destination to which students of Islamic studies and Arabic literature repair from all countries.

The system of education adopted by Al-Azhar since its inseption was a simple and natural one. No conditions of admission were imposed on the seekers of knowledge. The student had full freedom to choose his own subject as well as his own professor. Al-Azhar was the teaching centre of all branches of Islamic studies i. e. Tafsir (interpretation of the Qur'an), Hadith (Traditions of the prophet), Fiqh (jurisprudence) Tasawwuf (Mysticism) etc. and all branches of Arabic literature as well as it was the teaching centre of

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER :

ABDUL RAHIM FŪDA

Rabi, al-Tnani 1390	ENGLISH SECTION EDITED BY A. M. MOHIADDIN ALWAYE	JUNE 1970

The Role of Al-Azhar In the Service of Islam

By

A. M. Mohiaddin Alwaye

Al Azhar was established as a centre for the service of Islam. Islam has two sides, the spiritual side and material side. The first one will serve the spiritual side of man, and the second will serve the material side of him. Islam gives to mankind a complete and perfect system dealing with all walks of life and the Holy Qur'an declared that the true religion is to follow man's original nature.

« فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون »

(الروم ٣٠)

It means : "So set thy purpose for religion as a man by nature upright - the nature (framed) by God, in which He has created man. There is no altering (the law of) God's creation. That is the right religion, but most men know not".

(30 : 30)

We can sum up the basic aims of Al Azhar in the following three points : Firstly : communicating the message of Islam, in all its simplicity, moderation and clarity. Secondly : Paving the way to coordinate the relations among people in the light of religious principles. Thirdly : calling people to rise above colour and race fanaticism and distinction of people must be based upon the course of moral conduct and good deeds. As the Holy Qur'an says :

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى



مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
« بدل الاشتراك »
٥٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء الخامس — السنة الثانية والأربعون — رجب سنة ١٣٩٠ هـ - سبتمبر سنة ١٩٧٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

قلعة العروبة وراية الإسلام

للأستاذ عبد الرحيم فوده

منذ سقطت الخلافة الإسلامية فى بغداد ومصر تقوم فى العالم العربى والإسلامى مقام قلبه النابض . وعقله المفكر . وروحه الوثاب ، وقد احتملت فى دفاعها عن العروبة والإسلام ما لم تحتمله أمة أخرى ، فكافحت فى كل ميدان ، وضحت فى كل محنة ، وبذلت من دماء أبنائها وأموال شعبها ما لا يفضله أو يعدله إلا شرف إيمانها بالقيم التى كافحت فى سبيلها وناضلت عنها ، وقد امتد إشعاعها الفكرى والروحى إلى كل اتجاه ، فحيثما أقام مسلم أو عربى تمصر فى قلبه وعقله ولسانه ، لأنها زاد دينه ونور عقله ولغة لسانه هذه حقيقة ينطق بها تاريخ ماضيها وواقع حاضرها ، وهى من الجلاء والوضوح والإشراق بحيث لا يحجبها سحاب أو ضباب ، ولا يرقى إليها ما يثار من غبار ..

فقد ردت التتار على أعقابهم بعد أن قوضوا صرح الخلافة الإسلامية ، ودمروا كل ما كان يعترضهم فى طريق زحفهم إلى ربوع الشام ، ووقفت من الغزو الصليبى والاستعمار الغربى مواقفها المأثورة

المشهورة ، ومنها أسر لويس التاسع فى معركة المنصورة ، ولم تكن قناتها الصلبة ـ مع طول ما كانت تقاسيه وتعانيه ـ تحت وطأة الحملة الفرنسية والاحتلال البريطانى وظلت تبذل وتتحمل وتكافح بشرف حتى انتصرت إرادتها الحرة الأبية بثورة ٢٣ يوليو على الاستعمار وعملائه ، وامتدت يدها النقية السخية القوية إلى كل أرجاء الأمة العربية . لتبعث فيها كوامن الحياة الحركة والبركة والأمل . .

هـذه هى مصر التى يقترن اسمها بكل حركة تحرر نشهدها الآن فى الجزائر وليبيا والسودان واليمن والجنوب العربى والعراق وبما وصلت إليه الجماهير العربية من يقظة ووعى ، وإصرار على الحرية والكرامة ، والعدالة الاجتماعية ، بل هذه هى مصر التى تمـد حقول الثقافة والتعليم فى العالم العربى والإسلامى بما يخصبها ويثريها ، وتقف بين الشعوب الأفريقية والأسيوية منارة هادية . وعلمـا عزيزا . ويلتقى فى أزهرها آلاف من أبناء المسلمين على اختـلاف ألسنتهم وألوانهم « ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعـوا إليهم » .

فإذا قلنا إنها فى قلب كل مسلم وعقله وروحه، فذلك قول لا تمليه عاطفة وطنية أو نزعة قومية ، وإنما تمليه الحقيقة التاريخية ، ويقـوم عليه ألف دليل من الواقع المشهود ، وإذا رأينا من يجحد فضلها ، ويمضى مع أعداء العروبة والإسلام فى الكيـد لها والـتربص بها فذلك من الأعشـاب الخبيثة التى تنبت فى كل حقل ، بل هـــو ممن ينطبق عليهم قول الله :

« فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون » .

إن كل فرد من أبناء الجمهورية العربية يحس بأن مصر تحمـلت الـكثير من التضحيات والمتاعب والأزمات ، وأنها بذلت ـ عن طيب خاطر ـ ما ينوء به كاهلها ـ لولا قـوته وصلابته ـ فى موقفها من الاستعمار والصهيونية ومطامعهما فى هذه المنطقة من العالم ، ولـكنه مع ذلك يشعر بأن هـذه التضحيات تهون أمام شرف الرسالة التى تؤديها ، والمهام الجسام التى تضطلع بها ، وسيكون الله معها بعونه ونصره لأنها تقاوم روح الشر فى العالم ،

وتقود مراكب الخير فى الحياة ، وإذا كانت تمر بمحن عصيبة وظروف رهيبة ، فتلك سنة الله مع المؤمنين فى كل زمان ، كما يفهم من قوله تعالى :

« أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين »

والنصر مأمون مضمون للمؤمنين الصادقين كما يفهم من قوله سبحانه:

« إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد »

بل إنه كما يقول جل شأنه :

« حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين »

وكما يقول : « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ؟ ألا إن نصر الله قريب » .

صدق الله العظيم ؟

عبد الرحيم فوده

يقول الله تعالى :

« سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير »

[الإسراء : ١]

الإسراء والمعراج

للأستاذ مصطفى الطير

« سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى » (١ـ الإسراء)

« ولقد رآه نزلة أخرى ، عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى » (٣ ـ ١٥ النجم)

ليس عجبا أن يتفضل الإله العادل الرحيم برحلة ترفيهية على رسوله الأكرم محمد ﷺ بعد أن عانى مع قومه من المشقات والمتاعب ما تنشق له الأرض ، وينصدع له الصخر .

أفليس من سنن الملوك العادلين أن يقدروا جهد المجاهدين وإخلاص المخلصين من رعاياهم وأن يمنحوهم من العطاء السخى ما يجفف المنضوح من عرقهم ، ويخفف الشديد من ألمهم ، ويدمل للقروح من جروحهم ليستعقب لهم العطاء لذة الغبطة بقدر أولئك الملوك لما بذلوا ، ورضاهم عما فعلوا ، ويبعثهم على المزيد من الجهد فيما يرضيهم ، والفناء فيما يتقاضى حبهم وتوالى نعمهم .

فإذا استقام فى سيرة العظماء من الملوك أن يعبروا عن رضاهم بسخى العطاء فأعظم منه استقامة وأجل قدراً أن يصدر ذلك عن ملك الملوك ورب الكائنات بشأن إمام المجاهدين ، وخاتم المرسلين ، وسيد الباذلين .

وإذا كان العطاء يقدر عظمة المعطى والمعطى له ، فإن المنحة التى تفضل الله تعالى بها على رسوله محمد بعد ما ناله من أذى قومه فى مدى اثنى عشر عاما بمكة لابد أن تكون أعظم المنح ، فلهذا شاء سبحانه أن تكون من نوع لم يسبق له نظير مع رسول أو خليل أو كليم ، إنها رحلة إلى أرض النبيين ، وسموات رب العالمين ليريه من آياته الكبرى ، ويشهده على بدائعه العظمى .

وإن من حقه ﷺ على المؤمنين به أن يفرحوا لفرحه، وأن يغتبطوا لغبطته، فإذا كان قد أسعده أن تجلى عليه ربه بنعمة الرضا، ومنحه فضل الإسراء والمعراج فإن علينا أن نسعد لسعادته، وأن نجعل من ليلة الإسراء والمعراج عيداً فى الأرض كما هى عيد فى السماء.

(دليل الإسراء والمعراج)

ولقد ثبت الإسراء قرآنا بأول سورة الإسراء فى قوله تعالى: «سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير» وثبت المعراج قرآنا بقوله تعالى فى سورة النجم: «ولقد رآه نزلة أخرى، عند سدرة المنتهى، عندها جنة المأوى، إذ يغشى السدرة ما يغشى، ما زاغ البصر وما طغى، لقد رأى من آيات ربه الكبرى» [1].

وسواء كان المرئى للنبى ﷺ وهو عند سدرة المنتهى جبريل أو الله سبحانه وتعالى فقد دلت الآية على عروجه ﷺ إلى هذا المكان الرفيع عند جنة المأوى.

وكما ثبت الإسراء والمعراج بالكتاب ثبتا بالسنة الصحيحة، فقد رواها الجم الغفير من أصحاب رسول الله ﷺ.

(تاريخهما)

جاء فى تاريخ الإسراء والمعراج روايات عديدة أرجح منها ما رواه ابن سعد والزهرى وغيرهما، وجزم به النووى، ورجحه ابن حزم وابن القيم، وهو أنهما كانا قبل الهجرة بسنة واحدة.

وسبب ترجيحى لهذه الرواية إلى جانب قوة السند أن الإسراء والمعراج كانا لغاية واحدة ذكرها الله تعالى، وهى أن يريه بعض آياته الكبرى، وحكمة ذلك أن يستمد بتلك الرحلة لمرحلة كفاح جديدة فى سبيل دعوة الإسلام، وهى المرحلة التالية لهجرته إلى المدينة، فكان من المناسب أن يكونا قريبين من الهجرة ومتصلين بالبيعة الكبرى عند العقبة مع أنصار المدينة، وفى أعقاب الكفاح المرير للشرك عند أهل مكة، وقد كان لهذه الرحلة القدسية آثارها فى الدعوة المحمدية إذ سارت بعدها فى طريق لا أشواك فيه يصعب اقتلاعها، ولا عقبات يصعب تذليلها، حتى جاء نصر الله والفتح ودخل الناس فى دين الله أفواجا.

[1] النجم: ١٣ ـ ١٨

(الإمكان العقلي للرحلة القدسية)

قد علمت أيها القارئ الكريم أن الإسراء والمعراج ثبتا بطريق القرآن والسنة واعلم أن العلماء بعد ثبوتهما بذلك يختلفون في كونهما بالجسد أو بالروح أو في المنام، والراجح أنهما تما في اليقظة، إذ لو أن الرسول أخبر قريشا أن شيئا من ذلك كان مناما لما عجبوا من قوله ولما كذبوه، إذ لا غرابة في أن يطوف الإنسان بروحه في نومه بأي مكان في الأرض أو في السماء، ومما ينفي حدوثهما في المنام أن الصلاة فرضت بالإجماع ليلة الإسراء والمعراج في نفس الرحلة، ولا شيء من التكاليف يكون في المنام.

ومع كونهما تما في اليقظة فالراجح أنهما بالجسد والروح جميعا لا بالروح وحده، لقوله تعالى: « سبحان الذي أسرى بعبده » والعبد هو الجسد والروح جميعا لا أحدهما، ولقوله: « ما ضل صاحبكم ».

وصاحبك من الناس من يصحبك بروحه وجسده، وقد عاد الضمير المرفوع في قوله تعالى: « ولقد رآه نزلة أخرى، عند سدرة المنتهى، عندها جنة المأوى » على صاحبكم أي أن صاحبهم الذي يعرفونه بذاته ونفسه رأى جبريل عند سدرة المنتهى، عندها جنة المأوى، وإذا كان قد رآه عندها يكون قد عرج بروحه وجسده إلى السماء حيث توجد سدرة المنتهى والجنة.

فإذا قيل أن للكون ضوابط ونواميس لا تسمح بهذه الرحلة للجسد، إذ لا يتيسر له أن يسرع إلى بيت المقدس في لمح البصر، وإلا لهلك من مقابلة الضغط الجوي الناشئ عن تلك السرعة، فضلا عن أنه لا يستطيع أن يخترق الجو بسرعة أكثر في صعوده إلى السماء لهذا السبب كما لا يستطيع أن يتحمل الإشعاع الكوني ولا انعدام الضغط الجوي ولا صدمات الصواعق، فكل ذلك وأمثاله من أسباب الهلكة السريعة للجسد، فلهذا لا يصح أن يتما بالروح والجسد معا، بل بالروح دون الجسد، بطريق الانسلاخ عنه مع الاتصال به بطريقة ربانية تبقى على حياته.

والجواب مأخوذ من واقع القصة المروية في صحاح الأحاديث، فقد جاء فيها أن جبريل عليه السلام شق صدره وقلبه وغسله قبل بدء الرحلة، وهذا كناية عن أنه أعطاه من أسباب الحماية الإلهية ما يجعله يستطيع أن يتحمل أخطار هذه الرحلة، وأن يتغلب على كل العوامل الضارة أو المانعة من إتمامها على وجهها المراد له تعالى، وأن يصمد

ويهبط بسرعة فائقة كما تصنع الملائكة ، إذ لا معنى لهذه العملية التى أجراها له جبريل بمساعدة ميكائيل إلا ما قلناه ولهذا بدأت الرحلة عقب انتهائها ، على أن وجود جبريل وميكائيل معه ﷺ أثناءها يساعد على تمام الحفظ والصيانة ونجاح الرحلة .

وإذا كان الإنسان فى عصرنا هذا وصل إلى القمر ويسر لنفسه جسداً وروحا أسباب الوصول إليه ، وتغلب على عوائقه واتقى بوسائله أسباب الضرر حتى تمت الرحلة بنجاح ذهابا وعودة ، أفلا يستطيع الخالق أن ييسر لحبيبه محمد ﷺ أسباب النجاح للإسراء والمعراج بجسده وروحه ، وهو سبحانه أعلم بخواص كائناته من خلقه ، وأقدر على كف أضرارها عمن أراده ضيفا كريما على ملكوته، وذلك إما بتهيئته ﷺ وإعداده بوسائل واقية وممكنة له فى ذاته أو بكف موانعها عنه وهو على ما هو عليه جسداً وروحا، أو بالجمع بين الإعداد الذاتى وكف الموانع الخارجية ، ألم تعلم أن الله على كل شىء قدير .

وكم لله سبحانه وتعالى من خرق للنواميس الكونية وقوانينها خصوصا مع رسله وأصفيائه ، ليعلم الخلق أن الله تعالى قادر على أن ينسخ قوانين الكون بأخرى مضادة لها وأن الكون لا يجرى على سنن ذاتية ، بل على السنة التى يريدها له ربه إيجابا أو سلبا ، لكى يتوجهوا إلى خالقه لا إليه ، بعد أن يعلموا من هذا التباين أن وراءه من يديره ويدبر أمره حسبما يرى وإن خالف ضوابطه المعهودة .

فآدم خلق بغير أبوين ، وعيسى خلق بغير أب، والمعهود أن يخلق المرء من أبوين والنار شأنها الإحراق ولكنها كانت على إبراهيم برداً وسلاما ، وعرش بلقيس نقله الذى عنده علم من الكتاب من اليمن إلى الشام فى أدنى من رجع البصر ، ومريم العذراء كانت تأتيها الفاكهة فى غير أوانها «كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا ، قال يا مريم أنى لك هذا . قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب» وكانت تهز النخلة التى لا ثمر عليها فتساقط عليها رطبا جنيا .

وموسى ضرب البحر بعصاه فشق فيه اثنتى عشرة طريقا عبر فيها بنو إسرائيل إلى بر سيناء ، ثم ضرب الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا بعدد أسباط بنى إسرائيل قد علم كل سبط منهم مشربهم .

وقد انشق القمر لنبينا محمد ﷺ، ففى الصحيحين من حديث أنس : « أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر شقين، حتى رأوا حراء بينهما » إلى غير ذلك من خوارق العادات .

(لماذا لم يحدثا أمام قريش)

لا شك فى أن الإسراء والمعراج من الآيات الكبرى، وإذا كانا كذلك فلماذا لم يحدثا بمحضر من قريش حتى تؤدى رؤيتهم لهما إلى إيمانهم، فقد طلبوا منه أن يرقى فى السماء ليؤمنوا به .

والجواب أن الإسراء والمعراج حدثا بعد ما ظهر لهم من الآيات ما فيه الكفاية، فمن الناحية العلمية جاءتهم آية القرآن المشتمل على آيات الفصاحة والبلاغة وقوة التشريع وصلاحيته لكل زمان ومكان ومبادىء الأخلاق الرشيدة للمجتمع الفاضل والإخبار بالغيب وغير ذلك من الآيات، كما جاءتهم الآيات الكونية التى ينصاع لقوتها كل جبار عنيد، ولكنهم كابروا ولم يؤمنوا، ومن ذلك أنهم طلبوا منه ﷺ أن يريهم القمر منشقا نصفين ففعل، فزعموا أن هذا سحر وكذبوا، روى أبو داود وغيره عن ابن مسعود قال « انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ، فقال كفار قريش هذا سحر ابن أبى كبشة، قال، فقالوا انظروا ما يأتيكم به السفار فإن محمدا لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم، قال، فجاء السفار فأخبروهم بذلك » ومع هذا وغيره استمروا على الكفر حتى عام الفتح فهداهم الله .

ولو أنه ﷺ عرج به إلى السماء أمامهم لزعموا أن هذا من السحر عنادا وتكبرا وإصرارا على الكفر وليس عروجه أمامهم بأغرب من انشقاق القمر، ولا لتكذيبه أصعب عليهم من تكذيبه، أفلم يقولوا من قبل : « إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون » ففى المعراج يمكن أن يقولوا ذلك كما قالوه من قبل، فقد مرنوا على الجحود اثنى عشر عاما .

على أن هذه الآية لم يكن الغرض منها قريشا، بل كانت للترفيه عنه ﷺ، وللإعداد لمرحلة الهجرة لقد سبق فى علمه تعالى أنهم لا يؤمنون بها وأنهم سيتأخرون إلى ما بعد فتح مكة .

ومع هذا فقد صاحبتها آيات ظهر أمرها لقريش، ولكنهم لم يؤمنوا، وذلك أنه صلى الله عليه وسلم جاءهم يناديهم فحدثهم أن الله أسرى به ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وكتم عنهم رحلة المعراج فاضطرب المجلس وأعظموا الأمر وأنكروه منه، ثم رأوا أن يسألوه عن أوصاف المسجد الأقصى زيادة في إحراجه، لأنه لم تسبق له رؤيته قبل هذه الليلة، ولم تعطه غرابة الرحلة وعجائبها الفرصة ليتعرف أوصافه مفصلة، فلما شرع ينعته التبس عليه باقي النعت، فكرب لذلك كربا شديدا، فجلاه الله له فجعل ينظر إليه ويصفه فقالوا واللات والعزى لقد أصاب في نعته، وسألوه أن يخبرهم عن عيرهم التي بالشام، فأخبرهم بخبرها، وذكر لهم أنها سوف تصل عند شروق الشمس يوم الأربعاء المقبل، يقدمها جمل أورق عليه غرارتان سوداوان، فاشتدوا في ذلك اليوم لقائها، فقال قائل منهم: هذه الشمس قد أشرقت، وقال آخر: وهذه العير قد أقبلت يقدمها جمل أورق عليه غرارتان سوداوان ومع أنهم تحققوا من أحداث القافلة التي كان قد أخبرهم بها، ورأوا صدقه بقدوم العير في الموعد الذي حدده على الوصف الذي قاله، فقد كذبوا ولم يؤمنوا، لهذا كله لم يكن هناك داع لمشاهدتهم إسراءه وعروجه، ولقد كرم الله نبيه في هذه الرحلة أعظم تكريم، وأسبغ عليه من ألوان النعم والإحسان ما هو أهله، حتى نسي همومه وزالت آلامه النفسية والجسدية التي خلفها كفاحه الطويل لكفر قومه وعنادهم للحق وإيذائهم له ولمن آمن معه، وفرض عليه وعلى أمته خمس صلوات جعلها في ثواب خمسين صلاة لمن أداها بإحسان ولذلك كانت أشرف فريضة بعد التوحيد، إذ لم يفرض على أمته في السماء غيرها، أما سواها فقد جاء به السفير جبريل عليه السلام وهو في الأرض، فهنيئا لمن أداها بإحسان.

أما بعد: فهذه إلمامة يسيرة ببعض جوانب الإسراء والمعراج اللذين اختص الله بهما رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم، ويرحم الله البوصيري إذ قال:

كيف ترقى رقيك الأنبياء

يا سماء ما طاولتها سماء

وبعد الذي ذكرناه من إمكانهما بالروح

(البقية على صفحة ٣٩٠)

الشيخ عبد القادر الجيلانى في تمسكه بالشريعة

لفضيلة الدكتور عبد الحليم محمود

يقول الشيخ عبد القادر :

تراءى لى نور عظيم ملأ الأفق ، ثم تدلى فيه صورة تناديني :

يا عبد القادر أنا ربك ، وقد حللت لك المحرمات .

فقلت : « اخسأ يالعين » .

فإذا ذلك النور ظلام ، وتلك الصورة دخان ، ثم خاطبنى :

نجوت منى بعلمك بأمر ربك ، وفقهك فى أحوال منازلاتك ، ولقد أضللت بمثل هذه الواقعة سبعين من أهل الطريق .

فقلت : لله الفضل .

فقيل له : كيف علمت أنه شيطان .

قال : بقوله : قد حللت لك المحرمات .

لقد علم الشيخ عبد القادر ـ بعلمه بأمر ربه ، وفقهه فى أحوال منازلاته ـ أن الطريق إنما هو اتباع لا يشوبه ابتداع ولا مخالفة للأمر أو النهى ، ولقد قال رسول الله ﷺ يصف الطريق فى كلمة موجزة معجزة ، فى أسلوبها وفى معناها :

« اتبعوا ، ولا تبتدعوا ، فقد كفيتم »

ولقد علل رسول الله ﷺ ، النهى عن الابتداع بقوله :

« فقد كفيتم » .

وكل من يبتدع إذن فإنما يبتدع لأنه غير مؤمن ـ شاعرا أو غير شاعر ـ بأن الله قد أكمل الدين وأتم النعمة :

« اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الإسلام دينا »

وما دام الدين قد كمل فلا مجال للابتداع .

الطريق إذن هو الاتباع .

إنه طريق الرسول ﷺ ، وطريق الصحابة ، وطريق الراشدين المهديين فى كل زمان ومكان .

ومن أجل ذلك كان الشيخ عبد القادر لا يمل من نصيحة أتباعه قائلا :

« اتبعوا ولا تبتدعوا ، وأطيعوا ولا تخالفوا ، واصبروا ولا تجزعوا ، واثبتوا ولا تتمزقوا ، وانتظروا ولا تيأسوا ، واجتمعوا على الذكر ولا تتفرقوا ، وتطهروا عن الذنوب ، ولا تتلطخوا ، وعن باب مولاكم لا تبرحوا »

وميزان الشرع عند عبد القادر رضى الله عنه ميزان شامل عام ، وهو من الصلاحية الحقيقية بحيث يطبق على كل الأمور والأحوال : على الحب والبغض ، على القول والصمت ، على الحركة والسكون ، إنه يقول :

« إذا وجدت فى قلبك بغض شخص أو حبه فاعرض أفعاله على الكتاب والسنة ، فإن كانت محبوبة فيهما فأحبه ، وإن كانت مكروهة فاكرهه ؛ لئلا تحبه بهواك وتبغضه بهواك قال تعالى :

« ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله »[1]

ولا تهجر أحداً إلا لله ، وذلك إذا رأيته مرتكبا كبيرة أو مصرا على صغيرة »

ويفسر الإمام الشعرانى بعض هذا القول فيقول :

ومعنى : « رأيته مرتكبا كبيرة » العلم بذلك ولو ببينة ، فلا يشترط فى جواز الهجر رؤية الهاجر لذلك العاصى ببصر ، ولذلك قال سيدى على الخواص رضى الله عنه :

« شرط جواز الهجر علم الهاجر بوقوع المهجور فيما هجر لأجله يقينا لا ظنا ولا تخمينا ، فلا يجوز له الهجر من غير تحقق وتثبت .

وهذا الباب هلك فيه خلق كثير ، ولم يعوقوا حتى ابتلاهم الله تعالى بما رموا به الناس والله أعلم » .

ولقد أوفى الشيخ عبد القادر رضى الله عنه ، مبدأ الاتباع حقه من الإيضاح السلوكى والعلمى ، وكانت استفاضته فيه ضرورية ، وذلك أن النفوس ميالة إلى اتباع الغرائز ، وهى أمارة بالسوء إلا من رحم الله ، والشيطان يوسوس لها بمخالفة الأمر الإلهى .

إنه يوسوس لها بتحطيم قواعد الشرع ، المأمورات والمنهيات ، ومن أجل ذلك وجد فى كل زمان ومكان من يغشون أنفسهم ويضلون غيرهم بقولهم برفع التكاليف فيقعدون عن الصلاة ، والصلاة وسيلتها الطهارة الجسمية ، وغايتها الطهارة القلبية ، ولو لم تجب بالشرع لكان من الخير أن نوجبها بالعرف .

---

[١] ص : ٢٦ .

ولا يصومون والصيام رياضة التسامى والصفاء ، ولو لم يكن ركننا فى الدين لوجب أن نجعله ركننا فى المجتمع .

إنهم يقولون برفع التكاليف ، الهوى والشهوات ، ولنقص فى الإرادة وعبودية للغرائز ، إنهم عبيد شهواتهم .

ولقد قيل مرة للجنيد رضى الله عنه :

« أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات من باب البر والتقرب إلى الله عز وجل » .

فقال الجنيد :

إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال ، وهو عندى عظيمة ، والذى يسرق ويزنى أحسن حالا من الذى يقول هذا » اهـ

وكما تناثر هذا الضلال من أفواه بعض المدعين الزائفين فى أيام الإمام الغزالى ، كما تناثر من قبله فى أيام الجنيد ، فشمر الإمام الغزالى عن ساعده وحارب القائلين بذلك حربا لا رفق فيها ، لقد حدد الإمام الغزالى سبيل السالك إلى الله تعالى ، ووصفه قائلا :

إنه الذى تكون جميع أفعاله الاختيارية موزونة بميزان الشرع ، موقوفة على توقيفاته ، إيرادا ، وإصدارا ، وإقداما ، وإحجاما ، إذ لا يمكن سلوك هذا السبيل إلا بعد التلبس بمكارم الشريعة كلها ، ولا يصل فيه إلا من واظب على جملة النوافل ، فكيف يصل إليه من أهمل الفرائض ؟

فإن قلت : فهل تنتهى رتبة السالك إلى الحد الذى ينحط عنه فيه بعض وظائف العبادات ، ولا يضره بعض المحظورات ، كما نقل عن بعض المشايخ من التساهل فى هذه الأمور ؟

وأقول لك : اعلم أن هذا عين الغرور ، وأن المحققين قالوا :

« لو رأيت إنسانا يطير فى الهواء ويمشى على الماء ، وهو يتعاطى أمرا يخالف الشرع فاعلم أنه شيطان » .

فإنه تناثر هذا الضلال فى أيام الجنيد والغزالى ، وفى أيام الجيلى رضى الله عنهم أجمعين ، وما كان يتأتى أن يمر عليه الجيلى دون إعلان الحرب عليه فى غير هوادة ولا رفق ، إنه يقول فى صراحة لا لبس فيها :

« إن انخرم فيك شىء من الحدود فاعلم أنك مفتون ، قد لعب بك الشيطان ، فارجع إلى حكم الشرع ، والزمه ، ودع عنك

الهوى ، لأن كل حقيقة لا تشهد لها الشريعة فهي باطلة »[1] اهـ .

ويقول في يقين المؤمن وفي وضوح ،هو وضوح الحق الخالص :

« ترك العبادات المفروضات زندقة ، وارتكاب المحظورات معصية ، لا تسقط الفرائض عن أحد في حال من الأحوال » .

ولقد بين الإمام عبد القادر هذا الموضوع في كتابه « الفتح الرباني » غير مرة ، ومن كلامه فيه :

« إذا تواليتم في الصلاة انقطعت صلاتكم بالحق عز وجل ، ولهذا قال النبي ﷺ :

« أقرب ما يكون العبد من ربه إذا كان ساجدا » .

ويحك كم تتأول وتترخص ؛ المتأول خادر ، ليتنا إذا ركبنا العزيمة ولعلقنا بالإجماع ، وأخلصنا في أعمالنا تخلصنا من الحق عز وجل ، فكيف إذا تأولنا وترخصنا »

وذكره غير مرة في كتابه : « فتوح الغيب » ومن كلامه فيه :

« اخرج من نفسك ، وتنح عنها وانعزل عن ملكك ، وسلم الكل إلى الله تبارك وتعالى ، وكن بوابه على باب قلبك وامتثل أمره تبارك وتعالى في إدخال من يأمرك بإدخاله ، وانته نهيه في صد من يأمرك بصده ، فلا تدخل الهوى قلبك بعد أن خرج منه ، وإخراج الهوى من القلب بمخالفته وترك متابعته في الأحوال كلها وإدخاله في القلب بمتابعته وموافقته ، فلا ترد إرادة غير إرادته تبارك وتعالى ، وغير ذلك منك غير ، وهو واد الحمق ، وفيه حتفك وهلاكك ، وسقوطك من عينه تبارك وتعالى ، وحجابك عنه .

احفظ أبدا أمره ، وانته أبدا نهيه ، وسلم إليه أبدا مقدوره ، ولا تشركه بشيء من خلقه ، فإرادتك وهواك ، وشهواتك خلقه ، فلا ترد ، ولا تهوى ، ولا تشته لئلا يكون شركا ، قال الله تعالى :

« فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا »[1] .

ليس الشرك عبادة الأصنام فحسب ، بل هو أيضا متابعتك لهواك ، وأن تختار مع ربك شيئا سواه من الدنيا وما فيها ، والآخرة ومافيها .

---

[١] الطبقات الكبرى للامام الشعراني .

[١] الكهف ١١٠ .

فما سواه تبارك وتعالى غيره ، فإذا ركنت إلى غيره فقد أشركت به غيره ، فاحذر ولا تركن ، وخف ولا تأمن وفتش ولا تغفل فتطمئن ، ولا تضف إلى نفسك حالا ولا مقاما ولا تدع شيئا من ذلك» اهـ.

ومن أجل هذا التمسك الحاسم بالكتاب والسنة من الشيخ عبد القادر ، ومن أمثاله من المخلصين يقول ابن تيمية :

«فأما المستقيمون من السالكين كجمهور مشايخ السلف : مثل الفضيل بن عياض ، وإبراهيم بن أدهم ، وأبى سليمان الدارانى ، ومعروف الكرخى ، والسرى السقطى ، والجنيد بن محمد ، وغيرهم من المتقدمين ؛ ومثل الشيخ عبد القادر ، والشيخ حماد والشيخ أبى البيان ، وغيرهم من المتأخرين ، فهم لا يسوغون للسالك ولو طار فى الهواء أو مشى على الماء ، أن يخرج عن الأمر والنهى الشرعيين ، بل عليه أن يفعل المأمور ، ويدع المحظور إلى أن يموت ، وهذا هو الحق الذى دل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف» :

وما يقوله ابن تيمية من أن «هذا هو الحق الذى دل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف» هو عقيدة كل صوفى حقيقى ، وهو عقيدة كل مؤمن .

ولكن من هو الشيخ عبد القادر ؟

(إن الحديث موصول)

د . عبد الحليم محمود

(بقية المنشور على صفحة ٣٨٥)

والجسد كما هو ظاهر القرآن والسنة لا ينبغى أن يتردد فى ذلك مسلم ، ويرحم الله شوقى إذ يقول :

يتساءلون وأنت أكرم هيكل
بالروح أم بالهيكل الإسراء
بهما سموت مطهرين كلاهما
نور وروحانيـــة وبهاء
فضل عليك لذى الجلال ومنة
والله يفعل ما يرى وما يشاء

* * *

العرش تحتك سدة وقوائما
ومناكب الروح الأمين وطاء

مصطفى محمد الحريرى الطير

من المعجزات في الإسراء والمعراج

لفضيلة الدكتور محمد محمد أبو شهبة

روى الإمامان الجليلان: البخاري ومسلم في صحيحيهما بسندهما عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « لما كذبتني قريش قمت في الحجر ، فجلى الله لي بيت المقدس ، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه » .

رواه البخاري في صحيحه في باب المعراج ورواه مسلم في صحيحه في أحاديث الإسراء برسول الله ﷺ وفرض الصلوات .

« الشرح والبيان »

« جابر بن عبد الله رضي الله عنهما »

هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام صحابي ابن صحابي ، فأبوه عبد الله بن عمرو صحابي جليل ، استشهد في أحد ، وقد أبقى جابراً في المدينة ليخلفه على بناته السبع وهم أخوات جابر ، وقال له - وكان شيخا كبيرا - لا أوثرك على نفسي في الخروج مع رسول الله ﷺ ! وهو من المثل العليا التي زخر بها تاريخ الصحابة رضوان الله عليهم ، وقد أصر على الخروج مع رسول الله واستشهد وقد غزا جابر مع النبي ﷺ تسع عشرة غزوة ولم يشهد بدرا ولا أحدا لأن أباه منعه ليخلفه على البنات كما أسلفنا ، رواه مسلم .

وجابر أحد الرواة المكثرين من الرواية ، له ألف وخمسمائة وأربعون حديثا اتفق الشيخان على ثمانية وخمسين وانفرد البخاري بستة وعشرين ، ومسلم بمائة وستة وعشرين ، روى عن النبي ﷺ وعن أبي بكر ، وعمر ، وعلي وغيرهم من الصحابة ، وروى عنه عمرو ابن دينار ، وعطاء ، ومجاهد ، وأولاده : عبد الرحمن ، وعقيل ، ومحمد ، وغيرهم ، وقد جمع إلى الرواية الفقه والفتوى ، فكان فقيه المدينة ، ومفتيها في زمانه ، وفي مصنف وكيع عن هشام بن عروة قال : كان لجابر بن عبد الله حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم ، مات سنة ثمان وسبعين عن أربع وتسعين سنة

وأوصى أن لا يصلى عليه الحجاج ، فرضى الله عنه وأرضاه :

« لما كذبتني قريش قمت في الحجر » .

في بعض الروايات « لما كذبني ... »

وهما جائزتان ، الحجر : هو المكان الذي حجر أي منع وحجز من الكعبة البيت الحرام ، وكان في الأصل داخلا فيه في عهد الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلى زمن قريش في الجاهلية قبل مبعث النبي ﷺ وكانت الكعبة قد أصيبت بتهدم بسبب سيل أو حريق فهدمها القرشيون بعد خوف وتردد ، كي يعيدوها كما كانت ، وقد أخذوا على أنفسهم أن لا يدخلوا في بنائها مالا حراماً فلا يدخل فيها مهر بغي ، ولا حلوان كاهن ولا ثمن كلب إلى غير ذلك ، ثم شرعوا في البنــاء ، فضاقت عليهم النفقــة ، فاضطروا إلى أن يقتطعوا من البيت قطعة من جهته الشمالية ثم أحاطوا هــذا البيت بسياج للدلالة على أنه من البيت وهذا الحجر هو الحطيم على الصحيح لأنه حطم أي حجز ومنع من البيت ، وفي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال لعائشة ـ رضى الله عنها ـ « لولا أن قومك حديثو عهد بكفر لهدمت الكعبة ولبنيتها على قواعد إبراهيم » .

ولما ولى عبد الله بن الزبير إمارة الحجاز أدخل الحجر في الكعبة فلما قتل أعادها الحجاج إلى ما كانت عليه في الجاهلية ، ثم أراد بعض خلفاء بني العباس أن يعيدها على قواعد إبراهيم ، فقال له الإمام مالك : لا تجعل البيت ملعبة في يد الملوك ، فبقى على ما كان عليه في عهد قريش إلى وقتنا هذا :

وكان السبب في قيام النبي ﷺ بالحجر اختبار قريش له ولذلك قصة .

ذلك أن النبي ﷺ قد أسرى بجسمه وروحه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وعرج به من المسجد الأقصى إلى السموات السبع وما فوق السبع حتى جاوز سدرة المنتهى ، وسمع كلام الرب جل وعلا ، وفرض الله عليه وعلى أمته خمسين صلاة ، ولم يزل النبي يسأل الله التخفيف حتى استجاب له قائلا : « يا محمد ! فهن خمس صلوات في اليوم والليلة ، وهن خمسون في الثواب ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد » فلما جاوز ناداه الرب جل وعلا : « أمضيت فريضتي ، وخففت عن عبادي » ثم عاد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه محفوفا بالإكرام والعناية الربانية ، وعليه هالات من الجلال والتجليات الإلهية حتى وصل إلى بيت المقدس ، وعاد إلى البلد

الحرام ، وهو فى غاية السكينة والوقار كأنه بات بين أهلها .

وفى صبيحة هذه الليلة المشهودة الغراء أخبر رسول الله ﷺ أم هانىء بنت عمه أبى طالب بما جرى ، فقالت: يارسول الله لا تحدث قومك بهذا فيكذبوك ويؤذوك ، فقال : والله لأحدثنهم به فغدا ﷺ إلى المسجد ، فمر به أبو جهل ، وهو جالس يفكر ، فقال للنبى : هل من خبر ؟ قال : «نعم» قال وماهو ؟ قال: «أسرى بى الليلة» قال : إلى أين ؟ قال : «إلى بيت المقدس» قال : ثم أصبحت بين ظهرانينا قال: «نعم» قال أرأيت إن دعوت قومك أتحدثهم بما حدثتنى به ؟ فقال رسول الله ﷺ : «نعم» فصار أبو جهل ينادى بطون قريش ، فأقبلوا فقص عليهم رسول الله ﷺ القصة ، فصاروا مابين مصفق ، وواضع يده على رأسه تعجبا، وصار حديث الإسراء مشغلة المجتمع القرشى فى كل مجلس وناد ، منهم من يؤمن به ، ومنهم من يكذبه

وسعى رجال إلى سيدنا أبى بكر رضى الله تعالى عنه يخبرونه بما حدث به النبى ﷺ القوم فقال لهم : لئن كان قد قال ذلك لقد صدق ؟ فقالوا له أتصدقه على ذلك ؟قال: نعم ، إنى لأصدقه على أبعد من هذا ، أصدقه على خبر السماء ، يريد — رضى الله عنه — أنه يصدقه فى مجىء جبريل عليه السلام بالوحى من السماء فى زمن وجيز من ليل أو نهار ، وليس من شك فى أن الإسراء دون ذلك بكثير ، وصدق الله حيث يقول : «سأل سائل بعذاب واقع ، للكافرين ليس له دافع ، من الله ذى المعارج ، تعرج الملائكة والروح إليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، فاصبر صبرا جيلا» [1] فأين مسيرة شهر بالإبل أو الأقدام ، من عروج الملائكة الكرام بين السماء والأرض فيما مسيرته تستغرق خمسين ألف عام ، على ماتم عليه من سرعة تفوق سرعة الصوت بل هى أعظم من ذلك بكثير .

وقد استحق أبو بكر — رضى الله تعالى عنه — من هذا اليوم الذى صدع فيه بالحق، وقال قولة الإيمان أن يلقب «صديقا» فأعظم بها من منقبة خالدة لشيخ الإسلام، وأفضل هذه الأمة بعد نبيها.

وجاء دور الاختبار ، وكان الكثيرون من المشركين يعرفون بيت المقدس ،

[١] — المعارج ١ — :

وأوصافه لكثرة ترددهم عليه فى تجاراتهم وأسفارهم فسألوا النبى ﷺ عن أوصاف المسجد الأقصى ، ولم يكن النبى رآه إلا فى هذه الليلة ، ومن كان فى مثل حاله ﷺ فى هذه الليلة يكون فى شغل شاغل عن الإحاطة بالوصف ، لقد قدم بيت المقدس فإذا هو فى حشد حاشد من أنبياء الله ورسله ، وإذا ملائكة الله الكرام تحيط به من كل جانب ، وإذا للمسجد الأقصى على سعته غاص بكرام خلق الله احتفاء بالقادم الكريم ﷺ فى هذه الليلة ، فهل يبقى هذا الحشد الحاشد ، وهذا المشهد الحافل ، للنبى مجالا لأن يجيل الطرف فى المسجد ، ويعد الأبواب ، ويعد الشبابيك ويعد الأساطين ؟ ! .

إن الواحد منا قد يغشى مسجد الحى فضلا عن غيره طيلة عمره ، ويدخله صباح مساء ، ومع هذا قد تسأله عن عدد أعمدته أو عن عدد شبابيكه ، أو أبوابه فلا يدرى فلا عجب إذا كان النبى ﷺ لما سأله المشركون كرب كربا شديداً لم يكرب مثله قط ، ولم يدر بم يجيب ؟ وداخله هم وحزن شديدان .

ولكن الله الذى ينصر أولياءه على أعدائه ، ولا يتخلى عن أنبيائه طرفة عين والذى أسرى بنبيه وحبيبه محمد ﷺ ، وعرج به من المسجد الأقصى ، ودفعه فوق السبع الطباق ، وأيده بروح من عنده وأراه من آياته الكبرى ما أراه جلاه له حتى صار مرئياله فجعل ينظر إليه ويصفه لهم بابا بابا وشبا كا شبا كا فقالوا أما الوصف فقد أصاب ! ! ومع هذا ازدادوا عتوا ونفورا ، وإصرارا على الكفر وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لقد رأيتنى فى الحجر وقريش تسألنى عن مسراى ، فسألتنى عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها ، فكربت كربة ما كربت منه[1] قط قال : فرفعه الله لى أنظر إليه ، ما يسألونى عن شىء إلا أنبأتهم »[2] « فجلى الله لى بيت المقدس ، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه » .

فطفقت : طفق من باب فرح وضرب طفقا وطفوقا أى شرعت فى إخبارهم وواصلت ذلك ، آياته : علاماته وأماراته

وهذا الحديث يحتمل معنيين :

الأول : أنه جلاه له وكشفه من غير انتقال بأن

---

[١] مرجع الضمير للكرب المفهوم من الكلام

[٢] صحيح مسلم بشرح النووى ص ١٣٨

أزال الله له ﷺ الحجب والموانع حتى رآه وتحقق منه كأنه ماثل أمامه فصار يصفه لهم ، ولا أدري كيف يستبعد البعض مثل هذه المعجزة ، وقد توصل العقل البشري في عصرنا إلى اختراع « التلفزيون » فيرى الرائي فيه صورة الشيء حتى ولو كان بينهما آلاف الأميال فإذا توصل الإنسان على قصوره وعجزه إلى هذا ، أفتستبعد هذه المعجزة على قدرة صانع البشر ، وخالق القوى والقدر ، والعليم بما كان وما يكون ؟ ! .

الثاني : أن الله أحضر له بيت المقدس حتى صار على مقربة منه ، وليس هذا بعزيز على الله ، فقد أحضر الذي عنده علم من الكتاب عرش بلقيس إلى سليمان عليه السلام في أسرع من لمح العين كما حكى ذلك الكتاب الكريم ، قال عز شأنه : « قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقراً عنده قال : هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر . » الآية [1]

وبعد : فيا أيها المسلمون والعرب : هذا بيت المقدس الذي إليه انتهى مسرى رسول الله ﷺ ، ومنه عرج إلى السموات ، والذي كان مثابة أنبياء الله ورسله ، ومهبط وحيه ، وموئل الصالحين من عباده ، قد دنسه اليهود بأرجاسهم ، وداسوه بنعالهم ، وعاثوا فيه فساداً وهدموا من بنيانه ، وغيروا من معالمه ، وأنتم تشاهدون ذلك وتعلمونه ، فكيف تسكتون على هذا المنكر الذي أزرى بحرم الله ، وحرمات أنبيائه ورسله ؟ ! وكيف تغضون الطرف عن هذا العبث بالمقدسات التي قدسها الله على لسان أنبيائه ورسله ؟ ألا فاغضبوا لله ولدينكم غضبة مضرية حتى تهتكوا حجاب الشمس ، أو يقطر الدم ، وبذلك تحررون الأرض المسلوبة المغتصبة ، وتطهرونها من رجس الصهاينة إخوان القردة والخنازير ، وماذلك — إن صدقتم العزم — عليكم بعزيز ؟

د. محمد محمد أبو شهبة

[1] النمل : ٤٠ .

لحظات خالدات في ضيافة الله

لفضيلة الأستاذ ابو الوفا المراغي

لحظات خالدات قضيناها في الاستعداد والسفر وزيارة بيت الله الحرام، فقد أنعم الله علينا بأن نؤدى منسك العمرة تأسيا برسـول الله ﷺ، والتماسا للأجر وتكفيراً عن الذنب وتطهيرا للنفس كما قال ﷺ: (العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة)، وكما قال: (الحجاج والعمار وفد الله دعاهم فأجابوه وسألوه فأعطاهم).

وعلى هذه النية قصدنا وألقينا بأنفسنا في رحاب الله وفوضنا أمرنا إليه لا نبالي ما سنلقى، وكيف نبالي؟ ونحن في حماية مالك الملك بيده السموات والأرض يقلبهما كيف شاء، ونحن ضيوفه وزواره، وإذا عز المضيف عز الضيف، وأكرم الزائر.

وفي هذه الرحلة المباركة تتزاحم المعاني وتسرح الأفكار في الحاضر القريب والماضي البعيد تسرح الأفكار في الحاضر ومنجزاته وفي الماضي ومنجزاته، وفي الحاضر تدهش النفس لما أنجزته الحضارة في وسائل النقل ووسائل العيش والسكن، وكيف أنك تقطع بالطائرة المسافة بين القاهرة وجدة في أقل من ساعتين تقضيهما على مقعد وثير في جو لطيف تمدك به أجهزة التكييف فتضيف إلى جوك الروحي الذي أعده لك قصدك الكريم روحا وراحة وتحس بأنك انتقلت بروحك وجسمك إلى دنيا غير دنياك وعالم غير عالمك، وإذا انقضت رحلة الطائرة إلى جدة وانتقلت إلى رحلة السيارة من جدة إلى مكة لقيت بالسيارة ما لقيت بالطائرة من يسر وراحة مدة ساعة تحط بعدها رحلك بمكة، وإذا قدر لك أن تنزل بأحد نزلها راعك ما أضفته الحضارة على تلك الديار المباركة من مظاهر النعيم والرفاهية سكناً ومطعما ومشربا، ولا بد أنك في أثناء ذلك كله تستعرض صور الماضي وكيف كان يلقى أسلافك في هذه الرحلات من عناء السفر على متون الإبل في لفح السموم وزمهرير الشتاء وما كانوا يتعرضون له من أهوال

وأخطار دعت الفقهاء أن يجعلوا فى مقدمة شروط الحج أمن الطريق ، وتفسر لماذا كان أهل الحاج يودعونه فى وجل وإشفاق ويستقبلونه فى لهفة واشتياق ، ولماذا قال الغزالى فى وصف تلك الرحلة : ليتذكر الحاج من هول الطريق سؤال منكر ونكير .

يسرح فكرك فى ذلك وفى غيره وتستشعر فضل الحضارة فى الدين والدنيا وتتمنى أنه لو ظلت الحضارة فى خدمتهما تمنحهما الرخاء واليسر ولا تنحرف بها الأهواء والأطماع إلى الأذى والشر وترويع المسالمين حتى لا ينعكس القصد ويخيب الرجاء فى الهناء والرخاء .

وإذا جد بك السير نحو مكة وقاربتها وطالعتك معارفها بجبالها وتلالها وسفوحها ووديانها هاجت مشاعرك ، وسما خيالك وأخذ يستعرض لك صور الماضى فى جلاله وجلاله ، ويمثل لك صور الأنبياء فى تلك المواطن فى خطراتهم وخطواتهم وغدواتهم وروحاتهم وجهادهم وجلادهم فى اقتلاع الشرك وتصحيح العقيدة ، يمثل لك صورة آدم على بساط عرفات فى التقائه بحواء ، وصورة إبراهيم وإسماعيل فى هذا الوادى القحل السحيق .

حيث لا طعام ولا شراب ، ولا مسكن ولا مأوى تروح به أمه هنا وهناك صارخة مستغيثة فتدركها الرحمة ويتفجر لها الماء فيروى ظمؤها وتبتل عروقهما وصورة إبراهيم أيضاً ذاهباً بولده ليذبحه تصديقا رؤياه .

وحين يستسلم الوالد والمولود تتجلى رحمة الله وينزل الفداء من السماء وينجو الذبيح كبيراً كما نجا صغيراً وهكذا يكون حسن الجزاء للمخلصين من الأصفياء والأنبياء وإذا اقتربت من البيت الحرام حضرتك الصورة المشرقة صورة خاتم الأنبياء فى طفولته وشبابه يتيما فقيراً راعيا الغنم لا سلطان له ثم نبياً مرسلا تدين له الدنيا ويقود العالم ويوجه التاريخ ويصحح عقائد البشر وآدابهم وشرائعهم وعلى أسس رسالته ترقى الشعوب وتبنى الحضارات ، فإذا دخلت البيت الحرام تمثلت لك صور الأنصاب والأزلام تزدحم بها جوانبه ضلة فى العقيدة واختلالا فى العقول وتمثل لك مدى الجهد الذى بذله محمد ﷺ فى أن يقتلعها من أماكنها فى البيت ويقتلعها من أماكنها فى نفوس العرب وكانت أعز عليهم من نفوسهم .

وإذا تراءت لك الكعبة وكادت تتكشف لك الحجب دون السماء فاربط على قلبك حتى يفرغ روعك ، فأنت في حمى بيت الله الذي اختاره ليطوف المسلمون حوله بقلوبهم وأرواحهم وجسومهم يستفرغون الوسع في الدعاء والرجاء مؤملين الإجابة طامعين في القبول وإذا امتد بك الوقت وهدأت نفسك وسكن بهرك فربما ساءلت نفسك لماذا اختص الله هذا البيت بالشرف والبركة وربط به قلوب المسلمين برباط المحبة والإجلال حتى أصبح الطواف به والاكتحال بمرآة أغلى أماني المسلمين ، ولماذا هذا الحب العارم تفيض به قلوب المسلمين فلا يستطيعون عنه سلوا ولا يزيده تكرار الزيارة إلا غراما واشتعالا وقد تحاول أن تجيب فتقول : ربما كان ذلك لأن الله أراده أن يكون رمزاً لوحدة المسلمين تجتمع حوله كلمتهم وتلتقي عنده قلوبهم ويأتمرون في رحابه في شئونهم ليكون من وحدتهم قوة وعزة ، وهيبة ورهبة وربما لأن الله أراد أن يوحي إليهم باختصاص البيت وإضافته إليه وغيرته عليه أنه ينبغي أن يكون لكل إنسان حمى عزيز يغار عليه ويدافع عنه ممثلا في وطن أو مال أو عرض ليتحاجز الناس وتستقر أمورهم وتنتظم حياتهم ، وربما كان ذلك لأن الله أراد أن يمتحن عبودية الناس في عبادته فكلفهم بمظاهر من العبادة لا تصل عقولهم إلى درك أسرارها واستكناه حكمتها ليكون الانقياد مظهر الخضوع والإخبات والرضا والتسليم وربما كان ذلك لأمر هو به أعلم ، وإن علينا إلا التسليم والقبول .

ولو قدر لك أن تشهد بالبيت انبلاج الفجر وانبلاق الصبح تعمر أضواؤه أركانه وتغشى آفاقه ، وأنت تجاه الكعبة مشدود النظر إليها لامتلأ قلبك روعة وجلالا وخلت أن الملائكة تنزل إليك تشاركك أفراحك ومباهجك وتحمل إلى السماء دعواتك وتمنياتك وقد يزهلك هذا الموقف عن نفسك حتى يردك إليها نداء المنادين ودعاء الداعين ، فتعلم كيف أنت وأين كنت

إن وراء كل منسك من مناسك الحج والعمرة قصة صادقة من قصص الصراع في سبيل العقيدة وسبيل الخير العام للبشرية تتمثل في سير الأنبياء وأنصارهم الذين شرفت لهم تلك البقاع فظلت مدى الدهر مهوى للأفئدة فالبيت والكعبة ومواطن

(البقية على ص ٤٠١)

أغرودة الذكرى
فى ليلة الإسراء والمعراج

للأستاذ محمود بكر هلال

نور من الله العلى سما به   وسرى فكان الروح ظل ركابه

أسرى به مولاه فى غسق الدجى   فشأى البدور وكن من أترابه

هبوا صباحاً يسألون عن السرى   يتهامسون : من الذى أسرى به ؟

قيل : الملائك والبراق وقدرة   جعلت وجود الكون من أسبابه

هى منحة رب السماء أفاضها   نال النبى بها جزيل رغابه

نور تجسد للرشاد وللهدى   ملأ الوجود الرحب من آدابه

والله سخر للنبى عوالماً   ما كان يغلبها سوى أحبابه

أخذوا البراق من البروق لأنه   برق سرى بين الورى وهضابه

فرأى النبى من الحياة عجائباً   حازت لديه منتهى إعجابه

ألفى فئات يحصدون زروعهم   فيعود غرساً ناضراً لشبابه

سأل الأمين : فقيل : قوم «جاهدوا»   فى الله أعطام جزيل ثوابه

وأتى على قوم تهشم هامهم   بالصخر يصليهم أليم عذابه

من هؤلاء ؟ فقيل قوم فرطوا   تركوا الصلاة فعمهم بعقابه

وهناك فى البيت المقدس أقبلت   زمر الهداة وعجت برحابه

تخذوا رسول الله مصباح الهدى   علماً يؤم الناس فى محرابه

لا غرو أن تسمو إلى هام العلا   تسرى كما يسرى السنا بسحابه

قد كنت إنساناً ولكن من هدى   وسناً وكان الوحى ظل ركابه

والمستحيل على الكفيف ميسر   فى دولة النصراء عند طلابه

حياك سكان السماء وهللوا   لبزوغ نجم شع بعد غيابه

وغدوت فى هذا العروج حقيقة   كونية فازت على أحبابه

خلصت من الدنيا ومن إظلامها   وسمت على عبث الورى وترابه

فأراك من آياته ما لم يكن ... ليجول في خلد الحصيف النابه
صور يسجلها الزمان حقيقة ... وتخطها الأقدار بين كتابه
أفهل تشك بأن رحمة أحمد ... لله رب العرش من أسبابه ؟ !!!
سبحانه وله الجلال إذا قضى ... أمراً يكون الأمر عند حسابه
عجباً لأبناء الحنيف ودينهم ... جعل الملوك الصيد من أعرابه ؟
والله ما ظلم الإله عباده ... لكن تناهى الظلم من أوشابه !!!
أغرتهم اللذات فانقادوا لما ... والغرب خادعهم بحلو سرابه
فتأخروا عن ركب دهر حامل ... وغدوا فرائس جهزت لذئابه !!!
مسرى الرسول عدت عليه عصبة ... تبغي على الأعراض في محرابه
والقدس مثوى الأنبياء ومهدهم ... أمسى يئن من اللظى وعذابه
حيران مضطرب الجوانح صارخاً ... من بغي صهيون ومن أوصابه
أرض السلام يغيب عن آفاقها ... نجم السلام ويختفي بسحابه ؟!!!
والشرق إن لم تتحد عزماته ... جعل الإله الذل في أعقابه
وتحكم الباغي الدخيل بأرضه ... ومشت جيوش الغرب فوق رقابه
يا أمة الإسلام أول دينكم ... نشر الهدى فرض على طلابه
لم لا تكونوا النور بعاث الهدى ... ونبيكم بعث الورى بكتابه ؟
نهل الرعاة من الحنيف فلكوا ... وغدا جفاة البيد من أقطابه
عفواً رسول الله إن جمحت بنا ... سفن الحديث ولم تقف ببابه
يا منقذ الدنيا إليك تحية ... من مسلم رؤياك كل رغابه
ذكراك عطر بيانه وعبيره ... وهداك سر الحسن في آدابه
لا زال دينك للبرية منهلا ... عذبا يريح القلب من أوصابه
ومنارة تهدي الحياة سبيلها ... وهدى يشع النور من محرابه
صلى عليك الله ما طلع الضحا ... أو غرد الشادي على شبابه

محمود محمد بكر هلال

محمد الفاضل بن عاشور

للأستاذ محمد الدسوقى

---

١ — فقد الفكر الإسلامى المعاصر بموت الشيخ محمد الفاضل بن عاشور عالما جليلا ، وفقيها مجتهداً ، وباحثا لغويا ضليعاً ، وأديبا متمكنا مطبوعا ، ومؤرخا دقيقاً ، ولا غرو فهو فرع من دوحة كانت منذ عدة قرون - وما تزال - مثابة العلم والعلماء فى تونس .

وقد عرفت الفقيد معرفة لقاء قبل وفاته بنحو عامين، وقدم إلى مساعدات علمية هامة ، كان من بينها أنه أرسل إلى على نفقته الخاصة مصوراً لكتاب لا يوجد إلا فى دار الكتب الوطنية التونسية .

واليوم يفرض واجب التلمذة والتقدير لعلمائنا المخلصين أن أكتب هذه الكلمة السريعة عن هذا العالم الفاضل تحية وفاء له ، واعترافا بفضله ، وتسجيلا لبعض حياته ، وأهم آرائه ، راجيا أن أوفق مستقبلا فى تقديم دراسة وافية عنه إن شاء الله .

٢ — نشأ الشيخ محمد الفاضل بن عاشور كما أومأت آنفاً فى بيت علم وأدب ، ويعد والده الطاهر بن عاشور - متعه الله بالصحة والعافية - من أبرز دعائم النهضة الحديثة فى المغرب العربى ، فقد جاهد الاحتلال

(بقية المنشور على صفحة ٣٩٨)

العمائر وآثار الأنبياء والصديقين والاتقياء بالحجيج على اختلاف ألوانهم وأجناسهم تجمعهم وحدة العقيدة والهدف، كل ذلك يترك فى نفس القاصد إليها انطباعات تتعمق فى النفس شيئاً فشيئاً فتجعله دائم الشوق والحنين إلى هذا البلد الأمين مصداقا لدعوة إبراهيم : « فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » .

ولقد نعمنا بهذه المشاهد وعشنا فى ظلالها . سعدنا بالبيت وطفنا بالكعبة وسعينا بين الصفا والمروة يحدونا الأمل فى القبول والرجاء فى القفول فتى العود والمثول ؟

أبو الوفا المراغى

الأجنبي ، وعمل على دفع الغزو الثقافي الذي كان يريد لبلاد المغرب أن تصبح قطعة من بلاد المستعمر ، فتنسى تاريخها وتتحدث بغير لغتها ، وتتخلى شيئاً فشيئاً عن عقيدتها وتراثها ، لقد قيض الله لهذا الجزء من الوطن الإسلامي - الذي تعرض لسياسة استعمارية حاقدة - رجالاً مخلصين كافحوا سياسة المستعمر الخبيثة ، وأنقذوا الثقافة الإسلامية وعروبة اللسان المغربي من كيد المحتل الغاصب ، وكان والد فقيدنا العالم في طليعة هؤلاء الرجال الذين حملوا الراية وتقدموا الصفوف في إيمان راسخ وجهاد دائب ، فحقق الله على أيديهم الخير الكثير .

في هذا البيت الذي رعى الفكر الإسلامي ولغة الكتاب العزيز وعرف الأبطال والمجاهدين والعلماء والأدباء ولد الفقيد الكريم في سنة ١٣٢٧ هـ وتلقى دروسه الأولى على يد والده حتى أجاد العربية وألم بعلوم الدين ، ثم أقبل على تعلم اللغة الفرنسية وبعد أن أتقنها أكمل دراسة العلوم الشرعية والعربية في جامع الزيتونة الأعظم ، وكان مثالا للجد والتحصيل والعكوف على الدراسة والتعلم ، فضلا عن الرعاية التي أسبغها عليه والده والتوجيه الذي كان يتعهده به ، فتخرج من هذه الجامعة العريقة ذات التاريخ المشهور في خدمة الإسلام وتراثه الفكري والحضاري وهو في نحو الحادية والعشرين من عمره .

٣ - وعين عقيب تخرجه مدرساً معاونا في جامع الزيتونة مما يدل على أنه كان قد وصل بعد إتمام دراسته في هذا الجامع إلى درجة من العلم أهلته لأن يتولى التدريس في الزيتونة وهو مازال في شرخ الشباب ، وكأنه بهذا يعيد إلى الأذهان ما كان من كثير من فقهائنا الأعلام الذين كانوا يجلسون مجلس الأستاذ وهم في سن العشرين أو بعدها بقليل ، ولبث مدرسا في الزيتونة وبخاصة في القسم العالي قرابة عشرين عاما ألقى فيها كثيراً من المحاضرات في التوحيد والتفسير والأدب واللغة .

وفي سنة ١٣٦٥ هـ انتخب رئيسا للجمعية الخلدونية ، وهي جمعية تهتم بالدراسات الإسلامية والأدبية في تونس ، ثم أنشأ معهد البحوث الإسلامية ، للتعريف بالعالم الإسلامي وقيمه الفكرية والحضارية ومشكلاته المعاصرة وما يجب على المسلمين أن يقوموا به لكي يعيدوا لهذا العالم

سابق مجده وعزته ، وقد ألقى فى هـذا المعهد أكثر من مائتى محاضرة ألقت الضوء على كثير من شئون المسلمين وقضاياهم فى الماضى والحاضر .

ولنشاطـه الجم وعلمه الغزير وآرائه الناضجة عين مفتيا للديار التونسية فى سنة ١٣٧٣ هـ ، وظل فى هذا المنصب إلى أن توفى يوم الثلاثاء ١٥ من صفر سنة ١٣٩٠ هـ .

وفضلا عن قيامه بالإفتاء كان أستاذا للتشريع بكلية الحقوق ، كما عين قاضيا للقضاء ، ورئيسا للمحكمة العليا الشرعية ، فرئيسا لمحكمة النقض والإبرام

٤ — وهو مع هذا شارك فى مجالات علمية مختلفة ، منها أنه تعاون مع مجموعة من الباحثين فى التعريف بمخطوطات الخزائن الزيتونية ، ولا ريب أن دوره فى هذا المجال كان دور الرائد الخبير ، فقد نشأ فى بيت يضم مكتبة ضخمة جل مافيها مخطوط ، وقضى أيام طلب العلم بين جدران هذه المكتبة وحمله شغفه بالبحث على التنقيب فيما حوته هذه المكتبة من كنوز علمية مخطوطة وغير مخطوطة ، ولذا كان وثيق الصلة بالتراث العربى الخطى منذ حياته العلمية الباكرة ، وكان يعرف عن هذا التراث ما لا يعرفه بعض المهتمين به والمتفرغين له .

ومنها أنه مثل تونس فى مؤتمرات المجامع العلمية مثـل مؤتمر المستشرقين بباريس سنة ١٣٦٨ هـ ، ومؤتمر الثقافة الإسلامية بتونس سنة ١٣٦٩هـ ، ومؤتمر العلوم التاريخية بباريس سنة ١٣٧٠ هـ ومؤتمر المحامين من العرب بدمشق سـنة ١٣٧٧هـ ومؤتمر الأدباء العرب بالكويت سنة ١٣٧٨ هـ .

ومنذ إنشاء مجمع البحوث الإسلامية فى سنة ١٣٨١هـ وهو عضو به ، كما اختير فى نفس السنة عضواً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة

وكان له فى كل المؤتمرات التى شارك فيها — وهى عـديدة ومتنوعة — دور إيجابى وأثر واضـح عن طريق أبحاثه المبتكرة ومناقشاته الممتعة وتعليقاته المفيدة

٥ — ومن أبحاثه المبتـكرة التى تبرز تعمقه فى الدراسات الفقهية ، ذلك البحث الذى ألقاه فى مؤتمر المجمع اللغوى فى الدورة الرابعة والثلاثين تحت عنوان « المصطلح الفقهى فى المذهب المالكى » ، وقد استهله

بالإشارة إلى أن المصطلحات التي تزخر بها كتب الحقوق والعلوم القانونية قد استمدت من المصطلح الفقهي المشترك المشاع بين المذاهب الفقهية وإن كان المذهب المالكي أقوى إمدادا وأوسع أثرا من غيره في هذا المجال .

ثم قدم بعد هذا في عبارة طلية تجنح إلى الإيجاز تطور نشأة المصطلح الفقهي في المذاهب كلها مع بيان مناط الفرق بين مذهب ومذهب ، وفصل القول بعض التفصيل في المذهب المالكي ، وما انفرد المصطلح فيه بخصائص جعلت فقهاء القانون يرجعون إليه ويغترفون منه أكثر من سواه .

وجاءت خاتمة البحث تأكيداً لتلك النظرية [١] التي تذهب إلى أن الفقه القانوني الأوربي متأثر بالفقه الإسلامي وإن تلك المصطلحات الفقهية الأوربية تمتد بجذورها الأصلية إلى هذا الفقه وبخاصة الفقه المالكي .

واتفقت كلمة المؤتمرين [٢] على أن هذا البحث عمل علمي فريد في بابه ، وأن صاحبه قد تعمق فيه إلى أبعد أغواره فأحسن غاية الإحسان .

٦ — وفي المؤتمر الأول لمجمع البحوث الإسلامية كانت قضية الاجتهاد من القضايا التي نالت قسطا كبيرا من اهتمام المجمع وأعضائه ، وكان لعالمنا الراحل مشاركة في هذه القضية ببحث عن الاجتهاد في ماضيه وحاضره بدأه بقوله : « جاء الدين الإسلامي يكشف للناس — في جلاء — حقيقة وجودهم فينبههم من الغفلة التي كثيرا ما استولت عليهم ، إذ توهموا وجود الإنسان مقصورا على مظهره المادي : يبتدىء بالميلاد وينتهي بالوفاة ، فدعاهم الدين إلى الإفاقة من تلك الغفلة ومعرفة وجودهم على وجهها الكامل ، بإدراك المبدأ والمعاد والإقلاع عن الأوهام والأباطيل التي حجبت تلك الحقيقة عنهم [١] .

ثم عرض — في إيجاز وافٍ — الاجتهاد في أدواره المختلفة منذ عهد الرسول ﷺ إلى يومنا الحاضر ، وتساءل بعد هذا : هل انقطع الاجتهاد ؟ أو استمر مطردا ؟

[١] انظر : التشريع الإسلامي وأثره في التشريع الأوربي ، للمرحوم الدكتور محمد يوسف موسى .

[٢] انظر : مجموعة البحوث والمحاضرات للدورة الرابعة والثلاثين ، ص ٩٣ .

[١] انظر : كتاب المؤتمر الأول لمجمع البحوث الإسلامية ، ص ٥١ .

فإذا كان قد انقطع ، فماذا نعنى بتجديده ، وإلام نهدف من ذلك ، وإن كان لم ينقطع فما الذى نشكوه من أمرنا اليوم ، وماهو السبيل إلى علاج مانشكو؟

وقد رأى أن انعزال الدين عن الحياة العملية واندفاع تيار الحياة العامة بالأمة الإسلامية فى مجرى الهوى الذى ماجاء الدين الا ليخرج بالمكلفين عن داعيته ، هو السبب فى تخلف الاجتهاد فى هذا العصر ، والطريق الأقوم للعودة بالاجتهاد إلى سابق مجده وقوته وازدهاره ، هو تبصير الباحثين بان الاجتهاد حركة عقلية فى أحكام الدين المشروعة لصالح الأمة وأن هذه الحركة ، لن تثمر ثمرتها المرجوة منها إلا باجتهاد جماعى منظم .

والواقع أن الإسلام يواجه اليوم موجة عارمة من الكيد السياسى والعلمى ، وأن على المسلمين أن يجاهدوا ويجتهدوا ليدفعوا عن دينهم وأنفسهم مايدبر لهم من المكر السيء ، وكان بحث الفقيد الجليل صرخة قوية تهيب بعلماء المسلمين أن يتلاقوا ويجتهدوا ليؤكدوا للبشرية قاطبة أن هذا الدين صالح قولا وعملا لكل زمان وكل مكان .

٧ — هذا طرف من آراء الشيخ الفاضل فى ميدان الدراسات الفقهية ، وأما آراؤه فى مجال الدرسات النحوية واللغوية فهى تتسم كذلك بطابع الاستقلال والعمق والأصالة والاجتهاد ، ومن ذلك مثلا أن كتب دراسة عن تحرير أفعل التفضيل من قياس نحوى فاسد ، وقد أثبت فى هذه الدراسة — ولا سبيل هنا لتفصيل ماعرض له — أن النحاة ضيقوا على أنفسهم وعلى لغتهم حين التزموا قياسا لأفعل التفضيل لا يطرد مع ما نطقت به العرب وأن علينا أن نتحرر مما التزموا ، ونتوسع فيما ضيقوا ، ولا يفرض علينا هذا التطور الحضارى بقدر ما يفرضه السماع اللغوى .

وهذه الدراسة النقدية الجادة قدمها الفقيد إلى مؤتمر المجمع اللغوى بالقاهرة فى دورته [1] الثلاثين وأثارت بين الأعضاء جدلا امتد إلى المجمع العلمى العراقى [2] بيد أنه الذى لا خلاف عليه أنها فتحت

---

[١] انظر مجموعة البحوث والمحاضرات فى دورة المجمع الثلاثين ، ص : ٥٧ .

[٢] انظر مجموعة البحوث والمحاضرات للمجمع العلمى العراقى ، مؤتمر الدورة الثانية والثلاثين ص ٩٣ .

آفاقا جديدة لتحرير النحو العربي من الشوائب التي شابته .

٨ — والفقيد فضلا عن دراساته التي قدمها في المؤتمرات العلمية أو أبحاثه التي نشرها في مختلف المجلات — وهي كلها كثيرة ومتنوعة — مؤلفات أدبية وعلمية وقومية ، منها الحركة الفكرية والأدبية بتونس ، والتفسير ورجاله[١] وهو كتاب على وجازته يعرض لنشأة التفسير وأهم أعلامه وخصائص كل مفسر مع الاهتمام بالشهاب الألوسي وتفسيره ، ودعوة الإصلاح الديني على يد جمال الدين الأفغاني والإمام محمد عبده ، وتفسير المنار .

وسيطرت مأساة فلسطين على وجدان الشيخ الفاضل فألف عنها كتابا دحض فيه مزاعم الصهيونية الحاقدة ، وكشف عن سياستها الخبيثة وأطماعها التوسعية ودعا في إخلاص إلى توحيد القوة لردع هذا العدو الذي يخطط ويعمل من أجل القضاء على الوجود العربي كله .

وقال في كلمته التي ألقاها في مؤتمر المجمع اللغوي الأخير : وإذا كانت صلات القربى إنما تقوى وتترسخ ومعاني الود إنما تزكو وتتأكد عندما تعظم الملمات وتستشرى الأزمات فإن أحق الأيام بأن تعرف فيه العربية أبناءها ويتعرفوا عليها ، وأن تتعطف إليهم ويتعاطفوا عليها ، لهذه الأيام المدلهمة التي جاء العدوان الحربي فيها بظاهر الغزو الثقافي وامتدت فيها إلى العربية أيد أثيمة : هذه تعبث في أوطانها وتلك تضيق على أنفاسها ، وأخرى تبث فيها الفتن الروحية والفكرية .

٩ — وبعد فإن الشيخ الفاضل ابن عاشور كان مفكرا جليلا واسع الثقافة ، أصيل المعرفة ، فهو فقيه مجتهد ، محترم عقله وأديب مطبوع يؤثر اللفظ الجزل والكلمة الرصينة ، ولغوي تدل آراؤه الحصيفة على أنه كان إماما في اللغة كما كان إماما في الفقه والأدب ، وكان فوق ذلك تقيا ورعا صالحا خشع لله بجوارحه وفكره وأخلص له في جهاده ، وعاش حياته كلها يدافع عن دين الله ولغة الكتاب العزيز والتراث الإسلامي العريق حتى لقي ربه راضيا مرضيا .

رحمه الله وجزاه كفاء ما قدم لدينه ولغته وأمته خير الجزاء ؟

محمد الدسوقي

---

[١] نشر هذا الكتاب مجمع البحوث الإسلامية في سلسلة بحوثه الشهرية .

على هامش المعراج

للأستاذ توفيق سمع

من الصعب أن يتناول كاتب مهما أوتي من العبقرية وحسن البيان — موضوع الإسراء والمعراج من جميع أبعاده وشتى نواحيه . ذلك لأن جوانبه متعددة ومتنوعة .. وكل جانب منها خليق أن يمنح الأرواح والضمائر طاقات هائلة لا حد لها متى أحسن تحليله — وأن يعطي الحياة قيما سخية فاضلة متى جاد العرض وحسن التطبيق ... أما السرد المسطح للأحداث دون تحليل ، ولا تطبيق — فهو ازدراء للعقول المثقفة ، واستخفاف بالعلم والمعرفة في عصر يؤمن بالتخصصات ، ويتطلع إلى كل جديد جذاب في عالم الفكر والأدب والفن والدين ...

وموضوع « الإسراء والمعراج » من الموضوعات الهامة ، ذات الإيحاءات ، التي تعكس على دنيانا المعتمة — أضواء توقظ الروح ، وتحرك الوجدان ، وتقود مسيرتنا إلى صراط العزيز الحميد — وإذا كانت معجزتا الإسراء والمعراج ذات طابع لا يتبدل ، وحوادث لا تتغير ، فإن الذهن المتألق ، والقلم الصناع ، يستطيعان أن يبرزاها في معرض جذاب ، ويطوراها بالعرض الجديد والتأمل الواعي ، وحسن التطبيق تطويرا يجد فيه الناس غذاء قلوبهم وأرواحهم وحاجات مجتمعاتهم وسأقتصر في هذه المقالة على تحليل لبعض الجوانب الفنية والاجتماعية التي تتضمنها حادثتا الإسراء والمعراج — راجيا أن تتحول هذه الإيحاءات إلى مفاهيم واضحة ، تصبح أساسا للسلوك الفردي والاجتماعي وبخاصة ما كان منها مرتبطاً بكفاح الأمة موصولا بحاضرها إن ذلك يمنح هذه الأحداث تأثيرا وحيوية لا تقفان عند حد ، ولا ترتبطان بالفكر المجرد .

وسوف أسوق القصة في إيجاز واع ،

ثم أتبعها بالتعليق ، والتحليل والاستنباط مؤثرا رواية أبي هريرة رضى الله عنه، لأنها أجمع الروايات فى هذا المضمار وقد رواها ابن جرير الطبرى ، وابن كثير الدمشقى وها هى ذى بتصرف بعد ذكر مسألة شق الصدر : - أتى رسول الله ﷺ فى مسيرته إلى بيت المقدس - على قوم يزرعون فى يوم ويحصدون فى يوم كلما حصدوا عاد كما كان فقال النبى ﷺ : ماهذا ياجبريل ؟ قال: هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف « وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه . وهو خير الرازقين » - ثم أتى على قوم ترضخ - أى تدق وتضرب - رءوسهم بالصخرة كلما رضخت عادت كما كانت لا يفتر أى لا يخفف - عنهم من ذلك شىء فقال ما هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين تتثاقل رءوسهم عن الصلاة المكتوبة - ثم أتى على قوم على أقبالهم رقاع - أى مقدمهم - وعلى أدبارهم - أى مؤخرهم رقاع - يسرحون كما تسرح الإبل والنعم ويأكلون الضريع[1] والزقوم ورضف[2] جهنم وحجارتها قال : فما هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم وماظلمهم الله تعالى شيئا وما الله بظلام للعبيد - ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج فى قدر ولحم آخر نىء قدر خبيث فجعلوا يأكلون من اللحم الخبيث ويدعون الطيب فقال : ماهؤلاء يا جبريل ؟ قال : هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيبة فيأتى امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح والمرأة تقوم من عند زوجها حلالا طيبا فتأتى رجلا خبيثا فتبيت معه حتى تصبح ثم أتى على خشبة على الطريق لا يمر بها ثوب إلا شقته ولا شىء إلا خرقته قال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا مثل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونها ثم تلا « ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا » ثم أتى على رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها فقال : ماهذا ياجبريل ؟ قال : هذا الرجل من أمتك يكون عليه أمانات الناس لا يقدر على أدائها وهو يريد أن يحمل عليها (أى أن يزيد الحمل ثقلا على ثقل) .

ثم أتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شىء

[1] الضريع والزقوم : أشجار لها شوك لا صقة بالأرض يابسة جافة سامة تكون طعاما للآثمين .
[2] رضف جهنم وحجارتها : حصاها يكون جرا

فقال : ما هذا يا جبريل ؟ فقال : هؤلاء خطباء الفتنة ، ثم أتى على حجر صغير يخرج منه ثور عظيم فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع فقال : ما هذا يا جبريل؟ فقال : هذا الرجل من أمتك يتكلم بالكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردها .

ثم ذكر أبو هريرة أن رسول الله قد سمع صوت الجنة وأنها مهيأة لاستقبال روادها الصالحين ، وصوت جهنم وأنها مهيأة لاستقبال روادها الفاجرين وأنه صلوات الله وسلامه عليه قد أتى بيت المقدس وربط فرسه إلى الصخرة ثم صلى مع الملائكة وأم الأنبياء ، وأنهم جميعا قد رحبوا بمقدمه ترحيبا حاراً بكلمات طيبة ، وأن الرسول الكريم نهض ليفكر لهم كريم حفاوتهم به فأثنى على ربه الذى أرسله رحمة للعالمين إلى خير أمة أخرجت للناس ، ثم ذكر أبو هريرة قصة الأوانى الثلاثة التى قدمت لرسول الله ، إناء فيه ماء فشرب منه وإناء فيه لبن فشرب حتى روى وإناء فيه خمر فعافه رسول الله ورده وأن جبريل قال له إن الخمر ستحرم على أمتك ، هذه هى الرواية التى ساقها أبو هريرة

ونظرة يسيرة إلى هذه الصور المتتابعة فى سرعة خاطفة تجعلنا كأننا أمام (فلم) ناطق بالحكمة نابض بالحياة تتوالى فيه مشاهد عجيبة ومناظر غريبة .

وكل منها يصور حقائق الحياة ، ودقائق المجتمعات ويعالج بالحكمة والموعظة الحسنة القائمة على الحجة والإقناع مشكلات ضخمة وجرائم فاشية هى سر ما تعانيه المجتمعات من هبوط وسقوط .

ومما يجدر ذكره ولا يجوز إغفاله بحال أن سلسلة هذه الجرائم المتلاحقة التى شاهدها رسول الله ليلة الإسراء تبرز جانبا من أهم الجوانب التربوية ، وهو الجانب التطبيقى وتهتم به إلى أبعد حد وهذا يمنحنا انطباعاً قويا بأن قضايا هذا الدين إنما تعتمد على التطبيق العملى قبل أن ترتكز على الدراسات النظرية ، لكى تصبح واقعا لحياة وسلوكا للأفراد والجماعات ، ومن ثم وصفت السيدة عائشة أخلاق رسول الله بقولها (كان خلقه القرآن) أى أن محمدا صلوات الله وسلامه عليه قد امتزج بالقرآن فأصبح ترجمة حية له ، وامتزج به القرآن فأصبح هذا القرآن تعبيرا عن أخلاق محمد العظيم — ومن هنا فإنه ينبغى أن تهتم التربية الحديثة بجانب التطبيق كما يجب على

المعلمين والوعاظ أن يسوقوا الأمثلة الحية حين يتحدثون إلى الناس والنماذج المؤثرة ووسائل الإيضاح التى تضفى على أحاديثهم لونا من الواقعية المحببة إلى الناس لا أن يجنحوا إلى السرد الممل والأحاديث النظرية

خذ مثلا جرائم القعود عن الجهاد وترك الصلاة وعبادة المال والتسول بالأعراض واغتيال الحقوق وانتهاك الحرمات واستباحة الربا وأكل مال اليتيم والإيقاع بالأبرياء وإثارة الفتن والمتاجرة فيها والفسوق عن أمر الله ، إنها تشكل فى مجموعها عوامل الخذلان وأسباب الهزيمة والانهيار للأمم التى تقاسمها وتتردى فى حمأتها الوبيلة .

وواقع التاريخ قديما وحديثا يقرر هذه الحقيقة ، فأقوام ممن كانت لهم حضارات مادية رائعة قد سقطوا لأنهم أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات وما أقوام نوح ولوط وهود وصالح وشعيب ببعيدة عن عن أذهاننا « فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » وفى التاريخ الحديث نعرف أن الألمان اجتاحوا فرنسا فى أربع وعشرين ساعة، لأنها كانت قد مهدت لذلك بالانحلال والفسوق والرذيلة وإذا صح لنا أن نستفيد من هذه التجربة، فهو أن نعهد النصر بتطوير مجتمعاتنا من كل رذيلة وفساد لتصبح على مستوى النصر العظيم، ولعل ذكر الصورة المشرقة لثواب المجاهدين فى إطار الصورة العامة يؤكد لهذه الأمة العربية المناضلة أن انتصارها على العدو إنما يكون فى أمرين: تطهير مجتمعاتها من كل فساد أولا ، ثم نهوضها بأعباء الجهاد ثانيا .

وما أجمل تصوير ثواب المجاهدين فى سبيل الله بمن يزرعون فى يوم ويحصدون فى يوم ، وكلما حصدوا عاد الثمر كما كان ، إنها لمحة حية تربطنا بواقعنا وتذكرنا بأسباب النصر وترغبنا فى الجهاد فى سبيل الله ، وكم يحاول عدونا أن يغذى الاتجاه الفاجر فى شبابنا ليمتص رحيق العافية من أبدانهم بما يشيعه من كتب الجنس وأفلام الفجور ليحقق أهدافه الخسيسة !! ثم ترد فى هذا العرض المتلاحق صور للقوى المضادة التى تقف بأفكارها الخبيثة وآرائها المنحرفة ضد اتجاه المجتمع ، كخطباء الفتنة ، وما أخطرهم فى كل زمان ومكان . . وكذلك الباخلون بأموالهم على

أوطانهم — كالتبرع للمجهود الحربي ، ولأوجه الخير المختلفة .. وكذلك القاعدون للهمز واللمز وإشاعة الحرب النفسية للإضرار بالمجتمع .. وفي ذكر إناء اللبن الذي تناوله رسول الله رمز حي لفطرة هذه الأمة العربية المسلمة . وهي فطرة نقية صافية كاللبن تأبى الانحراف، وتترفع على الآثام ، وتقوم على رسالة الخير ، وحراسة معاقل الوحي ، ومحاربة الفسوق والعصيان .. وبهذا تحتل هذه الأمة مكانها القيادي بين الأمم معلمة ورائدة «وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس» وإنما احتلت هذه المنزلة لأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله ، إنها أمة قد نضجت فيها عناصر الخير ولهذا رشحها القدر لهذا المنصب الجليل والله أعلم حيث يجعل رسالته وفي إمامة محمد ﷺ للأنبياء .. والتقائه بهم .. رمز لأخوة الأنبياء ، وتكامل الأديان السماوية ، وما دام محمد هو الإمام.. فقد ورث بهذه الإمامة تعاليم الأديان السماوية جمعاء يدعو إليها ويصدق بها ويهتف في أتباعه بقول الله: «لا نفرق بين أحد من رسله»

وتجد هذه الأديان في الإسلام والقرآن متنفسا طلقا لها وتلخيصا أمينا لمبادئها ، ويزيد عليها الإسلام ما يتناسب مع التفتح العقلي والوجداني الذي ارتقت إليه الإنسانية في آمادها الطوال .. ومعنى انتقال الوحي إلى محمد أن النبوة قد انتقلت من أمة إلى أمة ومن جنس إلى جنس بعد أن ظلت وقفا على بني إسرائيل . دهورا طويلة وفي صلاته ﷺ بالمسجد الأقصى رمز إلى احترام الأديان التي درجت في رحابه الأمين[1]

وفي ذكر الجنة والنار .. إنذار موجه من السماء إلى كل أمة لاهية عاتية تقارف الرذائل ، وترتكب الموبقات ، وتوضيح حي لطريقي الجنة والنار ، وفي حرص الرسول الكريم على تفهم الحقائق ، والاستفسار من المعاني بقوله : ما هذا يا جبريل ؟ يتجلى لنا لون من الأدب النبوي الذي لا يترفع على الفهم ، ولا يستنكف عن الاستفسار .. فيبدو لنا من خلال الحوار إنسانا كاملا يحترم الحقيقة ويبحث عنها في أدب جم وتواضع كريم .. وما أجدر العلماء والمفكرين أن يتحلوا بهذه السجية الكريمة فلا تأخذهم العزة بالإثم .. وكم نحن في حاجة إلى هذا الدرس النبوي حتى نفقه حقائق وجودنا ، وأهداف ديننا ودنيانا دون خجل أو حياء ودون ترفع أو استعلاء . ولعل المربين والمعلمين — يأخذون درسا تربويا مفيدا .. فيقهروا

[١] الشيخ محمد الغزالي في « فقه السيرة » .

مادة الدرس للتلاميذ مشوقة يتخللها الحوار، ويحدوها حب الحقيقة .. وفى هذه الرواية درس للبلاغيين والنقاد يتمثل وفى هذه الصور التمثيلية الرائعة .. التى جاءت مصورة للمعانى .. والتمثيل فن بلاغى رفيع .. ولست أدرى لماذا لا يتجه البلاغيون إلى هذه الصور الجذابة بالتحليل والعرض .. فهى مادة خصبة تثرى فن البلاغة وتمده بروائع الأمثلة .. إن كل صورة من الصور السابقة قد تضمنت تشبيه هيئة بهيئة فى وجه جامع بينها والوجه فى أغلبها عقلى .. وهو ما يهتم به السكاكى ويقصر التمثيل عليه ولا يكاد يقدم لنا من صوره إلا مثالا واحدا فليت قلمه قد تهدى إلى هذه الصور الحية فصورها لنا بأسلوبه .. إنه باب واسع أتركه للبلغاء ليستوعبوه .. ولنأخذ مثلا: تصوير من يجلسون على الطريق لإيذاء الناس بالخشبة المعترضة التى تمزق الثياب وتؤذى المارة .. وصورة من يترك زوجه الحلال ويأتى غيرها بصورة من يترك اللحم الطيب ويتناول المنتن الخبيث .. وصورة من يخرج الكلمة الخبيثة المجرمة .. ثم يندم عليها فلا يملك استرجاعها بثور يخرج من ثقب ويحاول الدخول منه فلا يستطيع .. وهكذا .. صور طريفة جذابة تبرز المعانى فى صور محسة واقعية تتجاوب مع الشعور وتتوافق مع الطبع، فى بساطة منزع، وإصابة هدف وجلال غاية .. وحسن إيحاء. فالخشبة المعترضة فى الطريق العام .. يجب لإراحة الناس من شرورها أن تزال بكل قوة، وكذلك الجالسون على قوارع الطرقات، ومثلهم المتسكعون فى الشوارع، يجب أن يحاربوا بكل قوة حتى لا تتفشى هذه الجرائم الاجتماعية ..

وهذه الصور بما تحمل من إثارة الخيال، وما يشابهها من العروج إلى السماء، ومحادثة الرسل، كانت مصدر إلهام لكثير من أدباء العربية .. حتى ليقال: إن رسالة الغفران للمعرى أساسها هذه المشاهد فى قصة الإسراء والمعراج، ولقد كان المعرى بخياله الخصب، مصدر إيحاء لأدباء الغرب من أمثال «دانتى» الشاعر الإيطالى فى قصة «الكوميديا الإلهية ـ أو جحيم دانتى ـ وكذلك لملتن الشاعر الانجليزى فى قصة (الفردوس المفقود)

(البقية على صفحة ٤١٩)

الجرح والتعديل في علم السنة

للأستاذ محمد نجيب المطيعي

يشترط المحدثون في ناقل الأخبار شرطان : العدالة والضبط ، فالعدالة تتعلق بدينه وخلقه بأن يسلم من أسباب الفسق وخوارم المروءة ، ومن ثم كانت شروط راوى الحديث تتفق وشروط الشهادة من وجوه وتختلف من وجوه فالإسلام والبلوغ والعقل والسلامة من أسباب المحرمات هي الصفات المشتركة ، وتفارق الشهادة من حيث أنه لايشترط في راوى الحديث الحرية التي تشترط في الشاهد ولا الذكورة ولا تعدد الراوى ومن هنا فقد نبغ من الموالى محدثون متقنون كانت تشد إليهم الرحال لتلقى الحديث عنهم مثل نافع مولى ابن عمر وعطاء بن أبي رباح القرشي مولاهم وعطاء بن أبي علقمة مولى الحرث بن نوفل وعطاء بن أبي سلمة مولى للمهلب بن أبي صفرة وعطاء بن يسار مولى ميمونة أم المؤمنين ومحمد بن سيرين وإخوته أبناء سيرين موالى أنس بن مالك والحسن البصرى مولى أم سلمة والربيع بنت النضر وعكرمة مولى ابن عباس وطاووس بن كيسان الجندى (بالتحريك) مولى همدان ويحيى ابن أبي كثير الطائى مولاهم وغير هؤلاء من الأئمة الأعلام .

أما الشرط الثانى ، وهو الضبط فهو إتقانه لما يرويه مع اليقظة وعدم الغفلة ، وجودة الحفظ أو ضبط الكتابة إن كان يروى من كتابه ، يفقه ما ينبنى على ما يرويه من أحكام حتى يستطيع أن يؤدى ذلك مع علمه بما يحيل المعنى عن المراد ، فلا يبعد عن فحوى النص إذا نسيه وروى بالمعنى .

وقد شغل هذان الشرطان الفارهان رجال النقد وأصحاب الدواوين لاسيما تطبيق العدالة على الرواة ، فنهم من بالغ فيها حتى جعل أى عمل أو رأى أو مقالة لا تروقه فى الراوى بدعة ، ثم بنى على الحكم بالبدعة القدح فى العدالة حتى جاء الإمام العظيم أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخارى الجعفى مولاهم صاحب الصحيح فدرأ كثيراً من الشبه حول كثير من رواة الحديث ، وقبل رواية كثير من الشيعة والمتكلمين ، فخرج عن كل عالم صدوق ثبت من أى فرقة كان حتى

ولو كان داعية كعمران بن حطان وداود الحصين ثم تبعه مسلم بن الحجاج القشيرى فلأ صحيحه بالرواية عمن رموا بالتشيع ، حتى صار مجرد تخريج أى من الشيخين لراو شهادة له بالعدالة والضبط والتوثيق ، ولا يلتفت بعد ذلك إلى ما قيل فيه .

قال الحافظ بن حجر فى هدى السارى : ينبغى لكل منصف أن يعلم أن تخريج صاحب الصحيح لأى راو كان مقتض لعدالته عنده ، وصحة ضبطه وعدم غفلته ، ولا سيما ما انضاف إلى ذلك من إطباق جمهور الأمة على تسمية الكتابين بالصحيحين ، وهذا معنى لم يحصل لغير من خرج عنه فى الصحيح ، فهو بمثابة إطباق الجمهور على تعديل من ذكر فيهما ، هذا إذا خرج له فى الأصول ، فأما إن خرج فى المتابعات والشواهد والتعاليق فهذا تتفاوت درجات من أخرج له منهم فى الضبط وغيره مع حصول اسم الصدق لهم ، وحينئذ إذا وجدنا لغيره فى أحد منهم طعنا ، فذلك الطعن مقابل لتعديل هذا الإمام فلا يقبل إلا مبين السبب مفسراً بقادح يقدح فى عدالة هذا الراوى وفى ضبطه مطلقاً ، أو فى ضبطه لخبر بعينه ، لأن الأسباب الحاملة للأئمة على الجرح متفاوتة منها ما يقدح ومنها ما لا يقدح .

وقد كان الشيخ أبو الحسن المقدسى يقول فى الرجل الذى يخرج عنه فى الصحيح : هذا جاز القنطرة ـ يعنى بذلك أنه لا يلتفت إلى ما قيل فيه . وقال الشيخ أبو الفتح القشيرى فى مختصره : وهكذا نعتقد وبه نقول ، ولا نخرج عنه إلا بحجة ظاهرة وبيان شاف يزيد فى غلبة الظن على المعنى الذى قدمناه من اتفاق الناس بعد الشيخين على تسمية كتابيهما بالصحيحين ، ومن لوازم ذلك تعديل رواتهما قلت : فلا يقبل الطعن فى واحد منهم إلا بقادح واضح ، لأن أسباب الجرح مختلفة ، ومدارها على خمسة أشياء :

١ — البدعة . ٢ — المخالفة .

٣ — الغلط . ٤ — جهالة الحال .

٥ — دعوى الانقطاع فى السند بأن يدعى فى الراوى أنه كان يدلس أو يرسل .

وقال الإمام الترمذى : قد تكلم بعض أهل الحديث فى قوم من أجلة أهل العلم وضعفوهم من قبل حفظهم ووثقهم آخرون من الأئمة لجلالتهم وصدقهم ، وإن كانوا قد وهموا فى بعض ما رووا ، وقد تكلم

يحيى بن سعيد القطان في محمد بن عمرو ثم روى عنه ، وكان ابن أبي ليلى يروى الشيء مرة هكذا، ومرة هكذا بغير إسناد، وإنما جاء هذا من قبل حفظه ، لأن أكثر من مضى من أهل العلم كانوا لا يكتبون ومن كتب منهم إنما كان يكتب لهم بعد السماع .

وقال صاحب الروض الباسم : تجد كثيرا من أئمة الجرح والتعديل يترددون في الراوي فيوثقونه مرة ويضعفونه أخرى، ذلك لأن دخول وهمه في حيز الكثرة مما لا يوزن بميزان معلوم وإنما يظن ويرجع فيه إلى التحري والاجتهاد ، فصار النظر فيه كنظر الفقهاء في الحوادث الظنية ، فلهذا يكون لابن معين في الراوي قولان التوثيق والتضعيف ونحو ذلك ، والاحتراز عن الوهم غير ممكن ، والعصمة مرتفعة عن العدول ، بل العصمة لا تمنع من الوهم في التبليغ

ولنتكلم عما أجلنا من أسباب الجرح الخمسة :

١ — فالبدعة إما أن يكون صاحبها من جهة النظر خارجا عن الملة بسبب ما أحدث فهو قد فارق أهل الإسلام بإطلاق ، وليس ذلك إلا الكفر، ويوضحه، قوله تعالى في قراءة حمزة والكسائي من سورة الأنعام : « إن الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء » قال الإمام الشاطبي في الاعتصام : « ولقد فصل بعض المتأخرين في التكفير تفصيلا في هذه الفرق فقال : ما كان من البدع راجعا إلى اعتقاد وجود إله مع الله كقول السبئية في علي عليه السلام أو كقول الجناحية : أن الله تعالى له روح يحل في بعض بني آدم ويتوارث ، أو إنكار رسالة محمد ﷺ كقول الغرابية : أن جبريل غلط في الرسالة فأداها إلى محمد ﷺ وعلي كان صاحبها ، أو استباحة المحرمات وإسقاط الواجبات وإنكار ما جاء به الرسول ﷺ » انتهى ملخصا »[1] قلت : وإما أن تكون البدعة من النوع التي يحكم بفسق صاحبها كبدع الخوارج والروافض الذين لا يغلون وغير هؤلاء من طوائف المخالفين لأصول السنة خلافا ظاهرا ، لكنه مستند إلى تأويل ظاهره سائغ ، فقد اتفق العلماء على رد رواية الفئة الأولى من أهل البدع واختلفوا في الفئة الثانية ، فإذا جاء حديث في إسناده

[١] الاعتصام ج ٣ ص ٤٨ ، ٤٩

من هذا سبيله إذا كان معروفا بالتحرز من الكذب، مشهورا بالسلامة من خوارم المروءة موصوفا بالديانة والعبادة، فقد ذهب فريق من أصحابنا إلى قبول روايته مطلقا، وفريق إلى ردها مطلقا وفريق ثالث إلى التفصيل، فإذا كان داعية لبدعته فإنه لا يقبل وإلا فيقبل، وهذا المذهب هو الأعدل في قول جمهور المحدثين كما أفاد ذلك الحافظ بن حجر، وصارت إليه طوائف من الأئمة، وادعى ابن حبان إجماع أهل النقل عليه، لكن في دعوى ذلك نظر، ثم اختلف القائلون بهذا التفصيل، فبعضهم أطلق ذلك وبعضهم زاده تفصيلا فقال: إن اشتملت رواية غير الداعية على ما يفيد بدعته ويزينها ويحسنها ظاهرا فلا يقبل، وإن لم تشتمل فتقبل، وطرد بعضهم هذا التفصيل بعينه في عكسه في حق الداعية فقال: إن اشتملت روايته على ما يرد بدعته قبل وإلا فلا، وعلى هذا إذا اشتملت رواية المبتدع سواء كان داعية أم لم يكن على مالا تعلق له ببدعته أصلا هل ترد مطلقا؟ أو تقبل مطلقا؟ مال أبو الفتح القشيري إلى تفصيل آخر فيه فقال: إن وافقه غيره فلا يلتفت إليه هو إخمادا لبدعته وإطفاء لناره، وإن لم يوافقه أحد ولم يوجد ذلك الحديث إلا عنده، مع ما وصفنا من صدقه وتحرزه من الكذب واشتهاره بالدين وعدم تعلق ذلك الحديث ببدعته، فينبغي أن تقدم مصلحة تحصيل ذلك الحديث ونشر تلك السنة على مصلحة إهانته وإطفاء بدعته.

٢ — أما المخالفة وهي التي ينشأ عنها الشذوذ والنكارة، فإذا روى الضابط أو الثقة رواية فروى من هو أوثق منه أو أحفظ منه أو أكثر عددا منه بخلاف ما روى ولم يمكن الجمع فهذا يكون شاذا إذا خالف الثقة من هو أوثق منه، فإذا اشتدت المخالفة مع قلة الحفظ مع قوة حفظ المخالف كان منكرا قال السيوطي في ألفيته:

وذو الشذوذ ما روى المقبول
مخالفا أرجح والمجهول
(أرجح محفوظ) وقيل: ما انفرد
لو لم يخالف قيل: أو ضبطا فقد
المنكر الذي روى غير الثقة
مخالفا في نخبة قد حققه
قابله المعروف والذي رأى
ترادف المنكر والشاذ نأى

٣ — وأما السبب الثالث من أسباب الجرح وهو الغلط فإنه إذا استفاض عن

الراوى ولم يتابع توقفنا فى قبول روايته والتابعة مثل حديث خالد بن عبد الله حدثنا خالد عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ دخل على رجل يعوده الحديث .. من صحيح البخارى فيرويه أيضا البخارى من طريق عبد العزيز بن مختار عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس : الحديث فكل من عبد العزيز وخالد بن عبد الله فى روايتهما عن خالد تسمى متابعة تامة ، وكذلك إذا روى ثقة آخر هذا الحديث عن خالد عن عكرمة يسمى متابعة تامة

فإذا روى شخص آخر هذا الحديث غير خالد عن عكرمة سميت متابعة قاصرة وهذا المنهج الذى اتبعناه فى معرفة المتابعات أو الشواهد أو العلل يسمى الاعتبار، فالاعتبار هو الهيئة للوصلة إلى ذلك ، أما الشواهد فهى أن يأتى الحديث من طريق ويأتى حديث آخر بمعناه يعضده ويقويه ، فهذا هو الشاهد . وقد يسمى الشاهد اعتبارا تجوزا كما فى نخبة الفكر .

٤ — جهالة الحال وهى علة قادحة فى الحديث مجرحة لراويه إذ من شرط الصحة العدالة والضبط ولا يحصل هذان الشرطان إلا إذا اتصف الراوى بهما فإذا عرف بهما فقد انتفت الجهالة . فإذا روى صاحب الصحيح عن رجل وسماه وكان من شرط صاحب الصحيح ألا يروى عن المجاهيل كالبخارى ومسلم بن الحجاج لا تقبل دعوى القدح بالجهالة فيمن رويا عنه إذ أن زعم الجهالة منازعة لصاحب الصحيح فى دعواه أن الراوى معروف ، وكما أوضحنا فى غير موضع من المجموع شرح المهذب[1] أن المدعى للمعرفة مقدم على من يدعى عدم المعرفة طبقا لقاعدة المثبت حجة على النافى ، لما مع المثبت من زيادة العلم ، ومن ثم كان التعديل فى الجهالة مقدما على التجريح بها ، والجهالة أشد درجات الجرح إذ لا تعد لها درجة فى الذم ، فمن جرح بالكذب فقد عرف حاله فهو من جهة انتفاء الجهالة عنه أفضل لا سيما إذا كان المجهول مجهول العين ومجهول الحال .

٥ — أما السبب الخامس والأخير من أسباب الجرح وهو دعوى الانقطاع فى السند

---

[١] المجموع بتكملتنا حيث بدأه الإمام النووى وأعقبه الإمام السبكى حتى أتممناه فصدر الجزء السابع عشر وبقى جزآن تحت الطبع حيث أحدث الناشر فيه حدثا كان محل نقد الباحثين والعلماء — راجع مجلة منبر الإسلام عدد جمادى الأولى سنة ١٣٩٠ والاعتصام عدد ربيع الآخر .

بأن يدعى فى الراوى أنه كان يدلس أو يرسل فإن وجد التصريح بالسماع فيها اندفع الاعتراض خصوصا إذا خلا الراوى من الأسباب الأربعة التى أثبتناها آنفا .

وقد أوضح مسلم بن الحجاج فى جامعه الصحيح أنه يروى عمن قل ضبطهم متابعات أو شواهد للروايات الأصلية على سبيل الاستيعاب ، فيذكر أسماء الطبقة الأولى من العدول الضابطين أو الحفاظ المتقنين كمنصور ابن المعتمر والأعمش وإسماعيل بن أبى خالد ويونس بن يزيد وعقيل بن خالد الأيلى ومالك ابن أنس وسفيان بن عيينة ، وشعيب بن أبى حمزة والأوزاعى والليث وغيرهم فيقول : فإذا نحن تقصينا أخبار هذا الصنف من الناس أتبعناها أخبارا يقع فى أسانيدها بعض من ليس بالموصوف بالحفظ والإتقان كالصنف المقدم قبلهم على أنهم وإن كانوا فيما وصفنا دونهم فإن اسم الستر والصدق وتعاطى العلم يشملهم كعطاء بن السائب ويزيد بن أبى زياد وليث بن أبى سليم وأضرابهم من حمال الآثار ونقال الأخبار ، فهم وإن كانوا بما وصفنا من العلم والستر عند أهل العلم معروفين فغيرهم من أقرانهم ممن عندهم ما ذكرنا من الإتقان والاستقامة فى الرواية يفضلونهم فى الحال والمرتبة ، لأن هذا عند أهل العلم درجة رفيعة وخصلة سنية . ألا ترى أنك إذا وازنت هؤلاء الثلاثة الذين سميناهم عطاء ويزيد وليثا بمنصور بن المعتمر وسليمان الأعمش وإسماعيل بن أبى خالد فى إتقان الحديث والاستقامة فيهم وجدتهم مباينين لهم لا يدانونهم ، لا شك عند أهل العلم بالحديث فى ذلك للذى استفاض عندهم من صحة حفظ منصور والأعمش وإسماعيل وإتقانهم لحديثهم اهـ ، وقد يأتى الإسناد وفيه الثقة العدل الحافظ فيقدم عليه غيره ممن لا يقل عنه حفظا إلا أنه أكثر ملازمة لمن روى عنه ، وأدعى إلى أن يكون موضع علمه ومستقر محفوظاته فثلا يأتى الإسناد عن الزهرى (طارق بن شهاب) فإذا عرفت أن أصحاب الزهرى على خمس طبقات لكل طبقة منها مزية على التى تليها من القرب والبعد وطول الملازمة وندرتها إلى جودة الإتقان والحفظ أو سوئهما عرفت كيف نقيم حكمنا على روايات الزهرى رضى الله عنه ، فالطبقة الأولى : مثل مالك ابن أنس ويونس بن يزيد وعقيل بن خالد الأيليين وسفيان بن عيينة وشعيب ابن أبى حمزة .

والثانية : مثل الليث بن سعد والأوزاعى وعبدالرحمن بن خالد بن مسافر وابن أبى ذئب .

والثالثة : مثل جعفر بن برقان وسفيان ابن حسين وإسحق الكلبى .

والرابعة : مثل زمعة بن صالح ومعاوية ابن يحيى الصدفى والمثنى بن الصباح .

والخامسة : مثل عبدالقدوس بن حبيب والحكم بن عبد الله الأيلى ومحمد بن سعيد الشامى المصلوب :

فالطبقة الأولى طبقة استيعاب البخارى وشرطه ، والطبقة الثانية فيها شرطه ولكن يوردها البخارى تابعة للطبقة الأولى ، ومسلم يروى من الطبقتين على سبيل الاستيعاب، ويخرج الطبقة الثالثة على النحو الذى يفعله البخارى ، والرابعة لا يروى عنها الشيخان شيئا ، أما الخامسة فأبعد ما يكونان عن التفكير فى ذكرها لا فى للتوول للعلة ولا فى الشواهد ولا المتابعات ألبتة .

« يتبع »

محمد نجيب المطيعى

(بقية المنشور على صفحة ٤١٢)

تتكرر هذه القصة بهذا الاعتبار ذات أثر عميق فى أدب الشرق والغرب . .

وبعد . .

فهذه بعض الانطباعات التى تتركها قصة الإسراء والمعراج فى النفس — بعضها يعرض الجرائم الاجتماعية فى صور منفرة ، ويبين آثارها السيئة فى المجتمعات المنحرفة ، وبعضها يرسم صورا أخاذة للخير الذى يقود المجتمع إلى المجد والرفعة وبعضها يرسم مناهج صالحة للتربية فى أهدافها وأساليبها ، وبعضها يصور مكانة الأمة العربية المسلمة ، ومكانة رسولها العظيم ، ويجعل مركزها القيادى فى العالم مرتبطا بأداء رسالتها . . رسالة الحق والخير والسلام ، لتظل دائما أمل العالم ، وقبلة رجائه ، فى سلام يقوم على العدل ، وحضارة تقوم على النقاء والطهر، ومستقبل مشرق باهر للعالم أجمع ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.. والله ولى التوفيق؟

توفيق محمد سبع

من كفاح الأزهر

محمود أبو العيون *

للدكتور محمد رجب البيومي

— ١ —

تمر مواسم الذكرى لرحيل الناجحين من العلماء والمخلصين من رجال الدين دون أن تجد لها صدى فيما تقرأ من الصحف وما تسمع من الإذاعات ، فإذا سألت من ذلك قيل لك إن هؤلاء الراحلين من الأعلام نفر من الخاصة لا يعنى الجمهور العام أن يتتبع آراءهم العلمية ومؤلفاتهم المنهجية وإنما يرجع واجب التاريخ لجهودهم إلى تلاميذهم فيما يصدرون من كتب وبحوث وهو رد متكلف واهن لا يحتمل الرد ، وإذا سلمت به جدلا فقط فلك أن تسأل هؤلاء عن مصلح كبير مثل الأستاذ محمود أبو العيون يعرف العامة قبل الخاصة جهاده الحافل في شتى ميادين السياسة والاجتماع والأدب والخلق، إذ كان من معارك الإصلاح مارن صداه في كل أذن ، وسطر من روائع المقالات الاجتماعيـة والأدبية والدينية في مدى أربعين عاما من حياته ماجعل اسمه يتلألأ في كل أفق باهـر الضياء ، جذاب الالتماع ، بحيث لو اهتم ناشر بجمع ما كتب في الأهرام فقط من المقالات المتتابعة في كل مجال لوجد من آثار الرجل في صحيفة الأهرام وحدها ما يملأ بضعة مجلدات ، ولو كان الرجل ممن يهتمون بالخلود الأدبي لفكر في جمع هذه الآثار في كتب خاصة كما فعل زملاء له من الكاتبين ، ولوجد من الناشرين من يرحب بإخراج هذه الآثار في مظهر ممتاز يليق بمكانة عالم جهير ومصلح كبير ولكن الرجل نسى نفسه فكاد أن ينساه الناس في زمن لا يقدر المخلصين من ذوى الحمية الثائرة تقديره لذوى الطبول

[*] وعدت القراء في عدد ماض أن أتحدث عن جهاد أبي العيون ، ولعلى فعلت الآن .

الهاتفة ممن يصطنعون صغار الكاتبين من رجال الصحافة ليوالوا الحديث عنهم في مناسبة وغير مناسبة ! ومما يحز في النفس أن الرأى الأدبي العام مع انتشار التعليم وازدهار الجامعات لا يكاد يفرق بين الأصيل والدخيل ، ولعل في إنصاف السماء لهؤلاء العاملين في ملئهم الأعلى ما يهون إجحاف الأرض حين يتناسى الخلف مآثر السلف عن جحود وإهمال .

لقد قاد الأستاذ أبو العيون معارك كثيرة تكللت بنصره ، وأبرزت عن معدنه الثمين حين احترق بنار الكيد والوقيعة والدس ولن يستطيع مقال أو مقالان أن يلم بأنباء هذه المعارك الرائعة ، لذلك نجتزىء بالإشارة إلى معاركه الظافرة مع البغاء الرسمي والاختلاط الجنسي في الشواطىء وإهمال التعليم الديني في المدارس الحكومية فوق قيادته السياسية لشباب الأزهر في ثورة ١٩١٩ ، وهي معارك فاصلة ذهب الرجل العظيم بفخرها الخالد . إذ رسم صورة صاحب الفضيلة النموذجي بين الناس حين دعا إلى الخلق الحي والإصلاح النقي والحق والصريح .

إن مما يذكر للكاتب الكبير الأستاذ محمود تيمور بالخير والتقدير أنه كتب فصلاً تحليلياً رائعاً من أبي العيون في كتابه « ملامح وغضون » فجلا شخصيته الرائعة أبدع جلاء واستطاعت ريشة الفنان المصور لدى القصاص الكبير أن تبرز صورة الرجل الخالد في ملامحه القوية وقسماته الباهرة إبرازاً دل على مهارة واقتدار ، فكان تيمور وحده[1] الأديب الكبير الذي التفت إلى تقدير مصلح عامل غمط حقه بين معاصريه ، وقد ذكر الأستاذ تيمور أن السبب في محاربته البغاء أنه قرأ في بعض الصحف بعد هدوء ثورة سنة ١٩١٩ عن قس أوربي قام بمناهضة البغاء في دولته فانتفض الشيخ انتفاضة صارخة إذ هاله أن يسبقه قس إلى محاربة منكر لا يعترف به دين ! وجمع عزيمته للقيام بدور القس الأوربي ، وأعتقد أن مثل أبي العيون لم يكن في حاجة إلى أن ينبهه قس أوربي إلى واجب ديني يؤمن به عن يقين .

فقد كان الشيخ منذ نشأته ينكر لائحة سنة ١٨٩٦ التي أباحت البغاء في عهد كرومر ، ويراها سبة شنعاء ، وفضيحة

[١] أما الأستاذ المنصف أنور الجندي فقد خصه ببحث تحليلي في كتابه [أعلام وأصحاب أقلام] أود أن يرجع إليه القراء .

يندى لها الجبين ، ثم اشتعلت ثورته الغاضبة فتركته كالبركان الملتهب حين قرأ بعض ما ذكرته اللجنة الدولية التابعة لعصبة الأمم فى تقريرها الخاص بتجارة الرقيق ، وقد جاء فيه « وقد أصبحت مصر ميدانا محبوبا ومركزا هاما من المراكز الدولية التى يفد إليها جباة البغايا يجلبونهن من سائر الأقطار ، ويمكثن فى مصر ريثما يؤهلن ثم تبقى بها من تمارس البغاء إذا رضيت بالإقامة فى مصر ، فإذا زاد العدد ذهبت البقية إلى مختلف الجهات »

ولا أدل على تصوير نفسية أبى العيون من قوله تعقيباً على ذلك « استر وجهك يا صاح فحسبك من شر سماعه فلعمرى لا يسمع ذلك القول كريم إلا استغشى ثوبه ، وغطى وجهه ، وتمنى أن لو انفرجت الأرض تحت قدميه فابتلعته أو مادت به فأهلكته ، وارحمتاه ، لقد فقدنا كثيراً من معانى الحياة أحوج ما تكون إليها فى مركزنا المضطرب والتى لا غنى لأمة ناهضة عنها ، فقدنا استقلالنا السياسى أو هو على الأكثر فى الميزان ، فقدنا استقلالنا الاقتصادى ، فقدنا استقلالنا الخلقى ، وحتى الشرف فى المزاد !! فماذا بقى لنا ؟!

لقد رأى أبو العيون أن محاربة البغاء جهاد لا يقل عن جهاده الثورى حين تعرض إلى الرصاص فى مظاهرات الحرية ، فشمر العزم لاستئصاله ، وبدأ الحملة بنشر مقال بجريدة الأهرام تابعها بجولات يقظة فى أحياء البغاء بالعاصمة ، فعرف الأماكن الموبوءة وأحصى ضحاياها وعملاءها ، وأصحاب المنفعة فى إدارتها ، واستكتب الأطباء ليتحدثوا عن مآسى البغاء وأمراضه ، والاجتماعيين ليعالجوا الوضع بعد الإلغاء ، ثم أصدر كتابه « مذابح الأعراض » حافلا بما يسىء ويخجل من فضائح البغاء مشفوعا بالإحصائيات الدقيقة والأرقام الكاشفة ، ولعل من الاعتراف بالحق لأهله أن نذكر أن الأستاذ داود بركات رئيس تحرير جريدة الأهرام قد أيد الأستاذ أبا العيون تأييداً منقطع النظير ، ففتح له أبواب الجريدة الدائمة ليقول كل يوم ما يشاء ، إذ أن داود بركات كان ممن شغلوا أنفسهم كثيراً بمحاربة هذا الداء قبل صيحة أبى العيون وقد ترجم فى سنة ١٩١٢ كتابا خاصا بذلك نقله عن طبيب انجليزى كبير ، ثم أمدهم بتأييد الشيخ بمقالات واعية ذات حجج

عقلية لا يتطرق إليها التوهين ، كما صدر كتاب الشيخ (صفحة ذهبية) بمقدمة رنانة تهدم دعاوى الخصوم وتعصف بها كالهباء ! وكان الأستاذ أبو العيون يتصور فى بادىء الأمر أن دعوته لن تجد معارضا من الناس ، فهى دعوة الحق والإنسانية والكرامة ، ولكنه فوجىء بأكثر الجرائد اليومية والمجلات الأسبوعية تشن عليه حملة ظالمة تتهمه بالادعاء والنفاق وحب الظهور بل توقحت بعض المجلات الساقطة فرسمت لأبى العيون صوراً كاريكاتورية مع بعض البغايا فى مواقف خليعة دون أن يعصمها خلق أو حياء ، ولو كان معارضو أبى العيون من الأغرار الأدعياء لهان الأمر ، ولكنهم أعلام الأدب والصحافة فى دنيا الناس ، فجريدة السياسة توالى حملاتها الظالمة على الرجل فتقول فيما قالت : « الشيخ أبو العيون يعرف قبل غيره أن ضجته الكبيرة غير نزيهة وأن ليس من حكومة رشيدة تأخذ بما يدعو إليه من رفع الرقابة الصحية عن فئة تعسة من الناس رمى بها الشقاء إلى بؤرة البغاء ، وهو يعلم أنه لا يقصد إلا الدعاية لنفسه والإعلان عنها ، أما الغيرة على الدين والبكاء على الفضيلة ، فكلمات جوفاء لم يقصد بها الشيخ لأكثر من خداع الجمهور وجره وراءه مصفقاً ، أما الدعوة إلى إلغاء البغاء الرسمى مع انتشار البغاء غير الرسمى ، فلا معنى لها إن مهمته أن يقول إن البغاء حرام وقد قالها أما أن يلبس ثوب الطبيب فتطفل من الشيخ غير معقول ، وأن ما بنى فى أجيال لا يمكن هدمه فى يوم ، وليس أبو العيون بمن يستطيع أن يجد العلاج ، فهو أصغر من ذلك جداً ومن الإجرام أن يتخذ الرجل اسم الدين لإثارة موضوع خطير !! »

والعقاد العظيم يندفع لمهاجمة الرجل أيضاً فى (البلاغ) ومجلة روز اليوسف تتحدث بأسلوب ساقط مختل ، وسلامه موسى يهاجم الإلغاء بتمحلات زائفة ! وكل ماقيل يدور فى فلك جريدة السياسة ويحط فى عباراتها إذ هى صاحبة المعول الكبير ولم يسكت أبو العيون عن مناوئيه فجادلهم بالتى هى أحسن إذ أخذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين ، وقال لمن يزعمون أنه افتأت على حقوق الأطباء والمشرعين فى موضوع هم أولى الناس بالحديث عنه ، إنه رجع فى مقالاته إلى

آراء الأطباء الموثوق بهم ، والإداريين والمتشرعين ، فلم ينفرد فى ذلك برأى ، ثم أن المسألة تتصل بالدين فما يجوز للأستاذ فكرى أباظه - مثلا - أن يقول إن إلغاء البغاء جريمة وأن يدفع دفعاً فرعيا قانونيا بعدم اختصاص أبى العيون ، لأنه عالم دين ومن صميم عمله أن يحارب ما نهى الله عنه ، وأن النظر إلى الأمر الواقع باعتباره مسألة لا غنى عنها مسألة تمنع كل إصلاح وتعيد قول الذين قال عنهم القرآن الكريم : « إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون » .

ثم واجه هؤلاء جميعاً بصيحته الرائعة التى يفتتح بها كتابه (صفحة ذهبية) وقد صدر فى المعارك الطاحنة سنة ١٩٢٨ فقال عن نفسه : « يمينا لا تقبض تلك اليد بعد أن بسطناها ولو صافحتها السيوف البواتر ، لقد اعتزمنا أن ندافع عن أعراض هذه الأمة المسكينة وأن نذود عن عفافها ذياداً حقا مستهدفين فى ذلك لكل خطر حتى جدع الأنف ودق العنق ، لقد صرخنا فى صحيفة الأهرام صرخة مدوية لباها أهل الحق فنهدوا إلى قلب الباطل نهدة صادقة كان لها الأثر الظاهر إذ تسابقت مجالس المديريات فى هدم دور الدعارة ، وإلغاء مواخير الفسق ، ولولا أن وقفت إدارة الأمن العام حجر عثرة فى طريق الحق لما بقى لتلك البؤر عين ولا أثر ، وسيسمع ذلك الصوت الصارخ رجال مصر فى برلمانها وسيكون الفصل فى المسألة على أيديهم .

فإما إلى صداحة تطرب الورى
وإما إلى نواحة فى المآتم

وإذا كان معارضو الشيخ من زعماء الفكر فى الوطن ، ولهم أقلامهم القوية ، وصحفهم اليومية الدائمة ، فقد كان الشيخ كفيلا بصد تيارهم الزاحف ، إذ استنهض أنصار الفضيلة من أمراء ووزراء وعلماء ليقفوا معه ، وبدأ للسعى بالاتصال برئيس الوزراء وأعضاء وزارته مسجلا كل ما يقولونه ، فناشراً إياه على صفحات الأهرام ، وكان ذا أسلوب مقنع فى النقاش لا مجال به للخطابة السطحية والشقشقة اللسانية ، وننقل مثالا عليه من حديثه لرئيس الوزراء (آنذاك) دولة عدلى يكن باشا وهو قوله :

« الدعارة يادولة الوزير نظمت لأمرين : (١) مراقبة المريضات بالكشف وعزلهن عن الاختلاط . (٢) حصر دائرة الفسق

في نطاق خاص ، وقد ظهر بالاستقصاء أن الكشف لم يؤد إلى نتيجة مرغوبة ، بل بالعكس كان ناشراً للأمراض السرية ، وكذلك لم يحصر الفسق في دائرة ، فإن الدوائر الرسمية في العاصمة مثلا هي عرب المحمدي والوسعة وسيدي زينهم ، وهناك دوائر يضيق عنها الحصر كالذهبيات والعوامات والأكشاك على شواطىء النيل ، والجارسنيرات والبانسيونات ومحال التدليك والخياطة والبيوت السرية « الجهرية » وهي ذائعة في كل شارع ومضيق » ، فلم يسع رئيس الوزراء إلا أن وافق وحمد .

كما ننقل محاجبه لفتح الله بركات باشا وزير الزراعة حين قال معاليه : « علينا أن نبحث هل هناك قوانين تقف أمام الإلغاء ونحتاج إلى تذليلها أو أن هناك عوامل سياسية تمنع تنفيذ هذه الرغبة المريضة فنأخذ في معالجتها » .

فرد أبو العيون سريعاً بقوله : « إن لائحة العاهرات صدرت بقرار من وزارة الداخلية ، فهي ليست بقانون ، بل بقرار ولا يحتاج إلغاؤها إلا لقرار وزاري مثله » فوافق فتح الله باشا وقال : سأعد نفسي سعيداً موفقاً إذا كنت من العاملين على إزالة هذا المنكر الفظيع .

وقد حاول نجيب الهلالي بك بمحضر وزير المعارف علي الشمسي باشا أن يعترض أبا العيون بقوله : « إن الزنا ليس بتشريع عندنا ، ولكن الحكومة تنظمه فقط » .

فقال الشيخ صريحاً : « إن الحكومة تحميه وتشجع الناس على ارتكاب الفاحشة وتسمح للغلمان بغشيان المواخير والمفاسق فيكون مصيرهم مصير الباغيات ، وعندي إحصائية رقمية بذلك وأخجل من التصريح بأكثر مما ذكرت » .

كما كان الأستاذ لبقاً سياسياً حين قال معقباً على هجوم بعض معترضيه بقوله : « إنه لا يستقل بمشروع خاص في محاربة البغاء بل يوكل الأمر إلى لجنة ذات كفاءات متنوعة تشمل القانون والطب والاجتماع والسياسة » كما صرح جزئياً بأن بوليس الآداب الذي يتذرعون بكفايته قد أصبح مروجاً للفساد بدل أن يكون مانعاً له ، وقد استعصى على الطب أن يستأصل غوائل البغاء فلم يبق غير استئصال الأساس !! ثم استشهد برأي زعيم خطير قال فيه : « وقد رأينا بعض الكتاب يسألون ماذا تكون

حالة هؤلاء النسوة بعد غلق مواخيرهن ، وهذا السؤال بعينه يصح أن يقال عن كل فرقة ترتزق من السبل المحرمة إذا ما أغلقت فى وجوههم هذه السبل كالمتجرين فى المواد المخدرة وغيرهم، وبعضهم يخاف من انتشار الأمراض السرية إذا حرم البغاء الرسمى ورفعت الرقابة الطبية ، وهذا منطق معكوس فإن الإباحة أشد نشرا لهذه الأمراض من التحريم، وهذا هو المشاهد الملموس، وواجب الحكومة يقضى بمنع المحرمات والأمراض الاجتماعية الناشئة عن منعها لا أن تبيحها ثم تزعم أنها تقاوم ما ينشأ عنها من أخطار ؟ مهما يكن من شىء فقد طالت المعركة بين الشيخ وخصومه ولكنها انتهت أخيرا بانتصار رأيه إذ أعلنت الحكومة فيما بعد إلغاء البغاء نهائيا من البلاد ولم تصادف من العقبات ما توهمه المعارضون ، ووضح بجلاء أن أبا العيون لم يكن أصغر من الموضوع الذى تعرض له ، بل كان كفئا لكل نازلة يقف منها موقف الشجاع الأبى حتى يذوق حلاوة الانتصار .

وقد تفتح له موضوع البغاء عن موضوع آخر لا يقل أهمية وخطرا إذا ترك بلا علاج ذلك هو موضوع التعليم الدينى ووجوب تقريره بالمدارس المدنية دون إبطاء ، إذ أن أحد الشباب الثائر على محاربة الشيخ البغاء قد كتب فى بعض الجرائد يقول « ماذا يصنع المراهقون إذا ألغى البغاء الرسمى وهم ما بين سن الرابعة عشرة والثلاثين ، ولا تسمح ظروفهم الاقتصادية بالزواج العاجل ، وهم عاجزون عن النفقة على أنفسهم فكيف بزوجاتهم ومن يجد من أولادهم ، ثم اندفع الكاتب إلى حديث سقيم يتحدث عن حرية المرأة ووجوب خلاصها من تبعة رجل معيزوعن نكاح المتعة وقرب الصلة بينه وبين البغاء إلى ما لا طائل تحته من الهراء الذى يعتمد على التهور دون الصواب ظانا بذلك أنه يضع فى طريق أبى العيون حجرا ثقيلا لا طاقة له بإزاحته ! ولكن المصلح الدائب قد أدرك مكمن العلة فى كل ما ينحدر إليه الشباب من انحراف ، وهو الجهل المطلق بالتربية الإسلامية والاغتراب الشائن عن رعاية الدين ووقايته ، فرأى أن المناداة بتدريس الدين الإسلامى باعتباره مادة أساسية فى المدارس المصرية مما يدفع خطر

(البقية على صفحة ٤٣١)

من الأصول السياسية والدستورية في الاسلام

للدكتور مصطفى كمال وصفي

الحرية الاسلامية [1]

— ٥ —

تعرف الحرية - بصفة عامة - بأنها قدرة الفرد على أن يعمل ما يشاء فى حدود القانون . وهذا التعريف يحتمل بعض التعديل - كما سنرى - إذا ما أردنا أن نحدد الحرية فى نظر الإسلام .

النظريات الأساسية فى الحرية : وهناك نظريتان أساسيتان فى الحرية إحداها : النظرية الفردية ، وهى تذهب إلى أن الحرية الفردية مطلقة فى الأصل وأنه لا يجوز تقييدها إلا بقانون تصدره السلطة التشريعية ، وأن السلطة التنفيذية معزولة تماما عن التدخل فى الحريات ، فالحرية عندها لا يكون تنظيمها تشريعيا إلا بقانون ، ولا يجرى التعرض لها إلا بمعرفة القضاء أو تحت إشرافه . وهى تنقسم فى هذا النظام إلى قسمين: حريات لا يجوز تقييدها إطلاقا، وهى حرية العقيدة وحرية الفكر ، وحريات يجوز تنظيمها دون إلغائها وهى سائر الحريات .

كما أن هذه النظريات تعتبر الحرية « دفعا فى مواجهة السلطة » يعنى أنه إذا همت السلطة بالاعتداء على حرية الفرد فإنه يصدها عن ذلك - بالطرق القانونية - عن طريق الاحتجاج بحريته . وذلك لأن هذه النظريات تعتبر الفرد والسلطة فى موقفين متضادين وأن نظام الحرية قد شرع للحد من تعسف السلطة واضطهادها . وهذه النظريات مطبقة فى الدول الديموقراطية الحرة (الليبرالية) والرأسمالية .

[1] تعرض كثيرون لهذا الموضوع إما خلال موضوعات أخرى ، أو على انفراد ولكن لا يبدو أنه قد استوفى إلى الآن بالتعمق الدستورى اللازم ومن المؤلفات التى ظهرت فيه : عبدالمتعال الصعيدى الحرية الدينية فى الاسلام . وله أيضا : حرية الفكر فى الاسلام . على عبد الواحد وافى : المساواة فى الاسلام . وله : الحرية المدنية فى الاسلام . محمد الغزالى : الاسلام والاستبداد السياسى . أحمد كمال الأنصارى : الحرية على ضوء معالم الاسلام .

والنظرية الأخرى :

وتسمى بالنظرية الموضوعية وهى تذهب إلى أن جميع الأوضاع القانونية مقيدة بهدف أعلى يحكم المجتمع ، ولذلك فإن الحريات مقيدة بطبيعتها بهذا الهدف وهى مضمونة باحترام هذا الهدف والتزامه أيا كانت جهة التنفيذ ولذلك فليس الفصل بين السلطات جوهريا فى هذا النظام كما أن الحرية فيه ليست دفعا فى مواجهة السلطة ، بل تكون ممارستها لتدعيم النظام وحفظه وبطرق خاصة تكفل التوازن الدستورى على الوجه الذى سنبينه فى موضعه إن شاء الله .

الأهمية الدستورية للحرية : وفضلا عن أهمية ممارسة الحرية كأصل من أصول الحياة وضرورة من ضروراتها لكونها فطرة وغريزة لابد من إشباعها ، فإنها تعتبر عنصراً هاما فى التوازن الدستورى فى جميع النظم .

فالنظم الدستورية المختلفة تتألف من عنصرين :

عنصر القوى الشعبية أو الإرادة الشعبية ، وهو يبرز دستوريا فى شكل الحرية ، وهذا العنصر تقدمى تواق إلى الثورة والتجديد .

وعنصر القوة الحاكمة ، وهو يبرز دستوريا فى شكل السلطة العامة وهو عنصر محافظ يميل إلى الثبات والاستقرار وعدم التغير .

وتقوم النظم الدستورية حتما على الموازنة بين هذين العنصرين ؛ ولذلك فتخلف أحدهما مدعاة للاختلال ، فإن تخلفت الحرية جنح النظام نحو الرجعية والجمود والاستبداد ، وإن تخلف عنصر السلطة اضطربت واختلت وانعدم الاستقرار .

ومن أجل ذلك فإن مالاحظناه من عدم تعرض الفقهاء الإسلاميين لدراسة الحريات مع ما عرفناه من أصالة الحرية فى مبادىء الإسلام وتطبيقها عمليا فى عهده صلى الله عليه وسلم وعهد أصحابه يوجب علينا العناية أشد العناية بتقصى أصول هذه المسألة وتحريها على وجهها الشرعى .

تعريف الحرية الإسلامية وعناصرها :

ويمكن تعريف الحرية الإسلامية بأنها قدرة أو إباحة من الشارع للمكلف لبلوغ المقاصد الشرعية المعتبرة .

ونحن نميزها بلفظة الإسلامية من غيرها

من الحريات في النظم الأخرى لأنها حرية متخصصة بأنها في حدود الشريعة الإسلامية ولبلوغ مقاصدها . فهي ليست مطلقة ولا تمارس لبلوغ أغراض أخرى غير إسلامية . وبذلك تختلف عن الحرية المطبقة في النظم الديمقراطية وغيرها .

ومن التعريف السابق يمكن أن نستخلص العناصر الثلاثة الآتية :

عنصر الإباحة :

وعنصر المصدر الشرعي .

وعنصر الوظيفة الاجتماعية ، أي توجيهها لبلوغ المقاصد الشرعية المعتبرة .

عنصر الإباحة : والإباحة ضد الحظر [1] فهي تشمل قيام الفرد بالفروض والواجبات والمندوبات . فإن قيام الإنسان بما يجب عليه من الفروض يتطلب إفساحاً وتمكيناً حتى يمارس حريته في العقيدة والعبادة . وليس هناك مباحاً مطلقاً - كما ذهب البعض - وهو المباح الذي لا يقترن بالثواب أو العقاب ؛ لأن الشريعة الإسلامية مقترنة دائماً بالتكليف والمسئولية ، فالإفراط في الأكل - وهو مباح - حرام أو مكروه والاقتصاد فيه ثواب وكذا جميع ما يمارسه الإنسان في هذه الحياة .

وكذلك فإن توجيه الحرية الإسلامية نحو بلوغ المقاصد الشرعية كما سنرى يجعل الواجب متدرجاً فيها بلا شك لأن المجتمع الإسلامي هو مجتمع من المكلفين ولا مجال فيه لإطلاق الحرية في أن يفعل الإنسان ما شاء .

عنصر المصدر الشرعي : إن جميع الأوضاع والحقوق في المجتمع مصدرها الشرع وهي مقيدة به حتماً ، ولا يعترف بها لأصحابها - كما بينا - إلا في حدود ما يقرره الشرع ويسمح به .

وهذا الأصل يترتب عليه نتائج دستورية وقانونية في غاية الأهمية ، منها أنه لا لزوم للقول بأن الحرية لا تتقيد إلا بقانون تصدره السلطة التشريعية بل يكفي لذلك أية أداة ما دامت موافقة للشرع سواء كانت صادرة من السلطة التنفيذية أو القضائية . بل كما سنرى في موضعه لا لزوم لتشكيل سلطة تشريعية في النظام

---

[١] محمد سلام مدكور : الحكم التخييري أو الاباحة عند الأصوليين والفقهاء ط ٢ ص ٤٠ وندين أن لها معنى آخر عند الأصوليين وأن الغالب في تعريفها هو ما ذكرنا . ومن الغريب أنه لم يفطن إلى ارساء العلاقة بين الإباحة والحرية مع تعرضه لكثير من مسائل القانون الحديث .

الإسلامى ولا لنظام الفصل بين السلطات بل على العكس فإن القانون الذى تصدره السلطة التشريعية لا تكون له سيادة على عمل تنفيذى أو قضائى متى كان الأول ليس موافقا للشريعة ، وكان الأخير موافقا لها ، فالعبرة فى النظام الإسلامى بالموافقة للشريعة وليس للقانون فى ذاته حصانة تمنع القضاء من التعرض له .

عنصر الوظيفة الاجتماعية[1] : فالمجتمع الإسلامى هو مجتمع تكافل تضامنى والأوضاع فيه منوطة بالعدل والإحسان والتكليف وقد أحسن الدكتور ضياء الريس فى وصفه المجتمع الإسلامى بأنه مجتمع المكلفين [2] وأنه « يجوز لنا القول بأن القول بأن الغرض العام من قيام الدولة الإسلامية هو أن تكون أداة يمكن بواسطتها أن يتوصل إلى تنفيذ واجبات معينة . فالإنسان فى عرف الشرع لا ينظر إليه أولا على أنه صاحب حق ولكن ينظر إليه على أنه متحمل مسئولية بأداء واجب » .

[١] يقول أستاذنا أبو زهرة أنه لا يرى مانعا من استعمال هذا المصطلح على أن يفهم أن التوظيف توظيف الله دون غيره . كتاب المجتمع الإسلامى ص ٢٦

[٢] كتابه النظريات السياسية الإسلامية صفحة ٢٠٨

ويبنى على ذلك نتائج هامة :

أولها : أن الحريات والحقوق لا تتصور إلا مقيدة فى الإسلام ، وفى ذلك يقرر أستاذنا الشيخ محمد أبو زهره [1] « إن الإسلام جعل أساس التكافل مراعاة كل مؤمن لحق غيره . والحرية فى الإسلام لا تتصور إلا مقيدة ، لأن الحرية ليست انطلاقا من القيود بل هى معنى لا يتحقق فى الوجود إلا مقيداً » .

ثانيا : إن الحريات الإسلامية قابلة للتقييد فى أى وقت حسبما تقتضيه المقاصد الشرعية وتتطلب المصالح المعتبرة فى نظر الشريعة .

ومن أجل ذلك أجازت الشريعة نزع الملكية للمنفعة العامة والاستيلاء على الخدمات (التكليف) وقبلت الملكية الإسلامية كثيراً من القيود المقررة فى القانون الحديث .

وفى خبر السلف ما يؤكد حق السلطة فى نزع الملكية للمنفعة العامة بالتعويض العادل وإن كانت الشريعة الإسلامية تحرص — صيانة للحقوق الفردية — أن تتم التصرفات العامة فى أشكال المعاملات العادية بين الأفراد سواء بالعقود أو بأمر

[١] كتابه المجتمع الإسلامى صفحة ٢١ .

القاضي ، فإن النبي ﷺ لما أراد أن ينشىء مسجده الكريم بالمدينة قال : « ثامنوني يا بني النجار » ، أي ساوموني على ثمن أرضكم التي أريد بناء المسجد عليها. لاشترائها منهم . وكذا عمر بن الخطاب لما أراد توسعة الحرم المكي اشترى من الجيران بيوتهم لهدمها ، وكذلك إذا احتكر التاجر الطعام جاز للقاضي أن يبيع عليه ما احتكر ، والبيع عليه في هذه الحالة هو أمر من السلطة بالاستيلاء ولكنه يتم بواسطة القضاء حماية للحرية الفردية .

كما أن الفقه أجاز تكليف أصحاب المهن والحرف بالعمل عند الضرورة ، فإذا احتاج البلد للطبيب أو النجار أو غيرهما ، فإنه يجوز لولي الأمر تكليفهما بالعمل ، لأن تعطيل هذه المصالح قعود عن فرض كفاية واجب على الجماعة ، وتأثم جميعها بذلك .

وسنعرض فيما يلي إن شاء الله لتفاصيل هذه المسائل عند عرضنا لأنواع الحريات الإسلامية ؟

مصطفى كمال وصفي

(بقية المنشور على صفحة ٤٢٦)

الانحراف عن المراهقين إذا تفيئوا ظلال القرآن وأشربت نفوسهم تعاليم الإسلام ! وسارع بالإجابة على اعتراض هذا الشاب المندفع فقال من حديث بصير « لو أن هؤلاء درسوا منذ طفولتهم تعاليم دينهم الأدبية لشبوا على كثير من الأخلاق الفاضلة التي فطرهم الله عليها ، واعتصموا من جموح النفس ونزواتها بترسم الآثار الصالحة والقدوة الحسنة ولكانوا يرون في ضوء الدين ونوره صور الرذيلة واضحة فيما ترميهم به المدنية الغربية من تهتك ، ولكانوا يعلمون عن حق أن تلك المدنيات التي يخالونها ضوءا مزدهرا إنما تنبثق عن فجر كاذب لا يلبث أن يعقبه ظلام حالك » .

ثم اتبع القول بالعمل فدعا إلى مؤتمر لمناقشة الموضوع في ضوء ما يلمس من انحلال الشباب ، وطفق يقابل المسئولين من وزراء المعارف وكلائهم مقدما المذكرات الخاصة بوجوب تدريس الدين الإسلامي في المدارس المصرية على جميع المستويات !

(له بقية) د . محمد رجب البيومي

العمل بين الدين والحياة

للأستاذ محمد كمال الدين

يضع الإسلام للسلوك البشرى أسساً وقواعد تهدف إلى خير الفرد والمجتمع ، وتهيء منها علاقات اجتماعية سليمة عليها ينهض ، ويكون له كيانه الإنسانى المتميز ، ولعل من أوائل هذه الأسس والقواعد ما شرعه فى مجال « العمل » .

فالعمل فى الإسلام حق وواجب ، حق للعامل على نفسه ليعول من يرعى ويقيم أوده وواجب على المجتمع والمسئولين فيه أن يكفلوه لكل فرد ، فظله سماء هذا المجتمع حتى تحقق له الرعاية الواجبة ، وتحفظه من سلوك يأباه ذلك المجتمع ويعاقب عليه .

والعمل فى اللغة هو : الفعل أو المهنة التى يمتهنها الإنسان [١] فى مقابل أجر يحصل عليه ويضمن له استمرار الحياة ، ويزوده بمتطلباته الأساسية من مأكل ومشرب ومأوى ورعاية صحية ، وهو فى المفهوم الدينى أو الاجتماعى كل نشاط يقوم به الإنسان ، سواء كان هذا النشاط فكريا أو بدنيا أو كل ما يقوم عليه نظام الحياة .

ولقد دعا الإسلام إلى العمل ، وحض عليه ، ونرى تشريعه مطبقا فى الكتاب والسنة ، وفى سلوك الأنبياء والصحابة ، ونراه نماذج مشرقة فى التطبيق العملى لمبادىء الإسلام ، فمن الآيات الكريمة قوله تعالى : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » (التوبة ١٠٥) ، ومنها قوله تعالى : « هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور » (الملك ١٥) ، ومنها قوله تعالى أيضاً « وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله » (المزمل ٢٠) .

فهذه الآيات الكريمات تطالب — بل تأمر — بالعمل ، وهذا العمل سيحاسب الله عليه يوم القيامة ، وسيشهد الرسول والمؤمنون هذا الحساب ، إن كان العمل

[١] قاموس : لسان العرب جـ ١٣ ص ٥٠٢ .

خيراً فخير ، وإن كان شراً فشر ، « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » (الزلزلة ٧ ، ٨) ، وهى أيضا تحض على السعى الدائب وراء الرزق ، وفى كل مكان يجد فيه المرء هذا الرزق ، « وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها » (النحل ١٤) ، « ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » (القصص ٧٣) ، « وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء » (الأنعام ٩٩) ، « فأحيا به الأرض بعد موتها » (النحل ٦٥) « فأخرج به من الثمرات رزقا لكم » (البقرة ٢٢) .. فهذه الآيات وغيرها ــ وتبلغ حوالى مائة وستين آية ــ تتضمن أحكاما شاملة للعمل وتقديره ، وتدعو إلى التأمل فى خلق الله والسعى فى الحصول من هذا الخلق على ما يستمر بالحياة ويؤكد تكامل قدرة الله فى كل شىء » . [1]

ومن الأحاديث النبوية الشريفة فى هذا المجال قول الرسول الكريم : « ما أكل أحد طعاما خيرمن أن يأكل من عمل يده ، وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده » (رواه البخارى) وقوله أيضا : « من طلب الدنيا حلالا وتعففا عن المسألة وسعيا على عياله وتعطفا على جاره ، لقى الله تعالى ووجهه كالقمر ليلة البدر » (رواه البيهقى) وسئل الرسول الكريم عن أفضل الكسب فقال : « بيع مبرور وعمل الرجل بيده » (رواه أحمد والبزار والطبرانى فى الكبير) ، وفى حديث آخر يقول : « من بنى بنيانا من غير ظلم ولا اعتداء أو غرس غرسا فى غير ظلم ولا اعتداء كان له أجر جار ما انتفع به خلق الله تعالى » . ولا غرو فقد أعطى الرسول من نفسه القدوة الصالحة فى طلب العمل والسعى له ، فقد عمل قبل النبوة فى رعى الغنم ، وعمل أجيراً لأهل مكة يرعى إبلها على قراريط ، ثم عمل أجيراً عند خديجة بنت خويلد ، وكانت ـ قبل أن يتزوجها الرسول ﷺ ـ تعمل فى التجارة ، وتستأجر الرجال فى مالها ، فكان عليه السلام يخرج فى ذلك المال حتى

---

[١] « اشتراكية الإسلام » ــ الدكتور مصطفى السباعى ــ دار مطابع الشعب ١٩٦٢ ص ١٥٠ .

يبلغ الشام فيبيع ويشترى ، وكان يقول فى ذلك : « لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يأتى إلى الجبل فيأتى بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه » (رواه البخارى) [1]

وكما كان الرسول فى حياته نموذجا يحتذى فى العمل والدعوة إليه كان الصحابة من بعده ـ وخلال حياته ـ نماذج أخرى طيبة، كان أبو بكر الصديق يتاجر فى الأثواب حتى ولى الخلافة ، وكان على بن أبى طالب يعمل أجيرا ، ولم يستنكف أن يعمل عند يهودى لقاء تمرات قليلة ، وكان يقول « الاكتساب من الحلال جهاد ، وإنفاقك منه على عيالك وأقاربك صدقة » ، وكان عمر بن الخطاب ينصحه بأداء الأعمال فى أوقاتها ، ويؤثر عنه قوله : « لا تؤخر عمل اليوم إلى الغد فتدال عليك الأعمال » وكان يدعو إلى تعلم المهنة بقوله : « تعلموا المهنة فإنه يوشك أن يحتاج أحدكم إلى مهنته » وخاطب رجلا ترك عمله الذى يرتزق منه ورحل إلى المدينة ليجاهد فقال له : « ارجع فإن عملا بالحق جهاد حسن » ، وروى عنه أيضا أنه بعث يوما سفيان بن مالك ساعيا بالبصرة فمكث حينا ثم استأذنه فى الجهاد فقال له عمر : « أولست فى جهاد؟ » ومما يؤثر عنه أيضا قوله : « والله إن جاءت الأعاجم بالأعمال ، وجئنا بغير عمل فهم أولى منا بمحمد يوم القيامة » وكان عمر ـ وهو أمير المؤمنين ـ يقف فى السوق يبيع ويشترى ، ولم تحجزه الإمارة عن التردد على الأسواق ، وكان يقول : « لأن يأتينى الموت وأنا أبيع واشترى ، خير من أن يأتينى الموت وأنا ساجد لربى » وكان عمر فى خلافته يطارد المتعطلين والكسالى ، ويقول لهم : « إن الله يكره الرجل الفارغ من العمل » ، ومن أقوال عمر الخالدة أيضا : « لا يقف أحدكم عن طلب الرزق ويقول : اللهم ارزقنى وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة » [1]

وفى هذا المعنى تقول السيدة عائشة رضى الله عنها « المغزل بيد المرأة خير من الرمح فى يد المجاهد » .

---

[١] صحيح البخارى ج ٣ ص ٥٩ ، انظر أيضا صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١٢ ص ١٦ .

[١] « سيرة عمر بن الخطاب » لابن الجوزى ص ٩٢ .

وكان عبد الله بن المبارك يقول: «ليست العبادة عندنا أن تصف قدميك وغيرك يطعمك، ابدأ برغيفيك فاحرزهما ثم تعبد»

ونحب هنا أن نقف قليلا لنرد على مايوجهه بعض خصوم الإسلام من اتهامات باطلة للإسلام بأنه دين يدعو إلى البعد عن مطالب الحياة وزخرفها وإلى التواكل والانعزالية، ويحتجون فى ذلك بآيات وردت فى الكتاب الكريم مثل قوله تعالى: «ومامن دابة فى الأرض إلا على الله رزقها» (هود ٦)، ومثل قوله تعالى: «وفى السماء رزقكم وما توعدون» (الذاريات ٢٢) والرد على تلك الأباطيل يتمثل فيما ذكرنا من قبل من آيات كريمة وأحاديث شريفة، ويتمثل أيضا فى أن الزهد والتقشف اللذين نادى بهما الإسلام إنما هى أعمال تأتى فى مرتبة تالية لكسب مطالب الحياة الضرورية والزهد هنا ليس فى الكسب وإنما فى مغريات الدنيا وضغوط المادة فالمطلب الأساسى فى الإسلام أن يسعى الإنسان على كسب رزقه أولا، فإذا حصل منه على مايضمن له استمرار الحياة هو ومن يعول أو يرعى ثم هو أن تكون لإرادته السيطرة ويتمثل ذلك عمليا فى أن يزهد فيما بين يديه حتى يكون التوازن الذى أوصى به الله فى قوله: «وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولاتبغ الفساد فى الأرض إن الله لايحب المفسدين» (القصص ٧٧)، فالإسلام دين عمل فى المقام الأول وهو يحض على السعى والتكسب، وهو يدعو المرء إلى التأمل والتفكير فى خلق الله، واستغلال ذلك لصالحه وصالح جنسه، هذا فضلا عن أن دعوته للزهد إنما هى علاج للأثرة الدنيوية وحب المال، وعدم التفكير فى الأطماع الزائلة والحد من سيطرة المادة عليه [1]، ولكى يبين للناس أن السعادة هى فى الاعتدال والتوسط فى الأمور، والاكتفاء من الدنيا بما يسد الرمق ويساعد على استمرار الحياة

أما الزاهدون والمتصوفون ومن ترك ملذات الدنيا طلباً لجنات الآخرة فهم «رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، وإقام الصلاة وإيتاء

(البقية على ص ٤٤١)

[١] انظر أيضا: مقدمة ابن خلدون. - كتاب التحرير ١٩٦٦ ص ٣٢٧ - ٣٢٤، الفصل الخامس

انتشار الإسلام في الرحاب

للدكتور حامد غنيم أبو سعيد

— ٣ —

تحدثنا في نهاية المقال السابق عن التوجيه الذي بعث به سيدنا علي بن أبي طالب ضمن رسالة وجهها إلى عامله في آذربيجان ، قيس بن سعد بن عبادة ، وهو التوجيه الذي يقول له فيه : « وعلم من قبلك مما علمك الله » ، وقلنا : إن هذا التوجيه يعني في أحد مستوويه العمل على اجتذاب عناصر جديدة من أتباع الديانات التي كانت موجودة في الإقليم إلى اعتناق الدين الإسلامي .

ونقول اليوم : إن قيس بن سعد بن عبادة والمسلمين الذين كانوا في آذربيجان قد وضعوا هذا التوجيه موضع التنفيذ ، ومما لا شك فيه أن الجهود التي بذلت في هذا السبيل كانت لها نتائجها الإيجابية ، وإن كان من الصعب علينا تحديد حجم هذه النتائج ، غير أنه من الممكن أن نقول بصورة عامة : إن حركة انتشار الدين الإسلامي بين الأذربيين ، وخاصة المجوس منهم قد واصلت السير قدما إلى الأمام .

وتحقيقاً للمستوى التفصيلي لهـــذه الدراسة نجد أنه من الضروري أن نقسم آذربيجان إلى عدد من النواحي ، ومن حسن الحظ أن الطبيعة الجغرافية لآذربيجان تهيىء لنا فرصة تقسيمها إلى نواح محددة ، وذلك لأن بحيرة أرمية تقع على وجه التقريب في منتصف هذا الإقليم كما هو واضح من النظر إلى الخريطة التي زودنا بها المقالة الأولى من هذه المقالات . ومعنى هذا أننا إذا جعلنا بحيرة أرمية منطلق تقسيمنا لآذربيجان فإننا نستطيع الحصول على النواحي التالية .

أولا : الناحية الشرقية ، وهي التي تقع إلى الشرق من بحيرة أرمية ، وهذه الناحية تضم أم مدن الإقليم ، تضم أردبيل وتبريز ومراغة وورثان وبرزند ، كما أنها تضم أيضاً جبل سيلان الذي يقع إلى الغرب من أردبيل ، وهو من أكثر

الجبال ارتفاعاً هناك، وبجانب هذا وذاك، وفى أقصى الشمال تقع الأجزاء الجنوبية من صحراء البلاسجان (أو البلاشجان) وهى الصحراء من برزند فى الجنوب إلى مدينة برذعة فى الشمال[1]، وهى المدينة التى يتحدث عنها معظم الجغرافيين العرب بوصفها عاصمة إقليم أران.

ثانيا: الناحية الغربية، وهى الناحية المحصورة بين بحيرة أرمية فى الشرق وحدود أرمينية فى الغرب، وتلك الناحية تضم مدن أرمية وخوى وسلماس.

ثالثاً: الناحية الشمالية، وهى تلك الناحية المحصورة بين الشواطىء الشمالية لبحيرة أرمية والحدود المشتركة بين آذربيجان وأران، والمدن المعروفة بهذه الناحية هى مرند وأهر وميمذ وبذ.

رابعاً وأخيراً: الناحية الجنوبية، ونعنى بها تلك التى تقع إلى الجنوب من البحيرة المذكورة وتمتد حتى الحدود المشتركة بين آذربيجان من ناحية، وكل من إقليم الجبال وإقليم الجزيرة من ناحية ثانية.

[١] انظر ياقوت، معجم البلدان جـ ٢ ص ٤٤ فى الحديث عن نهر الرس.

بعد هذا التحديد للنواحى الرئيسية التى تتكون منها آذربيجان نواصل ما نحن بسبيله من التعرف على حركة انتشار الإسلام هناك، ونبدأ بالحديث عن أولى هذه النواحى، ونركز الضوء فى المقدمة على مدينة أردبيل.

وحول هذه المدينة نقول: إن المصادر التاريخية قد أوضحت لنا أن الأشعث ابن قيس، عامل الخليفة على بن أبى طالب على إقليم آذربيجان، قد «أنزل أردبيل جماعة من أهل العطاء والديوان، من العرب، ومصرها، وبنى مسجدها[1]».

ومن يتتبع تاريخ الأشعث بن قيس يرى أنه كان واليا على آذربيجان من قبل الخليفة عثمان، وأن الخليفة على بن أبى طالب قد أقره على عمله، ومن ثم ظل الأشعث بن قيس فى أردبيل حتى استدعاه الخليفة إليه حوالى منتصف سنة ٣٦ هـ[2]، ومعنى هذا أن الأشعث كان والياً لعلى على آذربيجان من بداية سنة ٣٦ هـ، ولمدة ستة أشهر على وجه التقريب.

[١] البلاذرى، فتوح البلدان ٤٦٠.

[٢] عن تاريخ ولاية الأشعث بن قيس على آذربيجان اقرأ الطبرى جـ ٤ ص ٣٣٠، ٤٢٢، ٥٦١.

وهذا التقبع لتاريخ ولاية الأشعث ابن قيس على آذربيجان له أهميته الكبيرة بالنسبة لتحديد التاريخ الذى تم فيه إنشاء أول مسجد فى مدينة أردبيل ، إذ أنه فى ضوء هذا التقبع يستطيع الدارس أن يرجح ، إن لم يجزم على وجه التأكيد ، أن هذا المسجد قد أقيم فى النصف الأول من سنة ٣٦ هـ .

ليس معنى هذا أنه لم تكن توجد أماكن للصلاة فى مدينة أردبيل قبل هذا التاريخ ، إذ أنه من المؤكد أن وجود جماعة إسلامية فى مكان ما ، كان يواكبه عادة تحديد أماكن للعبادة الجماعية ، وقد بدأ وجود جماعة ، أو حتى جماعات ، إسلامية فى أردبيل قبل ذلك التاريخ بأكثر من عشرة أعوام ، ونخلص من هذا إلى القول بأن حديث البلاذرى ينصب على المسجد الجامع الذى سبقته بالضرورة أماكن أخرى للصلاة ، ولا يعنينا هنا أن هذه الأماكن كانت تحمل كلمة « مصلى » أو كلمة « مسجد » أو أى كلمة أخرى .

ونترك هذه البداية لنتعرف على مثيلاتها فى بقية بقاع الناحية الشرقية ، ونسارع فنقول : إن الدارس لتاريخ انتشار الإسلام فى هذه الناحية لا تسعفه المصادر بمعلومات تحدد له بداية انتشار الإسلام ، أو إقامة المساجد فى أى من تبريز أو المراغة ، وتعليل هذا القصور ليس بالأمر الصعب ، وذلك إذا عرفنا أن المدينتين كانتا فى ذلك التاريخ المبكر عبارة عن قريتين عاديتين[1] ، وبالتالى فإن التطورات التى وقعت بهما كقريتين لم تسترع اهتمام المؤرخين .

لا أقصد بهذا أن أقول : إن هاتين القريتين لم يمتد إليهما نور الإسلام فى ذلك الطور المبكر ، بل إن الذى أرمى إليه هو أن أضعهما فى الإطار العام للخطة التى وضعتها الدولة الإسلامية بهدف نشر الإسلام بين الأذربيين ، وأعنى بها الخطة التى بدأ الأشعث بن قيس بتنفيذها فى سنة ٢٥ هـ ، والتى يحدثنا منها البلاذرى

---

[١] لم تكتسب المراغة مكانتها كمدينة هامة من مدن أذربيجان إلا بعد أن عسكر بها مروان ابن محمد فى عودته من غزو موقان وجيلان حوالى سنة ١١٩ هـ « ياقوت معجم البلدان جـ ٥ ص ٩٣ » ، أما مدينة تبريز فإنها كانت قرية مغمورة ، وقد ظلت على هذه الحال حتى نزلها الرواد الأزدى فى أيام المتوكل ، ومعروف أن المتوكل تولى الخلافة العباسية من سنة ٢٣٢ إلى سنة ٢٤٧ .

حينما يقول[1] : « ففتحها (أى فتح الأشعث آذربيجان) على مثل صلح حذيفة وعتبة بن فرقد ، وأسكنها ناسا من العرب من أهل العطاء والديوان ، وأمرهم بدعاء الناس إلى الإسلام » .

وقد حققت هذه الخطة نتائج إيجابية طيبة ، يحدثنا عنها البلاذرى فيقول عن الأشعث بن قيس الذى أسند إليه على بن أبى طالب ولاية آذربيجان فى أوائل سنة ٣٦ هـ[2] « فلما قدمها وجد أكثرها قد أسلموا ، وقرأوا القرآن » . والذى يستطيع الدارس أن يعلق به على قول البلاذرى هو أنه فى أوائل عهد الخليفة على كانت قريتا المراغة وتبريز وغيرهما من القرى فى الناحية الشرقية قد انتشر فيهما الإسلام ، كما أن قراءة القرآن أيضاً قد ذاعت بين المواطنين الأصليين هناك .

هذا هو ما يمكن أن نقوله عن بداية انتشار الإسلام فى كل من المراغة وتبريز والأمر يختلف بالنسبة لكل من ورزند وورثان لأنهما مدينتان إسلاميتان ارتبط ظهورهما ببعض التطورات السياسية التى

[١] فتوح البلدان ص ٤٥٩ .
[٢] المصدر السابق ص ٤٦٠ .

وقعت فى آذربيجان ، كما سيتضح لنا ذلك فى مناسبة تالية ، ومعنى هذا أن وجود هاتين المدينتين فى حد ذاته يعتبر دليلا ماديا على نمو وازدهار الإسلام فى تلك الناحية .

وننتقل بالحديث الآن إلى الجزء الجنوبى من صحراء البلاسجان لنتعرف على بداية انتشار الإسلام هناك ، وفى هذا الصدد نقول : إننا قد عثرنا على نصين تاريخيين يساعداننا فى إلقاء الضوء على هذه القضية .

النص الأول أورده البلاذرى ، ويرجع تاريخه إلى سنة ٢٢ هـ على وجه التقريب ، وهذا النص عبارة عن الأمان الذى أعطاه الصحابى حذيفة بن اليمان للمرزبان حاكم آذربيجان ، ففى هذا الأمان .

يتعهد القائد للسلم للآذربيين : « على ألا يقتل منهم أحدا ، ولا يسبيه ، ولا يهدم بيت نار ، ولا يعرض لأكراد البلاسجان وسبلان[1] .

أما النص الثانى فقد أورده كل من البلاذرى[2] وابن الفقيه[3] ، كما أورده

[١] فتوح البلدان ص ٤٥٥ .
[٢] المصدر السابق ص ٢٨٦ .
[٣] مختصر تاريخ البلدان ص ٢٩٣ .

أيضا المؤرخ ابن الأثير [1] في تاريخه لأحداث سنة ٢٥ هـ، وفي سياق حديثه عن سلمان ابن ربيعة الباهلي الذي كان في ذلك التاريخ على رأس قوات إسلامية تقوم بإخضاع بعض العناصر المناوئة في المنطقة والتي أظهرت تمردها ضد السيادة الإسلامية.

النص يقول: « ودعا أكراد البلاشجان إلى الإسلام فقاتلوه فظفر بهم، فأقر بعضهم على الجزية، وأدى بعضهم الصدقة وهم قليل ».

فالنص الأول يصل بنا إلى تقرير أن أكراد البلاشجان قد ظلوا متمسكين بدياناتهم السابقة، والمرجح أنها كانت المجوسية، واشترطوا على القائد المسلم ألا يكرههم على ترك هذه الديانة. كان ذلك في سنة ٢٢ هـ.

أما النص الثاني، والذي يصور موقف القوم بعد ثلاث سنوات من الموقف السابق فإن الدارس يستطيع أن يصل من خلاله إلى عدة حقائق.

أولى هذه الحقائق أن أكراد البلاشجان في أول الأمر لم يستجيبوا لما دعاهم إليه سلمان بن ربيعة الباهلي، ومعروف أنه دعاهم إلى اعتناق الإسلام، كما ورد ذلك في النص صراحة، فلما لم يستجيبوا له دعاهم إلى دفع الجزية، ولكنهم أبوا، وحينئذ كان السيف هو الحكم بين الطرفين.

ثانية هذه الحقائق أن نتيجة القتال كانت في صالح سلمان بن ربيعة ورجاله، وذلك واضح غاية الوضوح من قوله: « فقاتلوه فظفر بهم ».

ثالثة هذه الحقائق هي أن مجموعة أكراد البلاشجان كان لها أثرها في تغيير موقف البعض من الإسلام، وهو الموقف الذي ظل القوم متشبثين به منذ بداية اتصال الدولة الإسلامية بهذه البلاد.

ونقف عند هذه الحقيقة وقفة قصيرة لكي نتبين بعض أبعاد التغير الذي طرأ على موقف بعض أكراد البلاشجان وتدعونا الدقة العلمية إلى أن نتأمل بشيء من العمق والروية الجزء الأخير من نص ابن الأثير وهو الجزء الذي يقول فيه: « فأقر بعضهم على الجزية، وأدى بعضهم الصدقة وهم قليل ».

ففي هذا النص يوجد موقفان، الموقف الأول يعبر عنه قوله: « فأقر بعضهم على الجزية » أي أن الصحابي أقر أو وافق

---

[١] ابن الأثير جـ ٣ ص ٨٥.

على ما طلبه البعض من أداء الجزية، ومعنى هذه الجملة القصيرة أن أفراد هذا الفريق أذعنوا بأداء الجزية، وظلوا فى الوقت نفسه متمسكين بعقيدتهم السابقة.

أما الموقف الثانى فيعبر عنه قوله: « وأدى بعضهم الصدقة » أى أنهم اعتنقوا الإسلام، وذلك لإيراد كلمة « الصدقة » التى ترادف كلمة « الزكاة » ولا يقوم بأداء الصدقة أو الزكاة إلا المسلمون وذلك فى مقابل الجزية التى تفرض على من لم يستجيبوا لدعوة الإسلام.

أما رابعة الحقائق، وهى فى الوقت نفسه الحقيقة الأخيرة، فإننا نجدها فى قول النص عن البعض الذين أدوا الصدقة: « وهم قليل » أى أن الذين استجابوا لما دعوا إليه واعتنقوا الإسلام من بين أكراد البلاشجان كان عددهم قليلا.

ونخلص من كل هذا إلى القول بأنه قد حدث فى حدود سنة ٢٥ هـ أن أخذ الإسلام يشق طريقه فى صحراء البلاشجان وقد تمثلت هذه البداية المتواضعة فى عدد قليل من الأكراد الذين اعتنقوا الدين الإسلامى بفضل جهود سلمان بن ربيعة الباهلى:.

هذه هى بدايات انتشار الإسلام فى الناحية الشرقية من آذربيجان وسنعالج فى المقال التالى استيطان وازدهار الإسلام هناك.

د: عامر غنيم أبو سعيد

(بقية المنشور على صفحة ٤٣٥)

الزكاة، يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار » (النور ٣٧) فهم أولا يعملون ثم هم بعد ذلك لا ينسون حظ الآخرة، ولا يغفلون عن حق الله، « إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا » (الكهف ٣٠) « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً » (الكهف ١١٠)، وهذا هو أساس العمل الصالح فى الإسلام، سعى على الرزق فى الدنيا وشكر لله على هذا الرزق يواكب هذا السعى ويباركه.

وتبقى فى الحديث بقية نعرف فيها الشروط التى وضعها الإسلام للعامل والواجبات التى ألزم بها صاحب العمل، وقوانين الروابط والعلاقات بينهما فإلى لقاء. (يتبع)

محمد كمال الدين

قضية بنت الأخ والعمة وبنت العم في الميراث

للأستاذ كمال عون

— ٤ —

حديث ابن عباس :

عرضنا في آخر المقال الماضي للمعاني العديدة التي وجه العلماء بها العبارة الأخيرة في الحديث الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما : « ألحقوا الفرائض بأهلها ، فما بقي فلأولى رجل ذكر » ، وعلمنا أنها تزيد على عشرة أوجه ، وصف بعضها بالغموض .

والذي يتجه من هذا وغيره أن الحديث لا يؤدي بحال من الأحوال إلى حرمان بنت الأخ والعمة وبنت العم حقهن في الميراث ، ولا يلغي قرابتهن ، أو يلقي بها حجراً في اليم ، كما لا يشير من قريب أو بعيد إلى نقلهن من شجرة النسب الأصلية في العصبة وقرابات الأب ، إلى قرابات الأم المسماة اصطلاحا بذوي الأرحام .

ومع هذا فلو كان الحديث نصاً فيما فهمه من حرموهن الميراث أصلا ، أو من حرموهن مع إخوتهن ، أو مع ذكور العصبة وإن بعدوا ، لكانت الأدلة الأخرى المتضافرة من الكتاب والسنة ، للمثبتة حق الرجال والنساء في الميراث بحسب درجة القرب من المورث ، من غير تمييز ولا تفريق في أصل الاستحقاق مقدمة عليه قطعاً ، وأولى بالعمل منه .

أما وهو في حقيقته يلتقي معها ، ولا يعارضها في شيء ، فما هو إلا التأمل القريب في معناه ، غير مقطوع عن بقية الأدلة حتى يتضح المراد منه سهلا بدون تكلف أو اعتساف ، ثم لا يكون فيه أدنى إجحاف بهذه القرابات القريبة ، وحاشا لدين الله أن يكون فيه غبن لأحد من عباد الله ، أو تجاهل رحم أمر الله أن توصل .

* * *

والحديث بعد وهو من جوامع كلمه ﷺ في الميراث ، يرشد إلى أن الفرائض المنصوص عليها في كتاب الله تعالى وسنة رسوله تؤدي أولا إلى أصحابها ، وأن ما بقي بعد ذلك من المال يكون لأقرب الرجال إلى

المورث من عصبته ، دون الأباعد منهم ، ودون الأقرب من ذوى الأرحام ، لادون المساوين له فى عصوبته من النساء والصبيان ، فالإسلام قد رفض صنيع الجاهلية فى تخصيص الرجال بالميراث وحرمان الصغار ، كذلك رفض صنيعهم فى تخصيص الذكور من دون الإناث ، وقضى أن فى المال - قل أو كثر - نصيباً مفروضا للأقربين من الرجال والنساء .

وتوجيه العبارة فى الحديث على فرض صحة الرواية بلفظها ، وبغض النظر عما وجه إليها من استشكالات ، يكفى فيه ما أورده القسطلانى عن الطيبى (ج ٩ ص ٥١٥) وسبقت الإشارة إليه : من أن الوصف مع الموصوف أى « رجل ذكر » واقع موقع العصبة ، وأن العصبة هم أقارب الأب ، يسمى بها الواحد والجمع ، والمذكر والمؤنث .

فتقديم الأقربين المتساوين من الرجال والنساء على من عداهم هو منطق الإسلام لا شك فيه ، وهو عندى مفهوم العبارة دون سواه ، وهو ما يرشد إليه صنيع البخارى فى كل مرة روى الحديث فى كتاب الفرائض من صحيحه ، وهو ما نص عليه بعض شراحه الكبار - هذا وعمل البخارى جدير بالتأمل فيه ، وتخصيصه بفصل على حدة .

البخارى وحديث ابن عباس :

وصنيع الإمام البخارى رحمه الله تعالى فى صحيحه - وهو من هو فى إمامته ، ودقته وفقهه وإخلاصه - يشير إلى المعنى الذى اخترناه ، بل يكاد ينص عليه وينفى ما عداه ، سواء عمد إليه وهذ ظننا به ، أو كان مما صنعه الله له بدون قصد منه أو تدبير ، ولا حرج على فضل الله فى كل حال .

فقد أورد الحديث فى كتاب الفرائض بسنده عن ابن عباس أربع مرات فى أربعة أبواب ، وفى كل مرة يكون الحديث شاهداً على ما نقول : ببيان أن أولوية الرجل الذكر فى الحديث يدخل فيها قطعا من يساويه من الإناث ، أو لبيان أن أولوية الرجل الذكر بسبب قربه عن وارث آخر ، وليس فى مواضع استشهاد البخارى الأربعة ما يشير أدنى إشارة إلى منع بنت الأخ أو امرأة سواها مع من يساويها من الذكور .

ولنستعرض معاً مواضع الحديث ، ونر دلالته فى كل موضع .

١ — تحت عنوان : « باب ميراث الولد من أبيه وأمه » حكى البخارى قول زيد ابن ثابت رضى الله عنه فى أن البنت وحدها ترث النصف فرضا ، وأن البنتين ترثان الثلثين ، فإذا كان مع البنات ذكر لم يرثن بالفرض ، بل بدىء بغيرهن من أصحاب الفروض ، كالأبوين أو أحدهما ، ثم قسم الباقى على الأولاد ذكوراً وإناثا ، مستشهداً بالحديث الشريف المروى عن ابن عباس ، وإليك النص كاملا .

(باب ميراث الولد من أبيه وأمه)

وقال زيد بن ثابت : إذا ترك رجل أو امرأة بنتا فلها النصف ، وإن كانتا اثنتين فأكثر فلهن الثلثان ، وإن كان معهن ذكر بدىء بمن شركهم فيؤتى فريضته ، فما بقى فللذكر مثل حظ الأنثيين — حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا وهيب ، حدثنا طاووس عن أبيه عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « ألحقوا الفرائض بأهلها ، فما بقى فلأولى رجل ذكر » ا . هـ

وصنيع البخارى فى هذا واضح والحمد لله ، فى أن ما بقى بعد ذوى الفروض يكون لأولى ذكر مع من يساويه من الذكور والإناث .

ومما هو جدير بالذكر ما نقله ابن حجر فى فتح البارى عن ابن بطال فى شرح هذا الحديث إذ قال ابن بطال فى آخره : « ويقسم ما بقى (بعد الفرائض) بين الابن والبنات ، للذكر مثل حظ الأنثيين — وأردف قائلا — وهذا تأويل حديث الباب : ألحقوا الفرائض بأهلها » ، وقريب من هذا ما قاله القرطبى فى تفسيره عند شرحه لآيات المواريث إذ قال فى المسألة السادسة ما نصه : « وأجمع العلماء على أن الأولاد إذا كان معهم من له فرض مسمى أعطيه ، وكان ما بقى من المال للذكر مثل حظ الأنثيين ، لقوله عليه السلام : « ألحقوا الفرائض بأهلها » رواه الأئمة » .

(يتبع)

كمال عوده

روابط القرابة والنسب بين مصر والشعب الليبي

للأستاذ ابراهيم محمد الفحام

تعد الروابط القبلية، من أقوى العوامل التي تساعد على توثيق روابط القربى بين شعوب الدول المتجاورة، التي تنتمي نسب كبيرة من أبنائها إلى أصول قبلية مشتركة.

ولا تكاد هذه الحقيقة تنطبق على شعبين متجاورين، بقدر ما تنطبق على الشعبين: المصري والليبي.

فبرغم أن هذه النظم والروابط قد فقدت معظم صلابتها وحدتها في مصر، بفضل ما أتيح لغالبية الجماعات البدوية فيها، من أسباب التحضر والاستقرار، فإن آلافا من العائلات المصرية التي تنتمي إلى تلك الجماعات، والتي تعيش نسبة كبيرة منها في سبع عشرة محافظة من محافظاتنا الخمس والعشرين، لا تزال تتذكر أصولها القبلية وتحس - على الأقل - بعاطفة القربى نحو العائلات التي تشاركها تلك الأصول، وإن اختلفت مواطنها.

وتحرك تلك العاطفة من وقت إلى آخر زيارات التعارف والمجاملة، التي يقوم بها بعض الليبيين لأقاربهم القدامى، من البدو والفلاحين المصريين، الذين توطنت عائلاتهم في مصر منذ زمن بعيد، كما تحركها الحكايات التي يتوارث ترديدها أبناء تلك العائلات، حول أصولهم الأولى، وسير شيوخهم وأبطالهم القدامى، التي حدث بعض أحداثها في ليبيا وبعضها في مصر مما يجعلها من المأثورات الشعبية الليبية والمصرية معا.

وبرغم مرور أجيال متعاقبة، على توطن معظم تلك العائلات، وتخليها عن روابطها القبلية وطابعها البدوي، وانصهارها بدرجات متفاوتة في بوتقة المجتمع المصري الغلاب فلا يزال الكثير منها يحمل أسماء القبائل أو بطون القبائل التي كانت تنتمي إليها، أو أسماء المدن أو القرى التي قدمت منها منذ عشرات وربما مئات من السنين، كما

يحمل بعضها أسماء تمتد أصولها اللغوية إلى صميم اللهجة الليبية .

ويمتد هذا التأثير اللغوى ، الذى لا يتسع هذا المجال لذكر أمثلته التفصيلية إلى أسماء الأفراد ، وأسماء بعض المدن والقرى المصرية ، بل وإلى اللهجة المصرية ومفرداتها أيضا .

وبدافع من الإحساس العميق بأواصر القربى بين الشعبين المصرى والليبى ، تألف فى ١٦ ديسمبر سنة ١٩٤٦ حزب (الاتحاد المصرى الطرابلسى) برياسة الأستاذ على رجب الليبى الأصل ، الذى تزعم أول دعوة حديثة للوحدة بين ليبيا ومصر ، وإن لم تتهيأ لإنجاحها الظروف السياسية فى كلا البلدين ، فى ذلك العهد . وجاء على لسان رئيس ذلك الحزب ، فى حديث ألقاه فى نقابة الصحفيين بالقاهرة فى ٢٣ مايو سنة ١٩٤٧ :

« مادام فى طرابلس ـ وهو الاسم الذى كان يطلق على أقاليم ليبيا جميعا فى مصر ـ شعب عربى ، تربطه بمصر وحدة التاريخ والجنس والجوار والثقافة والعادات والمصالح المشتركة وما دامت لا تفصل بين القطرين المصرى والطرابلسى أية حدود طبيعية ، بل مادام عدد الطرابلسيين المنتشرين فى ربوع القطر المصرى ، الذين أجلتهم عن بلادهم الحوادث وظروف الاستعمار الإيطالى ، لا يقلون عن عدد الطرابلسيين الذين يعمرون القطر الطرابلسى المترامى الأطراف والذى تزيد مساحته عن مساحة القطر المصرى ، فمن الذى سيقوى على منع قيام اتحاد بين هذين البلدين الشقيقين ، والقطرين المتلاصقين ، وهو اتحاد تتوقف عليه سلامة كيان كل منهما ، واستقرار الحياة فى ربوعهما » .

والواقع أن الذى شجع الليبيين على الهجرة إلى مصر تحت وطأة الاستعمار الإيطالى ، هو اللحاق بأبناء عمومتهم الذين سبقوهم إلى التوطن فيها ، تحت وطأة عوامل أخرى عديدة ، وفى عهود مختلفة ، وخاصة فى عهد الحكم العثمانى .

وقد حاول أحد الليبيين وهو الأستاذ مبروك الجنانى المستشار الصحفى لسفارة ليبيا فى مصر سنة ١٩٥٩ أن يبحث فى محافظة البحيرة عن أربعين أسرة يجمعها بأسرته أصل واحد كانت قد هاجرت إلى مصر منذ قرن كامل فرارا من بطش الحاكم العثمانى ولا ندرى ما أسفر عنه ذلك البحث الذى خصص له شهرا كاملا من إجازته .

ومن أجلى مظاهر الشعور بالقربى، الذى تكنه العائلات المصرية ، التى ترتبط أصولها القبلية بالشعب الليبي ، أنه عندما افتتح باب التطوع لإنشاء نواة الجيش الليبى فى مصر فى سنة ١٩٤٠ ، وبلغ عدد من تطوعوا فيه فى ذلك العام وحده نحو ١٤ ألف شاب دربوا بالمعسكر الذى أعد لهم بقرية أبى رواش بمركز امبابه ، كان من بينهم آلاف من أبناء تلك العائلات برغم أن الغالبية العظمى منهم قد ولدوا — بل وولد أجدادهم ، وربما أجداد أجدادهم — على أرض مصر ، وبلغ عدد من تطوع فى ذلك الجيش من أبناء قبيلة واحدة (وهى قبيلة الجوازى) فى مديرية واحدة (هى مديرية المنيا) نحو ألف شاب ، مع أن أجدادهم كانوا قد توطنوا مصر ، قبل ذلك بنحو قرن ونصف .

وتنتهى الأصول القبلية للعائلات المصرية والليبية ، إلى فريقين رئيسيين من القبائل:

١ — فريق القبائل التى تفرعت من قبيلة (سليم بن منصور) الكبرى التى هاجر أبناؤها من مصر مع أبناء عمومتهم من قبيلة (بنى هلال) فى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) إلى شمال إفريقية ، فتوطنوا أراضيه ، وتنقسم هذه القبائل إلى قسمين : (الكعوب) و (السعادى) .

٢ — فريق القبائل التى كانت أصولها موجودة فى ليبيا قبل قدوم (بنى سليم) و (بنى هلال) ويطلق على أبنائهم (المرابطون)

وسنتحدث فيما يلى عن العائلات المصرية والليبية، التى تنتمى إلى كل من (الكعوب) و (السعادى) و (المرابطين) . ونقصد بالعائلة هنا معناها الريفى الواسع ، أى مجموعة الأسر التى تنتمى إلى أصل واحد .

أولا : الكعوب : —

برغم أن معظم العائلات التى تنتمى إلى قبائل (الكعوب) وهى : (الرفلة وأولاد سليمان وطرهونة والحاميد) تقيم فى منطقة تقرب من الحدود التونسية أكثر من قربها من الحدود المصرية ، إلا أن هناك فى مصر كثير من العائلات التى تنتمى إليها .

فإلى قبيلة أولاد سليمان، تنتسب بعض العائلات التى تقيم فى محافظة الجيزة (وخاصة حول الأهرام) ومحافظة المنوفية حيث توجد مجموعة منها تسمى (القدادفة) وفى محافظتى البحيرة وأسيوط ، حيث توجد مجموعة أخرى منها تسمى (الربايع) (وخاصة فى مركزى ديروط ومنفلوط) .

وإلى قبيلة طرهونة تنتسب بعض العائلات التى تقيم فى محافظات المنوفية والقليوبية

وبنى سويف والفيوم والمنيا (وخاصة فى مراكز سمالوط والمنيا وملوى وديرمواس) وأسيوط (وخاصة فى مركز ديروط).

وقد وفدت أكبر مجموعة من تلك العائلات إلى مصر برياسة محمد بن منصور ابن خليفة الطرهونى الملقب بسوق الحيب زعيم (للهادى) إحدى بطون قبيلة طرهونة فى أواخر سنة ١١٢٥ هـ (أوائل سنة ١٧١٤ م) إثر ثورة فاشلة على مظالم العثمانيين، فى عهد الأسرة القرمنلية وأقامت فروعها الأولى فى مديريتى المنيا وأسيوط.

وكانت تحمل اسم (طرهونة) إلى عهد قريب، إحدى قرى مركز ديروط بمحافظة أسيوط. وتعرف الآن باسم (أبى كريم) نسبة إلى شيخها (كريم الطرهونى) الذى تمرد على محمد على باشا، وذكر الجبرتى وقائعه معه ومع ابنه ابراهيم باشا فى حوادث سنة ١٢٢٩ هـ (سنة ١٨١٤ م).

وفى واحة سيوة ثلاث مجموعات من العائلات التى تنتسب إلى قبيلة طرهونة، يجمعها اسم (قبيلة الحدادين): وتسمى المجموعة الأولى (الخاليف) والثانية (العساكرة) والثالثة (للثانية) وقد هاجرت إلى مصر تحت وطأة الاحتلال الإيطالى، بعض الأسر الطرهونية مع زعمائها المجاهدين أمثال أحمد المريض وعبد الصمد النماس، والمبروك المنتصر، وخاصة بعد استيلاء الإيطاليين على مدينة (طرهونة) مقر تلك القبيلة فى ولاية طرابلس سنة ١٩٢٣.

وإلى قبيلة الحاميد، تنتسب مجموعة من العائلات فى سيوة تسمى (بيت الحمودات)

ثانيا: السعادى:

تسهم مجموعة قبائل (السعادى) وهى تتألف من ثلاث مجموعات قبلية أصغر — من أصل واحد — هى: (البرافيث) و(العقاقرة) و(السلالمة) — بنصيب أوفر فى ربط أواصر القربى، بين آلاف من العائلات المصرية والليبية التى تنتسب إليها.

وسنضرب أمثلة ذلك فيما يلى:.

١ — مجموعة البرافيث:.

وتضم هذه المجموعة خمس قبائل هى (العرفا والعبيد والفوايد والرماح والجبارنة

ومن هذه القبائل ما تقيم عائلاتها جميعا فى ليبيا، ومنها ما تقيم عائلاتها جميعا فى مصر كما أن منها أيضا ما تقيم بعض عائلاتها أو أسر منها، فى ليبيا والبعض الآخر فى مصر، وبنسب متفاوتة.

فمن القبائل التى تقيم عائلاتها جميعا فى ليبيا (العرفا) و(العبيد)

ومن القبائل التى تقيم عائلاتها جميعا

فى مصر (الفوايد) — وتنتشر عائلاتها فى محافظات الشرقية (وخاصة فى مركز الزقازيق) والدقهلية (وخاصة فى مركز شربين) والغربية (وخاصة فى مركزى طلخا وكفر الزيات) وكفر الشيخ (وخاصة فى مركزى كفر الشيخ وبيلا) والفيوم وبنى سويف (وخاصة فى مركز الفشن) والمنيا (وخاصة فى مراكز مغاغة والعدوة وبنى مزار)، ومن القبائل التى يقيم عدد قليل من عائلاتها فى ليبيا ومعظمها فى مصر (الرماح) وتنتشر عائلاتها المصرية — فى محافظات الدقهلية (وخاصة فى مركز طلخا) وبنى سويف (وخاصة فى مركز الفشن) والفيوم (وخاصة فى مركز اطسا والمنيا).

ومن القبائل التى تقيم معظم عائلاتها فى ليبيا وأقلها فى مصر مجموعة (الجبارنة) وتتكون من ثلاث قبائل هى (العواقير والجوازى والمغاربة):

فالعواقير: يقيمون جميعا فى ليبيا، ما عدا الأسر التى اضطرت إلى الهجرة إلى مصر مع الزعيمين عبد السلام الكزه وعبد الحميد العبار، اللذين اشتركا بنصيب وافر فى مقاومة الاحتلال الإيطالى.

والجوازى: يقيمون جميعا فى مصر، وتنتشر عائلاتهم فى محافظات الجيزة (وخاصة فى مركز العياط) والمنيا (وخاصة فى مراكز مطاى وبنى مزار وسمالوط وملوى).

والمغاربة: تقيم أكثر عائلاتهم فى ليبيا (وخاصة فى إجدابيه) وأقلها فى مصر، وتنتشر عائلاتهم المصرية فى محافظات الفيوم وبنى سويف (وخاصة فى مركز الفشن) وأسيوط (وخاصة فى مراكز ديروط ومنفلوط والقوصية) ومن أشهر زعمائهم الذين عاشوا فى مصر (عبد الله بن وافى) الذى كانت له وقائع مشهورة مع المماليك، وكان مقره بقرية (التيتلية) من ضواحى منفلوط، وقتل فى سنة ١١٠٥ هـ (نحو سنة ١٦٩٤ م).

وتنقسم عائلات هذه القبيلة الآن إلى مجموعتين هما (الرعيضات) و (أولاد شاخ) وتقيم بعض عائلات المجموعة الأولى وبعض أسرها فى مصر، وتنتشر فى محافظات مطروح والأسكندرية، والبحيرة، ولقد لحقت بها بعض أسر للمغاربة الليبية التى اضطرت إلى الهجرة إلى مصر، أثر الاحتلال الإيطالى مع زعيمها صالح باشا الأطيوش ؟ (يتبع)

ابراهيم محمد الفحام

باب الفتوى

يقدمه الأستاذ : محمد أبو شادى

تأديب التلميذ بما جرت به العادة وبما لا ينشأ عنه ضرر أمر مشروع .

السؤال من السيد / الأستاذ نصر الدين هزام — المستشار بمحكمة النقض .

السؤال :

هل للمعلم فى سبيل تأديب التلميذ أن يضربه ، وإن كان له ذلك فما مداه ؟ وما هى الأدلة على ذلك من الشرع ؟

الجواب :

إنه جاء فى الزوج مع زوجته قوله تعالى « واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن » وفى الوالد مع ولده قوله ﷺ : (مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر) كما جاء قوله ﷺ لمرواس المعلم : (إياك أن تضرب فوق الثلاث فإنك إن تضرب فوقها اقتص منك) .

من ذلك نأخذ أن التأديب بالضرب مشروع غير أنه مقيد بما جرت به العادة وأن لا يكون على المقاتل أو الوجه أو الرأس وأن لا ينشأ عن ذلك ضرر كتشويه لحم أو كسر عظم ، فإن حصل منه شىء من ذلك ضمنه المعلم إذ لا يزال الضرر بالضرر ، والله تعالى أعلم .

المطلقة رجعياً ترث من زوجها المتوفى ما دامت فى عدته .

السؤال من السيدة / سعاد عمر محمد هاشم

السؤال :

توفى زوجى فى ١٩٦٥/١٠/٣٠ وكان متزوجاً من زوجة أخرى طلقها رجعيا على يد مأذون فى يناير سنة ١٩٦٥ — وتطالب هذه الزوجة بميراثها من هذا الزوج بدعوى أنه راجعها وهى فى العدة دون وثيقة رسمية فما الحكم .

الجواب:

إن هذه الزوجة المطلقة رجعيا مالم تقر بانقضاء عدتها قبل وفاة زوجها بالأقراء أو بالأشهر فلها الحق فى المطالبة بحقها فى الميراث وحيث أن الوفاة قد حصلت قبل مضى سنة من تاريخ الطلاق فلها الحق قانونا فى المطالبة بذلك وهو مقتضى الفقرة الثانية من المادة ١٧ من القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ الخاص بالأحوال الشخصية والله تعالى أعلم ؟

ختان الرجل أمر واجب وأما للمرأة فمندوب

السؤال من السيد / عبد المؤمن رمضان محمد

السؤال :

ماحكم الشرع فى مسألة الختان (الطهارة) بالنسبة للذكور والإناث ؟

الجواب :

إن الختان مطلوب شرعا على سبيل الوجوب بالنسبة للرجل وعلى سبيل الندب بالنسبة للمرأة .

وحده بالنسبة للرجل قطع ما يغطى الحشفة جميعه وبالنسبة للمرأة أقل مايطلق عليه اسم القطع لحديث أم عطية دارمى ولا تنهكى ، وللمعنى اقطعى ولا تبالغى فى القطع والله تعالى أعلم ؟

لا تقبل شهادة عدو على عدوه

السؤال من السيد / محمد عبد السلام

السؤال :

١ — هل تجوز شهادة من له عداوة دنيوية على المشهود عليه ؟

٢ — هل تجوز شهادة الموسيقى الذى يتكسب من هذه المهنة ؟

الجواب :

عن الأول بأنه لاتقبل شهادة عدو على عدوه لاتهامه ولحديث لا تقبل شهادة ذى غِمر على أخيه — والغمر الغل والحقد وتكفى المخاصمة السابقة دليلا على هذه العداوة الدنيوية .

وعن الثانى بأنه إذا كان الموسيقى عدلا فى دينه وخلا عمله الموسيقى عن الفسق من اختلاط بالأجنبيات أو نحوه فإن مجرد عمله لا يسلبه العدالة والله تعالى أعلم ؟

الجد ولى طبيعى له حق ضم أولاد ابنه المتوفى متى انتهت مدة حضانتهم

السؤال من السيد / سيد أحمد عبد الكريم سيد أحمد .

السؤال :

١ — يعمل ولدى معى فى تجارة حبوب ، ثم توفى هذا الولد وأفلست التجارة بعد موته ولم يكن له أى حق فى التجارة وإنما كان يأخذ ما ينفقه على نفسه واليوم تطالبنى زوجته بكتابة بعض أملاكى لأولاد ابنى للذكور نظير اشتراكه فى العمل معى فى التجارة — فما حكم الشرع فى هذا ؟

٢ — هل من حق الجد إنهاء حضانة الأم لأولاد ابنه الذين بلغوا من السن بالنسبة لأصغرهم حوالى عشر سنين ؟

٣ — لم أكتب شيئاً لأولاد ابنى لعدم وجود شقاق بين الأولاد — فما حكم الشرع فى هذا ؟

الجواب :

عن الأول بما أن مال التجارة ملك للوالد خاصة ولم يكن ولده شريكا له فلا يجب على الوالد شىء لأولاد ولده سوى النفقة ولا يجبر على كتابة شىء لهم

وعن الثانى بأن للجد الحق فى إقامة دعوى أمام إحدى المحاكم يطلب فيها ضم أولاد ابنه إليه حيث هو الولى الشرعى وقد انقضت مدة الحضانة بالنسبة لجميع الأولاد .

وعن الثالث بأن عدم كتابة شىء لأحد الورثة هو العمل المطلوب شرعا والله تعالى أعلم ؟

أنباء وآراء

رسائل :

١ - نشرت صحيفة الجمهورية بتاريخ ٢٨/٥/١٩٧٠ ، ٤/٩/١٩٧٠ مقالين بشأن تحضير الأرواح . ادعى الأستاذ « محمد رافع » كاتب المقال الثانى أن الروح « سافر برش » هو جبريل - عليه السلام - .

وقد حسم الرأى فى هذا الموضوع سكرتير جمعية الأهرام الروحية الأستاذ حسن عبدالوهاب الذى نشر استقالته من هذه الجمعية وأعلن توبته وبراءته من أمرها فى ٢٠/٣/١٩٦٠ وجاء فى نص رسالته إلى صحيفة الجمهورية :

« حسن عبد الوهاب سكرتير جمعية الأهرام الروحية استقال من هذه الجمعية وأعلن توبته عن تحضير الأرواح ، ووزع منشوراً بذلك ، قال فيه :

لقد أزال الله عن قلبى - فى شهر رمضان - غشاوة الضلال ، وثبت لى أخيرا قاطعا لا شك فيه أن الشخصيات التى تحضر فى جلسات التحضير وتزعم أنها أرواح من سبقونا من الأهل والأحباب ليست إلا شياطين وقرناء من الجن يلبسون على الناس ما يلبسون

والآن ، وأنا أودع هذه الحقبة العقيمة من عمرى أجده إسلامى وأستعيد إيمانى وأودع معها زملاء أعزاء لا أحمل لهم فى قلبى إلا كل عطف وإشفاق ورثاء ملحا على الله فى الدعاء أن ينير لهم بصيرتهم وينقذهم من أوحال هذه العقيدة الفاسدة مؤكدا لهم أمرين :

أولهما : أنه - كقاعدة لا تتخلف - ما من مشتغل بهذه الحركة إلا أصيب بفقد أحب أهله لديه ويمكنهم تتبع ذلك فى كل من يعرفون وأنا أولهم .

وثانيهما : أن معتنق هذه العقيدة لا يموت مسلما أو مؤمنا .

٢ - نشرت الأخبار فى ١٢/٤/١٣٩٠ ١٧/٦/١٩٧٠

يسألنا الأستاذ محمد عبد القادر حمدى

مدير مكتب وكيل وزارة العدل أن ننشر له هذا الرد عملا بحرية الرأى ، ونحن ننشره بكل ارتياح .

« إننى أعارض الأستاذ محمد حمدى فيما أبداه من رأى حول ملابس السيدات ، ذلك أننا دولة عربية إسلامية ، يجب أن تكون لها شخصيتها ومظهرها العام ، ولا تنساق إلى تقليد غيرها جريا وراء كل جديد ، وليس (المينى جيب) مرحلة من مراحل التطور كما يقول سيادته ، وإنما هو تقهقر إلى الوراء - تقهقر إلى العرى الذى نهى الله سبحانه المؤمنين والمؤمنات عنه .

العرى الذى أصبحت تمجه وتستقبحه الأخلاق الفاضلة والذوق الرفيع . وأنا شخصيا أومن بالتطور على أنه التقدم والوصول إلى الأحسن والأكمل لا النكوص إلى الأسوأ والأرذل . وفرق كبير بين عرى الأجسام نتيجة التخلف الشديد فى بعض البلاد ، وبين أن تتعمد العرى تقليدا أعمى للغرب . ثم نزعم أن هذا تطور : بئس التطور إذن إذا كان سيعود بنا إلى عصر الإنسان الأول لنسير عرايا فى الطرقات ، وهو مالم يكن حتى فى عصور الجاهلية الأولى .

أما استفهام الكاتب فى ختام مقاله عن سبب الضجة ، فإننى أقول له : سببها الغيرة على تقاليدنا الرفيعة ومثلنا العليا وأوامر ديننا ومقومات مجتمعنا من أن تهدر باسم التطور .

وأما أننا نترك المرأة تفعل ما تشاء دون توجيه سليم أو كلمة حق تقال حتى لا تعاند وتركب رأسها ، فهذا ما لم يقل به أحد » .

● صدر قرار جمهورى بتعيين فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية - وكيلا للأزهر ، وتعيين فضيلة الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار أمين المجلس الأعلى للأزهر - أمينا عاما لمجمع البحوث الإسلامية .

● يحضر فضيلة الدكتور بيصار الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية - ممثلا للأزهر - الاجتماع التمهيدى لمؤتمر « الدين والسلام » الذى يعقد فى مدينة « كيتو » باليابان فى الفترة التى تبدأ بيوم ١٥ من شعبان ١٣٩٠ الموافق ١٦/١٠/١٩٧٠ ويستمر أسبوعا .

● تخرج إحدى دور النشر الكويتية كتاب « سفيان الثورى » لفضيلة الدكتور عبد الحليم محمود وكيل الأزهر ، كذلك

تقدم له « الدار القومية » بالقاهرة كتابه: « مناسك الحج وأسراره » .

● شنت صحيفة « الميثاق » المغربية التى يرأس تحريرها الأستاذ عبدالله كنون عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر - حلة على المغالطات الواردة بكتاب « أدباء العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام » لبطرس البستانى - يردها المؤلف بشأن عدد سور القرآن وتعرضه - دون فقه أو علم لقضية الناسخ والمنسوخ .

عنيت الصحيفة ببيان الصواب والتدليل عليه بعد أن كتب إليها أحد الطلبة الذين يدرسون بثانوية (الشراردة) بفاس - عن مادة الكتاب .

● نشرت وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت كتاب : « الفوائد فى مشكل القرآن » للعز بن عبد السلام ، وكتاب « الجمان فى تشبيهات القرآن » لأبى ناقيا البغدادى ، و « مختصر صحيح مسلم » للحافظ عبدالعظيم المنذرى صاحب الترغيب والترهيب والكتب الثلاثة من التراث الإسلامى الجليل .

● عقدت عدة ندوات للمسلمين الأمريكيين والكنديين خلال المؤتمر السنوى التاسع عشر لاتحاد الجمعيات الإسلامية فى الولايات المتحدة وكندا ، وقد ناقش المؤتمر كثيرا من قضايا المسلمين العامة .

وأبدى دكتور محمود حب الله مدير المركز الإسلامى بواشنطن ، وعضو مجمع البحوث الإسلامية - نشاطا متواليا كفل للمؤتمر وهذه الندوات أن تؤدى رسالتها فى رعاية المسلمين والتعاليم الإسلامية .

● أصدرت الجمعية العامة للفتوى والتشريع بمجلس الدولة عدة مبادىء تتعلق بمساواة هيئة التدريس بجامعة الأزهر فى المرتبات بنظرائهم فى الجامعات الأخرى وعدم تطبيق نظام الرواتب الإضافية على الموظفين الذين يعاملون بكادرات خاصة . وتتضمن هذه المبادىء :

(١) معاملة أعضاء هيئة التدريس والمعيدين بجامعة الأزهر من حيث المرتبات والرواتب الإضافية معاملة نظرائهم فى جامعات الجمهورية العربية المتحدة ، ومنح من يحصل على درجة الماجستير أو ما يعادلها علاوة مقدارها ٣٦ جنيها سنويا دون أن يؤثر ذلك على علاواته الدورية أو فئتها .

(ب) لا يطبق القرار الجمهورى الخاص بالرواتب الإضافية للحاصلين على الماجستير أو الدكتوراه أو ما يعادلها على الموظفين الذين يعاملون بمقتضى أحكام كادرات خاصة .

(ج) العلاوة الإضافية التى تمنح للمعيد الذى يحصل على درجة الماجستير تقتضى تحديد (دبلومات) الدراسات العليا التى تقوم مقام درجة الماجستير فى استحقاق هذه العلاوة .

● منحت جامعة القاهرة مكافأة الأبحاث للدكتور حامد غنيم أبوسعيد ، عن بحثه « انتشار الإسلام فى جيلان » وقد سبق لمجلة الأزهر أن نشرت هذا البحث فى سلسلة من المقالات فى شهر المحرم سنة ١٣٨٨ .

يا رب

● رقيقة صوفية لفضيلة الشيخ محمد خليل الخطيب شاعر النبى ﷺ :

يا رب أرسل على الأعداء صاعقة
من صوب فلك لا تبقى ولا تذر
واسلبهم الحلم والإمهال إنهم
آذوا عبيداً - إذا ذلوا - لك اعتذروا

على الخطيب

to know Sulu at this time, if not earlier. In any case, there is evidence that Arab. ships, or rather, ships captained by Arabs, had, reached China from some island in the Philippines during this same century.

But as stated earlier, the coming of Muslims may not necessarily mean anything since they can come and go and leave no imprint in matters of the Faith. But it is at this point that the local tarsilas or salsilas (which are mainly geneological accounts) can come to the rescue. One of the most authentic or reliable tarsilas of Sulu narrates how a certain Tuan Masha'ika arrived at Jolo island in the area of Maimbung and married a daughter of the ruling family. He came at a time, according to the account, when the people were still worshipping stones and other inanimate objects. That his origin is associated with extraordinary events only simply that he represented an old and highly developed culture. That he was a Muslim is evidenced by the typically Muslim names of most of his children. It is also known that the term "Masha'ika" is one of the plural forms of the word 'Shaikh" and was used to denote descendants of saintly people in South Arabia to distinguish them from the sharifs or sayids who were descendants of the Prophet Mohammad. Important to note about this tarsila account is that the descendants of Tuan Masha'ika began to move up north in the Island. That they were people of note or had prestice can be inferred by existing accounts about them as well as by the assertion: that they were also descendants of a female member of the local ruling family or aristocracy. But what is releuant of this particular account is that it asserts the existence of Muslims in Sulu who married into the local population.

Unfortunately, the tarsilas do not offer any date about this interesting and outstanding personality. It is then that an archeological dats can be of help. In Bud Dato, a few miles from Jolo, there is a tomb that had been taken care of for more than six hundred years. Without going into many details, the tombstone reveals that the deceased was a foreign Muslim who had died away from his land of origin. The date is 710 A. H. or 1310 A. D.

(to be Continued)

expanded in the Philippines as well as those forces that came in conflict with it such that the Filipino Muslims have become what they are today.

In order to attain a proper perspective about Islam's coming to the Philippines, it is first of all important to view this fact as part of the general spread of Islam in Malay lands, more specifically, in the Malay Peninsula, and in the Indonesian and Philippine Archpelagos. As it were, the Islamization of the Philippines would have constituted the end process, the last chapter, of the Islamization of the Malay peoples. But as is well known, History was to take an unexpected and different turn with the coming of the Spaniards with the Sword and the Cross.

The coming of Muslims to the Philippines was a function of Philippine participation in the international trade which during the ninth century extended from Morocco to China - a trade practically controlled by Muslim merchants of diverse nationalities but principally Arabs. However, the coming of Muslims do not necessarily imply Islamization; for Muslims can come and go without effecting any conversion. Actually the introduction and expansion of Islam must of necessity be the result of many factors and to present a single or simple hypothesis is to risk dangerous conclusions. But some facts are at hand and it is possible to present a fairly consistant and creditable explanation about Islam's advent and spread in the southern islands of the Philippine Archipelago.

In 878 A. D., on accsunt of an anti-foreign policy in China and a rebellion in the Celestial Empire, hundreds of Muslims were massacred in South China and hundreds of those who survived flocked to the port of Kalah in the Malay Peninsula. Blocked from returniug to China, these traders began to engage in a local trade in Southeast Asia. They gradually came to learn about new products. When by the tenth century, Muslim merchants were allowed once again to return to China, they did not abandon the traffic in these new products or the use of the new routes since the trade with the Malay peoples was profitable. It was a trade, too in which the Malays began to participote intimately — especially the port chiefs. It is believed that it was Muslim merchants who made Borneo known to the Chinese during the tenth century. Since Borneo is close to the Philippines it can be presumed that Muslim traders began

THE MUSLIMS IN THE PHILIPPINES A HISTORICAL PERSPECTIVE

By : CESAR ADIB MAJUL

Muslims, in general, throughout the world, have tended to look at their history as a process tending towards justice provided men make an effort to work for it. But more than this; there is the wide-spread belief that the historic process is not solely the result of Man's intentions and actions but that there is an all Merciful and Compassionate Deity involved in the direction of such a process. Thus concommitant with the belief that life on earth is a severe moral test, there is always the hope that living the Islamic way of life makes it more purposive and tends to bring about a social situation where justice and the good life become operative.

Because of all of this, it becomes understandable why Muslims in the Philippines assert openly their belief that the coming of Islam to the Philippines and their being Muslims constitute an instance of Allah's mercy and graciousness. Also understandable is their belief that their bitter wars against the Spaniards and Americans, their resistance to any form of European colonial design or foreign economic exploitation, and even their internicine quarrels and the chronic epidemics that visited them, were all tests to their survival and to whether they deserved to maintain their integrity as an Islamic community.

In so far as they are aware of belonging to a definite religious community, Muslims in the Philippines have always made an effort to understand their past and have never ceased to recall those men who, on account of personal traits, character, and leadership, have helped to guarantee the preservation of Islām in the Philippines in spite of the determined efforts of their antagonists to take their religion, land, and knowledge of their ancient past away from them. A careful analysis of the history of the Muslims in the Philippines will demonstrate that the character and attitudes of present-day Muslims are not only the result of what they have made out of themselves but also what others have forced them to become. It is thus that it is important to know how Islam was introduced and

to be thankful to Him, to obey Him, to shun all that does not suit His universal Divinity — all these constitute the individual duties of everyone, for which each one shall be personally responsible.

The angels

137 — God being invisible and beyond all physical perception, it was necessary to have some means of contact between man and God; otherwise it would not be possible to follow the Divine will God is the creator not only of our bodies, but also of all our faculties — which are diverse and each capable of development. It is He Who has given us the intuition, the moral conscience, and the means we employ to guide us in the right path. The human spirit is capable of both good and evil inspirations. Among the common folk it is possible that good people receive sometimes evil inspirations (temptations) and bad people good inspirations. Inspirations may come from someone other than God which enables our reason to distinguish between that which is celestial and worthy of following, and that which is diabolic and fit to be shunned.

138 — There are several ways of establishing contact or communication between man and God. The best would have been incarnation; but Islam has rejected it. It would be too degrading for a transcendent God to become man, to eat, drink, betortured by His own creatures, and even be put to death. However close a man may approach God, in his journeying towards Him, even in his highest ascension, man remains man and very much remote from God. Man may annihilate himself as say the mystics, and efface completely his personality, in order to act according to the will of God, but still — and let us repeat that — man remains man and subject to all his weaknesses, and God is above all these insufficiencies.

139 — Among other means of communication between man and God, which are at the disposal of man, the feeblest perhaps is a dream. According to the Prophet, good dreams are suggested by God and guide men in the right irection.

140 – Another means is ilqa (literally, throwing something towards someone) a kind of a autosuggestions, of intuition, of presentiment of solutions in case of impasses or difficult problems.

God is One, though He is capable of doing all sorts of things. Hence the multiplicity of His attributes. God is not only the creator, but also the master of all : He rules over the Heavens and the earth ; nothing moves without His knowledge and His permission. The Prophet Muhammad has said that God has ninety-nine "most beautiful names", for ninety-nine principal attributes : He is the creator, the essence of the existence of all, wise, just, merciful, omnipresent, omnipotent, omniscient, determinant of everything, to Whom belong life, death, resurrection, etc., etc.

135 — It follows that the conception of God differs according to individuals : a philosopher does not envisage it in the same manner as a man in the street. The Prophet Muhammad admired the fervour of the faith of simple folk and often gave the example of "the faith of old women", that is, unshakable and full of sincere conviction. The beautiful little story of the elephant and a group of blind men is well known : They had never before heard of an elephant : so on its arrival, each of them approached strange animal : one laid his hand on its trunk, another on its ear, a third on its leg, and a fourth on its tail, etc. On their return, each one exchanged impressions and described the elephant in his own manner and personal experience, that it was like a column, like a wing, something hard like a stone, or soft and slender. Everyone was right, yet none had found the whole truth which was beyond his perceptive capacity. If we replace the blind men of this parable by searchers of the Inivisible God, we can easily realize the relative veracity of individual experiences. As certain mystics of early Islam have remarked : "There is a truth about God known to the man in the street, another know to the initiated, yet another to the inspired prophets, and lastly the one known to God Himself ". In the expose given above, on the authority of the Prophet of Islam, there is enough elasticity for satisfying the needs of different categories of men ; learned as well as ignorant, intelligent as simple, poets, artists, jurists, mystics, theologians and the rest. The point of view and the angle of vision may differ according to the individual, yet the object of vision remains constant.

136 — Muslim have constructed their entire system on a juridical basis, where rights and duties are correlative. God has given us the organs and faculties which we possess, and every gift implies a particular obligation. To worship God,

question as to what is Faith and said : "Thou shalt believe in the One God, in His angelic messengers, in His revealed books, in his human messengers, in the Last Day (of Resurrection and final judgement) and in the determination of good and evil by God". On the same occasion, he explained as to what signifies submission to God in practice, and what is the best method of obedience, points which shall be treated in the next two chapters.

God

130 — Muslims have nothing in common with atheists, polytheists, and those who associate others with the One God. The Arabic word for One God is Allah, Lord and Creator of the universe.

131 — Even the simplest, the most primitive and uncultured man knows well that one cannot be the creator of one's own self : there ought to be a Creator of us all, of the entire universe. Atheism and materialism does not respond to this logical need.

132 — To believe in polytheism will entail the difficulty of the division of powers between the several gods, if not a civil war among them. One can easily see that all that is in the universe is interdependent. Man, for instance, requires the aid of plants, metals, animals and stars, even as each one of these objects needs another's help in some way or other. The division of Divine powers thus becomes impracticable.

133 — In their praiseworthy solicitude, for not attributing evil to God, certain thinkers have thought of two different gods ; a god of the good and a god of the evil. But the question is whether the two would act in mutual accord, or there would arise conflict between them ? In the first case, the Duality becomes redundant and superfluous; and if the god of the good consents to the evil, then he becomes even an accomplice in the evil, thus vitiating the very purpose of the Duality. In the second case, one will have to admit that the god of evil would be more often victorious and obtain the upper hand. Should one believe then, in a weakling, the god of the good as God. Moreover, the evil is relative thing : with regard to one if something is evil the same things becomes a good with regard to another person, and since the absolute evil does not exist, there is no attribution of the evil to God (cf. infra 155, 157, 228 also).

134 — Monotheism alone, pure and unmixed can satisfy reason.

forth. Metaphysics try to answer to these questions of mental anguish, but that is only a part of religion which is more comprehensive and answer to all the allied questions. The science which treats whit this is religion. Beliefs are purely personal affairs. Nevertheless, the history of the human species has known in this connection many an act of fratricidal violence and horror, of which even the beasts would be ashamed. The batic principle ot Islam in this matter is the following verse of the Qur'an (2 : 256) :

"There is no compulsion in religion ; the right direction is henceforth distinct from error ; and he who rejecteth the Devil aud believeth in God hath grasped a firm handhold which will never break ; God is Hearer, Knower."

It is charity, and even a sacrifice, to guide others and to struggle for dispelling the ignorance 'of fellow-beings without compelling anybody to any belief whatsoever - such is the attitude of Islam.

127 — The knowledge and intelligence of man are in a process of cotinuous evolution. The medical or mathamatical knowledge of a Galen, or of an Euclid scarcely suffices today even for the matriculation examination ; the university students require much more knowledge than that. In the field of religious dogmas, primitive man was perhaps even incapable of the abstract notion of a transcendental God, Whose worship would require neither symbols nor material representations. Even his language was incapable of translating sublime ideas without being forced to use terms which would not be very appropriate for abstract notions.

128 — Islam lays very strong emphasis on the fact that man is composed simultaneously of two elements : his body and his soul ; and that he should not neglect any one of these for the sole profit of the other. To devote oneself exclusively to spiritual needs would be to aspire to become an angel (whereas God has created angels other than us); to dedicate oneself to purely material needs would be to be degraded to the condition of a beast, a plant, if not a devil, (God has created for this purpose objects other than men). The aim of the creation of man with a dual capacity would remain unfulfilled if he does not maintain a harmonious equilibrium between the requirements of the body and those of the soul simultaneously.

129 — Muslims owe their religious faith to Muhammad, the messenger of God. One day the Prophet Muhammad himself replied to a

The Islamic Conception of Life

By Dr. Muhammad Hmidullah

(Continued from June 1970 issue)

123 — Predetermination in Islam has another significance, not less important, namely, it is God Who alone attributes to a human act the quality of good or evil ; it is God Who is the source of all law. It is the Divine prescriptions which are to be observed in all our behaviour; and which He communicates to us through His chosen messengers Muhammad was the last of these, also the one whose teaching has been the better preserved. Who do not possess originals of the ancient massages which have suffered damages in the unhappy fracticidal wars of the human society. The Qur'an is not only an exception to the rule, but also constitutes the latest Divine message. It is a commonplace that a law later in date abrogates the former dispositions of the same legislator.

124 — Let us, in conclusion, refer to another trait of Islamic life : It is the duty of a Muslim not only to follow the Divine law in his daily behaviour in his life as an individual as well as a part of the collectivity, in matters, temporal as well as spiritual. He is also to contribute according to his capacities and possibilities, to the propagation of this ideology, which is based on Divine revelation and intended for the well-being of all.

125 — It will be seen that such a composite creed covers the entire life of man, not only material but also spiritual ; and that one lives in this world in the preparation for the Hereafter.

Faith and Belief

Men believe very many sorts of things : in truth, with all the relativity which this concept has ; in superstitions, and sometimes even in what is based on misapprehensions. The beliefs may change with age and experience, among other factors. But certain beliefs are shared by a whole group in common. In this context, the most important aspect is the idea of man regarding his own existence : whence has he come? where does he go? who has created him ? what is the object of his existence ? and so on and so

suffered, but that some, Cyrenean was crucified in his place. The Cerinthians, before them and the carpoctrians next, to name no more of those who affirm Jesus to have been a mere man, did believe the same thing : that it was not himself but one his followers very like him, that was crucified. Photius tells us, that he read a book entitled "The journey of Apostles," relating the acts of Peter, John, Andrew, Thomas and Paule; and among other things contained therein, this was one, that Christ was not crucified, but another in his stead, and that therefore, he laughed at his crucifiers, those who thought they had crucified him."

Now let us go farther to give mention to certain important contradictory teachings of Church Christianity from Muslim point of view.

One of the foremost Christian principles or dogmas is unity in Trinity and Trinity in unit. This, is itself is but clear compromise of which a divine religion should be free. The Romans believed in three Gods, whilst the Jews believed in one. When the Romans showed their readiness to adopt christianity, a compromise was, it seems, at once arrived at Apparently for the sake of the Romans, the unity of God, as believed by the Jews, underwent a change; it was assimilated into the triheaded God hood and so the two creeeds became merged into one. No Muslim person con think of reconciling such contradictions.

The second instance of contradictory principles is, that Jesus has been called a man and God at the same time; while the fact is that the Creator and the created cannot be one and the same. Therefore, Jesus cannot be God and man, at the same time.

The third principle, where contradictions have been brought together, is that on the one hand, Jesus declared in the Gospels, that renunciation of even the least commandment of the law dooms a man to eternal perdition; while it is taught by Paul, that the law was a curse.

The fourth exemple of contradiction principles, is the Christian doctrine that God being just, cannot forgive sins, hence the necessity of the Crucifixion of His only begotten son for the redemption of the sins of mankind, while maintaining at the same time that God would forgive us our trespasses, only when we forgive those that trespass against us.

truths of the earlier religions and restore them to their primitive purity. The Words of God are like drops of rain come from time to time through the teachings of the respective Prophets and just as the purerain from heaven gives life to the dead earth and causes fresh verdure and vegetation to germinate, by its life-giving influence, so the Quran re-affirms the Olden truths revealed to all inspired Masters of humanity.

The chief points of difference between the two great religions, Christianity and Islam, lie in the fact that while Muslims do believe in the message of Jesus christ, in the supernatural acts of healing worked through or for him, and in his miraculous birth, they do not believe in his Divinity or sonship, except as a figure of speech, dangerously open to misunder-standing.

The Muslim attitude towards the virgin conception of Jesus is that God createth what he willeth; when he hath created a plan, He but saith to it "Be and it is".

The personality of Jesus Christ and his mother, the Virgin Mary, are held in the highest reverence by every Muslim.

Muslims hold that Jesus Christ was the blessed Apostle of God who was sent to reclaim the people of Israel and to confirm the message of Moses.

He proclaimed his mission by many manifest signs, being confirmed by the Holy Spirit, he foretold the advent of another apostle to succeed him named Perislete.

As regards the Christian doctrine that Jesus was crucified by the Jews, the constant doctrine of the Muslims is that it was not Jesus who underwent crucifixion, but someone else, resembling him in shape, namely, Judas who agreed with the Jews for some pieces of silver, and led those who were sent to take him. After the crucifixion of the wicked Judas, and the taking up of Jesus to heaven, Christ, the Apostle of God was sent down again to earth, to comfort his mother and devoted disciples, and to tell them how the Jews were deceived; and he was taken up a second time to heaven.

"It is asserted by several, writes George Sale, that this story was an original invention of Muhammad's; but these are certainly mistaken; for several sectries held the same opinion long before Muhammad's time. The Basilidians in the very beginning of Christianity, denied that Christ himself

being discussed in certain advanced circles in both continents, and a desire to create a better understanding among the adherents of the various denominations of the world.

To achieve this most desirable end, it is inconsistent with the advanced culture of enlightened European and American enquirers that information of Islam... a religion which at persent is a powerful factor in humanising millions hitherto living in ignorance and barbarity... should come through any adulterated channels and from the writings and works of propagandists hostile to Islam.

Isaac, Jacob, Moses and Jesus and all other Prophets who have received revelations from God, though whose names or stories were not related in the Quran; Muslims are taught to make no distinction whatever between any of the Prophets of God.

(Quran 11-136).

The Quran also teaches that there hath never been a nation to whom God hath not sent a Prophet (XXXV : 24).

The Arians and the Ancient Hindus were originally unitarians as can be easily proved by consulting the Avlsta of the Zoroastrians, the Gita of the Hindus and the teachings and sayings of Budha and the teachings of Confucious; yet through the ages the followers of these great masters have lost or overlooked the original divine truths taught by their respective Prophets.

As regards Christianity there is so much in common between the true teachings of Holy Jesus Christ and those of the Arabian Prophet.

Islam and Christianity equally share the responsibility of restoring the religion preached by the earlier prophets to its original purity and of arousing the primitive people to the inspiration of revealed religion.

If this is so where then do the Muslims and Christians differ? The subject is made quite clear if only the fundamental position on which the superstructure of the Muslim Religion is erected. From the beginning to the end of the world, there has been, and for ever there shall be but one true Orthodox religion, consisting, as to matter of faith, in the acknowledgment of the only true God (Allah); and in the belief in, and obedience to such messengers and Prophets of God, as he has been pleased to send from time to time with credentials, to reveal His will and the

Where do the Muslims and Christians differ ?

Although some vague knowledge of the laws and tenets of Islam may be obtained from treatises and books already composed by westerners, yet he who is desirous to comprehend thoroughly their spirit must trace them to the fountainhead. In the ordinary intercourse of life, he who is desirous of gaining the esteem and effection of those with whom he becomes in contact, will be careful not to offend against their religious precepts and notions of right and wrong with which he can be acquainted by consulting their own records.

Furthermore, it behoves those ministers of the Christian church whose zeal leads them in attempts to refute the tenets and precepts of other religions, to be well acquainted with those standpoints which they undertake to impugn.

The learned Ronald has shown that "Christian church writers of no small eminence in point of learning and reputation have egregiously misrepresented the doctrines of Muslim faith, and bestowed much useless, in confuting opinions which the followers of the Arabian Prophet never maintained; thus exposing themselves to the charge of ignorance and the contempt of their adversaries; and injuring the cause they had undertaken to defend by making it appear to stand in need of false allegation for its support".

Indeed, it is misrepresentation, and misinformation, from which Muslims chiefly suffer. They had imputed to them that which has no existence whatever in their teachings and policy ; baseless charges have been advanced against Islam; nay the very beauties which Muslims account amongst their exclusive possessions have been denied them, and the very evils which Islam came to eradicate and did succeed in so doing, are ascribed to it. It is certainly a great pity that, with all this out-pouring learning and literature very little real effort has been made to clear away the clouds of misrepresentation and defective knowledge which still envelop the religion of the Arabian Prophet in Europe and America.

However, it is a happy sign to find plans for a universal religion



'The Dome of the Rock'-Jerusalem

It is on this Rock that Prophet Muhammad (peace be upon him) placed his foot in 'the Night of Ascent'

intellect with the help of the Qur'an was in a position to interpret life correctly and to mould its destiny thereby.

It is the distinctive characteristic of Islam; that it is not merely a system of positive moral rules, based on a true conception of human progress, but it is also the establishment of certain principles, the enforcement of certain dispositions, the cultivation of certain temper of mind which the conscience is to opply to the ever-varying exigencies of time and place.

The wonderful adoptability of Islamic rules to all ages, places, nations and circumstances; their entire agreement with the light of reason and the absence of all mysterious ideas, prove that Islam represents the latest developments of the religious faculties of human being. It combines within itself the prominent features in all ethnic and general religions compatible with the reason and moral intuition of man.

Thus Islam signifies a religion of right-thinking, right-speaking and right-doing, founded on divine love, uiversal charity and the human brother-hood. In the fulfilment of Muhamad's mission in his lifetime lies his distinctive superiority over the prophets and reformers of different times of history. It was reserved for Prophet Muhammad to fulfil his mission, and that of his predecessors. It was reserved for him alone to see accomplished the work of amelioration, no royal desciple, came to his assistance with edicts to enforce the new teachings. The humble praecher, who had only the other day been hunted out of city of his birth and been stoned out of the place where he had be taken himself to preach God's words, had, within the short space of 9 years, lifted up his people from the abysmal depths of moral and spiritual degradations to a conception of purity and justice.

His life is the noblest record of a work nobly and faithfully performed.

judged by his work alone.

His mission was first achieved in the midst of a nation sunk in a degrading and sanguinary, superstition, and steeped in barbarism to whom the Qur'an referes as follows :

« هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين » . (الجمعة ٢) .

It means : "He it is who hath sent among the unlettered ones a messenger of their own, to recite unto them His revelations and to teach them the Scripture and wisdom, though heretofore they were indeed in error manifest" 62 : 2. He inspired them with the belief in one Sole God of truth and love. He united them by the ties of brotherhood. Before that the Arabian peninsula was wrapt in absolute moral darkness.

Spiritual life was utterly unknown. Neither Judaism nor Christianity had made any lastina impression on the Arab mind. The people were sunk in cruelty and vice. The idea of future existence, and of retribution of good and evil, were as motives of human action practically unknown. only a few years before Muhammad's mission, such was the condition of Arabia. What a change had the few years of his mission witnessed !

A moral desert, where all laws, human and divine, were contemned and infringed without remorse, was now transformed into a garden. Idolatry, with its nameless abominations, was utterly destroyed. Islam furnishes the only solitary example of a great religion which though preached among a nation and reigning for the most part among a people not yet emerged from the dawn of an early civilization, has succeeded in effectually restraining its votaries from idolatry. This phenomenon has been justly acknowledged as the preeminent glory of Islam and the most remarkable evidence of the genius of its Prophet.

The prophet Muhammad (peace be on him) was the recipient of the Holy Qur'an and in him are found the precepts of Islam in their concrete and applied form. In his life and work, therefore, we get Islam in flesh and blood. His precepts and examples are most reliable guides to the theoretical as well as practical knowledge of Islam. The Holy Qur'an was revealed and revelation and prophet-hood were made final when humanity reached adolescence - when human

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER :

ABDUL RAHIM FŪDA

RAJAB 1390	ENGLISH SECTION EDITED BY A. M. MOHIADDIN ALWAYE	September 1970

On the occasion of the 'Night of Ascent' :

The Prophet of Light and Guidance

By

A. M. Mohiaddin Alwaye

The Mission of the Prophet Muhammad (peace be on him) was indeed a miraculous revolution that brought about an unprecedented change among the warring tribes of Arabia, at one time engaged in blood feuds. The Prophet infused the true light to see the face of Truth from the mirror of conscience and to understand the merit of mutual respect and love of service to fellow-men, as the highest form of submission to the Sovereignty of the Supreme.

The life of the Prophet presents a picture of perfection for our Guidance. He exemplified in himself every aspect of human behaviour to be a perfect model of man. The Prophet exhorted the people to cultivate the spirit of selfless service and sacrifice, through which alone salvation is assured, and to rise to the pinnacle of greatness in the standard of human achievement and to reach the summit of satisfaction.

Islam, with its seeds of human brotherhood, equality and justice, taking root in the soil of Arabia, blew the wind of change far and wide and swept the world to adopt the precept of unity, fraternity and equality as the soundest and safest structure of solidarity in human relationship. Islam tries to attain the object of perfection by grasping the principle that man will be

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
«بدل الاشتراك»
٥٠ قرشا في الجمهورية العربية المتحدة
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص



«العنوان»
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت: ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

الجزء السادس — السنة الثانية والأربعون — شعبان سنة ١٣٩٠ هـ - أكتوبر سنة ١٩٧٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مواجهة الحرب النفسية

للأستاذ عبد الرحيم فوده

يراد بالحرب النفسية في لغة هذا العصر الإشاعات والأنباء والأقاويل المكاذبة التي يطلقها الأعداء لإثارة القلق والأرق، وزعزعة الثقة والاطمئنان، ليفقد الشعب القدرة على المقاومة والصمود، ويفقد الجيش بذلك سنده في المعركة والميدان، وبهذا يسهل على عدوه غزوه والتغلب عليه.

وقد عرف المسلمون في أول عهدهم بالإسلام هذا اللون من الحرب بما كان يذيعه المنافقون واليهود في المدينة من أحاديث كاذبة، وأخبار باطلة، وأراجيف مزلة مضلة، فكان الضعفاء والمنافقون كما يقول الله فيهم: «وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم».

وكان الأقوياء المؤمنون الصادقون كما يقول الله فيهم: «الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل»، ثم كان إيمانهم بالله، وثقتهم بالنصر، وتوطين نفوسهم على مجابهة الأحداث مهما تكن

شدتها وقسوتها ، ومواجهة العدو مهما يكن شأنه ووزنه وخطره ، ويقينهم الثابت بأن كل ما يصيبهم فى أنفسهم وأموالهم إنما هو بقدر من الله كما يقول سبحانه : « ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير » .

كل هذا كان يجعلهم فى مناعة من التأثر بالأنباء والأقاويل والإشاعات الكاذبة ، بل كانوا يرون الخطر أمام أعينهم يحدق بهم ، ويكاد يطبق عليهم ، فلا يزيدهم ذلك إلا قوة استبسال ، وإصرار على القتال وثقة بالنصر ، كما يفهم من قوله تعالى : « ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله . وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما . من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا » .

لقد كانت نفوسهم - كالمعادن النفيسة - تمتحن بالمحن والفتن والشدائد فيصفو جوهرها ، وتزداد تألقا وإشراقا ، كما يصفو الذهب بالنار تحمى عليه وتبعد عنه ما داخله من زيف وشابه من عيب ، وذلك بعض ما يفسر به قول الله : « وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم » فإن الابتلاء هو الاختبار بالبلاء ، والتمحيص تخليص الشىء مما يشوبه ويعيبه . وقد امتحن المسلمون بمختلف صنوف المحن ، وابتلوا بألوان قاسية من الشدائد ، وتحملوا ما تنوء بحمله الجبال ، وصبروا حتى انتصروا وظفروا وصاروا كما يقول الله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » ، وكما يقول : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » .

ونحن فى موقفنا مع الصهيونية والاستعمار وقوى الشر التى تسير فى مسارها وتدور فى مدارها يجب أن نقاوم الحرب النفسية التى تشن علينا بالثقة المطلقة فى الله وتوطين النفوس على الصبر ، واستسهال الصعب ، واستعذاب المر والمضى فى الجهاد إلى غايته التى حددها الله بقوله : « ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيما » ، فإن ذلك يفهم منه أن الغاية من الجهاد هو الأجر بالاستشهاد أو النصر ، وقد بينه الله حيث قال :

« إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » .

وقد كان المسلمون يحبون الموت فى هذه السبيل ويرون فيه إحدى الحسنيين ، كما يفهم من قوله تعالى : « قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا » أما الفرار من الميدان فلم يكن يخطر لأحدهم على بال ، لأنه عار لا تقبله نفوسهم الأبية ، ولأنه يعرضهم لغضب الله ويجرهم إلى نار جهنم وسوء المصير كما يقول الله : « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ، ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير » .

لهذا كان أبو بكر رضى الله عنه يقول لخالد بن الوليد وهو يودعه ويودع جيشه : اطلب الموت توهب لك الحياة . وكان خالد يقول لقائد من قواد الفرس : لقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة .

فلتنطلق أبواق الاستعمار والصهيونية بما تشاء من أراجيف وأنباء ودعايات كاذبة وليكن منطلقنا إلى مواجهة أعدائنا وأعداء ديننا من هذه الذخيرة النفسية النفيسة . . . إيمان بالله ، وثقة بأن الأجل لا يتقدم بحرب ولا يتأخر بسلم ، ويقين بأنه « لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا » ، ثم العزم على انتزاع النصر مهما يكن ثمنه ، والاطمئنان إلى أن وعد الله حق ، والاستقامة على الطريق الذى شرعه الله ، ودينه الذى ارتضاه : « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون ، نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون . نزلا من غفور رحيم »

هذا هو الإيمان حقا وصدقا كما يفهم من قوله تعالى : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون » .

وهذا هو أمضى سلاح فى مواجهة الحرب النفسية « والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون » ؟

عبد الرحيم فودة

دلالة القرآن على نفسه أنه من عند الله

للدكتور محمد أحمد الغراوى

— ٣ —

بعد دلالة ضمير الرسالة ودلالة ضمير الجلالة [١] تأتى دلالة المعنى فى القرآن .

وما أسند من معنى إلى ضمير من ضمائر الجلالة أو إلى اسم من أسماء الله تعالى فلا بد أن يكون مع الجلال بحيث يليق بذلك الإسناد ، أى بحيث يتناسب مع جلال الاسم المسند إليه ، إذا كانت تلك المعانى حتما من عند الله . فهل هذا الشرط متحقق فعلا فى تلك المعانى حتى تكون دلالتها قاطعة فى إثبات أن القرآن من عند الله لفظا ومعنى ؟ — لفظا بدليل ضمير الجلالة للمتكلم ، ومعنى بدليل تحقق ذلك الجلال فى تلك المعانى الملازمة لضمائر الجلالة وأسماء الله الحسنى أينما وردت فى القرآن الكريم ، وهى ، كما هو معروف تنتظمه كله من سورة الفاتحة إلى سورة الناس . فمن يخالجه شك فى هذا ممن لم يكن قرأ القرآن ، أو ممن قرأه ولم يلحظ هذه الخاصة الذاتية فيه ، فليحسن إلى نفسه بقراءة القرآن فى شهر مثلا ، جزءا منه فى اليوم بقصد ملاحظة مبلغ ورود ضمائر الجلالة وأسماء الله الحسنى فى القرآن ، ثم ، وهو الأهم ، بقصد التأكد بنفسه من أن المعانى المسندة إلى تلك الضمائر والأسماء الجليلة تليق بها وتناسبها فى الجلال ، فليس الخبر كالعيان .

والأمر فى هذا التناسب بين جلالى ركنى الإسناد واضح فى كونيات القرآن . وهو أوضح فى الآيات القرآنية المتعلقة بظواهر كونية ليس للإنسان فيها يد ، منه فى الآيات المتعلقة بظواهر للإنسان يد فيها . ثم هو فى بعض هذه أوضح منه فى بعض .

فمثلا فى قوله تعالى « والله جعل لكم من بيوتكم سكنا ، وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ، ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين » [١] نجد فى أولها ذكر نعمة الله على عباده فى البيوت التى بها الإنسان

[١] يراجع عدد شوال وعدد ذى الحجة ١٣٨٩ هـ

[١] النحل : ٨٠

أظهر فيها عند الإنسان ، إذ هو الذى بناها فاقتضت حكمة الله أن يمن عليه بالبيوت مبنية يتخذها للسكنى والسكون والاحتماء من الأجواء والأعداء « والله جعل لكم من بيوتكم سكنا » وهذا يتضمن المن عليه بما قل أن يتذكره الإنسان من أن الله هو الذى أوجد له مواد البناء وعلمه عمله ، ولو تذكره لتبين له ما قد يخفى عليه من التناسب بين جلال المسند وجلال المسند إليه فى صدر الآية الكريمة ، وكذلك الشأن فى أمثالها ، أما بقية الآية فالتناسب بين الجلالين فيها أظهر ، لأن يد الإنسان فيما من الله عليه فيها أخفى حتى عند الإنسان فليست جلود الأنعام وأصوافها وأوبارها وأشعارها كمواد البناء يخفى على الإنسان أو قل أن يتذكر أن الله أوجدها وهيأها لينتفع الناس بكل منها على الوجه الذى ذكر الله ، بعد علم أو فن لا بد أن يتعلموه ، فآيات الله فى ذلك ونعمته على عباده هى من الوضوح بحيث اقتضت حكمة الله أن يقررها لعباده صراحة لا ضمنا فى تمام الآية الكريمة : « وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ، ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين » .

والمتاع يدخل فيه ما قد يتخذ من الأصواف والأوبار والأشعار للزينة ، أما الثياب التى يتخذ منها لاتقاء الجو وتقلباته فقد من الله على عباده بها عن طريق ما يسمى فى علم البلاغة بالاكتفاء ، وذلك ضمن نعم لله أخرى ذكرها سبحانه فى الآية التى تلت الآية السابقة وهى قوله تعالى « والله جعل لكم مما خلق ظلالا ، وجعل لكم من الجبال أكنانا ، وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر ، وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون » .

ولا بد لنا هنا من ملاحظتين ، إحداهما عرضية لكن لها أهميتها والأخرى أصلية تتصل بالبحث ، فالعرضية : هى عن حكمة التعبير بسرابيل بدلا من (ثياب) أو (لباس) ، وفى هذه الآية لا فى سابقتها .

فالسرابيل أعم من الثياب التى هى أعم من اللباس فيما يبدو ، لأن الأصل فى اللباس ما يلابس الجسم كما يشعر به قوله تعالى : « يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكم وريشا »[1] . ولذا استعير لما يلابس الروح والنفس من التقوى فى قوله

---

[1] الأعراف ٢٦ .

تعالى فى نفس الآية عقب ما ذكرنا منها « ولباس التقوى ذلك خير » واستعير لما عم القرية التى كفرت بأنعم الله من عذاب الخوف والجوع بعد نعمة الأمن ورغد العيش ، وذلك فى قوله تعالى « فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون »[1] .

واللباس هنا ليس ما يلبس فيكون من قبيل تجريد الاستعارة ولكن ما يلابس النفوس والأجساد من شعور الخوف وآلام الجوع التى أكدها الله بقوله : « فأذاقها » . والذواق فى حقيقته يكون من داخل ولا يكون من الخارج قط .. والثياب تشمل اللباس من غير شك لكنها قد لا تشمل ما تشمله السرابيل من نحو المعاطف وما يصنع من الفراء لاتقاء البرد الذى لم يذكر فى الآية الكريمة اكتفاء بذكر مقابله وهو الحر . لكن الذى لا شك فيه أن الذى يقى من البأس كالدروع لا يدخل فى الثياب ، فهذا دليل أن السرابيل أعم وأشمل . ولو ذكرت فى الآية قبلها لما دلت إلا على ما يتخذ من الصوف والوبر والشعر الحيوانى ، لكن ذكرت السرابيل الواقية من الجو وتقلبه فى آية مستقلة لتشمل أيضا ليس فقط ما يتخذ من الألياف النباتية المعروفة من قديم كالكتان والقطن ، ولكن أيضاً الألياف الاصطناعية التى عرفها الإنسان بعد أن آتاه الله ما آتاه من العلم الحديث .

أما الملاحظة الأخرى الأصلية فيما كتبه هذا البحث فهى أن التوافق بين جلال المعنى وجلال الإسناد فى صدر الآية الكريمة أى فى قوله تعالى : « والله جعل لكم مما خلق ظلالا ، وجعل لكم من الجبال أكنانا » هو من الظهور والوضوح بحيث لا يجوز لأحد أن يخالجه فيه شك إذ ليس للإنسان فيه قط من يد ، بخلاف ما للإنسان من يد ظاهرة فى ابتناء البيوت التى من الله بها على عباده فى صدر الآية التى قبلها ، فهذا من لطيف المقابلة بين صدرى الآيتين الكريمتين . أما تقدير الجلال بين ركنى الإسناد فى بقية الآية الثانية ، فحكمه وشرطه كالذى ذكر فى نظيره من أولى الآيتين : أى أن على الإنسان فيه وفى مثله أن يتذكر أن الله هو الذى أوجد المادة التى ينتفع الإنسان بخواصها ، وأنه سبحانه هو الذى علمه علم ذلك الانتفاع .

[1] النحل : ١١٢ .

وقد يحتاج الإنسان إلى الإلمام بشيء من سنن الله في الفطرة قبل أن يدرك ذلك الجلال في آية قرآنية من الله على عباده فيها بنعمة للإنسان فيها يد وإن خفيت ، فمن لم يلم مثلا بسنة الله المتعلقة بطفو الأجسام لم يدرك تمام النعمة عليه وعلى الناس، ولا مبلغ الجلال في الآيات التي من الله فيها على عباده بتسخير الفلك لهم ، على تعدد جوانب ذلك التسخير، سواء ذكر الفعل (سخر) كما في قوله تعالى «وسخر لكم الفلك لتجرى في البحر بأمره »[1] أم لم يذكر كما في قوله تعالى «وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون»

ففي وصف الفلك بالمشحون في هذه الآية الكريمة من سورة (يس) إشارة واضحة إلى أن الفلك المثقل بحمولته كان من شأنه أن يغوص في الماء ويغرق لولا سنة الله تقضى بألا يغوص من السفينة إلا القدر الذي يكفى لإزاحة قدر من الماء وزنه مثل وزن السفينة ، وعندئذ يكون دفع الماء السفينة إلى أعلى مساويا بالضبط ضغط السفينة على الماء إلى أسفل ، فإذا زيد في حمولة السفينة غاص من السفينة جزء جديد يكفى لإزاحة قدر جديد من الماء وزنه يساوى بالضبط وزن الزيادة في الحمولة وطبعا إذا انتقص من حمولة السفينة بالتفريغ نقص غاطسها بما يناسب ذلك ؛ فالغاطس منها يزيد أو ينقص بحيث يتحقق دائما التساوى بين وزن السفينة بحمولتها ووزن الماء الذى يزيحه غاطسها ، ودفع الماء السفينة إلى أعلى ، فمهما تحقق هذا التساوى بين هذه الثلاثة تحقق الطفو على الماء للجسم أو للسفينة ، وإلا غاص الجسم كله وغرقت السفينة . والمهم طبعا ألا يغوص من ارتفاع السفينة إلا الأقل، وذلك يكون بالتوسع في العرض والطول، إذ وزن الماء المزاح متناسب مع حجمه أى مع أبعاد جزء السفينة الذى تحت الماء مضروبا بعضها في بعض، وهندسة السفن وصناعتها يقرر أن فيما بينهما خير تناسب بين أبعاد كل سفينة لتحقيق الغرض منها، على اختلاف أصناف السفن ، لكن لولا سنة الله تلك في طفو الأجسام ما كان هناك للسفن هندسة ولا صناعة ، فمن لم يدرك تلك السنة لم يدرك آية الله في قوله تعالى «وآية لهم» ولا منة الله على عباده ولا جلال المعنى وتناسبه مع ضمير الجلالة للمتكلم في قوله تعالى «أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون»

---

[1] إبراهيم ٣٢

وفى الآية الكريمة ما يزيد فى جلال المعنى وتناسبه لمن يغوص عليه ، فالحمل فى (حملنا) مثلا ليس عند الشاطىء طبعا ولكن فى ثبج البحر حيث تجرى الفلك بهم كما يتضح من ثانية الآيتين بعدها «وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون إلا رحمة منا ومتاعا إلى حين » وفى كون المحمول فى الفلك المشحون (ذريتهم) لا هم ، إشارة إلى ما سيطور إليه الفلك فى مستقبل الذرية ، سواء أكان ذلك فى عهد الشراع الذى امتد إلى نحو أواسط القرن التاسع عشر ، ونبه الله عباده إلى آياته فيه فى قوله تعالى « ومن آياته الجوار فى البحر كالأعلام ، إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره ، إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور . أو يوبقهن بما كسبوا ، ويعفو عن كثير » .

أم كان ذلك فيما أعقبه من عهد البخار والكهربية ، ذرية أو غير ذرية ، الذى شمله وشمل غيره عموم قوله تعالى « وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام ، فبأى آلاء ربكما تكذبان » فى الآيتين ٢٤ ، ٢٥ من سورة الرحمن المدنية . وتشبيه السفن الجارية فى البحر شراعية أو غير شراعية بالجبال ذات الطول إشارة واضحة ليس فقط إلى ما سيكون من تقدم فى علم هندسة السفن وفى صناعتها على مر العصور ، ولكن أيضا إلى ما سيكون من تقدم فى علوم القوى التى لابد منها لدفع تلك السفن التى كالجبال حتى تشق طريقها جريا فى البحار ، فضلا عن وسائل التحكم فيها وتوجيهها أثناء جريها ومع ذلك فلا يزال قوله تعالى « أو يوبقهن بما كسبوا ويعفو عن كثير » سنة لله فى السفن الجارية كالأعلام فى عصر العلم هذا : إن شاء سبحانه عفا عما كسب أهلها - إلى أمد ، وهو الغالب الكثير ، وإن شاء أهلك السفن وما حملت بالرياح العاصفة ، أو بالصواعق الملحة لا تغنى فى دفعها الموانع ، أو ببعض هذه القوى الخارقة التى أطلع الله الإنسان عليها ليبلوه أيستعملها فيما ينفع الناس ، أم يهلك نفسه بها عدوانا وظلما .

على أن الإلمام ببعض السنن الكونية المتعلقة بموضوع الآية القرآنية قد يكون ضروريا لإدراك تمام جلال المعنى حتى لا يبد للإنسان فى النعمة الممنون عليه بها فى الآية الكريمة . فالله سبحانه كما من مثلا

على عباده بتسخير الفلك فى بعض الآيات، من عليهم فى آيات أخرى بتسخير البحر لتجرى الفلك فيه ، مثل قوله تعالى : « الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ، ولتبتغوا من فضله ، ولعلكم تشكرون » (١) .

أو لنعمة أخرى تضاف إلى جريان الفلك كما فى قوله تعالى « وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا ، وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ، وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون» (٢) .

وواضح أن ليس يقدر على تسخير البحر إلا الله ، وأن ليس للإنسان يد قط فى هذا التسخير وهذا كاف إجمالا لإظهار التناسب فى الجلال بين ركنى الإسناد فى كل من الآيتين الكريمتين . أما الذهاب وراء هذا فى تقدير ذلك التناسب فى الجلال فلا بد فيه من إدراك شىء من سر ذلك التسخير ، وأول ذلك أن يدرك لماذا لا يتجمد من الأنهار والبحار فى الشتاء القارس إلا سطحها مما يلى الشواطىء ولا يمتد التجمد إلى قاعها ، ولو فعل لهلكت الحيوانات المائية فلا يجد الإنسان منها ما يأكله ، ولاستحال أن يعود ماء البحر سائلا مرة أخرى إذا انقضى الشتاء لتستطيع الفلك جريا فيه .

أما الاستحالة فلعدم توصيل الماء للحرارة فلا تسرى فيه حرارة الشمس من سطحه إلى عمقه ، ولو استمرت دهوراً ، لو أن البحر تجمد كله . لكن حكمة الله حالت دون ذلك التجمد بخاصة عجيبة منحها الله الماء استثناء من سنة له سبحانه فى الأجسام هى أن تتمدد ويزداد حجمها بالحرارة وتتقبض وينقص حجمها بالبرودة والكثافة تنقص بالتمدد وتزداد بالانقباض كما هو معروف .

والخاصة العجيبة فى الماء التى اقتضتها حكمة الله ليتحقق تسخيره البحر للإنسان هى أن الماء يتبع السنة العامة فى الانقباض بالبرودة حتى درجة أربعة مئوية ، فإذا برد وراء ذلك تمدد ، فخف فعلا إلى السطح ولذا كان الجمد الذى يسميه الناس ثلجا والذى يتكون عند درجة الصفر أخف من الماء كما هو معروف مشاهد . فانظر إلى عجيب حكمة الله وبديع صنعه لخلقه كيف إن ماء النهر أو البحر إذا تجمد بالبرد الشديد فى شتاء

---

[١] الجاثية : ١٢
[٢] النحل : ١٤

الأصقاع الباردة تجمد جزئيا عند السطح ، وظل صار سائره سائلا درجة حرارته بين الصفر المئوى من فوق ، والأربعة المئوية من تحت عند القاع ليحفظ على حيوان البحر حياته مهما اشتدت برودة الشتاء ، وليبقى البحر صالحا لجرى الفلك تحقيقا لذلك التسخير الذى من الله به على عباده فى أكثر من آية فى القرآن الكريم .

وليست الآيات الكونية فى القرآن سواء فى تيسر الإلمام بسنن الله التى تعين على إحسان تفهم الجلال فيها كما فى المثلين المذكورين آنفا ، فإن سنة الله فى طفو الأجسام وسننه فى تمدد الماء بعد درجة أربعة مئوية يعرفها كل مثقف إذ هما من بسائط علم الطبيعة الداخلة فى المقررات الأولية ، لكن ليس الأمر كذلك فى الآيات المتعلقة بإرسال الرياح مثلا ، أو بخلق الإنسان ، أو بكثير من الظواهر الفلكية فهى تحتاج إلى نصيب أكبر من العلم كلما زاد زادت مقدرة الإنسان على تقدير الجلال فيها ، والإنسان أحوج ما يكون إلى زيادة هذه المقدرة عندما ينظر فى الآيات التى أقسم الله فيها ببعض ما خلق ليلفت عباده إلى ما فى المقسم به من آية له سبحانه فى الخلق ليطلبوها عن طريق البحث العلمى القرآنى إذا تهيأ لهم ذلك فى عصور علم الله أن ستكون إذ القرآن مخاطب به من بلغ فى كل العصور .

وآيات القسم كثيرة فى الآيات الكونية القرآنية . ومن لا يدرك شيئا من أسرار الخلق فيها يدرك لا شك بعض ما فيها من نعم الله على الناس كما فى قوله تعالى : « كلا والقمر . والليل إذا أدبر والصبح إذا أسفر » « والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها . والنهار إذا جلاها » « فلا أقسم بمواقع النجوم . وإنه لقسم لو تعلمون عظيم » إلى آيات كثيرة لا محل للنظر فيها هنا إلا من ناحية درء شبهة تتعلق بما نحن بصدده من بحث دلالة هذه الآيات . فقد يلقى الشيطان فى صدر من لا يعلم شيئا من أسرار الخلق فى الآيات الكريمة مثلا بسؤال يسأله : من أدراك أن المقسم هو الله لا محمد ؟ وهو سؤال لا يجوز إلا على متشكك ينتزع الآية من السياق فيفوته ما فى السياق من دلالة قاطعة على أن القسم من عند الله . فالآيات المذكورة آنفا من سورة المدثر يكفى فى درء الشبهة عن القسم فيها ضمير الجلالة فى صدر الآية قبلها : « وما جعلنا أصحاب النار

إلا ملائكة ، وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا » وضمير الخطاب فى آخرها مع جلال المعنى الذى لا يمكن أن يخطر ابتداء فى بال مخلوق «وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هى إلا ذكرى للبشر » ويدرأ الشبهة عن آيتى القسم من سورة الواقعة ضمائر الجلالة المتكلم فى الآيات السابقة عليها وآخرها «أفرأيتم النار التى تورون؟ أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون؟ نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين. فسبح باسم ربك العظيم » ويزيد فى درء الشبهة ضمير الخطاب وجلال المعنى الإلهى فى الآية الأخيرة « فسبح باسم ربك العظيم » ذلك فضلا عن دلالة المقسم عليه فى الآيات التى جاءت عقب آيتى القسم فى وصف القرآن الكريم وأنه (تنزيل من رب العالمين) .

أما آيات القسم من سورة الشمس التى خلت كلها من ضمير الجلالة المتكلم فيكفى فى درء الشبهة من دلالة القسم فيها جلال المعنى الذى لا يمكن فى السورة كلها أن يكون من عند بشر وإن كان هذا أظهر فى القصص فى آخرها منه فى القسم فى أولها . فإن كان لا بد من ضمير الجلالة للمتكلم يستند إلى دلالة فهو موجود متكرر فى سورة البلد قبلها ، وسور القرآن ترتيبها توفيقى كما هو معروف .

وقد يأتى ضمير الجلالة المتكلم عقب المقسم عليه مباشرة كما فى سورة الصافات للدلالة على أن القسم (والصافات صفا) . الآيات والمقسم عليه « إن إلهكم لواحد . رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق » هما كلاهما من عند المتكلم فى الآية عقبهما « إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب » وهو الله سبحانه إذ لا يعقل أن يزين السماء الكواكب إلا الله « رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق » .

وفى هاتين الآيتين الكريمتين مثل لذلك الالتفات الذى يأتى على الندرة فى الأدب العربى للتطرية والتحسين فى كلام الناس ويكثر وروده فى كلام الله سبحانه ليكون فيه حجة بالغة ودلالة قاطعة على أن المتكلم فى القرآن هو الله ، وأن القرآن إذن هو لا شك من عند الله .

د . محمد أحمد الغمراوى

دراسات قرآنية :

العين والحسد

للأستاذ مصطفى الطير

« وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ، ويقولون إنه لمجنون ، وما هو إلا ذكر للعالمين »

صدق الله العظيم

البيان :

لا يكاد الكثير من الناس يفرقون بين العين والحسد فيظنونهما شيئا واحدا ، وليس الأمر كذلك ، فالعين أن يرى الشخص غيره مريدا إحداث الضرر فيه بهذه الرؤية فيحدث له، من جانبه، أصابه بعينه ، ومنه تعين الرجل أى تهيأ يصيب شيئا بعينه ، والحسد أن يتمنى زوال النعمة عن سواه ، فإن كان من أصحاب للعين حصل للمحسود الضرر المقصود ، وإلا لم يحصل وفيما يلى تفصيل ذلك ، وبيان سبب نزول الآيتين .

روى أنه كان رجل من العرب يمكث لا يأكل يومين أو ثلاثة ، ثم يرفع جانب الخباء فتمر به الإبل أو الغنم فيقول لم أر كاليوم إبلا ولا غنما أحسن من هذه ، فما تذهب إلا قليلا حتى تسقط منها طائفة هالكة ، فسأل المشركون هذا الرجل أن يصيب لهم النبي ﷺ بالعين فأجابهم ، فلما مر به النبي ﷺ أنشد .

قد كان قومك يحسبونك سيدا
وإخال أنك سيد معيون

فعصم الله نبيه صلى الله عليه وسلم ونزلت « وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر » الآيتين .

قال الهروى أراد ليعتانونك بعيونهم فيزيلونك عن مقامك الذى أقامك الله فيه عداوة لك ، وقال ابن عباس . ينفذونك بأبصارهم ، يقال زاق السهم وزهق إذا نفذ ، وهو قول مجاهد أى ينفذونك من

شدة نظرهم ، وروى عن الحسن أن قراءة هذه الآية تدفع العين .

وكانت العين فى بنى أسد ، إذ كان يكثر فيها العيانون (الذين يصيبون بالعين) وكانت البقرة السمينة تمر بأحدهم فيعاينها فيقول لجاريته خذى المكيل (أى الزنبيل) والدرهم فائتينا بلحم هذه البقرة ، فما تبرح حتى تقع للموت فتنحر .

وقد استدل بهذه الآية على أن العين تصيب ، وصح من عدة طرق قوله صلى الله عليه وسلم « العين تدخل الرجل القبر والجمل القدر » .

وأخرج أحمد بسند رجاله ثقات كما قال الهيثمى عن أبى ذر مرفوعا « إن العين لتولع[1] بالرجل حتى يصعد حالقا[2] ثم يتردى منه » أى يسقط منه هالكا .

والعين ليست خاصة بالعرب ولا بطائفة منهم ، بل توجد فى غيرهم أيضا ، ويختص الله بها بعض الناس لخواص مؤذية فى نفوسهم .

وليس ضروريا أن تختص الإصابة برؤية العائن لضحيته ، فقد يحصل ضرره بأن يوصف له شىء فتتوجه نفسه نحوه فتفسده ، فربط الإصابة بالرؤية بالعين أغلبى .

ومن الناس من قال إن العين لا تصيب ولكن الله تعالى هو الذى يصيب عند مقابلة عين العائن ، ولكن ابن القيم رأى أنه لا مانع من أن يودع الله بعض العيون والنفوس هذه الخاصية ، من باب ربط المسببات بالأسباب ، قال ابن القيم : ومن قال إن الله تعالى أجرى العادة بخلق ما شاء عند مقابلة عين العائن من غير تأثير له أصلا فقد سد على نفسه باب العلل والتأثيرات ، والأسباب والمسببات ، وخالف جميع العقلاء .

وقد يصيب الإنسان نفسه بعينه ، حكى الغسانى أن سليمان بن عبد الملك نظر فى المرآة فأعجبته نفسه فقال ، كان محمد ﷺ نبيا ، وكان أبو بكر صديقا ، وكان عمر فاروقا وعثمان حييا ، ومعاوية حليما ، ويزيد صبوراً ، وعبد الملك سائسا ، والوليد جباراً ، وأنا الملك الشاب أنا الملك الشاب ، فما دار عليه الشهر حتى مات .

---

[١] أى تغرى وتعلق .
[٢] الحالق الجبل المرتفع .

ولا غرابة فى أن يكون لبعض النفوس تأثير فى سواها لقوة خاصة بها ، ففى عصرنا هذا ما يدل على إمكان ذلك ، ففقراء الهند ومن على شاكلتهم يرتاضون رياضات خاصة تقوى بها نفوسهم ، ثم يأتون بالعجائب كنومهم عراة على ألواح من الخشب خرج منها مسامير تغوص فى أجسامهم فلا يتألمون ، ولا تخرج منهم قطرة واحدة من الدم ، ويدفنون أنفسهم تحت طبقات الأرض ساعات دون أوكسجين معهم بحضر من الأطباء والنظارة ، ثم يزاح التراب عنهم فإذا هم أحياء ، مع أن حبس الهواء عن الرئتين سبب للموت السريع ، وبعضهم ينظر إلى كوب فى يدك ، فلا يزال يثقل حتى لا تحتمله فتلقيه من يدك ، كما حدث من رجل كان يسمى نفسه الدكتور سالمون مع المغفور له سعد زغلول باشا .

وفى عصرنا أيضا برع ناس فى التنويم (المغناطيسى كما يسمونه) فنهم من يديم النظر إلى عين وسيطه ، ومنهم من ينظر إليه من فرقه إلى قدمه .

ومنهم من يقف وراءه ويشير بأصبعه إلى نقرة رأسه ، ويوجه نفسه إليه حتى تضعف قواه ، ويغشاه ما يشبه النوم ، فيتكلم إذ ذاك بما لا يتكلم به حالة الصحو وقد يخبر عن مكان مسروق وسارقه وعن مكان غائب لا يعرف له مكان ، إلى غير ذلك من آثار التأثير العينى والنفسى المنوه .

ولا عجب فى ذلك فالنفس البشرية منطوية على أسرار وعجائب تتحير فيها العقول والأفكار ، فسبحان الخالق القادر على ما يشاء .

وإذا كان ما ذكرناه حادثا ومشاهدا فلا غرابة فى أن تؤثر عين العائن فى نفسه أو فى سواه بخاصية مركوزة فى أعماق نفسه .

وحكم العائن على ما قاله القاضى عياض أن يجتنب ، وينبغى للإمام حبسه ومنعه عن مخالطة الناس كفاً لضرره عنهم ما أمكن ويجرى عليه الرزق من بيت المال .

أما الحسد فيطلق على تمنى زوال النعمة عن الغير ، كما يطلق أيضا على تمنى دوام ما فى الغير من نقص ، أو فقر أو نحوه فإذا كان لنفسه خاصية التأثير على الغير بالإضرار فحده هذا كما يسمى حسدا يسمى عينا .

وقد توجد العين بغير حسد ، كما إذا نظر إلى مال غيره أو حيوانه مثلا ، وهو

لا يتمنى زواله ، ولكن نفسه الخبيثة تهلكه بلا إرادة ، وبهذا يكون بينهما العموم والخصوص الوجهى ، يجتمعان فيما حصل فيه تمنى زوال النعمة عن الغير مع الإهلاك ، وينفرد كل منهما فى ناحية كما شرحنا .

وقد أمر الله بالاستعاذة من شر الحاسد بنوعيه إذا حسد ، أى إذا توجه بالضرر إلى غيره ، فإن كان عائنا فالأمر ظاهر ، وإن لم يكن عائنا فتوجهه بالضرر إلى غيره بأن يسعى فى سلب نعمته بالمكايد المختلفة .

والحاسد دائما متضايق من محسوده ، خائف على نعمته مهموم منها ، وهمه هذا يضره قبل محسوده ، روى عن على أنه قال : لله در الحسد ما أعدله ، بدأ بصاحبه فقتله

وقال ابن المعتز :

اصبر على حسد الحسو
د فإن صبرك قاتله
فالنار تأكل بعضها
إن لم تجد ما تأكله

وقال بعض الأدباء ، ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من الحسود ، نفس دائم ، وهم لازم ، وقلب هائم . وقال أبو الحسن الماوردى :

لو لم يكن من ذم الحسد إلا أنه خلق دنى ، يتوجه نحو الأكفاء والأقارب ويختص بالمخالط وللصاحب لكانت النزاهة عنه كرما والسلامة منه مغنما ، فكيف وهو بالنفس مضر ، وعلى الهم مغر ، وربما أفضى بصاحبه إلى التلف من غير نكاية فى عدو ، ولا إضرار بمحسود .

وقال معاوية رضى الله عنه ، ليس فى خصال الشر أعدل من الحسد . يقتل الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود ، فالعاقل من لم يحسد سواه ، بل يتمنى له بقاء نعمته ، ويكف نفسه عن التطلع إلى غيره لتسلم له صحته ، قال الأصمعى . قلت لأعرابى ما أطول عمرك . قال تركت الحسد فبقيت

وخير ما يكف به الإنسان نفسه عن حسد من هو أعلى منه أن يرضى بقضاء الله ويقنع بما أعطاه ، قال بعض الحكماء : من رضى بقضاء الله لم يسخطه أحد ، ومن قنع بعطائه لم يدخله حسد ، ولو ذكر الإنسان أن الحسد أول ذنب عصى الله به فى السماء ، وأول ذنب عصى به فى الأرض وترتبت عليه آثار ضارة لكف نفسه عن الحسد ، وذلك أن إبليس حسد آدم على مكانته عند الله حتى أمر الملائكة

بالسجود له تعظيما لخلق الله له ، فأبى أن يسجد له،فأخرجه الله من الجنة،فكاد لآدم وحمله على الأكل من الشجرة المحرمة ، فأهبطه الله إلى الأرض وحرمه من نعيم الجنة ، وأن قابيل ولد آدم عليه السلام حسد أخاه هابيل على زواجه من أخته الجميلة فقتله ، فكانت أول جريمة على الأرض بسبب الحسد .

وليعلم الحاسد أن الحسد يمحق الدين إذ هو من الكبائر ، وأنه إذا كان من أمراض الأمم السابقة فلا يليق بأمة محمد ﷺ التي بنى أمرها على المحبة والتراحم قال ﷺ « دب إليكم داء الأمم قبلكم البغضاء والحسد ، هي الحالقة ، حالقة الدين لا حالقة الشعر ، والذي نفس محمد بيده لا تؤمنوا حتى تحابوا . ألا أنبئكم بأمر إذا فعلتموه تحاببتم . أفشوا السلام بينكم »

فإذا كان الحسد جبليا لا يستطيع صاحبه أن يقتلعه من نفسه فعلى صاحبه أن يجاهد نفسه ويحسن معاملة أخيه الذي يجد في نفسه حسدا له ليثاب على هذه المجاهدة لما فيها من مشقة مخالفة الطبع .

ويطلق الحسد على الغبطة ، وهي تمني مثل ما للغير من غير تمني زواله عنه ، وإطلاقه على هذا مجازي ولا مانع منه شرعا ، بل هو مأذون فيه ، قال ﷺ : « لا حسد إلا في اثنتين ، رجل آتاه الله مالا فسلط على هلكته في الخير ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس » وهو محمود في الناس قال أبو تمام :

واعذر حسودك فيما قد خصصت به
إن العــلا حسن في مثلها الحسد

مصطفى محمد الحديدي الطير

قال الله تعالى :

« قل أعوذ برب الفلق ، من شر ما خلق ، ومن شر غاسق إذا وقب ومن شر النفاثات في العقد ، ومن شر حاسد إذا حسد »

صدق الله العظيم

قدسية الكلمة

للأستاذ أبو الوفا المراغى

قدسية الكلمة، هو احترامها وتصديقها وقرنها بالفعل أو التزام تصديقها وتنفيذ مضمونها فى الموعد المضروب لها والوقت المناسب للوفاء بها ، فإن تكلمت بالكلمة فى خبر وكنت تعلم أنه كذب، أو فى وعد وفى نفسك الا تنى به فقد انتهكت قدسية الكلمة ، وعبثت بحرمتها، وبالتالى اعتديت على نفسك واستهدفت للذم واللوم ، واتهمت بالكذب وسقطت منزلتك بين أهلك ومن يعرفك .

ولقدسية الكلمة سواء كانت مسموعة أم مقروءة أثرها فى خلق الثقة بين الناس وتيسير معاملاتهم وإنجاز شئونهم، وكثيرا ما قامت قدسية الكلمة مقام العقود ، وكان توثيقها لقدسيتها كتوثيقها بكتابتها والإشهاد عليها .

وقد نال الكلمة فى هذا العصر ما نال الأخلاق من امتهان واستهتار سواء منها ما يقال أم يكتب ، وما أكثر ما يقال ولا ينفذ، وما أكثر ما يكتب ولا حقيقة له وشاع بين الناس أنه يوصف ما يقال بأنه كلام فى كلام يعنى أنه كلام لا يقصد معناه ولا يراد تحقيقه .

ولقد عنيت الشعوب وعنيت الدساتير بحرية الكلمة واهتمت بها وحرصت على أنه ينص فى الدساتير عليها ولكنها لم تعر قدسية الكلمة مثل ذلك الاهتمام مع أنها به أحرى وأولى ، فقيمة الكلمة فى احترامها والالتزام بمضمونها وما أرخص الكلام وأضيعه إذا لم يلتزم به ، وما خير الحرية فى كلام يطير فى الهواء .

وقد جنت الشعوب التى عرفت قيمة الكلمة واحترمت قدسيتها ثمرات طيبة فى مجالاتها المختلفة ، فى مجالها الاجتماعى والاقتصادى والعلمى وسادها جو من الثقة والاطمئنان .

ووثقت بها الأمم فى معاملاتها فعمها الرخاء وصارت مثلا يقتدى به وأملا يتطلع إليه .

وقدسية الكلمة بمعنى صدقها والالتزام بها من الفضائل التى تواطأت عليها الأديان وأشبعت القول فيها كما تواطأت عليها العقول وللروءات وماخلا دين من الأديان حتى الأديان الوضعية من الإشادة بها والتنويه بمقامها ومقام صاحبها ومازالت العقول تستنكر الإخلال بها وتبغض الكذب والكاذبين .

ولقد برزت عناية الإسلام بالكلمة واستفاض الحديث عنها وعن قائلها فى القرآن والحديث مدحا وذما واستحسانا واستهجانا ووردت مادة الصدق والصادقين مع بيان حالهم فى الدنيا بين الناس وما لهم فى الآخرة عند الله فى مواضع لا تكاد تحصى كما وردت مادة الكذب والكاذبين مع بيان حالهم وما لهم كذلك فى تلك المواضع ، وربما كانت فضيلة الصدق أو قدسية الكلمة من أولى الفضائل الخلقية التى اشتدت عناية الإسلام بها وهى خليقة بذلك لأنها أساس كل الفضائل فمن صدق لا يخون ولا يغش ،ولا يداهن ولا ينافق ولا يبغى ولا يظلم ، ولا يعد ويخلف ، ولا يأمر بمعروف ولا يعمل به ولا ينهى عن منكر ويقترفه .

ومن آيات القرآن الكريم فى قدسية الكلمة قوله تعالى: « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون، كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون» وقوله تعالى: «أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون » . ومن أحاديث الرسول فيها قوله ﷺ : (ما من نبى بعثه الله فى أمة قبلى إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن. وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل).

وقوله ﷺ : (أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها ، إذا اؤتمن خان ، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر) وبالغ الإسلام فى احترام الكلمة وعدم الكذب فيها حتى ولو لم يستضر بها أحد قصدا إلى اقتلاع هذه الرذيلة من جذورها فى نفس المسلم، فحرم على المسلم أنه يختلق حلما من الأحلام ثم يتحدث به كاذبا . فعن رسول الله ﷺ : (من تحلم بحلم لم يره كلف أن يعقد بين شعيرتين ولن

يفعل): أي قال أنه حلم في نومه ورأى كذا وكذا وهو كاذب . كما قال ﷺ : (أفرى الفرى أن يرى عينيه ما لم تريا) .

ونبه الإسلام إلى أن قليل الكذب يجر إلى كثيره حتى يصير صاحبه كذابا ، وأن قليل الصدق يفضى إلى كثيره حتى يصير صاحبه صديقا وعنه ﷺ : (إن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة ، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا ، وإن الكذب يهدى إلى الفجور والفجور يهدى إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا) .

ولحرص الإسلام على قدسية الكلمة أيضا كره للإنسان أن يكثر في الكلام ويسرف فيه دون ضرورة ، فكثرة الكلام تزرى بقيمته وتضعف الثقة به لأن تنفيذ ما يقال يحتاج إلى جهود قد لا تسعف بها الأحوال ، وعن عقبة بن عامر أنه قال : (يارسول الله ما النجاة ؟ قال أمسك عليك لسانك ، وليسعك بيتك وابك على خطيئتك)

وعن معاذ بن جبل قال : (قلت يارسول الله : أنؤاخذ بما نقول ؟ فقال : ثكلتك أمك يابن جبل !! وهل يكب الناس على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم) .

وخير ما يتقى به شر الكلام الصمت كما قيل من صمت نجا ، إلا أن الصمت مطلب عسير وغاية بعيدة ، فاللسان كما قال الإمام الغزالى : أعصى الأعضاء على الإنسان ، فإنه لا تعب في إطلاقه ولا مؤونة في تحريكه ، وقد تساهل الخلق في الاحتراز من آفاته وغوائله والحذر من مصائبه وحبائله ، وأنه أعظم آلة الشيطان في استغواء الإنسان .

ومن طرائف ماورد في الاحتيال على كف اللسان عن الكلام ، ماورد عن أبي بكر رضى الله عنه ، فقد ورد عنه أنه كان يضع حصاة في فمه يمنع بها نفسه عن الكلام ، وكان يشير إلى لسانه ويقول : هذا الذى أوردنى الموارد ؟

ابو الوفا المراغى

الحرية فى الإسلام
حرية تعمير لا تدمير

للدكتور عز الدين على السيد

حرية الفكر ... حرية القول ... حرية العمل ...

ألوان ثلاثة تسمعها الأذن كل يوم ، فى كل مظهر ، بمن يسلام على فكرة ، أو يؤاخذ على مقال ، أو ينقد على عمل ، بكل جرأة لا نسمى شجاعة ، وبكل اندفاع لا يعد كرامة .

ومدلول هذا هو الوعى المضطرب لحقوق الإنسان ، والفهم الخطىء لهذا الحق منها ، ومبعث الخطأ هو إطلاق الحرية من قيد لا تصلح دونه ؛ فالحرية المقيدة فى نظام رق ، إذ الحرية بها أن تمتنع فى انطلاق .

وأقل نظرة إلى الطبيعة تهب الناظر ضرورة القيد لانطلاق العناصر ، وطغيان بعضها على بعض ، حتى تحافظ الأجناس على كيانها ، وتظل سائرة فى طريقها ، لأن فى المحافظة على نسقها ، الاتساق العام فى مناهج الحياة ، وحين تحدث الانحرافات الطبيعية فى ظواهر غير معتادة ، من زلزال مخيف ، أو بركان قاذف ، أو عاصف قاصف ، أو رعد غاضب ، أو شهاب منقض يكون ذلك الشذوذ المدمر والخالع للقلوب أمراً له خطره ، ينزعج العلماء لظهوره ، ويلزمون معاملهم وأجهزتهم ليخضعوه للدراسة الفاحصة والقياس والتعليل ، ويجدون فى اختراع الوسيلة ينتصرون بها على مثله ، وتعنى وسائل الإعلام بنشر إحصاء الضحايا وطلب المعونة للمنكوبين تفيض بها رحمة الإنسان لأخيه الإنسان . !

والعالم الإنسانى أرقى العوالم فى الكون لما وهبه من نعمة العقل ، وما سيطر به على عناصر الوجود ، الذى جعله الله فيه خليفة ، وأنزل عليه الكتب وبعث الرسل وسن الشرائع ، فمن حقه أن يعلم أن انطلاق فكره بلا قيد ، وقوله بلا حساب ، وعمله بلا وازع ، لا يقل خطورة على كيانه عن شذوذ تلك الظواهر ، ومن حق العلماء ، والقائمين على الأمر ، ووسائل الإعلام

أن تتضافر جهودهم للوقوف دون الخطر الهادم تنهار به الإنسانية ، وتنخلع من قانون التماسك والتعارف ، قانون النظام والانسجام ...

وإنه لمن أعجب العجب أن تنطلق الفوضى فى ركب الحضارة للدعاة ، وأن تمهر بطابعها فكل ما يجد من شذوذ الفرد أو شذوذ الجماعة يبرق فى حروف اسم خلاب من أسماء الحضارة المبتدعة ، وتقام الولائم عند مولده بأقلام السماسرة المروجين ، الذين استأصلوا ضمائرهم العائقة عن الكسب والشهرة ليوضع مكانها ضمير الشيطان أدرى الضمائر بالحيلة فى الاستهواء والخديعة بالإغراء .... !

امتلأت الدنيا بالانحراف باسم الحرية ، وعدا إلينا هذا الانحراف باسم الحرية ، وأحس به كل من يرى نفسه مسئولا فى الأسرة الخاصة والعامة ، وكل يحس به لا يتفاءل بالخير ، وقد نجم بنجومه الكثير من الأحداث المبكية فى وقت يحتاج كل يد وكل قلب وكل جهد ، ليقيم بها البناء المتأود ويرد الكرامة المناشدة .

غير أن هذا الحس حس راكد ، يصحبه السكوت المذموم مع القدرة على النطق والخروج على السلبية ..

ليس فى الدنيا قانون وضعى ولا دين سماوى يمنح الإنسان الحرية أكمل من الإسلام ، إذ يقف أعلى الجباه غنى وجاها فى الصف مع أدناهم ، ويناديهم نداء المساواة : يا أيها الناس .. يا أيها الذين آمنوا . . . ويجعل من الكفارات ، ومكفرات الذنوب ، وأقرب القرب إلى الله عتق الرقاب ، ويرفع كرامة الضعفاء والفقراء وذوى العاهات إلى أن يعاتب فيهم الله رسوله بقوله : « عبس وتولى أن جاءه الأعمى ، وما يدريك لعله يزكى ، أو يذكر فتنفعه الذكرى . . . » ويأمره عليه السلام بصبر النفس معهم والحرص على مجالسهم فيقول : « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً . » وأعلنت فيه عشرات النصوص من القرآن والسنة ترفع شأن الإنسان وتعلى كرامته وتوجب العدالة فى معاملته والاحترام لرأيه وتصرفاته .

ولكن الحرية التي منحها الإسلام للإنسان محدودة بحدود الله ، ومقيدة بحقوق العباد . فقد عده القرآن خلية في البناء المرصوص « إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص » كما عده الرسول عليه السلام عضواً من الجسم الواحد للأمة « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم ، وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » وعلم الله تعالى نزوع غرائزه إلى ما خلقت له ، وإغواء الشيطان عدوه بالعدوان إلى المحارم ، فشرع الحدود وأمر ألا تأخذنا فيها الرأفة وبين مدار الحرية ومجال الانطلاق المباح، وكما أعطى الحاكم العام حق القيام على دين الأمة ورعاية الحدود ، أعطى كل راع صغير حق الرعاية لمن دونه ، والقبض على يد الآثم منهم على سواه « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسئولة عن رعيتها والخادم في مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته ... » .

وجعل كل فرد من أفراد الأمة ضامنا لجريرة الآخر ما وقعت بمرأى منه ، عليه أن يهب مبادرا للحيلولة دون وقوعها ما استطاع « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » .

« انصر أخاك ظالما أو مظلوما . قيل : أنصره إذا كان مظلوما ، فكيف أنصره ظالما ؟ قال : تحجزه عن الظلم فإن ذلك نصره » .

ومثلهم في التكافل الأخلاقي بركاب سفينة ذات طبقتين لو ترك من في أعلاها الذين في أدناها يخرقون ليصلوا إلى الماء من قريب لغرقوا وغرقوا جميعا ، ولو أخذوا على أيديهم لنجوا ونجوا جميعا .

والتعبير بنصر الأخ له مغزاه ، من النفع المتعدى إلى الظالم نفسه ، الذي استجراه شيطانه إلى الظلم ، في غيبة من رقيب قلبه ، ففي الأخذ على يده إحياء لحقين ، ومنع لخطرين ، كم تكون الخسارة بتركه ...

وتمثيل المجتمع للتكافل بالسفينة فى الخضم يصور مدى اليقظة اللازمة للأفراد، تدق قلوبهم لأدنى حركة، ويصابون بالدوار لأيسر انحراف، وتصوير الخارجين على الأمة فى سلوك منحرف، صورة الخارقين أدنى السفينة، يؤذن بأن للصيبة لا تصيبهم وحدهم، بل هى هلاك الجميع.

إذاً ليس هنالك الإنسان الحر بمعنى للنحرف فى قانون الإسلام الذى هو أعدل شريعة، وليس هنالك الإعفاء من مؤاخذته فى قانون الإسلام، يوجبها على التنازل من الراعى الأعلى إلى الفرد العادى لسلامة الأمة، ويؤكد مثل السفينة فى هذا التكافل قوله تعالى: «والعصر إن الإنسان لفى خسر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر».

فالخسر هو خضم الهلاك الذى تمخر عبابه السفينة، والتواصى بالحق والتواصى بالصبر هو الأخذ على الأيدى لضمان السلامة.

أنا حر أفكر كما أشاء.

أنا حر أقول ما أشاء.

أنا حر أفعل ما أشاء.

عبارات خاطئة بهذا الإطلاق: أنت حر فى أن تفكر، وحر فى أسلوب تفكيرك وحر فى أن تملأ أركان حجرتك بهذه الفكرة، ولكنك لست ذلك الحر فى فرض فكرتك على الناس، وبطريقة تجرف طائفة من العقول فى تيار الرذيلة أو الإلحاد.

والمجتمع هو الحر فى مصادرة للفكر مع هذه الأفكار، حين يجدها قد عدت على مقدساته أو تمردت على حرماته، أو هو حر كذلك فى اعتناق فكرتك وإسداء الثناء إليك إذا تجاوبت أفكارك مع سلامته وسايرت كرامته، لأنها أفكار للتعمير لا للتدمير.

ثم أنت حر فى أن تقول، ولكن على أساس من صحيح الفكر: فللمجتمع شعور بالعرض وشريف المبادىء، ولن يغفر لك - ما دام فى معياره السليم - زلة العرض أو شريف المبادىء، لأن قولك حينئذ للتدمير وليس للتعمير.

وأنت كذلك حر فى أن تفعل ما تشاء، ولكن حينما ينبع عملك من مصدر انطلاق أمنك، ولا يقف عثرة فى سبيلها ولا يحقق مطمعك على حسابها، أو ينقض خيطا من خيوط شرفها ومقدساتها.

إن الإسلام لا ينكر فضل المفكر فى صورة القول والعمل، بل جعله مناط فضيلته، ودفع الخلق إليه وسيلة من وسائل

(البقية ص ٤٩٢)

من كفاح الأزهر :

محمود أبو العيون

للدكتور محمد رجب البيومى

— ٢ —

إذا كانت دعوة أبى العيون إلى إلغاء البغاء مع وضوحها الساطع الصريح قد وجدت من أفذاذ الكتاب من يقف منها موقف المعارض المحجوج ؛ فإن الدعوة إلى تدريس الدين الإسلامى بالمدارس المصرية لم تعدم من هؤلاء من يتربص بها السبيل محاولا أن يذهب بها إلى الضياع ، ولكن الكثرة العاقلة من ذوى النزاهة قد آزروا الأستاذ أحسن مؤازرة ومن ورائهم النابهون من أولياء الأمور ، وكانت الصحافة بعض ميادين المجاذبة الفكرية فى توضيح الهدف البارز من تدريس الدين الإسلامى ، إذ دأب الأستاذ أبو العيون أن يتحدث فى مطلع كل عام دراسى عما يوجهه المعترضون على تدريس الدين من شبهات ، وإذا كان بعض هـؤلاء المعترضين من كبار رجال التربية وممن يزعمون لأنفسهم دراية واعية بأساليب التدريس المعاصر ، فإن أبا العيون قـد واجههم بدراسات مستأنية تنهض فى وجوههم دون أن ينال منها المتباصر المتشدق بدراسات علوم التربية وعلم النفس والاجتماع ولعل أقوى حجة يتذرع بها هؤلاء ؛ هى أن تلاميذ المدارس المدنية يكونون عناصر دينية مختلفة ، فتقرير الدين فى امتحانهم ينافى وحدة الامتحان ويسىء إلى نظام الدرجات ويدعو إلى تغيير نظام الامتحان تغييراً لا يتفق ومصلحة التعليم !!

وقد واجه أبو العيون هذا الاعتراض بمناقشة فاحصة تحمل أحد حلين مقترحين يتلافى بأحدهما ما قد ينجم من خطر فى رأى المعترضين ، ويسرنا أن نقول إن وزارة المعارف فيما بعد قد أخذت بأحـد هذين الاقتراحين مع بعض التعديل حـين رجع المتباصرون بأساليب التربية إلى صواب أبى العيون بعد أن أقنعهم بما لا مزيد عليه من البرهان ، وقد قال الأستاذ يفند حجة القائلين بأن التعليم الدينى ينافى وحدة الامتحان ويسىء إلى نظام الدرجات بما خلاصته :

« أما أنه ينافى وحدة الامتحان فصحيح ولكن هذه الوحدة لم تكن نظاما جوهريا فى امتحانات الوزارة ، لأنها لا تراعى فى القسم الثانى من التعليم الثانوى (إذ ذاك) بشطريه العلمى والأدبى مع أن شهادتهما واحدة وقد تؤهلهما لدخول كلية واحدة وأما أنه يسىء إلى نظام الدرجات فمن الممكن تجنب هذه الإساءة بألا تحسب درجات التعليم الدينى ضمن درجات الترتيب فى حالة نجاح التلميذ على أن يعتبر راسبا إذا نقص عن النهاية الصغرى المحددة لمادة التعليم الدينى ، كما يمكن أن نجعل مادة الدين ومادة الأخلاق مادتين اختياريتين يدرسان معا للطلبة ، كل منهما فى حصص مستقلة ، وعند الامتحان يلزم الطالب المسلم بالإجابة على أسئلة الدين ، ويخير غير المسلم بين الإجابة على أسئلة الدين والإجابة على أسئلة الأخلاق وتحسب درجات كل منهما فى النجاح والترتيب أسوة بالمواد الأخرى وهذا النظام الذى نؤثره على غيره ليس غريبا فى نظم الوزارة إذ عمل به فى مثل مادتى التاريخ والجغرافيا ، إذ يكتفى التلميذ بالمدارس الابتدائية (إذ ذاك) على الإجابة عن إحداها . . » وقد انتهت الوزارة بعد نقاش طويل صبر عليه الأستاذ أبو العيون عدة سنوات إلى الأخذ باقتراحه الأول مع بعض التعديل ، وكان ذلك نصراً أدبياً يحسب له فى سجل الكادحين من ذوى الغيرة على الخلق والدين .

وفى خلال هذه الحومة التربوية اندرجت الحلبة عن جبهة ثانية نهض لها أبو العيون بشجاعة ، حين أنشىء معهد التمثيل فى عهد الوزارة الصدقية الأولى ، وكان الرقص التوقيعى بين برامجه فاعترض الأستاذ بشجاعة على مراد سيد أحمد باشا وزير المعارف إذ إذاك ، واتخذ من الأهرام منبراً لتأييد نظرته حتى ضج خصومه واقترح مغرور منهم بإحالته إلى مجلس تأديب إذ هيج الرأى العام على معالى الوزير ، ثم جاء حلمى عيسى باشا فاستجاب لأبى العيون عن اقتناع ، وقام الدكتور طه حسين وقمد منددا بالوزير ، وظلت الرحى دائرة حول الرقص التوقيعى حتى استجاب بعض المشرعين إلى إعادته ، فواصل الأستاذ هجومه وآزر أحمد مرسى بدر وزير المعارف فى سنة ٤٩ حين قرر إلغاء الرقص ، ومن يقرأ مقالات الأستاذ المتتابعة فى هذا المضمار يعرف أنه ما قصر فى الدعوة إلى

السنن القويم لحظة عين ، وقد جاءت الرياح في هذا الموضوع بالذات بما لا يشتهيه ، إذ تعاون المفتونون ببرامج أوربا على تزوير الحقائق فضلوا وأضلوا كثيراً .

ولن ينسى أحد صيحة أبي العيون شيخ علماء الاسكندرية بالدعوة إلى تنظيم الشواطيء ومنع التبرج السافر والاختلاط الفاضح ، وقد تكالبت عليه الكثرة المفتونة بشهواتها ، فملأت الصحف تشهيراً بالرجل ، وتوالت الصحف الهازلة ترسم صورها الكاريكاتورية تنديداً بعالم غيور جاء بالحق من ربه ، وأملك لمتخرصون فزعموا أنه يدعو إلى إلغاء المصايف المصرية خدمة للمصايف الأوربية وفق اتفاق سرى عقده الشيخ مع دعاة الانحلال ! وهذه كذبة مفضوحة ردت على أصحابها خاسئة ذليلة ، بل إن الصحف الجادة قد شاركت الهازلة في بعض الحملة على أبي العيون ، فرأينا مثل الدكتور زكي مبارك يكتب في مجلة الرسالة الرصينة ليقول في عناد نقلا عن العدد (٥٢٩) .

« ماذا أصنع وأنا أعتقد أن الشواطيء المصرية من أجل ماخلق الله ، وأن زيارتها تزيد في قوة العقل والفكر والذوق ، ولن يرضيني أن أفعل ما يفعل الشيخ أبو العيون وهو يتوهم أن زيارة الشواطيء تفسد الأخلاق ، إن أبا العيون يغرق في كوز ماء فكيف نسمع كلامه في البحر المحيط لقد آن الوقت لأن نسمعه كلمة الحق ، آن الوقت لأن ننهاه عن الغض من حياة الشواطيء وهي نعمة عظيمة من بها المنعم الوهاب على أهل هذه البلاد ، إن أبا العيون الواعظ يحتاج إلى واعظ ، وأنا أخشى أن يغضب الله عليه إن استمر على هذا الأسلوب من الوعظ المقلوب » إلى آخر ما قال

وقاريء كلام الدكتور الحصيف يظن أن أبا العيون يحارب المصايف المصرية ويدعو إلى إبادتها كما أرجف عليه سفهاء الصحف المبتذلة مع أن الشيخ يدعو إلى تطهيرها من الموبقات ، وقد لخص دعوته الهادفة في اقتراحات موجزة رفعها إلى نفر من المسئولين ودعا إليها بالأهرام ، وقد أوجزها في هذه النقاط التي ننقلها عن ص ٣٨٨ بالمجلد العاشر من مجلة الأزهر سنة ١٣٥٨ هـ إنصافا للتاريخ ! وها هي ذي :

١ — تخصيص حمامات للسيدات مجانا في المناطق القريبة كالشاطبي والإبراهيمية وجليم ، أو تخصيص زمن للسيدات صباحا

كما هو متبع فى بعض المصايف الأخرى مع وضع رقابة على هذه الحمامات لوقايتها من عبث الشبان بوساطة البوليس فتوجد فرص للأسر الحريصة على صيانة كرامتها وشرف آدابها من اختلاط الجنسين وعبث المستهترين

٢ — إيجاد نقطة دائمة من البوليس فى كل بلاجات الثغر بشرط أن تكون النقطة ثابتة لا تنتقل من مكانها ويكفى فى كل بلاج كونستابل وجنديان لمعاونته .

٣ — تعديل لائحة الآداب الخاصة بالشواطىء بما يمنع أى منظر مخالف للآداب العامة سواء فى الماء أو على الشاطىء .

ويترك هذا لتقدير رجل البوليس الذى يختار من ذوى السيرة الشريفة والسمعة الحسنة .

٤ — ينص فى اللائحة على أن يخول البوليس سلطة إزالة أى كبينة استحمام أهلية تحدث فيها أمور مخالفة للآداب ويكون ذلك عقب إنذار يوجه إلى ساكن الكبينة كما تكون الإزالة على نفقة صاحبها

٥ — تقفل الشواطىء جميعها، وتخلى الكبائن من جميع ساكنيها وقت الغروب مباشرة .

٦ — يؤلف بوليس نسائى لحماية هذه المقترحات مع التعاون بين بوليس آداب المدينة والبلدية .

ولا تزال هذه المقترحات العادلة تتطلب التنفيذ السريع ، وإن ذهب صاحبها إلى رضوان ربه ، تاركا آراءه الصالحة نبراسا للعاملين بعد أن أسهم فى كل نهضة اجتماعية مخلصة ، وحارب كل رذيلة فردية أو جماعية مستهينا بما يهدد منصبه وحريته ، وتمثل لذلك بحملاته على الحفلات الماجنة التى أقامتها شوبكار ودعت إليها فاروق إذ كتب مقاله الشهير مفتتحا بقول الراجز .

إحدى لياليك فهيسى هيسى

لن تنعمى الليلة بالتعريس

فترك من الأثر ما جلجل صداه فى الضمائر والأسماع وما بنا أن نفصل حسبنا أن نشير .

أما نشاطه السياسى ، فقد بدأ به كاتبا فى جريدتى المؤيد واللواء أيام كان طالبا بالأزهر فدرسا ناشئا يخط طريقه العلمى ، وقد أمدته مدرسة مصطفى كامل السياسية بجذوة مشتعلة تلهب صدره ضد الغاصبين، وكان على يديه وأيدى رفقائه من خطباء الأزهر واندلاع الثورة المصرية فى البلاد عقب اصطدام الإنجليز بسعد زغلول، إذ خطب أبو العيون منددا بالاحتلال فى جمع حاشد

لم يترك مكانا لقدم بالجامع الأزهر، ثم انطلق الثائرون فى أول مظاهرة كبرى أزعجت الإنجليز، وفوجىء بها سعد زغلول نفسه كما ذكر العقاد فى تاريخه عنه إذ أن الزعيم الكبير لم يكن يتصور أن تنتفض البلاد انتفاضة رنانة ما بين عشية وضحاها، ولكن خطباء الجامع الأزهر من علماء ومحامين وطلاب ومدرسين قد أعلنوا صرختهم المدوية فدفعوا بالجمهور إلى مظاهرات عاصفة قادها أبو العيون ومصطفى القاياتى وعبد ربه مفتاح وعبد اللطيف دراز على نحو ما ذكرناه فى مقال لنا بمجلة الأزهر من قبل، وإذا كان الحديث هنا مقصوراً على أبى العيون فإننا نذكر أنه تعرض إلى رصاص الاحتلال أكثر من مرة، وحكم عليه بالسجن الجائر فانتقل به الإنجليز إلى معتقل نازح على حدود رفح فما لانت له قناة وقد رأى المحتلون أن العاصمة الكبرى فوق منالهم بما ألهب خطباء الأزهريين القاهريين من حمية ثائرة يندلع لهيبها فى كل صدر، فأرادوا أن ينتقموا من الإسكندرية انتقاما يكون موضع العبرة للقاهريين فقاموا بمذبحة حمراء ذهب ضحيتها عشرات الأبرياء من الشهداء، وطار النبأ إلى القاهرة فكان أبو العيون أول خطيب ثائر ندد بالمذبحة الحمراء فى ألفاظ غاضبة تقتلع الأطواد فأجج النار فى صدور المصلين يوم الجمعة بحيث خرجت الأمواج الغاضبة فى مظاهرة مدوية قاومها الإنجليز بالرصاص فسقط عشرات الشهداء، واعتقل الخطباء مرة ثانية وعلى رأسهم أبو العيون، والعجيب أن الرجل قد واصل جهاده القوى فى ظلام السجن فأخذ يرسل المقالات الملتهبة إلى الصحف الوطنية، وحرص السجين البرىء على مقاطعة ملنر [1] فى مقال وقعه بإمضاء محمود أبو العيون السجين رقم ٤ برفح فكان لتوقيعه مغزى كبير لدى الوطنيين والمحتلين معا ثم خرج من السجن ليكتب مقالاته السياسية تحت عنوان (الصحيفة السوداء) وقد بدأها فى ٦ يناير سنة ٢٢ وختمها فى ١١ فبراير من العام نفسه فانتظمت سبع عشرة حلقة تتكلم عن جرائم بريطانيا منذ داست أرض مصر، وتفضح مآسيها فى كل مرفق من مرافق الحياة بوادى النيل متحدثة من تدهور الجيش والخزانة والتعليم والصحة والمستوى الاجتماعى على أيدى الدخلاء

[1] من بحث جيد عن أبو العيون للاستاذ أنور الجندى فى كتابه « أعلام وأصحاب أقلام » ص٦٠٤ وما بعدها .

ومؤيدة بالإحصاءات المدعمة بالأرقام ، وكأن الأستاذ قد أعد نفسه لهذه الحلقات من سنوات ، وكان طبيعياً أن يغضب أعداء البلاد لجرأته الصارخة ، فحققوا معه ولم يجدوا ما يتهمونه به فى التحقيق إذ بهر وكيل النائب العام بصدقه وإخلاصه فاكتفوا بنقله من القاهرة وحرم على جريدة الأهرام أن تنشر مقالات له تحت عنوان (الصحيفة السوداء) ومازال المجاهد يدافع بلسانه خطيبا ومتحدثا وبعيدا وقريبا بعد أن حيل بينه وبين الصحف حتى قرت الثورة وهدأ الناس.

وإذا كان الفارس الأصيل لا يترك ميدان الكفاح فى أية مناسبة تتاح ، فإن أبا العيون قد خرج من نشاطه السياسى ليفتح جبهة اجتماعية يندد فيها بما لمس من تدهور خلقى ساعد عليه الاحتلال وروج له الملوثون بأقذار أهوائهم والمنخدعون بتقدير الحضارة الأوربية الوبيئة دون الالتفات إلى لبابها الجاد العامل ، فتصدر الأهرام ليخط مقالاته الرنانة تحت عنوان (يا ضيعة الأخلاق فى عهد الحرية) فى عشر مقالات حافلة بالتنديد والتوجيه معا، وذلك بعد أن نجح نجاحا ملموسا فى محاربة البغاء بمعركة دامت بضع سنوات هيأ الأذهان إلى استفظاع هذا المنكر ، ثم انتقل الى الحديث عن الأخلاق بعامة فى مقالاته العشر ، فأعلن أن ثورة ١٩١٩ قد تمخضت من الناحية الاجتماعية عن شرور خلقية مبيدة ، لأن بعض الكاتبين من عملاء أوربا قد خدشوا الكرامة الخلقية بما روجوا من اعترافات ساقطة ، وما وضعوا من مسرحيات جنسية هابطة ولم يروا غير الإباحية مجالا لإسفافهم الشائن ، فتأثر بهم القارئون من الشباب، واندفعوا إلى التخلص من آداب الشرف والكرامة تحت ستار الحرية والتقدم الحضارى ، وقال الأستاذ فى نخوة ثائرة :

« لقد كانت النفوس قبل هذا العهد بعيدة عن الأغراض والأهواء ، وكانت أحكام الدين والأخلاق تدرك وتحترم ولكن القحط الخلقى أصاب اليوم جماعة الشباب فأوهى فيهم الروابط الاجتماعية ومكن للرذيلة من نفوسهم فانغمسوا فى حمأتها ، وأصبح الكثير منهم يحذق الملق والكذب والنفاق ويألف الذلة والهوان ، وأصبحت الكفاءات والأهواء بقدار ما يبذله الشاب لرئيسه من التخضع والمداهنة والرشوة حتى

صرت لا تجد من الشباب المتعلم - إلا قليلا - من لا تنازعه نفسه إلى فجور، ولا تفتح له عين لريبة، فلا يلحقه فى ذلك ذم ولا تناله وصمة، ولقد نظم كثير من أولئك الشباب للمآثم وللشاين دورا ونوادى يختلف إليها الجنسان، وفى ساعة يغفل فيها الزمان تستباح كرامات وتمتهن أعراض، ومن البلية أن تجد نفوس أولئك الشباب قد مرضت مرضا خلقيا لا أرى علاجه هينا فهم لا يرون عيبا فى اقتراف أى شائبة تكون بعيدا عن العمل الرسمى؛ لأن تلك فى نظرهم الخاطىء مسائل شخصية لا تسىء إلى العمل ولا إلى المجتمع فى شىء، وأعجب أن تكون حالهم على ما وصفنا، ثم يؤمنوا فى وظائفهم على دانق أو سحتوت، كأن الذمم تتجزأ والضمائر تتقسم» ولن نستطيع أن ننقل أكثر من هذه السطور ولكننا ندعو القارىء إلى مطالعة مجموعة جريدة الأهرام سنة ١٩٣٤ ليرى نصوص هذه المقالات النارية كما خطها كاتبها الغيور كما يلمس صداها لدى القراء والكاتبين فيما حاولوه بإزائها من تعقيب، والحقيقة أن أبا العيون كاتب اجتماعى غفل عنه المنصفون وكأنه رحمه الله ساعد على هذا الإهمال حين ترك آثاره الكثيرة بددا فى الصحف دون أن يجمع مختارات منها فى بضعة كتب تسعف القراء، ونحن فى زمن كثرت فيه الدراسات الأدبية والاجتماعية ونهض طلبة الدكتوراه والماجستير فى كليات الجامعات للحديث عن أصحاب الأقلام من الأدباء والباحثين فى رسائل جامعية تعد وتناقش وتمنح عليها الدرجات العلمية. أفلا يقوم طالب من هؤلاء بالبحث عن خصائص أبى العيون الكتابية أو اتجاهاته الإصلاحية، أو نشاطه القومى فى الثورة المصرية أو يجمع ذلك كله فى ترجمة تحليلية تمده بالطيب المفيد من التفكير والتحليل والتدليل، نأمل أن نرى مثل هذه الدراسة الجامعية قريبا، فنعلم أن أمثال أبى العيون من حماة الفضيلة وأباة الضيم وأئمة البيان مذكورون متقدرون، لا أنهم كما نلمس الآن مجفوون مهملون ؟

د محمد رجب البيومى

المسجد وأثره في الحياة الإسلامية

للأستاذ محمود الشرقاوي

تقديراً لرسالة المسجد وإشعاراً بقيمته وأثره في العقيدة وفي الحياة الإسلامية، نجد اسمه مذكوراً في ثمان وعشرين آية من القرآن الكريم.

هذا العدد لكلمة (مسجد) وحدها، أما مشتقات (سجد) مثل كلمات (الساجدين) و (سجودا) و (سجدا) و (اسجدي) و (يسجد) فهذه تذكر في القرآن الكريم في سبع وستين آية غير ما ذكر فيها باسم (البيت): «وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا»[1] وغيرها كثير.

ومن آداب المسجد التي نعرفها في هذه الآيات الكريمة أن للمساجد خصصة للعبادة وذكر الله وحده: «وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً»[2].

وأن بناءها والجلوس فيها لابد أن يكونا لله وحده: «إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر»[3].

[١] البقرة: ١٢٥.
[٢] الجن: ١٨.
[٣] التوبة: ١٨.

وأن السجود لله هو أكبر مظهر من مظاهر الإيمان، وعلاماته ودلائله، فعباد الرحمن تصفهم الآية الكريمة بأنهم: «يبيتون لربهم سجداً وقياما»[1].

وتصف الذين أوتوا العلم من قبله، بأنهم إذا تليت عليهم آيات الله: «يخرون للأذقان سجداً»[2].

«إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجدا»[3].

وتأمر آيات الله المؤمنين بأن يتوجهوا إلى الله بالدعاء عند المساجد: «وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين»[4].

* * *

وأهل اللغة يقولون: المسجد، على وزن (مَفْعِل) اسم لمكان السجود، وأهل الشرع يقولون: المسجد كل موضع من الأرض، لقول النبي عليه السلام:

[١] الفرقان: ٦٤.
[٢] الإسراء: ١٠٧.
[٣] السجدة: ١٥.
[٤] الأعراف: ٢٩.

« جعلت لى الأرض مسجدا وطهورا » ، وهـذا من خصائص الأمة الإسلامية ، « لأن من كان قبلنا كانوا لا يصلون إلا فى موضع يتيقنون طهارته ، ونحن خصصنا بجواز الصلاة فى جميع الأرض ، إلا ما تيقنا نجاسته ، قاله القاضى عياض ، وفى شرح للمهلب على البخارى : « المخصوص به هو النبى عليه السلام ، وكانت الأنبياء قبله إنما أبيحت لهم الصلوات فى مواضع مخصوصة كالبيع والكنائس ، أما كونها مسجدا فلم يأت فى أثر أنها منعت من غيره » وقاله القرطبى أيضا .

وقد كان عيسى عليه السلام يسيح فى الأرض ، ويصلى حيث أدركته الصلاة ، فكأنه قال : (جعلت لى الأرض مسجدا وطهورا وجعلت لغيرى مسجداً ولم تجعل له طهورا . وهـذا هو الظاهر من حديث جابر وأبى هريرة فى عد الطهور والمسجد فى حكم الواحد) [1] .

ويقول لسان العرب : « المسجد ، بالفتح جبهة الرجل حيث يصيبه ندب السجود » .

وإذا قيل « المسجدان » كان المراد بهما مسجدا مكة والمدينة .

[1] ص ٢٧ — ٢٨ من كتاب إعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشى .

والسجود أشرف أفعال الصلاة ، لما جاء فى الحديث الشريف : « أقرب ما يكون المرء إلى ربه وهو ساجد » لذلك سمى مكان الصلاة « مسجداً » ، ولم يسم « مركعا » مثلا .

ويقول أهل العرف الشرعى : « خصص المسجد بالمكان المهيأ للصلوات الخمس حتى لا يدخل فى اسم المسجد المصلى الذى يجتمع فيه الناس لصلاة العيد ونحوها ، ولا المدارس والرباطات » .

وأول مسجد أقيم فى الإسلام هو المسجد الحرام ، يقول الله تعالى : « إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا » [1] .

وروى عن أبى ذر أنه سأل النبى عليه السلام عن المسجد الذى أقيم بعد المسجد الحرام فأجابه : « المسجد الأقصى » وقد أسس فى سنة ١٥ هـ حين فتح عمرو القدس .

عندما قدم عمر بن الخطاب القدس عام فتحها : (استشار كعب الأحبار : أين يقع المسجد ... ؟ قال كعب : اجعله وراء الصخرة ، فقال له عمر : ضاهيت اليهودية يا كعب ، بل نجعله صدر المسجد ، وهو

[1] آل عمران : ٩٦ .

الصخرى اليوم ، ثم نقل التراب عن الصخرة في طرف ردائه وقبائه ، ونقل المسلمون معه في ذلك ، وسخر أهل الأردن في نقل بقيتها . وكان الروم قد جعلوا الصخرة مزبلة لأنها قبلة اليهود[1]) .

وللمسجد الحرام كرامة كبرى يذكره في القرآن الكريم أنه أول بيت أقيم في الإسلام ، وقد ورد ذكره في خمسة عشر موضعا من القرآن .

وأول مسجد أسس في أفريقيا بعد دخول الإسلام إليها هو جامع « الفسطاط » الذي أنشىء في سنة ١٣ هـ ، ثم جامع « الناقة » في طرابلس الغرب ويسمى جامع « عمرو ابن العاص » سنة ٢٣ هـ ثم جامع « عقبة » في « القيروان » بالمغرب سنة ٥١ هـ ثم جامع « الزيتونة » سنة ١١٤ هـ .

وقد رويت أحاديث كثيرة في فضل الصلاة في المسجد الحرام ، وروى البخارى ومسلم من حديث أبي هريرة ، أن النبي عليه السلام قال : « صلاة في مسجدى خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد ، إلا المسجد الحرام » . والمعنى أن الصلاة فيه — في المسجد الحرام — خير من الصلاة في مسجد الرسول » .

كما رويت أحاديث كثيرة في فضل مساجد مكة والمدينة والمسجد الأقصى[1] .

وقيل لسلمان الفارسي أوصنا ، فقال : « من استطاع منكم أن يموت حاجا أو غازيا أو عامراً لمسجد ربه فليفعل » .

فقد جعل تعمير المسجد ساريا في الثواب والكرامة للحج والمغازاة في سبيل الله .

(صفاء الروح)

أما الطاقة الروحية وصفاء النفس وطمأنينة القلب التي يجدها المؤمن حين يجلس في المسجد النبوى خاصة ، فأمر عسير أن يصفه كاتب .

وإني ولم يأذن الله أن أشهد هذه المشاهد أترك الحديث عنها لمن شهدها وهو أقدر منى على وصفها ، والتعبير عن الأحاسيس العميقة الصادقة التي يحسها من شهدها وعاش فيها : (... وعلا صوت المؤذن بالنداء للصلاة : الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، حى على الصلاة ، حى على الفلاح ، الله أكبر ، لا إله إلا الله .

---

[١] البداية والنهاية لابن الأثير ، ص ٥٠ ، الجزء ٦

[١] صحيح البخارى الجزء ٢ طبع المنيرية ص ٦٠

ما أجـــل هذا النداء وأعظم وقعه في النفس! إنها لتهتز له وتفيض حين سماعه إكبارا وتقديسا، والقلب والروح وكل جارحة وكل عضو تتجاوب لسماعه وتردد صداه في إيمان وإسلام، وكلما ألقى المؤذن مقطعا منه دوى المسجد بالجواب عليه صادرا من عاطفة قوية في صـدق إيمانها بالله، فلا يكاد ينتهى من ندائه «حى على الصلاة حى على الفلاح» حتى يدوى المسجد كله مجيبا: «لا حول ولا قوة إلا بالله» ويربط هذا النداء وتربط هذه الإجابة بين قلوب المصلين برابطة تزيد إخاءهم في الله قوة على قوة، فتنهار الفوارق بينهم ولا يبقى منهم قوى وضعيف ولا غنى وفقير، بل يصبحون رجلا واحدا وقلبا واحـدا كله الإيمان بالله والتوجه إلى جانبه جـل شأنه توجه صدق وإخلاص) [١]

وصلاة الجمعة بالمسجد الحرام من أروع مظاهر الإيمان في الجماعة الإسلامية، هذا الإيمان القوى في بساطته، البالغ في قوته والذى يجمع بين الحـرية والنظام جمعا لم أقف على ما يقرب من روعته في أى مذهب من المذاهب والنظم الحديثة أو القديمة التى أطلعت عليها، ولقـد رأيت في أسفارى الكثيرة ببلاد يدين أهلها بغير الإسلام من شعائر العبادة ومن نظم الجماعة ما فيه مهابة ورهبة ونظام، ولقد حضرت صلاة الجمعة في بلاد إسلامية شتى، ولـكنى لم أر في شيء من ذلك ما يقرب في جلال مظهره وقوة روعته، وفى جمعه بين الحرية والنظام وبين الاعتداد بالذات والإسـلام لله، مما رأيت في صلاة الجمعة بالمسجد الحرام، ولم يطبع شيء من ذلك كله من الأثر العميق في نفسى ما طبعته صـلاة الجمعة بالمسجد الحرام من أثر بالغ في عمقه، فما أفتأ كلما أذكره أشعر به متغلغلا في أطوار روحى يسمو بها إلى ذروة الإيمان ويرقى بها إلى ما فوق مستوى الإنسانية الذى نألفه [١].

وقد وصف «ابن بطوطة» جمـوع المسلمين وصلاتهم في الحرم النبوى وصفا مؤثرا يصبح أعظم لواعج الحنين والشوق والروحانية.

(... فإذا أهل «رمضان» ضربت الطبول عند أمير «مـكة» ويجدد فرش

[١] في منزل الوحى للدكتور محمد حسين هيكل ص ١٦٦، ١٦٧.

[١] ص ١٦٥، ١٦٦ من المصدر السابق

المسجد الحرام بالحصير ، ويعتنى به بالمشاعل والشموع حتى يتلألأ نوره ويسطع بهجة وإشراقا ، ويتكاثر فيه العباد والقراء . حتى لا تبقى في الحرم زاوية ولا ناحية إلا وفيها قارىء يصلى بجماعة ، فيرتج المسجد لأصوات القراء وترق النفوس وتهمل الأعين . » وفي ليالي الوتر من أواخر رمضان يختمون القرآن في حضور القاضي والفقهاء وكبراء المدينة ، ويحتفل بختم القرآن لولد أتم حفظه من كبرائها ، فيقام لذلك منبر مزين بالحرير ، وتوقد الشموع وتلقى الخطب ، ثم يستدعى أبو الولد الناس إلى منزله فيطعمهم الأطعمة الكثيرة والحلوى . وأعظم هذه الاحتفالات يقام في ليلة القدر ليلة السابع والعشرين من رمضان ، ومثله يقام في استهلال شهر شوال ، مفتتح أشهر الحج) [١] .

والاعتكاف في المسجد عبادة كبرى وسنة مؤكدة وخاصة في رمضان ، عرفها المسلمون وحرصوا عليها ، حتى النساء ، فقد ذكر المؤرخون أن السيدة نفيسة بنت سيدى حسن الأنور كانت تعتكف في مسجد عمرو بن العاص بالقاهرة .

وللاعتكاف آداب يعرفها من يريدها في كتب الفقه ، وقد ذكر في الآية الكريمة « وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود » [١] .

والصلاة في المسجد والوعظ والاعتكاف والجلوس فيه آداب ذكرها الغزالي في : « الإحياء » [٢] .

والاعتكاف سنة مرغوبة ، روى « البخاري » عن « عائشة » قالت : « إن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله ، ثم اعتكف أزواجه من بعده » [٣] .

ومن آداب المسجد ، ألا يخرج منه أحد إذا أذن المؤذن ، في « مسلم » عن أبي الشعثاء قال : (كنا قعودا في المسجد مع أبي هريرة فأذن المؤذن ، فقام رجل من المسجد يمشى فأتبعه أبو هريرة بصره حتى خرج من المسجد فقال أبو هريرة :

---

[١] ص ١٠٢ من كتابنا : « رحلة مع ابن بطوطة من طنجة إلى الصين والأندلس وأفريقيا الجزء ١

[١] البقرة ١٢٥

[٢] الباب الثالث في « المنكرات المألوفة في العادات » .

[٣] انظر « باب الاعتكاف » من صحيح البخاري .

أما هذا فقد عصى أبا القاسم : صلى الله عليه وسلم) .

وفى كتاب الصلاة من صحيح مسلم آداب وترغيبات كثيرة بجدير بوراد المساجد أن يعرفوها ويعملوا بها ، منها أن المشى إلى الصلاة تمحى به الخطايا .

و « أفضل الجلوس فى مصلاة بعد الصبح » و « فضل المساجد » و « فضل كثرة الخطا إلى المسجد » و « ما يقال إذا دخل المسجد » و « تحية المسجد عند القدوم من السفر » . وغير ذلك .

وفى المقال القادم نتحدث عن « رجل المسجد » .

محمود الشرقاوى

بقية المنشور على ص (٤٧٩)

تحقيق العقيدة ، وعمارة الأرض والنظر فى الآب ، ونعى على المعطلة أفكارهم فقال : أو لم يتفكروا .. أو لم ينظروا .. وجعل الآيات والعبر لأولى الألباب ، ولقوم يتفكرون . . ونادى المؤمنين ليعملوا قائلا : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله » .

كما أنه لا ينكر أيضا جريمة الفكر فى صورة القول أو العمل ، فالمذاهب الهدامة المنتشرة ، والأزياء الفاضحة الخاسرة والآثار الجريئة المخربة ، والديار السليبة المعذبة ، والأرواح البريئة المشردة .. كلها آثار الأفكار الطليقة المتحررة من قيود الشرائع وحدود القيم ، فهى تعمل للتدمير لا للتعمير .

أما بعد . فإنه ليس لحساب أحد غير أعداء الإسلام، غفلة الناس عن دينهم وعدم تحديدهم لمفهوم حريتهم ، وليس لحساب أحد غير أعداء الإسلام أن يخاف رأى المفكر بعينيه صفحة الحق إذا عجزت يده وأن يجاب الأخذ على أيدى خارق السفينة فتهوى به وبهم إلى ظلمات بعضها فوق بعض ومن يضلل الله فما له من هاد ؟

د . عز الدين على السيد

كلمة التوحيد

عن الشاعر محمد إقبال

للأستاذ الصاوي شعلان

لا إله إلا الله

إن لكلمة التوحيد تأثيرها البالغ في حياة الأمم فهي للفرد والمجتمع عقيدة القوة وركيزة التقدم والانطلاق وإفراد العبودية للخالق ورفض كل عبودية لما سواه فالمؤمن لا يخضع الجبين لغير الله فيقول إياك نعبد وإياك نستعين .

ولو نظرت الأمة بعين الشهود واستيقنت ما في كلمة التوحيد من المعنى القدسي ما استطاعت أن تقهرها أمة أخرى أو أن تنال من عزتها ، ولا يستطيع أن يتذوق للمعنى الجليل لكلمة التوحيد سوى من عمل بمقتضاها وسلك طريق الحياة على هداها .

والذين تذوقوا طعمها وأطلق عليهم إقبال رجال الحال هم الذين أفادونا بتجاربهم وبما نالوا من ثمراتها وما بلغوه من الرقي حين تزودوا بها .

وتحتوي كلمة التوحيد على أصلين هما قوة الرد والقبول : ففي الأولى معنى الجلال وفي الثانية سمة الجمال ، وعند تلاقي القوتين يتعادل ميزان الحياة ويستقر كيانها فبغير لا وإلا تجري الكائنات بحسبان وتسخر الموجودات للإنسان .

إن كلمة التوحيد هي كلمة القدر التي بها خلق الله العناصر . من (لا) تتولد الحركة وبـ (إلا) ينتهي السكون وكلاهما البداية والنهاية لقوله تعالى : « كن فيكون » .

وإن أية أمة لا تضيء حياتها بمصباح لا إله إلا الله فإنما تحيى في الظلام ولا تستطيع أن تحطم الأغلال والأصفاد وليس لها مصير إلا العزلة والاستعباد .

والكفر بالطواغيت هو البداية التي يكون بعدها الإيمان بالله وحده وكما أن بناء بيت جديد لا يقوم على أنقاض فكذلك الشأن لا يمكن أن توجد العقيدة الصحيحة السليمة بالتوحيد إلا بعد محو عقائد الشرك ، فالملة التي يشتعل وقود إيمانها بالتوحيد تستطيع أن تعيد بناء حياتها جديداً لأن تلك الكلمة القدسية تبعث القوة وتحرق الرين وأدناس الشرك ليعود الإنسان بها إلى فطرته ، فالنطق بنفي

ما عدا الله أمام الطغاة دليل على الحيوية الصادقة واليقظة الكاملة .

إن جذبات العمق من كلمة التوحيد لا يخفق بها كل قلب ولكن تتحرك بها قلوب واعية صادقة العشق « إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب » « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » ولا يمكن أن تنتعش بهذه الجذبات كل روح فما كل حطب يصلح وقودا لمثل هذا اللهب الوهاج .

وإذا انبعث هذا الشعور فى قلب يوقن بنصر الله استطاع أن يجعل القاعدين قياما وأن يخلق من الكسالى أبطالا إذا ألقى اليهم نظرة .

إذا أردت أن تطلق الأسير من قيده والمستعبد من أغلاله فأنبت فى ترابه بذور التوحيد وإذ ذاك يعلم أن لا سيادة لأحد فوقه سوى الله ولن يكون سجوده على الأرض إلا لله الذى خلقه من ترابها وسواه فوقها بشرا سويا .

إن كلمة «لا» تحمل هول الرعود وتبعث الحركة فى الجلود وتخلق فى المتخاذلين قوة الصمود والمؤمنون بالله هم الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم ، اشترى النفوس وهو الذى خلقها ، والأموال وهو الذى رزقها ولا مشترى أعظم من الله ولا ثمن أغلى من الجنة والقصة هنا أن الجنة عرضت على التجار فظهر الأدعياء واختلط الكاذب بالصادق فقيل لهم : إن ربها لا يرضى لها بدون الروح والأموال جميعا فتقدم المؤمنون للعقد ، تعاقد الله فيه هو المشترى والمؤمن فيه هو البائع والسلعة هى الروح والثمن هو الجنة والشاهدان محمد وجبريل والوثيقة مسجلة فى التوراة والإنجيل والقرآن فلما تم الرضى وأمضى البيع قالوا بيع ربيح لا نقيل ولا نستقيل فقيل لهم :

لقد صدق إيمانكم وسنرد عليكم الحياة ومعها النصر أو الاستشهاد ومعه الفوز والخلود «فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » .

تلك هى كلمة التوحيد التى تحدد الصورة الإنسانية فى القالب الترابى هيكلا من النور يحمل بكلمة التوحيد أهوال يوم النشور .

فى مقام التوحيد يشدو خيالى
بصدى الحق من رجال الحال
إنما تدرك القلوب هداها
لصفاء الأحوال لا الأقوال
حرف «لا» مظهر لسر الجلال
وهو للجور منذر بالزوال
بعد تيه الظلام والظلم يبدو
عند الإشراق ضوء صبح الجمال

«لا» و«إلا» فتح لباب الحياة
واحتساب الوجوه والكائنات
بهما تقهر المهانة والضيم
وتعضى الأمور فى الحادثات
* * *
حين يقوى مع الرجاء اليقين
فجواب الأقدار كن فيكون
يدفع النفى للتحرك والعزم
وعند الإثبات يأتى السكون
* * *
كل شعب يروم عز حماه
فبنور التوحيد لا بسواه
ليس يحمى زماره غير حر
سيفه لا إله إلا الله
حرف «لا» آية لبدء المسير
فى طريق الجهاد نحو المصير
إنها أول المنازل طراً
لرجال الله العلى القدير
* * *
كل شعب يمضى بخطو سديد
للعلى فى حرارة التوحيد
يبتنى من ترابه صرح دنياه
ويحيى فيها بخلق جديد
قول «لا» قضبة أمام الطغاة
هو عند الأحرار معنى الحياة

ثورة من نضالها يصنع المجد
ويبدو تجدد الكائنات
ليس فى ذلك الجنون العريق
كل ثوب يفوز بالتمزيق
لا أرى فى الغثاء والقش يوما
حطبا صالحا لهذا الحريق
لا يمس التوحيد فكراً نقيا
وضميراً حيا وقلباً أبيا
لأحال الخمول والضعف إيمانا
وعزما يغزو نجوم الثريا
حرف «لا» صيحة تثير العبيدا
ليزولوا ما لم يزيلوا القيودا
ويقيموا فى الدهر عصرا جديداً
لا ترى فيه سيدا ومسوداً
لو سرت شعلة الهدى فى الصدور
وتمشى وميضها فى الضمير
لأقام الأحرار للهول يوما
يتحدى أهوال يوم النشور
صوت «لا» من دوى صوت الرعود
ليس شكوى ناى ولا لحن عود
لو يضيق الفضاء يوما على الحر
تخطى به نطاق الوجود

الصاوى شعلان

من الأصول السياسية والدستورية في الإسلام

للدكتور مصطفى كمال وصفي

— ٦ —

حرية العقيدة والفكر في الإسلام

تنص الدساتير الحديثة على أن حرية العقيدة هي حرية مطلقة لا يجوز تقييدها. والسبب في ذلك أنهم يعتبرون أن هذه الحرية هي أمر داخلي في النفس لا يتعلق بالتنظيم الاجتماعي ولذلك فلا يجوز تقييدها بأي قيد.

ولكن معنى ذلك أن يكون للإنسان الحرية في أن يكون ملحداً أو أن يعتقد ما يشاء مما يفسد الإيمان، كالقول بتناسخ الأرواح أو بعدم البعث أو غير ذلك

ولما كان النظام الإسلامي هو كما قدمنا نظام عقدي، وكانت المعاملات والأحكام كلها ترتكز على العقيدة، وقد شرحنا ذلك بإفاضة في مقالات سابقة، فإنه يتبين من ذلك أن حرية العقيدة في الإسلام ليست مطلقة. بل هي حرية إسلامية، بمعنى أنها مقيدة حتما بتعاليم الإسلام. فإن كان مسلما فإنه لا يجوز له أن يرتد وإن كان غير مسلم فإن عليه في دار الإسلام أن يحترم ما يقره الإسلام في العقائد والعبادات فلا يظهر استخفافا أو إهانة بها ولا يظهر من شعائره ما لا يقره الإسلام.

ولقد كان القول بحرية العقيدة في النظم الحديثة بابا لشيوع الإلحاد وتفشي الكفر حتى انهدمت عقائد الأجيال الحديثة وحتى فسد أمر الدين في البلاد غير المسلمة. وآل الأمر إلى ما آل إليه من تحدي الأديان وجحدها ونسيان أمرها وتعاليمها وإطفاء جذوة الإيمان في القلوب وانتشار ظلمات الكفر وما يؤدي إليه من سوء الخلق والمظالم حتى ظهرت جماعات فوضوية (كالهيبز وغيرهم) من المتشردين الذين يقترفون الجرائم ويعيشون معيشة القطعان ويهددون هذه المدنية بالزوال.

قبول المسلم بظاهر حاله:

ولكن القول بتقييد حرية العقيدة

يهدد التحكم فى دخائل النفوس ، وهو شر أنواع التحكم وأوسع الأبواب للاستبداد . فإن النظم التى سمحت بالتفتيش على العقائد واتهام الناس بالكفر والزندقة والنفاق قد ارتكبت أشنع الجرائم ضد الحرية وسمحت بأقسى أنواع الاستبداد باسم الدين .

ولذلك كان من المبادىء المقررة فى الإسلام أن يؤخذ الإنسان فى دينه بظاهر حاله .

فإن الإنسان لا ينتمى إلى المجتمع الإسلامى بحقيقة إيمانه ولكن بظاهر إسلامه . فمتى أظهر الإسلام كفاه ذلك فى عصمة نفسه وماله وعرضه ، وهى العصمة التى يتألف منها جوهر الحقوق والحريات فى المجتمع الإسلامى . ولأن الإيمان وظيفة فى بناء المجتمع وجمع كلمة الأمة واتحادها .

والأدلة التى تقوم على ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله » .

فقوله « حتى » هو حد بين العصمة والتعرض . فإن نطق بها واستقبل القبلة فذلك هو المسلم له ما للمسلمين وعليه ما عليهم .

وجاء فى سيرة ابن هشام (طبعة كتاب التحرير جـ ٤ ص ٢٣١) أنه لما ظفر أسامة ابن زيد بمرداس بن نهيك نطق بالشهادة ، فما نزع عنه حتى قتله ! قال أسامة : فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا أسامة من لك بلا إله إلا الله ؟ ! قال : قلت يا رسول الله إنما قالها تعوذاً بها من القتل . فما زال يلوى على ذلك حتى سبق عليه ما فعل مشقة عظيمة . وغير ذلك أدلة كثيرة .

ما لا يجوز من التكفير بالمعاصى :

ويترتب على ذلك أنه لا يجوز أن يرمى المسلم بالكفر إذا ارتكب كبيرة من الكبائر ، فإن ذلك يؤدى إلى تفتت الجماعة وانتقاضها واستباحة الدماء وزوال العصمة من المسلم بتهمة الكفر . فإن الإيمان كما قدمنا وظيفة فى ربط المجتمع وإقامة بنيانه . وقد استباح الخوارج دماء المسلمين بما قالوه من التكفير بالمعاصى وأجازوا قتل على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان وغيرهما وكانوا دائماً سبباً فى القلاقل والفتن فى دار الإسلام وقد عدل معتدلو الخوارج

كالأباضية عن ذلك . فقالوا : إن الكبائر تؤدى إلى كفر نفاق وليس إلى الإشراك الذى هو الخروج عن الملة ومع ذلك قد أجازوا مقاتلة الزناة والعصاة . وورد ذلك فى أبواب الدماء من كتاب شرح النيل وشفاء العليل وغيره .

الارتداد وحال للنافقين والزنادقة :

ومن نتائج تقييد حرية العقيدة أنه لا يجوز أن يرتد المسلم لقوله صلى الله عليه وسلم «من ارتد عن دينه فاقتلوه» (صحيح رواه الطبرانى) وتواتر الصحابة والسلف على ذلك . فإن ارتد استتيب فإن تاب ، وإلا قتل .

والردة ترتبط بأمور ظاهرة . وذلك بأن النطق بما ينقض الشهادتين ، أو بإتيان فعل يقتضى ذلك ، أو إنكار ما علم ضرورة من الدين قيل والسحر وسب النبى ﷺ والأنبياء والقول بمقالات الكفر كالتناسخ ونحوه .

وأما النفاق فلا يحكم به بالردة على قول الجمهور ، إلا ابن حزم قال فى المحلى : للمنافق يقتل . (جـ ١١ ص ٢٢٧) ولا أعلم غيره قال مقالته . والزنديق يقتل لأنه لا يقتصر على استبطان الكفر بل يظهر ما يدخل فى الردة وذلك كالقرامطة والسبعية ونحوهم.

وقد ظهر مرتد فى السودان فى الأعوام الأخيرة وحكمت محكمة الخرطوم الشرعية بردته فى ١٨ من نوفمبر ١٩٦٨ ونوقشت دستورية الحكم فى الجرائد واختصاص القاضى الشرعى فى ذلك . فرجح رأى الذين قالوا بصحة الحكم ، ولذلك لم يطعن فيه أمام المحكمة العليا وأصبح هذا الحكم نهائيا وهى سابقة لها أهمية قضائية كبرى (انظر جريدة الميثاق فى ٢٧ من نوفمبر ١٩٦٨ والأيام فى ٢٠ من نوفمبر ١٩٦٨ والرأى العام فى ٣ من ديسمبر ١٩٦٨ وهى من الجرائد التى تظهر فى الخرطوم) .

وقال الجمهور : يقتل تارك الصلاة للردة إن جحد وجوبها ، أو حدا إن تركها إهمالا واشتغالا وقال أبو حنيفة : يجبر على أدائها كل وقت ولا يقتل . ومانع الزكاة يأخذها منه الإمام قهرا ولا يأخذ زيادة عنها وإن قاتل عليها فالأظهر قتاله فإن قتل مات كافرا فلا يورث ولا يصلى عليه وقيل غير ذلك. أما ترك الصيام فالظاهر أنه لا يقاتل عليه ويترك لأمانته (الأحكام السلطانية لأبى يعلى صفحة ٢٦١ طبعة مصطفى الحلبى) .

غير المسلمين :

وأما غير المسلمين من أهل الكتاب

فإنهم يقرون على دينهم ، وكذا المجوس لأمرنا أن نسن بهم سنة أهل الكتاب .

قيل : وكذا من له شبهة كتاب كالصابئة .

ولهم أن يقيموا شعائرهم فيما بينهم ، فإن كانوا في قرية ليس فيها مسلم جاز أن يظهروا بها وإن كانوا في مصر فيه مسلمون فلا يظهرون الشعائر كضرب النواقيس وإحداث المواكب وغير ذلك من أمور العلانية ، ولا يجوز لأهل الكتاب أن يحدثوا الكنائس ، فما كان من كنيسة قديمة فإنها تبقى لهم ، ولهم إصلاحها وترميمها ، ولكن ليس لهم نقلها من مكانها إلى غيره لأن ذلك إحداث وإنشاء ، وإن كانوا في مصر ليس فيه مسلمون كان لهم إحداث الكنائس .

وفي ذلك أيضا تفصيل في الفرق بين أهل الصلح وأهل العنوة من الكتابيين .

وأما المشركون من أهل الأوثان فهؤلاء لا يقرون على دينهم في دار الإسلام إلا على وجه الأمان المؤقت .

فإن فتح للمسلمون بلداً فيه مشركون من أهل الأوثان ، فهؤلاء يخيرون بين الإسلام والسيف ، فإما يسلمون أو يقتلون وقيل : ذلك قاصر على العرب من نسل إسماعيل فقط ، وأما غيرهم أفيجوز أن يقروا الاسترقاق أو الجزية ، والرأى الأول أظهر .

ولكن يجوز لهؤلاء أن يدخلوا دار الإسلام بأمان مؤقت .

والأمان المؤقت سنة ، فإن زاد عليها وكان من أهل الجزية أقر عليها ، وإن لم يكن من أهل الجزية أبلغ مأمنه ، يعنى يرسل إلى الحدود حيث يكون آمنا

وإن أتى من الفعل ما يعتبر قبوله للذمة (أى أبدى رغبته في الإقامة الدائمة) وكان من أهل ذلك ، صار ذميا . ومثاله أن تتزوج المرأة في دار الإسلام لكن إقامة المرأة تابعة لزوجها فأفادت بذلك رغبتها في الإقامة الدائمة ، وليس أن يتزوج الرجل الحربي فيها لما ذكرنا ، من إفادة الإقامة فليس الرجل تبعاً لزوجته .

وكذا إن دفع الخراج ولو قبل السنة فإن الخراج من وظائف أهل الذمة في الأصل .

ولا يجوز لهؤلاء جميعاً أن يفعلوا ما ينقض ذمة المسلمين .

والنقض بلا خلاف إنما لحق بدار الحرب ، فإن لحق يهودى الآن بدولة إسرائيل زال أمانه لما بيننا وبينها من الحرب ، فإنه بذلك يصير خطراً على المسلمين

وعودته وتردده على الإسلام يجعلنا نرتاب فى أمره ونعتبره عينا علينا ولذلك تزول عصمته ويجوز أسره وقتله .

وكذلك إذا امتنعوا بأرض وحاربونا منها ، فإنهم يفقدون أمانهم بلا خلاف .

وقيل يفقد الذمى والمستأمن أمانهما إذا سبا الدين وأظهرا الاستهانة به وكذا إذا منعوا الجزية ، وكذا إن قتل مسلما أو زنى بمسلمة . وقيل غير ذلك على خلاف فى المذاهب .

وعلى أى حال فإن فعل شيئاً من ذلك عوقب به .

وعلى ذلك فليس لغير المسلم أن يظهر من الرأى ما يخالف الإسلام أو ينقضه أو يعتبر استهانة به ، وهو فى بعض المذاهب يعتبر نقضا للأمان يبيح أسره وقتله .

حرية الفكر :

ولا حرج فى الإسلام فى حرية الفكر فى غير ما تقدم .

وأن الإسلام يشجع البحث العلمى ويدعو له ، لقوله تعالى فى كثير من الآيات بدعوة المسلمين للتدبر والتفكر والنظر ، فلا يعاب على من قال بالخروج إلى الفضاء الخارجى والسفر إلى الكواكب .

وكذا فإن (داروين) لما استنبط نظريته فى النشوء والارتقاء من واقع حفريات أوهمته هذا الرأى ، سئل عن معارضة ذلك للدين فقال : لست قسيسا ! اسألوا رجال الدين فى ذلك . وأنا أقوله رأيا يحتمل الصواب والخطأ . فهو لم يكن إلا مسجلا لملاحظات علمية ولم يقصد التأثير فى العقيدة ، وإنما تأثر بها من لا برهان لديه من الإيمان .

وأما بالنسبة للمسلم فإن حرية الفكر الإسلامى وحرية إبداء الرأى بما يوافق الدين هو من الواجب والفرض . فعليه إن لاحظ ما ينقض الإسلام أو ينال منه أن يجهر برأيه وأمره إلى الله .

فإن الحريات الإسلامية كما بينا تكاليف ووظائف يجب القيام بها ، وليست مزايا أو متعة لأصحابها ، فإن ما نسميه الآن حرية الرأى هو فى الدين واجب وفرض كفاية ، ولا يقبل من المسلم السلبية والانعزال ، بل يكلفه أن يكون إيجابيا لصالح الجماعة عاملا على ما فيه صلاحها ، والله تعالى الموفق للخير وهو أعلم بكل الأمور ؟

مصطفى كمال وصفى

الموسوعة القرآنية

تصنيف الأستاذين :

ابراهيم الإبيارى وعبد المقصود مرزوق

للدكتور على العمارى

أخرجت (مطابع سجل العرب) ست مجلدات كبار بعنوان (للموسوعة القرآنية) قام على تصنيفها الكاتبان الأستاذان إبراهيم الأبيارى ، وعبد الصبور مرزوق ، وقد دفعهما إلى هذا العمل الضخم أنه : (لا بد من جمع لكل ما يتصل بالقرآن من علوم ، ثم تبسيط عرضه ليكون المسلم على علم به لا تكلفه فى ذلك جهداً فى التنقيب ، ونسوقه كله فى أسلوب ميسر ، حتى لا نشق عليه فى الاستيعاب ، وأن تكون هذه الجهود الخادمة جنباً إلى جنب مع القرآن الكريم فأنى نظر فى كتابه المنزل من السماء نظر فيما يتصل به ، مما هو فى حاجة إليه) . كما قالا فى تقدمتهما :

وقد ضمنا هذه الموسوعة بجانب المصحف الشريف مسائل رأيا أنه من الواجب أن تصحب كتاب الله ، فجمعا ما يتصل بالضبط واصطلاحاته ، وعلامات الوقف ، وفهارس متنوعة ، منها ما هو لسور القرآن على ترتيب ورودها فى المصحف ، ومنها ما هو لسور القرآن على ترتيب أوائلها ، ومنها ما هو لسور القرآن على ترتيب الهجاء ، ثم ضما إليها هذه الأبواب التى اشتملت على ألفاظ القرآن مرتبة ، وعلى أماكنها من الآيات ، وعلى آيات القرآن مرتبة على حروف الهجاء وضمناها أبواباً للناسخ والمنسوخ ، والنحو والصرف والبيان ، وللمشكل من إعراب القرآن ، ولمعجم لغوى يجمع كلمات القرآن مرتبة ترتيباً معجمياً ، وللقراءات وأسباب النزول والأحكام واللغات والأغراض ، والأعلام والأماكن ، وأخيراً ضمنا المجلدة السادسة تفسيراً للقرآن الكريم .

ولا شك أن هذا العمل اقتضاها جهوداً مضنية وشاقة ، ولولا ما عرضاه من بعض القضايا التى تبلبل الخواطر ، وتزعزع يقين

من ليسوا على سعة فى العلم ، وبصيرة فى الفهم ، ولولا أن للمصنفين سطوا على جهود آخرين ... أقول : لولا ذلك كله لقلنا إنها جهود مشكورة ومقدرة - أيضا - .

ولا يسع الناقد المنصف إلا أن يلتمس لكاتبين العذر فيما يمكن أن يلتمس فيه العذر ، كما لا يسعه - قياما بحق كتاب الله تعالى عليه ، ورعاية لواجب الأمانة العلمية وحفاظا على القارىء المسلم أن يتسلل إليه ما يخدش عقيدته - إلا أن يسجل ، وأن ينشر ، وعلى أوسع نطاق ، ما يراه من خطأ أو تقصير ، أو انحراف عن الجادة ، لعل المصنفين الفاضلين يتداركان ما وقعا فيه حين يعيدان طبع هذه الموسوعة ، أو حين يحاولان ترجمتها ، أو بعض مباحثها إلى لغات أخرى .

وها أنذا - بعون الله وتوفيقه - أشرع فى تبيان ما هدانى إليه النظر ولا حاجة بى إلى القول بأن خدمة كتاب الله التى دفعتهما إلى القيام بهذا العمل هى التى أوجبت على أن أدون هذه النظرات .

وعلى الله قصد السبيل .

فى المجلدة الأولى

ذكر الأستاذ الأبيارى أنه تقاسم هو وزميله العمل ، فانفرد هو بمجلدات ، وانفرد زميله بمجلدات أخرى .

وقد كان ما جاء فى هذه المجلدة من مباحث صحبت للمصحف الشريف من عمل الأستاذ الأبيارى ، ولذلك سيكون حديثنا معه فى هذا الفصل .

تضم هذه المجلدة :

١ - القرآن الكريم مصورا عن النسخة التى قام بتصحيح طبعها ، ومراجعته لجنة تصحيح المطابع ومراجعتها بمشيخة الأزهر الشريف .

٢ - سيرة الرسول - ﷺ - فى نحو العشرين صفحة .

٣ - تأريخ القرآن الكريم ، فى نحو السبعين صفحة .

٤ - اصطلاحات الضبط ، وعلامات الوقف والفهارس .

وسأسجل ملاحظاتى - هنا - بحسب أهميتها :

أولا : فى ص ٨٠ يقول الكاتب : (هذا بعد أن صح لنا أن هذه القراءات اجتهاد ، وأن رسم المصحف ، وإماله

نقطا وشكلا جر إلى شيء منها) .

قال المصنف هذا . بعد أن ذكر ما عقب به الزمخشري على قراءة لابن عامر ، وعلى أخرى لأبي عمرو ، وبعد أن قال : (وإنك لو تتبعت ما عقب به الزمخشري في تفسيره على القراء لو حدث له الكثير مما رده عليهم ، ولم يقبله منهم) ثم ضرب للمثلين السابقين : تعقيبه على ابن عامر ، وعلى أبي عمرو .

وإذا عرفنا أن ابن عامر ، وأبا عمرو ابن العلاء من القراء السبعة ، وقد ذكر ذلك المصنف نفسه في صفحة ٧٧ من هذه المجلدة ، إذا عرفنا ذلك تأكدنا أنه يريد من (هذه القراءات) التي أشار إليها ، والتي وصفها بأنها اجتهاد ، بل وبأن هذا هو ما (صح لها) يريد ما يشمل القراءات السبع ، بل يريدها نفسها ، لأن الإشارة كانت إلى ما رده الزمخشري على الإمامين (ابن عامر وأبي عمرو) .

وفي نفس الصفحة ، ص ٨٠ يقول الأستاذ الأبياري : (وما نرى صحيحا هذا الذي ذهب إليه القراء ـ هكذا القراء مطلقة ـ من تأويلات كثيرة ، تكاد تحمل الكلمة عشرين وجها أو ثلاثين أو أكثر من ذلك ، حتى لقد بلغت طرق هذه القراءات للقراءات العشر فقط تسعمائة وثمانين طريقة) .

قال : (فلقد كان هذا اجتهادا من القراء ، ولكنه كان إسرافا في ذلك الاجتهاد) .

وهكذا يتأكد عندنا أن المصنف يصر على أن القراءة (اجتهاد) سواء كانت من السبع أو من العشر .

ولقد كان حريصا على أن يمهد لهذا الرأي منذ بدأ يتحدث عن كتابة المصحف ففي ص ٦٦ ينقل عن عثمان ـ رضي الله عنه ـ قوله : (إن فيه ـ للمصحف ـ لحنا وستقيمه العرب بألسنتها) وقوله : (لو كان المملي من هذيل والكاتب من ثقيف لم يكن فيه هذا) .

وقد فسر قول عثمان الأول بأنه كان في الرسم القديم للمصحف الإمام ما كان مظنة اللبس ، وأن قول عثمان الثاني يزيد هذا الأمر بيانا .

ولقد يفهم القارئ من ذلك أن عثمان كان مدركا لهذا اللحن الذي في المصحف ، وأنه تركه للعرب تقيمه بألسنتها ، وأنه كان يتمنى لو كان المملي من هذيل ، والكاتب من ثقيف حتى لا يوجد في المصحف هذا

اللحن مع ما نعلمه جميعا من أن عثمان هو الذى اختار أن يكون المملى من قريش ، وهو سعيد بن العاص - رضى الله عنه - وأن يكون الكاتب هو سيدنا زيد بن ثابت - رضى الله عنه - ونعلم السبب فى هذا الاختيار ، فهما من كتاب الوحى ، وأن سعيدا كان أعرب الناس ، وكان أشبههم لهجة برسول الله ﷺ وأن زيدا كان أكتب الناس ، وهو - فيما سبق - كاتب رسول الله .

ولا تعنينا هنا مناقشة هذا الذى ساقه المصنف ، وإنما يعنينا أن نبين أنه كان منذ اللحظات الأولى فى الكلام على المصحف يمهد لرأيه الذى صح عنده .

وفى نفس الصفحة ينقل ما عزاه أبو بكر السجستانى إلى عائشة - رضى الله عنها - وقد سئلت عن بعض الآيات التى جاءت فيها مخالفة لظاهر العربية ، من قولها : (هذا عمل الكتاب أخطئوا فى الكتاب) ، وقد نقل مثل ذلك عن (أبان بن عثمان) كما نقل ما يعزى إلى سعيد بن جبير من قوله : (فى القرآن أربعة أحرف لحن) .

وقد تدارك كل هذا عافاه الله من الزمخشرى فى توجيه هذه المخالفات للظواهر ، وتفكك فيما روى عن عائشة ، وما عزى إلى أبان بن عثمان .

وإنما أشرنا إلى هذه النقول مع أن كلام الزمخشرى يرد عليها ، لأن نقلها يشعرنا بما يتجه إليه الكاتب من رأى فى القراءات .

وفى صفحة ٧٣ يغير كلامه إلى أن الله سبحانه وتعالى قد أعلم نبيه بلغات العرب التى نزل بها القرآن ، وأنه كان يجيز كل قارئ بما يقرأ ، يقول : (وكانت هذه اللغات علمها إلى الرسول ، قد أحاطه الله بها علما ، فحين يقرأ الهذلى بين يديه (عتى حين) وهو يقصد حتى حين) يجيزه ، لأنه هكذا يلفظ بها ، ويستعملها .

ثم ذكر إجازة النبى لقراءة الأسدى ، والتميمى ، ولقراءات أخرى لم ينسبها ، وأن النبى فى كل ذلك يسمع من القارئ و (يجيزه) .

وكل هذا يشعر بأن العربى كان يسمع الآية بلهجة غير لهجته ، ثم لا يستطيع أن ينطقها بهذه اللهجة ، فينطقها بلهجته ، فيجيزه الرسول ، ونقل فى ذلك ما عزى إلى بعض الشيوخ من أن القرآن أنزل بلسان قريش ، ثم أبيح للعرب أن يقرءوه بلغاتهم .

والمعروف أن جبريل - عليه السلام -

(البقية على صفحة ٥١٣)

علاقة التشريع الإسلامي بالتشريع الوضعي

للأستاذ سيد عبد الله حسين

— ٤ —

أخذا مما نشر في مقالاتنا السابقة نخرج بما يلي :

١ — أن التشريع الإسلامي له أصوله ومقوماته بعيدة كل البعد مما سبقه في التشريع الوضعي ؛ فهو تشريع سماوي لمصلحة جميع البشر .

٢ — أن التشريعات الوضعية قد أخذت منه استنادا إلى أدلة قاطعة لا مجرد ظاهرة ولا تمنى بدون دليل .

وعلى هذا سأتابع إيضاح ذلك مؤيدة بالنصوص والمراجع من التشريعين .

واجبات البائع في التشريع الوضعي :

أولا : على البائع أن يبين للمشتري كل ما يتعلق بالمبيع بيانا وافيا بلا غموض ولا إبهام — م ١٦٠٢ ق ف ص ٦١٣ ج ٢ فوانيه .

ثانيا : على البائع نقل ملكية الشيء للمبيع إلى المشتري ، وهذا يتم بمجرد العقد ، فإتمام عقد البيع بعد تلاقي إرادة المتعاقدين يكفي لنقل الملكية ، فالبيع يساوي نقل الملكية بدون انضمام شيء آخر ص ٦١٤ ج ٢ فوانيه .

ويجب تسليم عقود الملكية ص ٦١٥ ج ٢ فوانيه وص ٤٣٢ وما بعده ج فوانيه .

ثالثا : تسليم للمبيع للمشتري ، وهو وضع الشيء المبيع وقت انعقاد البيع تحت تصرف المشتري وتمتعه وتحت يده وتسليم المفتاح وتخلية العقار م ١٦٠٤/١٦٠٥ ق ف

١ — نفقات التسليم على البائع ونفقات النقل على المشتري م ١٦٠٨ ق ف إلا إذا وجد شرط بين المتعاقدين فيعمل به ص ٦١٥ ج ٢ فوانيه .

٢ — مكان التسليم : هو مكان وجود الشيء المبيع وقت انعقاد البيع إلا اشترط

بين المتعاقدين فيعمل به م ١٩٠٩ ق . ف صـ ٦١٥ ج ٢ فوانيه .

٣ — وجاز للبائع حجز المبيع تحت يده حتى يدفع المشترى الثمن الحال م ١٦١٢ ق ف .

٤ — إذا كان الثمن لأجل جاز للبائع أيضاً حجز للمبيع حتى يستوفى الثمن إذا أفلس المشترى أو تصفى محل تجارته بحكم قضائى أو توقف عن الدفع ، فالبائع أحق بسلعته ليستوفى منها باقى الثمن م ١٦١٣ ق ف صـ ٦١٦ ج ٢ فوانيه .

واجبات البائع فى التشريع الإسلامى

أولا : على البائع أن يبين المشترى ما يكون فى المبيع من عيوب قليلة أو كثيرة فقد نص على ما يأتى (وعلى البائع بيان ما علمه من عيب سلعته قل أو كثر ولو كان البائع حاكما أو وارثا أو وكيلا . وعليه تفصيل العيب أو إراءته له ولا يجمله ، فإن أجمل فدلس ويرد المبيع بما وجد فيه ولا ينقصه التبرى مما لم يعلم ـ فللمشترى الرد بما وجده من عيب قديم ولا تنفع البائع البراءة منه صـ ٥١ ج ٢ الشرح الصغير .

ولا شك أن هذه البيانات هى أولى واجبات البائع التى ينبنى عليها عقد البيع الصحيح السليم .

ثانيا : من واجبات البائع نقل ملكية الشىء المبيع إلى المشترى ؛ إن ملكية المبيع تتم بمجرد عقد البيع الصحيح بدون احتياج إلى أى شىء آخر (راجع صـ ٤٣٢ مجلة الأزهر ج ٦ فى أكتوبر سنة ١٩٦٩) فإن المقرر فى الشريعة الإسلامية أن البيع الصحيح هو نقل للملكية للمشترى بمجرد العقد ـ وقد أخذ ذلك التشريع الوضعى وقرر (أن عقد البيع يساوى الملكية).

ثالثا : من واجبات البائع تسليم المبيع للمشترى ، ويتم ذلك فى المنقول يدا بيد ، له أو لوكيله فى القبض ـ وفى المكيل والموزون والمعدود يتم التسليم بعملية كيله أو وزنه أو عده ـ وتسليم العقار بالتخلية منه وتسليم مفتاحه وعقود تمليكه فيضمن البائع المكيل والموزون لحين قبضه (وقبض العقار بالتخلية وقبض غيره بالعرف) صـ ١٤٤ ، ١٤٥ ج ٣ الشرح الكبير .

١ — وبما أن التسليم من واجبات البائع لكى تبرأ ذمته مما تعاقد عليه فأجرة التسليم والعد والمقاس إلخ على البائع

لحصول التوفية به إلا لشرط أو عرف فيعمل به ص١٤٤ شرح كبير ج٣ - وقبض للمبيع ونقله على المشترى إلا لشرط أو عرف فيعمل به ٢٨ ج ٣ شرح كبير .

٢ - محل تسليم المبيع - مكان تسليم المبيع هو المكان المشترط فى العقد - فإن لم يكن شرط فمحل وجود المبيع إن لم يكن فيه مشقة على المشترى أو كان العرف خلاف ذلك فيعمل به ص ١٧٠ ج ٣ مقارنات .

وإن اختلف المتعاقدان فى موضع قبض المسلم فيه (فهو بيع) فالقول لمدعى موضع العقد اهـ ش صغير ص ٨٣ ج٢ - ولو سكت المتعاقدان عن موضع القبض فيحكم بموضع العقد ص ٨٣ ج ٢ ش ص والصاوى .

٣ - حجز المبيع نظير دفع الثمن، فالبائع الحق فى حجز المبيع تحت يده حتى يدفع المشترى له الثمن كله إن كان حالا أو ما اتفق على حلوله (قال ابن رشد من حق البائع أن لا يدفع ما باع حتى يقبض ثمنه، لأن المبيع فى يده كالرهن فمن حقه أن لا يدفع إليه ما باع منه ولا يزنه ولا يكيله حتى يقبض ثمنه، وهذا أمر متفق عليه فى المذهب ص ١٥٩ ج ٦ خرشى - ولكن فى هذه الحالة يكون الضمان من البائع لأن المشترى لم يقبض ، وقيل الضمان من المشترى لأن البيع قد تم وإمساك السلعة ضمان استداد الثمن - فقد جاء ما نصه (السلعة المحبوسة التى حبسها بائعها ولم يسلمها للمشترى لأجل قبض الثمن من المشترى ضمانها من بائعها) ص ٦٣ ش ص ج ٢) .

وعلاوة على ذلك ، فلرب الدين (البائع) أخذ عين ماله الذى باعه المفلس قبل فلسه عرضا أو مثليا أو حيوانا وكان محازا عن الغريم فى انفاس حيث ثبت ببينة أو إقرار من المفلس قبل فلسه وذلك بشروط :

١ - إن لم يفده الغرماء بدفع ثمنه ولو بمالهم أو بمال المفلس .

٢ - ولم ينتقل عن أصله لطحن حب أو ذبح شاة أو تفصيل شقة .

٣ - ولم يختلط بغير مثلى .

ص ١١٩ و ١٢٠ الشرح الصغير ج ٢

بل وللدائن (البائع) رد بعض ثمن قبض من المفلس قبل التفليس وأخذ عين سلعته وله تركها والمحاصة بما بقى له مع الدائنين، وله أخذ البعض والمحاصة بالفائت

إلخ ص ١٢٠ الشرح الصغير ج ٢ .

من واجبات البائع — التشريع الوضعى

١ — يسلم البائع للمبيع المشترى وما يتبعه مما يكون وجوده ضروريا فى الاستعمال عادة ، ويسلم حسب حالته وقت العقد م ١٦١٤ و ١٦١٥ ق . ف .

٢ — إذا امتنع البائع عن تسليم العين المبيعة فى الوقت المحدد بغير حق جاز للمشترى إما إجباره قانونا على التسليم وإما حل البيع — وله طلب التعويض فى كلتا الحالتين م ١٦١٠ و ١٦١١ ق ف .

٣ — الخطأ فى تسليم المساحة — هذه المسألة تأتى على وجهين .

١ — أن يكون بيع الأرض مع بيان المساحة — قدر القانون أن الطرفين جعلا للمساحة مقصودة فى البيع — فيجب على البائع تسليم المساحة للسماة فى العقد فإن سلم البائع أقل فعلى البائع بنسبة الثمن وإن وجدت أكثر فعلى المشترى ثمن الزيادة — لكن للمشترى فى حالة الزيادة الخيار بين نقض البيع أو قبوله متى كانت الزيادة $\frac{1}{20}$ فأكثر م ١٦١٧ ، ١٦١٨ ق ف ص ٦٤٦ ج ٢ فوانيه

٢ — أن يكون بيع الأرض مع عدم بيان المساحة — قدر القانون أن المتعاقدين ليس قصدهما المساحة — فإن ظهر عجز أو زيادة فلا نقص فى الثمن ولا زيادة إلا فى $\frac{1}{20}$ عجزا أو زيادة فيحسب ما يخصها فى الثمن — ولكن للمشترى عدم قبوله البيع وله الثمن وما أنفقه م ١٦١٩ ق . ف و ص ٦١٨ ج ٢ فوانيه

من واجبات البائع — التشريع الإسلامى .

١ — تسليم المبيع وما يتبعه — يجب على البائع تسليم المبيع وما يتبعه مما لا يمكن الانتفاع به انتفاعا كاملا إلا بهذه التوابع وإلا كان التسليم ناقصا يجب تعويض المشترى عنه .

ويسلم حسب حالته وقت معاينته لإتمام العقد وحسب وصفه فى عقد البيع وإلا جاز للمشترى الرد — فقد جاء فى الشرح الكبير (وجاز رده للمبيع لعدم وجود وصف مشروط للمشترى فيه غرض وبما أن العادة السلامة منه مما ينقص الثمن أو المبيع أو التصرف أو يخاف عاقبته ص ١٠٨ ج ٣ .

٢ — امتناع البائع عن التسليم — إذا امتنع البائع عن تسليم المبيع للمشترى — فالمشترى بالخيار إن شاء طالب البائع بتنفيذ عقد البيع وإن شاء فسخ البيع — فقد جاء

ف ش الصغير (وإن أخفى البائع المبيع وادعى هلاكه خير المشترى بين الفسخ والتماسك ورجع بالقيمة والمثل صـ ١٤٧ ج ٢) .

٣ — نقص المساحة : قد يكون المبيع معدودا أو مكيلا أو موزونا أو مقاسا ـ وتعاقد الطرفان على بيع شىء من ذلك محددا معروفا ، فإذا نقص المبيع عن القدر المتفق عليه فالمشترى مخير بين التماسك ودفع ما تم تسليمه وبين الرد ويأخذ ما دفع فالمقدار المحدد فى عقد البيع ملحوظ فى إتمام العقد .

وإن تعاقدا على بيع شىء جملة كقطعة أرض أو كومة حب بمبلغ معين بدون كيل أو مقاس وسلمها البائع كما تم البيع عليها فلما مسحها المشترى أو كالها وجدها ناقصة عما قدر لها هو فى نفسه فليس له الرجوع بأى شىء على البائع ، وإن وجدها البائع أنها زادت عما قدر لها فليس له الحق فى مطالبة المشترى بما زاد ـ وهذا ما يسمى ببيع (الجزاف) .

فقد جاء فى الشرح الصغير مانصه (ويشترط عدم جهل المبيع فلا يصح بيع مجهول القدر جملة وتفصيلا إلا فى الجزاف ولا يصح مجهول الذات ولا الصفة) صـ ٥ ج ٢ ش . ص

وجاء أيضا (إذا قال المشترى البائع اشترى منك صاعا من هذه الصبرة (الكومة) أو اشترى منك كل صاع من هذه الصبرة بكذا وأراد فى الصورة الثانية شراء جميعها كان البيع جائزا ، لأنها إما معلومة الجملة والتفصيل وإما معلومة التفصيل ولو قال كل ذراع بكذا أو كل رطل بكذا فلا فرق بين المكيلات والمقيسات والموزونات ـ فيجوز أن أريد الكل أو عين قدر منه صـ ٩ ج ٢ شرح صغير .

يجوز بيع الأرض جزافا سواء وحدها أو مع غيرها جزافا أيضا ـ فقد جاء (يجوز جزاف أرض مع مكيل حب أردب حنطة فى عقد واحد ويجوز جزافان كقطعة أرض مع قطعة أرض أخرى فى عقد واحد بكذا صـ ١١ ج ٢ شرح صغير ـ وإذا كان بيع الأرض جزافا فلا رجوع لأحد الطرفين على الآخر لأن القياس غير مقصود للطرفين وغير مشروط فى الجزاف ـ وليس فيه حق توفية ولا تسليم حتى يدخل فى ضمان المشترى بل ينتقل الضمان للمشترى بمجرد العقد .

٤ — ضمان البائع : يضمن البائع للمشترى صحة ملكية العين المبيعة ـ وذلك

يتحقق في عدم معارضة الغير له في حقوق الملكية ، ولا في وضع اليد وفي عدم حقوق للغير على العين المبيعة أيا كانت كرهن أو حق ارتفاق للغير كمجرى ماء أو طريق

١ — والضمان يكون من سبب سابق على البيع فإذا تعرض أحد للمشترى في أي شيء من ذلك كان البائع ضامنا .

٢ — وللمشترى الحق في إحضار البائع في مجلس القضاء ليسمع الحكم إما برفض دعوى المدعى ولا شيء عليه فقد سلمت العين للمشترى وإما باستحقاق الغير لهذه العين فيرجع المشترى على البائع بما دفع من الثمن النقدى أو بقيمته إن كان مقوما أو بمثله إن كان مثليا وبما خسر في الدعوى (يراجع صـ ١٦٠ جـ ٦ الخرشى) .

ويراجع أيضا الشرح الصغير ج ٢ ص ٤٩ (الخيار للمشترى لوجود نقص في المبيع عقاراً أو عرضاً أو عينا تكون العادة السلامة منه في ذلك المبيع ، فله الرد إن أخل بالذات أو بالثمن أو التصرف العادى أو كان يخاف عاقبته) اهـ ص ١٤٤ ج ٦ خرشى ومعنى الخيار للمشترى أن الضمان على البائع في كل ما ذكر .

٣ — إذا اتفق المتعاقدان على وجود العيب واختلفا في وجوده قبل البيع فللمشترى الرد لضمانه سلامة المبيع — أو في وجوده بعد البيع فلا رد للمشترى ، فالقول للبائع في وجود العيب أو قدمه إلا بشهادة عادة لأحدهما الخ (راجع ص ١٤٩ ج ٦ خرشى .

٤ — والعيب الجديد المخرج عن المقصود مفيت للرد — إلى أن قال : فالواجب التماسك بالعيب القديم والأرش واجب على البائع للمشترى ص ١٤٤ ج ٦ خرشى — يعنى أنه إذا حدث عيب جديد بالمبيع واطلع المشترى على أنه كان معيبا بعيب قديم فلا رد له ولكن له قيمة العيب القديم من البائع ص ١٤٤ ج ٦ خرشى

التشريع الوضعى — واجبات المشترى :

يلتزم المشترى بما يأتى :

أولا — يلتزم بدفع الثمن — من مكان وزمان التسليم للمبيع إلا لشرط بينهما فيعمل به ص ٦٢٩ جـ ٢ فوانيه م ١٦٥٠ و ١٦٥١ ق . ف

يجوز للمشترى تأخير دفع الثمن متى وجد نزاع ومعارضة من الغير م ١٦٥٣ ق . ف ص ٦٢٩ ج ٢ فوانيه .

ثانيا — استلام العين — متى تم البيع صحيحا وجب على المشترى استلام المبيع حسب أوصافه في عقد البيع ص ٦٢٩ ج ٢ فوانيه

١ — فإذا لم يدفع الثمن المتفق عليه ولم يستلم المبيع فللبائع الحق فى دعوى فسخ البيع — والفسخ لا يحصل بقوة القانون بل لابد من حكم به بناء على طلب البائع فقط.

٢ — ويتم الفسخ بقوة القانون إذا شرط ذلك فى العقد أو كان المبيع حبوباً أو سندات مالية — فإذا لم يحضر البائع ويدفع الثمن ويستلم المبيع يعتبر البيع مفسوخا بقوة القانون م ١٦٥٥ ق. ف ص ٦٣١ ج ٢ فرانيه.

متى تم الفسخ عاد إلى يوم البيع — فيعتبر البيع كأن لم يكن والملك للبائع وكل تصرف للمشترى يعتبر كأن لم يكن م١٦٥٤ ق ف وم ١١٨٤ ق. ف وص ٦٣٠ ج ٢ فرانيه

التشريع الإسلامى — واجبات المشترى:

يجب على المشترى ما يأتى:

أولا: دفع ثمن المبيع للبائع أو لوكيله أو لولى المالك الشرعى — حسب اتفاق المتعاقدين مكانا وزمانا وقدرا.

١ — وإذا لم يدفع المشترى الثمن المتفق عليه فللبائع الامتناع من تسليم السلعة المبيعة لأن الثمن من أركان البيع، وقد جاء ما نصه: (وإذا تنازع البائع والمشترى فى التسليم أولا، بدأ المشترى بتسليم الثمن أولا. قال ابن رشد: من حق البائع أن لا يدفع ما باع حتى يقبض ثمنه لأن المبيع فى يده كالرهن، فمن حقه أن لا يدفع إليه ما باع منه ولا يزنه ولا يكيله له حتى يقبض ثمنه، وهذا أمر متفق عليه فى المذهب ص ١٥٩ ج ٦ خرشى.

٢ — فإذا كان المبيع كالرهن فى يد البائع نظير الثمن فللبائع عدم تسليمه كله حتى يتسلم كل الثمن، فإذا وجد المشترى نزاعا فى الملكية أو فى وضع اليد فله الحق فى عدم الدفع حتى يطمئن على سلامة الملكية للبائع وصحة وضع يده.

٣ — والثمن إما حال وإما مؤجل كله أو بعضه، فالحال يجب دفعه كله حسب اتفاقهما، والمؤجل كله يجب على البائع تسليم السلعة حتى يحل الأجل ويكون الثمن فى ذمة المشترى، وفى حالة حلول البعض وتأجيل البعض يجب دفع الحال قبل الاستلام والانتظار بالمؤجل إلى حلوله وهو فى ذمة المشترى.

٤ — كل هذا إن اتفق الطرفان على الثمن قدرا وجنسا ونوعا، وإن اختلفا فالحكم يختلف:

(ا) فإن اختلفا فى الثمن جنسا أو نوعا حلفا وفسخ البيع صـ ١٩٥ ج ٦ خرشى وترد السلعة إن لم تفت ويرد مع الفوات قيمتها أو مثلها .

(ب) وإن اختلفا فى قدر الثمن حلفا وفسخ إن حكم بالفسخ ما دام التنازع موجودا ، فإن تراضيا على الفسخ جاز ، وإن رضى أحدهما ببقاء العقد على ما قال الآخر فله ذلك بعد الحلف ، وقيل ليس له ذلك فالفسخ بمجرد الحلف صـ ١٩٦ ج ٦ خرشى ، فالفسخ بينهما لا يكون إلا بحكم إذا لم يتراضيا .

(جـ) وإن تجاهل المتبايعان الثمن فقال كل واحد لا أعرف قدره حلفا وبدىء بالمشترى وفسخ بينهما وردت السلعة إن بقيت وإلا فقيمتها يوم البيع صـ ١٩٧ ج ٦ خرشى .

ثانيا : استلام المبيع ، فى هذا الواجب التفصيل الآتى حيث لا يخلو حال الثمن .

١ — فإن كان الثمن حالا مقبوضا فقد أصبح المبيع ملكا للمشترى إذا كان قيميا فعلى البائع إعلان المشترى بالاستلام والإشهاد عليه بذلك فإن استلم فقد حافظ على ماله وإن لم يستلم فلا شىء على البائع فقد برئت ذمته قبله إلا إن تعدى فهو ضامن لما أتلف .

٢ — فإن كان المبيع مثليا فهو فى ضمان البائع حتى يتم التسليم فيجب على البائع إعلان للمشترى بالاستلام فإن حضر واستلم فقد برىء البائع وان لم يحضر فيعتبر المبيع عنده أمانة لا يضمنها إلا بالتعدى بالإتلاف أو تعييب فهو تعد على ملك الغير .

٣ — وان كان الثمن مؤجلا فيجب على البائع تسليم المبيع وما بقى من الثمن يكون دينا فى ذمة المشترى وعلى المشترى استلام المبيع ويدفع ما بقى من الثمن متى حان الأجل .

٤ — وإذا وقع خلاف بين المتعاقدين فى قبض الثمن أو فى قبض السلعة ، فالأصل بقاء السلعة فى يد البائع والثمن فى ذمة المشترى ما لم يحصل إشهاد من المشترى فيعمل به وما لم يوافق قول أحدهما العرف فيعمل به . وإشهاد المشترى بالثمن يقتضى قبض السلعة صـ ١٩٩ ج ٦ خرشى .

٥ — وإذا لم يدفع المشترى الثمن المتفق عليه ولم يتسلم المبيع ولم يقبل التفاسخ وديا فللبائع الحق فى رفع الأمر للقضاء للحكم بفسخ البيع وإخلاء ذمة البائع

والمتضرر هنا هو البائع فهو الذي يرفع دعوى الفسخ .

٦ — متى تم البيع صحيحا دخل المبيع في ملك المشترى والثمن في ملك البائع فتصرف البائع في الثمن وتصرف المشترى في المبيع صحيح — وتمسك البائع بسلعته حتى يقبض الثمن وتمسك المشترى بالثمن حتى يتسلم المبيع سالما من كل عيب أو نقص جائز شرعا — وذلك شرط في العقد مدخول عليه فيعمل به بينهما فلا يتم البيع إلا بالوفاء بهذين الشرطين (تسليم الثمن وتسليم المبيع) فالتصرف من المتعاقدين قبل الوفاء بالتزاماتهما تصرف موقوف — فلكية الثمن والمثمن تعود للطرفين كاملة كما كانت بعد الفسخ وكأنه لم يحصل بيع إطلاقا .

فيملك البائع المبيع خاليا من كل تصرفات المشترى — ويملك المشترى الثمن خاليا من كل تصرفات البائع ص١٨٢ ج ٢ مقارنات .

وبعد كل هذه النصوص المتفقة نصا وحكما — أترك الحكم لكل عاقل يقول الحق للحق جوابا على هذا السؤال (أى التشريعين الإسلامى أم الوضعى أخذ من الآخر ؟) وما خفى كان أعظم وسيكون في مقالنا التالى ؟

سيد عبد الله حسين

بقية المنشور على صفحة ٥٠٤

كان يقرئ النبي باللهجات المختلفة ، ثم يقرئها النبي لأصحابه كما أنزلت ، وقد نقل الكاتب هذه الأمثلة على هذا الوجه من (ابن قتيبة) ولكنه تجاهل أن ابن قتيبة قدم لذلك بقوله : (وكل هذه الحروف كلام الله تعالى نزل به الروح الأمين على رسوله — عليه السلام —) [1] .

وأيضا لم يذكر ابن قتيبة (إجازة) من النبي ﷺ للقارئ ، بل هو يرتب القراءة على ما سمع القارئ من الرسول ، فيقول مثلا — بعد العبارة التى نقلناها آنفا — : (فالهذلى يقرأ (عتى حين) يريد (حتى حين) لأنه هكذا يلفظ بها ويستعملها ، وهكذا في بقية الأمثلة .

فكلام ابن قتيبة في غاية الدقة ، وهو متفق مع ما هو معروف من أن القراءات نزل بها جبريل ، أما كلام الأستاذ الأبيارى فهو منحرف ، ولعله أراد به — كما فهمت — أن يمهد للرأى الذى صح عنده ؟

د . على العمارى

[١] تأويل مشكل القرآن ص ٣٠ .

انتشار الإسلام في الرحاب

للدكتور حامد غنيم أبو سعيد

— ٤ —

عالجنا في المقال السابق بدايات انتشار الإسلام في الناحية الشرقية من آذربيجان ونود اليوم أن نقول : إنه ليس معنى وجود بداية لانتشار الإسلام في ناحية ما من النواحي أن يترتب عليها بالضرورة نمو وازدهار له في هذا الموطن الجديد ، فكثيرا ما أخمدت بدايات قبل أن تتجاوز مرحلة المهد أو الطفولة ، وكثيرا ما ظلت بدايات عقيمة ثم طواها الزمن ، وضرب عليها حجابا من النسيان .

فما هو الموقف بالنسبة للبدايات الخاصة بالناحية الشرقية من آذربيجان ؟ هل جابهتها عقبات أخمدتها أو جدتها ، أم أن الظروف كانت مواتية فنمت هذه البدايات وواكبها الازدهار ؟ .

إن دراسة انتشار الإسلام في هذه الناحية تحملنا على أن نذهب بصورة عامة إلى القول بأن الظروف كانت في جانب حركة انتشار الإسلام ، ولسنا نعني أن هذه الحركة لم تجابهها عقبات أو صعاب ، ولكن الذي نعنيه أن الظروف التي كانت في جانب انتشار الإسلام قد تغلبت على كل العوامل المعوقة والتي أريد بها أن تقوض أو تشل وجود الدين الجديد في تلك البقاع .

بعد هذا التقرير الإجمالي ننتقل إلى محاولة التعرف على مدى ازدهار الإسلام في تلك الناحية ، ونبدأ الحديث بمدينة أردبيل التي كانت العاصمة الأولى لكل إقليم آذربيجان ، ففي هذه المدينة أقيم أول مسجد في الإقليم كله ، وهو المسجد الجامع الذي أقامه الأشعث بن قيس في أثناء النصف الأول من سنة ٣٦ هـ .

وهذه المدينة كانت مركز تجمع القوة الإسلامية التي نيطت بها مهمة الحفاظ على المكاسب السياسية في المنطقة ، وذلك بتأكيد ودعم الوجود الإسلامي هناك(١)

(١) عن القوة الإسلامية التي كانت ترابط في آذربيجان وإعدادها وفترة مكوث كل مجموعة منها هناك اقرأ الطبري ح ٤ ص ٢٤٦

وقد استطاعت عناصر هذه القوة أن تجـــذب الـكثير من الأذربيين إلى اعتناق الإسلام .

كما أن هذه المدينة أيضا صارت موطنا للعديد من الأسر العربية الإسلامية التى اتخذت منها موطنا دائما لها، وذلك للعمل على نشر الإسلام بين الأذربيين من ناحية وتحقيق الاندماج بين العنصرين العربى والكردى من ناحية ثانية .

ونستمع إلى البلاذرى يحدثنا عن هذا الجانب فإنه يقول [1] : « إن العرب لما نزلت آذربيجــان نزعت إليها عشائرها من المصرين (أى البصرة والـكوفة) والشام ، وغلب كل قوم على ما أمـكنهم واتباع بعضهم من العجم الأرضين » .

ولا يظن البعض أن استيطان العرب فى آذربيجان هو ما يعـرف بالاستعمار فى العصر الحـديث ، إذ الحقيقة أن الأمر بعيد كل البعد عن هـذا التصور ، ونحن لا ننطلق فى هذا القول عن تعصب للعقيدة الإسلامية ، بل إننا فى حقيقة الأمر نعتمد فى هذا القول على الواقع التاريخى الواقع الذى لا يستطيع أعداء الإسلام إنـكاره أو تجاهله ، والواقع التاريخى يسجل لنا حول هذه القضية عدة حقائق :

أولى هذه الحقائق ، هى أن الدولة الإسلامية لم تكن تعترف بالحدود الإقليمية داخلها ، بمعنى أن أى عضو فى هذه الدولة كان يحق له أن ينتقل من إقليم إلى إقليم ، وأن يتخذ موطنه حيث يحلوله ؛ ففى الوقت الذى استوطنت فيه بعض الأسر العربية إقليم آذربيجان نجـد أن بعض الأذربيين قد انتقلوا إلى أقاليم أخـرى فى الدولة الإسلامية واستوطنوها .

ثانية هـذه الحقائق، هى أنه لم تـكن توجـــد امتيازات يحق للعرب الذين استوطنوا بلاد آذربيجان وغـيرها أن يتمتعوا بها على حساب أهل البـلاد الأصليين ، أى أنهم لم يكونوا يشـكلون أرستقراطية عنصرية بين أهل البلاد .

وفى الجانب المقابل فإن الأذربيين وغيرهم الذين انتقلوا من مواطنهم الأصلية واستوطنوا مناطق أخرى ، وخاصـة فى المناطق العربية ، لم يـكن ينظر إليهم على أنهم مواطنون من الدرجة الثانية ، كما أنه لم تـكن توجد قيود أو أعباء مفروضـة على كاهلهم لحساب المواطنين الأصليين .

---

[1] فتوح البلدان ٤٦٠ .

أما الحقيقة الثالثة، فإنها في الواقع نتيجة طبيعية للحقيقة السابقة ، وهى أن العرب الذين استوطنوا في البلاد المفتوحة عدا أنهم لم يكونوا يهدفون إلى تكوين جماعات خاصة ممتازة في مجتمعهم الجديد فإنهم اندمجوا في أهل البلاد الأصليين ، لدرجة أن جذورهم العربية كانت تنسى أو تتلاشى مع مرور الأيام ، ويحدثنا المستشرق (مينورسكى) عن قوة الاندماج بين العرب والأذربيين ، وذلك حيث يقول عن الجماعات العربية التي استوطنت آذربيجان [1] :

« ثم اندمجوا شيئاً فشيئاً في الأهالى الوطنيين حتى لقد عد بنو رواد (من قبيلة الأزد العربيـة) حوالى منتصف القرن الرابع الهجرى كرداً من الأكراد » .

وحيث يقول أيضاً عن أسرة الرواد الأزدى في مناسبة أخرى [2] : « واصطبغت على مر الزمن بالصبغة الكردية » .

واعتمادا على هذه الحقائق الثلاث ، أى الحدود للفتوحة ، وانعدام وجود طبقية أو امتيازات للعناصر العربية، والاندماج الكامل بين العرب وغيرهم من أهل البلاد المفتوحة ـ أقول : اعتمادا على هذه الحقائق الثلاث تسقط دعوى الاستعمار التي يريد بعض المغرضين أن يلصقها بحركة الفتوح الإسلامية

وأين هذا مما نسمع عنه ونلمسه في التاريخ المعاصر عن حركة الاستعمار الغربى لبلدان آسيا وافريقيا !! إن المستعمرين الغربيين يحرصون دائماً على ألا يندمجوا في أهل البلاد الأصليين ، وبالتالى فإنهم يكونون ارستقراطية عنصرية تستأثر بكل الامتيازات وخيرات البلد المستعمرة على حساب المواطنين الأصليين . وفوق هذا فإن المستعمرين الغربيين لم يأتوا إلى البلاد المستعمرة حاملين لمبادىء إنسانية عليا أو مبشرين بقيم أخلاقية رفيعة ، وعلى العكس من ذلك نجد الفاتحين المسلمين كما يشهد بذلك تاريخهم ، فقد كانوا حملة لمشاعل التقدم والمدنية ، كما أنهم كانوا دعاة الخير والنور لكل أبناء الأسرة الإنسانية .

إنها حقيقة ستظل خالدة أبد الدهر ،

---

[١] اقرأ دائرة المعارف الإسلامية مادة آذربيجان ، المجلد الأول ص ٢٩ .

[٢] اقرأ دائرة المعارف الإسلامية ، مادة الأحمديلية ، المجلد الثانى ص ٤٠٠ .

وهى أن حركة انتشار الإسلام لم تكن تصدر عن نظرة إقليمية أو قومية ضيقة، بل إنها كانت تنطلق من نظرة إنسانية شاملة، نظرة تزيل الحدود، ولا ترتبط بالقوميات.

* * *

بعد هذه الوقفة القصيرة نواصل ما نحن بصدده من التعرف على درجة ازدهار الإسلام فى أردبيل، وبهذا الخصوص أقول: أرجو من القارىء ألا يتوقع منا أن نقدم له ثبتا بأسماء الذين اعتنقوا الإسلام، من بين الأكراد، كما أرجوه أيضاً ألا يتوقع منا أن نقدم له حقائق تفصيلية على الجهود التى بذلت من أجل نشر الإسلام هناك، وذلك لأن هذه الزوايا الدقيقة لم يلتفت إليها المؤرخون الذين نعتمد على كتاباتهم فى تقديم هذه الدراسة.

ولكن ليس معنى هذا أن نستسلم لليأس ونذير أظهرنا للمحاولة، بل إننا سنسلط الضوء بقدر الإمكان على درجة كثافة المسلمين هناك، وذلك من خلال تحليل بعض الأحداث البارزة التى وقعت فى المنطقة.

من هذه الأحداث ما وقع فى أوائل الحلقة الثانية من القرن الثانى الهجرى، ففى سنة ١١١ هـ استعمل الخليفة هشام ابن عبد الملك الجراح بن عبد الله الحكمى واليا على أرمينية، وقد قاد الجراح جنوده وهاجم بلاد الخزر وافتتح مدينة البيضاء[١] التى تقع إلى الشمال من مدينة باب الأبواب[٢]

كان رد الفعل لهذا الذى أقدم عليه الجراح الحكمى أن تحالف الترك والخزر ضد الوجود الإسلامى فى المنطقة، وقد استطاعت قوات هذا التحالف أن تلحق بالمسلمين فى المعركة التى دارت رحاها بمرج أردبيل هزيمة كبيرة، وكان من بين الضحايا الجراح الحكمى نفسه، وذلك فى سنة ١١٢ هـ[٣].

وصلت أنباء هذه الهزيمة إلى مسامع الخليفة هشام بن عبد الملك فعهد إلى سعيد ابن عمرو الحرشى بقيادة القوات الإسلامية والتصدى للتحالف التركى الخزرى.

تحدث كل من الطبرى[٤] والأزدى[٥]

---

[١] أبو زكريا الأزدى، تاريخ الموصل ص ٣٠

[٢] معجم البلدان جـ ١ ص ٣

[٣] ابن الأثير جـ ٥ ص ١٥٠

[٤] الطبرى جـ ٧ ص ٧٠

[٥] تاريخ الموصل ٣٣

عن الجهود التي بذلها الحرشي في مجابهة الخزر والأتراك، كما أنهما سجلا الانتصارات التي أحرزها القائد المسلم على التحالف المعادي، ولكن أيا منهم لم يساعدنا في التعرف على درجة كثافة المسلمين في هذه الناحية، وهي القضية التي تهم الدارس لحركة انتشار الإسلام.

غير أن القضية التي تجاهلها كل من الطبري والأزدي، وجدت من عنى بها ولو بصورة جزئية، وذلك هو المؤرخ ابن الأثير، فقد أشار هذا المؤرخ في الحديث عن المعارك التي خاضها الحرشي ضد التحالف الخزري - التركي عدة إشارات، وكل منها تلقي شيئا من الضوء على درجة كثافة المسلمين في شرق آذربيجان.

وردت الإشارة الأولى في الحديث عن أهل ورثان، وهي في أقصى الشمال الشرقي لآذربيجان وكانت آنذاك واقعة تحت حصار الأعداء. فقد أتى رسول الحرشي إلى أهل تلك المدينة، وناداهم من وراء الأسوار يحثهم على المثابرة وعدم التسليم، ويعرفهم أن الحرشي ورجاله قادمون في إثره وكان رد الفعل لذلك هو ما يحكيه لنا ابن الأثير حيث يقول[1] «فرفعوا أصواتهم بالتكبير والتهليل».

من هذه الإشارة نفهم أن جل مواطني ورثان، إن لم يكونوا كلهم كانوا مسلمين ولو كانت القضية على العكس من ذلك لما استطاعت ورثان أن تصمد للحصار الذي فرضه عليها الأعداء، إذ أنه في مثل هذه الحالة لكان في استطاعة الأعداء، بالاعتماد على غير المسلمين داخل المدينة، أن يرغموا المدينة على الاستسلام، والثابت تاريخيا أن المدينة صمدت وأن الأعداء أكرهوا على الرحيل عنها دون أن يحققوا هدفهم، وما ذلك إلا لأن من كانوا بها كانوا مسلمين فرفعوا أصواتهم بالتكبير والتهليل.

أما الإشارة الثانية فقد جاءت في سياق الحديث عن السبايا والأسرى للمسلمين الذين كانوا قد وقعوا في أيدي الخزر قبل مجيء الحرشي إلى هذه النواحي، فقد كان عدد مجموعة واحدة من بين مجموعات الأسرى كما يقول هذا المؤرخ: «خمسة آلاف من أهل بيت من المسلمين».

وعلينا أن نقف وقفة قصيرة عند قوله

---

[١] جـ ٥ - ١٦١.

(من أهل بيت) إذ المراد بذلك كما يبدو أن أفراد هذه المجموعة من السبايا والأسرى كانوا ينتسبون إلى بيوتات لها مكانتها الاجتماعية الممتازة بين المسلمين ، ومن الطبيعى والحالة هذه أنه كان يوجد بجانب ذلك أضعاف هذا العدد من الطبقات الاجتماعية الأخرى .

هذه مجموعة واحدة من الأسرى ، وقد أشار ابن الأثير فوق ذلك إلى مجموعتين أخريين ، ففى إشارته من الأولى يقول : « فسار الحرشى إليهم (أى إلى جنود الخزر) فما شعروا إلا والمسلمون معهم ، فوضعوا فيهم السيف فقتلوهم كيف شاءوا ولم يفلت من الخزر إلا الشريد ، واستنقذوا من معهم من المسلمين والمسلمات » .

وفى إشارته من الثانية يقول فى سياق الحديث عن معركة أخرى دارت بين المسلمين والخزر : « وسار الحرشى اليه (أى الى ابن ملك الخزر وجنوده) فالتقيا بأرض برزند ، واقتتل الناس أشد قتال وأعظمه ، فانحاز المسلمون يسيرا فحرضهم الحرشى ، وأمرهم بالصبر ، فعادوا الى القتال وصدقوهم الحملة ، واستنقذت من مع الخزر من الأسارى ، ونادوا بالتكبير والتهليل والدعاء » .

هذه إشارات متعددة الى الأسرى المسلمين ، وهى تؤكد أن أعدادهم كانت كبيرة ، كما تؤكد أيضاً أن الإسلام أصبحت له فى أوائل القرن الثانى الهجرى الغلبة على غيره من الديانات التى كانت سائدة فى الناحية الشرقية قبل أن تبدأ هناك حركة انتشار الإسلام .

وهذا ، وتواصل فى المقال التالى دراسة مدى ازدهار الإسلام فى تلك الناحية ؟

د . عامر غنيم أبو سنيه

قضية بنت الأخ والعمة وبنت العم في الميراث

للأستاذ كمال عون

— ٥ —

٢ — تحت عنوان :

« باب ميراث ابن الابن إذا لم يكن ابن »

قال البخاري : وقال زيد بن ثابت : إن ولد الأبناء بمنزلة الولد ، إذا لم يكن دونهم ولد ذكر ، ذكرهم كذكرهم ، وأنثاهم كأنثاهم ، يرثون كما يرثون ، ويحجبون كما يحجبون ، ولا يرث ولد الابن مع الابن ، ثم روى بسنده حديث ابن عباس المذكور بنصه .

قال العيني : وفائدة إعادته هنا الإشارة إلى أن ولد الأبناء بمنزلة الولد ، وأنه روى الحديث عن شيخين — وبين الشيخين .

أقول : والدلالة هنا على نحو الدلالة هناك ، في توريث بنت الابن ، وبناته فرضا فإن كان معهن ذكر بدىء بأصحاب الفروض ثم يكون الباقي لأولى رجل ذكر مع من في طبقته من أخواته أو بنات عمه .

* * *

ثم أورد البخاري أثر هذا تحت قوله :

« باب ميراث ابنة ابن مع ابنة » حديث ابن مسعود ، وقد سئل عن : ابنة وابنة ابن وأخت إذ قال : أقضي فيها بما قضى النبي صلى الله عليه وسلم : للابنة النصف ، ولابنة الابن السدس تكملة الثلثين وما بقى فللأخت — وصحح بهذا خطأ أفتى به أبو موسى الأشعري في قسمة المال نصفين بين البنت والأخت ، ثم رجع عنه بعد علمه بحديث ابن مسعود ، وأثنى عليه .

وغرضنا في ذلك إيراد ما ذكره ابن حجر في فتح الباري عند شرحه لهـذا الحديث إذ قال ما نصه :

« واستدل الطحاوي بحديث ابن مسعود هـذا على أن المراد بحديث ابن عباس : « فما أبقت الفرائض فلأولى رجل ذكر » من يكون أقرب العصبات إلى الميت ، فلو كان هناك عصبة أقرب إلى الميت ولو كان أنثى كان المال الباقي لها ، ووجه الدلالة منه أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل الأخوات

من قبل الأب مع البنت عصبة ، فصرن مع البنات فى حكم الذكور من قبل الإرث.

أقول : وفى قول الإمام الطحاوى هذا من الفقه شىء كثير ، فهو نص فيما قلناه سابقا ، من أن أولوية الرجل معتبرة بالنسبة لمن يكون أبعد منه ، أما مع من يساويه من الرجال أو النساء فلا أولوية له بل هم شركاء . ومن أن الأنثى من أقارب الأب عصبة فى اعتبار الشرع ، كما هو فى اللسان العربى ، وقصر العصوبة على بعض النساء استنباط يختلف الرأى فيه لا قطعى ، وأن الأنثى ترث الباقى إن كانت أقرب من الذكر ، وإن كان هو فى ذاته قريبا - كما فى مثال سبق : بنت وأخت شقيقة وأخ لأب ، فالمال بين البنت والأخت الشقيقة ولا شىء للأخ لأب على قربه ، وذلك رأى الجمهور - وابن عباس يرى الباقى للأخ لأب من دون الشقيقة .

٣ فى (باب ميراث الجد مع الأب والإخوة)

أورد حديث ابن عباس بسنده - وإعادته هنا - كما فى القسطلانى وفتح البارى ، لبيان أن الذى يبقى بعد الفرض يصرف لأقرب الناس إلى الميت ، وأن الجد محجوب بالأب لقرب الأب وأن الإخوة محجوبون بالجد عند من اعتبره أبا ، فالباقى للجد لأنه أقرب رجل ، أو مشتركون معه عند من سوى بينهم وبين الجد فى الإدلاء بالأب ، فاشتركوا معه لتساويهم ، فليس أحد الجانبين أولى بباقى المال من الجانب الآخر .

٤ (باب ابنى عم أحدهما أخ للأم والآخر زوج)

وفى هذا الباب تنوعت جهات الإرث لكل وارث ، فورث بالفرض والتعصيب معا ، فالزوج فرضه بالزوجية النصف لعدم الولد ، والأخ للأم فرضه بهذه الأخوة السدس ، وليس من يحجبه ، وهما بعد ذلك يستويان فى عصوبتهما للمورثة إذ هما ابنا عمها .

وصنيع البخارى رحمه الله فى هذا الباب على ما يلى : بدأ بقوله : وقال على : للزوج النصف ، وللأخ من الأم السدس وما بقى بينهما نصفان ، ثم روى بسنده حديث أبى هريرة عن رسول الله ﷺ : أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم فمن مات وترك مالا فماله لموالى العصبة ، ومن ترك كلا أو ضياعا فأنا وليه فلأدعى له . ثم ساق بسنده حديث ابن عباس : (ألحقوا الفرائض بأهلها فما تركت الفرائض فلأولى رجل ذكر) .

وفى حديثى الباب : أن مال الميت لموالى

عصبته ، وأن الفرائض بدىء بها أولا ، وأن ما بقى بعدها فللعصبة للتساوين .

وهكذا يتجلى لنا أن الحديث فى استشهاد البخارى فى الأبواب الأربعة بعيد كل البعد عن تقديم الرجل على الأنثى المساوية له ، بل هو استشهاد على اشتراكها معه فيما بقى بعد الفرائض ، كما فى البابين الأول والثانى ، أو فى تقرير حق الأقرب بالنسبة لمن هو أبعد منه ، كما فى الباب الثالث ، أو فى تقديم الفرض على التعصيب ولو اجتمعا فى وارث واحد أو أكثر كما فى الباب الرابع .

نتيجة هامة نقدمها فيما يلى :

١ — ليس فى حديث ابن عباس رضى الله عنهما ما يمنع بنت الأخ والعمة وبنت العم ومن يليهن الميراث مع إخوتهن أو أبناء عمومتهن .

٢ — ليس فى نصوص القرآن الكريم ما يشير إلى منع أنثى الميراث مع ذكر تساويه فى الإدلاء إلى المورث : بنوة ، أو أبوة ، أو زوجية ، أو أخوة أو قرابة بل هو يؤكد ذلك الحق نصاً للمذكورين بأوصافهم كما سبق بيانه .

٣ — ليس فى الصحيحين — من باب الفرائض — ولا فى بقية الكتب الستة — على ما تتبعناه — حديث واحد ينص على منع بنت الأخ ومن يليها مع من تساويه ، ولا حديث يفيد نقل المذكورات من قرابات الأب إلى قرابات الأم .

٤ — (ا) من منعهن الميراث أصلا عما فهمه من الحديث محجوج بالتخريج السليم للحديث على ما سبق ، وبالأدلة التى اعتمد عليها القائلون بتوريث ذوى الأرحام .

(ب) ومن نقلهن إلى مرتبة ذوى الأرحام محجوج كذلك بالتخريج للحديث ثم بالمقرر فى توريث ذوى الأرحام من التسوية فى أصل الاستحقاق بين المتساويين قرابة من الذكور والإناث ، وذلك فى الحقيقة مفهوم حديث ابن عباس ، ومن تقديم الأقرب سواء كان ذكراً أو أنثى على سواء ، وبما رأيناه من بروز مكان النصرة الثلاث بين ذوى الأرحام ، وتوريثهم كثيراً توريث العصبات ، سواء بسواء (انظر عدد ذى القعدة الماضى) .

٥ — لا وجه بعد استبانة المذاهب ووجهات نظرها فى توريث ذوى الأرحام لما قرره ابن حزم فى المحلى ج ٩ ص ٢٥٣

قائلا: لاخلاف فى أن من ذكرنا لا يرث ويعنى: «ابن أخت، وبنت أخت وبنت أخ، وبنت عم، وعمة وخالة... » الخ فالخلاف مستفيض.

٦ — ما ذكره الإمام مالك رحمه الله فى الموطأ (باب الفرائض) من قوله: الأمر المجتمع عليه عندنا، والذى لا اختلاف فيه، والذى أدركت عليه أهل العلم ببلدنا أن ابن الأخ لأم، وابنة الأخ للأب والأم والعمة، والخالة لايرثون بأرحامهم شيئا.. الخ لا يمثل فى الواقع أكثر من رأى متقدمى المالكية والشافعية مأخوذا عن زيد بن ثابت رضى الله عنه ولا يشمل جمهور الصحابة الذين أخذ برأيهم فى توريث ذوى الأرحام الإمامان أبو حنيفة وابن حنبل وغيرهما ومن تابعهم، ثم من وافقهم ابتداء من القرن الثالث والرابع من جمهور الشافعية والمالكية.

وهنا نذكر للإمام مالك نصحه للإسلام والمسلمين حينما نهى الخليفة العباسى أن يحمل المسلمين على ما فى الموطأ قائلا: إن أصحاب رسول الله ﷺ تفرقوا فى الأمصار، وسبق إلى كل مصر علم من علمهم - كذلك قوله: كل إنسان يؤخذ من قوله، ويرد عليه إلا صاحب هذا القبر ويشير إلى القبر الشريف.

كذلك ماقاله الإمام الشافعى رحمه الله: أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ فليس له أن يدعها لقول أحد.

٧ — إذا كان قانون المواريث فى الجمهورية العربية المتحدة قد تدارك بالوصية الواجبة ما فرط الناس فيه من حقوق ذوى القربى، واختار فى جملته أعدل الأقوال من آراء العلماء، ثم هو قد سوى بين بنت الأخت وابن الأخت وبين الخالة والخال فى أصل الاستحقاق لامقداره فجدير به تدارك هذا الحق الواضح بالتسوية بين بنت الأخ وشقيقها، والعمة، وأخيها وبنت العم كذلك، فللذكر مثل حظ الأنثيين على منهج الكتاب والسنة، وعدالة الإسلام، وروح التشريع وبالله التوفيق؟

كمال أحمد عون

روابط القرابة والنسب بين مصر والشعب الليبي

للأستاذ ابراهيم محمد الفحام

— ٢ —

٢ ـ مجموعة المقاورة :

وتضم هذه المجموعة قبيلتين كبيرتين هما (أولاد على) و (الحرابى).

وينقسم (أولاد على) إلى عدة قبائل فرعية تضمها ثلاث مجموعات رئيسية هى : أولاد على الأبيض، وأولاد على الأحمر، وأولاد على السننة). وتقيم الغالبية الساحقة لعائلات تلك القبائل فى مصر، وتنتشر فى محافظات مطروح والوادى الجديد والإسكندرية والبحيرة، والمنوفية والغربية وكفر الشيخ والدقهلية والشرقية. إلا أن بعض عائلات هذه القبائل تقيم فى ولاية برقة بليبيا، وترتبط ارتباطا وثيقا بأقاربها فى مصر.

ومن قبائل أولاد على التى تقيم بعض عائلاتها فى مصر، والبعض الآخر فى ليبيا:

قبيلة العشيبات: من مجموعة (أولاد على الأحمر) وتضم أربع مجموعات من العائلات الكبرى تقيم ثلاث منها فى مصر، وهى مجموعات (القضاوى ويحيى ويوسف) وتقيم الرابعة (مجموعة أولاد على الصغير) فى ولاية برقة بليبيا.

قبيلة السنيبات: من مجموعة (أولاد على السننة) وتضم أكثر من عشر مجموعات من العائلات الكبرى تقيم معظمها فى مصر، بينما تقيم أربع مجموعات منها فى ليبيا وتسمى بيوت (جادالله، وضيف الله وحبيب، وربوح)

وينقسم (الحرابى) إلى خمس قبائل فرعية هى (العبيدات، والحاسة، والدرسة، وأولاد فايد والبراعصة) وتقيم بعض العائلات التى تنتسب إلى تلك القبائل فى ليبيا، والبعض الآخر فى مصر.

فالقبائل الثلاث الأولى تقيم معظم عائلاتها فى ليبيا، وأقلها فى مصر. وقد تقيم بعض الأسر التابعة لعائلة الواحدة بين البلدين.

ومن العائلات التابعة لقبيلة (العبيدات) التى تقيم بعض أسرها فى مصر، عائلات (الشريعى وشاهين وموكل وصريم والرزنة، وأبو جازية، ومزين، والشحايم، والملالقة، والعدال ورفاد). وتنتشر أسرها المصرية فى محافظات مطروح (وخاصة فى واحة

سيوة) والإسكندرية (وخاصة فى قسم العامرية) والبحيرة (وخاصة فى مركز أبى حمص) والغربية (وخاصة فى مركز كفر الزيات) والفيوم (وخاصة فى مركز سنورس) والمنيا (وخاصة فى مركز سمالوط) .

وتقيم الأسر المصرية التابعة لقبيلتى (الحاسة) والدرسة (فى محافظات مطروح والإسكندرية والبحيرة) وقد هاجر بعضهما من نحو قرن ونصف قرن إلى فلسطين .

وأما قبيلتا (أولاد نايد) (والبراعصة) فتقيم معظم عائلاتها فى مصر ، وأقلها فى ليبيا . وتقيم عائلات (أولاد نايد) المصرية فى محافظة الفيوم ، كما تنتشر عائلات (البراعصة) المصرية فى محافظات مطروح (وخاصة فى واحة سيوة) والدقهلية والغربية (وخاصة فى مركز كفر الزيات) . وكفر الشيخ ، والمنوفية (وخاصة فى مركز شبين الكوم) والبحيرة ، والفيوم (وخاصة فى مركز سنورس) وهو (أهم مواطنها) وقد لحقت بتلك العائلات بعض أسر البراعصة الليبية ، التى اضطرت إلى الهجرة إلى مصر أثر الاحتلال الإيطالى ، مع زعيمها الشيخ مروق أبى مازق رئيس عائلة (حدوث) .

٣ — مجموعة السلالمة : —

وتضم هذه المجموعة ثلاث قبائل هى (المنادى ، وبنى عونة ، والجبالية) وتقيم العائلات التى تنتمى إلى تلك القبائل جميعا فى مصر .

وتنتشر معظم العائلات التى تنتسب إلى قبيلة (المنادى) فى محافظات الشرقية (وخاصة فى مراكز الزقازيق وأبى حماد وفاقوس وبلبيس) والقليوبية والدقهلية (وخاصة فى مركز السنبلاوين) والمنوفية (وخاصة فى مركز تلا) والغربية وبنى سويف والفيوم والمنيا وأسيوط وقنا (وخاصة فى مركز إسنا) .

وتنتشر معظم العائلات التى تنتسب إلى قبيلة (بنى عونة) فى محافظات البحيرة (وخاصة فى مركزى أبى حمص وحوش عيسى) الذى ينتسب إلى زعيم لتلك القبيلة كان يدعى عيسى بن اسماعيل بن عامر ، وكفر الشيخ (وخاصة فى مركزى دسوق وفوة) والشرقية (وخاصة فى مركز بلبيس) .

وتقيم معظم العائلات التى تنتسب إلى قبيلة (الجبالية) فى محافظة المنوفية (وخاصة فى مركز تلا) .

ثالثا : المرابطون :

لا تكاد توجد قبيلة من قبائل المرابطين المقيمة فى ليبيا ، إلا وتتبعها عائلات عديدة تقيم فى محافظة أو أكثر من محافظات

مصر ، بل هنالك من تلك القبائل ما تقيم معظم عائلاتها فى مصر ، مثل قبائل (الجميعات) و(سمالوس) و(الجوابيص) و(الهوارة) .

وسنتحدث فيما يلى عن القبائل المرابطة التى تقيم نسب كبيرة من عائلاتها فى مصر :

الجميعات :

وتنتشر معظم عائلاتهم فى محافظات مطروح والاسكندرية والبحيرة وكفر الشيخ وبنى سويف (وخاصة فى مركز ببا) .

تشكل العائلات التى تنتمى إلى هذه القبيلة معظم سكان مركز أبى حمص بمحافظة البحيرة ، وتوجد قرى ينتمى سكانها جميعا إلى تلك العائلات ، وتقيم مجموعة قليلة من عائلات الجميعات فى ليبيا ، حيث يطلق عليها (أولاد خليفة) وإقامتهم على الأخص فى جهة كركورة ، واجدابية بولاية برقة .

سمالوس :

وتنتشر معظم عائلاتهم فى محافظات مطروح (وخاصة فى قسم الضبعة) والبحيرة (وخاصة فى مركز أبى المطامير) والمنوفية والغربية والدقهلية والشرقية وبنى سويف والفيوم (وخاصة فى مركز إطسا) والمنيا ولا يزال يوجد واد فى ليبيا يعرف باسم (وادى سمالوس) .

الجوابيص :

وتنتشر معظم عائلاتهم فى محافظات مطروح والوادى الجديد (وخاصة فى الواحات البحرية) والبحيرة (وخاصة فى مركز وادى النطرون) والمنوفية (وخاصة فى مركز شبين الكوم) والغربية وكفر الشيخ (وخاصة فى مراكز كفر الشيخ ودسوق وسيدى سالم وبيلا والبرلس) والشرقية والجيزة وبنى سويف والفيوم (وخاصة فى مراكز الفيوم واطسا وسنورس) وتمتد أنسابهم وروابطهم القبلية عبر دول شمال إفريقيا جميعا حتى موريتانيا

الهوارة :

وتنتشر معظم عائلاتهم بمحافظات مطروح والبحيرة والفيوم وأسيوط وسوهاج وقنا وتوجد قرى بأكملها فى المحافظتين الأخيرتين ، تنتمى إلى تلك القبيلة .

القبائل :

وتقيم بعض العائلات المصرية التى تنتسب إلى قبيلة (القبائل) فى محافظة البحيرة (وخاصة فى مركزى أبى المطامير وأبى حمص) وتعرف فيها باسم (الأزد) . وتوجد عائلة كبيرة تسمى (عائلة ماهر) تقيم بعض أسرها فى مركز أبى حمص ، والبعض الآخر فى ولاية برقة بليبيا .

خويلد :

وتقيم العائلات المصرية منها فى محافظة بنى سويف (وخاصة فى مركز أهناسيا) بينما تقيم العائلات الليبية منها فى أقصى الغرب بولاية طرابلس .

الشارفة :

وتنتشر العائلات المصرية منها فى محافظات بنى سويف والفيوم والمنيا .

المنفة :

وهى قبيلة الزعيم الليبى الخالد الشهيد عمر المختار ، وتنتشر العائلات المصرية منها فى محافظتى مطروح (وخاصة فى قسم الحمام) ، والبحيرة (وخاصة فى مركز حوش عيسى) .

الفواخر :

وتقيم العائلات المصرية منها فى محافظة الغربية .

القطعان :

وتنتشر العائلات المصرية منهـا فى محافظات الإسكندرية (وخاصة فى قسم العامرية) والبحيرة (وخاصة فى مراكز دمنهور وأبى حمص وإيتاى البارود والدلنجات) والغربية (وخاصة فى مركز كفر الزيات) والفيوم (وخاصة فى مركز إطسا) . وتوجـد عائلات تعيش بعض أسرها فى مصر ، والبعض الآخر فى ليبيا ، مثل عائلات أبى سعيدة والرخاى والعابدة وبريدان .

الحوتة (أو الحوطة) :

وتنتشر العائلات المصرية منهـا فى محافظات مطروح (وخاصة فى قسمى السلوم وبرانى) والبحيرة وأسيـوط (وخاصة فى مركز ديروط ، حيث يتكون منها سكان قرية بأكملها ، تعرف باسم تلك القبيلة .

حبون :

وتنتشر عائلاتها المصرية فى محافظات مطروح (وخاصة فى قسمى السلوم وبرانى) والإسكندرية (وخاصة فى قسم العامرية) والبحيرة والمنوفية (وخاصة فى مركز أشمون) والجيزة والفيوم (وخاصة فى مركز أطسا) والمنيا .

وهناك أعداد أخرى محدودة من العائلات المصرية التى تنتسب إلى بعض قبائل المرابطين الأخرى ، مثل قبائل أزوية والزاوية ، والعوامة ، والعابدة والهواهر والفراكى ، وأولاد الشيخ . كما أن هناك

عدداً آخر من العائلات المصرية التي تنتسب إلى أصول ليبية حضرية، وتكثر على الأخص في مدينة الإسكندرية، ومنها عائلات يقيم بعض أفرادها في ليبيا وبعضهم في مصر.

وقد قصرت الأمثلة التي ذكرتها هنا على الروابط القبلية التي لم تزل معالمها — أو على الأقل ذكرياتها، باقية حتى الآن، وهي الروابط التي ترجع أصولها إلى عهد قريب، لا يتجاوز القرنين والنصف أو الثلاثة القرون على أكثر تقدير. وأغفلت الروابط القديمة التي عفت معالمها أو كادت فالمعروف أن الشعب الليبي كان من أكثر الشعوب إسهاما في تكوين عناصر الشعب المصري القديم، كما كان الشعب المصري من أكثر الشعوب تأثيرا في حضارة وعقائد الشعب الليبي القديم. ثم كثر تبادل الهجرات بين القبائل المصرية والليبية بعد الفتح الإسلامي ويكفي أن نذكر أن معظم القبائل الليبية، قد تفرعت من قبيلة (سليم ابن منصور) التي هاجرت من مصر في القرن الحادي عشر الميلادي، وقد سجلت كثير من المؤلفات التي وضعت منذ عدة قرون مصير الجماعات البدوية الليبية التي استوطنت مصر، في عهود مختلفة واندمجت في الشعب للمصري تمام الاندماج، وحددت مواطن العائلات التي تفرعت منها في أنحاء الريف المصري على نحو أكثر تفصيلا مما سمح لنا به المقام في هذا البحث المتواضع، البالغ التركيز، ومن هذه المؤلفات (نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب) للقلقشندي المتوفى سنة ٨٢١ هـ (والبيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب) للمقريزي المتوفى سنة ٨٤٥ هـ.

وغاية ما أقصده من هذا البحث هو إلقاء بعض الأضواء في سبيل الباحثين عن مزيد من المقومات الفعلية، لا النظرية لدعوة الوحدة بين شعوب العالم العربي ومنها — على سبيل المثال — الشعبان المصري والليبي، ويكفي أن نذكر أخيرا أنه بالنسبة لهذين الشعبين على الأقل فإن هنالك كثيراً من المصريين الذين هم أكثر قرابة للشعب الليبي من كثير ممن يتمتعون بالجنسية الليبية بحكم القانون، كما أن هنالك كثيراً من الليبيين الذين هم أكثر قرابة للشعب المصري من كثير ممن يتمتعون بالجنسية المصرية أيضا بحكم القانون.

ويمكن أن يقال مثل ذلك أيضا عن كثير من الشعوب العربية الأخرى؟!

ابراهيم محمد القوام

الألغاز الأدبية

للأستاذ عباس أبو السعود

اللغز الأدبي خير ما يقوى العقل ، ويصقل الخاطر ، ويقدح زناد الفكر ، ويرهف الإحساس ، كما أنه يجتذب النفوس ويشيع فيها السرور ، ويحملها على النظر في عواقب الأمور .

هو للرشد البرىء ، وللعلم للؤدب ، والظهير للمعين الذي يقصر متاعبك ، ويشيد بأوجه إحساناتك ، فيه جمال وحكمة ، وفيه رصانة ومتانة ، وفيه بلاغة وطلاوة ، وفيه أسلوب وموعظة ، وسداد وتجربة ، وفيه حصافة وفطانة .

هو عليل شفاء ، ولسؤال المتعلم نعم المجيب بعد النداء ، بل هو شروق إفصاح ، وعذوبة راح ، وبهجة انشراح ، لأنه أثر من أفاعيل العقل ، وظل لقلوب قرائحه ، ونور لمرآة حياته ، وجمال لعين إنسانه ، هذا إلى أنه يجلى عنك مواطن الضعف في أدب ولياقة وحذق ولباقة .

وللغز أسماء كثيرة ، منها : الملاحن ، والكناية ، والتعريض ، واللغز ، والرمز ، والمعاياة ، والمعمى ، والعويص ، ومعنى الجميع واحد ، بيد أن اختلافها بحسب الاعتبارات .

فإذا اعتبرته من حيث إن قائله قد يوهمك شيئاً تفهمه ويخفى على غيرك سميته ملحنا ، وسميت فعلك الملاحن ، وإذا اعتبرته من حيث إن صاحبه لم يصرح بغرضه سميته كناية ، وإذا اعتبرته تورية عن الشىء فراراً من الكذب سميته تعريضاً وقد قالوا : إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب ، وإذا اعتبرته قد حمل على وجوه وأبواب سميته لغزاً ، وإذا اعتبرته من حيث إن واضعه لم يفصح عنه ، ولكنه أشار إليه سميته رمزاً ، وإذا اعتبرته من حيث إن واضعه كان يعاييك (أى يظهر إعياءك) سميته معاياة ، وإذا اعتبرته غطى على سامعه سميته معمى ، وإذا اعتبرته من حيث صعوبة فهمه ، واعتياص استخراجه أسميته عويصا .

وسأتناول كل لون من هذه الألوان بالتمثيل ، على أن أذكر الإجابة في آخر المقال ، (ما عدا بعض الأنواع التي تشتمل عليها ، كي أتيح الفرصة لمن يبتغي أن يعمل فكره مقدما) .

فن الملاحن :

١ — قولهم : إن رجلا من بني العنبر كان أسيراً في بكر بن وائل ، وهؤلاء عزموا على غزو قومه ، فسألهم رسولا إلى قومه ، فقالوا : لا ترسل إلا بحضرتنا لئلا تنذرهم ، وجيء بعبد أسود فقال له : أبلغ قومي التحية ، وقل لهم ليكرموا فلانا ، يعني أسيراً كان في أيديهم من بكر ، فإن قومه لي مكرمون ، وقل لهم : إن العرفج قد أدبى ، وشكت النساء ، وأمرهم أن يعروا ناقتي الحمراء ، فقد أطالوا ركوبها ، وأن يركبوا جملي الأصهب ، بآية ما أكلت معكم حيسا ، واسألوا عن خبري أخي الحارث .

فلما أدى العبد الرسالة إليهم قالوا : لقد جن الأعور ، والله ما نعرف له ناقة حمراء ولا جملا أصهب ، ثم سرحوا العبد، ودعوا الحارث فقصوا عليه القصة ، فقال : قد أنذركم ، أما قوله قد أدبى العرفج فمعناه أن الرجال قد استلأموا ولبسوا السلاح وقوله : وشكت النساء ، أي اتخذن الشكاء وحملنها وهي الأسقية ، وقوله : الناقة الحمراء أي ارتحلوا عن الدهناء ، واركبوا الصمان وهو الجمل الأصهب ، وقوله . بآية ما أكلت معكم حيسا ، أي أن أخلاطا من الناس قد غزوكم ، لأن الحيس يجمع التمر والسمن والأقط ، فامتثلوا ما قال، وعرفوا لحن كلامه ونجوا من أعدائهم .

٢ — حكى أبو الفرج الأصفهاني أن امرأ القيس آلى ألية ألا يتزوج امرأة حتى يسألها عن ثمانية ، وأربعة ، واثنين، فجعل يخطب النساء ، فإذا سألهن عن هذا قلن أربعة عشر ، وبينما هو يسير في جوف الليل إذا هو برجل معه ابنة له صغيرة كأنها البدر لتمه ، فأعجبته فسألها ياجارية ما ثمانية وأربعة واثنان ؟ فقالت : أما ثمانية فأطباء الكلبة ، وأما أربعة فأخلاف الناقة ، وأما اثنان فثديا المرأة ، فخطبها إلى أبيها فزوجه إياها .

٣ — وقيل: كان شريح عند زياد ابن أبيه وهو مريض، فلما خرج من عنده أرسل إليه مسروق رسولا يقول له : كيف تركت الأمير ؟ فقال: تركته يأمر وينهى قال مسروق : إنه صاحب مرض ، فارجع إليه واسأله ما يأمر وينهى ، قال : يأمر بالوصية، وينهى عن النوح .

(البقية ص ٥٣٦)

المصطلحات العسكرية في كتاب "المخصص" واستعمالها في الجيش العراقي الحديث

للواء الركن محمود شيت خطاب

— ٧ —

السهـــــام

نُعُوتُ السِّهام من قِبَل بَرْيِها ونُسُويتها.

١ — (ا) القِدَاح : واحدتها قِدْح ، والقِدَاح : إذا بلغت العِيدان أقتطعت فشُذِّبت عنها الأغصان وقُطِّعت على مقدير النَّبل وهي الأقدُح والقِدُوح والقِداح.

(ب) القَضْبَة : القِدْح من النَّبع يتخذ منه سهم.

(د) خُشُبٌ : الواحد خشيب ، وهي إذا أُخرِجت (السِّهام) من قشورها ونُحِتت النحت الأول على مُقاربة على ما فيها من عوج يقال : قِدْح مخشوب وخشيب.

(٥) التصلية : إذا صُلِّيت الخُشُب بالنار حتى تلين.

(هـ) البَرِيُّ : المكتمل البري.

(و) القِدْح قبل أن يعمل : نَضِيٌّ وهو نَضِيٌّ ما لم يُراش ويُعقب ويُنصل. (ج) : أنضاء فإذا فُعل ذلك به فهو السَّهم.

(ج) : أسهُم وسِهام.

(ز) قُرِحَ السهم وقُتِرح : بُدِئ عمله.

(ح) المَمْشُوق والمَشِيق : القدح المخفُوّ البري ليدق. وقد مُشِق مشقًا.

(ط) سهمٌ حَشْرٌ : دقيق. يقال : سهمٌ حَشْرٌ وسِهامٌ حُشْرٌ.

(ى) السَّهمُ الأصمع : مثل الحشر.

(ك) السَّهم المنجوف : كالمشيق. والنَّجفُ : بَرْي القِدح. وقد نجفه ينجفه نجفـــا

(ل) المصفَّح : إذا لم يكن مستديرًا وكان فيه عرض.

(م) السَّلُوف : السَّهم الطويل.

(ن) التحبير : إحكام البري. والأريب

كالمُجَبَرَّ . فإذا لم يُحكِمْهُ ولم يَلُمَّه قيل له : رُمَّ قِدْحَك فإنه مُسْتَرِم — أى أصلِحْ عيوبَه .

٢ — يمكن اعتماد هذه المصطلحات فى المصانع الحربية للعَتَاد ، من إعداده حتى إكمال عمله بحيث يكون جاهزاً للرّمى .

أسماء ضروب السهام وصفاتها

١ — (ا) المِرِّيخ — والغَالبُ عليه الذى يُغلَى : وهو سَهمٌ طويل له أربَعُ آذان . وهو سَهم يَصنَعُونه إلى الخِفَّة قِدحُه ونَصلُه هُيِّء للغلو . ولا يجمع للمريخ .

(ب) المُسَيَّر : سهم فيه خُطوط .

(ح) الحظواة : سَهم صغير قدرُ ذِراع (ج) : حِظَاءٌ . وسُمّى بذلك لأنه اتخذ من أدنَى غُصْن ، وكل غصن شجرة حَظْوَة ، وإذا حُقِّر الرجل وعُيِّر بالضَّعفِ قيل : إنما نَبلُك حِظَاءٌ .

(د) أهزَع : هو أردأ السِّهام . وقيل : هو الذى يبقى فى الكنانة وحدَه ، يقال سَهمٌ هِزاع . ولا يُستَعمَل الأهزَع إلاّ فى النَّفىِ وربما اضطُرَّ الشاعرُ واستعمله فى غيره إذا كان الإيجاب فى قوّة النَّفى كقوله :

يا أيُّها الرّامى بغَيرِ أهزَعا

(هـ) الأذرار : أن يُوضَع السَّهم على ظُفُر اليد اليُسرَى ، ثم يُدار بإبهام اليد اليُمْنَى وسَبّابتها ، فإذا دارَ دَوَرَاناً جيِّداً فقد دَرَّ دُرُوراً ، وإذا دَرَّ دار فى دُرُوره وحَنَّ حَنِيناً ، ولا يكون ذلك إلا من اكتناز عودِه وحُسن استِقامته والتام صيغته ويقال لذلك الأذرار : الإنفاذ والتَّنفيذ .

(و) السِّهام الصِّيغة : التى من عمل رجل واحد . (ج) : الصِّيَغ . ويقال : رَمَى بعشرين سَهماً صِيغَةَ يدٍ وطَرقة يد .

(ز) القِران : الصِّيَغ . واحدُها : قَرِين .

(ح) الرَّهْب : السَّهم العَظِيم . (ج) : رِهَاب .

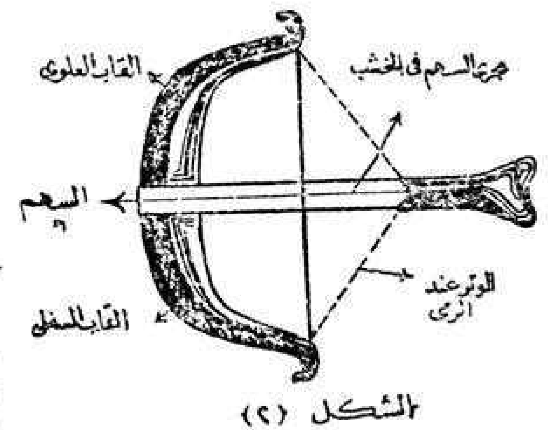
(ط) السَّنْدَرى : ضَرْب من السِّهام والنِّصَال . وقيل : هو الأبيض منها .

(ى) الكُثَّاب والكُثْب : الصغير من السِّهام .

(ك) الجُمّاح: سَهْم الصَّبي يُجعَل في طرَفه تمراً معلوكاً بقدْر عِفاص القارُورة ليكون أهدى له، وقيل: لئلا يَعْقِر به، وليس له ريشٌ.

(ل) النَّبْلُ السِّهام. وليس للنَّبل واحدٌ من لفظه. ويقال: نَبْلٌ ونَبْلانٌ ونِبال وأَنْبُلٌ. ويقال: نَبَلْت على القوم أَنْبُل: لقطتُ لهم النَّبْل ثم دفعتها إليهم ليَرْموها. وقال: استنبلَني فأنبلتُه: طلبَ منى نَبْلاً فأعطيتُه، وأَنْبلتُه: وهبتُ له نبلاً أو سهماً واحداً. ونبَلتُ بسهمٍ واحد: رَميتُ به. والنَّبّال: الذى معه النَّبْل، والذى يَعمل النَّبْل. ونابلني فنبلتُه: أي كنت أجوَد نبلاً منه. والنابل: الحاذق بالنَّبْل.

شكل
القوس والسهم



الشكل (٢)

(م) الأَسَلُ: النَّبْل.

(ن) النُّشّاب: النَّبْل. واحدته نُشّابة. والنَّشّاب: متخذ النُّشّاب وحرفته النِّشابة وقومٌ نشّابة: يَرمون بالنُّشّاب. ورجل ناشِبٌ: ذو نُشّاب.

(س) الزُّمَّخْر: السِّهام.

(ع) الخَوْر والخُوْر: قَصَب النُّشّاب، وهو أيضاً كل شجرة رِخوة خوّارة.

(ف) المِحْراس: سهمٌ طويل القُذَذ [1].

(ص) الحُسْبان: سهامٌ صغار يُرمى بها عن القِسيّ الفارسية. واحدتها: حُسْبانة، وهي مولّدة.

(ق) الحِرَاث: السَّهم قبل أن يُراش. (ج) أَحرِثة.

(يتبع)

محمود شيت خطاب

---

[١] القذة: ريشة الطائر كالنسر والصقر بعد تسويتها وإعدادها لتركب فى السهم. [ج] قذذ. انظر المعجم الوسيط [٢/٧٢٧ — ٧٢٨].

أنباء وآراء

● كانت قضية فلسطين - ولا زالت تنال من العالم الإسلامى كل اهتمامه ، وما من دورة لمؤتمر مجمع البحوث إلا كان لها نصيب هادف لتلك القضية الإسلامية الخطيرة ، فقد أعلن مؤتمر المجمع مرارا وجوب الجهاد المقدس لاستعادة البقعة الإسلامية السليبة ورد الأمور بشأنها إلى نصابها .

وإذا كانت قضية فلسطين لها هــذه الخطورة ، فإن أرواح أبنائها عزيزة على العالم الإسلامى كله فإنهم أبناء هذه الأرض التى يرتبط وجودها بوجودهم يوم أصحابها الذين سيقومون بدورهم العظيم لعمرانها وتقدمها بعد تطهيرها من براثن الصهيونية الآثمة ، والحفاظ على أولئك الأبناء الأبطال البررة واجب كل مسلم وكل عربى ، وإن الله - سبحانه - الذى هدى الزعماء والقادة العرب إلى اجتماع عاجل بالقاهرة لدراسة هــذه المشكلة الخطيرة التى يتعرض لها الفدائيون والأردنيون جميعا ومن خلفهم تتربص القوى الاستعمارية - هو الذى سيهدينا إلى تحقيق عزتنا وتطهير أرضنا من براثن الفتن الجامحة ليستمر النضال المقدس حتى النصر المبين المبارك بأمر الله .

● لقيت رحــلة فضيلة الإمام الأكبر دكتور محمد الفحام شيخ الأزهر وصحبه إلى الجمهوريات الإسلامية بالاتحاد السوفيتى تقديرا بالغا فى العالم الإسلامى لما حققته من أثر بالغ وتأكيد للوحدة الإسلامية التى أرادها الله صلة لاتنفصم عراها بين المسلمين ، فقد حرص الإمام الأكبر على دراسة أحوال المسلمين الدينية ونشاطهم الإسلامى ، إذ اجتمع خلال هــذه الزيارة بالعلماء والقضاة ورؤساء الإدارات الدينية واتخذ فضيلته قرارات ، من أهمها قرار بإرسال البعثات الإسلامية من رجال الأزهر وعلمائه لنشر الثقافة الإسلامية واللغة العربية فى هــذه البلاد .

وأبدى الإمام الأكبر رغبته فى كل الجامعات التى زارها هناك، وهى: جامعة طشقند، وجامعة سمرقند، وجامعة دوشم بيه، وموسكو، ومعهد الدراسات الشرقية - بأن يكون داخل كل منها قسم لدراسة اللغة العربية والاهتمام بها.

وقد تحدث فضيلته إلى المسلمين فى كل البلاد التى زارها مناشداً إياهم التمسك بالقيم الإسلامية والتخلق بآداب القرآن، وأن يستوحوا من عقيدتهم وإيمانهم بالله طريقهم المستقيم.

وقد اهتمت كل الدوائر الرسمية والشعبية بتلك الزيارة وسجلت مشاهدها فى جمهورية أوزبكستان وتاجاكستان ومدنهما الرئيسية طشقند وسمرقند ودوشم بيه ومسجدى مدينة موسكو ومدينة لينينجراد.

● زار فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود وكيل الأزهر جبهة القتال مع وفد من لجنة المواطنين من أجل المعركة يوم السبت ١٨ من رجب ١٣٩٠ وألقى محاضرة عن الإسراء والمعراج فى الجنود والضباط.

● تم توزيع خريجى الجامعات والمعاهد العليا فى دورى: يونيو ونوفمبر سنة ١٩٦٩م الذين وردت أسماؤهم إلى الأزهر، فى الجلسة المنعقدة فى ٢٤ من جمادى الآخرة ١٣٩٠ هـ ٢٦/٧/١٩٧٠

وقد تم التوزيع على هيئات الأزهر الثلاث: مجمع البحوث الإسلامية، والمعاهد الدينية والمجلس الأعلى للأزهر.

● اجتمع مجلس مجمع البحوث الإسلامية فى ١٦/٩/١٩٧٠ ونظر عدة مسائل منها:

تأليف لجان المجمع للدورة السابعة لعام ١٣٩٠ - ١٣٩١ — ١٩٧٠ - ١٩٧١.

الكتابة فى موضوعات المؤتمر السادس.

مذكرة عن القاموس القرآنى.

تقرير لجنة دائرة المعارف الإسلامية بالمجمع عن خطة العمل وما تم إنجازه.

بحث روح الحضارة الإسلامية لعضو المجمع المغفور له الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور.

● أوفد مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر هذا العام ٣٩٠ مبعوثا من علماء الأزهر إلى الجزائر على نفقة حكومتها. سيتم سفرهم خلال الأسبوع الأول من أكتوبر ١٩٧٠ وقد تمت كل إجراءات سفرهم مع الجهات المسئولة للدولتين.

كذلك أوفدت إدارة البعوث الإسلامية بالجمع ٩٠ مبعوثا على نفقة حكومة الجمهورية العربية المتحدة إلى مختلف البلاد العربية والإسلامية بآسيا وأفريقيا تشمل البلدان الآتيـة :

أندونيسيا ، رأس الخيمة ، سيراليون ، الصومال ، غانا ، غينيا ، الفلبين ، الكميرون ، لبنان ، مالنزيا ، نيجيريا ، النيجر ، اليمن الجنوبية ، اليمن الشمالية .

علي الخطيب

(بقية المنشور على ص ٥٢٠)

٤ — ومن الكنايات : خطب رجل إلى قوم ، فجاءوا إلى الشعبي يسألونه عنه وكان به عارفا ، فقال: هو والله ما علمت نافذ الطعنة ، ركين الجلسة ، فزوجوه فإذا هو خياط ، فأتوه فقالوا : لقد غررتنا ، فقال . ما فعلت وإنه لكما وصفت .

٥ — وقيل : أخذ العسس رجلين فقالوا لهما : من أنتما ؟ فقال أحدهما .

أنا ابن الذي لا ينزل الدهر قدره
وإن نزلت يوما فسوف تعود
ترى الناس أفواجا إلى ضوء ناره
فنهم قيام حولها وقعود

وقال الآخر :

أنا ابن من تخضع الرقاب له
ما بين مخزومها وهاشمها
تأتيه بالذل وهي صاغرة
يأخذ من مالها ومن دمها

فظنوهما من أولاد الأكابر ، فلما أصبحوا سألوا عنهما ، فإذا الأول ابن طباخ ، والثاني ابن حجام .

٦ — قيل : كان البراء بن قبيصة صاحب شراب ، فدخل على الوليد ابن عبد الملك وبوجهه أثر ، فقال الوليد : ما هذا ؟ قال : فرس لي أشقر ركبته فكبا بي ، فقال : لو ركبت الأشهب لما كبا بك ؟

(يتبع)

عباس أبو السعود مصطفى

Apart from commercial relations, religious dialogues was initiated between the learned men of all these regions — thus generating a sense of community transcending regional frontiers or dynastic loyalties.

The coming of Islam brought about important and dramatic transformation among the people in the Philippines who adopted it. It brought with it a rigid and uncompromising monotheism before which the old spirits fled away. It introduced new laws, novel ethnical standards, and a new outlook in the meaning and direction of life. The Arabic script was adopted, the Arabic language was used for rituals and theological matters, and Malay became the commercial and court language — elements making the Philippine Muslims more and more and integral part of an expanding Islamic Malay world. But just as important was the fact that the Muslims in the Philippines began to develop the consciousness of their belonging to a wider community — one that extended from Morocco in the Atlantic and Mediterranean seas to Malay lands in the China Sea. It was such links with other Muslim peoples that made the Philippines Muslims accept the histories of other Muslims as if they were their own. As it were, the glories of Islam in Asia and Africa ware also those of the Philippine Muslims to own and cherish, just as the vicissitudes and travails of Islam in other parts of the world were for the Philippine Muslims to bemoan. It was this sense of participation that progressively made the Muslims of the Philippines develop a sense of history and made them an historic people as well.

This last point is so important that with your kind indulgence it requires some digression. First of all Muslims have a high sense of community. This is not to deny that Muslims have fough and killed one another. But the Qur'an and the Shari'ah, the Holy Law, had alwyas condemned and abhorred these as sinful and provocative of Divine retaliation. Actually it is such prescriptions about and injunctions against the spilling of Muslim blood by Muslims that have moderated the inevitable conflicts deriving from personal and group conflicts. Transgressions against such injunctions always left a deep sense of guilt in the transgressor and the belief is generated that he lives in a cursed atmosphere from where the Divine Blessing had been withheld. It is his sense of community that upsets a Filipino Muslim when he hears about earthquakes in Morocco Turkey and Iran, of floods in East Pakistan. It is this sentiment that profoundly depresses him when he is informed that Muslims are persecuted in some countries.

(to be Continued)

Jolo. They were likely traders who married local girls and died and were buried in Joli, not without having left descendants. By the middle of the fourteenth century, Muslim missionaries appear as part of their plan to effect conversions in Malay lands. They were probably Sufis and their teachings were infused with mystical overtones. By the turn of the fourteenth century, Muslims from other Malay lands came to established principality. By the middle of the fifteenth century, Islam must have been quite widespread making the local chiefs and people receptive to the adoption of Islamic political institutions, more specifically that of the sultanate. Thus it can be seen that the coming of Islam and its expansion in other parts of Malasia and Indonesia.

While Islamic political institutions were being implanted in Sulu, Muslim traders and possibly itinerant teachers visited the eastern and northern parts of Mindanao Island. At present it is difficult to evaluate the results of their coming except to say that in some way they prepared for the advent of Muhammad Kabungsuwan who, with his sea faring followers, came to found a principality where they established Islamic institutions. Although his coming appeared to have grought some tensions among some settlements, it was by means of a system of multiple marriage alliances with various ruling families that brought Islam to the chiefs. The coming of this intrepid Arab-Malay, to whom the pervasive spread of Islam in Mindanao is attributed and from whom all the leading sultans of that island have claimed descent, can be calculated to have taken place around the second decade of the sixteenth century. Out of the above-mentioned marriage alliances, Islamic dynasties sprung : that of Maguindanao, Buayan, and Butig. From the Iranuns of Butig area, Islam was then introduced to their kins, the Maranaos of the Lake. Whereas the base and strenght of the Buayan sultanate was in the upper valley of the Pulangi in the interior of eastern Mindanao, that of the sultanate of Maguindanao was at the lower valley and nearby the coastal areas. Actually, for many years, it was Iranun support that strengthened the Maguindanao rulers against their antagonists.

In time, the continued existence of Islam in Sulu and Mindanao was guaranteed by a more intensive Islamization of their neighbours like Brunei and Ternate. The royal families of Brunei and Sulu would become intimately related as happend between Maguindanao and Ternate.

around Buansa as evidenced by the narration that when a baguinda or prince coming from Sumatra landed with his courtiers and warriors, the opposition against him was weakened when some Muslims (some of them grandchildren of Tuan Masha'ika) came to his support. Another version has it that the religious men of both factions, that is, the Buansa party and the party of the baguinda, decided to stop fighting and agree to have the baguinda as ruler in Buansa — his acceptability to the datus of Buansa being induced by the fact that the Sumatran prince was a Muslim. In any case, the coming of the baguinda with learned men in Islam must have contributed to the increasing consciousness of Islam among the people of Jolo, especially those in the area around Buansa.

After this time, Islam must have been deep among the datus and chiefs that they were willing to accept as their sultan a foreign Muslim known as the Sharif ul-Hashim. What is meant in particular is that this Muslim purportedly an Arab, did not come and impose Islam or his sultanate among the people. Rather, it was when the datus and generality of the people had become sophisticated in their Islamic knowledge and had developed a high level of Islamic consciousness that they were led to accept the political institutions required by orthodoxy. The Sharif-ul-Hashim is calculated to have arrived in Buansa around the middle of the fifteenth century. Let me emphasize that this sharif is a historical figure and not the figment of Tausug imagination. His beautiful tomb still exists in one of the slopes of Mt Tumantangis, the tallest mountain in Jolo. All his titles are inscribed in his tomb for anyone who cares to go up there and read them. Significant is that one of his titles is Maulana, suggesting that he was a guide and teacher. Actually, the conversion of the interior or mountain tribes in Jolo, the Buranans is due to him. In effect, this means that the coastal peoples of Sulu and the mountain peoples, the latter possibly older in the island than the coastal ones, came to share the same faith and submit themselves to one political and spiritual head. As is well known, the sultans of Sulu, have all claimed descent from this sharif, called the first sultan.

To summarize the introduction and spread of Islam in Sulu : Around the beginning of the fourteenth century or possibly before it, there was already a colony or settlement of foreign Muslims in the Island of

THE MUSLIMS IN THE PHILIPPINES A HISTORICAL PERSPECTIVE

By : CESAR ADIB MAJUL

— II —

By the nature of the invariant care given to the grave and tombstone and because the tombstone seems to have been imported by or worked in Sulu by Muslims, it can be inferred that by the end of the thirteenth century or at the beginning of the fourteenth century there was already a settlement or colony of foreign Muslims in Jolo island. I would like to speculate that this is the time of the coming of Tuan Masha'ika although I am not suggesting that the Tuan and the deceased foreign Muslim were one and the same.

The tarsilas then narrate about the coming of a certain Makhdum Karim who on account of his saintly qualities was also entitled Tuan Sharif Awliya, this last term being used for holy men. He is said to have travelled extensively and effected conversions. Najeeb Saleeby, a student of Sulu history and the scholar who first published some of the most important tarsilas, wrote that the Makhdum must have come around the second half or possibly around the middle of the fourteenth century. And this calculation tallies well with the date usually given for the coming of other makhdumin to Java and Balambangan. These makhdumin were probably Sufis with missionary aims. As is well known, the Sufis, that is, certain Muslims with mystical inclinations and belonging to brotherhoods, had come to the Indonesian Archipelago at around this time to spread Islam as a reaction to the fall of Baghdad to the Mongols during the last quarter of the thirteenth century. It is not really correct to say that the Makhdum Karim was the first man who introduced Islam to Sulu. What probably happened was that he reinforced Islam among the foreign Muslims or their descendants and with their help and support and use of their settlement as a base he was able to effect conversions among the surrounding local and elder population.

Islam must have been by now fairly spread among the population

never lost his consciousness nor control of his self.

In the early times of the mission, he used to repeat aloud, during the course of the revelation, what was revealed to him, soon, while still at Mecca, he abandoned this habit of simultaneous repeating, but began to remain silent till the end of the state of revelation, and then he communicated the message of God to his secretaries to note (as is mentioned in the Qur'an 75/16) : "Stir not thy tongue herewith to hasten it; upon Us the putting together and the reading thereof". And again (20/114) : "And hasten not with the Qur'an ere its revelation hath been perfected unto thee and say : my Lord, increase me in knowledge". And when the Prophet returned to his normal state, he used to dictate to his scribes the portion of the Qur'an which had just been received by him, in order to publish it amongst the Muslims and to multiply the copies. In his al-Mab'ath wal-Maghazi (MS of Fes), Ibn Ishaq reports : "Whenever part of the Qur'an was revealed to the Messenger of God, he first recited it among men, and then among women".

THE REVEALED BOOKS

145 — God being the Lord of the earth as well as of heavens, it is the duty of man to obey Him, more so because in His mercy, He sends His messengers for the benefit of man, God is the sovereign and the source of all law, spiritual as well as temporal. We have just spoken of the revelations and communications of the will of God to man. It is the collection and compilation of these revelations which constitute the Revealed Books.

146 — The formula of the creed enunciated by the Prophet Muhammad speaks of the Books, and not merely of the Book which would refer to the Qur'an only. This tolerance is characteristic of his teaching. The Qur'an speaks of it in numerous passages. For instance (2/285) : "Each one (of the Muslims) believeth in God and His angels and His books and His messengers, (and says) : We make no distinction between any of His messengers". Again (35/24) it declars : "... and there is not a nation but a warner hath passed among them". And yet again (4/164, 40/78) : "Verily WE sent messengers before thee (O Muhammad), among them those of whom We have told thee, and some of them We have not told thee about". The Qur'an names and recognizes the the scrolls of Abraham, the Torah of Moses, the Psalter of David and the Gospel of Jesus as the books revealed by God.

silent; there is not an ocassion of the revelation to me when I do not fear that my soul will depart." His Companions relate their observations as under : "Whenever a revelation came to him, a sort of rest (immobility) captured him" (Ibn Hanbal) Or "Whenever the revelation came to the messenger of God, he was overwhelmed and remained in this state a while as if he was intoxicated" (Ibn Sa'd). Or "The revelation came to him in the coldest day, and when it ceased, the front of the Prophet perspired with (sweat falling as) pearls" (Bukhari). Or "Once when the moment (of revelation) arrived, he bent his head inside (a garment?) and lo, the face of the messenger of God had become red, and he snored ; later the state vanished" (Bukhari). Or "Whenever the revelation came, he suffered therefrom and his face darkened (Ibn Sa'd). O "When the revelation came to him, we heard near him like the humming sound of bees" (Ibn Hanbal and Abu Nuaim). Or "The Prophet suffered great pain when the revelation came to him, and used to move his lips" (Bukhari). Other series of reports say that he then felt the weight of a great load, and say : I saw the Prophet when a revelation came to him while he was on his camel; the camel began to form with rage and twist its legs to the point that I feard that they would break with a crack. In fact sometimes the camel sat down, but sometimes it obstinately tried to stand, with legs planted like pegs allthrough the time of revelation, and this lasted until the state (of revelation) vanished, and sweat fell from him like pearls" (Ibn Sa'd). Or "The load almost broke the leg of the camel with a crack" (Ibn Hanbal). Zaid ibn Thabit reports his personal experience of a certain day in the following words : "His leg lay on my thigh and weighed so heavy that I feared that my femur would break with a crack" (Bukhari). In another version, there is this addition " . . . . . had it not been for the Prophet of God, I would have pushed a cry and taken away my leg". Other reports say : "The revelation came to him once while he was standing on the pulpit of the mosque and he remained immobile" (Ibn Hanbal). Or "He was holding a loaf of meat (during his meal) when a revelation came to him, and when the state ceased, the loaf was still in his hand" (Ibn Hanbal). At such an occasion, the Prophet sometimes lay on his back, sometimes the inmates even covered his face in respect with a piece of cloth, as the circumstance may be. Yet he

the prophet. None except a Prophet receives such a revelation through the intermediary of a celestial messenger. It ought to be remembered that in Islam, prophet does not mean one who makes prophecies and predictions, but only an envoy of God, a bearer of Divine message intended for his people. As to the angle, it does not enter in the scope of our studies here to discuss whether it is a spiritual being, distinct from the material beings in the universe, or something else.

143 — According to the Qur'an, the celestial messenger, who brought revelations to the Prophet, is called Jibril (Jibrail, Gabriel), which etymologically means "the power of God". The Qur'an cites also Mikal (Mikail, Micnael), without indicating his functions. The funcuonary in charge of hell is named Malik (literally "master" or owner). It speaks also of other angels without name and without attributes, all of whom execute the orders of the Lord. The Islamic belief is that Jibril, also termed by the Quran "trustworthy spirit (al-ruh al-amin), stands above all. In the sayings of the Prophet Muhammad, as distinct from the Quran, we read that this celestial messenger, Jibril, did not appear to the Prophet always in the same form. The Prophet saw him sometimes like a being suspended in the air, sometimes in the shape of a man, sometimes like a being having wings, etc. In a narration (cf. 129) preserved by Ibn Hanbal (1,53 or No. 374), it is reported that one day in the presence of many people, an unknown person came and put some questions to the Prophet Muhammad, and thereafter went away. Several days after wards, the Prophet told his companions : I am persuaded to belive that the person who put to me questions on that day was none other than Gabriel, who had come to teach you your religion; and never was I so tardy in recognizing him. It was so, because he had come to examine the Prophet and not to communicate to him some message of God.

144 — The way in which the revelation used to come could be deduced from the following reports in which the Prophet himself or his on-lookers have described it; 'Sometimes it came to me like the beating sound of the bell — and this is the hardest experience for me — and when that ceases, I retain well engraved in my memory all that it has said; but sometimes the angel appears to me in the shape of a human being and speaks to me and I retain what he says" (Bukhari). In the transmission of Ibn Hanbal, this same report reads : "I hear the beating sounds and thereupon I keep

FAITH AND BELIEF

By Dr. Muhammad Hmidullah

— II —

141 — There is also the Ilham, which we may be translated as "Divine inspiration." Things are suggested to the heart (mind) of a man whose soul is sufficiently developed in the virtues of justice, charity, disinterestedness, and benevolence to others. The saints of all epochs in all countries have enjoyed this grace. When someone devots one's self to God and tries to forget one's self, there are moments— of very short duration — when the state of the presence of God flashes like a lightning, in which one understands without effort that which no other effort would have succeeded in making him aware. The human spirit — or his heart as the ancient said — is thus enlightened; and then there is a sentiment of conviction, contentment and realization of truth. It is God Who guides him and controls him and thoughts as well as his actions. Even the prophets — the human messengers of God — get this kind of direction, among others. Anyhow there remains the possibility of error or judgement or of comprehension on the part of man. The mystics affirm that sometimes even the most pious men are led astray by their imperceptible ego, not being able to distinguish the base inspirations that come as a Divine trial.

142 — The highest degree of contact, the surest and the most infalliable means of communication between man and his Creator is called wahy by the Prophet Muhammad. It is not an ordinary inspiration, but a veritable revelation made to man on the part of the Lord, a celestial communication. Man is matter, God is on the contrary above even the spirit, and therefore beyond all possibility of direct physical contact with men (Qur'an 103). God is omnipresent, and, as says the Qur'an (50/16): "nearer to man than his jugular vein"; yet no physical contact is possible. Therefore it is a malak-literally a messenger, i.e. a celestial message-bearer, commonly translasted as "angel" — who serves as intermediary, or the channel of the transmission of the message of God to His human agent or messenger, i.e.,

segregated, or discriminated against because of color." Supplementary materials are used in the (Muslim) schools to teach the history of the black man. One manuscript of prepard lessons, written by Ellie Pearson Pope, aptly demonstrates the uses of such lessons in teaching (Muslim) students self-knowledge. In her book, Famous People of African Descent, based on biographical sketches of famous black men, the lessons are concerned with three historical groups. The first is the black heroes of the reconstruction era and later in the United States; secondly, they tell of the history of the black man in Africa; and thirdly, they are concerned with Muslim heroes and the history of Islam in Arabia. Biographical sketches include : W. E. B. Du Bois, Paul Robeson, Esteban, Muhammad of Mecca, and Imhoteb. Through the choice of such varied personalities the lessons are intended to give the (Muslim) student a sense of identity with many different areas of endeavor-politics, religion, exploration, and the arts. The student is helped to feel a strong sense of racial and religious pride which (Muslims) believe that the students could not obtain through the customary texts employed by the public schools in the teaching of history.

'Muhammad Speaks', used by the Universities of Islam as a source for classroom lessons in history and social studies, is another medium for teaching self-knowledge and the history of the black man. In every issue, there are numerous articles on the history of the black man in Asia and Africa, on black culture from these parts of the world, and on the achievements, of the newly emerging African countries in their struggle for independence and a better life for their people. Because there are so many articles in Muhammad Speaks which are pertinent to the material taught in history classes in (Muslim) schools, that newspaper serves as a unique supplementary text for the history classes.

History is also brought more sharply into focus for the (Muslim) students by occasional visits to historical museums. For example, students in Chicago visit the City Hall to view the Emancipation Proclamation there, and thus try to gain a better understanding of the Negro history of the Civil War. Students also visit museums which display artifacts of African and Asian cultures, as well as exhibits of ancient Asian cultures from which the (Muslim) students are taught they are descended.

(to be Continued)

subject, English. Such everyday items as conversation, letter writing, comprehension, and reading appreciation rest wholly, or in part, upon an adequate background in skilled "English" habits. No one can become an effective Public Speaker without a good knowledge of English.

The degree of Arabic taught by the Universities of Islam varies greatly, depending upon the availability of qualified teachers. Because of the difficulty in finding teachers qualified to teach Arabic, the Universities of Islam, in an attempt to establish an Arabic program which would be independent of outside sources for qualified teachers, are now training some of their own members to teach Arabic.

The third most distinctive difference in the curriculum of the Universities of Islam and that of the public schools is the history program. Within the (Muslim) schools, the emphasis in history classes lies in teaching the history of the black man in America and the relation of the black man of America today to the past culture and civilization of the black man in Asia and Africa.

This history is taught through five major media: prepared lessons, using Muhammad Speaks as a source; visiting museums; the use of textbooks which deal fully with the history of the black man in America, Africa, and Asia; and the use of supplementary textbooks prepared by the (Muslims) themselves.

One principal explains the necessity of such teachings in history: "The average so-calle Negro person does not know his past. He does not know his heritage. He has no knowledge of his own language. Even more, he does not know his own family names. He was cut completely off from his own roots, so he has been grafted on to another civilization which does not want him; and is always trying to reject him. So the educational system for us has to be something that helps us find ourselves, get ourselves back into gear again, and begin to take our place among the civilized peoples of the world.

Teaching the history of he black man in the United States, in Africa, and in Asia, is no small task. Historical texts which deal adequately with the subject are very rare.

Dr. Christine Johnson, one-time director of the University of Islam in Chicago, states "The histories we study in school are white histories about white Europeans ..and when a Negro character does appear, it is almost always as a menial, criminal, clown, or someone being

first through twelfth grades includes English, science, arts, arithmetic, and algebra. Also included are religion and languages (Arabic, as well as French and Spanish). There are a few noticeable differences between the report card and the actual program. For example, astronomy is listed on the card; but during the course of field study, no class was ever observed to be studying astronomy or Spanish.

In spite of the similarity between the program provided by the Nation of Islam and that of the public schools, there are several major deviations which distinguish the Universities of Islam from all other schools. As one principal in the (Muslim) schools explained: "After studying these textbooks, we add in order to bring them up to what we might want to produce, or there are always areas in them we might want to leave out".

Three major areas of distinction are religion, the teaching of Arabic, and the teaching of a history of the black man and his culture.

Since religious instruction is included in the school curriculum, (Muslim) schools can be classified as parochial schools.

The second major deviation from the public school's program is the teaching of Arabic within the Universities of Islam. Arabic is taught to (Muslim) students at third grade. All students who were interviewed responded that they considered Arabic their language. They felt that the language would put them in accord with their religion because the holy book of the Muslims, the Qur'an, is written in Arabic. As for the purpose of teaching Arabic in the (Muslim) schools, one principal commented:

"Being Muslim, we will have to have some communication with our brothers and sisters in other parts of the world; and some day we expect to establish some place where we can have self-determination And when we do, we should rather have our own language than continue to carry the language of our former slave masters".

Even though the emphasis is focused upon learning Arabic, the study of English is not neglected. When asked why they studied English as well as Arabic, the (Muslims) interviewed explained that they were still citizens of the United States, living in the United States, and that they had to maintain their English in order to be able to communicate with their fellow citizens.

"Many activities come under the

What does the School In The Nation of Islam in America Teach ?

BY : DR. IBRAHIM M. SHALABY

Knowledge : Teaching About Self.

The main function of the (Muslim) schools, as that of any school, is to impart knowledge to its students. In the (Muslim) schools, this knowledge is most especially a knowledge of one's self. The (Muslim) school aims at imparting self - knowledge and, thereby, self-esteem.

The (Muslim) schools teach essentially the same programme as the public schools teach in that given area. There are several reasons for this similarity of programme. Of the (Muslim) schools in existence, only the one in Detroit is accredited. Even that has been accredited only since 1958, and only through the ninth grade. The school in Chicago long has been striving to become accredited, but has not yet succeded. According to James Shabazz, supervisor of University of Islam in Chicago, Ill., the school has not been accredited due to a lack of the usual physical facilities such as a playground, a well - equipped library, and a librarian. The newer schools in Atlanta and Washington are likewise striving toward the ultimate goal of accreditation. For this reason the schools offer a programme very similar to that of the public schools in their states.

There is, however, a second major reason for having a programme like that of the public schools. When students whose families convert to the Nation of Islam transfer from public schools to the University of Islam, it is easier for them to adjust if the programs are essentially the the same. When the students above the ninth grade transfer back to a public school, as they do in Detroit, they can return to public school more easily if the two systems are similar.

The curriculum of the kindergarten includes such activities as safety rules, (Muslim) food habits, and (Muslim) songs which are intended to introduce the children to the religious teachings of the Nation of Islam at an early age. The curriculum for students from

feel an inward peace and joy within ourselves.

The secret of a successful life lies in adjusting ourselves to the Will of God, the Creator, the Sustainer, the Protector and the Owner of life and death. We have been sent into the world to build up our character passing through the everyday experiences of our life, to manifest the invisible spiritual powers, to make actual the Divine Powers dormant in us. We can submit ourselves to the Will of God only when we willingly co-operate with the experiences of our life through which we are passing and learn the lessons which have came to teach us. It means that all experiences of our life tend to build up our character and help us in our spiritual advancement, so that we may tread in the Straight Path which leads to our supreme good and perfection.

So long as every incident and every experience of life takes us to our supreme good, the wise thing is to co-operate with it, instead of fighting it or working against it. the Holy Qur'an has stated plainly : « قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون » . (التوبة ٥١)

It means : "Say nothing will happen to us except what God has decreed for us; He is our Protector; and on God hes let the believers put their trust" (9 : 51). And :

« واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير » . (الحج ٧٨)

It means : "Hold fast to God Who is your Protector—the Best to protect and the Best to help". (22 : 78) And again :

« إن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون » . (يونس ٤٤)

It means : "Verily God will not deal unjustly with people in aught; it is the people that wrong themselves" (10 : 44).

It is clear from the principle laid down in the Qur'an that our outward life is ever a reflection of the life within. If a change of the external circumstances is desired-that is if we wish to change the adverse circumstances - then a change in the inward is imperative, as the Qur'an declars :

« إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » . (الرعد ١١)

"Verily never will God change the condition of a people until they change that which is in their hearts..." (13 : 11).

but for one another. The essence of the message of Islam is insistence on believe in Divine Guidance and human responsibility. It also a call to good words and good deeds.

The applicability of the religion is marked by the answers that it can provide the humanity in the stresses and strains of life. Life has always been a challenge and the ability to meet it adequately guarantees its preservation. These challenges are not addressed to man's physical existence, but to the totality of his being. In Islam there is a close and inseparable bond between faith and action. The pattern of life of the man who follows the straight path and who alone can truly prosper is given in unequivocal language. In the Islamic perspective hope and faith are knit togeter and the loss of hope is the loss of faith. None despair of the grace of God but the faithless.

Life's aim is not to nurse us like babs. It places on our shoulders the burden of moral duties and obligations so that we may gain the maximum strength in acquitting ourselves of them. Through strengthening our moral capability we may become the universal man and enjoy the peace of mind and overcome adverse circumstances of the life.

The daily incidents and accidents of life are the means and measures through which our character is built up. Pain or pleasure discomfort or ease trials and tribulations or joy and delight only help us in turning our life to the Straight Path According to the Holy Quran, God has created life and death that to enable us to strive by good deads to reach a noble state. The Qur'an says :

الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم
أحسن عملا . (الملك ٢)

It means : "He who has created Death and Life that He may try which of you is best in deed"(67:2).

Life is a perpetual change, an incessant altration. Man, thus, enters into this warfire of life with the law of life itself and the forces working according to this law. We should not fight against the changes of life, on the other hand we ought to co-operate with them readily and willingly. Also we should have the lessons given to us through these changes or experiences. When we learn this lesson and make the necessary changes in our life and character in accordance with it, then our troubles begin to mend and we

to man as man, to man who is unique in creation and who has been assigned a mission which he himself ventured to choose without, of course, fully realizing the consequences of what he choose, In a very remarkable passage the Qur'an speaks of man as opting for a responsibility which heavens, earth and the mountains shrank, from bearing it and afraid of it :

إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً » . (الأحزاب ٧٢) .

It means: "Lo ! We offered the trust unto the heavens and the earth and the hills but they shrank from bearing it and were afraid of it. And man assumed it. Lo ! he hath proved a tyrant and a fool" (32.: 72).

Two ways are opened to man, either to co-operate with God in establishing a meaningful order or betray the purpose of his creation and fall to a state which is worse than that of an animal. The Holy Qur'an says: ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون . (الأعراف ١٧٩)

It means : "Already have we urged unto hell many of the jinn and humankind, having hearts wherewith they understand not, and having eyes wherewith they see not, and having ears wherewith they hear not. These are as the cattle-nay, but they are worse ! These are the neglectful" (7 : 179)

What really import is the way an individual or nation dispenses of its potentalities within its own temporal framework, not only how long a man lives and to what distances in the infinite space he can fly. But how he lives in the short span of life granted to him both as an individual and as a member of a nation. If man is given only to the satisfaction of his instinctive drives his perspective of values is distorted and this twist in his valvue—consciousness leads to moral pathology, to socio—economic imbalance and mental disorder.

Religion has a double function to fulfil. It is to insist on man's supra-temporal destiny, his uniqueness which is an inexhaustible in this world, and at the same time on awakening in him the consciousness of unity with the whole of creation. Hence we have to learn not only to live with one another

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER

ABDUL RAHIM FUDA

SHA'BAN 1390	ENGLISH SECTION EDITED BY A. M. MOHIADDIN ALWAYE	OCTOBER 1970

The Applicability of Islam in Varying Conditions of life

By

A. M. Mohiaddin Alwaye

Islam is a complete system of life suited to all times and climes and acceptable to all those dwell under the sun. It is but natural for such a universal message to adapt itself to the varying conditions of life. Islam is not only a message which became historically effective and vocal through the Prophet at a certain period of time, but equally a message which was proclaimed in every period of history through different media of Divine guidance.

The relevance of a perfect religion is not confined to any one level of human existence. It ranges from the lowest to the highest level. When the Qur'an affirms that man was created in the best of forms and then thrown into the lowest depths, it is referring to the authentic man who is created in the natural upright and to his subsequent failure to live up to his divine image.

If man is created in the natural upright he should reflect those basic principles which should govern his relations with his Creator, and his fellow men. Islam inculcates the sense of human community by invoking the historical consciousness, by bringing to mind the panorama of nations succeeded one another. The Quran is addressed

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
« بدل الاشتراك »
٥٠ قرشاً في الجمهورية العربية المتحدة
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص


مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

الجزء السابع — السنة الثانية والأربعون — رمضان سنة ١٣٩٠ هـ - نوفمبر سنة ١٩٧٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

قدّر الله ... وما شاء فعل

للأستاذ عبد الرحيم فوده

ذلك ما ينبغي أن نقوله عن يقين صادق وإيمان واثق إذا حاق بنا كرب لا نملك دفعه ، أو حل بنا خطب لا نستطيع منعه ، أو أصابنا الإخفاق فيما نرجو نفعه .

وذلك هو ما وصانا رسول الله ﷺ أن نقوله ونحن مؤمنون به إذا داهمتنا الحوادث بما لم نكن نتوقع ، أو فاجأتنا الكوارث بما يخالف الظن ، ويطيش بالألباب ، ويفتح للشيطان باب الوساوس والهواجس ، فقد قال صلى الله عليه وسلم يوصي كل مؤمن بأسباب القوة (احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ، ولا تعجزه وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت ، كان كذا ... وكذا . ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان ..)

فالحرص على ما ينفع ، معناه قوة الرغبة فيه ، والجد في تحصيله ، والجهاد في سبيله .

والاستعانة بالله ، معناها طلب عونه وتوفيقه ، فإنه - جل شأنه - هو الذي خلقنا وزودنا بقوى يجب ألا نهملها أو نعطلها ، فإذا انتابنا شعور بالضعف أو الخوف كان الأمل في نجدته والتماس عونه

هو العلاج لهذا الشعور ، وهو الاتجاه الطبيعي الصاعد للإيمان برحمته التي لا تضيق وقوته التي لا تضعف، وقدرته التي لا تعجز.

أما عدم الشعور بالعجز فهو النتيجة الطبيعية للحرص على ما ينفع ،والاستعانة بالله ، فإنهما لا يتأتى معهما الشعور بالعجز وما ينجم عنه من الملل أو الكسل أو اليأس من العمل .

فإذا حرص المؤمن على ما ينفعه ، واستعان بالله عليه ، ولم يشعر بالعجز عنه ثم انتابه الفشل . أو أصابه الإخفاق ، أو جاءه الشر من حيث كان يقدر الخير ، فليس له أن يقسو على نفسه ويرهقها بالندم والألم ، بل عليه أن يعزو ما أصابه إلى قدر الله ومشيئته وأن يؤمن بأن الله قدر له ما وقع عليه ، وأنه ــ سبحانه ــ يفعل ما يشاء ــ وقد يكون الخير فيما يراه شراً ويكون الشر فيما يراه خيراً كما يفهم من قوله تعالى : «وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون».

ذلك هو السبيل إلى راحة ضميره ، وعلاج ضعفه ، وتجديد أمله ، وإحسان عمله ، أما إذا أرهق نفسه بالندم والألم، وأغرق قلبه في لجج الظنون ، وعقله في متاهات الاحتمالات ، وقال: لو فعلت كذا كان كذا .. ولو فعلت هذا ما أصابني هذا فإنه يفتح الشيطان بكلمة « لو » بابا للاعتراض على الله ، والتمرد عليه ، والكفر به نعوذ بالله منه .

قدر الله .. وما شاء فعل .

وذلك ما يجب أن نقوله عند وقوع ما نكره ، سواء كان ثمرة مباشرة لعملنا أو كان شيئاً لا طاقة لنا به . ولا قدرة لنا عليه ، فإن كل ما يقع لنا أو علينا ، وما يقع في الأرض من مكاره كالآفات التي تصيب الزرع والعواصف والزلازل ، وما يقع في نفوس الناس . كالأمراض والعاهات والموت . كل ذلك مقدور مسطور في كتاب ، والله يعلمه قبل أن يخلقه ويعلمه الناس كما يفهم من قوله تعالى : «ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير ، لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور» .

قدر الله .. وما شاء فعل .

نقول هذا . ونذكره ونكرره ، وقد غشى الأمة العربية والعالم الإسلامى والمجتمع الإنسانى ما غشى من الخطب بموت الرئيس جمال عبدالناصر ، بعدأن توج الله جهوده وجهاده بجمع ما تفرق من كلمة العرب ، ثم اختاره إلى رحابه فى وقت كنا أحوج ما نكون إلى قيادته . وشجاعته وحكمته وبعد نظره . وقوة إيمانه وإخلاصه .

وماذا نقول فى « جمال عبد الناصر » وقد كان ملء سمع الدنيا وبصرها . وملء قلوب العرب والمسلمين ، وكان بقامته المنتصبة وهامته المرتفعة ، ويده التى تشير فتحرك الجماهير ، وصوته العميق العريض العالى ، وقلبه الكبير المؤمن الصادق . كان بكل ما كان عليه مثلا رائعا جليلا نبيلا . يذكرنا بما أنجبته بلادنا العظيمة الكريمة من أبطال وبما تستطيع أن تنجبه من رجال : يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم .

قدر الله ... وما شاء فعل .

وصدق الله إذ يقول ، وقوله الحق :

« وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون ، كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون » .

ألا وإن من رحمة الله بأبناء مصر أن وفق قادتها إلى اجتماع الكلمة على اختيار خلف للسيد الرئيس جمال عبد الناصر ، هو السيد « أنور السادات » وفقه الله وأعان الشعب على النهوض بالتبعات والأعباء .

وحقق للعرب والمسلمين ما يتطلعون إليه من عزة وكرامة وخير .؟

عبد الرحيم فوده

دلالة القرآن على نفسه أنه من عند الله

للدكتور محمد أحمد الغمراوى

— ٤ —

دلالة المعنى مع دلالة ضميرى الجلالة والرسالة (٢)

تأملنا فى المقال السابق[1] فى شىء من التفصيل كيف إن الآيات الكونية فى القرآن الكريم يظهر فيها بوضوح ذلك التناسب فى الجلال بين ركنى الإسناد إذا كان المسند إليه اسما من أسماء الله الحسنى أو ضميراً من ضمائر الجلالة ، وهو الشرط الذى ينبغى تحققه فى المعانى القرآنية المسندة على الأخص إلى ضمير الجلالة للمتكلم كما تدل دلالة قاطعة على أنها من عند الله ، وأن المتكلم فى القرآن هو الله عز وجل .

لكن إذا كان هذا هو الشأن فى الآيات القرآنية الكونية لوضوح استحالة أن يقدر على الكونيات أحد إلا الله ، كما فى قوله تعالى : « خلق السموات بغير عمد ترونها ، وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم ، وبث فيها من كل دابة ، وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم »

[١] عدد شعبان ١٣٩٠ .

لقمان الآية (١٠) فما هو الشأن فى غير الكونيات كالقصص مثلا ؟

إن القصص عند الناس أبعد ما يكون بطبيعته من أن يتحقق فيه ذلك الشرط ، لأنه نتيجة العقل البشرى وخياله ، ونتاج البيئة فى كل عصر وقطر . فإذا ما تحقق فى آيات القصص فى القرآن ما تحقق فى الآيات الكونية من الدلالة ، أفلا يكون ذلك من عجائب إقامة البرهان القاطع على أن القرآن من عند الله .

إن آيات قصص الأنبياء فى القرآن الكريم هى فيما أحصينا لا تقل من خمسين ومائتين وألف آية ، أى نحو خمس آيات القرآن . وما من قصة من قصص نبى فيه إلا وضمير الجلالة للمتكلم يحرسها ويحميها من مظنة أن تكون من كلام أحد غير الله سبحانه ، إن لم يكن ذلك فى صلب القصة كما هو الكثير الغالب ، فقبلها كما فى قوله تعالى « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل » الآية ١٩

من سورة المائدة قبل قصة موسى مع قومه في نفس السورة « وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين . يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم » الآيات ٢٠ ـ ٢٦ ، أو قد يأتي ضمير الجلالة المتكلم بعد القصة كما في قوله تعالى : « من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا » الآية ٣٢ من سورة المائدة بعد قصة ابني آدم في قوله تعالى : « واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر » الآيات ٢٧ ـ ٣١ وقد صدرت القصة كما نرى بضمير الرسالة في قوله تعالى « واتل عليهم » وجاء لفظ الجلالة في آخرها في قوله تعالى « فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يوارى سوأة أخيه » ليكون الالتفات منه إلى ضمير المتكلم في الآية بعده : « من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل » دليلا آخر على أن المتكلم في الآية الكريمة هو الله سبحانه وتعالى .

فلننظر الآن فيما يتسع له باقي المقال من قصص الأنبياء في القرآن الكريم لنتبين كيف إن ضمير المتكلم الصادر منه القصص هو حقا ضمير الجلالة . لأن الأفعال المسندة إليه لا يمكن أن تصدر من غير الله .

قصص آدم : وقصة آدم عليه السلام وردت على تنوع في التفصيل في سبع سور : واحدة مدنية هي البقرة ، والست الباقية مكية هي حسب ترتيب نزول الوحي بها : ص والأعراف وطه والإسراء والحجر والكهف ، وكلها صدرت فيها القصة من ضمير الجلالة المتكلم ابتداء إلا سورة ص فقد افتتحت القصة بما يدل على الجلالة والرسالة معا في قوله تعالى « إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين ، فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين » الآيات ٧١ ـ ٨٥ وقد ورد فيها ضمير الجلالة المتكلم تسع مرات على تنوع في مقول القول .

ثم يأتي ضمير الجلالة المتكلم ثلاث مرات في الافتتاح النادر العجيب للقصة في سورة الأعراف « ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين » الآية ١١ والخلق هنا ، هو التقدير بدليل « ثم صورناكم »

فلو كان الخلق تم لعمل التصوير وبإتمام التصوير يتم إنفاذ التقدير ، أى يتم التكوين على وجه الإبداع وهو المعنى الثانى للخلق المتجلى فى الآية ١٤ من سورة المؤمنون « ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ، ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين » وهى أطوار أشير إليها فى آية الأعراف بالحرف (ثم) فى قوله تعالى : « ثم صورناكم » بعد قوله « ولقد خلقناكم » على التراخى فى الترتيب كما يتطلبه تعدد الأطوار .

لكن الإشارة الأدق الألطف هى فى ضمير الخطاب للجمع فى « خلقناكم ثم صورناكم » مع أن ذرية آدم لم تكن وجدت بعد بدليل قوله تعالى « ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم » فهذه ألطف إشارة إلى أن الذرية ستتبع والديها فى الصورة وما تحت الصورة من صفات تورث سنة الله فى الخلق ، خلق الإنسان وغير الإنسان من الأحياء ، ولقد جاء ضمير الجلالة للمتكلم ثلاث مرات أثناء القصة فى مقول القول وجاء مرتين فى الآيتين بعدها نداء لبنى آدم « يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكم وريشا » الآية ٢٦ « يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ، إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون » الآية ٢٧ وفى قوله تعالى « ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما » تصحيح لما يقول أهل الكتاب فى سفر التكوين من أن آدم وحواء لم يكونا يرتديان شيئا فى الأول مع جهل بما يستلزمه ذلك من بدو السوأة حتى أكلا من شجرة المعرفة فعرفا فسارعا إلى الاستتار بورق التين .

ثم القصة فى سورة طه : جاء ضمير الجلالة المتكلم فى صدر كل من الآيات الثلاث الأولى : « ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما . وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى ، فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك » الآيات ١١٥ ـ ١١٧ .

ثم جاء الضمير خمس مرات فى مقول القول فى الآيات ١٢٣ ـ ١٢٦ : « قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل

ولا يشقى » إلى قوله تعالى : « قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ».

ثم يأتى مباشرة فى الآيتين ١٢٧ ، ١٢٨ « وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى . أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم ؟ إن فى ذلك لآيات لأولى النهى » توكيداً لدلالة ضمير الجلالة فى القصة ، وإظهاراً للعبرة فيها .

ثم تأتى القصة فى سورة الإسراء مفتتحة بضمير الجلالة للمتكلم ومختتمة به فى قوله تعالى : « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس ، قال أأسجد لمن خلقت طينا » إلى قوله تعالى : « إن عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا » الآيات ٦١ ــ ٦٥ .

ثم القصة فى سورة الحجر : « ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون . والجان خلقناه من قبل من نار السموم . وإذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون . فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين . فسجد الملائكة كلهم أجمعون . إلا ابليس أبى أن يكون مع الساجدين » إلى آخر القصة فى الآيات ٢٨ ــ ٤٤ . فنرى القصة مصدرة بضمير الجلالة للمتكلم فى الفعل (خلقنا) مرتين ، ثم منه التفت إلى الاسم الظاهر مضافا إلى ضمير الرسالة فى (ربك) من قوله تعالى : « وإذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا » ليعلم أن المخاطب لمحمد هو ربه المتكلم فى (خلقنا) الآمر الملائكة بالسجود للإنسان الذى هو آدم إذا تم خلقه وتسويته والنفخ فيه من روح الله ، إذ لا خالق ولا آمر الملائكة بالسجود إلا الله سبحانه .

ثم تأتى القصة فى سورة الكهف فى آية واحدة هى إجمال للأمر مما سبق فى قصص آدم فى السور المكية كلها : « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ! أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو ؟ بئس للظالمين بدلا » ! .

فضمير المتكلم فى صدر الآية يشهد له بالجلالة أنه الآمر بالسجود لآدم ، وهو الأمر المنصوص عليه فى قصص آدم كله ، مكية ومدنية . فهو تكريم لآدم والإنسانية كلها لم يأبه إلا إبليس نصا أيضا فى القصص كله . فهما إذن أهم ما فى ذلك

القصص ليشكر بنو آدم ربهم على ذلك التكريم بتوحيده سبحانه والإخلاص فى عبادته ، وليحذروا إبليس عدوهم الأكبر ، وهى العظة الكبرى فى ذلك القصص لم يفقهها أكثر الناس فلم يشكروا ولم يحذروا فخوطبوا فى الآية الكريمة بالسؤال الإنكارى العجيب « أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو ؟ ! » وجل وجه الله وعز أن تكون به حاجة إلى ولايتهم ، وإنما هم الفقراء إلى ولايته سبحانه ورحمته ، فقد ظلموا أنفسهم أكبر الظلم بكفرانهم ربهم وموالاتهم عدوهم « بئس للظالمين بدلا » .

ولو اقتصر الأمر فى آخر آية فى قصص آدم على هذا التلخيص العجيب للقصص وحكمته لكان إعجازا أيما إعجاز ، فما بالك والآية فيها ما لم يسبق ذكره فى القصص كله ! فيها النص على أن إبليس كان من الجن لا من الملائكة ، أى كان ذا اختيار كالإنسان فاختار أن يعصى ، ولو كان ملكا لسجد مع الملائكة إذ هم « لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » . وفيها النص على أن الأمر بالسجود كان شاملا لإبليس من باب أولى ، وأن إبليس كان يعلمه بدليل قوله تعالى : « ففسق عن أمر ربه » وفيها التصريح بما كان مفهوما ضمنا فى قصص آدم قبلها وبعدها من أن المتكلم فى « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم » والآمر إبليس معهم بالسجود هو رب إبليس ، كما يدل عليه الالتفات من الضمير فى (قلنا) إلى الاسم الظاهر فى (ربه) من قوله تعالى : « ففسق عن أمر ربه » ، وفى الفعل (فسق) تنفير أى تنفير من مطاوعة ذلك الفاسق (عن أمر ربه) لو كان أكثر الناس يعقلون .

أما القصة فى سورة البقرة التى لم يشركها فيها غيرها من السور المدنية فقد امتازت بأمرين لم يردا فى قصة لآدم غيرها : أمر استخلاف آدم – وبنيه طبعا – فى الأرض فى الآية المصدرة بضمير الرسالة « وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة » الآية ٣٠ ، وأمر إعداد آدم وبنيه لعلم ما فى الكون كله المشار إليه بقوله تعالى « وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة » الآية ٣١ . أما بقية القصة فتلخيص لطيف موجز للأهم فى القصص السابق بتصدره ضمير الجلالة للمتكلم فى قوله تعالى « وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم

فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين » الآية ٣٤ وما بعدها .

وينبغي هنا التنبيه إلى أن قصص آدم في القرآن قد امتاز عن قصته في سفر التكوين بأمرين عظيمين هما أمر الملائكة بالسجود لآدم مع إباء الشيطان السجود معهم ، فهذا أمر لم يرد له ذكر في التوراة التي بأيدي الناس ، وأمر انخداع الشيطان حتى أكل من الشجرة التي كان منهيا عنها وأخرج من أجل ذلك من الجنة إلى الأرض فإن سفر التكوين يقول إن الحية هي التي خدعت حواء حتى أكلت وأطعمت زوجها ، وحتى لم يقل إن الشيطان حلته الحية بصورة ما إلى داخل الجنة ليستزل آدم وزوجه في أمر الشجرة ، كما يحاول بعض الناس أن يقرب حديث الحية إلى الأفهام . فهذان أمران خطيران فارق فيهما القصص القرآني قصة سفر التكوين ومع ذلك يزعم المستشرقون ومن تابعهم أن القصص القرآني مأخوذ من قصص أهل الكتاب .

قصص الأنبياء والرسل بعد آدم :

ولحكمة كبرى كان تسليط الشيطان على ذرية آدم يحاول أن يغويها وعليها أن تقاومه لتقوى روحيا بمقاومته كما تقوى جسديا بمقاومة القوى المتعددة في الرياضة الجسمانية ، ومن هنا اقتضت حكمة الله ورحمته أن يرسل الرسل يهدون بني آدم إلى الله ويحذرونهم كيد الشيطان وإغواءه « رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيما »[1]. هذا مع فتح باب التوبة والاستغفار حتى ساعة الاحتضار لينجو به بنو آدم من عواقب عصيانهم ربهم بكيد إبليس عدوهم « ولا يهلك على الله إلا هالك » كما قال الرسول صلوات الله وسلامه عليه فإذا جاء ضمير المتكلم في قصص الرسل مسنداً إليه الإرسال أو إهلاك المكذبين من أقوام الرسل فذلك ضمير الجلالة لا ذلك فيه . فلنستعرض الآن وإن باختصار قصص نوح أقدم الرسل المعروفين بعد آدم لننظر كيف هو أيضا يحميه ويحرسه ضمير الجلالة للمتكلم أن يكون ذلك القصص من عند غير الله .

قصص نوح : وقصة نوح عليه السلام وردت في عشر سور كلها مكية ، وهي حسب ترتيب نزول الوحي بها : سورة

[١] النساء : ١٦٥ .

القمر ، والأعراف ، والشعراء ، ويونس ، وهود ، والصافات ، ونوح ، والأنبياء ، والمؤمنون ، والعنكبوت . وستجد في كل قصة فائدة ليست في غيرها ، مع اشتراك بالطبع في الأساسيات من الدعوة إلى الله وإهلاك المكذبين وتنجية المؤمنين مما لا نجد له نظيرا قط في قصص سفر التكوين .

أما سورة القمر فالقصة فيها مسوقة تحذيراً وإنذاراً لقوم النبي ﷺ أن يدركهم من العذاب إن استمروا على تكذيب رسولهم مثل الذي أدرك قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم لوط المذكور قصصهم في سورة القمر : « كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر فدعا ربه أني مغلوب فانتصر ، ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر ، وحملناه على ذات ألواح ودسر ، تجري بأعيننا » الآيات ٩ ـ ١٧ فهذا وصف باهر معجز لبدء الطوفان ، وروعته وإعجازه أن كل جملة فيه حق قد كان ، فليس للخيال الباطل فيه مكان وإنما يتجلى الجلال الإلهي في آياته ، فكل آية منه أسند فيها الفعل إلى ضمير الجلالة المتكلم مثل الإعجاز القرآني في المعنى والأسلوب ، وما ليس فيه ضمير المتكلم معجز أيضا لكن إعجازه لا يتبين لكل الناس كما يتبين إعجاز مثل « ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيونا ، فالتقى الماء على أمر قد قدر » ويقابل وصف بدء الطوفان في الروعة والجلال وصف نهايته في سورة هود « وقيل يا أرض ابلعي ماءك ، ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضى الأمر ، واستوت على الجودي ، وقيل بعداً للقوم الظالمين » آية واحدة كل جزء منها معجز وإن خلا من ضمير الجلالة المتكلم ، وإلا فمن ذا الذي يأمر الأرض والسماء فتطيع إلا الله ؟ ومع ذلك فقد جاء الضمير في أول القصة « ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه إني لكم نذير مبين » (الآية ٢٥) ، وفي وسطها « واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ، ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون » الآية (٣٧) « حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين ، وأهلك إلا من سبق عليه القول ، ومن آمن ، وما آمن معه إلا قليل » الآية (٤٠) ثم في خاتمة القصة « تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ، ما كنت

تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا، فاصبر إن العاقبة للمتقين » الآية ٤٩ وفى هذه الآية الكريمة جاء ضمير الرسالة ست مرات فى ظل ضمير الجلالة واحد فى قوله تعالى « تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك » ثم فيها إبطال لزعم من يزعم أن مصدر القصص القرآنى ما كان يعرفه العرب أو كان متداولا بينهم من الأخبار والمعتقدات، فالنص واضح لا يقبل التأويل « ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا » وصدق الله

ولقد شارك القصة فى هود غيرها فى مفتتحها « ولقد أرسلنا » بإثبات حرف العطف فى سورة المؤمنون والعنكبوت وبدونه « لقد أرسلنا » فى الأعراف لأن الجملة الكريمة مسبوقة بآية كونية بقوله تعالى « والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه. والذى خبث لا يخرج إلا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون »

فضمير الجلالة فى القصة وفى الآية الكونية واحد، وبمثله اختتمت القصة فى قوله تعالى « فكذبوه فأنجيناه والذين معه فى الفلك، وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا، إنهم كانوا قوما عمين » الآية ٦٤.

وقد خص نوح عليه السلام من بين الأنبياء والرسل بسورة قصرت كلها عليه هى سورة نوح. وقد جاء ضمير الجلالة مكررا مؤكدا فى أولها « إنا أرسلنا نوحا إلى قومه، أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم » أما بقية السورة فهى بيان النذارة كيف قام بها نوح عليه السلام وكيف أباها عليه قومه وأصروا على عبادة أوثانهم فاستحقوا الهلاك « مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا، فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا » ومن الطريف أن تسبق هذه الآية آية دعاء نوح على قومه بالهلاك « وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا » وما كان إهلاكهم غرقا إلا استجابة لهذا الدعاء. ففى هذا حجة قرآنية واضحة لصحة ما قرره النحويون من أن الواو العاطفة هى لجمع لا لترتيب، وإن كان هذا لا يمنع أن يأتى الكلام على ترتيب يقصده المتكلم تدل عليه قرينة ما وإن لم تدل عليه الواو.

وفى سورة الصافات أيضا، افتتحت القصة بضمير الجلالة المتكلم فى قوله تعالى « ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون » الآية ٧٥ وتكرر الضمير فى الآيات بعدها « ونجيناه وأهله من الكرب العظيم.

وجعلنا ذريته هم الباقين » إلى أن اختتمت به فى الآية ٨٢ (ثم أغرقنا الآخرين) . وفى سورة الأنبياء تكرر الضمير فى القصة على قصرها « ونوحا إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم، ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين [1] » أما القصة فى سورة يونس فقد افتتحت بضمير الرسالة « واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه » الآية ٧١ واختتمت أيضا به فى قوله تعالى « فانظر كيف كان عاقبة المنذرين » فى آخر الآية ٧٣ « فكذبوه فنجيناه ومن معه فى الفلك، وجعلناهم خلائف، وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين » فانظر إلى عجيب الإعجاز فى افتتاح القصة واختتامها بضمير الرسالة يؤيده توالى ضمير الجلالة المتكلم مسندة إليه أفعال لا يقدر عليها إلا الله وحده، ليعلم من يكن يعقل أن المتكلم بالقصص القرآنى هو الله سبحانه وهذا من أقوى الأدلة الذاتية وأعجبها على أن القرآن من عند الله « والله يقول الحق وهو يهدى السبيل » ومن بين القصص العشر تفردت القصة فى سورة الشعراء بالحديث فى أولها عن قوم نوح بما يفيد أن التكذيب برسول هو تكذيب بالرسل أجمعين «كذبت قوم نوح المرسلين، إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون ، إنى لكم رسول أمين » ثم اختتمت بما يفيد أن الله كتب النجاة للمؤمنين والهلاك المكذبين إذ يقول سبحانه «فأنجيناه وأهله فى الفلك المشحون، ثم أغرقنا بعد الباقين، إن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين، وإن ربك لهو العزيز الرحيم » الآيات ١٠٥ ـ ١٢٢

وكذلك كان المفتتح والمختتم فى بقية قصص الأنبياء فى هذه السورة الكريمة فى نمط واحد قال عنه الشاعر الفيلسوف (محمد إقبال) فى المحاضرة التى ألقاها [1] فى جمعية الشبان المسلمين حين نزل بها فى طريقه إلى المؤتمر الإسلامى فى بيت المقدس ـ قال إن اتحاد النمط فى المفتتح (كذبت قوم نوح المرسلين) (كذبت عاد المرسلين) (كذبت ثمود المرسلين) (كذبت قوم لوط المرسلين) (كذب أصحاب الأيكة المرسلين) وفى اختتام كل قصة بقوله تعالى « إن فى ذلك لآية

[1] الأنبياء ٧٦ ، ٧٧

[1] ألقاها بالإنكليزية وقمت بتلخيص بعضها بعد فراغه منها .

وما كان أكثرهم مؤمنين . وإن ربك لهو العزيز الرحيم » هو تقرير للسنة الإلهية التي لا تتبدل في إرسال الرسل بالتوحيد وإهلاك المكذبين وإنجاء المؤمنين .

وكما اختتم قصص آدم بتلخيصه في آية واحدة في آخر قصة له في سورة الكهف ، اختتم قصص نوح بتلخيصه في آيتين في آخر قصة له في سورة العنكبوت « ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما ، فأخذهم الطوفان وهم ظالمون . فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين » الآيتين ١٤ ، ١٥ . فهذا مثل آخر للإعجاز في الإيجاز لم يقتصر فيه على ذكر أهم أحداث القصص كله وما فيه من عبرة ، ولكن زيد فيه ما لم يسبق ذكره من النص على مدة رسالة نوح وهي نفس المدة التي ذكر سفر التكوين أنها مدة عمره عليه السلام ، والقرآن الكريم مهيمن على الكتب المنزلة قبله يصدقها فيما وافقه ويصححها فيما خالفه ، مصداقا لقوله تعالى في الآية ٤٨ من سورة المائدة « وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه » . وضمير الجلالة للمتكلم في هذه الآية هو الذي تكرر ثلاث مرات في آيتي قصة نوح في سورة العنكبوت ليعلم من لم يكن يعلم أن جلال آي القرآن بعضه من بعض . وأن التناسب تام بين جلال المعنى وجلال ضمير الجلالة للمتكلم في قصص القرآن ؟

محمد أحمد الغمراوي

قال تعالى :

« وإنه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين » . (الشعراء : ١٩٢ — ١٩٥)

دراسات قرآنية :

الفتح المبين

للأستاذ مصطفى الطير

« إنا فتحنا لك فتحا مبينا ، ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر، ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما ، وينصرك الله نصرا عزيزا » . من سورة الفتح

مقـــدمة :

فتح البلد ، الظفر به عنوة أو صلحا ، بحرب أو غيرها. كما قاله الزمخشري، ويسمى الصلح من غير ظفر بالبلد فتحا لاشتراكه مع الظفر به في التخلص من شرور العدو ولو إلى حين ، ولما يترتب على كليهما من التفرغ إلى مهمات أخرى غير منازلة العدو وبعد هذه المقدمة أقول :

اختلف المفسرون في المراد من الفتح المبين في الآية الكريمة ، فالجمهور على أنه صلح الحديبية ، وقال مجاهد هو فتح خيبر وقال جماعة هو فتح مكة .

واستظهر هذا الأخير أبو حيان ، وذكر أنه المناسب لآخر سورة القتال قبل سورة الفتح ، فقد جاء فيه « فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم » وذلك يؤذن بأن الفتح المبين الذي ينبغي أن يأتي بعدها هو الذي لا سلم فيه ولا وهن . ولا دعوة إلى مصالحة ، وهذا هو الذي كان في فتح مكة ، إذ أتى صناديد مكة مستسلمين ، وجثـوا خضعا لسطوة الحـق ، وسقطت مكة في أيدي الغر الميامين المجاهدين ، ولم يكن الأمر كذلك في صلح الحديبية .

وفي أنه فتح مكة قال صاحب زاد المعاد هو الفتح الأعظم الذي أعز الله به دينه ، واستنقذ به بلده وطهر حرمه ، واستبشر به أهل السماء ـ إلى أن قال ـ ودخل الناس بعـده في دين الله أفواجا ، الخ أقـول :

وسواء كان الفتح المبين هذا أو ذاك فقد نزلت السورة عقب صلح الحديبية ، على ما أخرجه ابن أبي شيبة والبخاري وأحمد وغيرهم عن ابن مسعود قال « أقبلنا من الحديبية مع رسول الله ﷺ ، فبينا نحن نسير إذ أتاه الوحي ، وكان إذا أتاه اشتد عليه ، فسري عنه وبه من السرور ما شاء الله تعالى ، فأخبرنا أنه أنزل عليه « إنا فتحنا لك فتحا مبينا » .

وفي صحيح مسلم عن قتادة أن أنس ابن مالك حدثهم قال لما نزلت « إنا فتحنا لك فتحا مبينا ، ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما » إلى قوله « فوزا عظيما » مرجعه من الحديبية ، وهم يخالطهم الحزن والكآبة ، وقد نحر الهدي بالحديبية قال صلى الله عليه وسلم « لقد أنزلت على آية هي أحب إلي من الدنيا جميعا » وعنى الرسول بهذه الآية آية غفران ذنبه في سورة الفتح :

وجاء في رواية أخرى للبخاري وأحمد وغيرهما « لقد أنزلت علىّ الليلة سورة أحب إلىّ من الدنيا وما فيها « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ، ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر » فقد صرح فيها بنزول السورة كلها حينئذ .

وبما أنها نزلت عقب صلح الحديبية فيكون قوله تعالى «فتحنا لك فتحاً مبيناً» بشارة بفتح مكة إن كان المراد بالفتح المبين فتحها لنزول الآية قبله ، وإخباراً وامتناناً بصلح الحديبية إن كان المراد بالفتح المبين صلح الحديبية لنزول الآية بعده .

ولما كان فتح مكة في رمضان ، فلهذا سنتكلم عنه في هذا العدد من المجلة ، لأنه خاص برمضان ، ونرجىء الكلام على فتح خيبر وصلح الحديبية إلى العدد المقبل إن شاء الله تعالى .

(فتح مكة)

(تمهيد)

مكث النبي ﷺ عقب تشريفه بالنبوة ثلاثة عشر عاما ، يدعو أهل مكة إلى التوحيد وطرح ألوهية الأرباب المتفرقة ، وكان يقيم لهم من الأدلة الكونية والعقلية على وحدانية الله تعالى ما فيه بلاغ لأولي الألباب ، وكان يبين لهم عجز آلهتهم عن أدنى شئون الإلهية « إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا

له ، وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب» ولكنهم أصروا على الشرك وصدوا عن سبيل الله في مكة وما حولها ، وآذوه ومن آمن معه إيذاء لا تحتمله النفوس البشرية ، حتى أذن الله تعالى له بالهجرة إلى المدينة بعد أن أصبح له فيها أنصار يفتدونه بالمهج والأرواح ، فهاجر إليها هو وكثير ممن آمن من أهل مكة ، وحينئذ أحس المشركون بالخطر على عقيدة الشرك ، فانتقلوا من الإيذاء الفردى إلى الغزو الجماعى ، ليقطعوا السبيل على انتشار دعوته ، ويحولوا دون تطويق مكة بأهل الإيمان ، فتسقط صريعة لا حس فيها ولا نأمة ، كان هذا شأن أهل مكة ، أما شأنه ﷺ بعد الهجرة فإنه كان التزام الدفاع، ورد أذى هؤلاء المعتدين .

ولكن البقاء على هذه الحالة سيبطىء بسير الدعوة ، ويحول دون سرعة انتشارها فما لم تسقط مكة معقل الوثنية فإنها ستكون منطلقا دائماً ضد الإسلام والمسلمين من وسط الدائرة، ومصدراً للخطر فى كل حين .

فلهذا كان الخلاص منها ومن مشاكسة أهلها من ألزم الأمور لتأمين سير الدعوة، والاطمئنان على النفس والمال والعقيدة والعرض ، وكما تبيح القوانين الدولية الحرب دفاعا عن النفس وحقوقها ، فكذلك تبيحها وقاية لذلك من شرور الأعداء المتربصين المعتدين من آن لآخر . وهذا الحق تمنحه الشرائع السماوية أيضاً ، ويقره العدل ، وتطمئن إليه القلوب والعقول السليمة .

انظر إلى المسيح عليه السلام . فإنه مع دعوته إلى مسالمة الناس حتى قال « إذا ضربك أخوك على خدك الأيمن فأعر له خدك الأيسر » فإنه كان يدعو إلى الاستعداد الحربى لرد المعتدين ، فاستمع إليه إذ يقول « لا تظنوا أنى جئت لألقى سلاما على الأرض ، ما جئت لألقى سلاما بل سيفاً» إنجيل متى ، إصحاح ١٠ فقرة ٣٤

ويقول أيضا « لكن الآن من له كيس فليأخذه ، ومزود كذلك ، ومن ليس له فليبع ثوبه ويشتر به سيفا » إنجيل لوقا إصحاح ١٠ فقرة ٢٢ .

على أنه من المسلم به أنه لو لم يدفع الحق الباطل بجميع الوسائل لطغى عليه وقضى على العقائد والمعابد وفسدت الأرض :

« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً »، « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ».

أرأيت لو أن لك ولداً منحرفاً لم ينفع فيه نصح ولا إرشاد ، أفتتركه يعبث في الأرض فساداً ، أم تأخذ على يديه بالقوة حتى تلين قناته ويستقيم ، فإذا قلت بل يؤخذ بالقوة والحزم فأنت مطواع للحق ، مجيب بالمنطق السليم .

(السبب المباشر لغزوة الفتح)

كان رسول الله ﷺ يعلم أن العرب لا تلين قناتهم ، ولا ينقادون إلى الإسلام إلا إذا انقادت مكة واستسلم أهلها الذين يؤلبون عليه العرب ، ويبدءونه بالعدوان ، ولكنه كان يمنعه من ذلك أنه كان في هدنة حربية مع قريش بسبب صلح الحديبية .

ولكن الله تعالى إذا أراد أمراً هيأ له أسبابه ، فقد كانت خزاعة حليفة للرسول ، وكانت بكر حليفة لقريش ، وكان بين خزاعة وبكر دماء في الجاهلية كنت نارها بظهور الإسلام ، فلما حصلت الهدنة بصلح الحديبية وقف رجل من بكر يتغنى بهجو الرسول بمسمع من رجل من خزاعة ، فضربه الخزاعي انتقاما لكرامة الرسول ، فثارت بكر لذلك ، وتحركت في نفوسهم الأحقاد القديمة ، وعزموا على الثأر ، وأعانتهم قريش سراً بالسلاح والرجال ، فتوجهوا إلى خزاعة وبافتوهم بالقتال وهم آمنون ، فقتلوا منهم ما يربو على العشرين ، فأرسلت خزاعة وفدا إلى الرسول ﷺ برياسة عمرو بن سالم ليخبره بما فعلت بكر بمساعدة قريش ، فلما علم بما حدث قال : « والله لأمنعنكم مما أمنع نفسي منه » ، أما قريش فإنهم لما أدركوا أنهم بما صنعوا نقضوا العهد الذي بينهم وبين الرسول ندموا وأرسلوا أبا سفيان بن حرب إلى المدينة ليعالج خطأهم ويؤكد العهد ويزيد المدة ، فتوجه إليها وهو يظن أن وفد خزاعة لم يسبقه إلى لقاء الرسول ، فنزل على ابنته أم حبيبة زوج النبي ﷺ ، فلما أراد أن يجلس على فراشه طوته عنه ، فقال يا بنية : أرغبت به عني أم رغبت بي عنه ، فقالت : ما كان لك أن تجلس على فراش رسول الله وأنت مشرك ، فقال : لقد أصابك بعدي شر ، ثم خرج ذاهبا إلى المسجد لمقابلة الرسول ، فلما لقيه عرض عليه ما جاء لأجله ، فقال له : هل من

حدث ، قال : لا ، قال : فنحن على مدتنا وصلحنا ، ولم يزد على ذلك ، وكان يعني أنه ﷺ وفى بشروط الصلح ولكنهم لم يكونوا بها أوفياء ، وعلى الباغي تدور الدوائر .

فمشى أبو سفيان إلى أكابر المهاجرين ليساعدوه فيما جاء لأجله ، فأبوا وقالوا : جوارنا جوار رسول الله ﷺ ، فعاد إلى قومه دون أن يحقق مرادهم ، فاتهموه بخياناتهم واتباعه الإسلام ، فتنسك عند الأوثان لينفي هذه التهمة عن نفسه .

أما الرسول فقد أمر أصحابه بالاستعداد للغزو ، ولم يخبر بمقصده سوى أبي بكر ، فقال يا رسول الله : أو ليس بينك وبين قريش عهد ؟ قال : نعم ، ولكن غدروا ونقضوا ، واستنفر الأعراب حول المدينة ، وقال : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة ، فنفر إليها خلق كثير من أسلم وغفار وجهينة ومزينة وأشجع

وإنما كتم مقصده عن الناس حتى لا تعلم قريش فيستعدوا وهو يريد أخذهم على غرة فيستسلموا دون قتال حفاظا على حرمة مكة وصونا لدماء أهلها ، فإنهم أهله وإن آذوه من قبل ، ودعا الله قائلا : « اللهم خذ العيون والأرصاد من قريش حتى نبغتها في بلادها » .

ولكن حاطب بن أبي بلتعة - أحد الذين شهدوا بدرا - توقع أن هذا الاستعداد لابد أن يكون لغزو مكة ، فكتب لقريش كتابا أخبرهم فيه ببعض أمر الرسول ، وأرسله مع جارية تركب جملا إلى قريش ، فأطلع الله نبيه على ذلك ، فأمر عليا والمقداد والزبير أن يلحقوا بها في روضة خاخ ، ويأخذوا الكتاب منها ، فلما وصلوا إلى الروضة وجدوا الجارية هناك ، فقالوا لها أخرجي الكتاب : فأنكرت وجود كتاب معها ، فقالوا لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب ، فأخرجته من عقاص شعرها ، فأتوا به رسول الله ، فقال يا حاطب ما هذا ؟ قال : يا رسول الله لا تعجل علي ، إني كنت امرأ لصيقا في قريش - أي حليفا لهم ولم أكن من أنفسهم - وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم ، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن اتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي ، ولم أفعله ارتدادا عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الإسلام ، فقال الرسول (أما إنه قد صدقكم)

فقال عمر : يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق ، فقال إنه شهد بدراً ، وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدراً فقال : (اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) يكني الرسول بذلك عن أنهم مغفور لهم من الله إذا قارفوا ما دون الشرك من المعاصي ، لأنهم غيروا وجه التاريخ الإسلامي بهذه الغزوة الناجحة في مستهل الهجرة ، وألقوا في قلوب المشركين الرعب ، وأشعروهم بقيام دولة الإسلام قوية فتية بعد أن كانوا يعذبون المسلمين بمكة .

ولما كانوا بحاجة إلى إرشاد حتى لا يعود أحدهم إلى مثل ذلك أنزل الله سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة إلى قوله «ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل »

ونص كتاب حاطب كما حكاه السهيلي — أما بعد ، يا معشر قريش فإن رسول الله جاءكم بجيش عظيم كالسيل ، فوالله لو جاءكم وحده لنصره الله وأنجز له ، فانظروا لأنفسكم والسلام .

ثم سار النبي ﷺ بهذا الجيش العظيم في منتصف رمضان من السنة الثامنة للهجرة وكان عدده عشرة آلاف مقاتل ، بعد أن ولى على المدينة عبد الله بن أم مكتوم ، فلما وصل الأبواء لقيه ابن عمه أبو سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب وصهره عبد الله ابن أبي أمية شقيق زوجه أم سلمة ، وكانا يريدان الإسلام بعدما كانا من أشد أعدائه ، ففرح بهما الرسول وقال (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) ولما وصل إلى الكديد أمر الصحابة بالفطر بعد أن شق عليهم الصوم وأفطر معهم ، ولقيه في الطريق عمه العباس مهاجراً بأهله وعياله ، فأمره أن يعود معه إلى مكة ويبعث بعياله إلى المدينة .

ولما وصل إلى مر الظهران أمر بإيقاد عشرة آلاف نار ، وكانت قريش قد بلغهم أن الرسول زاحف بجيش عظيم لا تدري وجهته ، فأرسلوا أبا سفيان بن حرب وبديل ابن ورقاء وحكيم بن حزام يلتمسون الخبر فلما أتوا مر الظهران إذا هم بنيران كثيرة .

فقال أبو سفيان : ما هذه ؟ لكأنها نيران عرفة ، فقال بديل بن ورقاء نيران بني عمرو ، فقال أبو سفيان : بنو عمرو أقل من ذلك ، فرآهم حرس الرسول فأتوا بهم إليه ، فأسلم أبو سفيان ، ثم قال الرسول للعباس : احبس أبا سفيان عند

حطم الجبل حتى ينظر إلى المسلمين – وإنما أمره بذلك ليثبت إيمانه بعد ما يرى منعة المسلمين وكثرتهم – فحبسه العباس عند حطم الجبل، فجعلت القبائل تمر عليه كتيبة كتيبة، وأبو سفيان يسأل عنها ويقول: مالي ولها، حتى إذا مر الأنصار وحامل رايتهم سعد بن عبادة، قال سعد: يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة. اليوم تستحل الكعبة، فقال أبو سفيان: يا عباس حبذا يوم الذمار، ثم جاءت كتيبة هي أقل الكتائب فيها رسول الله ﷺ، وحامل رايتها الزبير بن العوام، فأخبر أبو سفيان رسول الله بمقالة سعد، فقال عليه السلام: كذب سعد، ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة، ويوم تكسى فيه الكعبة ثم أمر أن تركز رايته بالحجون، وأمر خالد ابن الوليد أن يدخل مكة من كدى (جبل بأسفل مكة) ودخل هو مكة من أعلاها من كداء (جبل بأعلى مكة) ونادى مناديه من دخل داره وأغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، واستثنى من الأمان عدداً قليلا عظمت ذنوبهم، ونهى عن قتل واحد من غيرهم إذا لم يقاتل.

فأما جيش خالد فقد لقيه النفر من قريش يريدون صده فقاتلهم وقتل منهم أربعة وعشرين، وقتل من جيشه اثنان ودخلها عنوة من جهته، وأما جيش الرسول فلم يصادف مانعا فدخل الرسول مكة وهو منحن على راحلته تواضعاً لله وشكراً له على هذا النصر المبين، وكانت جبهته لتواضعه الشديد تكاد تمس الرحل، وأسامة بن زيد رديفه، وكان هذا الفتح المبين في صباح الجمعة لعشرين خلت من رمضان، ولما وصل إلى الحجون موضع رايته استراح هناك في قبة نصبت له وكانت فيها زوجتاه أم سلمة وميمونة، ثم سار وبجانبه أبو بكر يحادثه وهو يقرأ سورة الفتح حتى بلغ البيت فطاف به سبعا على راحلته، واستلم الحجر بمحجنه، وكان حول الكعبة إذ ذاك ثلاثمائة وستون صنما، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول: جاء الحق وزهق الباطل، وما يبدىء الباطل وما يعيد، ثم أمر بالآلهة فأخرجت من البيت وفيها صورة إبراهيم وإسماعيل في أيديهما الأزلام، فقال عليه السلام: لقد علموا ما استقسما بها قط.

وكانت هذه هي المرة الأولى التي تطهر فيها

الكعبة من الأوثان وعبادتها ، وبذلك سقطت عبادة الأوثان من بلاد العرب فقد كانت البيت الأعظم لتهديمها، فإذا سقط الأساس تهاوى ما فوقه من البنيان .

(العفو عند المقدرة)

ولما طهرت الكعبة من الأوثان دخلها النبي ﷺ وكبر في نواحيها ، ثم خرج إلى مقام إبراهيم وصلى فيه ، ثم شرب من زمزم ، وجلس في المسجد والعيون شاخصة إليه ، والجميع ينتظرون ما هو فاعل بمن آذوه وأخرجوه من بلده وحاربوه ، فإذا صوت الحليم الرحيم محمد ﷺ ينادي قومه قائلا : « يامعشر قريش ما تظنون أني فاعل بكم » ، قالوا : خيرا . أخ كريم وابن أخ كريم ، فقال : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » ؛

وهكذا يعلمنا الرءوف الرحيم أن نعفو عند المقدرة ، وأن يكون غضبنا ورضانا لله لا لهوى النفس ، وأن تكون مكارم الأخلاق الهدف الأسمى للمسلمين ، ويرحم الله البوصيري حيث قال :

وإذا كان القطع والوصل لله ... تساوى التقريب والإقصاء

وسواء عليه فيما أتاه ... من سواه الملام والإطراء

ولوانّ انتقامه لهوى النفس ... لدامت قطيعة وجفاء

قام لله في الأمور فأرضى الله ... منه تباين ووفاء

فعله كل جميل وهل ينضح ... إلا بما حواه الإناء

ثم خطب خطبة خطيرة أبان فيها كثيراً من الأحكام ، منها أن لا يقتل مسلم بكافر ولا يتوارث أهل ملتين ولا تنكح المرأة على عمتها أو خالتها ، وأن البينة على من ادعى واليمين على من أنكر ، ولا صيام في يومي الفطر والأضحى ، ولا تسافر المرأة مسيرة ثلاثة أيام إلا مع ذي محرم ، ثم قال «يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ، والناس لآدم ، وآدم من تراب ، ثم قرأ قوله تعالى «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » .

ثم بايعه الناس على الإسلام ، وجاءه رجل يرتعد خوفا ، فقال له الرسول « هون عليك ، فإني لست بملك إنما أنا

ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد بمكة » .

أما الذين أهدر الرسول دماءهم فقد ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، فنهم من قتل وقد حقت عليه كلمة العذاب ومنهم من حقن دمه بالإسلام كعبد الله بن سعد ابن أبي سرح ، ومنهم عكرمة بن أبي جهل، استأمنت له زوجته ، وكانت قد أسلمت قبل الفتح ، وكان قد هرب وأراد ركوب البحر فلحقت به زوجته ، وقالت له جئتك من أبر الناس وخيرهم وإني قد استأمنته لك فلا تهلك نفسك ، ولما رآه النبي بعد رجوعه وثب قائماً فرحاً به ، وقال مرحباً بمن جاءنا مهاجراً مسلماً ، ثم أسلم رضي الله عنه ، وطلب من الرسول أن يستغفر له مما عاداه به ، وكان بعد ذلك من خيرة المسلمين ومنهم صفوان بن أمية ، كان قد هرب وأراد أن يقذف نفسه في البحر ، فجاء ابن عمه عمير بن وهب الجمحي إلى الرسول وقال يا نبي الله إن صفوان سيد قومه، وقد هرب ليلقي نفسه في البحر ، فأمنه، فإنك قد أمنت الأحمر والأسود ، فقال عليه الصلاة والسلام : أدرك ابن عمك فهو آمن ، فقال اعطني علامة ، فأعطاه عمامة ، فذهب بها إلى ابن عمه وقال له فداك أبي وأمي جئتك من عند أفضل الناس وأبر الناس وأحلم الناس وخير الناس ، وهو ابن عمك وعزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك ، قال صفوان: إني أخافه على نفسي ، قال هو أحلم من ذلك وأكرم وأراه العمامة علامة الأمان ، فرجع معه إلى الرسول ، وقال إن هذا يزعم أنك أمنتني ، قال صدق ، قال أمهلني بالخيار شهرين ، قال أربعة أشهر ، ثم أسلم وحسن إسلامه .

ومنهم هند زوجة أبي سفيان وبنت عتبة بن ربيعة اختفت ثم أسلمت ، وجاءت إلى رسول الله ، فرحب بها ، وقالت يا رسول الله ما كان على ظهر الأرض أهل خباء أحب إلي أن يذلوا من أهل خبائك ، ثم ما أصبح اليوم أهل خباء أحب إلي أن يعزوا من أهل خبائك .

ومنهم وحشي ، قاتل عمه حمزة أسلم وحسن إسلامه ، وهكذا عفا رسول الله عن بعض من أهدر دماءهم لما جاءوه مسلمين ، وتناسى ما كان منهم من الكبائر التي ارتكبوها ، وخشنهم في حقه ، وقتل بعضهم لعمه حمزة كوحشي .

(البقية ص ٥٦٣)

من هدى السنة :

من فضائل شهر رمضان

للدكتور : محمد محمد أبو شهبة

روى الشيخان في صحيحيهما بسندهما عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال - واللفظ لمسلم - (إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة ، وغلقت أبواب النار ، وصفدت الشياطين) وفي رواية البخاري : (إذا دخل رمضان فتحت أبواب السماء ...) وفي رواية لمسلم : (إذا كان رمضان فتحت أبواب الرحمة)

« تخريج الحديث »

روى هذا الحديث الإمام البخاري في صحيحه [١] والإمام مسلم في صحيحه [٢] والإمام الترمذي في جامعه [٣] ، والإمام النسائي في سننه [٤] ، والإمام ابن ماجه في سننه [١] وابن خزيمة في صحيحه [٢] وأورده بلفظ « إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ، ومردة الجن وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب ، وفتحت أبواب الجنة ، فلم يغلق منها باب ، وينادى مناد : ياباغي الخير أقبل ، وياباغي الشر أقصر ، ولله عتقاء من النار ، وذلك كل ليلة »

وسأعرض لشرح الرواية المتفق عليها ، ومازاد في الرواية الأخرى فأقول وبالله التوفيق .

« الشرح والبيان »

« عن أبي هريرة رضي الله عنه - » تقدمت ترجمة هذا الصحابي الراوية الجليل « إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة »

« رمضان » هو الشهر العربي الواقع بين شعبان وشوال ، وسميت رمضان لأن العرب لما وضعت أسماء الشهور غير أسمائها

[١] صحيح البخاري - كتاب الصوم - باب هل يقال : رمضان ، أو شهر رمضان : ومن رأى كله واسعا .

[٢] صحيح مسلم . كتاب الصوم باب بيان فضل الصوم

[٣] كتاب الصوم باب ما جاء في فضل شهر رمضان

[٤] سنن النسائي . كتاب الصيام باب فضل شهر رمضان

[١] كتاب الصيام باب ما جاء في فضل شهر رمضان

[٢] فتح الباري ج ٤ ص ٦١

البائدة صادف أن كان هـذا الوقت وقت اشتداد الحر ، حتى صارت الرمال كالرمضاء من شدة الحرارة فسموه بذلك ، وعلى هذا يكون اسما جاهليا ومعروفا قبـل مجيء الإسلام ، وقيل لأن الذنوب ترمض فيه ، أى تحـرق ، وتذوب بسبب الطاعات ، ومقتضى هذا أن يكون الاسم إسلامياً ، اللهم إلا إذا كان هذا اعتقاداً لهم فى الجاهلية ولعل الأول هو الأولى .

وقد دل هذا الحديث وغيره على جواز أن يقال رمضان بدون لفظ شهر ، وقـد استفاض ذلك فى الأحاديث ، ومن العلماء من قال : لا يجـوز أن يقال : رمضان ، وإنما يقال شهر رمضان ، وقـد استدلوا لهذا بحـديث رواه ابن عدى فى كتابه : «الكامل» بسنده عن أبى هريرة مرفوعا « لا تقولوا : رمضان ؛ فإن رمضان اسم من أسماء الله تعالى ، ولكن قولوا شهر رمضان » . وفى سنده أبو معشر نجيح المدنى وهو ضعيف ، وكذا روى من طريقين آخرين ضعيفين ، وعلى هـذا فلا يصلح للاحتجاج به ، ولا سيما مع معارضته للأحاديث الصحاح المجـوزة لذلك ، ومن العلماء من فصل فقال : إن كانت هناك قرينة تصرفه إلى الشهر فـلا يكره إطلاق ذلك ، وإلا يكره ، والصحيح الجـواز ، وهو الذى عليه جماهير العلماء سلفا وخلفا : « فتحت أبواب الجنـة » .

وفى رواية « فتحت أبواب السماء » ، وفى رواية « فتحت أبواب الرحمة » والمراد بهذا توفيق للصائمين فى هذا الشهر أو جلهم إلى الطاعات من صيام ، وصلاة ، وقيام ، وقراءة قرآن ، وذكر ودعاء إلى غير ذلك وليس من شك فى أن هـذه الطاعات من أسباب العفو ، وكثرة الثواب ، وهما من أسباب دخول الجنـة ، والفوز بنعيمها ، فتفتيح أبواب الجنة كناية عن استحقاق دخولها ، وهذا هو المراد أيضا برواية تفتيح أبواب السماء ، وأبواب الرحمة ، فإن من تفتحت له أبواب السماء قبل دعاؤه ، وقبل عمله فيكون أهلا لدخول الجنة ، والجنة محل رحمـة الله تعالى ، قال تعالى : « وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون »[1] .

لجمهور المفسرين على أن المراد بقوله (ففى رحمـة الله) أى ففى جنته من قبيل إطـلاق الحال ، وإرادة المحل ، فإن كان

[1] آل عمران ١٠٧ .

النبي ﷺ ذكر الحديث غير مرة فيجوز أن يكون من قبيل التفنن في العبادة، وإن كان النبي قاله مرة واحدة فالذى نرجحه أن تكون الرواية الأولى لفظ النبي ﷺ، وتكون الروايتان الأخريان من قبيل الرواية بالمعنى ولا ضير في هذا بعد ما بينت أن الروايات متآلفة، وليست متخالفة، وجوز بعض العلماء حمل تفتيح أبواب الجنة على ظاهره وهو أمر ممكن، ولا استبعاد فيه، وإن كان الأولى هو ما ذكرناه أولا من حمل الحديث على التمثيل، والمجاز، لأنه باب في العربية واسع، وأسلوب مألوف لهم، معهود عندهم، وله من التأثير في النفس ما له.

« وغلقت أبواب النار »

وفي رواية غير الشيخين: « وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب » وهى أوكد، وأوضح والمراد الحيلولة بين الصائمين أو معظمهم في هذا الشهر وبين المعاصى، والآثام التى هى من أسباب دخول النار، والتلظى بحرها وجحيمها، والمراد بهذا الصائمون الذين يؤدون صيامهم على ما شرع الله ورسوله، والذين يراعون الصوم: أركانا، وشروطا، وسننا، وآدابا، وسلوكا، وإذا كان بعض الصائمين ينشون بعض المعاصى والآثام في هذا الشهر فليس ذلك بحجة تقوم على الشرع، ولا تصلح أن تكون مطعنا في التشريع، وذلك كالطبيب النطاسى البارع الذى يصف العلاج الناجع المريض، فيذهب المريض، ولا يتناول الدواء، أو يخلطه بما يفسده أو يتهاون في طريقة استعماله.

فمن ثم لا يستفيد منه، ولا يحقق الغاية المرجوة، فهل هذا يعود على الطبيب بالطعن في علمه، وبراعته؟ اللهم لا، وقد يقال: إن الفقرتين في الحديث متلازمتان فاستحقاق دخول الجنة يلزمه عدم دخول النار، فلم لم يكتف بأحدهما عن الأخرى؟ لأنا نقول: إن مثل هذا المقام لا يكتفى فيه بالإيجاز، ولا بدلالة الالتزام، بل هو مقام إطناب وبيان، لأنه أدل على التأثير في النفس، والقلب، والوجدان، فقد وضع ﷺ بين يدى السامع الصورة المحبوبة « أبواب الجنة ».

والصورة المكروهة « أبواب النار » مما يرغب في الأولى وينفر من الثانية، فلله در حديث رسول الله، ومن العلماء من حمل هذه الفقرة من الحديث على معناها

الحقيقى ، وهو أمر ممكن ، وجائز ولكن حمله على التمثيل والمجاز أروع ، وأشد تأثيرا.

« وصفدت الشياطين » .

صفدت : بضم الصاد وتشديد الفاء المكسورة أى شدت بالأصفاد[1] وهى الأغلال والقيود التى يغل بها الشخص ، ويقيد ، وهو بمعنى الرواية الأخرى : «وسلسلت الشياطين» أى قيدت بالسلاسل فلا تعطى حرية الحركة والانطلاق وبذلك تتوافق الروايتان ، وتفسر إحداهما الأخرى وفى بعض الروايات أن ذلك خاص بمردة الشياطين ، جمع مارد ، وهو المفسد شديد الإيذاء والمراد بتصفيد الشياطين تقليل إغوائهم، ووسوستهم ، وإيذائهم والحيلولة بينهم ، وبين الحرية الكاملة فى هذا ، لأن الشأن فى المصفد أنه عاجز عن الحركة ، والإفساد ، والإيذاء ، وذلك أن الشياطين لا يخلصون من افتتان المسلمين إلى ما يخلصون إليه فى غيره ، لاشتغالهم فيه بالصيام الذى فيه قمع الشهوات ، وبقراءة القرآن، والذكر وقيام الليل وما يترتب على ذلك من صفاء الروح ، وشفافية النفس ، وتيقظها ، إذا ما طاف بها طائف من الشيطان ، أو وقعت بها لمة وصدق الله تبارك وتعالى فى قوله « إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا ، فإذا هم مبصرون »[1] وغلبة الاستقامة والصلاح فى هذا الشهر أمر محسوس ملموس ، ومن العلماء من حمله على ظاهره ، والشياطين أو مردتهم خلق من خلق الله يجوز تصفيدهم ، وتقييدهم ، وحبسهم ومهما يكن من شىء فالحديث دال على فضل شهر رمضان ، ومنزلته ، وأن الله سبحانه وتعالى هيأ فيه لعباده الصائمين من أسباب الاستقامة والتقوى والطاعة ، وتفتيح أبواب جنته ورحمته ، وتغليق أبواب ناره ، وغضبه ، ونقمته وتضييق مسالك الإغراء ، والإضلال على الشياطين ما لم يهىء ذلك لغيره من الشهور فأحبب به إلى النفوس المؤمنة الصافية .

«وينادى مناد: يا باغى الخير أقبل ويا باغى الشر أقصر » يا باغى : أى يا طالب ، من بغى بمعنى طلب ، يجوز أن يكون المنادى ملكا من ملائكة الله موكلا بذلك فى شهر رمضان، ويجوز أن يكون هذا تمثيلا ومجازا

[١] والقاموس مادة صفد : صفده يصفده : شده وأوثقه ، كأصفده وصفده ، واصفد محركة - يعنى بفتح الفاء - العطاء ، والوثاق . وككتاب ما يوثق به الأسير من قد ، أو قيد ، والأصفاد : القيود]

[١] الأعراف ٢٠١

من حب الله تبارك وتعالى للخير، ودعوته سبحانه عباده أن يسارعوا إلى فعل الخيرات وترك المنكرات، وعدم الإسراف والاسترسال فيها، وهذا يدل على فضل الله ورحمته، وأن رحمته سبقت غضبه، وعفوه غلب نقمته سبحانه، سبحانه، لا نحصى ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه.

«ولله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة»

عتقاء جمع عتيق فعيل بمعنى مفعول مثل كريم، وكرماء، وربما جاء عتاق مثل كرام، وأمة عتيق أيضا بغير هاء وربما ثبتت، فقيل: عتيقة وجمعها عتائق فطوبى لمن صام نهار هذا الشهر، وقام ليله، وكف قلبه عن الأحقاد والضغائن، والعقائد الزائفة، والأهواء المضلة ونفسه من الخواطر السيئة، وجوارحه عن المآثم والمعاصي، والمحرمات، إنه إن فعل فهو ممن يرجى له أن يكون من عتقاء هذا الشهر الكريم، في أي ليلة من لياليه.

وبعد، فيا أيها المسلمون إن الأرواح تعل من الأدناس في حمأة الشهوات كما تعل الأبدان من العناء، والبطنة، وإن النفوس تصدأ بالمعاصي كما تصدأ المعادن بالترك والإهمال، وقد شاءت حكمة الله تعالى أن يجعل من رمضان تزكية لأرواحنا، وتطهيراً لنفوسنا، وإصلاحا لأبداننا، وغفرانا لذنوبنا وتراحما وتعاطفا بيننا، فهلموا إلى شهر الله تصحوا، وتغنموا، وتنصروا، وتفوزوا بالرضوان الأكبر؟

د. محمد محمد أبو شهبة

(بقية المنشور على صفحة ٥٥٨)

(بيعة النساء)

ولما تمت بيعة الرجال بايع النساء على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين، ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينه في معروف.

ثم أمر بلالا وأذن على ظهر الكعبة، فكان أول ظهور للإسلام على ظهر البيت العتيق، فلا عجب في أن يكون الفتح يوم عيد للمسلمين يحمدون الله فيه على هذا النصر الأكبر، الذي طمست به معالم الشرك وعلت راية الوحدانية، وجلجل صوت المؤذن فوق معقل الشرك ومناط تقديسه الله أكبر «وقل جاء الحق وزهق الباطل: إن الباطل كان زهوقا».

مصطفى محمد الحديدي الطير

يوم الفرقان

للأستاذ محمد فرج

نصح نابليون — وهو أكثر رجال الحرب شهرة ومقدرة — رجاله قائلا « إذا أردتم أن تكونوا قادة فعليكم : دراسة تاريخ الحروب » ومما لا يختلف فيه اثنان أن الحروب الإسلامية تأتى فى المقام الأول عندما يكون هناك مجال الدراسة ورغبة فى الاستفادة لأن هذه الحروب قامت على أسس علمية سليمة وعلى مبادىء ما زالت حتى يومنا هذا هى القدوة والنبراس لكل معارك ناجحة

ولا شك فى أن معركة بدر تحتل مكان الصدارة بين معارك الإسلام كلها ... فهى معركة كان لها شأن بعيد فى تاريخ الإسلام خاصة وتاريخ الحياة الإنسانية عامة ، فقد كانت أول لقاء بين المسلمين وأعدائهم وبانتصارهم فيها رغم قلتهم ارتفعت معنوياتهم وأحسوا بقوتهم كدعاة دين قوى اختارته السماء دينا للبشر .

وكانت بدر أول معركة بين قوى الخير متمثلة فى الدعوة الإسلامية ، وقوى الشر متمثلة فى أعداء الإسلام ، وكان انتصار الخير بداية لعهد جديد لوالعهد كتب فيه الإنسان وسط أكوام من الشرور والآثام والفجور وبهذا سميت المعركة بيوم الفرقان .

وكانت بدر أول معركة ينتصر فيها طرف قليل العــدد على عدو كثيف فى عدده وسلاحــه ، وهى بذلك تمثل تطوراً بعيد الأثر فى نظرية الحرب ، فنى حروب ما قبل الإسلام سادت نظرية الكم التى كانت تعتمد على الكثرة العددية فى الحصول على النصر وتظهر فى بدر نظرية جـديدة هى نظرية الكيف وتثبت النظرية الجديدة وجودها على أنقاض النظرية القديمة وإذا بالإسلام يعطى مفهوما جـديداً للمقاتل فى المعركة فهو يعتمد أساساً على إمكانياته وقدراته وكفاءته ومعنوياته وعقائده ، وأصبح

هذا المقاتل بهذه المقومات هو سيد المعركة وبطلها ، لا ينازعه عدد ولا يوقفه عن النصر سلاح .

وكانت بدر بداية للمواجهة المسلحة بين المسلمين كدعاة لدين جديد ، وبين أعداء متعددين ظهروا على مسرح الأحداث الواحد وراء الآخر يريدون أن يطفئوا نوراً أراد له الله أن يشع وأن ينتشر فى أرجاء العالم فتنتشر معه الهداية والتوفيق والخير والرفاهية للإنسان من كل مكان وكان انتصار المسلمين فى بدر إنذارا لكل القوى التى ظهرت من داخل الجزيرة وخارجها .. إنذاراً بأن النصر للدين الجديد وبأن المستقبل للإسلام ، وبأن الله متم نوره ولو كره الكافرون :

وكانت بدر تجربة قاسية بالنسبة للمسلمين فهم يواجهون أعداء كانوا فى الماضى سادة وكانت لهم مكانة ومنزلة ورهبة ، وكان مجرد سماع اسم الواحد منهم يثير الفزع فى النفس ويملؤها خوفا وهلعا .

من هنا كانت تجربة قاسية خاضها المسلمون الأوائل فى ثقة بالله وإيمان بالدين والطمئنان إلى إنسانيتهم وكان انتصارهم انتصارا للمبدأ الخالد الذى دعا به الإسلام ، مبدأ المساواة بين الناس جميعا فكلهم متساوون كأسنان المشط لا فضل لأحدهم على آخر ، لا يرفع الإنسان مال ولا يميزه جاه وإنما ترفعه التقوى ويميزه الإيمان .

ولم تكن بدر معركة مقصورة وإنما جاءت وليدة ظروف ولم يسبق خوضها استعداد كهذا الذى يسبق أية معركة وإنما وجد المسلمون أنفسهم فى موقف يتطلب منهم أن يخوضوا غمارها فلم يجبنوا ولم يتخلفوا وإنما سارعوا إلى الخروج مطمئنين إلى أنهم جند الله ودعاة الحق . . لقد كان هدف المسلمين فى بدر الاستيلاء على قافلة أبى سفيان ، ولم يكن هذا الهدف مصداقا لما ادعاه مارجليوث من أن الغزوات الإسلامية قامت أساساً للسلب والنهب ، وإنما كان الهدف استرداداً لأموال تركت فى مكة وتعويضاً عن مصالح خلفها المسلمون وراءهم فى ديارهم هناك .

كانت قافلة أبى سفيان قافلة غنية فلم يكن فى مكة قرشى إلا وقد أسهم فيها وكانت القافلة فى حراسة قليلة يقوم بها أبو سفيان وعدد قليل من الناس منهم عمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل . . هى إذن قافلة فى عدد قليل من الناس لا قوة لها ولا شوكة ، وهذا

العدد لا يحتمل دخول معركة لأنه أضعف وأقل وأذل من أن يصل به الأمر إلى مستوى معركة عسكرية .. ونجح أبو سفيان وهو رجل حذر داهية أن يمر بالقافلة في طريقها إلى الشام دون أن يعترضه المسلمون ورأى الرسول أن ينتظر عودتها وأرسل العيون لمراقبة الطريق وللوقوف على أخبار القافلة .

وعندما اقترب موعد العودة كانت كل الأدلة تشير إلى ذلك . فطلحة بن عبيدالله وسعيد ابن زيد نزلا في الدوحاء عند رجل يسمى كشد من جهينة وبقيا عنده حتى لاحت العير فأسرعا يخبران الرسول بخبرها . . ونزل بسبس بن عمرو وعدى بن الزغباء بدراً فسمعا جاريتين تتخاصمان تطلب إحداهما من الأخرى دينا لها فأجابتها الأخرى : « إنما تأتى العير غداً أو بعد غد فأعمل لها ثم أقضيك الدين » .

وكان الرسول حريصاً على ألا تفلت القافلة مرة أخرى فندب المسلمين للخروج ولم يشأ أن ينتظر حتى يأتيه القوم الذين يسكنون حوالى المدينة خوفا من ضياع الفرصة فأسرع بالخروج وهو يقول : « لا يتبعنا إلا من كان بعيره حاضراً » ، وتبع الرسول ثلاثة وثمانون من المهاجرين وواحد وستون من الأوس وعدد آخر من الخزرج .. وكان ضمن هؤلاء عدد من الغلمان الذين لم يتجاوزوا الخامسة عشرة من أعمارهم كعمير بن أبى وقاص وحارثة ابن سراقة وعبد الله بن عمر بن الخطاب وأسامة بن زيد فردهم الرسول لأنهم كانوا فى سن لا تجيز لهم الإسهام فى القتال .. ولم يكن مع الرسول سوى فرسين للزبير ابن العوام وللمقداد بن عمرو وسبعين راحلة كان الخارجون يتعاقبون الركوب عليها .

وأحس أبو سفيان بالخطر وهو يقترب من بدر فأرسل ضمضم بن عمرو الغفارى إلى مكة يستصرخ أهلها إلى مناصرة العير وحماية القافلة ، وقطع الرجل أذن بعيره وجدع أنفه وحول رحله ووقف وقد شق قميصه من قبل ومن دبر ينادى الناس « يا معشر قريش اللطيمة . . اللطيمة . . أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد فى أصحابه ولا أرى أن تدركوها فالغوث . الغوث » ، وثار أبو جهل فأسرع إلى الكعبة والغيظ يعلوه والضيق يكاد يخنقه يدعو للخروج ويقول : « أيظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمى ؟ . كلا والله ليعلمن غير ذلك » .

وتجمعت قريش للخروج ولكنها تذكرت أمراً هاماً . أن بينها وبين كنانة عداوة وهى تخشى إن خرجت لقاء محمد أن تطعنها كنانة من الخلف ولكن جاءها الأمان على لسان مالك بن جشم أحد أشرافها : « أنا لكم جار من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه ».. واطمأنت قريش وخرج ألف رجل يحملون سلاحهم ومعهم مائة فرس وسبعمائة بعير وبينما هذه الجموع فى طريقها إلى ملاقاة محمد وبينما محمد يسعى إلى موقع القافلة عدل أبو سفيان من مسيرته واتجه ناحية البحر وغذ السير حتى بعد ما بينه وبين محمد ثم أرسل إلى قريش وقد علم بخروجها يقول : « إنكم خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم فقد نجاها الله فارجعوا » .. ورأى كثيرون أن يعودوا أدراجهم ولكن أبا جهل يتملكه الغرور فيغضب ويثور ويصيح فى قومه « والله لا نرجع حتى نرد بدراً فنقيم عليها ثلاثاً ننحر الجزر ونطعم الطعام ونسقى الخمر وتعزف القيان وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبداً » ، واستمع له القوم إلا زهرة الذين استجابوا لما نصحهم به الأخنس بن شريف إذ طالبهم بالعودة ولم يدر أبو جهل وهو يصمم على الخروج أنه يقود قومه إلى شر هزيمة تصيبهم . تصيب فيهم كل شيء قوتهم ومكانتهم والمهابة التى كانت لهم عند العرب .

وكان تصميم أبى جهل يعنى شيئاً خطيراً يعنى أن قريشاً بقوتها وأعدادها وسلاحها ستواجه محمداً على قلة رجاله وندرة سلاحه إذن فهو بتصميمه قد قلب ميزان القوى لأنه لم يكن أصلا فى نية المسلمين قتال ... وهو بتصميمه قد وضع المسلمين فى موقف حرج إذ لم يعد أمامهم إلا أحد طريقين إما الانسحاب من مواقعهم والعودة إلى المدينة ، إما مواجهة قريش وقبول التحدى وكلا الأمرين مر .. فإذا انسحبوا كان عليهم أن يتموا الانسحاب فوراً قبل أن تقطع قريش عليهم خط الرجعة هذا فوق المخاطر العديدة للانسحاب فهو قد يغرى قريشاً بالزحف على المدينة للتخلص من محمد وأتباعه وهو قد يغرى يهود المدينة بالانقضاض على المسلمين أملا فى أن يستعيدوا مكانتهم وهو قد يهدم معنويات المسلمين لظهورهم بمظهر الضعف والخوف والجبن .

ولما أصبح الموقف يتطلب مواجهة

مع قريش لم يشأ الرسول أن يضع المسلمين في موضع قد لا يرضونه وأن يجبرهم على أمر قد يكرهونه لجمع المهاجرين والأنصار وعرض عليهم الأمر في صراحة وطلب منهم الرأي مقررا بذلك مبدأ جديدا وهاما في حياة الشعوب والأمم وهو مبدأ الشورى الذي يلزم الحاكم بأن يستمع إلى رأى المحكومين وأن يستشير أصحاب الرأي من رجاله في كل ما يتعلق بأمر الجماعة والذي يطلب منه ألا ينفرد برأى أو يفرض خطة أو يسلك بهم سبيلا إلا إذا كان لهم في ذلك الرأي الأول ... وأعلن المقداد بن عمرو رأى المهاجرين وهو أحد رجالهم الأبطال « يا رسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك والله لا نقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه » .

وسعد الرسول بهذا الرأي ولكن الرأي لم يكن مقصورا للمهاجرين وحدهم فهناك الأنصار لم يعطوا بعد الكلمة والرأي فسألهم الرسول « أشيروا على أيها الناس » ووقف أحد رجالهم الثائر سعد بن معاذ يقول باسمهم « امض لما أردت فنحن معك فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا وإنا لصبر في الحرب صدق في اللقاء » .

وهكذا اجتمع الرأي وخلصت النية وحانت لحظة اللقاء على غير موعد « ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولا » .

ثم يأتي فصل جديد في تطبيق مبدأ الشورى حين نزل المسلمون مكانا رأى فيه الحباب بن المنذر - وهو رجل دراية وخبرة وعلم - أنه ليس بالمكان المناسب لمواجهة العدو فسأل رسول الله « أمنزلا أنزلكه الله فليس لنا أن نتقدم عنه أو نتأخر أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ فيقول الرسول « بل الرأي والحرب والمكيدة » ويدلى الحباب برأيه صادقا لا يبغى به سوى وجه الله ونصر المسلمين « يارسول الله فإن هذا ليس بمنزل فانهض بنا حتى نأتى أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من المياه والآبار ثم نبنى عليه حوضا فنملأه فنشرب ولا يشربون »

ورحب الرسول برأى الحباب وأمر بتنفيذه إذا أمنه بصحة ما جاء به وبصدق ما دعا إليه.

وأحس الرسول أن قومه فى مكة وأنهم يواجهون عدوا له ثقله وكثافته فى العدد والمدة، ولهذا اتجه بكل جوارحه ومشاعره إلى الله تبارك وتعالى ينشده ما وعده «اللهم هذه قريش قد أتت بخيلائها تحاول أن تكذب رسولك اللهم فنصرك الذى وعدتنى. اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد» وخفق الرسول خفقة من نعاس أراه الله خلالها نصره الذى وعده به، فقال لخليله وصديقه أبى بكر «أبشر أبا بكر أتاك نصر الله هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثنايا النقع» وخاطب أتباعه «والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسبا مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة» وجاء وعد الله «سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب» ثم جاء الأمر الإلهى «فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان».

ووضع الرسول أمام أتباعه مجموعة من التعليمات الصريحة. أمرهم بالمرابطة فى مواقعهم لا يضربونه إلا إذا أذن لهم.. أمرهم بتوجيه الجهد إلى سادات قريش وزعمائها لاستئصالهم جزاء وفاقا لما عذبوهم بمكة. أمرهم بعدم التعرض لبنى هاشم وغيرهم من قريش تقديرا لموقفهم من المسلمين ومعاونتهم لهم منذ البعث إلى الهجرة.

وجاءت لحظة الصدام.

واندفع من صفوف المشركين الأسود ابن عبد الله الأسد المخزومى، وكان رجلا سيء الخلق شرس الطباع، شديد العداوة لرسول الله ثم صرخ «أعاهد الله لأشربن من حوضهم ولأهدمنه أو لأموتن دونه» وتصدى له حمزة فصرعه دون الحوض...

ثم خرج عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة والوليد بن عتبة يدعون للمبارزة فخرج لهم ثلاثة من الأنصار، هم معوذ وعوف ومعاذ أبناء الحارث فأبى القرشيون إلا مبارزة أقرانهم من قريش فخرج لهم ثلاثة من بنى عبد المطلب عبيدة بن الحارث وحمزة وعلى وانتصر المسلمون الثلاثة.

ثم كان الالتحام. وقال رسول الله: «سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر» ثم أخذ بيده حفنة من الحصباء واستقبل بها قريشاً وهو يقول «شاهت الوجوه. شاهت

الوجوه » ثم أصدر أوامره إلى أصحابه « شدوا » .

وشد المسلمون وتساقطت رءوس الكفر وفى مقدمتها رأس أبى جهل .

وانتهت المعركة . وهنا تبرز الإنسانية صفة الإسلام الأولى . رأى المسلمون جثث القتلى من المشركين فجمعوها وحفروا فى الرمال قليبا ورموها فيه ثم غطوها بالتراب . ووقف الرسول يعاتبهم « يا أهل القليب بئس عشيرة النبى كنتم كذبتمونى وصدقنى الناس وخذلتمونى ونصرنى الناس وأخرجتمونى وآوانى الناس هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا فإنى وجدت ما وعدنى ربى حقا » .

وحمل البشيران عبد الله بن رواحة وزيد بن حارثة نبأ النصر إلى المدينة وحمل الحيسمان بن عبد الله الخزاعى وعمرو ابن جحدم التهدى نبأ الهزيمة إلى قريش وفى اللحظة التى سعد بها أهل المدينة بالخبر السار صعق الناس فى مكة ولم يحتمل أبو لهب الخبر فما عاش إلا سبع ليالى ثم مات .

وهكذا كانت بدر معركة فاصلة بين الخير والشر ، انتصر فيها الخير .

وكانت مدرسة القادة الأعلام ومدرسة الإيمان والإخلاص لله ولرسوله .

وكانت للمدرسة التى قدمت للإسلام الرجال الأبطال الذين تولوا شئونه بعد الرسول فكان منهم الخلفاء والقادة . . . نشروا الإسلام وعمموا مبادئه وغرسوا أصوله فى نفوس البشر أجمعين ، وهكذا كانت بدر أول معركة فى الإسلام وأعظم معركة فى التاريخ ؟

محمد فرج

من بلاغة القرآن :

الوحدة في السورة القرآنية

للدكتور محمد رجب البيومي

« الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله، ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد » .

يقرأ المؤمنون كتاب الله فتقشعر جلودهم خشية لدى مواقف الترهيب ، وتنبسط نفوسهم شوقا لدى مواقف الترغيب ، وهم أثناء التلاوة يستشعرون روحا قويا يسيطر عليهم بسلطانه ، وضوءاً باهرا يغمر الآيات فيجتذب أرواحهم بشعاعه ، هذا الروح الآسر ينتظم آيات القرآن جميعها ، ويرفرف عليها رفرفة عاطرة ، فيكون بمثابة وحدة جامعة للآيات رابطة بين المعانى والتعبيرات فأنت تنتقل فى السورة الكريمة من معنى إلى معنى ومن قصة إلى خبر دون أن يفارقك هـذا الروح الآسر ، فلا تحس اقتضابا أو انقطاعا إذا تركت غرضا إلى غرض ، ومهدنا بالمؤلف البشرى تختـل أبوابه ، وتتفـكك عراه ، إذا كانت موضوعات الباب الواحـد متناثرة لا تجمعها وحدة تامة ، فما بالنا نقرأ السورة الطويلة فنجدها ذات موضوعات عدة ، وهى على تعـدد موضوعاتها ملتئمة ملتحمة تنتقل بك من غرض إلى غرض ، ومن معنى إلى معنى دون أن تحس فجوة أوخللا ودون أن تشعر أنك فارقت مكانا إلى مكان ، ذلك لأن روح القرآن الآسر بروعته الناصع بقوته قـد سيطر على الأسلوب سيطرة كانت من المعانى مكان السلك من الدرر ، يجمع نظامها ، ويضم لألاءها فتبـدو ساطعة لامعة متناسقة على النحو الوضىء .

لقـد قال الأقدمون فى ذلك ما قالوا ، ولـكن الأستاذ مصطفى صادق الرافعى قد جلى الحديث فى هـذه الناحية تجلية واضحة أصابت الهدف إصابة لم تجعل لقائل

أن يزيد ، وكان مما فتح الله به عليه أن قال مهتديا إلى هذا السر الرائع من نظام القرآن الكريم .

« وهذه الروح -وقد سماها الرافعى روح التركيب- لم تعرف قط فى كلام عربى غير القرآن ؛ وبها انفرد نظمه وخرج مما يطيقه الناس ، ولولاها لم يكن بحيث هو كأنما وضع جملة واحدة ، ليس بين أجزائها تفاوت أو تباين إذ تراه ينظر فى التركيب إلى نظم الكلمة وتأليفها ، ثم إلى تأليف هذا النظم فمن هنا تعلق بعضه على بعض . وخرج فى معنى تلك الروح صفة واحدة هى صفة إعجازه فى جملة التركيب كما عرفت ولولا تلك الروح لخرج أجزاء متفاوتة على مقدار ما بين هذه للمعانى ومواقعها فى النفوس ، وعلى مقدار ما بين الألفاظ والأساليب التى تؤديها حقيقة ومجازا ، كما نعرفه من كلام البلغاء عند تباين الوجوه التى يتصرف فيها ، على أنهم قد رفهوا عن أنفسهم وكفوها أكبر المؤنة فلا يألون أن يتوخوا بكلامهم إلى أغراض ومعان يعقب فيها القول ثم هم مع هذا يستوفون المعنى الواحد على وجهه فإذا تحولوا إلى غيره وأفضوا بالكلام إلى سواه رأيت من اقتضابهم فى الأسلوب ومن التناكر فى وضع المعنى إلى المعنى ما يشبه فى اثنين متقابلين من الناس منظر قفا إلى وجه » .

ولكن ما اهتدى إليه الرافعى من روح التركيب الجامع لروعة الذكر قد غاب عن سواه ، حين رأى القرآن يتنقل فى السورة الواحدة من غرض إلى غرض دون أن يقتصر على موضوع واحد ، فأخذ يتلمس الوسائل البعيدة والقريبة فى عقد الصلات بين المعانى المتجاورة ، وقد يحالفه التوفيق فى بعض ما يحاول من هذا الربط ولكن الطابع العام للسياق القرآنى لا يأخذ بناصره ، ونحن نعرف أن فريقا من المفسرين - وأظهرهم فى ذلك الفخر الرازى ، قد أخذوا على أنفسهم إيضاح الصلات بين الآيات القرآنية وكتبوا فى ذلك كتابة واعية تدل على فطنة واجتهاد ، ولكننا نخالف هؤلاء حين نقول إن محاولة الربط الوثيق بين أغراض السورة الواحدة مهارة عقلية فائقة ، وهى وإن ظهرت بين الآيتين المتجاورتين على نحو من التأويل فى بعض ما تختلف به وجوه القول من آيات الذكر الحكيم فإن بعض السور الكريمة لا تكاد تدور على فكرة خاصة بما يساق من هذه المعانى ،

لأن الربط الذى برع فيه بعض المفسرين كان ربطا جزئيا ينظر إلى الآية المجاورة دون أن يحدد هدفا واحدا للسورة إلا بتكلف خاص فيه الخائضون عن اجتهاد يخطىء ويصيب .

ونحن لا ننكر الجهود المخلصة التى دفعت بعض الكبار فى القديم والحديث إلى التماس الوحدة فى السورة القرآنية ، لأن كل محاولة من هذه المحاولات الكريمة تدل على إخلاص حى ، وتفكير طامح ، وتصدر عن اعتقاد تام بإعجاز القرآن وروعته وهو ما أجمع عليه المسلمون من الفاقهين الدارسين ، ونذكر فى هذا المضمار القاضى أبا بكر بن العربى الأندلسى الشهير حيث قال فى كتاب : « سراج المريدين » « إن ارتباط آى القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعانى ، منتظمة علم عظيم لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة ثم فتح الله لنا فيه فلما لم نجد له حملة ، ورأينا الخلق بأوصاف البطلة ختمنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه » وهو قول لا يخلو من نقاش لأن القاضى أبا بكر بن العربى صاحب جهارة وبيان وتدفق ، وكان عليه إذا فتح الله له مجالا من القول فى كتاب الله ألا يسارع إلى إيصاده ، أما التعلة بانصراف الناس عن طلب هذه الأغراض العالية وإتصافهم بأوصاف البطلة فما لا يمنع التأليف لأن مثل ابن العربى فى إمامته وفضله لا يجهل أن العالم الكبير لا يضع مؤلفه لوقته فحسب بل يتركه إلى الأجيال اللاحقة ولن تعدم قارئا فقيها يدرس ويتخصص فينتفع ، وكأنى بالرجل وقد أحس خطر الرسالة فيما يحاول فانصرف متعللا بانصراف الناس عن العلم وجعل ما فتح الله به عليه بينه وبين ربه وحده ، ولو فعل كل عالم ذلك ما أدى رسالة العلم وخلت المكتبة القرآنية من نفائس المصنفات .

هذا عن ابن العربى ، أما أبو بكر النيسابورى فقد برع فى إيراد المناسبات بين الآية والآية والسورة والسورة ، وهو ما اتجه إليه نفر جم من المفسرين وأصحاب القديس يعدونه قمة فى بابه لم يلتفتوا إلى الحديث عن الغرض الواحد للسورة الواحدة كما فعل برهان الدين البقاعى فى كتابه (نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور) حيث اتجه هذه الوجهة الصريحة فى مخطوطه الحافل إذ قال فى مقدمته : « قال شيخنا أبو الفضل محمد بن محمد المشدالى المغربى :

الأمر الكلى المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض الذى سيقت له هذه السورة ، وتنظر ما يحتاج إليه هذا الغرض من المقدمات وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب ، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما تستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له التى تقتضى البلاغة شفاء الغليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها فهذا هو الأمر الكلى المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن فإذا فعلته تبين لك إن شاء الله وجه النظم مفصلا بين كل آية في كل سورة» .

ولو كان كتاب البقاعى مطبوعا غير مخطوط ، لاستطعنا أن نرصد جهوده العقلية التى وجهها إلى الحديث عن الوحدة الموضوعية للسورة الكريمة ، وهى جهود نباركها مهما اختلفنا عليها ، إذ لا يحق لباحث ما أن يضائل من جهد بذل فيه صاحبه غاية ما يملك من درس وتفكير ، فحسبه أن قام بواجبه العلمى كما يتراءى له ، ولكننا لا نمتنع مع ذلك من مناقشة الفكرة الأساسية التى اتجه إليها البقاعى كما أعلنها في مقدمة كتابه ، لأن فكرة البقاعى رحمه الله وجدت من يحاول تنفيذها في عصرنا الراهن ، وإن فكرة تمتد من عهد صاحبها إلى ما وليه من العهود لجديرة بالنقاش والتحليل ، لا سيما إذا كان بين من أخذوا على أنفسهم تطبيقها أساتذة يقولون فيسمعون ، لقد انتشرت الترجمات الأوروبية للقرآن الكريم في العصور الأخيرة انتشارا جعلها كثيرة التداول بين الدارسين هناك فأتاحت لنفر منهم أن يقولوا كلمتهم فيما يقرءون من هذه الترجمات ، وأكثرها من وضع قسس لا يعرفون براعة النظم في العربية فعمدوا إلى الترجمة الحرفية التى تجعل كلام الله بعيداً عن روحه البلاغى الأمر بحيث تصبح الترجمة أمشاجا من المعانى منبتة الصلة ، حائرة المكان ، فيرى الأوربى من ذلك ما يدفعه إلى النقد الجازف وإذا كان غلاة المتعصبين من هؤلاء قد بلغوا بالنقد إلى نهايته ، فجزموا بأن كتاب الله ضعيف الترتيب مبتوت الأواصر منفكك الأغراض ، فإن كلامهم المجحف قد وجد صداه بين المنصفين منهم ، فأصبحنا نجد مفكراً لا مما قوى الإنصاف معتدل النظر مثل (جوستاف لوبون) يخبط مع الخابطين

حين يزعم فى كتابه الخاص بحضارة العرب أن عدم الترتيب فى القرآن جعل مواده وأحكامه المتماثلة تساق متفرقة مبتورة دون أن تجمع فى موضوع واحد كما نعهد فى الكتب العلمية، وما تورط (جوستاف لوبون) فى هذا القول إلا بعد قراءته الترجمات السقيمة التى تغفل روح النص القرآنى، ولا تستطيع أن تدلى بأقرب الصور لإعجازه البليغ.

كما أن اعتقاده أن القرآن الكريم لا يبلغ الطريقة المثلى فى القول إلا إذا جمع مواد للموضوع الواحد فى باب معين، كما تقوم الكتب البشرية بذلك. هذا الاعتقاد قد دفعه إلى نقد مجحف ينأى عن الصواب إذ أن القرآن الكريم وهو هدية السماء إلى الأرض لم ولن يسلك سبيل التأليف العلمى فيما يقدم من خير للناس، فالكتب العلمية كتب للخاصة تخاطب العقل وحده أما كتب السماء فللخاصة والعامة معا، وهى لا تخاطب العقل وحده وإلا كانت ذات جفاف وجرد يضائلان من لذة قراءتها المتتابعة بل تجمع إلى مخاطبة العقل مخاطبة الشعور وتمتع الإدراك كما توقظ الوجدان ولذلك ابتعدت عن المنهج البشرى فى التأليف العلمى، وسلكت سبيلا خاصا يجذب القارىء ويشغله ويستحوذ عليه حين يرى البيان السماوى ينتقل من تشريع عادل إلى وعظ حان إلى مثل ناهض، إلى قصة ذات عبرة فى نسق بيانى تشمله روح واحدة هى ما أشار إليه (الرافعى) رحمه الله بوحدة التركيب، بحيث أصبحت هذه الروح إطاراً جميلا يجمع المعانى والصور والأفكار، ويغذى العقل والشعور، ويمتع الحس والإدراك، فسارت السورة الواحدة بهذه الروح ذات طابع مستقل متميز، ولو أنك أدغمت آيات من سورة كريمة إلى آيات من سورة أخرى لوجدت — حتى مع اتحاد الموضوع — نشازا منكرا لا يقبله ذوق أو يستسيغه منطق.

واقرأ إن شئت سورة (القمر)، وسورة (هود) وميدانهما معا الحديث عن أنبياء الله السابقين كنوح وهود وصالح وموسى ثم حاول أن تلحق نصا من هذه بنص من تلك وستجد من الانفصام والتخاذل ما يمنعك أن تقوم جاداً بهذه المحاولة هذا والموضوع هو الموضوع، والعبرة هى العبرة، ولكن الروح التركيبية للبلاغة القرآنية تمنع هذا الخلط الكريه وتهتف

بأصحاب الموضوع الواحد متعجبة لنظرهم القاصر، وتحكيمهم المحدود، ثم إن القرآن فى لبابه كتاب رسالة إصلاحية شاملة، ودعوة إنسانية عامة تحتاج إلى ما تحتاج إليه أعظم الرسالات قاطبة من الجدل والرد والتحريض والوعد والوعيد والترغيب والترهيب معتمدا على ما يتأثر به الشعور الإنسانى من التكرار الهادف والاستطراد الرقيق، والتأسى البالغ.

وكل ذلك يحتم أن يتأى كتاب الله عن جفاف البحث العلمى، وما رأينا دعوة أرضية من دعوات الإصلاح الدينوى قد اعتمدت على الأسلوب العلمى الجاف فى توضيح أهدافها، وتيسير أغراضها، فكيف نجعل كتاب الدعوة الكبرى لإنقاذ الإنسانية مجموعة مواد محدودة ذات أبواب ضيقة، وفصول محدودة، لنوافق قوما يرون الترتيب العلمى المحدود أنجح الأمثلة للتأليف؟ وقد يكون هذا الترتيب العلمى من أنفع ما يتبع فى ميدان البحث الأكاديمى الخالص، ولكنه لا يرجع بطائل ما فى مجال الدعوات العالية التى رسمت رسما سماويا رائعا لتنقذ الناس من الظلمات إلى النور.

تناقل أشياع الغرب ومعاميده بعض هذه الأراجيف الشائلة عن كتاب الله، فأخذوا ينظرون إلى تعدد الأغراض فى السورة الواحدة بعين النقد، وهب رجال البيان من معتنقى الإعجاز البيانى للقرآن ينفعون عما يؤمنون بروعته وإعجازه، وإذا كان الله عز وجل قد جعل من إختلاف المدارك وتنوع الأفهام مجالا للتقابل والتعارض، فإن هؤلاء الذين نهضوا يذودون عن كتاب الله قد اختلفوا فى الرد على ما قيل إختلافا يصور عقلية الكاتب ومنحاه، وهو اختلاف لا بد لنا فى هذا المجال من الإلمام بحقائقه، وترجيح ما يستحق الترجيح فى رأينا من إتجاهاته، وحين نميل إلى الأخذ بقول دون قول فلن نفرض ميلنا الخاص على أحد، ولكننا نؤيد من نرى الصواب قريبا إليه من سواه، لا سيما إذا كان هؤلاء المختلفون أساتذة أعلاما خلصت نياتهم فى العمل والقول فنطقوا بما يعتقدون.

نختار السيد/ محمد رشيد رضا والأستاذ محمد فريد وجدى ليتحدثا عن وجهة النظر القائلة بتعدد الأغراض فى السورة الواحدة فننقل عن كتاب (الوحى المحمدى) ص ١٢٣ للسيد/ رشيد رضا ببعض التصرف قوله: «لو أن عقائد الإسلام المنزلة فى القرآن من الإيمان بالله وصفاته وملائكته وكتبه

ورسله واليوم الآخر وما فيه من الحساب والجزاء ، ودار الثواب والعقاب جمعت مرتبة فى ثلاث سور أو أربع أو خمس مثلا ككتب العقائد المدونة ، ولو أن عباداته من الطهارة والصلاة والزكاة والحج والدعاء والأذكار وضع كل منهما فى بضع سور أيضا مبوبة مفصلة ككتب الفقه المصنفة ، ولو أن آدابه وحكمه وفضائله المندوبة والمكروهة أفردت فى عشر سور ككتب الأخلاق والآداب ، ولو أن قواعده التشريعية وأحكامه الشخصية والمالية والحربية والقانونية رتبت فى سور خاصة بها ولو أن قصص النبيين والمرسلين وما فيها من العبر والمواعظ سردت فى سورها مرتبة كدواوين التاريخ . لو أن كل ما ذكر وما لم يذكر من مقاصد القرآن جمع كل نوع منها وحده لفقد القرآن بذلك أعظم مزايا هدايته المقصودة بالقصد الأول من التشريع وحكمة التنزيل .

وهو التعبد به واستفادة كل حافظ للكثير أو القليل من سوره من مسائل الإيمان والفضائل المنبثة فى جميع السور ، ولفقد أعظم مزايا هدايته ، وهو مزج مقاصده بعضها ببعض وتفريقها فى السور الكثيرة بالمناسبات المختلفة وتكرارها بالعبارات البليغة المؤثرة فى القلوب ، المحركة للشعور النافية للسآمة والملل من المواظبة على ترتيلها بنغمات نظمه الخاص به ، وفواصله المتعددة القابلة لأنواع من التغنى والنغم المحرك فى القلب وجدان الخشوع وخشية الإجلال للرب المعبود والاعتبار لصنعته فى خلقه والقابلة لأنواع أخرى من الإلقاء الخطابى فى الترغيب والترهيب والتعجب والتعجيب والزجر والتأنيب واستفهام الإنكار والتقرير والتهكم والتوبيخ مما لا نظير له من كلام البشر من خطابة وشعر ورجز وسجع ، فبهذا الأسلوب الرفيع فى النظم البديع كان القرآن كما ورد فى معنى وصفه لا تبلى جدته ولا تملّه كثرة الترديد »

وكلام السيد واضح يمكن إيجازه بقولنا إن القرآن قد خلق للتلاوة والترتيل والهداية والتأثير ولن يتحقق ذلك بتأليف علمى ذى منهج عقلى يغفل الإشباع الوجدانى ، وأدواته البيانية ذات التأثير الخطابى باعتمادها على أدوات الترغيب والزجر كالتنقل بالقول من إنكار إلى تقرير إلى تهكم وتوبيخ ليكون بذلك جديدا غضا لا تخلق نضارته على الترديد .

(له بقية) محمد رجب البيومى

ليلة خير من عشر

للأستاذ محمد على الطعمى

فى شهر رمضان الجليل امتازت ليلة بفضائل لم تتجمع فى ليلة سواها ، وسمت بخصائص كانت فضلا من الله ومنحة وإكراما ، فاحتفى لها الدهر وأكبرها التاريخ وصافحها الزمان ، وفيها أشرقت الأرض بنور ربها ونزل القرآن دفعة واحدة من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا ، وذلك فى العام الأول من البعثة المحمدية ، ثم نزل بعد ذلك منجما حسب الوقائع والمناسبات ، فى مدى ثلاث وعشرين عاما « إنا أنزلناه فى ليلة القدر ... » .

وعندما نتكلم عن معنى ليلة القدر ، تشدنا آراء علمية متشعبة ، أماط عنها اللثام أفذاذ العلماء ، فقد ذكر النووى فى شرحه لمسلم ، أنها سميت ليلة القدر لما يكتب فيها للملائكة من الأقدار والأرزاق والآجال ، التى تكون فى تلك السنة ، لقوله تعالى « فيها يفرق كل أمر حكيم » [1] .

[1] سورة الدخان .

وقوله تعالى « تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر » [1] ومعناه يظهر للملائكة ما سيكون فيها ويأمرهم بفعل ما هو من وظيفتهم . .

وعلى هذا يكون معنى ليلة القدر ـ ليلة التقدير ـ أى إظهار القضاء المقدر قديما فى علم الله تعالى إلى الملائكة الذين سيقومون بتنفيذه بأمر الله عز وجل .

وهنالك رأى آخر يقول ، معنى ليلة القدر ، ليلة الشرف والعظمة ، والخير والسلام لقوله تعالى : « حم والكتاب المبين إنا أنزلناه فى ليلة مباركة » [2] ولقوله تعالى : « ليلة القدر خير من ألف شهر » .

ومهما يكن المعنى فإن هذه الليلة مليئة بالخيرات حافلة بالبركات ، فينبغى أن تتيقظ لها الهمم ، وتزكو فيها النفوس وتسهر لها العيون لتحظى بفضلها العظيم الذى لا بدايه إفضال . .

[1] سورة القدر .

[2] سورة الدخان .

لكن متى تكون ليلة القدر ؟

وفى أى وقت من الأوقات نترقبها ؟

لقد اختلف العلماء فى تحديد هذه الليلة اختلافا اتسع مداه ، وراح كل فريق منهم يعضد رأيه ، ويقيم الدليل تلو الدليل على صحة ما يقول ، وهذا الاختلاف إن دل على شيء فإنما يدل على الاهتمام بها ، وعلى أنها ليلة فريدة فى نوعها ، يجب الاعتناء بها والاستعداد لها ، لتحظى بما فيها من أجر ومثوبة ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

ولعل أرجح الأقوال التى قيلت فى توقيت هذه الليلة ، أنها تكون فى ليلة السابع والعشرين ، وهذا رأى الإمام أحمد بن حنبل ، وأخذ به الجمهور ، وحلف عليه أبى بن كعب ، عن زر بن حبيش قال « سألت أبى بن كعب رضى الله عنه ، فقلت : إن أخاك ابن مسعود يقول : من يقم الحول يصب ليلة القدر ، فقال رحمه الله ، أراد أن لا يتكل الناس ، أما إنه قد علم أنها فى رمضان ، وأنها فى العشر الأواخر ، وأنها ليلة سبع وعشرين .

ثم حلف لا يستثنى أنها ليلة سبع وعشرين ، فقلت بأى شيء تقول ذلك يا أبا المنذر ، قال بالعلامة أو بالآية التى أخبرنا رسول الله ﷺ أنها تطلع يومئذ لا شعاع لها »[1]

وقال ابن عباس فى ليلة ثلاث وعشرين أو سبع وعشرين ، وقال أبو حنيفة وصاحباه هى فى السنة كلها ، وقال ابن عمر : هى فى شهر رمضان كله ، وقيل فى العشر الأواخر من رمضان تختص بالأوتار ، وقال غيرهم تختص بالأشفاع .

ومن هنا يستحب طلبها فى العشر الأواخر من رمضان ، ويستحب أن يجند لها الصائم كل وقته ، حتى لا تفلت منه تلك الليلة المباركة والفرصة الذهبية ، والرسول عليه السلام كان يهتم بالثلث الأخير من رمضان ويتزود فيه بالطاعات ، عن عائشة رضى الله عنها قالت : (كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر الأواخر من رمضان أحيا الليل كله ، وأيقظ أهله ، وجد وشد المئزر)[2] .

لكن ما معنى قوله تعالى : « ليلة القدر خير من ألف شهر » ؟

ذكرت أغلب التفاسير ، أن الرسول عليه السلام ، ذكر رجلا من بنى إسرائيل جاهد فى سبيل الله ألف شهر ، فتعجب الصحابة من ذلك الرجل ، وتقاصرت دونه

---

[١] رواه مسلم . [٢] متفق عليه .

أعمالهم، فأعطاهم الله ليلة القدر تعويضاً لهم وتكريماً.

والقصة في حد ذاتها تافهة، وخرافة من خرافات الوضاعين، وهي حشو إسرائيلي ظاهر، لأنه ليس من المقبول عقلا أو نقلا أن حربا دارت رحاها في سبيل الله تلك المدة الطويلة في زمن بني إسرائيل بالذات لأنهم ليسوا أهلا لهذه الخصوصية العظيمة ولما عرف عنهم من الجبن والتخاذل، وعدم الصبر وقلة الأناة، وآية ذلك أن النبي موسى عليه السلام، عندما استدعاهم للجهاد قالوا: «فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون»[1].

وقد حدث القرآن الكريم عشرات المرات عن بني إسرائيل، فوصفهم بالخداع والتضليل، والمراء والمؤامرات، وحدث عنهم أنهم شاكسوا الرسل وقتلوا الأنبياء ولفقوا التهم للأبرياء والصالحين، فكيف يعقل أو ينقل عن رجل منهم أنه جاهد في سبيل الله ألف شهر؟ ثم مع أي نبي كانوا؟ وأي نبي جاهد ألف شهر؟ فضلا عن رجل إسرائيلي، لا يعرف اسمه ولا موطنه ولا المكان الذي جاهد فيه.

ومما لا ريب فيه أن أمة محمد هي أفضل الأمم على الإطلاق «كنتم خير أمة أخرجت للناس»[2]، وأصحابه هم خير الناس بعد الأنبياء فكيف يرجون أن يكونوا مثل هذا الإسرائيلي المجاهد كذبا وزيفا؟

إن هذه القصة مفتراة فعلا، وما أكثر المفتريات القصصية التي أخذت دور الرواج في كثير من الكتب والتفاسير التي اعتمد فيها أصحابها على النقل من أهل الكتاب.

والأهم من هذا كله ماذا نقدم في ليلة القدر من أعمال، وماذا ندعو فيها من دعاء؟

إن الصائم الحازم الذي يطمع في ثواب الله وجزاء الآخرة، ينبغي عليه أن يستقبل شهر رمضان بتوبة صادقة نصوح، وينبغي عليه أن ينفض عن نفسه غبار الخطيئة والرذيلة والتكاسل، وينبغي عليه أن يضاعف من الطاعات والاستغفار وقراءة القرآن، وأن يحرص على كل شعيرة من شعائر البر، حتى يظفر بالمغفرة وينال الرحمة ويأخذ أجر الصائمين المخلصين، عن أبي ذر، قال: قلت: يارسول الله أوصني قال: «عليك بتقوى الله، فإنه رأس الأمر كله» قلت: يارسول الله زدني، قال: عليك بتلاوة

[1] سورة المائدة.

[2] آل عمران.

القرآن ، فإنه نور لك فى الأرض وذكر لك فى السماء »[1] وينبغى لطالب ليلة القدر أن يخرج من قلبه متاع الدنيا الرخيص ، وأن لا يطلبها ابتغاء دنيا يصيبها ، بل تكون وجهته أن يفوز بالرضا والقبول ، كما ينبغى لمن أدركها أن يسأل الله العفو عن هناته وزلاته ، فليس هنالك مطلب أسمى ولا أعظم ، من أن يعفو الله عن الراغبين فى عطائه ، ويجعلهم فى زمرة أحبابه وأصفيائه ، عن عائشة رضى الله عنها قالت: « قلت: يارسول الله ، أرأيت إن علمت أى ليلة ما أقول فيها ؟ قال : قولى : اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنى »[2] .

ولقد بشر النبى ﷺ من قام ليلة القدر وهو مؤمن بالله محتسب أجره عنده، بشره بالمغفرة ، قال ﷺ : « من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه »[3]

... إن ليلة القدر جديرة بأن يحس بجلالها المسلمون ، وجديرة بأن يحيوها بتنقية القلوب من الغل ، وتصفية النفوس من الدغل ، وتخليص النيات من الرعونات ، التى تسلب الصائم الروحانية وتعريه من الفضائل ، وتجعله أشبه بمعذب ، لن ينال على صيامه جزاء ولا غفرانا .

مر الحسن البصرى رضى الله عنه فى رمضان ، على قوم يضحكون ويلهون ، فقال: « إن الله عز وجل، جعل شهر رمضان مضمارا لخلقه ، يستبقون فيه لطاعته ، فسبق قوم ففازوا ، وتخلف أقوام فخابوا، فالعجب كل العجب للضاحك اللاعب ، فى اليوم الذى فاز فيه السابقون ، وخاب فيه المبطلون، أما والله لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن بإحسانه والمسىء بإساءته » .

وهذه رابعة العدوية تترنم بليلة القدر فتقول:

أفق من لذة السكر
ودُر القلب بالذكر
فهذا الليل قد ولى
ولاحت أنجم الفجر
سهرنا ليلة القدر
فكانت ليلة العمر

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من رواد ليلة القدر ، ونسأله أن يجعلنا من ذوى الحظوة فيها ، ويتقبل صيامنا وأعمالنا ودعاءنا ، ونسأله أن يعيد علينا هذه الأيام المباركة باليمن والنصر والإقبال، إنه على مايشاء قدير؟

محمد على الطهرى

[١] رواه ابن حبان . [٢] رواه الترمذى .
[٣] رواه البخارى ومسلم .

الصيام فريضة استعلاء

للأستاذ محمد الدسوقي

١ — من أخص خصائص الإسلام أنه عقيدة استعلاء ، ولا نعنى كلمة الاستعلاء الغطرسة والكبرياء ، ولكنها تعنى السمو الروحى الذى يربأ بالإنسان أن يعيش كالحيوان الأعجم ، تسيطر عليه شهوات الجسد ويستكين لكل من يقدر عليه .

إن تعاليم الإسلام كلها تغرس فى نفوس المؤمنين به ذلك الشعور الكريم ، شعور الاستعلاء فى غير كبر ، وشعور الكرامة فى غير ضعف ، فكلمة الشهادة — وهى مفتاح الإسلام — تحرر الإنسان من عبودية غير الله ، ومن ثم لا يخضع فى حركاته وسكناته وأقواله وأفعاله إلا لما أمره الله به ونهاه عنه ، فيحيا أبيا مستعليا على كل ما يحول بينه وبين الحياة العزيزة الكريمة :

٢ — والصيام — وهو فريضة كتبها الله علينا كما كتبها على الذين من قبلنا — له أثره الكبير فى تنمية ذلك الشعور ، وربما فاق غيره من العبادات المفروضة فى هذا المجال ، ولعل ما روى من أن الله تبارك وتعالى اختص نفسه بالصيام ونسبه لذاته — مع أن كل العبادات كذلك — كان لهذا المعنى ، فالصلاة والزكاة والحج يمكن أن يستوى فى أدائها من الناحية الشكلية المخلصون والمنافقون ، ولكن الصيام فريضة خالصة من معانى الرياء والنفاق ، لأن أداءها يتمثل فى أمور لا يطلع عليها سوى الله ، ولهذا كان سراً بين العبد وخالقه ، وكان له أثره فى إذكاء شعور الاستعلاء .

٣ — فالصائم حين يمتنع عن ضرورات الجسد من طعام وشراب وما إليهما فترة محددة ، فإنه يستشعر رقابة الله وحده عليه . فإذا تكررت فترات الصيام تكرر الإحساس برقابة الله إلى أن يصبح أمراً ملازما للإنسان فى حياته كلها ، فيخشى أن يراه الله حيث نهاه ، وبذلك يستعلى على شهوات الجسد ونزواته ، ويسمو إلى أفق ملائكى رفيع ، فيحقق المعنى الكامل للحياة الإنسانية على الأرض .

وجاء فى تفسير المنار [1] : « فإذا ترك

[١] جـ ٦ ص ١٥٩ .

الإنسان شهواته ولذاته التي تعرض له في عامة الأوقات لمجرد الامتثال لأمر ربه والخضوع لإرشاد دينه مدة شهر كامل في السنة ملاحظا عند عروض كل رغبة له من أكل نفيس، وشراب عذب، وفاكهة يانعة وغير ذلك، أنه لولا اطلاع الله تعالى عليه ومراقبته له لما صبر عن تناولها، وهو في أشد التوق لها، لاجرم أنه يحصل له من تكرار هذه الملاحظة المصاحبة للعمل ملكة المراقبة لله تعالى، والحياء منه سبحانه وتعالى أن يراه حيث نهاه، وفي هذه المراقبة من كمال الإيمان بالله تعالى والاستغراق في تعظيمه وتقديسه أكبر معد للنفوس ومؤهل لها لسعادة الروح في الآخرة».

٤ — ومن أجل هذا كان الصيام واجبا شهراً من كل عام؛ لأن تكرر الشهر يجدد طاقات الصيام التي ربما نال منها مرور الأيام وما أشبه الصيام للنفس بالمصل للجسم، فكما أن المصل يكسب الجسم قوة تقدره على أنواع خاصة من الجراثيم، كذلك الصيام يكسب النفس قوة تقدرها على مقاومة الرغبات والشهوات، وكما أن المصل يجب تكرار التطعيم به كلما مرت فترة معينة حتى تتجدد قدرة الجسم، ولا يفقد مقاومته، كذلك صيام رمضان يجب تكرار مزاولته في كل عام حتى تتجدد قدرة النفس ولا تفقد مقاومتها [1].

٥ — على أن هذا الاستعلاء في الصيام إذا كان ثمرة من ثمرات الإحساس برقابة الله وسلطانه فإنه مع هذا لاينفك مصاحبا للإرادة القوية والعزيمة الماضية، لأن من يستعلي على ضرورات الجسد، لابد أن يسيطر عقله على هواه، وإرادته على شهوته ومن كان كذلك فقد أصبح مالكا لزمام نفسه ذا إرادة قوية، لا تستعبده الشهوات ولا ينحرف عن جادة الطريق.

ولأن الجهاد ماض إلى يوم القيامة، إحقاقا للحق ودفعا للباطل، ولأنه يحتاج إلى رجال ذوي عقيدة وإرادة وشخصية كان للصيام دوره البارز في إعداد الرجال للقتال والجهاد، لأنه مجال تقرير الإرادة الإنسانية بالاستعلاء على ضرورات الجسد جميعا، كما أنه مجال لاختبار مدى الطاعة لله والاستسلام لفرائضه أيا كان فيها من الحرمان، وهذان عنصران لازمان في إعداد النفوس لاحتمال مشقة الجهاد في سبيل الله.

والمسلمون حين فقهوا معنى الصيام فقها

[1] الصوم والأضحية للأستاذ الدكتور علي عبد الواحد وافي ص ٣٢.

صديدا ، وأدوا هذه الفريضة أداء محمودا ، كانوا أذلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين ، كانوا قوة تهاب وعزيمة تجتاح الشدائد .

٦ — وفضلا عن أثر الصيام فى إحياء عنصر المراقبة الصادقة فى ضمير المؤمن بحيث يصبح مالكا لنفسه يصرفها حسب الشرع لا حسب الشهوة ، فإن الصيام يذكر المؤمن ببشريته وضعفه وحاجته ، لأن الامتناع عن رغبات الجسد ومطالبه يثير الانتباه بشدة إلى تلك الرغبات وهذه المطالب ، فكأن الصيام تذكير بمادية الكيان وحاجة الإنسان فلا يستبد ولا يطغى ولا يتجاوز حدود بشريته فى كل تصرف من تصرفاته .

إن الامتناع فى الصيام عن رغبات الجسد ليس مجرد حرمان مؤقت يؤتى ثماره فى مجال الحد من طغيان الشهوة وخور العزيمة والإرادة ولكنه مع هذا آية العبودية ودليل الضعف البشرى ، فيعرف الإنسان قدره ، ورسالته فى الحياة ، وهو لون من الاستعلاء ما أحوج البشرية اليوم إليه عليها تتخلى عن ماديتها المسرفة ، ونزعاتها العنصرية الباغية حتى تعرف طريق النجاة والأمان والاستقرار .

٧ — وإذا كان بعض الباحثين يذهب إلى أن الصيام فريضة صحية ، وأنه كذلك فرض ليشعر الأغنياء بألم الجوع والحرمان حتى ينفقوا فى سخاء على المحتاجين والبؤساء ، فإن هذا الرأى غير سديد لأن القول به يثير الشك والارتياب حول هذه الفريضة المقدسة فقد يرى بعض علماء الطب والأغذية أن الفوائد الصحية التى تنسب إلى الصيام غير مسلمة ، بالإضافة إلى أن هذا القول يخرج عبادة الصيام عن طبيعتها وينقص من قدسيتها وجلالها ويهوى بها إلى مستوى العادات التى قد تفيد فى بعض الأحيان دون بعض ، ولو كان الصيام فرض ليشعر الأغنياء بقسوة الجوع لاقتصر وجوبه على ذوى اليسار دون أهل الفاقة والإعسار ، وحتى يظل للصيام جلاله وأغراضه الروحية السامية وحتى لا يكون هناك مجال للشك فى قيمة حكمة الصيام ، كان ما ذهب إليه هؤلاء الباحثون غير مسلم ، لأن الشك إذا سرى إلى مقاصد العبادة فإنه لا يلبث أن يسرى إلى العبادة نفسها فتزعزع عقائد الناس فى العبادات ويضعف إيمانهم بها .

(البقية على الصفحة التالية)

الوحدة ضرورة يفرضها الإسلام

للدكتور عز الدين علي السيد

يقول الله تبارك وتعالى : « إن هذه أمتكم أمة واحدة ، وأنا ربكم فاعبدون » ويقول : « وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون » .

وتوجيه الخطاب إلى ضمير الجمع المضاف إلى الأمة يستوجب كل فرد من الجنس ، تمييزاً للأمة الإنسانية المنبثقة من آدم أبي البشر عليه السلام ، فكل إنسان انتمى إلى جماعة ، أو ارتبط بأرض أو شد إلى فئة ، مسئول عن حق هذه الأمة عليه ، كما يسأل عن جماعته المباشرة ووطنه القريب .

وجميع المخاطبين لانتمائهم إلى هذا الأصل كان عدم الانتماء إليه برابط الجنس واتحاد الحقيقة ، وعدم سبب الأسباب في هذه

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

٨ — وبعد فإن الصيام في جوهره تربية للنفوس ، وسمو بها إلى آفاق عليا من التطهر والصفاء ولتستعلي دائماً على شهوات الجسد ونزعات الشر والإثم وضعف العزيمة والإرادة ، لتكون طاهرة مطمئنة تخشى الله وترجو رحمته ، وتهاب حسابه وعقابه ، وبذلك تصبح جديرة بخلافة الله في الأرض وأهلا للفوز بجنته يوم الدين .

قال أبو حيان في البحر المحيط [1] : « الصوم فائدتان : رياضة الإنسان نفسه عما تدعوه إليه من الشهوات ، والاقتداء بالملأ الأعلى على قدر الوسع » .

وصدق الله العظيم إذ يقول : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » والتقوى كلمة جامعة لكل خصال البر والإحسان والمعروف ، إنها مفتاح كل خير وسبيل كل نصر : « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض » ، « إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » ؟

محمد الدسوقي

[1] ج ٢ ص ٣٠ .

النسبة ، وهو الإرادة العلية في الخلق للقدر على ذلك النحو ، وبهذا استحق الموجد والمقدر - جل علاه - أن يضيفهم إليه في قوله الحق : « وأنا ربكم » ولفظ الرب له دلالة في التربية والتعهد ليس في لفظ إله أو خالق أو غيرهما ما يتكفل بها ، فهو في الآيتين علة الفاصلة التي يأمرهم فيها بعبادته وتقواه ، والعبادة والتقوى أمر أراده الله لتحقيق جلاله وعز سلطانه وتمكين ملكه ، ولذلك يقول : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » .

فأهل الأرض أو الناس كلهم أمة واحدة ولدوا بفطرة واحدة ، هي فطرة آدم الإنسان ، الذي هو ذلك الأصل : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيراً ونساء ، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ، إن الله كان عليكم رقيباً » .

ولم يكن تفرقهم في الأرض ، واستعمارهم لها ، وخلافتهم فيها ، أمراً عرضهم من الأصل أو يقصيهم عن الأمة فينكر بعضهم لبعض ، استئثاراً بخير ، أو حرصا على استبداد أو تأله ، مهما اختلفت ألوانهم أو بشراتهم التي هي لله آية فيهم ، أو لهجات ألسنتهم التي هي عبرة من عبره لحكمة من حكمه ، لا تقل عن آية خلق السموات والأرض ، ولهذا اقترنا في قوله - عز وعلا - : « ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ، إن في ذلك لآيات للعالمين » .

بل كان انتشارهم وتفرقهم للتمكن من الأرض ، واستنباط ما انتشر فيها ظاهراً وباطنا من أسباب الحياة النشيطة المقيقة الواعية ، التي تتولد منها طاقة العلم وتتفجر ينابيع المعرفة ، فتصل أطراف الكون أرضه بسمائه ، ويكون ذلك كله مبعث دهشة الخلق بجلال يوصل إلى الخالق .

كان انتشارهم في الأرض ، وتفرقهم لذلك والتعارف بينهم وتبادل الخيرات والثمرات ، حاجة إلى التكامل ، الذي هو مطمح الفكر الصحيح والإنسان السليم ، ودقة الحكمة الإلهية الدافعة إلى هذا السبب ، فرقت على كوكب الحياة مشارق الشمس ومبادىء الفصول ، ومنابع الخير ، ومنابت الثمرات بظاهر غير منتظم ، يكمن في باطنه ما يسجد له الفكر ويعنو القلب إعجابا ببالغ الحكمة ، التي تفرض بطبيعة الاختلاف الحاجة إلى الائتلاف ، وتخلق من الفرقة الوحدة ، وهذا معنى التعارف أو معنى من معناه

فى قول الحق سبحانه : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا » .

ولكن شاء الله أن يكون عدوهم من المنذرين إلى يوم الوقت المعلوم ، وقد أقسم : « لأحتنكن ذريته إلا قليلا » فخرج على ناموس الأمة الواحدة أناس سرقهم عدوهم فسماهم عبيداً له ، يتصرف بهم فى نقض العرا تصرف المالك السليط برقيقه المقتسر « وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون » .

فانقسمت الأمة أمما ، واقتضت حكمة الحق بل حجته عليهم أن يرسل فى كل أمة رسولا منهم يبين لهم ما يتقون : « ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ، فنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة ، فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين » .

أما من هدى الله من تلك الأمم بالرسل فما يزالون بالهداية نسقا ، أسلموا لله أنفسهم فسماهم المسلمين ، وجعل الدين عنده دينهم : « إن الدين عند الله الإسلام » ووحد فى تاريخ البشر صراطهم ، لجميعهم على أبعاد الحياة أمة واحدة « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » وندد بالهالكين المنادين بشرف أنفسهم دون غيرهم تفريقا لوحدتهم وتمزيقا لأمتهم « وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى ، تلك أمانيهم ! قل : هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين . بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ، « ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ، ولقد اصطفيناه فى الدنيا ، وإنه فى الآخرة لمن الصالحين . إذ قال له ربه : أسلم . قال : أسلمت لرب العالمين . ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون » .

ولما طالت الفترة بين مولد محمد عليه السلام ومن قبله من الرسل ، وتحرفت صحف السماء ، وتقسمت أهلها الأهواء — أرسل الله خاتم رسله بخاتم كتبه ؛ ليجتمع عليه من شاء سلامة الفطرة ، والارتباط الواثق بالأمة ، فانفرد دينه باسم الإسلام لأنه دين يحترم الفرد فى الأمة ويعرف حقه ووجبه ، ويحترم الأمة بالفرد ويعرف

حقها وواجبها ، فيعرف بذلك قانون السلام والوئام ، ويقرر فرضيته ويحارب المعتدين عليه والناذين منه ، ليتم الفتنة ويحافظ على الوحدة .

وحرصه هو أعظم الحرص على الالتفاف حول الحاكم والإمام ، فالأمـــة المعتبرة والمخاطبة والجماعة المقصودة والناشدة بعد بعثة النبي عليه السلام هي أمة الإسلام وجماعة المسلمين ، التي من حقها أن تهادن وتسالم من أراد السلام من أسرة البشر ، والتي ليس من حقها أن تهادن وتسالم من دق عصاها وفرق جمعها وشتت شملها ، ولهذا أمرت بقوله تعالى : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله ... » .

ونهيت عن الفرقة وعما يسبب الفرقة بقوله : « ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » وقيل لها ليرفرف علمها الواحد فوق رأسها : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » وأولو الأمر مهما تعددوا لحفظ الأمن ونشر العدل واستقامة الحياة في قوة إمام واحد ما تمسكوا بمبادىء كتابهم وسنتهم ، فليس ذلك تفكيكا في أمر وحدتهم .

فلوك الـمين ورؤساؤهم وأولياء الأمور فيهم سدنة الجماعة وسلك نظام وحدتها ، لهم حق الطاعة لسلامة الأمة ، فإذا حدث الشقاق بين أميرين يفرقان الجماعة المجتمعة أوجب الإسلام عليها صيانة نفسها من الفتنة « إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما » « من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه » أخرجهما مسلم .

وليلتئم الجمع كانت الإمارة في الإسلام عبئا يحذره من لا يثق بالكفاية في ذاته « فالإمام راع ومسئول عن رعيته » مسئول على الإطلاق عن كل سبب يرقيها ويكفل أمن حياتها واستقرار العيش الرخي لها ، في رفق بها وحدب عليها فإن « شر الرعاء الحطمة » أمين كل الأمانة على مالها « من استعملناه على عمل فكتمنا مخيطا فما فوقه كان غلولا يأتي به يوم القيامة » أمين في تطبيق الدستور على كل أفرادها عدلا وحقا « أحب الناس إلى الله تعالى يوم القيامة وأدناهم منه مجلسا إمام عادل ،

وأبغض الناس إلى الله يوم القيامة وأبعدهم منه مجلسا إمام جائر ».

ولنقل التبعة، وخوفا من الهلكة كان يحذر الرسول عليه السلام أناسا يعرف لين قلوبهم وإمكان حدوث الميل منهم، كالمقدام بن معد يكرب القائل: «ضرب رسول الله ﷺ منكبي وقال: أفلحت يا قديم إن مت ولم تكن أميراً، ولا كاتبا، ولا عريفا». ومثل أبي ذر يخاطبه إمامه الرءوف الرحيم: «يا أبا ذر، إني أراك ضعيفا وإني أحب لك ما أحب لنفسي: لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم».

ويبين الإسلام مقياس أفضل حاكم يجتمع عليه شمل الجماعة ونظام الأمة، وهو تبادل الحب بينه وبينهم، إذ لا يستقيم الحب إلا بسلامة المنهاج: «ألا أخبركم بخيار أمرائكم وشرارهم؟ خيارهم الذين تحبونهم ويحبونكم وتدعون لهم ويدعون لكم. وشرار أمرائكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم» وهو معيار ظاهر البساطة يستبطن فلسفة تتسع عرضا وعمقا لنواميس السعادة في حياة الشعوب.

وليستتب الأمن للجماعة هدد المالكين لتفرقين بين الناس والمتهيبين بالعزة الآثمة تهديداً يبكتهم: «من خرج على الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة فقتل فقتلة جاهلية، ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها لا يتحاشى من مؤمنها ولا يفي بعهد ذي عهدها فليس مني ولست منه».

ومن آثم ما يفرق الوحدة ويزلزل الجماعة التقرب بالوشاية إلى الحكام، والتجسس الآثم على المؤمنين، ووجاهة هذا عند الولاة دون تبين وتثبت وقد اجتمع نهي الله ونهي رسوله عن ذلك في الجملة الكريمة «ولا تجسسوا» وجاء قول الحق سبحانه «إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا» وقول الرسول عليه السلام: «إذا ابتغى الأمير الريبة في الناس أفسدهم».

هذه السمات سمات الإسلام في بنيه، تحكم وحدتهم وتوثق عروتهم، والمعالم البينة سبيل الله وصراطه المستقيم، فهو يناشد أهل الأرض السلام والوئام والمحبة، لأن كلهم لآدم وآدم من تراب، كلهم لآدم الأب والإنسان، الذي في اسم

جنسه الأنس والائتلاف والمودة ، وحنين القلب إلى القلب والدم إلى الدم ، فإن أبوا إلا الفرقة والتعسف والصلف ، ناشد أهله في ربوع الأرض رحمة ، وكان هو الأب الحاني الذي به أخوتهم : « إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم » وأرشدهم بالمثل الحكيم إلى أكثر من ذلك ترابطا : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

والمسلمون اليوم ـ أكثر من كل يوم ـ في شتى البقاع ، مطالبون بحقيقة الإسلام وطابعه ، قويهم كضعيفهم في اكتساب العزة بوحدة الهدف ، واتخاذ الوسيلة القاصدة إليه ، لحقيقة الإيمان واحدة ، ومظاهرها في الإسلام واحدة ، لا تختلف الصلاة باختلاف البقاع صفة ولا قيمة ، ولا الحج باختلاف الديار عبادة ولا منسكا ولا الصوم باعتبار الأوطان حقيقة ولا شهرا ، ولا المؤمن بانتمائه إلى الدار نسبة ولا شرفا.

المسلمون يطالبهم الإسلام بإنكار الذات طلبا للعزة ، وإيثار الحق خوفا من الفتنة ، ومعرفة الطريق طلبا للنصر ، والسفر القاصد والطريق اللاحب ما وصفه الله : « يا أيها الذين آمنوا . إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » فليذكروا دائما أمام المحنة : « إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص » ، وليذكروا دائما أمام الهزيمة : « ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير » .

اللهم اربط على قلوبنا بعزيمة منك ، واجمع شتاتنا برباط الإيمان بك ، وادفع بنا عدونا إلى جدث البغي ومثوى الخسيسة ، واحمنا بك من عدوان أنفسنا على حماك يا نعم المولى ويا نعم النصير ؟

عز الدين علي السيد

معنى "أنزل القرآن على سبعة أحرف"

للأستاذ محمد السباعى عامر

اقتضت حكمة الله تعالى وتدبيره العظيم أن تكون جزيرة العرب على امتداد أطرافها واتساع رقعتها وطنا للكثرة الكثيرة من قبائل العرب فى سهلها، ونجدها وجبالها وأوديتها على اختلاف ألسنتها ولهجاتها الخاضعة لتحكم البيئة وطبيعة المناخ وبعد الشقة بينهم، وقد انتشروا فوق رمال الصحراء هنا وهناك أمة أمية لا تكتب ولا تحسب ليبعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة... ولينزل عليه قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد ويتلى بعضه فى الصلاة ويتعبد بقراءته، وتدبر آياته فى إتقان وترتيل.

وهنا تبرز مشكلة تحتاج إلى حل عادل ميسر، وهى:

كيف تتلو هذه الجموع الكثيرة القرآن بلغة هذا النبى القرشى عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام مع تباين لغاتهم ومنطقهم ولو كلفوا تغيير لهجاتهم وإصلاح ألسنتهم وحناجرهم لغشيهم الحرج وعظمت المحنة، ولما استطاعوا أن يؤدوا أداء قرشيا خالصا فتميم تهمز وقريش لا تهمز وهذا يفخم وهذا يرقق وهذا يدغم وهذا يظهر إلى آخر الوجوه التى تختلف بها الألسنة وتتعثر فى النطق بها إذا كلفت بغير ما ألفته ودأبت عليه فى طفولتها وشبابها وهرمها، من أجل هذا اقتضت رحمة الله تعالى ورأفته بعباده أن يحل هذه المشكلة ويدفع الحرج عنهم فى تلاوة القرآن كما دفع الحرج عنهم فى أحكام شريعته ودينه، كما قال الله تعالى: « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ». وقال: « ولقد يسرنا القرآن للذكر ». فأنزل القرآن على سبعة أحرف، منتشرة منبثة فى أصول قبائل العرب، ومن السهل على ناقيهم أن يقرأوه بلغة قبيلة من هذه القبائل السبعة التى ترجع إليها ألسنة العرب كلهم فى سهولة ويسر.

فمن عمر رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه » ، وهذا لفظ البخارى ، وأخرج مسلم عن أبى أن النبى ﷺ كان عند إضاة بنى غفار فأتاه جبريل فقال : « إن الله يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على حرف فقال أسأل الله معافاته ومعونته وإن أمتى لا تطيق ذلك ، ثم أتاه الثانية على حرفين ، فقال له مثل ذلك ثم أتاه الثالثة بثلاثة ، فقال له مثل ذلك ، ثم أتاه الرابعة فقال إن الله يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على سبعة أحرف ، فأيما حرف قرأوا عليه فقد أصابوا » ، ورواه أبو داود والترمذى وأحمد .

وفى رواية لأبى قال : دخلت المسجد أصلى فدخل رجل فافتتح سورة النحل فقرأ فخالفنى فى القراءة فلما انفتل قلت من أقرأك ؟ قال رسول الله ﷺ ثم جاء رجل فقام يصلى فقرأ وافتتح النحل فخالفنى وخالف صاحبى فلما انفتل قلت من أقرأك قال رسول الله ﷺ . قال فدخل قلبى من الشك والتكذيب أشد مما كان فى الجاهلية فأخذت بأيديهما فانطلقت بهما إلى النبى ﷺ فقلت استقرئ هذين فاستقرأ أحدهما فقال : أحسنت فدخل قلبى من الشك والتكذيب أشد مما كان فى الجاهلية ثم استقرأ الآخر فقال : أحسنت فدخل صدرى من الشك والتكذيب أشد مما كان فى الجاهلية فضرب رسول الله ﷺ صدرى بيده فقال أعيذك بالله يا أبى من الشك ثم قال إن جبريل عليه السلام أتانى فقال : إن ربك عز وجل يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد فقلت اللهم خفف عن أمتى ثم عاد فقال إن ربك عز وجل يأمرك أن تقرأ القرآن على حرفين ، فقلت اللهم خفف عن أمتى ثم عاد فقال إن ربك عز وجل يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف وأعطاك بكل ردة مسألة . . الحديث رواه الحارث بن أبى أسامة فى مسنده بهذا اللفظ وقد روى هذا الحديث عدد كثير من الصحابة رضى الله تعالى عنهم جميعاً بروايات كثيرة فى عدد من كتب السنة الصحيحة ، وقد نص على تواتره الإمام الكبير أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله تعالى : وممن رواه عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ، عمر بن الخطاب وهشام ابن حكيم وعثمان بن عفان وعبد الرحمن

ابن عوف وأبي بن كعب وعبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وأبو هريرة وعبد الله ابن عباس وأبو سعيد الخدري وحذيفة ابن اليمان وأبو بكرة وعمرو بن العاص وزيد بن أرقم وأنس بن مالك وسمرة بن جندب وعمر بن أبي سلمة وأبو جهيم وأبو طلحة الأنصاري وأم أيوب الأنصارية ولا نطيل بذكر بعض أحاديثهم ففيم قدمنا كفاية .. وقد أفرده الإمام الحافظ أبو شامة بالتأليف وبين المراد منه ، وبسط الكلام فيه الأئمة كابن حجر في فتح الباري والزركشي في البرهان وابن الجزري في النشر والسيوطي في الإتقان وغيرهم حتى أحصوا في تفسيره أربعين قولا لا يصح منها شيء في نظرنا إلا القول بأنها سبع لغات: لغة قريش وهذيل وثقيف وهوازن وكنانة وتميم واليمن على معنى أن بعضه جاء بلغة قريش وبعضه جاء بلغة اليمن وهكذا تيسيراً على هذه الأمة ورفقا بها وتخفيفا عليها لينتفع به الجميع دون حرج أو مشقة أو عنت فيهم الشيخ الكبير والصبي والعجوز ومن لم يقرأ كتابا قط كما صرح به في إحدى روايات الحديث .

فمفتاح التفسير لهذا الحديث التيسير والتخفيف على الأمة بدليل قوله عليه الصلاة والسلام، اسأل الله معافاته ومعونته وإن أمتي لا تطيق ذلك ، فالمسألة إذن راجعة إلى النطق والأداء لا غير، ومع احترامنا للأئمة الأعلام كابن الجزري والحافظ أبي الفضل الرازي وابن قتيبة وغيرهم فإننا نخالفهم فيما فسروا به هذا الحديث حيث جعلوا مفتاح التفسير له قولهم: تتبعنا وجوه القراءات فوجدنا أنها لا تخرج عن سبعة أشياء ، وذكروا منها الاختلاف بالتذكير والتأنيث والماضي والمضارع والأمر والإفراد والتثنية والجمع والتقديم والتأخير والزيادة والنقص والإعراب والخطاب والغيبة وما أشبه ذلك حتى قال ابن الجزري في النشر ما نصه: ج ١ ص ٢٤ وذلك أني تتبعت القراءات صحيحها وشاذها وضعيفها ومنكرها فإذا هو يرجع اختلافها إلى سبعة أوجه من الاختلاف لا يخرج عنها انتهى بحروفه.

ونقول ما لنا وللقراءات الشاذة والضعيفة والمنكرة؟ وما الداعي إلى إقحامها في حديث صحيح وهو أنزل القرآن على سبعة أحرف ؟

ونقول ثانية إنه من أسهل السهل وأيسر اليسر على كل عربي من أية قبيلة أن يقرأ بالتذكير والتأنيث في «ولا يقبل

منها شفاعة » بالياء والتاء فى الفعل على القراءتين: ومن السهل أن عليه أن يقرأ « قال رب احكم بالحق » بصيغة الماضى « وقل رب احكم بالحق » بصيغة الأمر فإنه يخاطب قرابته وغيرهم فيقول قال فلان كذا، وقل لفلان كذا لا يتعثر فيهما لسانه ولا يضل أو ينحرف فيهما منطقه. ومن السهل عليه أن يقرأ « ونزل الملائكة » بصيغة الماضى « وننزل الملائكة » بصيغة المضارع على القراءتين. ومن السهل عليه أن يقرأ « ربنا باعد بين أسفارنا » بفتح الباء على النداء وفعل الدعاء وربنا باعد بجعله مبتدأ والفعل بعده ماض على القراءتين. ومن السهل عليه أن يقرأ « والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون » لأمانتهم بالإفراد والجمع على القراءتين، « على صلاتهم يحافظون » وعلى صلواتهم بالإفراد والجمع على القراءتين، ومن السهل عليه أن يقرأ « فأصلحوا بين أخويكم » وبين إخوتكم بالتثنية والجمع على القراءتين ومن السهل عليه أن يقرأ « وقاتلوا وقتلوا » ثم يقرأ وقتلوا وقاتلوا تقديماً وتأخيراً على القراءتين لا يعجزه من ذلك شيء. ومثله فيقتلون بالبناء للفاعل ويقتلون بالبناء للمفعول فى سورة التوبة وبالعكس على القراءتين.

ومن السهل عليه أن يقرأ « ووصى بها إبراهيم » وأوصى بها إبراهيم بإثبات الهمزة وحذفها على القراءتين، وليس فى ذلك حرج على قرشى أو هذلى أو غيرهما.

ومن ذلك « تجرى تحتها الأنهار » و « تجرى من تحتها الأنهار » بإثبات من وبحذفها على القراءتين فى سورة التوبة.. ومن السهل عليه أن يقرأ « فتلقى آدم من ربه كلمات » برفع آدم ونصب كلمات ثم بنصب آدم ورفع كلمات على القراءتين.

ومن ذلك « فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله » برفع لفظ الجلالة وبنصبه أى دين الله وهى قراءة أبى جعفر والأولى قراءة الجمهور. ومن السهل عليه أن يقرأ « أشد منكم » بضمير الخطاب وأشد منهم بضمير الغيبة على القراءتين. ومن السهل عليه أن يقرأ « فإن الله هو الغنى الحميد » و « فإن الله الغنى الحميد » بإثبات هو وحذفها على القراءتين، وكل هذا متواتر وليس فيه شاذ أو ضعيف أو منكر، وكل ما قدمنا لا عسر فيه على أحد وإنما العسر فى أن تلزم من يقرأ بتسهيل الهمز أو بتغليظ اللامات فى الصلاة ومطلع وظل ونحوها أو يقرأ باختلاس الحركة بتغيير لغته فلا يسهل

الهمز ولا يغلظ اللامات ولا يختلس الحركة إن من العرب من يقرأ بالإمالة لا يحسن غير ذلك ومنهم من يقرأ بالتقليل لا يحسن غير ذلك ومنهم من يقرأ بإشمام الكسرة بالضمة في مثل جيء وقيل لا يحسن غير ذلك ، ومنهم من يحذف الهمزة ويلقي حركتها على الحرف الساكن قبلها في مثل وأتوا البيوت من أبوابها، قد أفلح المؤمنون لا يحسن غير ذلك . ومنهم من يضم الهاء من : عليهم وإليهم وفيهم وصلا ووقفا لا يحسن غير ذلك فتكليفهم بغير ما ألفوا ، فيه عسر وحرج شديد ومن أجل هذا وحده أنزل القرآن على سبعة أحرف .

سيقولون : اختلف عمر وهشام في قراءة سورة الفرقان وهما قرشيان ولغتهما واحدة وقال النبي عليه الصلاة والسلام لكل منهما هكذا أنزلت ، وجوابنا على هذا أن من الممكن أن يكون لقريش لغتان في اللفظ الواحد كالتشديد والتخفيف وعند قبيلة أخرى في هذا اللفظ نفسه التشديد فقط وعند أخرى فيه تخفيف فقط فيصعب على الأخيرتين الانتقال إلى غير ما تعودته ودأبت عليه ، ومن باب التمثيل لهذا نذكر قوله تعالى : « ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا » فمن الجائز أن تكون قراءة عمر تشقق السماء بالتخفيف في الشين والقاف ، ونزل بالتشديد فعلا ماضيا ونائب الفاعل الملائكة ، وقراءة هشام تشقق بالتشديد ونزل بنونين فعل مضارع فاعله الله عز وجل والملائكة مفعول به فيقع الخلاف بين قراءة عمر وقراءة هشام وهما قرشيان وهذا مجرد تمثيل .

والمراد بالسبعة حقيقة العدد لا يزيد ولا ينقص، ففي الحديث أن النبي عليه السلام والسلام بعد أن أذن له بسبعة أحرف ، نظر إلى ميكائيل يطلب الزيادة فسكت فعلم من سكوته أن الأمر قد استقر على ذلك . ومن الخطأ تفسير السبعة في الحديث بالقراءات السبعة لأن أصحابها لم يولدوا في هذا الوقت ومن الخطأ أن يقال في الكلمة سبع قراءات فإن ذلك قليل في كلمات الخلاف ، ومن الخطأ تفسير السبعة في الحديث بالحلال والحرام والمحكم والمتشابه إلى آخره ، وقد أورد الإمام ابن الجزري في النشر حديثا يدل على سبعة أشياء يمكن يتمسك بها متمسك ، والجواب : إن صح هذا الحديث الذي ذكره وأخرجه الطبراني ، فالمراد به سبعة أخرى غير السبعة التي نحن بسبيلها والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ؟

محمد السباعي محمد عامر

الجرح والتعديل في علم السنة

للأستاذ محمد نجيب المطيعي

— ٢ —

إذا تتبعنا العناصر التي تتدرج تحت مخالفة هذين الشرطين الفارقين : العدالة والضبط ، وقلنا : إن العدالة تتعلق بدين الرجل وخلقه ومروءته ، والضبط يتعلق بفهمه ووعيه وحسن أدائه ، وأردنا استقصاء مراتب الجرح ما اعتمدناه منها وما لم نعتمده لحصرناها في إحدى عشرة رتبة رتبناها تصاعديا .

١ — من تكلم فيه مع ثقته وجلالته بأدنى لين وبأقل تجريح ومنهم أئمة متبوعون لهم جلالتهم في الإسلام وعظمتهم في النفوس أمثال أبي حنيفة والشافعي والبخاري ، وهم وإن كان لا يضرهم ذلك عند الله ولا عند الناس ، وإنما وجدوا من يشغب عليهم ، ويثرثر في حقهم .

٢ — الثقات الذين تكلم فيهم من لا يلتفت إلى كلامه ، لكونه متعنتا فيه ، وخالف الجمهور من أولي النقد والتحرير .

٣ — من نص أبو حاتم الرازي على أنه مجهول أو قال غيره : لا يعرف وفيه جهالة ، أو يجهل ، أو نحو ذلك من العبارات التي تدل على عدم شهرة الشيخ بالصدق .

٤ — المحدثون الصادقون أو الشيوخ المستورون ، الذين فيهم لين ، ولم يبلغوا رتبة الأثبات المتقنين .

٥ — المحدثون الضعفاء من قبل حفظهم ، لأن لهم غلطا وأوهاما ، ولم يترك حديثهم وإنما يقبل ما يروونه في الشواهد والاعتبار ، لا في الأصول والحلال والحرام ، ويقال له : ضعفوه مثل جرير ابن عبد الحميد الضبي ، قال ابن معين : جرير أقل سقطا من شريك ، وقال أبو الوليد : كنت أجالس جريرا بالري ، وكتب عني حديثين ، فقلت له : حدثنا ، فقال : لست أحفظ وكتبي غائبة ، وأنا أرجو أن أوافي بها ، قد كتبت في ذلك ، فبينا نحن إذ ذكر يوما شيئا من الحديث فقلت : أحسب شيئا من كتبك قد جاءت ، قال : أجل ، فقلت لأبي داود : إن جليدنا قد جاءته كتبه من الكوفة ، اذهب

بنا ننظر فيها ، فأتيناه فنظرت فى كتبه أنا وأبو داود ، قال يعقوب السدوسى : سمعت إبراهيم بن هاشم يقول : ما قال لنا جرير قط ببغداد حدثنا ولا فى كلمة ، ونزل على بنى المسيب الضبى فلما جاء المد - يعنى فيضان النهر - كان بالجانب الشرقى فقلت لأحمد ابن حنبل : تعبر ؟ فقال : أمى لا تدعنى ، فعبرت أنا فلزمته ، ولم يكن السندى الأمير يدع أحدا يعبر لكثرة المد ، فكنت عنده عشرين يوما فكتبت ألفا وخمسمائة حديث . هذا الرجل الحفور الحريص الذى عرفت ورعه هو بعينه الذى روينا فى سيرته ما يأتى : قال أحمد بن حنبل : لم يكن بالذكى فى الحديث ، اختلط عليه حديث أشعث وعاصم الأحول ، حتى قدم عليه بهز بن حكيم فعرفه ، وقال أبو حاتم : صدوق تغير قبل موته وحجبه أولاده ، وكذا نقل أبو العباس البنانى هذا الكلام فى ترجمة جرير بن عبد الحميد ، قال الذهبى : وإنما المعروف هذا عن جرير بن حازم لكن ذكر البيهقى فى سننه ثلاثين حديثا عن جرير بن عبد الحميد قال : قد نسب فى آخر عمره إلى سوء الحفظ ، قال سليمان ابن حرب كان جرير وأبو عوانة يتشابهان ما كان يصلح إلا أن يكونا راعيين .

قال عبد الرحمن بن مهدى : سمعت الشاذكونى [1] قال : قدمت على جرير فأعجب بحفظى وكان لى مكرما ، وقد جاء يحيى بن معين والبغداديون الذين معه وأنا ثم ، فرأوا موضعى منه ، فقال له بعضهم : إن هذا بعثه يحيى بن القطان وعبد الرحمن ليفسد حديثك ، قال : وكان جرير قد حدثنا عن مغيرة عن إبراهيم فى طلاق الأخرس ، ثم حدثنا به عن سفيان عن مغيرة عن إبراهيم ، قال : فبينا أنا عند ابن أخيه إذ رأيت على ظهر كتاب لابن أخيه : عن ابن المبارك عن سفيان بالحديث ، فقلت : عمك يحدث به مرة عن مغيرة ومرة عن عن سفيان ومرة عن ابن المبارك عن سفيان ينبغى أن تسأله عمن سمعه .

قال الشاذكونى : وكان هذا الحديث موضوعا ، فسألته فقال : حدثنيه رجل خراسانى عن ابن المبارك ، فقلت له : قد حدثت به عن مغيرة ولست أراك تقف على شىء ، ممن الرجل ؟ قال : رجل جاءنا من أصحاب الحديث . قال : فوثبوا بى وقالوا : ألم نقل لك إنما جاء ليفسد حديثك عليك . قال

---

[1] الميزان جـ ١ صـ ٤٠٥ .

فرثب بن البغداديون، وتعصب ذو قوم من أهل الرأى حتى كان بينهم شر شديد .

قال عبد الرحمن بن محمد : قلت لعثمان ابن أبى شيبة : حديث طلاق الأخرس عمن هو عندك ؟ قال : عن جرير عن مغيرة ومات جرير وهو فى الثمانين من عمره سنة ١٨٨ .

٦ — الحفاظ الذين فى دينهم رقة ، وفى عدالتهم وهن .

٧ — المتروكون الهلكى الذين كثر خطؤهم ، وترك حديثهم ، ولم يعتمد على روايتهم ، ويقال للواحد منهم : متفق على تركه .

٨ — الكذابون فى لهجتهم لا فى الحديث النبوى ، يقال له : ساقط وهالك وواه بمرة وضعيف جدا أوليس بثقة .

٩ — المتهمون بالوضع أو بالتزوير ويقال له : متهم بالكذب وأكثر هؤلاء من الصالحين الأتقياء كما سيأتى .

١٠ — الكذابون الذين يزعمون أنهم سمعوا ولم يكونوا قد سمعوا مثل أحمد ابن عبد الرحمن الجرجانى الهاشمى حدث عن الأصم وأقرانه ثم ارتفع إلى محمد بن المسيب الأرغيانى ممن لم يدركهم ، وقال ابن المدينى : سمعت عرعرة بن البرند ، قال : سألت عباد ابن منصور عن هشام القردوسى ، قال : ما رأيته عند الحسن قط ، قال عرعرة : فأخبرت بذلك جرير بن حازم فقال : قاعدت الحسن سبع سنين ما رأيت عنده هشاماً قط فقلت : يا أبا النضر ، قد حدثنا عن الحسن بأشياء فعمن تراه آخذه ؟ قال : أراه آخذه عن حوشب ، وقال نعيم بن حماد : سمعت ابن عيينة [1] يقول : لقد أتى هشاماً أمراً عظيما بروايته عن الحسن فقيل لنعيم : لمَ ؟ قال : لأنه كان صغيراً . وقال يحيى القطان : هشام فى محمد ثقة — يعنى ابن سيرين ، وهو عندى فى الحسن دون محمد بن عمرو ، ولو أن فى هذا الكلام نزاعا من قبل الذهبى إلا أننا نريد ضرب المثل على

[١] إذا أطلق ابن عيينة انصرف إلى سفيان وإلا فبنو عيينة ، حدثوا جميعا وهم آدم ابن عيينة وعمران ابن عيينة ومحمد ابن عيينة وإبراهيم ابن عيينة وسفيان ابن عيينة . وعيينة أبوهم ، وإنما أبوهم يدعى مالكا . كشرحبيل ابن حسنة فإن أباه عبد الله المطاع وسهل وسهيل وصفوان بنو بيضاء وأبوهم وهب وإسماعيل ابن علية وأبوه إبراهيم بن مقسم وإنما علية أم أبيه وذلك كثير وهناك أحد أئمة الحديث صنف كتابا فيمن نسب إلى أمه . ويجب إثبات الألف من ابن فيمن نسب إلى أمه إملاء كعيسى بن مريم ومحمد ابن الحنفية .

ما سقناه ، ويقال لمن هذا شأنه : يسرق الحديث ، وإن كانت أحاديث أحمد الجرجانى هذا يمكن عدها فى قسم المعلل وسنأتى عليه فى بحثنا إن شاء الله .

١١ ـ الكذابون الوضاعون المتعمدون قاتلهم الله وهؤلاء يلقب أحدهم بأردأ عبارات الجرح وهى : كذاب أو وضاع . وأشد عبارات الجرح : دجال كذاب أو وضاع يضع الحديث ويلقب المجروحون بالألقاب الآتية : متهم بالكذب ، ومتفق على تركه ، ثم متروك ليس بثقة ، وسكتوا عنه ، وذاهب الحديث ، وفيه نظر ، وهالك ، وساقط ، ثم واه بمرة ، وليس بشىء ، وضعيف جداً ، وضعفوه وضعيف وواه ، ومنكر الحديث ، ونحو ذلك ضعيف يسرق الحديث ، ثم يضعف ، وفيه ضعف ، وقد ضعف ، ليس بالقوى ليس بحجة ، ليس بذاك ، يعرف وينكر ، فيه مقال ، تكلم فيه ، لين ، سىء الحفظ ، لا يحتج به ، اختلف فيه ، صدوق لكنه مبتدع . ونحو ذلك من العبارات التى تدل بوضعها على إطراح الراوى بالإصالة ، أو على ضعفه ، أو على التوقف فيه ، أو على جواز أن يحتج به مع لين ما فيه .

وقد نشأت معركة الجرح والتعديل مقترنة بالتيارات الفكرية والسياسية التى كانت تسود المجتمع الإسلامى فى جمهور المتقدمين ، والحد الفاصل بين المتقدم والمتأخر عند أصحابنا المحدثين هو كما قال الذهبى فى الميزان : رأس سنة ثلاثمائة . فبدعة التشيع عند المتقدمين نوعان : تشيع بلا غلو ، وهذا كتقديمه عليا على الشيخين أو تفضيله عليهما ، فهذا كثير فى التابعين وتابعيهم مع الدين والورع والتقوى والصدق ، فهذا تشيع لا يسقط العدالة . والتشيع مع غلو كالرفض الكامل والحط على أبى بكر وعمر رضى الله عنهما والدعوة لذلك . فهذا النوع لا يحتج بهم ولا كرامة .

ويقول الحافظ الذهبى فى هذا النوع : « فما استحضر الآن فى هذا الضرب رجلا صادقا ولا مأمونا ، بل الكذب شعارهم والتقية والنفاق دثارهم ، فكيف يقبل نقل من هذا حاله ؟! حاشا وكلا .

فالشيعى الغالى فى زمان السلف هو من تكلم فى عثمان والزبير وطلحة ومعاوية وطائفة ممن حارب عليا رضى الله عنه ، وتعرض لسبهم ، والغالى فى المتأخرين من

يكفر هؤلاء السادة ويتبرأ من الشيخين أيضا ، فهذا ضال معثر»[1] .

وقد نقل أبو حامد الغزالي عن الشافعي قال : « تقبل شهادة أهل الأهواء إلا الخطابية من الرافضة ، لأنهم يرون الشهادة بالزور لموافقيهم في المذهب » ثم قال[2] : « ويدل على مذهب الشافعي قبول الصحابة قول الخوارج في الإخبار والشهادة وكانوا فسقة متأولين ، وعلى قبول ذلك درج التابعون - لأنهم متورعون عن الكذب جاهلون بالفسق » اهـ .

قال القاسمي : فنرى من هذا أن الصحابة قبلوا خبرهم وما ضرهم تسمية الفقهاء لهم بالفسقة ، لأنه فسق بمعنى مخالفة غيرهم ، وهذا الإطلاق اصطلاحي لفقهاء ، وربما رجع الخلاف في تسمية أولئك فساقا لفظا وإلا فيستحيل إرادة الفسق الحقيقي المانع للشهادة والرواية .

إذ كيف نفسق هذا الخارجي وهو يعتقد أن مرتكب الكبيرة كافر أو مخلد في النار فهل يعد هذا الكلام إلا تمشيا غاية التعظيم للدين ، وغاية الابتعاد عن المعاصي ، والإشعار بامتلاء القلب من خشية الله بما يزع عن الكذب والافتراء . فأنى يصح بعد ذلك تفسيقهم ، وهم على ما رأيت من التمسك بدين الله والتصلب في المحافظة على أحكامه . والفسق هو إتيان ما فسقه الشارع به ، ونص عليه كتاب أو سنة نصا قاطعا لا يحتمل التأويل ، وأما مسائل الاجتهاد فلا يصح ذلك فيها بوجه من الوجوه . قال الذهبي : وما زال العلماء الأقران يتكلم بعضهم في بعض بحسب اجتهادهم وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال الغزالي في الإحياء مهما اعترضت على القدري في قوله : « الشر ليس من الله » اعترض عليك في قولك : « الشر من الله » إذ المبتدع محق عند نفسه والمحق مبتدع عند المبدع وكل يدعي أنه محق وينكر كونه مبتدعا وما دمنا قد عرضنا في هذا البحث إلى الصالحين المخبتين ، فإننا نلاحظ أن الأحاديث الموضوعة والواهنة ، دخل أكثرها من طريق الصالحين ؛ لأن الأخذ بأسباب الصلاح والتقوى والورع يترتب عليها سلامة الصدر وبراءة الخاطر من كل حذر أو ظن فينذهل الشيخ الصالح عن دواعي الحرص

---

[1] الميزان ج ١ ص ٤٠٤ .

[2] المستصفى ج ١ ص ١٦٠ .

على صحة الرواية وتمتلىء نفسه بتصديق كل من يروى له حديثا ، فيدخل عليهم ماليس من السنة فيروونه فى سذاجة عجيبة .

وقد يعمد بعض الصالحين إلى وضع الأحاديث فى الوعظ والإرشاد والترغيب والترهيب احتسابا للأجر وهذا شر أنواع الكذب ، لأنهم بهذا العمل يفسدون ولا يصلحون ، ويدعو صلاحهم إلى اغترار الناس بما يروون فيثقون به من حيث هم ليسوا محلا للصدق ولا أهلا للثقة ، على أن هناك من الرواة الحفاظ من يرد عليه كل صفات التجريح والتضعيف والتليين ، وهو فى الوقت عينه يتصف بأعلى مراتب التعديل ، فإذا ذهبنا نستقرىء هذين النجدين المتضادين المتناقضين فى سيرة رجل واحد وجدنا للجرحين لهم العذر ، وللمعدلين لهم العذر .

واليك المثل على هذا فى حافظ الشام وعالمها إسماعيل بن عياش أبو عتبة الحمصى ولد سنة ست ومائة ، طلب العلم فأخذ عن شرحبيل ابن مسلم وكان أكبر تلامذته ومحمد بن زياد الألهانى وبحير بن سعد وخلق فأخذ عنه سفيان الثورى وابن إسحق وهما من شيوخه وسعيد بن منصور وهناد والحسن بن عرفة وخلق ، قال أبو اليمان كان منزله إلى جنب منزلى ، فكان يحيى الليل ، وربما قرأ ثم قطع ، قال : فسألته يوما فقال : وماسؤالك قلت : أريد أن أعرف ، قال : إنى أصلى فأقرأ فأذكر الحديث فى الباب من الأبواب التى أخرجتها فأقطع الصلاة فأكتبه ثم أرجع إلى صلاتى ، وقال عثمان بن صالح السهمى : كان أهل حمص ينتقصون عليا حتى نشأ فيهم إسماعيل بن عياش فحدثهم بفضائله فكفوا عن ذلك .

قلت : إذا عرفنا أن ذلك كان فى عنفوان دولة بنى أمية ، وعرفت أنه يعيش فى عقر دارها وفى قاعدة ملكها وبين أجنادها وأجنادها عرفت مبلغ عظمته وقوة شخصيته .

قال داود بن عامر الضبى : ما رأيت مع اسماعيل بن عياش كتابا قط ، فقال له أحمد بن حنبل : فكم كان يحفظ ؟ قال : شيئا كثيراً فقال : يحفظ عشرة آلاف حديث ؟ قال : عشرة آلاف وعشرة آلاف وعشرة آلاف فقال أحمد : ذا مثل وكيع ، وقال الفسوى : كنت أسمعهم يقولون : علم الشام عند اسماعيل والوليد ، فسمعت أبا اليمان يقول : كان أصحابنا لهم رغبة فى العلم ، وكانوا يقولون :

نجهد ونتعب ونسافر فإذا جئنا وجدنا كل ما كتبنا عند اسماعيل بن عياش ، ثم قال الفسوى : تكلم قوم فى اسماعيل وهو ثقة عدل ، أعلم الناس بحديث الشام ، أكثر ما تكلموا فيه قالوا : يغرب عن ثقات الحجازيين وقال الهيثم بن خارجة : سمعت يزيد بن هرون يقول : ما رأيت أحفظ من إسماعيل بن عياش ما أدرى ما الثورى وقال دحيم : هو فى الشاميين غاية ، وخلط عن المدنيين .

وقال أبو حاتم لين ، ما أعلم أحداً كف عنه إلا أبو إسحق الفزارى وقال النسائى ضعيف ، وقال ابن حبان : كثير الخطأ فى حديثه فخرج من الاحتجاج به ، وقال أبو صالح الفراء : قلت لأبى إسحق الفزارى إنى أريد مكة وأريد أن أمر بحمص فأسمع من إسماعيل بن عياش قال : ذاك رجل لا يدرى ما يخرج من رأسه ، وقال محمد ابن المثنى [1] ما سمعت عبد الرحمن يحدث عن اسماعيل بن عياش قط . وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل عرضت على أبى حديثا حدثناه الفضل بن زياد الطستى ، حدثنا ابن عياش عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً : « لا تقرأ الحائض ولا الجنب شيئا من القرآن » فقال أبى : هذا باطل ، يعنى أن إسماعيل وهم ، وسئل أبى عن اسماعيل وبقية فقال : بقية أحب إلى منه اهـ . فإذا عرفت أن المحدثين قالوا عن أحاديث بقية بن الوليد : «أحاديث بقية ليست نقية فكن منها على تقية» عرفت مبلغ الجرح الذى يضيفه المحدثون إلى إسماعيل بن عياش .

فإذا لجأنا إلى حافظ الدنيا وإمام الأئمة بلا منازع أبى عبد الله البخارى نسأله الحق فى هذه القضية ، وأى السبيلين أقوم قال رضى الله عنه وأرضاه : « إن اسماعيل ابن عياش إذا حدث عن أهل بلده فصحيح وإذا حدث عن غيرهم ففيه نظر فنخلص من هذا أن اسماعيل لا تقبل روايته فى أهل العراق أو أهل الحجاز أو أهل مصر ، ولكنه حجة فى أهل الشام إذا روى عنهم ؟

يتبع

محمد نجيب المطيعى

[1] أحد شيوخ البخارى ومسلم وعبد الرحمن هو دحيم الحافظ ابن ابراهيم بن عمرو بن ميمون الأموى مولى آل عثمان أبو سعيد الدمشقى القاضى أحد شيوخ البخارى وأبى داود .

نظرات ولمحات في كتاب جديد

للأستاذ الغزالي حرب

هذا القرآن المعجز الخالد على الزمان ، بمثله العليا ولا سيما في البلاغة والبيان ، قد أثار وما يزال يثير من النظرات فيه ، والدراسات لما تيسر من وجوه إعجازه البياني ، مالم يثره ولن يثيره كتاب آخر أبد الآبدين .

ومن أهم وأعرق هذه النظرات والدراسات القرآنية - على سبيل التمثيل لا الحصر - في القرن الثاني الهجري (مجازات القرآن) لأبي عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة ٢١٠ هـ ، وأحسبه الأساس الأول للدراسات القرآنية . . ثم يطالعنا في القرن الثالث « معاني القرآن » للفراء الإمام النحوي الرائد ، و (مشكل القرآن) لابن قتيبة ، و (جامع البيان) المشهور بتفسير ابن جرير الطبري المتوفى في عام ٣١٠ هـ . ثم نرى في القرن الرابع (النكت في إعجاز القرآن) لأبي الحسن الرماني ، العالم النحوي المتكلم ، وقد حقق هذه الرسالة الأستاذ محمد خلف الله أحمد وآخرون و « بيان إعجاز القرآن » لأبي سليمان الخطابي العالم اللغوي المحدث ، و « الصناعتين » لأبي هلال العسكري ، الأديب اللغوي ، و « إعجاز القرآن » للقاضي أبي بكر الباقلاني ، و « تلخيص البيان في مجازات القرآن » للشريف الرضي وقد حققه الأستاذ الناثر الشاعر المفضال محمد عبد الغني حسن . . ثم يوافينا القرن الخامس الهجري - وهو قرن ازدهار البيان العربي بكتاب « سر الفصاحة » لأبي محمد بن سنان الخفاجي ، ومؤلفات الإمام عبد القاهر الجرجاني ، الذي وصفه الدكتور طه حسين بأنه هو[1] « الذي رفع قواعد البيان العربي وأحكم بناءه » بمؤلفاته الخالدة : « دلائل الإعجاز » ، و « الرسالة الشافية » ، و « أسرار البلاغة » .

---

(١) انظر مقدمة « نقد النثر » ص ٢٠ .

ثم يسعدنا القرن السادس الهجرى بتفسير الكشاف للإمام الزمخشرى الذى ولد قبل وفاة عبد القاهر بأربعة أعوام سنة ٤٦٧ هـ، ثم توفى فى عام ٥٣٨ هـ. وفيه قال ياقوت فى معجمه ما نصه [1]: «وكان إماما فى التفسير والنحو واللغة والأدب، واسع العلم كبير الفضل، متقنا لعلوم شتى، ولإكثاره من التردد على بيت الله الحرام فى مكة، عرف بلقبه المشهور «جار الله الزمخشرى» كما يسعدنا هذا القرن برسالة «نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز» لفخر الدين بن الخطيب الرازى وبتفسير «مفاتيح الغيب» له أيضا، وفيه قال ابن خلكان فى الجزء الأول من «وفيات الأعيان»: «إنه جمع فيه كل غريب، وهو كبير جدا ومات قبل أن يتمه فحاول إتمامه شهاب الدين بن خليل المتوفى سنة ٦٣٩ هـ، ثم نجم الدين القمولى المتوفى سنة ٧٣٧ هـ».

ثم يأتينا القرن السابع بكتاب «بديع القرآن» لزكى الدين بن عبد العظيم المشهور بابن أبى الأصبع المتوفى عام ٦٥٤ هـ.. كما يأتينا القرن الثامن بكتاب «البرهان فى علوم القرآن» لبدر الدين الزركشى، وقد رجع إليه واعتمد عليه أيما اعتماد جلال الدين السيوطى فى كتابه «الإتقان فى علوم القرآن»، وهو من أعلام القرن التاسع الهجرى.

وفى القرن الثالث عشر الهجرى يطالعنا آخر التفاسير القديمة وأجمعها، وأعنى به «روح المعانى» للسيد محمود الآلوسى المنسوب إلى جزيرة (آلوس) فى منتصف الفرات بين العراق والشام وكانت موطن أجداده.

ومن نور هذه المؤلفات القرآنية العريقة قبست هذه النظرات والمحات التى أعرضها على القراء، فى إعجاب وإيمان بكتاب الله، بل فى خشوع وصلاة!.

وقف الأصمعى معجبا بامرأة تنشد شعرا بليغا، فقالت له متسائلة - كما روى الآلوسى وغيره - أتعجب من هذا؟ أين أنت من قوله تعالى: «وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه، فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى، إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين»؟ فهذه آية واحدة جمعت فى روعة وبلاغة وإيجاز، بين أمرين ونهيين وبشارتين!.

[1] ١٩ ص ١٢٦.

وكما وقف الأصمعي وامرأته العربية الذواقة أمام هذه الآية، وقف ابن أبي الأصبع في (بديع الزمان) أمام قوله تعالى بلسان أخوة يوسف الصديق، في مقام الاستغراب من إصرار أبيهم يعقوب وإلحاحه على ذكر فلذة كبده الغائب الحبيب يوسف مردداً اسمه بين الحين والحين، في حنان وحنين: « قالوا: تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضاً أو تكون من الهالكين » ملاحظا أن هذه الآية وهي آية دهشة واستغراب – قد جمعت بين الغرائب الآتية:

تاء القسم وهي أغرب أدوات القسم – والفعل الناقص (تفتأ) غير مسبوق بالنفي لفظا وهو من أغرب الأفعال الناقصة الدالة على الاستمرار – والاسم (حرضا) أي هالكا وهو من أغرب الأسماء الدالة على الهلاك.

ووقف صاحب (بديع القرآن) أيضاً أمام آيتين، غاير بينهما القرآن الكريم في إسناد بعض الضمائر فيهما وإن اتفقتا في المعنى وأعني بهما: قوله سبحانه: « ولا تقتلوا أولادكم من إملاق، نحن نرزقكم وإياهم » وقوله تعالى: « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق، نحن نرزقهم وإياكم »، وفي تعليل هذه المغايرة اللفظية بين الآيتين، قال ما خلاصته: إن الخطاب في الآية الأولى للفقراء، بدليل قوله تعالى: « من إملاق » فاقتضى المقام البلاغي تقديم وعد الآباء المملقين، بما يغنيهم من الرزق أما الخطاب في الآية الثانية فوجه إلى إلى الأغنياء بدليل قوله: « خشية إملاق » ولا يخشى الإملاق إلا الأغنياء فاقتضى المقام البلاغي، تقديم وعد الأبناء بالرزق حتى يطمئنوا هم وآباؤهم الأغنياء، إلى أنهم لن يصيروا إلى الفقر بعد الثراء، في ظلال الإيمان بمن إليه وحده المرجع والمصير!

ووقف الكثيرون من أعلام القدامى أمام قوله تعالى: « وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي، وغيض الماء، وقضي الأمر، واستوت على الجودي، وقيل بعداً للقوم الظالمين ».

فالإمام الزمخشري – الذي يكاد يكون امتداداً لعبد القاهر الجرجاني في البسط والبيان العربي – يقف أمامها قائلا (ومجيء إخباره على الفعل للمبنى للمجهول) وقيل: (للدلالة على الجلالة والكبرياء، وعلى أن تلك الأمور العظام. لا تكون إلا بفعل فاعل قادر، وتكوين مكون قاهر، وأن فاعلها فاعل واحد، لا يشارك في أفعاله، فلا يذهب الوهم إلى أن يقول غيره: يا أرض ابلعي ماءك، ويا سماء أقلعي، ولا أن يقضي

ذلك الأمر الهائل غيره ، ولا أن تستوى السفينة على متن الجودى وتستقر عليه إلا بتسويته وإقراره ، ولما ذكرنا من المعانى والنكت ، استفصح علماء البيان هذه الآية ، ورقصوا لها رءوسهم ، لتجانس الكلمتين وهما قوله : « ابلعى » و « أقلعى » وذلك وإن كان لا يخلى الكلام من حسن ، فهو كغير الملتفت إليه بإزاء تلك المحاسن التى هى اللب وما عداها قشور » .

وأبو يعقوب السكاكى فى كتابه (مفتاح العلوم) يقول : إن هذه الآية (ألفاظها تسابق معانيها ، ومعانيها تسابق ألفاظها ، فما من لفظة فى تركيب الآية ونظمها تسبق أذنك ، إلا ومعناها أسبق إلى قلبك ، وألفاظها - على ما ترى - عربية مستعملة جارية على قوانين اللغة سليمة من التنافر . كل منها كالماء فى السلاسة ، وكالعسل فى الحلاوة ، والنسيم فى الرقة) .

وابن أبى الأصبع فى (بديع القرآن) قال : إن هذه الآية التى لا تزيد عن سبع عشرة كلمة ، بلغ حسن نظمها الدرجة العليا ، وانتظمت عشرين لونا من ألوان البلاغة ، وأهمها :

١ - المناسبة التامة بين « أقلعى » ، و « ابلعى » .

٢ - والمطابقة اللفظية بين السماء والأرض .

٣ - وإيجاز الحذف فى (ياسماء) بمعنى (يا مطر السماء) .

٤ - والكناية بالإشارة إلى انقطاع ماء الأرض من النبع وانقطاع ماء السماء .

٥ - والكناية بالتمثيل فى قوله : « وقضى الأمر » عن هلاك الهالكين ، ونجاة الناجين .

٦ - والإرداف الذى يوحى باستقرار السفينة واطمئنان ركابها الناجين فى قوله : « واستوت على الجودى » .

٧ - والاحتراس فى قوله : « وقيل بعداً للقوم الظالمين » .

٨ - والتمكين الذى به كانت الفاصلة مستقرة فى قرارها ، مطمئنة فى مكانها .

٩ - والانسجام فى تحدر الكلام بسهولة وعذوبة .

وأمام آية الحج المشهورة « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين » وقف الإمام الزمخشرى

أيضا وهو يقول فى هذا الكلام أنواع من التوكيد والتشديد :

١ — منها قوله تعالى : « ولله على الناس حج البيت » يعنى أنه حق واجب فى رقاب الناس ، لا ينفكون عن أدائه والخروج من عهدته .

٢ — ومنها أنه ذكر (الناس) ثم أبدل عنه « من استطاع إليه سبيلا » وفيه ضربان من التوكيد : أحدهما أن الإبدال تثنية وتكرير ، والثانى أن الإيضاح بعد الإبهام والتفصيل بعد الإجمال ، إيراد له فى صورتين مختلفتين .

٣ — ومنها قوله : « ومن كفر » مكان (ومن لم يحج (تغليظا على تارك الحج) .

٤ — ومنها ذكر الاستغناء عنه وذلك مما يدل على المقت والسخط والخذلان .

٥ — ومنها قوله : « عن العالمين » ولم يقل (عنه) وما فيه من الدلالة على الاستغناء عنه ببرهان ، لأنه إذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغناء لامحالة ، ولأنه يدل على الاستغناء الكامل ، فكان أدل على عظم السخط الذى وقع عبارة عنه ! !

كما وقف (جار الله) ـ بلى الله ثراه ـ أمام قوله سبحانه : « أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن » متسائلا عن السر فى التعبير بالوصف فى (صافات) وبالمضارع فى (يقبضن) ثم مجيبا بقوله : لأن الأصل فى الطيران هو صف الأجنحة ، لأن الطيران فى الهواء كالسباحة فى الماء ، والأصل فى السباحة مد الأطراف وبسطها ، أما القبض فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرك فجىء بما هو طارئ غير أصلى بلفظ الفعل على معنى أنها صافات ، ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح .

ووقف الزمخشرى أيضا أمام آية من سورة « الحجرات » : « ولا يغتب بعضكم بعضا ، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه » قائلا إن هذه الآية تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفظع وجه وأفحشه وفى مبالغات ، شتى منها:

(١) الاستفهام الذى معناه الإنكار .

(٢) ومنها جعله ما هو فى الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة .

(٣) ومنها إسناد الفعل إلى أحدكم .

(٤) ومنها الإشعار بأن أحداً من الأخوين لا يحب ذلك .

(٥) ومنها أنه لم يقتصر على تمثيل

الاغتياب بأكل لحم الإنسان حتى جعل الإنسان أخا .

(٦) ومنها أنه لم يقتصر على أكل لحم الأخ حتى جعله ميتا . .

وفى مقام إثبات التوحيد لله عز وجل — وهو جوهر الإسلام ولبابه — تبدأ الآيات القرآنية الكريمة الآتية : بعرض دعوى الشرك ، ثم تعقب عليها بأبلغ وأروع وآكد أسلوب يوحى بالخطر فى كل كلمة من كلماته المشعة المتفجرة : « إدا » « يتفطرن » « تنشق » « تخر » « هدا » « وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ، لقد جئتم شيئا إدا ، تكاد السموات يتفطرن منه ، وتنشق الأرض ، وتخر الجبال هدا ، أن دعوا للرحمن ولدا . ! » .

وفى سبيل القضاء المبرم على هذه الدعوى الاشتراكية الخطيرة ، يأتى القرآن الكريم — فيما يأتى — بآيتين اثنتين ، تفيضان بثمانية أساليب استفهامية متوالية جمعت بين التقرير الملزم ، والإنكار المفحم ، « قل : من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ؟ . ومن يخرج الحى من الميت ؟ ويخرج الميت من الحى ؟ ومن يدبر الأمر ؟ فسيقولون : الله ، فقل : أفلا تتقون ؟ فذلكم الله ربكم الحق ، فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟ فأنى تصرفون » ؟.

وإذا كانت هذه الآية الكريمة ، قد أتت بفعلين مضارعين متواليين فى قوله : « يخرج الحى من الميت ، ويخرج الميت من الحى » فإن الآية الأخرى من سورة « الأنعام » ، قد أتت فى التعبير عن هذا المعنى نفسه باسم الفاعل وهو « مخرج » — بعد مضارعه — وهو « يخرج » — قائلة : « إن الله فالق الحب والنوى ، يخرج الحى من الميت ، ومخرج الميت من الحى » .

فلماذا كانت هذه المغايرة فى التعبير ؟ .

أجاب عن ذلك صاحب « بديع القرآن » بما خلاصته أن مجىء اسم الفاعل فى سورة « الأنعام » — وما جاء فى غيرها فى هذا المقام — هو الملائم لسياق الكلام الذى يقتضى فى هذه الآية من هذه السورة ، مجاورة اسم الفاعل « مخرج » لنظيره اسم الفاعل « فالق الحب » ومعلوم أن اسم الفاعل المضاف يدل على المضى ، والفعل المضارع يدل على الحال والاستقبال دون المضى ، وهذه الآية مسوقة للتمدح بالقدرة الربانية المطلقة ، واسم الفاعل هنا أنسب

من المضارع ، وأدل على المضى المطلق القديم للقدرة الربانية ... !!!

وفى ظلال المراعاة لمثل هذه الملاءمة بين الكلمات فى الآيات القرآنية ، قال الشريف الرضى فى عرض الصورة البلاغية فى آية سورة « البقرة » « أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ، فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين » : « المعنى أنهم استبدلوا الغى بالرشاد ، والكفر بالإيمان ، فخسرت صفقتهم ، ولم تربح تجارتهم ، وإنما أطلق سبحانه على أعمالهم اسم التجارة لما جاء فى أول الكلام بلفظ « اشتروا » تأليفا لجواهر النظام ، وملاءمة بين أعضاء الكلام »[1] .

كما قال أيضا فى عرض الصورة البلاغية بقوله تعالى : « كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا » : (الظلم هنا ليس على أصله فى اللغة ، ولا على عرفه فى الشريعة ، لأنه فى اللغة اسم لوضع الشىء فى غير موضعه ، وفى الشريعة ، اسم للضرر المفعول) والمراد بقوله تعالى هنا : « ولم تظلم منه شيئا » أى لم تمنع منه شيئا ، وإنما حسن أن يعبر عن هذا المعنى باسم الظلم من حيث كان ثمر تلك الجنة التى هى البستان ، كالمستحق لمالكها ، فإذا أخذ حقه على كماله وتمامه حسن يقال : أنها لم تظلم منه شيئا ، أى لم تمنع منه مستحقا ، فتكون فى حكم الظالم إذا أضرت بمالكها فى نقصان زرعها ، واختلاف ثمارها ، ومما يقوى ذلك ، قوله سبحانه : « آتت أكلها » فلما جاء بلفظ « الإيتاء » والإعطاء ، حسن أن يجىء بلفظ الظلم ، ومعناه هنا المنع ، فكأنه تعالى قال : « اعطت ما استحق عليها ولم تمنع منه شيئا » .

ولم يفت علماؤنا القدامى فى دراساتهم القرآنية ، أن يعرضوا ما تيسر من نماذج الموازنة بين كلمة وكلمة ، أو بين جملة وجملة . فى سياق كلام الله . وسياق كلام البشر نثراً أو شعراً — وفقا للمثل الأعلى — :

١ — فضياء الدين بن الأثير ، فى الجزء الأول من « المثل السائر » ، وازن بين كلمة « يؤذى » فى قول المتنبى :

تلذ له المروءة وهى تؤذى
ومن يعشق يلذ له الغرام

وبين هذه الكلمة نفسها فى قوله تعالى :
« فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين

---

[1] انظر « تلخيص البيان فى مجازات القرآن » للشريف الرضى ص ١١٤

الحديث ، إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحيي من الحق » .

كما وازن بين مورد كلمة « القمل » في قول الفرزدق :

من عزة احتجزت كليب عنده
زربا كأنهم لديه القمل

وبين مورد هذه الكلمة نفسها ، في قوله تعالى :

« فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات » .

٢ — وأبو الحسن الرماني المتوفى سنة ٣٨٦هـ في كتابه (النكت في إعجاز القرآن) وازن بين المزاوجة في قول عمرو بن كلثوم الشاعر الجاهلي :

ألا لا يجهلن أحد علينا
فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وبين المزاوجة في الآيتين الكريمتين : « ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين » « يخادعون الله وهو خادعهم » .

٣ — وابن سنان الخفاجي في (سر الفصاحة) وازن بين المثل العربي المشهور : (القتل أنفى للقتل) والآية القرآنية الكريمة « ولكم في القصاص حياة » فانتهت موازنته كما انتهت موازنة الرماني [1] وأبي هلال العسكري بينهما إلى أن الآية القرآنية المعجزة : (١) أكثر فائدة . (٢) وأوجز لفظا . (٣) وأسلم من التكرار . (٤) وأحسن تأليفا وبيانا ... !

وعفوا ومعذرة يارب العالمين ، فما جمعنا في هذا المقال بين ما تيسر من كلام الله ، ثم ما تيسر من كلام البشر ، إلا ونحن نردد مع الإمام أبي بكر الباقلاني المتوفى عام ٤٠٤ هـ في كتابه « إعجاز القرآن » قوله ما نصه : (انظر بسكون طائر ، وخفض جناح ، وتفريغ لب ، وجمع عقل في ذلك ، فسيقع لك الفصل بين كلام الناس وكلام رب العالمين) ، « لا يستويان مثلا » .

ولا يستوي وحي من الله منزل
وقافية في العالمين شرود

وما أصدق وحي السماء ، في سورة الإسراء :

« قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » ؟

الغزالي حرب

[١] انظر : النكت في إعجاز القرآن ، للرماني ص ٧ وما بعدها ، ثم : الصناعتين ، للعسكري ص ١٦٨

باب الفتوى

يقدمه الأستاذ : محمد أبوشادى

[الإجابة للجنة الفتوى بالأزهر]

---

١ — من السيد / محمد على السيد :

(١) إذا قبل الرجل امرأته وهو صائم أو لمسها أو لمس امرأة أخرى يحل له نكاحها فهل يفسد ذلك صومه؟

(٢) عانق الرجل زوجته وهو صائم فأنزل بدون جماع فهل يفسد صومه ؟

(٣) إذا وطىء الرجل امرأته ثم نزع قبل أن ينزل فهل يجب عليه الغسل أو يجب عليه الوضوء فقط ؟

(٤) إذا كذب الرجل وهو صائم فهل يفسد صومه ؟ ونرجو الإجابة على مذهب الإمام أبى حنيفة :

الجواب عن الأول : إن تقبيل الزوجة أو لمسها وهو صائم لا يفسد الصوم ومن الورع ترك ذلك ، لأن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه وإن لمس المرأة الأجنبية وهو صائم لايفسد الصوم كذلك ولكنه حرام فى رمضان وفى غيره ، وفى رمضان تكون الحرمة أشد .

وعن الثانى : أنه إذا عانق الرجل زوجته وهو صائم فى رمضان فأنزل من غير جماع فسد صومه ووجب عليه قضاء هذا اليوم .

وعن الثالث : أن الرجل إذا وطىء زوجته ثم نزع قبل أن ينزل ،وجب عليه الغسل لقوله عليه الصلاة والسلام : (إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل) .

وعن الرابع : أن الكذب حرام فى رمضان وفى غيره ولكنه لايفسد الصوم وإنما ينقص الثواب .

* * *

٢ — ورد السؤال الآتى من البحرين :

إن موسم الغوص على اللؤلؤ فى البحرين سيستغرق شهر رمضان هذا العام وسيظل كذلك حوالى عشرين عاما أخر فيما بعد وإن العمال يتحرجون من السفر إلى المغاصات فى رمضان ظنا منهم أن السفر فى هذا الشهر تعرض منهم للإفطار وأنه معصية لا يجوز

التعرض لها وأن الغائص لا مفر له من ملابسة الماء .

فهل يجوز للناس السفر إلى الغوص أثناء رمضان مع الإفطار وقضاء الأيام التى يفطرونها من أيام أخر . وهل الغطس فى الماء موجب للإفطار ؟

الجواب : قال الله تعالى : « وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » ، وقال جل شأنه : « هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور » .

بهاتين الآيتين ونحوهما حث الله عباده على الانتفاع بما سخر لهم فى البر والبحر وعلى مواصلة السعى فى تحصيل الأرزاق وتثمير ما خلق الله لهم من شىء ، وبإزاء هذا كلف الله عباده أن يقوموا بما فرضه عليهم من عبادات تهذيباً لنفوسهم وضبطا لشهواتهم وتقريبا لهم من حظيرة قدسه .

فرض عليهم الصلاة وطلب منهم الكف عما ينافيها فى وقت أدائها لأن طبيعتها تأبى الاشتغال بغيرها ولأنها لا تستنفد من الإنسان وقتا طويلا قد يؤثر عليه فى تحصيل رزقه . والنظر فى تدبير أمور معاشه : « يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون » .

وفرض عليهم الصوم شهراً كاملا من كل عام ، ومن شأن هذا الزمن الممتد المتصل أن يؤثر فى جهود الإنسان المعاشية لو انقطع للصوم فيه دون أن يزاول ما لابد منه لتحصيل رزقه ، فلذلك لم يمنع فى الصيام ما منع منه فى الصلاة من الاشتغال بالأعمال والسعى فى سبيل الرزق ، ولما كان ذلك قد يستدعى أسفارا تجتمع مشقاتها إلى مشقة الصوم والعمل رخص الله رحمة بعباده للمسافرين فى الإفطار على أن يصوموا عدة ما أفطروا من أيام أخر .

قال الله تعالى : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر » .

والسفر يشمل سفر الطاعة كالحج والجهاد والسفر المباح كالسفر للتجارة والكسب ونحوهما مما تعود منافعه إلى المرء فى نفسه أو ولده أو وطنه ، لم يخالف فى ذلك أحد من الفقهاء بل اتفقوا عليه وأخذوا منه أن للمرء أن يسافر فى أثناء رمضان وأن

يترخص بالفطر فى سفر ، وإنما اختلفوا فى أى الأمرين أفضل للمسافر ، الصوم أم الفطر ، والخلاف فى الأفضلية لا يؤثر فى أصل المشروعية ويتبين من هذا :

(١) أن السفر لاكتساب العيش بالغوص أو غيره — مما يباح — جائز اتفاقا فى أيام رمضان كما هو جائز فى غيره من أيام السنة .

(٢) وأن للمسافر فى أثناء رمضان أن يترخص بالفطر ثم يقضى ما أفطر إذا أدرك أياما أخر أما من مات دون أن يدرك أياما أخر فلا إثم عليه . والماء الذى يصل إلى الجسم من طريق المسام التى فى الجلد لا يفسد الصوم بإجماع الفقهاء وإنما يفسده ما يصل إلى الجوف من المنافذ المعتادة والله أعلم .

* * *

٣ — السؤال :

مصاب بالدوسنتاريا مزمنا : أثبتت عدة تحليلات وجودها والطب يؤكد عدم زوالها واستحالة شفائها ، ويعاودنى الإسهال منها فى فترات قريبة مما يتسبب عنه ضعفى وإنهاك أعصابى .

ولما كان الصيام يزيد من حالة ضعفى ولم أتعوده على الإفطار من حداثة سنى ، فهل يجوز صيامى وأنا مصاب بهذا المرض أم لا ؟ .

الجـــواب :

إذا كان الصيام يزيد فى مرض هـذا السائل أو يؤخر برأه منه جاز له أن يفطر وعليه قضاء ما أفطره من الأيام بعد زوال هذا الضرر .

وإذا لم يرج شفاؤه من هـذا المرض وأخبره طبيب موثوق به أنه ما دام هذا المرض به وأن الصوم يزيده كان له الفطر حينئذ مع الفدية كالشيخ الفانى الذى فنيت قوته وضعفت عن تحمل الصوم مع اليأس من عودة قوته إليـه .

والفدية أن يطعم عن كل يوم واحـدا من الفقراء فيعطيه نصف قدح من الحبوب المطعومة كالقمح والأرز أو يعطيه ثمن هذا القدر أو يطعمه غذاء وعشاء مشبعين من طعامه المتوسط .

* * *

٤ — السؤال :

أبلغ من العمر ٥٠ عاما تقريبا وقـد مرضت بعينى سنة ١٩٤٩ مرضا خطيرا وبعد العلاج الذى كلفنى الكثير شفيت ولله الحمد ومن وقتها وأنا استعمل يوميا وباستمرار دواء ما أستنشقه محلولا بالماء أو ناعما كالبدرة ولاغنى عنه إطلاقا وإذا حصل

وسهوت عن استعماله فقد أصاب بصداع بألم في الرأس وفي العينين لا يمكنني احتماله، وأتعاطى منه في كل يوم مرة أو مرتين في الصباح وكذلك في المساء وأحيانا أوسط النهار، والآن وقد حل شهر رمضان المكرم ولا غنى لي عن الصوم ولا بد من تأدية الصوم بأمر الله فهل أتناول هذا الدواء في شهر رمضان علما بأنه حال استعماله لم يتسرب منه شيء للمعدة أبدا.

الجواب: تعاطي الدواء بالماء أو بطريق الاستنشاق كما يؤخذ النشوق المعروف مفطر ومبطل للصوم وعلى ذلك فهذا المريض إذا علم أنه يحدث له مرض، اعتمادا على التجربة أو على إخبار الطبيب الحاذق العدل لو ترك هذا الدواء ففي هذه الحالة له أن يفطر ويجب عليه القضاء في أي وقت يتيسر له القضاء فيه.

• رأي الإسلام في صرف الزكاة للمهاجرين:

ورد إلى لجنة الفتوى بالأزهر الاستفتاء الآتي:

هاجر أبناء سيناء والقناة إلى كافة أرجاء الجمهورية تاركين وراءهم أموالهم وبيوتهم وأعمالهم وذلك نتيجة لغارات العدو عليهم وهؤلاء حرموا من أموالهم وأعمالهم وسبل أرزاقهم التي كانت مكفولة لهم من قبل وأصبحوا في حاجة إلى المساعدة من جميع المواطنين علاوة على المساعدات التي تصرفها لهم الدولة.

فهل يجوز دفع زكاة الفطر لهم ؟ وهل يجوز جمع أموال الزكاة عن طريق لجنة معونة الفتاء لتتولى بنفسها صرفها لهم، وطلب الإجابة على هذا الاستفتاء ليعلم الشعب حكم الشرع في هذه المسألة.

الجواب: الظاهر من حال هؤلاء المهجرين من أبناء سيناء والقنال أنهم في حاجة إلى المال بوصفهم فقراء ومساكين ومن كان منهم ذا مال فقد حيل بينه وبين ماله وانقطع به السبيل دونه أو كاد بحيث لم يعد ينتفع به الانتفاع الذي يغنيه، فهم بذلك من مصارف الزكاة الذين ذكرهم الله في القرآن الكريم «إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل».

وحيث إن الحكومة شكلت لجنة لجمع معونة الفتاء ويراد تكليفها من الجهات المسئولة بجمع الزكاة لتتولى صرفها على هؤلاء فلا مانع من إعطاء الزكاة لهذه اللجنة لتتولى صرفها على المستحقين منهم وتبرأ بذلك ذمة المزكي أما فيما يختص بأفضلية الصرف لهؤلاء فذلك يرجع إلى تقدير حاجتهم مع غيرهم فإن كانوا أشد حاجة كانوا أولى بها من غيرهم ؟

محمد أبو شادي

أنباء وآراء

● زيارة الإمام الأكبر إلى السيد رئيس الجمهورية :

أبرق فضيلة الإمام الأكبر دكتور محمد الفحام شيخ الأزهر إلى السيد رئيس الجمهورية قائلا :

« فى هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ أمتنا وقد منحكم الشعب ثقته الغالية بانتخابكم رئيسا للجمهورية، ولما كنتم خليفة للزعيم الراحل المغفور له الرئيس جمال عبد الناصر على طريق الجهاد لتحقيق النصر وآمال مابعد النصر بإذن الله، يسعدنى أن أبعث لسيادتكم من رحاب الأزهر الشريف حصن الإسلام وملاذ الأحرار - بأخلص التهانى ضارعا إلى الله - سبحانه - أن يمنحكم عونه وتأييده ، وأن يكتب لقيادتكم للأمة التوفيق والسداد لما فيه خير الإسلام وعزة العرب ، ويجعل أيامكم خيرا ويمنا ويحقق بكم النصر لأمتنا فى معركتها المصيرية ضد أعداء الله، وأعداء الإنسانية، فسيروا - على بركة الله - والله معكم ، « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز » .

● تصفية آثار العدوان والاهتمام بها فى المؤتمر الاسلامى بطشقند .

تلقى فضيلة الإمام الأكبر برقية من سماحة الشيخ ضياء الدين بابا خانوف رئيس المؤتمر الإسلامى الذى عقد بطشقند - تفيد أن المؤتمر دعا المسلمين إلى بذل جهدهم وطاقتهم من أجل تصفية آثار العدوان الإسرائيلى على الدول العربية .

● تصحيح عنوان كتاب

قال فضيلة الشيخ « محمد على أحمدين » : إن عنوان كتاب الإمام عز الدين أبى الحسن على بن محمد الجزرى المعروف بابن الأثير الذى ألفه فى تراجم صحابة رسول الله ﷺ « أسد الغابة » بفتح الهمز والسين .

وهذا التصحيح لفضيلة الشيخ أحمدين - الأستاذ بكلية أصول الدين جامعة الأزهر - نقله عن أستاذه الإمام : محمد حبيب الله ابن مايأبى الجكنى الشنقيطى الإمام اللغوى المحدث المعروف . والمقصود بـ « أسد الغابة » أن يكون علما على الكتاب نفسه باعتباره أهم الكتب التى ترجمت للصحابة

وليس « استمارة » لهم رضوان الله عليهم

وقد قام فضيلته بتنبيه « دار الشعب » إلى هذا التصحيح .

● مضار التدخين .

جاء في تقرير سنوى لسير « جورج جودبر » مدير الإدارة الطبية في بريطانيا أن التدخين يتسبب في وفاة مائة ألف شخص سنويا في بريطانيا .

● افتتاح معهد قنا .

افتتح السيد فخرى عبد النبي محافظ قنا - نائباً عن السيد الدكتور وزير الأوقاف وشئون الأزهر معهد قنا الأزهرى الذى تبدأ الدراسة به هذا العام .

● تعيينات بجامعة الأزهر

رشحت جامعة الأزهر ٢١٢ معيداً للعمل بكلياتها . يتم تعيينهم خلال أسبوعين : خص كلية الإدارة والمعاملات ٢٠ ، والطب ٥٤ ، وكلية البنات الإسلامية ٤٠ ، والهندسة ١٨ والزراعة ٢١ ، والعلوم ٢١ والتربية ١٨ وأصول الدين ١٠ .

● دراسات عليا بكلية الإدارة والمعاملات .

تم تعديل مناهج الدراسة في كلية الإدارة والمعاملات بجامعة الأزهر بحيث يمكن مواصلة الدراسات العليا التخصصية بها في مختلف الشعب .

● مصطلحات بترولية .

تهتم ندوة دراسة المصطلحات العلمية بدمشق بدراسة المصطلحات المستخدمة في البترول .

ورشح مجمع اللغة العربية في القاهرة دكتور إبراهيم مدكور لتمثيله في الندوة .

● أزياء الطالبات بليبيا .

وجهت وزارة التربية والإرشاد القومى في ليبيا بيانا إلى مديرات المدارس والمدرسات والطالبات تطالبهن - جميعا - بضرورة ارتداء الأزياء المحتشمة تمسكا بمبادىء الدين .

علي الخطيب

From then on, Bornean influence in the political life of the Archipelago become for all practical purposes nil. Significant in this stage is that the Sulus were allies of the people of Bhunei. As is well known, the royal families of both peoples were relatives.

The second stage covering about two decades, is characterized by the attempts of the Spaniards, now flushed by their victories over the Brunians, to establish a colony in Mindanao, reduce the rulers of Sulu, Maguindanao, and Buayan into vassalage, prohibit these rulers to admit Muslim preachers, and persuade them to accept Christian missionaries. In the conflicts that followed, the designated Governor for Mindanao was slain in 1596. Significant in this phase was that Ternatan naval and military aid contributed to the Spanish failure to colonize and Christianize Mindanao at this time.

The third stage covering the first few years of the seventeenth century witnessed the contest between the Spaniards in the Philippines and alliance between the people of Maguindanao and Buayan for the control of the Visayas. In brief, the question was to whom were the people of the Visayas, principally the eastern part, going to pay tribute : to the Spaniards or to the Maguindanaos. Capturing other natives and enslaving them was resorted to not only to weaken Spanish allies but to make them row their boats and strengthen the Muslim war machine. In this phase, there was Iranun and Ternatan support for the Maguindanao sultan. This contest was however decided in Spain's favor after her conquest of the Moluccas in 1606. With the cutting off of Ternatan aid and the nearby presence of a powerful Spanish fleet, the Muslim rulors were led to sue for peace. Assured of Spanish protection, Visayan datus would become further committed to Spanish rule.

In the fourth phase there is an acceleration in Spanish imperialistic expansion. A new factor had also entered into the picture — the Dutch. The Muslims profit from the clash between Spanish and Dutch interests by receiving aid from the latter ; but they had no inclination to prefer the rule of one to the other. The Spaniards now decide to conquer the sultanates. For their allies they get the people they previously conqurred in the Philippines — thus the indio was made to fight the moro for the glory of Spain and Christianity.

in the Philippines, realizing that this meant they would become vassals of a foreign king and eventually lose their Faith and freedom as an independent people, counteracted to the threat by greater loyalty to their sultans and datus, a greater respect for their panditas, an intensification of their Islamic consciousness, and determined efforts to resist the militnary incursions of the enemy in their lands. Thus was patriotism and Islam welded into a force to preserve a long enjoyed freedom.

It was the confrontation between the Spaniards and the Muslims in the Philippines that brought about the so-called Moro Wars — a series of bitter wars of attrition that extended for more than three centuries. It was the nature of these which, in leaving some ineeradicable marks on the Muslims, have made the Philippine Muslim what he is today. They helped to define his attitudes and relations to all foreigners as well as to other Filipinos in Muslim lands in neighboring islands in the Archipelago.

The premiss of Spanish historians and friar chroniclers that the so-called Moro Wars were wars primarily wages by the Spaniards to curb piratical incursions of Muslim sultans and their followers is not only a too facile explanation for the facts but were actually rationalization for the conquest, colonization, and Christianization of the Muslims. The alternative view that all the wars were purely defensive wars on the part of the Muslims is too general and needs to be qualified in terms of other events in a given historical stage. I therefore propose a system of periodication to understand those wars by dividing them into six phases. Clearly, the number of phases is conventional but it can make the different historical facts more significant and intelligible. The most that can be presented to you here will be an extremely brief and simplified outline of these phases or stages. Actually, some of these phases can be elaborated into a chapter or even a book. I have personally worked on them to this extent.

The first stage represents a struggle between Spain and Brunei for political and commercial primacy in the Philippine Archipelago. In this contest not only was Spain able to secure a foothold in the Philippines but she succeded in destroying the Manila settlement and fort that was ruled by a Bornean aristocracy and in eliminating Bornean traders from the Visayan and northern Mindanao. This stage ends with the Spanish attack on Brunei in 1578.

institutions. This is not to reject the contribution of their economic bases — principally commercial and agricultural to some extent. But such cormercial relations were made possible and intensified by means of the international trade whose major participants were Muslims. The cohesive character of the Muslim principalities in the Philippines as well as the Islamic consciousness which progressive and inatensified among the people, are two of the principal reasons why unlike in the other parts in the Philippines, the Spaniards found the most difficult to subjucate the Muslims in the Philippines. This requires some explanation.

When Islam come to Malay lands it did not transform any of them into a colony. All the principalities or kingdoms that became Muslim were ruled, or come to be ruled eventually, by local families and dynasties. But the coming of Western powers to Southeast Asia in the sixteenth century brought a new factor — the introduction of Christianity and the transformation of some areas into colonies subject to a country far away in Europe. It is thus understandable why the fall of Malacca to the Portuguese in 1511 brought about a strong reaction against Europeans among the Malay peoples. The coming of the Portuguese with the sword and the Cross provoked not only strong resistance against them on the part of days but inspired the latter to intensify Islamic proselytizing among incommitted peoples in Java, Borneo, the Moluccas, and other nearby islands. At this time, the outstanding Muslim teachers and preachers were follow Malays, principally Javanese.

Islam therefore began to serve as a form of ideology accompanying patriotism as a force to fight back Christianity and colonialism. Speaking of this conflict in Malay lands, the Dutch scholar Beltram Schrieke wrote : "Two irreconcilable, envious powers, medieval Christiandom and Islam, stood thus face to face, one just as exclusive in its attitude as the other." Also "From the conquest of Malacca in 1511 onwards, one finds the Portaguese including the Indonesian archipelago in their struggle against Islam and Islamic trade. Their conquests were accompanied by vigorous missionary activities, and these stirred their Muslim opponents to action in their turn." So did Makassar utilize Islamic propaganda in its conflict with the Dutch. In the case of the Philippines, a similar thing happened. It is evident that Spain come to the Philippines to ex'end the domains of the Spanish King as well as to introdice Christianity. The Muslims

THE MUSLIMS IN THE PHILIPPINES A HISTORICAL PERSPECTIVE

By : CESAR ADIB MAJUL

— III —

This vary sense of community, too, makes his heart swell with pride when a fellow Muslim becomes, let us say, a number of the International Court of Justice at the Hague or a great boxer. It is this community feeling that leads Yugoslavian or Tunisian Muslims to crowd around a visiting Filipino Muslim to shower him with detailed and even intimate questions. Since this is the case, it would be folly to underestimate the community feeling or sense of Islamic solidarity that a Maranao in the Philippines would normally have towards a Filipino Samal or Yakan.

In the light of this fact the oft repeated traditional notion that Islam was brought to Malay lands by seven Arab brothers and that the first sultans of Brunei, Sulu, Maguindanao, Ternate, and Makassar were brothers becomes significant. Although this notion is chronically absurb, it is, in effect, a Lythological or symbolic technique to emphasize the point that the Islamization of the above mentioned palces was the result of one intimately connected process. Moreover, it suggests that the legitimacy for political rule among the ruling families of the above sultanates were all functions of one another and that all their followers constituted, in spite of possible power conflicts, one community which was in reality part of a wider community — the Islamic community.

When Legazpi came to the Philippines in 1565 to colonize and Christianize it, there were already at least three Muslim principalities. in the south of the Philippines. Relative to the other settlements in the Archipelago that were widely scattered and whose political institutions were very very simple, the Muslim principalities were relatively well organized, covering extensive lands or various islands and having diplomatic and commercial relations with neighboring sultanates. It is difficult to deny the idea that what contribued to the cohesion of the Muslim principalities were principally Islamic political and social

a place or a state of things ? That should not interest us either; a Muslim believes in them, without asking : "how" ?

154 — It goes without saying that Paradise will be eternal : once meriting it, there would be no question of being ejected from it. The Quran assures (15/48) : "Pain will not touch them, and there is no expulsion from it." Some would enter it forwith, others would suffer longer or shorter periods of detention in Hell, before meriting Paradise. But the question is whether Hell is eternal for the unbelievers ? The opinions of the Muslim Theologeans have differed on the points although a great majority of them affirm, on the basis of Qur'anic verses (4/48, 4/116) that God may pardon every sin and every crime except disbelief in God, and that the punishment that would be meted out for this last sin would be eternal. Obters opine that even the punishment of disbelief may one day terminate by the graces of God.

These theologians deduce their opinions, also from certain verses of the Qur'an (11/107, 39/35 etc.). We need not pursue further this discussion here, but hope God's unlimited mercy.

PREDESTINATION AND FREE-WILL

155 — In his expose, the Prophet Muhammad has lastly demanded the belief that the determination (qadr) of all good and evil is from God. Does this phrase signify that everthing is predestined for man, or does the statement merely imply that the qualification of good and evil in a given act depends on God? In other words, nothing is good or evil in itself, but it is so only because God has declared it to be such; and man has to do nothing but observe it.

156 — Here is in fact a dilemma for the theologian. If we declare that man is responsible for his acts. Similarly, if we declare that man is free in his acts, this would imply that God has neither power over nor the knowledge of what man is going to do in his worldly life. The two alternatives create an embarrassment. One would like to attribute to God not only justice, but also omnipotence and omniscience. The Prophet Muhammad ridicules this discussion, which will ever remain inconclusive; and he has formally ordered his adherents not to engage in it, adding : "people before you have been led astray by this discussion."

that, after Paradise there would be the vision of God, ultimate reward of the pious. As far as Paradise is concerned, an oft-quoted utternace of the Prophet Muhammad is: "God says : I have prepared for My pious slaves (men) things in Paradise the like of which no eye has ever seen, nor ear ever heard, nor even human heart (mind) ever thought, of," As to what is beyond Paradise, Bukhari, Muslim, Tirmidhi and other great sources record an important saying of the Prophet : 'When the people meriting Paradise will have entered it, God will tell them : "Ask Me what else can I add to you ?" People will wonder, having been honoured, given Paradise and saved from Hell, and will not know what to ask. Thereupon God will remove the veil, and nothing would be lovelier than gazing the Lord." (In another version, instead of 'veil'; 'hijab' 'the garb of grandeur' Rida-al-Kibriya is used.)

In other words, the opportunity of contemplating God would be the highest and the real reward of the Believer, this for those who are capable of understanding and appreciating the abstract notion of the other World. It is in the light of this authoritative interpretation that one should read what the Qur'an and the Hadith unceasingly describe for the common man with regard to the joys of Paradise and the horrors of the Hell in terms which remind us of our surroundings in this world : there are gardens and rivers in Paradise, there are young and beautiful girls, there are carpets and luxurieus, graments, pearls, precious, stones, fruits, wine, and all that man would desire. Similarly, in hell there is fire, there are serpents, boiling water and other tortures, there are parts extremely cold; and in spite of these sufferings, there will be no death to get rid of. All this is easily explained when one thinks of the vast majority of men, of the common mases, to whom the Divine message is addressed. It is necessary to speak to every one according to his capacity of understanding and of intelligence. One day, when the Prophet Muhammad was speaking to a company of the faithful about Paradise and its pleasure (including its flying horses), a Bedouin rose and put the question : "Will there be camels also ?" The Prophet smiled and gently replied : "There will be everthing that one would desire." (Ibn Hanbal and Tirmidhi), The Qur'an speaks of Paradise and Hell simply as a means of persuading the averge man to lead a just life and to march in the path of truth ; it attaches no importance to details whether they describe

there were certain prophets who had received the revelation of Divine Books, and there were others who did not receive new Books but had to follow the Books reavled to their predecessors. The Divine messages do not disagree on fundamental truths, such as the Oneness of God, the demand for doing good and abstaining from evil, etc., yet they may differ as to the rules of social conduct in accordance with the social evolution attained by a people. If God has sent successive prophets, it is a proof that previous directions had been abrogated and replaced by new ones, and, except for these latter, certain of the old rules tacitly or explicitly retained.

151 — Certain prophets had had the Divine mission of educating members of a single house (tribe or clan), or of a single race, or of a single region; others had vaster missions, embracing the entire humanity and extending over all times.

152 — The Qur'an has made express mention of certain prophets, such as Adam, Enoch, Noah, Abraham, Ishmael, Isaac, Jacob, David, Moses, Salih, Hud, Jesus, John the Baptist, and Muhammad, but the Qur'an is explicit that there have been others before Muhammad, he being the seal and the last of the messengers of God.

THE ESCHATOLOGY

153 — The Prophet Muhammad has also demanded belief in the doomsday. Man will be resuscitated after his death, and God will judge him on the basis of his deeds during the life of this world, in order to reward his good actions and punish him for the evil ones. One day our universe will be destroyed by the order of God, and then after a certain lapse of time, He Who had created us first, would bring us back to life. Paradise as a reward, and Hell as a punishment are but graphic terms to make us understand a state of things which is beyond all notions of our life in this world. Speaking of it, the Qur'an (32:17) says: "No soul knoweth what is kept hid from them — of joy as a reward for what they used to do." Again (9/72): "God promiseth to the believers, men and women, Gardens underneath which rivulets flow, wherein they will abide-blessed dwellings in Gardens of Eden - and the pleasure of God is grander still; that is the supreme triumph." So this pleasure on His part is over and above even the Gardens of Eden. In yet another passage of Qur'an (10/20) we read: "For those who do good is what is the best, and more (thereto)." Al-Bukhari, Muslim etc. report, that the Prophet used to refer to this verse saying

FAITH AND BELIEF

By Dr. Muhammad Hmidullah

— III —

147 — It is true that there is no trace today of the scrolls of Abraham. One knows the sad story of the Torah of Moses and how it was destroyed by Pagans several times. The same fate befell the Psalter. As for Jesus, he had not had the time to compile or dictate what he preached: it is his disciples and their successors who gleaned his utterances and transmitted them to posterity in a number of recensions, of which at least 70 recensions and excepting four all are declared by the Church to be apocryphal, have been considered apocryphal. Be it what it may, it is a dogma for every Muslim to believe not only in the Qur'an, but also in the collection of the Divine revelations of pre-Islamic epochs. The Prophet of Islam has not named Buddha, nor Zoroaster nor the founders of Indian Brahminism. So the Muslims are not authorised to affirm categorically the Divine character, for instance, of Avesta or of the Hindu Vedas; yet they cannot formally reject either the possibility of the Vedas having been in their origin based on Divine revelations, or of having suffered a fate similar to that of the Pentateuch of Moses. The same is true in connection with what appertains to China, Greece and other lands.

MESSENGERS OF GOD (PROPHETS)

148 — An angel brings the message of God to a chosen man, and it is this latter who is charged with its communcation to the people. In Qur'anic terminology, this human agent of the message is differently called : nabi (prophet), rasool (messenger), mursal (envoy), bashir (announcer), nadhir (warner), etc.

149 — Prophets are men of great piety, and models of good behaviour, spiritual as well as temporal and social. Miracles are not necessary for them (altough history attributes miracles to all of them and they themselves have always affirmed that it is not they but God who did that); it is their teaching alone which is the criterion of their veracity.

150 — According to the Qur'an,

It can establish its own schools, just as it established its own shops in the last section. These chapters are designed to increase the students' interest in school, encouraging them to study more and, thus, accomplish more.

The fifth section deals with social studies and history. It includes the following chapters : "A Village in West Africa," "Muslims Attending Prayers", "A Mosque in Gvinea, West Africa", "African Drummers", "African Dancers", "Ebony Head", "Vegetable Seller", "Alexander Pushkin", "Christianborg Castle", "A Ship", "George Washington Carver", "W. E. B. Du Bois", "An African-American Boy," "Our Leader and Teacher", "Modern Buildings in Accra", "President Nkrumah in Chicago", "Cocoa Crops in Ghana", "African Presidents", "An African Chief", and "President Nkrumah and Sister Christine".

This fifth section is aptly named "Stories About Ourselves", and the stories serve several purposes. The emphasis is upon the history of the black man and his arrival in the United States. "Christianborg Castle", and "A Ship", tell the story of the black African slaves who were captured and transported to the United States. The stories of George Washington Carver, W. E.B. DuBois, and Pushkin, believed by "Muslims" to have been a Negro also, are stories of Negor heroes who helped to play a part in the black man's history. Chapters on "Muslims Attending Prayers", and "A Mosque in Guinea, West Africa" deal with the new religion of the "Muslim" students and attempt to unite them with the African Muslims, thus forming another bond on group solidarity. The remaining articles, all concerned with various aspects of African life, are designed to make the "Muslim" students more aware of their ties with the African nations and the black people of those nations who, they are taught, are their brothers. In these stories the doctrine of the black man as the original man is again set forth. In this way the stories of the fifth section are intended to contribute to a pride in blackness and an identification with the black man of history as well as with the Afro-Asian black man of today.

Part VI, the section on phonics, is a chapter of exercises for students to complete, and contains the usual "Muslim" oriented vocabulary previously cited. Section VII, the spelling part of the book is a list of spelling words and spelling exercises with emphasis upon words which fit the new "Muslim" identity.

(to be Continued)

The second part of the book is centered afound a story called Barbara'd Surprise", The story is about a little girl and her family who are able to move up the social aud economic ladder from a small, crowded apartment to a large suburban home with spacious rooms and a beautiful yard. The story is planned to help the "Muslim" students identify themselves with a gronp that provides opportunity for improvement. The language of the story is, throughout, a rejection of the traditional stereotypes of the Negro, and the plot stresses the benefits of being clean, hard-working, and thrifty so that one may advance. The significance of having the "Muslim" students identify themselves with clean, polite, thrifty, and hardworking people who are striving for a better life is given precedence over all but a cursory and introductory indentification with the "Muslim group". That is to say, what is being stressed is a new identity which is acceptable and appealing. This identification is always expressed in the first person plural, in order to give the notion that "Muslim" children belong in their group and at the same time set themselves off, to some extent, from the American culture.

The third part of the book, "Our nation", deals with the various shops and services run by the Nation of Islam, and includes sub-chapters on: "Our Shoe-Shine Shop," "Our Grocery Store," "Our Kitchen," "Our Bakery," "Our Dress Shop," "The Jewelry Counter," "The Coat Counter," "The Blouse Counter", "Our Factory," "The Cleaning Plant," "Our Barber Shop", and, "The Gasoline Station". This section of the book seems to be an attempt to insstill in "Muslim" students a sense of pride of possession, a feeling of group solidarity, and a sense of sel-sufficiency with the understanding that the Nation of Islam is capable of producing and caring for itself. The section also, through itsch apters on the "Muslim" kitchens and clothing shops, familiarizes the students with "Muslim" codes of eating habits and styles of dress.

Section IV, "Muhammad's University of Islam, No. 2," includes chapters on "Our University of Islam". "Our School Bus", "Our Teachers", "Our Schoolmates", "Our Library", and "Our Classmates". Here again there is emphasis on the word "our", aimed a building up feelings of unity and cohesiveness, as well as the pride of possession. Likewise, one again can see the concept that the Nation of Islam is self-sufficient and independent.

neatly. The children are sitting in rows, girls on one side of the aisle, boys on the other. photographs in the book range from portraits of Elijah Muhammad to typical classroom scenes, "Muslim" businesses, and African art, heroes, and culture. The pictures are always populated by people of the colored races of the world os that the child may look at the pictures and feel that these are his people who appear on the pages.

Vocabulary words for the book are likewise picked with planned attention to the process of identification, and are almost invariably taken from words peculiar to the "Muslim" religion and life. A few eamples of such vocabulary are the words: Allah, Muslim, Mosque, nation, black, flag, our, equality and Africa.

The organization and contents of the book itself constitute the prime examles of a striving toward the development of a special identity for the "Muslim" students and the introduction of new cultural elements in the process of cultural renewal. The book is divided into the following seven main sections :

I. The "Muslims"

II. Barbara's Visit.

III. Our Nation.

IV. Muhammad's University of Islam No. 2.

V. Stories About Ourselves.

VI. Phonics.

VII. Spelling.

Each section and each of its sub-chapters seem quite clearly an attempt to give the "Muslim" children something with which they can identify themselves which is not in any way associated with the traditional American stereotype of the Negro. An analysis of each individual section illustrates this attempt quite clearly.

Part I of the book, "The Muslims", includes sub-chapters on "The Muslims," "Our Greeting," "Our Prayers," "Our Minister," "Our Mosque," These chapters are all apparently aimed at introducing the new religious teachings of the Nation of Islam to the students. The religion which they are being taught is not one that has been traditionally followed by the white man in the United States. The name "Muslims", the use of Arabic greetings, the design of a seperate flag, a leader, a mosque, and colored leaders are all calculated to give the "Muslim" students something new, and to instill in them the feeling that they are a part of a new group in which they should obtain a sense of identity and a new pride.

What does the School In The Nation of Islam in America Teach ?

BY : DR. IBRAHIM M. SHALABY

Muhammod's Children :

In the foreward to her book, Muhammed's children First Grade Reader. Dr. Christine X. Johnson. one-time principal of the University of Islam in Chicago, states her goals in the creation of the text-book :

"In these pages, I have endeavored to take the "Muslim" child through experiences he knows, and can relate to himself. To let him see his own little black, brown and cream faces, instead of blond, blue-eyed Dick and Jane. I want Black children to aspire and strive for things their realm, and be proud of what belongs to him, even though it isn't as fine as his neighbors. Not the nebulous, fanciful, twisted world of make believe that their slavemaster's children have set up as goals for them... Through brief biographical sketches intended for the very young child, I hope to plant the seed of self-love and self-respect, that our Leader, The Honorable Elijah Muhammad has taught us; and to strive for higher spheres in life, and know why he is striving. To enable them to emulate the lives of great men and women of color, and shake off the apathy and shame of being BLACK".

Thus, in her own words, Dr. Johnson tells the reader that she is trying, through this book, to develop a new identity for the "Muslim" students. She works toward this goal in several ways.

The title of the book itself illustrates the seeking of identification. Muhammad is used as a name to signify the Nation of Islam itself, and saying "Muhammad's Children" may give a sense of belonging to the small "Muslim students.

Illustrations in the book are intended to help substantiate the idea that this is a book for and about "Muslim" childern. The cover bears a drawing of a "Muslim" classroom, with the flag of the Nation of Islam prominently displayed, and black children dressed

"The hero, whose memory will be eternal to the people and for mankind, suffered a severe heart attack, the symptoms of which were first felt at 3.15 p.m.

"He had just returned to his home after having completed the last ceremony in connection with the meetings of the Arab Kings and Heands of State Conference which ended in Cairo yesterday (Sunday) and to which the leader and the hero had devoted all his efforts and nervous energy to ward off a frightening tragedy which had befallen the Arab people.

"The Higher Executive Committee of the Arab Socialist Union and the Council of Ministers, who held a joint emergency meeting immediately after this act of God cannot find words to portray the profound grief that has befallen the United Arab Republic, the Arab homeland and all humanity through this ordeal which God has pleased to inflict on them at a most precarious time.

"Gamal Abdul Nasser was greater and is more eternal than words, and could not be better praised than by his record in the service of the people the nation and humanity... a fighter for liberty, right and justice, and a militant for the cause of honour to his last breath.

"No words suffice to console us for the death of Gamal Abdul Nasser

"The only thing that will show him just recompense and recognition is a patient, steadfast, courageous and able attitude taken up by the whole Arab people until the victory, for which the great son of Egypt, the hero man and leader of this people lived and died as a martyr, has been achieved.

يا أيتها النفس المطمئنة ، ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى .

«Thou soul at peace,

Return unto thy Lord, content in His good pleasure !

Enter thou among My bondmen!

Enter thou My Garden ».

Millions attended the funeral. And delegations from throughout the world were joined with the people of U. A. R. to bid Farewell to Gamal Abdul Nasser. The Grand Sheikh of Al-Azhar, Dr. Muhammad Fahham, led the funeral prayer, inside Gamal Abdul Nasser Mosque. At About 2, p. m. on Thursday, October 3, 1970 the body of the departed Arab hero was placed in his last abode. May the Almighty God Bless him with His Mercy and Forgiveness !

M. ALWAYE

The cause of education was always close to the late leader. In his life time all stages of education made free. A number of new schools and universities were also opened. Another important development that took place in the realm of education was the attention paid to Al-Azhar university in a manner compatible with the status and aims of this great international centre of learning. This law which is known as the law No. 103 of 1961, has referred to the following points :

1 — Having regard to the special character of Al-Azhar as a University of All Muslims throughout the world. Al-Azhar university should be indenependent of other universities in the united Arab Repablic, by being attached to the presidency of the Republic; care has, however, been taken to coordinate it with other universities in so far as this coordination will the special character of Al-Azhar and the purpose of its studies.

2 — A minister of Al-Azhar Affairs shall be duly appointed by a deceree of the President of the Republic.

3 — Having been the university of all Muslims, Al-Azhar provided for equal opportunity of enrolement in its faculties and sections attached to them, for Muslim students from any country in the world.

4 — Al - Azhar as the Supreme Muslim educational institution, attaches great importance to its cultural and educational relations with Islamic and other educational institutions in the world.

By this law, new faculties were established in the university of Al-Azhar i. e. Faculties of Medicine Engineering, Agriculture and commerce. A girls' college, with its different branches of studies was also established. In 1959 a university hostel was established for Al-Azhar by the name of Nasser City of Islamic Missions.

In a statement broadcast over Cairo Radio and TV at 10 55 P.M., Monday, Sep. 28, 1970 announcing the grievous news of the death of President Gamal Abdul Nasser, Mr. Anwar al Sadat (then vice — President), Said : " The United Arab Republic, the Arab people and humanity at large have lost one of the most valued, courageous and sincere of men : President Gamal Abdul Nasser, who, at 6.15 P.M. on the 27 the day of Rajab corresponding to Sep. 28, 1970 passed a way in the Vanguard of the struggle and striving for the Unity of the Arab People and for the day of their Victory.

On July 23, 1952 Nasser led the revolutien and ousted King Faruk and this was followed by declaring Egypt a Republic.

On October 19, 1954, a treaty was concluded between Egypt and Britain stipulating the evacuation of British troops from Egyptian borders within a period of twenty months, thus realising a dream for which Egypt struggled for more than three quarters of a century and for which Egypt Sacrificed many of its sons.

In February, 1958, a merger occured between Egypt andf Syria thus forming the United Arab Republic. President Nasser was elected President with a majority vote of 99. 99 percent in the Southern Region and 99. 28 percent in the northern Region. This merger had its meaning and significance. It symbolised the Arabs wish for unity to realise solidarity, to remove artificial borders mapped out by the imperialist to divide between brothers. His home policy was based on cooperation, social reform, equality of opportunity and industerialisation of the country on a large scale.

On January 9, 1960, one of the greatest projects came into being, namely, the High Dam at Aswan. In his speach on the occasion, President Nasser said, The construction of the High Dam is an example that should be copied by small peoples in their struggle.

It is an incentive that should motivate every country in Africa and Asia, however small to grow and to builed itself without need for nuclear weapons on foreign aid, it should be content with its sand and the faithfulness of its people.

When Nasser nationalised the Suez Canal company, the western powers exerted pressure to abolish the nationalisation of the Canal. But he stood firm to the pressure, and defeated the aggression of 1956 in Port Said.

The Whole world agreed about the popularity of President Nasser and his statesmanship and leadership. The eyes of the world began to look on Gamal Abdul Nasser with the nationalization of the Suez Canal Company on July 26, 1956, While addressing a huge gathering in Alexandria he said "The Suez Canal was our Canal. How could it be otherwise when it was dug at a cost of 12,0000 Egyptian lives? In future this Canal will be managed by the Egyptians and with its revenue the High Dam at Aswan will be built."

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER :

ABDUL RAHIM FŪDA

RAMADAN 1390

ENGLISH SECTION
EDITED BY
A. M. MOHIADDIN ALWAYE

NOVEMBER 1970



The Late President
GAMAL ABDUL NASSER

President Gamal Abdul Nasser was born on January 15, 1918, to family who came from village of Beni Mur in Upper Egypt. He received his education in Cairo schools and obtained the Secondary School Certificate at El Nahda Secondary School. In 1927 he joined the Military Academy and in July 1938 he was given the rank of Lieutenant in the infantry.

On the out break of world war II he was transferred to Alexandria and later to Al Alamein. He was then appeinted as instructer in the Military Academy. In 1942 he passed the examinations of the staff college with distinction and honours.

President Gamal Abdul Nasser fought with rare bravery in the Palestine war of 1948 and was seriously wounded during this war. This wound kept him a whole month in hospital. When he recovered he was determind to rejoin his division in Falouga where he formed a group of "free officers" with whom he planned a revolutionary movement against the injustice and feudalism which were devastating the country at that time.

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
« بدل الاشتراك »
٥٠ قرشا في الجمهورية العربية المتحدة
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

الجزء الثامن — السنة الثانية والأربعون — شوال سنة ١٣٩٠ هـ - ديسمبر سنة ١٩٧٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

أجمل ما في عيد الفطر

للأستاذ عبد الرحيم فوده

يقترن عيد الفطر بفريضة الصيام كما يقترن عيد الأضحى بفريضة الحج، والصوم والحج ركنان من أركان الإسلام الخمسة كما هو معروف لدى كل مسلم، ولا شك أن في اقتران هذين العيدين بهذين الركنين ما يشير إلى كثير من الأسرار التي تفسر الشعور بالسرور.

فأداء الواجب على خير وجه يشعر الشعور بالسرور وراحة النفس والضمير.

وشيوع البشر بين الفقراء والأغنياء بما ينفق من زكاة الفطر، وما يقدم من لحوم الأضاحي، وما تتجاوب به القلوب من تعاطف وتواد وتراحم مظهر اجتماعي رائع يجمل به معنى العيد، ويكمل به السرور فيه.

والثقة - بعد أداء الواجب - بالجزاء الجزيل من الله تبرر - كذلك - الشعور بالسرور في يوم العيد، فإن الله كما يقول: « لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً »،

ولهذا قيل فى تعريف العيد أنه ما فكثر فيه عوائد الله بالإحسان إلى عبيده ، ولا شك أن معنى العيد فى الاستعمال اللغوى مأخوذ من العائدة ، وهى الفائدة أو المعروف ، أو الصلة ، أو الكسب والربح وتفصيل ما فى العيد من عوائد وفوائد لا يتسع له المقال فى هذا المجال . .

هذا إلى أن العيد يطالع الناس بالجديد من الأمل والجذل فيجدد حياتهم بالتسرية والترفيه ؛ ليستأنفوا العمل بعده وقد استعادوا نشاطهم له وإقبالهم عليه ؛ وجدهم فيه .

لهذا أباح الله التمتع فيه بالملابس الجديدة والمآكل الطيبة ، واللهو البرىء ؛ فقد قالت عائشة رضى الله عنها : دخل أبو بكر ـ وكان يوم عيد ـ وعندى جاريتان تغنيان بما تقاولت به الأنصار يوم بعاث ، فقال : أمزامير الشيطان فى بيت رسول الله . . ؟ فقال رسول الله ﷺ : (يا أبا بكر إن لكل قوم عيداً ، وهذا عيدنا ، لتعلم يهود أن فى ديننا فسحة ، وأنى بعثت بحنيفية سمحة) .

وعن أنس رضى الله عنه أنه قال : قدم رسول الله ﷺ المدينة فوجد للأنصار يومين يلعبون فيهما ، فقال : (ما هذان اليومان ؟ قالوا : يومان كنا نلعب فيهما فى الجاهلية فقال : قد أبدلكما الله بهما خيراً منهما يوم الأضحى ويوم الفطر) .

فهذان الحديثان يفهم منهما أن الاحتفال بالعيد تقليد قديم حميد ، فإن لكل قوم عيداً يختص بهم ويلائم حياتهم ، وللمسلمين أعيادهم التى تتميز عن غيرها وتتميز بها شخصيتهم فلا يفعلون فيها ما يخرجهم عن حدود دينهم ، أو يوقعهم فى تقليد غيرهم .

وإنما يستمتعون فيها بما أحل الله لهم من الطيبات ، كما يفهم من قوله تعالى : « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق » ، ويتزاورون ويتبادلون التهانى لتوثيق عرى الود والإخاء ، وتحقيق ما يفهم من قول الله فيهم : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » وقوله : « أشداء على الكفار رحماء بينهم » .

وقد شرع الله زكاة الفطر ، وعلق قبول الصوم على أدائها ليعم الشعور بالفرح فى هذا اليوم ، فهى تعتبر ثمرة الشعور

بالحرمان فى رمضان حيث يكون الصبر على الجوع والظمأ ، والإحساس بما يعانيه الفقراء مما يثير العطف عليهم والشعور بواجب التسرية عنهم ، وأنسب ما يكون ذلك فى عيد الفطر ، ليعم فيه الفرح ويشيع فيه البشر ، ويصبح الجميع أمة واحدة ، متعاونة متساندة ، يرتفع بها التعاون والتضامن والتراحم إلى مستوى لا يرقى إليه الشعور المرير بالحاجة إلى الغذاء أو الكساء .

وأجمل ما فى عيد الفطر غبطة المؤمنين بعودة الحرية إليهم بعد أن تنازلوا عنها باختيارهم امتثالا لأمر ربهم ، فإن قيمة الحرية للإنسان لا تعدلها قيمة أخرى ولا يفوقها إلا شرف إخلاص العبودية له جل شأنه فى رمضان وغيره من شهور العام .

نسأل الله أن يوفق العرب والمسلمين لتحرير الأرض المحتلة من بلادهم ، وأن يعينهم ويسدد خطاهم على طريق دينهم ، فإنه الدين الذى ارتضاه ، وقال فيه : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا » وصلى الله على خاتم النبيين وأشرف المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ؟

عبد الرحيم فوده

دراسات قرآنية :

الفتح المبين

للأستاذ مصطفى الطير

— ٢ —

« إنا فتحنا لك فتحا مبينا ، ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما ، وينصرك الله نصرا عزيزا » . (١ – ٣ من سورة الفتح)

(تمهيد)

ذكرنا فى العدد السابق أن المفسرين اختلفوا فى المراد من الفتح المبين ، فمنهم من ذهب إلى أنه فتح مكة ، واختاره أبو حيان وقد تكلمنا عليه فى العدد الماضى ، ومنهم من قال : هو صلح الحديبية ، فهو فتح عظيم وهو رأى الجمهور ومنهم من رأى أنه فتح خيبر وهو اختيار مجاهد .

واليوم نتكلم عن صلح الحديبية باعتبار أنه هو الفتح المبين المقصود من الآية الكريمة ، ونبين لك آثاره التى جعلت منه فتحا مبينا ، وإليك البيان .

(أسباب صلح الحديبية)

رأى النبى ﷺ فى منامه أنه دخل المسجد الحرام هو وأصحابه آمنين ، محلقين رءوسهم ومقصرين ، فأخبر المسلمين أنه يريد العمرة ، واستنفر الأعراب حول المدينة ليكونوا معه فى عمرته حذراً من أن تردهم قريش عنها ، فظن أولئك الأعراب أن الرسول والمؤمنين لن ينقلبوا من عمرتهم ولن يرجعوا إلى أهليهم أبدا ، لأن قريشا ستفنيهم عن آخرهم ، وهم ذاهبون إلى أقدامهم بأرجلهم ، فاعتذروا عن الخروج معه بأنهم شغلتهم أموالهم وأهلوهم وطلبوا منه أن يستغفر الله لهم .

فخرج الرسول بمن معه من المهاجرين والأنصار ، وترك أولئك الأعراب المتخلفين ومعاذيرهم الكاذبة ، واستعان بالله الذى وعد بنصره ونصر المؤمنين « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

وكانت عدة من خرج معه خمسمائة وألفا، وكان من عادته الشريفة إذا خرج إلى أمر يطول وقته أن يولى على المدينة أميرا يرعى شئون أهلها حتى يرجع، فولى عليها فى هذه الرحلة ابن أم مكتوم، وأخذ معه زوجته أم سلمة وأخرج معه الهدى الذى سيذبحه لفقراء الحرم ليكون شعاراً للسلام، وأنه لا يريد حرب القوم هناك ولم يكن مع أصحابه إلا السيوف فى أغمادها لمجرد الدفاع عن النفس إن حدث من قريش مكروه لهم.

وكان خروجه مع أصحابه يوم الاثنين هلال ذى القعدة سنة ست من الهجرة، ولما كان بذى الحليفة قلد الهدى وأشعر وأحرم منها بالعمرة، وبعث عيناً له من خزاعة (وكانت موالية للرسول كما كانت موالية لأجداده) بعثه ليتحسس له من أخبار القوم، وسار النبى ﷺ حتى إذا كان بغدير الأشطاط أتاه جاسوسه، وأخبره أن قريشاً جمعت له، وأنها مانعته من العمرة وأنها جعلت خالد بن الوليد فى مائتى مقاتل طليعة لجيشها ليصدوا المسلمين عن التقدم، فقال الرسول: هل من رجل يأخذ بنا على غير طريقهم، فقال رجل من أسلم. أنا يا رسول، فسار بهم فى طريق وعرة، ثم خرج بهم إلى مستوى يطلّ على مكة من أسفلها، فلما رأى خالد ما فعل المسلمون رجع فأخبر قريشاً بما حدث.

فلما كان الرسول بثنية المرار (مهبط الحديبية) بركت به ناقته (القصواء) فزجروها فلم تقم، فقالوا خلأت القصواء (أى حرنت) فقال عليه السلام «ما خلأت وما ذلك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل» ويريد الرسول من قوله حبسها حابس الفيل أن الله هو الذى منعها عن مكة كما منع الفيل منها قبل ميلاد الرسول حتى لا يراق دم أهلها وتستباح حرمتها، فإن الصحابة لو دخلوها وصدتهم قريش لظفروا بهم وقتلوا منهم كثيرا، ولكن الله كف أيديهم عن قريش، وأيدى قريش عن المسلمين، كيلا تنتهك حرمات البيت الذى أراده الله أن يكون حرما آمنا لجميع المسلمين يوطدون فيه دعائم أخوتهم، ولأنه سبق فى علمه تعالى أنه سيدخل منهم فى الإسلام خلق كثير، ويكون من أصلابهم مسلمون يجاهدون فى سبيل الله، ولهذا كله قال ﷺ «والذى نفس محمد بيده لا تدعونى قريش لخصلة فيها تعظيم حرمات الله إلا أجبتهم إليها».

ثم زجر القصواء فوثبت فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية (وهى قرية على تسعة أميال من مكة) وكان نزوله مع المسلمين على ماء قليل فنزحوه ، فشكوا العطش إلى رسول الله ﷺ ، فانتزع سهما من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه ، قال راوى الحديث: « فوالله مازال يجيش بالرى حتى صدروا عنه » فبينما هم كذلك إذ أتاهم بديل بن ورقاء الخزاعى فى نفر من قومه ، وكانوا موالين للرسول، فقال: إنى تركت كعب بن لؤى وغالب بن لؤى نزلوا عند مياه الحديبية وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ، فأخبره الرسول أنهم ما جاءوا للقتال بل للعمرة ، وقال: (إن قريشا قد نهكتهم الحرب ، فإذا شاءوا ماددتهم مدة ويخلوا بينى وبين الناس فإن أظهر فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا ، وإلا فقد جموا (يعنى استراحوا) وإن هم أبوا فوالذى نفسى بيده لأقاتلنهم على أمرى حتى تنفرد سالفتى ، ولينفذن الله أمره) - والسالفة مقدم العنق وانفراد السالفة شطرها ، وهو كناية من القتل .

فعاد إلى قريش يخبرهم بما سمع من الرسول ، فقال عروة بن مسعود قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعونى آتيه ، فأتاه فقال له الرسول: نحوا مما قاله لبديل وجعل عروة يرمق أصحابه بعينيه ويتعرف حبهم له ، فلما رجع إلى قومه حدثهم بما رأى ومن ذلك أن رسول الله ﷺ كان إذا أمرهم بأمر ابتدروه وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ليتمسحوا به ، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ، ولا يحدون النظر إليه ، وقال . والله لقد وفدت على الملوك وعلى كسرى وقيصر والنجاشى ، وإنى ما رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً ، ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشىء أبدا ، فانظروا رأيكم ، فإنه قد عرض عليكم خطة رشد، فاقبلوها فإنى ناصح لكم وأخشى أن لا تنصروا عليه ، فقالت قريش لا تتكلم بهذا، ولكن نرده عامنا ، ويرجع إلى قابل .

وبعث الرسول عثمان بن عفان إلى قريش ليؤكد سلامة مقصده ، فذهب إليهم فى عشرة استأذنوا الرسول فى زيارة أقاربهم وكان النبى قد أوصى عثمان أن يبشر المسلمين بمكة بقرب فتح مكة ودخول الناس فى دين الله ، فدخل عثمان مكة

فى جوار أبان بن سعيد الأموى ، وبلغ قريشا الرسالة ، فقالوا لا يدخل محمد مكة علينا عنوة أبداً ، وطلبوا منه أن يطوف بالبيت ، فقال: لا أطوف ورسول الله ممنوع فحبسوه ، وشاع عند المسلمين أنهم قتلوه ، فلما سمع الرسول ذلك قال: لا نبرح حتى نناجزهم الحرب .

(بيعة الرضوان)

دعا الرسول من معه من المهاجرين والأنصار للبيعة على القتال تحت شجرة هناك [1] قيل كانت سمرة وقيل سدرة فبايعوه على الموت فقال لهم الرسول: أنتم اليوم خير أهل الأرض ، فلما انتشر أمر هذه البيعة فى قريش داخلهم منها رعب عظيم .

وكانوا قد أرسلوا مكرز بن حفص فى خمسين رجلا ليطوفوا بعسكر المسلمين ، علهم يصيبون منهم غرة ، فأسرهم حارس الجيش محمد بن مسلمة ، وهرب مكرز ، ولما علمت بذلك قريش بعثوا بجمع منهم يناوشون المسلمين، فأسروا منهم اثنى عشر رجلا ، وقتل واحد من المسلمين .

(صلح الحديبية وشروطه)

ولما ظهر لقريش وفاء المسلمين ببيعتهم للرسول وقوة استبسالهم فى الدفاع عنه خافوا وأرسلوا سهيل بن عمرو ليفاوض الرسول فى الصلح ، فلما جاء اعتذر مما حصل منهم بأنه من عمل سفهائهم ، ولم يكن عن رأى عقلائهم ، وطلب أسراهم فقال النبي: حتى ترسلوا من عندكم ، فبعثوا عثمان والعشرة الذين كانوا معه .

وانتهت مفاوضات الصلح على :

١ — وضع الحرب عشر سنين .

٢ — وأن يأمن بعضهم بعضا .

٣ — وأن من جاء المسلمين من قريش يردونه إليهم ، ومن جاءهم من المسلمين لا يلزمون رده .

٤ — وأن يرجع النبى هذا العام من غير عمرة ، ثم يأتى فى العام المقبل فيدخلها بأصحابه بعد أن تخرج منها قريش ، فيقيموا بها ثلاثة أيام وليس معهم إلا السيف فى القراب والقوس .

٥ — ومن أراد أن يدخل فى عهد أحد من الطرفين دخل فيه .

فقبل النبى ﷺ هذه الشروط ، وداخل المسلمين منها أمر عظيم ، وقالوا كيف نرد

---

[1] يروى أن عمر أمر بقطعها فى خلافته لما رأى الناس يتبركون بها .

إليهم من جاءنا مسلما ولا يردون من جاءهم مرتداً ، فقال الرسول : من ذهب منا إليهم فأبعده الله ، ومن جاءنا منهم فرددناه إليهم فسيجعل الله له فرجا ومخرجا .

وأما صدهم عن البيت فقد كان أشد عليهم ، لأن الرسول أخبرهم برؤياه أنهم دخلوا المسجد الحرام آمنين ، وقد سأل عمر أبا بكر في ذلك ، فقال : وهل ذكر أنه في هذا العام .

وكان على رضى الله عنه كاتب شروط الصلح ، فأملاه الرسول عليه السلام : « بسم الله الرحمن الرحيم » فقال سهيل ابن عمرو ما نعرف هذا ، اكتب باسمك اللهم فأمره الرسول بذلك ، ثم قال : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله أهل مكة ، فقال سهيل لو نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك . اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله ، فأمر النبي عليا بمحو ذلك وكتابة ما يريدون ، فامتنع ، فمحاها النبي ﷺ ، ثم كتبت الشروط ، وجعلت وثيقة الصلح من نسختين إحداها لقريش والأخرى للمسلمين .

وكان النبي ﷺ مثالا للوفاء بعهده هذا ، فبعد كتابته جاءهم أبو جندل بن سهيل يحجل في قيوده ، وكان من المسلمين المنوعين من الهجرة ، فهرب المسلمين ليحموه ، فقال له الرسول : اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا ، فقد عقدنا مع القوم صلحا ، فلا نغدر بهم .

ثم أمر النبي أصحابه أن يحلقوا رءوسهم وينحروا الهدى ليتحللوا من عمرتهم فلم يبادروا بالامتثال كعادتهم ، لامتلاء قلوبهم هما وحزنا لصدهم عن البيت ، فقال الرسول لأم سلمة : هلك المسلمون ، أمرتهم فلم يمتثلوا فقالت : يارسول الله اعذرهم يارسول الله ، فقد حملت نفسك أمرا عظيما في الصلح ، ورجع المسلمون بغير فتح ، فهم لذلك مكروبون ، ولكن اخرج يا رسول الله وابدأهم بما تريد ، فإذا رأوك فعلت يتبعوك فنحر الرسول هديه ودعا بالحلاق فحلق رأسه ، فلما رآه المسلمون تواثبوا على الهدى فنحروه وحلقوا ، ثم رجع المسلمون إلى المدينة فجاءتهم أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، وأخت عثمان لأمه مهاجرة فطلبها المشركون ، فقالت : يارسول الله إني امرأة وإذ رجعت إليهم فتنوني في ديني ، فأنزل الله في سورة الممتحنة : « يا أيها الذين آمنوا

إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن» الآيتين ، فكانت المرأة المهاجرة تستحلف أنها ما خرجت رغبة بأرض عن أرض ، ولا بغضا في زوج ولا التماس دنيا ولا لرجل من المسلمين، وما خرجت إلا حبا لله ولرسوله فإن حلفت لا ترد ويعطى زوجها المشرك ما أنفقه عليها ، ويجوز للمسلم أن يتزوجها وقد حرمت الآية إمساك الزوجة الكافرة وترد إلى أهلها بعد أن يعطوا زوجها المسلم ما أنفق .

وقد تمكن أبو بصير عتبة بن أسيد من الفرار إلى الرسول ، فأرسلت قريش رجلين يطلبانه ، فأمره الرسول أن يرجع معهما فقال أتردني إلى الكفار يارسول الله فيفتنوني عن ديني ، فقال : إن الله جاعل لك ولإخوانك فرجاً ، فرجع مع رسولي قريش امتثالا لأمر الرسول ، ولما قارب الحليفة قتل أحدهما وهرب الآخر ، فرجع إلى المدينة وقال يا رسول الله : وفت ذمتك ، أما أنا فنجوت ، فأمره أن لا يقيم بالمدينة وأن يذهب حيث يشاء ، فاتخذ من موضع بطريق الشام مستقراً له ، وكانت تمر به تجارة قريش فاجتمع إليه من مسلمي مكة الذين نجوا من أهلها جمع وصار إليه أبو جندل بن سهيل وجمع من الأعراب وقطعوا الطريق على تجارة قريش حتى عزت الأقوات بمكة ، فاستغاثت قريش وطلبت عدم العمل بشرط رد المسلمين المهاجرين من مكة بعد الصلح إليهم ، فقبل الرسول منهم ذلك وأزاح الله عن المسلمين هذه الغمة ، التي لم يتحملوها في الحديبية حينما أمرهم برد أبي جندل .

(آثار صلح الحديبية)

كانت له آثار بناءة عظيمة أفادت الإسلام والمسلمين ، وأول آثاره توفر الأمن بين الطرفين حتى اختلط المسلمون بالكفار وأطلعوهم على محاسن الإسلام وعلى أحوال النبي ومعجزاته وسيرته وجميل طريقته ، ورأوا ذلك بأعينهم حتى توجهوا إلى المدينة ومكثوا هناك زائرين لأهليهم وإخوانهم وأصحابهم من المهاجرين والأنصار ، فلذلك بادر منهم خلق بالإسلام قبل فتح مكة ، وازداد الآخرون ميلا إلى الإسلام ، حتى إذا فتحت مكة أسلموا جميعا نظراً للاستعداد الذي قر في نفوسهم للإسلام بسبب صلح الحديبية ، فلما أسلم أهل مكة تبعهم العرب فلبوا دعوة الإسلام .

وهنا أنت إذا قد علمت أن الشرط الذي

المسلمين فى شعورهم ، وهو رده من جاءهم مهاجرا مسلما وإعادته إلى المشركين ، طلب المشركون إلغاءه من أنفسهم كما مر بيانه ، فكان هذا نصرا عظيما لوجهة نظر الرسول كما أنهم فى العام القابل اعتمروا ووفى المشركون بشرطهم فأخلوا مكة ثلاثة أيام للمسلمين .

وفى فترة العمل بمعاهدة الصلح المذكورة استطاع الرسول أن يبعث برسائله وكتبه إلى ملوك الأرض يعرفهم بالإسلام ويدعوهم إليه ، فكتب إلى قيصر الروم ، وأرسل كتابه إليه مع دحية الكلبي ليعطيه إلى عظيم بصرى فيوصله إلى القيصر ، فلما أوصله إليه دعا أبا سفيان وجماعة من قومه وجعل يسألهم عن الرسول فلم يسعهم إلا أن يصدقوه ، فقال فى آخر الحديث فعلمت أنه نبى ، وقد علمت أنه مبعوث ولم أكن أظن أنه فيكم ، وإن كان ما كلمتنى به حقا فسيملك موضع قدمى هاتين ، ولو أعلم أنى أخلص إليه لتكلفت ذلك .

وكتب الرسول إلى أمير بصرى وأمير دمشق وللمقوقس أمير مصر والنجاشى ملك الحبشة والمنذر بن ساوى ملك البحرين وملكى عمان ، وغيرهم ، فمنهم من أسلم وأسلم معه جماعة من قومه كملك البحرين وملكى عمان ، ومنهم من رده ردا جميلا ، وكان لهذا شأنه فى التمهيد لإسلام هذه الأمم ، ولهذا قال أبو بكر رضى الله عنه فى صلح الحديبية ما كان فتح فى الإسلام أعظم من فتح الحديبية : ولكن الناس قصر رأيهم عما كان بين محمد وبين ربه والعباد يعجلون ، والله لا يعجل لعجلة العباد ، حتى تبلغ الأمور ما أراد .

وفى رجوعه عليه السلام من الحديبية نزلت عليه سورة الفتح ، مما يشير إلى أن صلح الحديبية كان هو الفتح المبين كما قال الصديق أبو بكر رضى الله تعالى عنه ؛ والله أعلم ؟

مصطفى الطير

الوحدة فى السورة القرآنية

للدكتور محمد رجب البيومى

– ٢ –

أما الأستاذ محمد فريد وجدى فقد تصدى لدفع هذه الشبهة بقوله ص ٢٦٥ من كتاب : (الإسلام دين عام خالد) مع بعض التصرف فى النقل :

« وفاته – صاحب مسائل فى الدين – أن القرآن لو كان مختلقا لتوخى فيه مؤلفه الترتيب المطلوب، فقد جرت العادة أن يجلس من يريد تأليف كتاب إلى ناحية فيفكر فى مواد الكتاب وأغراضه ليجعل لكل طائفة من المواد فصلا ، ولكن القرآن ليس بكتاب وضعى ، إنه وحى نزل عند حدوث الحوادث وطروء الطوارئ فنه آيات نزلت للدعوة للدين ، وأخرى للرد على المنكرين وغيرها للإجابة عن السائلين وسواها للفصل بين المتنازعين ، وطائفة للحث على الجهاد ، ومثلها للحض على مكارم الأخلاق ، وكلها نزلت نجوما ومرتبة على الحوادث الوقتية إذ كان الوحى لدى الطائفة التى أخذت بالإسلام لأول عهدها بمنزلة العقل المدبر لها تستهدى به فى المشكلات وتسترشد به فى تذليل العقبات ، فهو مجموع إشراقات من الوحى اقتضتها الحوادث التى تتكرر فى كل جيل وفى كل مجتمع ، وهذا المجموع من إشراقات الوحى متى قرىء أو سمع استولى على مآخذ النفوس، وتسلط على كل مساوب للمقول فلا يجد تاليه محيصا من الإذعان إليه والاستخذاء له لأنه يحرك جميع الأوتار فى الروح الإنسانى دفعة واحدة فيؤخذ سامعه به أخذا كأنه قد غمرته موجة من السحر فلم تدع له متنفسا فى غيره من الأمور ولم تترك له متملصا إلى سواه من الشئون » . وهذا الكلام يحتاج إلى نظر ، لأن قول الأستاذ محمد فريد وجدى فى علة عدم الترتيب « أنه وحى نزل عند حدوث الحوادث وطروء الطوارىء وآياته نزلت نجوما على الحوادث الوقتية » .

هذا القول لا ينهض تعليلا لعدم الوحدة الموضوعية. لأن الثابت الأكيد أن ترتيب الآيات فى السورة ترتيب توقيفى من السماء إذ كانت تنزل الآية فى شأن من الشئون فيأمر الرسول كاتبه بوضعها فى المكان الذى اختاره الله لها، وكان جبريل عليه السلام يعارض رسول الله بقراءة القرآن كما رتب فى كل رمضان، والآثار فى ذلك أشهر من أن تذكر ونكتفى منها بما روى البخارى عن عائشة عن فاطمة أنها قالت «أسر إلى النبى ﷺ أن جبريل يعارضنى بالقرآن كل سنة مرة وأنه عارضنى هذا العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلى، كما روى أحمد وأبو داود والترمذى عن عثمان أنه قال: كان رسول الله ﷺ تنزل عليه السورة ذوات العدد فكان إذا نزل عليه الشىء دعا بعض من كان يكتب له فيقول: ضعوا هذه الآيات فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا، فقول الأستاذ إن القرآن قد نزل منجما وفق الحوادث إنما يصلح لو لم يكن الترتيب توقيفيا يبلغه جبريل عن ربه، وقد أحسن الأستاذ فريد وجدى حين فرغ عاجلا من هذا القول المتسرع ليعلن أن إشراقات الوحى تتسلط على كل مسارب العقول فلا يجد تاليه محيصا من الإذعان له، وهو بعض ما عناه الرافعى رحمه الله حين تحدث عن روحانية التركيب.

أما الذين رفضوا القول بعدم الوحدة الموضوعية من العلماء فقد شد أزرهم ما قرأوه لأمثال ابن العربى والنيسابورى والبقاعى فى ذلك، وذهبوا يدبجون المقالات والكتب فى إثبات هذه الوحدة الموضوعية عن ذكاء يتلمس الفرص القريبة والبعيدة، ويتمكلف للجزئيات الكثيرة دائرة كبرى تنتمى إليها، وهو جهد مشكور يدل على صبر مطمئن، وإن كنا لا نذهب مذهبه إذ ثبت لدينا كثير من التكلف فى رصده وتثبيته، ولا نحب أن نهىء القارىء إلى رفضه بل نترك أمامه مجالا لتفهم ما يعنيه هؤلاء، وسنختار منهم أستاذينا المغفور لهما الدكتور محمد عبدالله دراز والشيخ عبدالمتعال الصعيدى، حيث ألح الأول على تأكيد هذه الوحدة فى كتابه «النبأ العظيم» كما أفرد الثانى كتابا برأسه لدراسة النظم الفنى فى القرآن ناحيا منحى الوحدة الموضوعية، مما يؤكد أن حديث الترتيب الأسلوبى لديهما لم يكن

فكرة طارئة قدر ما كان نظرية علمية تتطلب البحث الوئيد .

أصدر الدكتور دراز كتابه « النبأ العظيم » ليتحدث عن القرآن حديث الفاقه الدارس الألمعى فجاء كتابه آية الآيات فى ميدان الدراسات القرآنية بما ملك من ناصية القول وقوة المنطق وجهارة الدليل ولئن قال الزعيم سعد زغلول عن كتاب الرافعى فى الإعجاز إنه تنزيل من التنزيل أو قبس من نور الذكر الحكيم فما أحرى النبأ العظيم بمثل هذا القول من زعيم كبير ، وإذا كنت لا أرى رأى أستاذنا الكبير الدكتور دراز فى الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية فمن الإنصاف له أن نتركه يتحدث عن رأيه بأسلوبه الممتاز الذى يصلصل فى آفاق البلاغة العربية كل مصلصل ، ليسعد القراء بنمط من التصوير الأدبى لا يعهدونه لغير الأفذاذ من أئمة الكلام ، قال رحمه الله عن النبأ العظيم ص ١٧٤ :

« أجل ، إنك لتقرأ السورة الطويلة المنجمة يحسبها الجاهل أضغاثا من المعانى حشيت حشوا ، وأوزاعا من المبانى جمعت عفوا ، فإذا هى لو تدبرت بنية متماسكة قد بنيت من المقاصد الكلية على أسس وأصول ، وأقيم على كل أصل منها شعب وفصول ، وامتد من كل شعبة منها فروع تقصر وتطول فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حجرات وأفنية فى موضوع واحد ، قد وضع رسمه مرة واحدة ، لا تحس بشىء من تناكر الأوضاع فى التقسيم والتنسيق ولا بشىء من الانفصال فى الخروج من طريق إلى طريق ، بل ترى بين الأجناس المختلفة تمام الألفة ، كما ترى بين آحاد الجنس الواحد نهاية التضام والإلتحام ، كل ذلك بغير تكلف ولا استعانة بأمر خارج من المعانى أنفسها ، وإنما هو حسن السياقة ولطف التمهيد فى مطلع كل غرض ومقطعه وأثنائه يريك المنفصل متصلا ، والمختلف مؤتلفا ، ولماذا نقول إن هذه المعانى تنسق فى السورة كما تنسق الحجرات فى البنيان ؟ لا بل إنها لتلتحم فيها كما تلتحم الأعضاء فى جسم الإنسان ، فبين كل قطعة وجارتها رباط موضعى من أنفسها كما يلتقى العظمان عند المفصل ومن فوقهما تمتد شبكة من الوشائج تحيط بهما عن كثب ، كما يشتبك

العضوان بالشرايين والعروق والأعصاب، ومن وراء ذلك كله يسرى فى السورة اتجاه معين، وتؤدى بمجموعها غرضا خاصا كما يأخذ الجسم قواما واحداً، ويتعاون بجملته على أداء غرض واحد مع اختلاف وظائفه العضوية».

هذا بعض ما قاله الدكتور دراز، وقد كدت أميل بعض الميل إلى أنه يقصد التلاحم الجزئى بين الآية والآية جريا وراء ما يذكره بعض المفسرين من المناسبات المتصيدة، لأن قوله فيما سبق «بل ترى بين الأجناس المختلفة تمام الألفة كما ترى بين آحاد الجنس الواحد نهاية التضام والالتحام» هذا القول يشعرك أن المقصود بالأجناس المختلفة الأغراض المتباعدة ولكن السياق العام يوحى بغير ذلك إيحاء قويا يؤكده قول الدكتور «ومن وراء ذلك كله يسرى فى السورة اتجاه معين، وتؤدى بمجموعها غرضا خاصا» كما تؤكده محاولته التمثيلية فى تطبيق هذا الاتجاه على سورة البقرة وهى أطول سور القرآن جميعاً، حيث اختارها الأستاذ للتدليل على وحدة الغرض فقال فى ص ١٨٤ تحت عنوان (نظام عقد المعانى فى سورة البقرة) ما نصه: «اعلم أن هذه السورة على طولها تتألف وحدتها من مقدمة وأربعة مقاصد وخاتمة، على هذا الترتيب، فالمقدمة فى التعريف بشأن هذا القرآن وبيان أن ما فيه من الهداية قد بلغ حداً من الوضوح لا يتردد فيه ذو قلب سليم، وإنما يعرض عنه من لا قلب له أو من كان فى قلبه مرض، والمقصد الأول فى دعوة الناس كافة إلى اعتناق الإسلام، والمقصد الثانى فى دعوة أهل الكتاب دعوة خاصة إلى ترك باطلهم والدخول فى هذا الدين الحق، والمقصد الثالث فى عرض شرائع هذا الدين تفصيلا، والمقصد الرابع فى ذكر الوازع والنازع الدينى الذى يبعث على ملازمة تلك الشرائع ويعصم من مخالفتها، أما الخاتمة ففى التعريف بالذين استجابوا لهذه الدعوة الشاملة لتلك المقاصد وبيان ما يرجى لهم فى عاجلهم وآجلهم».

هذه هى العناصر التى رآها الدكتور تكون سورة البقرة مبتدئة بمقدمة هادفة ومختتمة بنتيجة لازمة، وقد حاول تفصيل ذلك فى صفحات طوال توضح ما يندرج تحت كل عنصر من الآيات، وهى محاولة

ذكية تدل على جهد يبذل فى تأييد قضية يؤمن بها، ولكننا فى حل من أن نقول إن محاولة هذا التحديد الجامع لهذه العناصر لن تكون موضع اتفاق بين الدارسين إذ أنها تجاهلت عناصر أخرى جاءت بها سورة البقرة دون أن يطمئن دارس محايد إلى اندراجها فيما حدده الأستاذ من المقاصد إلا بتكلف كبير، وقد أتاح الدكتور بذلك لكل مبتدىء أن يعمد إلى سورة من السور الكريمة فيختار بعض عناصرها المتقاربة ويهمل مالاسبيل إلى انضمامه، ثم يخرج على الناس برأى يهتف بوحدة الموضوع فى السورة القرآنية! إن الرجل الكبير قد صدر عن نظر خاص واعتقاد نزيه، ولن يعدم جزاءه الأوفى عند الله. أما المغفور له الأستاذ عبد المتعال الصعيدى، فقد أصدر كتابه «النظم الفنى فى القرآن» فيما يقرب من أربعمائة صفحة كبيرة ليثبت هذه الوحدة فى كل سورة من سور الكتاب العزيز، وقد قال المؤلف الفاضل فى مقدمة كتابه ص ٣ «إنه لجد خطير أن نسلم لأولئك الزاعمين أن القرآن لا ترتيب فيه ولا اتصال بين آياته ولا ارتباط بين أجزائه لأنهم يطعنون به على القرآن أنه سيء الترتيب مفكك الأجزاء مشتت المعانى والأغراض ولا يقنعهم أن نقول إن الترتيب يحسن فى كلام البشر ولا يحسن فى كلام الله، لأن الترتيب مطلوب فى كل كلام بليغ، وحسنه فى كل كلام من البداهة بمكان».

والأستاذ يقصد بالقائلين جماعة المستشرقين ممن يطعنون على القرآن بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير. أما القائلون بتعدد الأغراض فى السورة الواحدة فلا يقولون بداهة إنه مفكك الأجزاء سيء الترتيب مشتت المعانى لأنهم يؤمنون بالروح التركيبية البليغة التى تسيطر على السورة فتجمعها نمطا واحدا من البيان مهما تعددت أغراضها، هذه الروح التى لا توجد فى كلام بشرى، ووجودها فى القرآن وحده يصور إحدى مناحى الإعجاز البلاغى فى تأليفه، وقد دعونا الرافضين لهذا الرأى إلى محاولة إدماج آية من سورة كالرحمن فى سورة تجاورها كالواقعة مثلا ثم النظر إلى ما يسمع من النفار الصريح حين تنتقل آية من سورة كريمة إلى أخرى، ولن يقول قائل

أن انطباع الذاكرة على وضع معظم الآيات في سورها المعهودة هو الذي يحدث هذا النفاذ، لأن الجو الموسيقي والإيحاء البياني والتصوير البلاغي في كل سورة من السور الكريمة هو نسيج وحده بحيث إذا انتقلت آية كريمة من سورة إلى سورة كان ذلك بمثابة انتقال عضو من جسم حيواني إلى جسم آخر إذ يدل على عاهته الشائهة أكثر مما يدل على شيء آخر، وما دام الأستاذان دراز والصعيدي قد التقيا على رأي واحد، وحاولا محاولة واحدة في تجميع العناصر في السورة الواحدة في دائرة خاصة ملتئمة الغرض فإننا نقدم للقارىء ما أثبته الأستاذ الصعيدي لسورة البقرة من العناصر لنرى كيف اختلف الأستاذان في التطبيق اختلافا يدل على أن اتجاههما التطبيقي لا يستند إلى أصول موضوعية قدر ما يستند إلى استنتاج ذاتي بحت، وفي هذا الاختلاف على يسره ما يؤيد رأينا في تجنب القرآن أمثال هذه التكلفات الذكية ذات الجهد والإجهاد .

قال الأستاذ الصعيدي في كتابه ص ٤٣ تحت عنوان سورة البقرة: الغرض منها وترتيبها: «لما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة نصبت أحبار يهودها له العداوة بغيا وحسدا ومال إليهم المنافقون من الأوس والخزرج فكان أولئك الأحبار يسألونه ويعنتونه، ويأتونه باللبس ليلبسوا الحق بالباطل فنزلت سورة البقرة في أولئك الأحبار وفيما يسألون عنه وفي أولئك المنافقين الذين مالوا إليهم وفيما نزلت من أحكام العبادات والمعاملات بعد استقرار الإسلام بالمدينة وقد صار بها للمسلمين جماعة تحتاج إلى هذه الأحكام في أمر دينها ودنياها، فيكون الغرض المقصود من هذه السورة الرد على أولئك الأحبار ومن مال إليهم من المنافقين وبيان فساد ما شغبوا به في أمر القرآن، وفي أمر النبي ﷺ وقد جر هذا إلى ذكر كثير من أمورهم جرى بعضها مجرى الترغيب وجرى بعضها مجرى الترهيب، ثم تخلص من هذا إلى بيان ما نزل على المسلمين في هذا العهد من الأحكام اللازمة لهم في عباداتهم ومعاملاتهم وقد بدئت السورة بإثبات القرآن من عند الله ليكون تمهيدا لبيان زوال فساد ذلك الشغب الذي قام في أمره وفي أمر النبي ﷺ».

(البقية على ص ٦٤٢)

من هدى رسول الله :

مسئولية الإيمان

للأستاذ أبو الوفا المراغى

[عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ:
لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية]
(أخرجه البخارى فى كتابى الحج والجهاد)

فى هذا الحديث النبوى بعض الواجبات التى تقتضيها مسئولية الإيمان بالعقائد والأفكار ، وقبل أن نتحدث عنها ينبغى أن نشير إلى أن الدعوة الإسلامية دعوة إصلاحية شاملة لجميع البشر ولسائر نواحيهم البشرية الاعتقادية والعملية لتطهيرها من أسباب الزيغ والضلال والفوضى والانحلال لهذا تسابق إليها ذوو القلوب السليمة والفطر المستقيمة والوجدانات النبيهة فآمنوا بها والتفوا حول صاحبها والتزموا مسئولية ذلك الإيمان وما يقتضيه من تضحيات بالأنفس والأموال والأهل والأوطان .

وقد تعرضت الدعوة الإسلامية وتعرض المؤمنون بها لتجارب قاسية سنين طويلة قبل أن يصلب عودها ويستمكن بناؤها وذلك شأن الدعوات الإصلاحية على امتداد التاريخ وفى كل مكان كما قص الله علينا فى كتابه الكريم معزيا لرسولنا عما يلقاه من قومه ومن الجاحدين لدعوته حيث قال : « كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود ، وعاد وفرعون وإخوان لوط ، وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد » .

ولقد تنبأ ورقة بن نوفل — وهو الخبير بعلمه وتجاربه — أول بشائر النبوة بما سيلقى محمد ﷺ فى مستقبله من الأذى والعنت حين أخبره بما وقع له مع جبريل فقد قال له ورقة . ما جاء رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى وإن يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا .

وليس لمسئولية الإيمان حدود تحصرها أو غايات تقف عندها لأنها تختلف باختلاف الظروف والأحوال وباختلاف المواقف وما يحتمه كل موقف منها، ويمكن إجمالها في أنها الاستعداد الكامل في عزيمة صادقة لبذل كل ما في طوق المؤمن أن يبذله في سبيل إيمانه والدفاع عنه ودعمه وتأييده وحياطته من الفتنة فيه والتنصل منه.

ولقد اجتاز محمد والمؤمنون به تجارب الامتحان في دعوته. وهي أشد ما تكون فظاعة وقسوة - بنجاح مذهل جرى في التاريخ مجرى الأمثال في الصبر والصمود والاحتمال، وكان أولى التجارب الجماعية القاسية التي واجهتها الدعوة وواجهها المؤمنون تجربة الهجرة من مكة إلى غيرها من البلاد فراراً بالإيمان من نكسة الارتداد تحت ضغط ظروف الاضطهاد والتنكيل والترغيب والترهيب حين لم تكن هناك سلطات شرعية عامة تكف الظالم وتحمي المظلوم وتكفل حرية الرأي والعقيدة، بل كان الأمر للقوة، وللقوى أن يفعل بالضعيف ما شاء فلم يكن سبيل إلى النجاة من الأذى والاحتفاظ بالإيمان إلا الهجرة المستترة في ظلام الليل ومتاهات الطرق.

ولا شك أن الهجرة محنة من أشد ما تمتحن به النفس البشرية، فهي تشريد بعد استقرار ومخافة بعد اطمئنان، وتعرض للجوع والحرمان وتخل عن المال والسكن والمناخ والبيئة والوطن وكل من ذلك كاف أن يثني عزم البطل ويذهب بعقل اللبيب.

ولقد تمثلت قسوة هذه المحنة في موقف وداع الرسول لمكة فحين تأهب للخروج منها نظر إليها في أسى وقال: والله إنك لأحب بلاد الله ولولا أن قومك أخرجوني منك ما خرجت.

ولكن تلك القسوة لم تهن من عزم المسلمين ولم تنل من تصميمهم وتحملوا تجربة الهجرة استجابة لمسئولية الدعوة ومسئولية الإيمان بها وهانت عليهم أموالهم وأهلوهم وأوطانهم وهاجر جماعة منهم هجرتهم الأولى إلى الحبشة رجالا ونساء وكان منهم أغنياء يعيشون بأموالهم وخدمهم في دعة ورفه ولكن لم يبالوا هذا العيش وآثروا الهجرة وما عسى أن يتعرضوا له من مشاق وآلام على البقاء في ديارهم وعيشهم متعرضين للفتنة في إيمانهم وعقيدتهم.

ومنذ ذاك صارت الهجرة واجبة على المسلمين فكانت الهجرة إلى المدينة واحتملوها صابرين وبادروا إليها متسابقين التماسا لرضا الله وابتغاء مثوبته وظلت الهجرة من مكة إلى المدينة واجبة إلى أن فتح المسلمون مكة وأصبحت مثابة أمن واستقرار لا يخشى المسلمون فيها أذى ولا يلقون ضيما وحينذاك أعفى الإسلام المسلمين من واجب الهجرة من مكة إلى المدينة بقوله ﷺ : لا هجرة بعد الفتح . ولكن بقى واجب الهجرة من مكان يلقى المؤمن فيه أذى أو حرجا فى دينه وممارسة شعائره — قائما لم يعف المسلمون منه .

وفى الوعيد على التهاون فى واجب الهجرة والتخاذل عنه قال الله تعالى : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا » .

وفى فضل الهجرة قال الله تعالى : « ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفوراً رحيما » .

وفى فضل المهاجرين قال الله تعالى : « للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون » .

وفى الحديث عن الهجرة وأنواعها وأحكامها يقول العلامة الخطابى :

كانت الهجرة على معنيين : أحدهما أنهم إذا أسلموا وقاموا بين قومهم أوذوا فأمروا بالهجرة إلى دار الإسلام ليسلم لهم دينهم ويزول الأذى عنهم . والآخر الهجرة من مكة لأن أهل الدين بالمدينة كانوا قليلا ضعيفين وكان الواجب على من أسلم أن يهاجروا إلى رسول الله ﷺ ، لكن أن حدث حادث استحباب لهم فى ذلك فلما فتحت مكة استغنى عن ذلك إذ كان معظم الخوف من أهلها فأمر المسلمون أن يقيموا فى أوطانهم ويكونوا على نية الجهاد ومستعدين لأن ينفروا إذا استنفروا .

ويقول العلامة رشيد رضا فى حكم الهجرة فى هذا العصر :

وقد اختلف الفقهاء فى حكم الهجرة

من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام فى مثل عصرنا هذا ويؤخذ من هذا وجوب الهجرة فى عهد التشريع أنها تجب بمثل تلك العلة فى كل زمان ومكان فلا يجوز لمؤمن أن يقيم فى بلاد يفتن فيها عن دينه بأن يؤذى إذا صرح باعتقاده أو عمل بما يجب عليه وإن كان حكام تلك البلاد من صنف المسلمين، ومن ذلك أن لا يقدر المسلمون على التصريح قولا وكتابة بكل ما يعتقدون ولا يتمكنوا من القيام بفريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى المجمع عليه منهما.

ذلك هو الوجب الأول من الواجبات التى تقتضيها مسئولية الإيمان وللعاد إليه بقوله : لا هجرة بعد الفتح.

أما الواجب الثانى مما تضمنه الحديث فهو واجب الجهاد لحماية الدعوة فالجهاد فى سبيلها فرض محتوم على المسلمين إلى إلى يوم القيامة لأن كيان الأمة ووجودها وبقاء الدعوة وحرية الاعتقاد لها وممارسة شعائرها، كل ذلك منوط بهذا الفرض، لذا اعتده الإسلام من أهم أركان الدعوة وقرنه بالصلاة والزكاة بل قرنه بالإيمان مباشرة وذكره تاليا له ومن آيات القرآن الكريم التى جاءت منها فريضة الجهاد مقرونة بالإيمان وتالية له قوله تعالى : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون ».

وقد أفاض القرآن فى الحديث عن الجهاد وعن حتميته وفضله وثوابه وحقيقته وبين أنه ليس السخاء بالنفس فحسب بل هو السخاء بالنفس وللمال والولد والمشورة والرأى والكلمة وبكل وسيلة إلى نصرة دين الله وحياطة أوطان المسلمين وتوفير أمنها واطمئنانها وقد نهجت السنة النبوية منهج القرآن فى الاهتمام بالجهاد والتنويه بشأنه وشأن المجاهدين وبيان منازلهم ودرجاتهم . ومن حديث النبى ﷺ فيما أخرجه النسائى : أنا زعيم لمن آمن بى وأسلم وجاهد فى سبيل الله ببيت فى ربض الجنة « أى ما حولها خارجا عنها » وببيت فى وسط الجنة وببيت فى أعلى غرف الجنة فمن فعل ذلك لم يدع للخير مطلبا ولا من الشر مهربا يموت حيث شاء أن يموت.

والآيات والأحاديث فى أمر الجهاد لا تكاد تحصر وقد عنى بها المسرود

والمحدثون والفقهاء واستفرغوا جهدهم في شرحها واستنباط مراميها وما تنطوي عليه من حكم وأحكام.

ومما ينبغي التنبه له في حديثنا هذا قوله ﷺ في تأكيد أمر الجهاد : وإذا استنفرتم فانفروا. يعني إذا دعيتم إلى قتال أعدائكم وأعداء دينكم فلبوا الدعوة وأجيبوا الداعي ولا تتثاقلوا ولا تتباطئوا. وهذا الأمر للوجوب يؤكد ذلك قوله تعالى : « انفروا خفافاً وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون »

والتهاون في أمر الجهاد والتخاذل عنه وهو قادر عليه مستوجب لغضب الله تعالى وعذابه لقوله سبحانه : « إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير ». ولقوله ﷺ فيما رواه مسلم : (من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق).

والواجب الثالث الذي أشار إليه الحديث مما تستوجبه مسئولية الإيمان : النية في قوله ولكن جهاد ونية وقد فسرها المحدثون بأنها نية الخير للمسلمين ، والخير اسم جامع لكل مفيد مرغوب فيه ومجاله واسع لا حدود له وكل ما أفدت به نفسك أو غيرك وأدخلت به السرور على مغموم أو مهموم فهو خير، فبذلك مالك لتفريج ضوائق المسلمين خير ، وبذلك جاهك وشفاعتك للوصول إلى الحق خير وإتقانك عملك خير ، وعدلك بين الناس خير وبرك بأهلك خير ، ووقوفك إلى جانب الحق خير ، وتعلمك خير ، وتعليمك الناس خير . وهكذا مما لا نهاية له من أنواع الخير هو واجب على المسلم . وقد يضبط أنواع الخير أن نأمر في ذلك بكل ما أمرنا به الإسلام وننتهي عما نهانا عنه ، فهو لا يأمر إلا بمعروف وخير ولا ينهى إلا عن منكر وشر ؟

أبو الوفا المراغي

"العيد" فى مفهوم الإسلام

للأستاذ أنور الجندى

جاء الإسلام تصحيحاً لكل المفاهيم الإنسانية : اجتماعية وسياسية ، وكانت نظرته أساساً هى النظرة الشاملة الكلية ، القائمة على الترابط بين الروح والمادة ، والعقل والقلب ، والدنيا والآخرة ، مع الوسطية وفق أسلوب الفطرة التى فطر الله عليها الناس جميعاً ، ومنحاً للنفس الإنسانية حقها من متاع الحياة فى اعتدال وتوازن ، يحفظ للإنسان كرامته وقواه ، ويرقى به فوق معالم الضعف والانحراف جميعاً .

ولقد كانت الأعياد فى تاريخ البشرية مرتبطة بأمرين :

أولهما استجداء الطبيعة واسترضاؤها لترسل الربيع والماء والزرع بدلا من الشتاء والقحط . والآخر استرضاء الأرواح الشريرة المخيفة الخارجة من المفاوز فى قلب الأرض ، ومن أعماق البحار الهائمة تفتش عن فريسة بشرية .

وكان هذا الاسترضاء يتم على نحو مغرق فى السرف فكان يقوم على أساليب مختلفة منها الذبيحة والقربان ، ومنها الطواف حول شجرة على أنغام الصنوج والطبول والمزامير وفى الأيدى أسواط يضربون بها أجسادهم حتى تدمى ، ومنها إقامة الولائم التى يذبحون فيها حيوانا يشتركون فى أكل لحمه أو شرب دمه ، ويرافق ذلك جو مغرق فى الإباحة والبغاء يرتبط فى فلسفاتهم بالخصب والإنتاج والخلاص من الشر والبؤس .

وقد تنوعت مظاهر هذه الأعياد وأساليبها فمنذ الإغريق أعياد «ديونيوس» إله الخمر ، الذى تصوره الأسطورة وهو يجوب العالم الغربى ليعلمهم تربية الكرمة وشرب الخمر ، وهناك أسطورة «برسيفونية» التى تخرج إلى العالم فى الربيع فيعود الخصب والنماء ، فإذا ذهبت جاء القحط والشتاء .

وقد حفلت الوثنية اليونانية بالأعياد المغرقة فى مظاهر الرسوم والتصاوير والموسيقى والبخور والشموع والأطعمة المذوقة والإسراف فى الخمر والرقص والإباحة .

وفى الجاهلية العربية كانت الأعياد قريبا من ذلك ، فهى مرتبطة أيضا بإرضاء الأصنام بالذبائح وشرب الخمر والرقص والمباهاة ، وكان أبرز هذه الأعياد عيدى « النيروز والمهرجان » .

وكان المجتمع الجاهلى يقوم على عقائد وثنية قوامها الكهانة والعرافة ، أما الكهانة فهى مختصة بأمور المستقبل ، أما العرافة فتتصل بأمور الماضى .

وكان هناك زجر الطير وضرب الحصى وخط الرمل والاستقسام بالأزلام . وتختلف الوثنية العربية عن الوثنية الاغريقية فى أنها وثنية ساذجة ليست عميقة الجذور وإنما جاءت نتيجة الانحراف عن دين إبراهيم : دين التوحيد .

يقول هشام بن الكلبى : إن الذى سلخ بالعرب إلى عبادة الأوثان ، أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن إلا احتمل معه حجرا من حجارة الحرم ، تعظيما للحرم وصبابة بمكة فحيثما حلوا وضعوه ، وطافوا به كطوافهم بالكعبة ، ثم سلخ بهم ذلك إلى أن عبدوا ما استحبوا ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين ابرهيم واسماعيل غيره فعبدوا الأوثان وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم من قبلهم وانتجثوا (أى استخرجوا) الأصنام الخمسة التى عبدها قوم نوح عليه السلام فعبدوها » .

وهذه الأصنام هى ود (على صورة رجل وسواع (على صورة امرأة) ويغوث (على صورة أسد) ويعوق (على صورة فرس) ونسر (على صورة نسر) فكانوا إذا حزبهم أمر قربوا إلى هذه الآلهة . من الأصنام والأوثان (والصنم غالباً ما يكون تمثالا أما الوثن فيكون حجرا) .

وقد عبد العرب الأحجار والحيوان وعبدوا تمثال الإنسان (اساف ونائله) وعبدوا اللات والعزى ، وعبدوا النجوم كالشمس والمشترى والشعرى .

وكانت الآلهة العامة منصوبة فى الكعبة يحجونها وينذرون لها ويذبحون عندها ذبائح يسمونها (عتائر) وواحدها عتيرة . وكان فى الكعبة عند فتح الإسلام لها ثلاثمائة وستون صنما — على ما يروى الزمخشرى — وكان أعظمها عند القرشيين (هبل) وكان من عقيق أحمر على صورة إنسان مكسور اليد اليمنى وقد صنعتها قريش من الذهب الخالص ، وفيما يرويه

ابن إسحق وغيره ، أن قريشاً كانت تجتمع فى أيام أعيادهم حول هذا الصنم يعظمونه وينحرون له ويطوفون به ويشربون الخمر ويرقصون .

* * *

فلما جاء الإسلام تحرر معنى العيد من كل هذه الصور الوثنية وصار مهرجانا كريما متجهاً إلى الله وحده ، فقد هدم الإسلام الأصنام ودعا إلى (عقيدة التوحيد) ، وآمن معتنقوه بأن الله وحده هو باعث الغيام والمطر ، والرزق والعطاء ، وأنه هو الذى يؤمن الناس من كل خوف ، خوف الظلام والليل الطويل ، وألغى الإسلام مفاهيم الأرواح الشريرة الهائمة التى تخرج من الأرض أو تنبعث من البحار ، تبحث عن فريسة ، فالأمر كله لله ، فهو الرزاق ، وهو الحافظ ، كما ألغى الإسلام البغاء ، والوأد ، والخمر ، والميسر ، كما أبطل العرى فى الطواف . كما قضى على الكهانة والعرافة ، وأنكر كل هذه الطقوس وهدمها هدماً ، وعندما دخل الرسول الكعبة بعد فتح مكة أمر بتحطيم الأصنام ، وأرسل من حطم الأصنام فى مختلف أنحاء الجزيرة .

وبالجملة فقد عارض الإسلام هذه النظم وألغاها وأحل بدلا منها « الإيمان بالله وحده » بعيداً عن كل هذه المظاهر والتهاويل فجاءت أعياد الإسلام بسيطة نقية : قوامها التوجه إلى الله وحده ، والالتقاء بين أبناء المجتمع الواحد ، فى المسجد بيت الله ، وربط الإسلام بين العيد وبين تلك المحبة والأخوة ، وبين الإنفاق والصدقة والإحسان ، وأداء الزكاة التى هى فريضة يؤديها كل قادر ويتقبلها كل محتاج ، وتكون للأقرب فالأقرب ، أهلا وجيرانا .

وبذلك حرر الإسلام مفهوم الأعياد من الطقوس والمراسم الغارقة فى الآثام والفاحشة وأعادها إلى اليسر والبساطة والسماحة التى تتفق مع الفطرة الإنسانية « ألا لله الدين الخالص » .

ولقد جاء الإسلام فوجد عند العرب يومين كانوا يلعبون فيهما ويلهون فأبطلها وأحل محلهما يومى الفطر والأضحى .

* * *

ويتمثل مهرجان العيد فى مفهوم الإسلام : فى تلك الصورة الباهرة ، حين يخرج الناس إلى المسجد فى إشراقة الصباح ،

وأصواتهم تعلو بالتكبير على ذلك النحو الذى يهز القلوب المتجهة إلى بارئها .

« الله أكبر الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد » .

ويصور الرسول صلى الله عليه وسلم مهرجان العيد ويرسم له أجلى صوره :

« إذا كانت غداة الفطر ، يبعث الله ملائكته فيقومون على أفواه السكك ينادون بصوت تسمعه جميع الخلائق ، اخرجوا إلى رب كريم يغفر الذنب العظيم فإذا برزوا إلى المصلى : يقول الله تعالى : يا ملائكتى ، ما جزاء الأجير إذا عمل عمله فتقول الملائكة : إلهنا وسيدنا ، جزاؤه أن يوفى أجره ، فيقول تعالى : ياملائكتى : أشهدكم أنى جعلت ثوابهم فى صيامهم وقيامهم رضاى ومغفرتى ، يا عبادى : سلونى . فوعزتى وجلالى لا تسألونى اليوم فى جمعكم هذا شيئا لآخرتكم إلا أعطيتكم ولا شيئاً لدنياكم إلا نظرت إليكم ، وعزتى وجلالى ، لأسترن عيوبكم ، ولا أفضحكم ولا أخزيكم ، انصرفوا مغفورين فقد أرضيتمونى فرضيت عنكم » .

وهكذا كانت تكبيرات العيد بمثابة تحرير وانطلاق من أغلال تلك الصورة الظالمة ، حيث دفع الإسلام الإنسانية حثيثاً نحو فطرتها ونحو كمالها ونقائها ، وحول مفاهيمها من الماديات المسرفة العنيفة ، إلى المعنى الإنسانى الأعلى تخلصها من غرور الملابس الزاهية والمآكل الناعمة والخمور والرقص والإباحة إلى طابع يغلب فيه الاتصال بالله الواحد الأحد ، ويمتد إلى الترابط الاجتماعى ، لقاءاً ومعايدة ، وصلة بين الغنى والفقير .

وقد ربط الإسلام الأعياد بأعمال عظيمة وجعلها ثمرة لها ، فربط العيد الأصغر بشهر رمضان وبفريضة الصوم . وربط العيد الأكبر بالتضحية ، وفريضة الحج الأكبر . وأوجب فيهما الزكاة والصدقة والتوسعة ، ولم يحرم فيهما زينة الله التى أخرج لعباده .

ولقد كان رسول الله ﷺ حريصاً على أن يشهد مهرجان العيد فى المسجد مختلف عناصر الأمة ، تقول أم عطية : أمرنا النبى ﷺ أن نخرج فى العيدين : العواتق وذوات الخدور ، فكانت تخرج المخبأة والبكر ، حتى الحائضات كن يخرجن فيقفن خلف الناس يكبرن مع الناس ،

وأباح الإسلام فى الأعياد : من أمور الفرح جارية تلعب بدف ، أو رجال يلعبون بالسيوف أو بالدروق والحراب .

* * *

وبالجملة فلقد صحح الإسلام مفهوم العيد فحرره من الوثنية والإباحة ، وجعله توحيدا وتوجها إلى الله بالدعاء فى مهرجان المسجد « الله أكبر » وربطه بالجماعة إيصالا بعمل عظيم كالصوم أو الحج ، وامتدادا إلى الزكاة والإنفاق ، والتلاقى بين مختلف الطبقات فى مودة القلوب وفى متاع الحياة وبذلك أعاد الإسلام مفهوم « العيد » إلى الفطرة الإنسانية الأصيلة جامعا بين الروح والمادة والدنيا والآخرة ، محررا من الشر والإباحية نقيا خالصا لله ولله وحده ؟

أنور الجندى

(بقية المنشور على ص ٦٣٢)

ونحن نرى أن ما نص عليه الدكتور دراز قد بدأ أكثر تماسكا والتئاما مما نص عليه الأستاذ الصعيدى مع اتفاقهما فى بعض العناصر دون البعض مما يؤكد أن المسألة مسألة استنتاج ذاتى لا تحليل موضعى ! ولو أنهج لدارس ثالث يذهب مذهبهما فى وحدة الغرض بالسورة أن يلخص عناصر سورة البقرة لوافق فى شىء وخالف فى شىء ونحن نستريح من هذا العناء حين نعلن أن كتاب السماء لا يخضع لمنهج الأرضى فى التأليف .

وأن هذا الكتاب قد كان موضع الإعجاز والتحدى بين قوم عرفوا بالفصاحة ، وظلت له صدارته للمعجزة فى دنيا البيان على تناسل الأحقاب دون أن تخضع كل سورة منه لغرض معين ، بل كان تنوع الأغراض فى السورة الواحدة موضع روعة وإعجاب وتأثر وانجذاب ؛ وقد قال الله عز وجل عنه فى محكم آياته « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون » ؟

د . محمد رجب البيومى

دور الأزهر في الحركات الفكرية والثقافية

للدكتور عباس حلمي اسماعيل

انتهى الفاطميون إلى تأسيس خلافة علوية مستقلة باسم الدين، وبفضل انتسابهم إلى الرسول ﷺ [1] وكان بناء مسجد يجتمع فيه المسلمون للجمعة أول ما كانت ترمى إليه سياسة الحكام المسلمين، وخاصة عند تأسيسهم عاصمة جديدة لما يفتحونه من بلاد. ولم يكن الباعث على بناء المساجد مقصورا على الأغراض الدينية وحدها، بل شيدت لتكون مدارس، على اعتبار أن الدين هو الباعث الرئيسى على طلب العلم ونشره، ولتكون محاكم تفصل بين الناس بالعدل. ولما لم يكن من الممكن الفصل بين السياسة والدين في الإسلام، كان المسجد المكان الذى تذاع فيه الأخبار الهامة التى تتعلق بصالح المسلمين [2].

وما كاد جوهر الصقلى يضع أساس القاهرة حتى شرع فى بناء مسجد عظيم، يليق بمقام الخلافة المستقلة، والعاصمة الروحية لقطر كبير من العالم الإسلامى يتلقى الناس فيه عقائد المذهب الفاطمى، وينافس به العباسيين بالعراق، فى ميدان الثقافة، إلى جانب الدعاية والسياسة، وأقيمت الصلاة فيه أول مرة فى اليوم السابع من رمضان سنة ٣٦١ هـ (٩٧٢م) وأطلق عليه (الأزهر) تيمنا بفاطمة الزهراء ولأنه أكثر الجوامع فخامة ورواء، وتحيط به القصور الجميلة، وزينت مناراته بأفخر زينة، وأنيرت بالأنوار الساطعة فى المواسم العامة مما حدا بالمعز لدين الله إلى بناء منظرة فى قصره، ليشاهد منها هذه الزينات فأطلق عليها منظرة الجامع الأزهر [1].

ولم يلبث الجامع أن أصبح جامعة شيعية يتلقى فيها طلاب العلم ورواده المذهب الشيعى. وكان أول درس ألقى بالجامع فى صفر ٣٦٥ هـ (٩٧٥ م) عندما جلس على بن النعمان القاضى، وأملى مختصر أبيه فى فقه الشيعة. ثم تلاه الأساتذة فى مختلف

---

[١] المقريزى : اتعاظ الحنفا بأخبار الخلفا.

(2) Margoliouth: Cairo, Jerusalem and Damascus. p. 40

[١] حسن إبراهيم : الفاطميون فى مصر.

العلوم والفنون كالمنطق والرياضيات والفلك والطب ، حتى أصبحت جامعة الأزهر نبراسا للجامعات الإسلامية .

وعمل الفاطميون على اجتذاب طلاب العلم إلى جامعتهم ، من كافة أرجاء العالم الإسلامى ، من الصين إلى المحيط الأطلنطى بما يقدمونه إليهم من المأكل والمسكن وكل ما يوفر لهم أسباب الراحة من غير أجر وأغدقوا على الأساتذة المنح والهدايا وخلعوا عليهم الخلع النفيسة فى الأعياد تقديراً لعلمهم ، فى وقت عم فيه الرخاء والتسامح الدينى ، كما يقول المستشرق رينى دوسو[1] . ولعل أسمى المنح ، هى التى أذن بها الخليفة الحاكم سنة ٤٠٠ هـ (١٠٠٩م) فى وقفية خاصة بالأزهر وبعض مساجد القاهرة ، رصد فيها رباعا تغل أموالا كثيرة . وجاء فى الوقفية : « للجامع الأزهر ... فى هذا الإشهاد الخمس والثمن ونصف السدس ونصف التسع ....من المعين المعزى الوازن ألف دينار وأحد وسبعة وستون دينار وثمن دينارا[2] » .

(1) Hist. et Religion de Nosairis.

[٢] المقريزى : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ج ٢ ص ٢٧٣ — ٢٧٤ .

وتعددت أروقة الأزهر ، فمنها رواق الصعايدة ، ورواق الدكارنة (الدارفورية) ورواق الجاوة ، ورواق السليمانية الأفغان ورواق للمغاربة ، ورواق السنارية ورواق الأروام (الأتراك) ورواق الفشنية ورواق الشراقوة ، ورواق الحنابلة[1] .

وفتح الأزهر أبوابه للطلاب دون تمييز بين جنس أو لغة أو طبقة ، فكان ولا يزال مثلا طيباً فتعليم الحر ، ويعلق المستشرق لين بول على ذلك بقوله : « إن الحماس الذى كان صفة من صفات طلبة الأزهر ، يدل على الرغبة الصادقة فى العلم ، دون قصد الحصول على المكافآت ، أو اجتياز الامتحانات ، وذلك ما كانت تفتقر إليه الجامعات الأوربية »[2] . وبدراسة نظم الحياة فى الجامعات ، التى نشأت فى الغرب الأوربى ، فى أواخر العصور الوسطى ، يتضح الشبه الواضح بينها وبين النظم التى كان معمولا بها فعلا فى جامعة الأزهر ، وما نقل عنها من جامعات الأندلس وصقلية

[١] سليمان رصد : كنز الجوهر فى تاريخ الأزهر ص ٩٦ ، عبد الرحمن فهمى . الجامع الأزهر .

[٢] Lane-Poole : Hist. of Egypt in the Middle Ages — The Story of Cairo.

وجنوب إيطاليا . ولا يمكن أن يكون هذا التشابه وليد المصادفة ، فنظام المعيدين عرفه الأزهر منذ أمد بعيد ، ومركز الأستاذ في الجامعة ، وأثر مكانته العلمية في اجتذاب الطلاب إليه من الأقطار البعيدة ، كان أمراً مألوفاً في الأزهر قبل الجامعات الأوربية ، وأنواع الشهادات التي كانت تمنح لطلاب العلم الناجحين ، هي نفسها أنواع الشهادات التي عرفها الغرب الأوربي في أواخر العصور الوسطى بل إن بعض المستشرقين يؤكدون أن إجازة البكالوريا التي كانت تمنح المعيدين في أوربا ، وهي الشهادة التي لم تهتد المعاجم إلى تفسير اشتقاق اسمها ، إنما هي مأخوذة من شهادة « حق الرواية » المعروفة في الأوساط العلمية العربية الإسلامية .

وتوصل المفكرون المسلمون ، إلى أن البحث يجب أن ينحو نحوا تجريبياً يقوم على أساس الملاحظة والتجربة ، وعلى ذلك فإن القول بأن روجر بيكون هو مبتدع المذهب التجريبي قول بعيد عن الحقيقة ، ويقول بريفولت (Briffault) نقل بيكون أصول المذهب التجريبي من أساتذته العرب ولقنه لتلاميذه في غرب أوربا [1].

والواقع أن الأزهر سار في تعليمه على نظام الحلقات الدراسية ، التي كانت تتسع للبحث العميق والمناقشة البناءة ، وهذه الطريقة لا تزال الجامعات الأوربية والأمريكية محافظة عليها فيما يسمونه حلقة البحث (Seminar) وكان لطالب الأزهر الحرية في اختيار أساتذته والمواد التي يريد أن يتعلمها ، ولا تزال جامعة السوربون المتفرعة من جامعة باريس تتبع هذه الطريقة إلى الآن . وعني الأزهر بتربية طلابه تربية استقلالية ، فكان أساتذته يكلفون الطلاب بإعداد الدروس مقدما ، مما جعل موقف الطالب إيجابياً في تحصيل العلوم المختلفة . وفي سبيل تعويد الطلاب الاعتماد على النفس كان الأستاذ يقتصر على تدريس جزء من المادة ، يوضح فيه طريقته ومنهاجه ، ثم يترك بقية المادة للطلاب يستقلون بتحصيلها على ضوء ما درسوه مع أستاذهم ، كل على قدر استعداده العام وقدراته الخاصة وكان الطلبة يجلسون على الأرض ، أمام أستاذهم وعن يمينه وشماله ، في شكل نصف دائرة ممتلئة بهم ، يحتل الأستاذ مركزها على

[1] سعيد عاشور وزملاؤه ، مجتمعنا العربي ص ١١٩، ١٢٨، ١٢٩ ، الجامعات الأوربية في العصور الوسطى ، سيجريد هونكة . فضل العرب على أوربا

منصة مرتفعة من الخشب ممدودة إلى عمود من أعمدة الجامع، وهو ما يطلق عليه الآن الأستاذ صاحب الكرسي وحول كل عمود نشأت مدرسة للفكر الحر، لكل آراؤها وحججها [1].

وعلى عهد صلاح الدين، بدأت الدعوة من جديد للمذهب السنى، وقد أشار الشيخ صدر الدين بن درباس قاضى القضاة إلى ضرورة إقامة صلاة الجمعة فى مسجد واحد بالمدينة طبقاً للمذهب الشافعى ومن ثم أقيمت صلاة الجمعة بجامع الحاكم ولكن الأزهر ظل جامعة تدرس بها العلوم والدليل على هذا أن الرحالة عبد اللطيف البغدادى، عندما زار القاهرة سنة ٥٩٦ هـ (١٢٠٠ م) جلس فى الأزهر للتدريس، وألقى به محاضرات فى المنطق والطب، حسبما أورده فى كتابه «الإفادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة فى أرض مصر» وظلت صلاة الجمعة معطلة فى جامع الأزهر نحوا من قرن، إلى أن أمر الظاهر بيبرس بإقامة الخطبة فيه من جديد سنة ٦٦٥ هـ (١٢٦٦ م) ومنذ ذلك الحين أزهر الأزهر وأينع، وبخاصة بعد أن أحيا بيبرس الخلافة العباسية بالقاهرة، فوفد إليها كثير من من العلماء، ونشطت فيها الحركة الفكرية، وازدهر الإنتاج العلمى، وظهر عدد كبير من المؤلفات والبحوث فى مختلف العلوم والفنون ومن العلماء الذين وفدوا إلى القاهرة، فى عصر المماليك، العلامة بن خلدون، الذى تصدر للتدريس بالأزهر بعض الوقت [1]، ولقى الأزهر من المدارس الأيوبية والمملوكية منافسة شديدة، غير أنه صمد لمنافستها بقوة وعزم، لأنه امتاز بتاريخه المجيد، وشهرته العالمية، وتراثه التليد، وتنوع مستوياته، وتعدد علومه، فظل الجامعة الكبرى، ومركز الدعوة الإسلامية.

غير أن الأزهر أخذ يفقد مقامه العلمى العظيم فى العصر العثمانى، حين فقدت مصر استقلالها، واضمحل شأنها، كمركز من أقوى مراكز الثقافة الإسلامية، وبدأ على الأزهر إسراف فى المحافظة تبلغ مبلغ الجمود، من باب الدفاع عن النفس، الذى يلازم فترات الضعف والإحساس بالمحاصرة ولكن على الرغم مما اتصف به التعليم بالأزهر من ضيق وجمود، فإنه ظل يتصل بناحية هامة من حياة المتعلمين، وطائفة

[١] على عبد الواحد وافى : الأزهر :

[١] ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر

قوية متغلغلة فى النفوس، ولذا بقى له الأثر الروحى، فكان يطلب ويحترم قداته، وكانت الأسرة تفخر بأنها وهبت بعض أبنائها للأزهر، وحرص الكثيرون من طلابه على أن ينالوا منه بغيتهم، ثم يعودون إلى قراهم، فلا يبحثون عن وظيفة يستغلون فيها العلم استغلالا ماديا، بل يشتغلون بتجارة أو زراعة، ويعملون فى الوقت نفسه على إفادة الناس بعلوم فى المساجد، فيوجدون بذلك لونا من ألوان الثقافة بين طبقات الشعب فلا عجب إذا قيل إن فى هذا النوع من التعليم نواة التعليم الشعبى القومى، وكان للأزهر فى ذلك العهد فضل كبير فى مغالبة عوامل الانحلال والضعف والعجمة، وفى حفظ ما بقى من التراث العربى (١).

وما لبث الشعب العربى أن استيقظ من سباته على هدير مدافع بونابرت، الذى قاد الحملة الفرنسية سنة ١٢١٣هـ (١٧٩٨ م) فكانت صراعا بين ثقافتين، تبين العرب خلاله تخلفهم، فقال الشيخ حسن العطار: «إن بلادنا لابد أن تتغير أحوالها ويتجدد بها من المعارف ماليس فيها». ولقد قوى هذا الاتجاه أن المستنيرين من العرب كانوا يعرفون أن العلوم الطبيعية هى فى الأصل علوم عربية وأن اقتباسها ليس إلا استعادة العرب لشىء أسهموا فى عمله، وشاركوا فى امتلاكه، ولذلك يقول الشيخ رفاعة رافع الطهطاوى الذى يتصل نسبه بالسيدة فاطمة الزهراء: «خصوصا وأن هذه العلوم علومنا أخذها الغربيون عنا على الرغم من أنه ذهب فى بعثة علمية إلى فرنسا، حيث اغترف من معظم علوم أوروبا، ولما عاد ترجم المراجع إلى العربية، واختير ناظرا لمدرسة الألسن، فانتقى لها التلاميذ من طلبة الأزهر، وعنى بتثقيفهم حتى تخرج فيها نخبة من العلماء والأدباء، ممن أزدان بهم تاريخ النهضة العلمية والأدبية، وتولى رفاعة نشر عدة كتب عربية انتفع بها الأزهر، منها تفسير الفخر الرازى، والمقامات الحريرية، ونهاية الإيجاز فى سيرة ساكن الحجاز، ﷺ. ثم قال المؤرخون الفرنسيون من أمثال سدليو: إن العرب كانوا فى القرون المتوسطة مختصين بالعلوم من بين سائر الأمم، وانقشعت بسببهم سحائب البربرية التى امتدت على أوروبا. ولقد ثبت عنه تاما صنعه العرب واخترعوه رجحان عقولهم فى ذلك الوقت وهذا حجة على أنهم أستاذتنا ومعلمونا (١)

[١] عباس حلمى: تطور التعليم فى مصر. القاهرة ١٩٥٦

[١] أبو الفتوح رضوان: القومية العربية ص ١٣٢ - ١٤٣

وفصلا واصل شيوخ الأزهر الاهتمام بالعلوم ، فاهتم الشيخ أحمد الدمنهوري بعلوم النبات والحيوان والمعادن والطب والتشريح والفلك ، وألف الشيخ حسن العطار في تقويم البلدان والطب . وتقدم الشيخ مصطفى العروسي بلائحة لتنظيم الأزهر، ووجوب تدريس العلوم الحديثة فيه وصدر على عهد الشيخ محمد المهدي العباسي اللائحة المعروفة باسمه سنة ١٢٨٨ هـ (أول فبراير سنة ١٨٧٢ م) التي تنص على ألا يجوز لأحد أن يتصدى للتدريس في الأزهر، إلا إذا كان قد انتهى من دراسة كبار الكتب في إحدى عشرة مادة وهي : التفسير والحديث والأصول والتوحيد والفقه والنحو والصرف والمعاني والبيان والبديع والمنطق ، واجتاز بنجاح في هذه المواد امتحانا ، على يد لجنة يرأسها شيخ الجامع الأزهر نفسه ، ويتألف أعضاؤها من اثنين من علماء الحنفية واثنين من علماء المالكية ، واثنين من علماء الشافعية وينضم إليهم عضو من علماء الحنابلة ، إذا كان الممتحن حنبلي المذهب . وتقسم اللائحة الناجحين إلى ثلاث درجات : فتمنح الدرجة الأولى وكسوة التشريف لمن أرضى الممتحنين في جميع المواد أو معظمها ، وتبين أن لديه كفاية كبيرة لتعليمها . وتمنح الدرجة الثانية لمن أرضى الممتحنين في معظمها ، وتبين أن قدرته لا تساوي قدرة صاحب الدرجة الأولى

وتمنح الدرجة الثالثة لمن أرضى الممتحنين في بعضها دون غالبها ، وله قدرة يقتدر بها على فهم وتفهيم هذا البعض . ويرسب من لم يرض الممتحنين ، في أية مجموعة يعتد بها من هذه المواد . ويجوز لأصحاب الدرجتين الثانية والثالثة ، أن يعيدوا امتحانهم فيما بعد ، لنيل الدرجة الأولى وكسوة التشريف . وتنص اللائحة بألا يتقدم لهذا الامتحان، في العام الواحد، أكثر من ستة طلاب ، فإن زادوا على ذلك ، نظر الشيخ في موجبات الترجيح ، كالشهرة أو الوجاهة أو سبق التاريخ أو كبر السن[1] .

ومنذ أن عين الشيخ محمد عبده ، عضوا في مجلس إدارة الأزهر في رجب ١٣١٢ هـ (١٨٩٥ م) نهض بالتعليم فيه ، ليتخرج العلماء المتحررون ، الذين يردون الدين

---

[١] علي عبد الواحد وافي : الأزهر .

الإسلامى إلى جوهره الأصلى ، اجتهد هو وأستاذه جمال الدين الأفغانى ، فى بيان أن الإسلام دين يصلح لجميع الأزمنة . وقد حرص الشيخ محمد عبده على كشف هذه الحقيقة للافرنج ، الذين لم يفهموا الإسلام وردوا إليه سبب تخلف الشعوب الشرقية وصرف همه إلى إثبات أنه لا تعارض بين الإسلام فى صورته النقية وبين العلم الحديث

والواقع أنه قد تخرج فى الأزهر ، جامعة القاهرة المعزية ، على تعاقب العصور كثير من زعماء الإصلاح ورواه الفكر الإسلامى ، الذين أيقظوا شعوب الشرق ، ورفعوا كلمة الإسلام ، ووثقوا عرى الوحدة بين أبنائه بإرشادهم إلى وسائل التراحم والتعاطف وهو إذ يستمسك بتراثنا الروحى ، يعتبر دعامة من دعائم الصمود أمام التيارات الفكرية ، التى حاولت أن أن تنخر فى كيان الأمة العربية ، وهو بماله من تاريخ مجيد ، وفى ظل قانونه الجديد ، قادر بأجهزته المتعددة على النهوض بالثقافة الدينية مستقاة من منابعها الأصلية فى عصور الازدهار والقوة فإليكم احتفالنا بعيده الألفى احتفالا يليق بأعرق جامعات العالم المعاصر !

عباس حلمى إسماعيل

قال الله تعالى :

« إذا جاء نصر الله والفتح ، ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا ، فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا » .

العمل بين الدين والحياة

للأستاذ محمد كمال الدين

— ٢ —

حين يحض الإسلام على العمل ، ويقرره أساساً من أسس السلوك الاجتماعي ، فإنه يضع له القواعد التي يقوم عليها ، والشروط الواجبة في العامل وصاحب العمل على السواء ، ومسئولية كل منهما ، ويصف لهما الحقوق والواجبات ، ثم يشترط في العمل نفسه أن يكون متناسبا مع طاقة العامل وقدراته الذهنية والبدنية ، وأن يكون الأجر متكافئا مع ما يبذله العامل من جهد ، وقد أخذت جميع القوانين العمالية في مختلف الدول قواعدها وأسسها من هذه المبادئ الإسلامية وإن اختلفت أشكالها ومسمياتها .

فمن الشروط التي وضعها الإسلام لاختيار العامل أن يكون كفؤا لهذا العمل ، وذلك بأن يكون قادراً من حيث الخبرة والقوة على ممارسته ، وأن يتعلمه أولا ثم يحترفه إلى أجاد فهمه ، وأن يكون أميناً في أدائه فلا يهمل ولا يقصر ولا يخون ، فإذا أدى العامل عمله بأمانة كاملة ، كان ذلك مجلبة لرضائه عن نفسه ورضاء صاحب العمل — أو متلقى هذا العمل — عنه ، وكان مدعاة لوضع الثقة فيه ، ومن ثم لاستمراره في هذا العمل وزيادة كسبه منه .

وتتبع صفة الأمانة صفة الدقة ، بأن يؤدي العامل عمله كاملا لا ينقص وقد يزيده ، وكذلك صفة العفة ، فلا يطمع في زيادة لا يستحقها ، ولا يستغل عمله في الإضرار بغيره أو تضليله عن الصواب .

أما رب العمل فمن حقه اختيار العامل المناسب للعمل الذي يكلفه به ، فكل ميسر لما خلق له ، فإذا رأى منه القدرة على القيام به أصبح مسئولا عنه « ولتسئلن عما كنتم تعملون » النحل ٩٣ ، « إن الله بما تعملون بصير » البقرة ١١٠ ، « وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا » النساء ١٢٨ .

وفى مقابل توافر هـذه الشروط فى العامل ، يكون جزاؤه عنـد الله أولا ، ثم فى الدنيا بأن يأخـذ الأجر المكافىء لجهده ، أما الجزاء عند الله « فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم » الحج ٥٠ ، « ويزيدهم من فضله » النور ٣٨ ، « إنا لا نضيع أجر من أحسن عمـلا » الكهف ٣٠ ، « وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم » آل عمران ٥٧ ، « سندخلهم جنـــات » النساء ١٢٢ ، « كانت لهم جنات الفردوس نزلا » الكهف ١٠٧ ، « ولنكفرن عنهم سيئاتهم » العنكبوت ٧ ، « ولندخلنهم فى الصالحين » العنكبوت ٩ ... الخ .

وهـذا الجزاء أو الأجر هو فى مقابل العمل « ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون » الأحقاف ١٦ .

أما فى الدنيا فيوجه الله سبحانه وتعالى الخطاب إلى أصحاب العمل : « ولا تبخسوا الناس أشياءهم » (الأعراف ٨٥) .. « ولهم أجر غير ممنون » (الانشقاق ٢٥) .

ومن أحاديث الرسول فى هذا المقام قوله : « اعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه » (رواه ابن ماجه) ، ويقول أيضاً : « ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بى ثم غدر ، ورجل باع حراً فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيـرا فلم يوفه أجره » (سنن ابن ماجه ج ٢ ص ٤٠) ، ويختلف الأجر باختلاف نوع العمل .

ومن هنا كانت الرواتب والدرجات الوظيفية التى تعمل بها شتى الدول ، وكلها تراعى نوعية العمل ، ونوعية العامل فى نفس الوقت ، فالجاهل ليس كالمتعلم ، والضعيف ليس كالقوى ، والعمل الذهنى يختلف عن العمل اليدوى ، ولـكل عمل درجات ومتطلبات ينبغى توافرها فى العامل ومن هنا كان ما يسمى بالتوجيه المهنى وما يسمى بالتدريب أو الاختبار المهنى ، ولها قوانين وشروط محـددة تهدف فى النهاية إلى صالح العمل والعامل فى وقت واحد .

وكما يبين الإسلام واجبات العامل وشروط اختياره وجزاءه ، وكما يضع له حقوقه المادية ، فإنه لا يغفـــل حقوقه المعنوية ، كحقه فى تأمين راحته ، وفى ذلك يقول الرسول الكريم : « إن لنفسك عليك حقاً ، وإن لجسدك عليك حقاً .. »

ويقول أيضاً «ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم فأعينوهم» (رواه البخارى) ، ويقول أيضاً : «إن الله يحب الرفق ، ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف» (صحيح مسلم بشرح النووى) ، وفى القرآن الكريم قوله تعالى : «لا يكلف الله نفساً إلا وسعها» (البقرة ٢٨٦)[1] ، ومن هنا كان تحديد ساعات العمل حتى لا يرهق العامل نفسه ، أو يعطى أكثر مما يستطيع . وإلى جانب حق الراحة ، كفل الإسلام للعامل حق التأمين إذا عجز عن العمل أو تقاعد لبلوغه السن القانونية وعلى هدى ذلك وضعت قوانين التأمين والمعاشات ، ويروى عن خالد بن الوليد حين صالح أهل الحيرة — ومن بنود الصلح كفالة كل عامل ضعف عن العمل لكبر أو مرض أو كارثة — قوله : «وجعلت لهم أيما شيخ (أى عامل) ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنياً فافتقر ، وصار أهل دينه يتصدقون عليه ، طرحت جزيته ، وعيل من بيت مال المسلمين وعياله ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام» .. وتتفاوت هذه الإعالة من الدولة بحسب مقام العامل ووظيفته وطبيعة عمله ، والنظام فيها أن يأخذ كل إنسان بقدر ما أعطى ، على ألا يقل ما يأخذه عن حدود إعالته إعالة كريمة تحفظ عليه شيخوخته أو عجزه ،

ومن الطبيعى أن يكون للعامل أسرة يعولها فواجب القانون أن يرعى أفراد تلك الأسرة فى حياة عائلها وبعد وفاته أيضاً «فمن ترك مالا فلورثته ، ومن ترك ضياعا أو كلاً فليأتنى فأنا مولاه» (حديث نبوى رواه البخارى) ، ويقول أبو عبيد فى الأموال «الكل كل عيل والذرية منهم» ، فجعل الرسول الذرية فى المال (أى مال الدولة) حقا ضمنه لهم» ويروى عن عمر بن الخطاب ذلك تطبيقا لمبدأ ضمان الدولة لحياة العامل وذريته أنه خرج يوما إلى السوق ، فلحقته امرأة شابة ، فقالت «يا أمير المؤمنين هلك زوجى وترك صبية صغارا وما ينضجون كراعا ، ولا لهم زرع ولا ضرع وخشيت عليهم الضبع وأنا ابنة خفاف بن أيمن الغفارى ، وقد شهد أبى مع رسول الله الحديبية» فوقف معها عمر ولم يمض

---

[1] انظر أيضا «الإسلام دين الفطرة والحرية الشيخ عبد العزيز جاويش — كتاب الهلال لعدد ١٨١ ص ٦٢

وقال « مرحبا بنسب قريب » ثم انصرف إلى بعير ظهير كان مربوطا في الدار فحمل عليه غرارتين ملأهما طعاما وجعل بينهما نفقة وثيابا ، ثم ناولها خطامه فقال « اقتاديه فلن يفنى حتى يأتيكم الله بخير » (من سيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزي)

ولقد كان عمر يفقد للأرامل من أهل العراق وغيره حقهن في بيت المال مهما تختلف بهن الديار ، ويقول في ذلك أما لئن بقيت لأرامل أهل العراق لأدعهن لا يحتجن إلى أحد بعدي »[1] .

هكذا الإسلام دين حياة وعمل يشرع ويطبق ، يعدل ولا يظلم ، يعطى لكل ذي حق حقه ، يحمي العاجز والفقير يكفل الحياة للجميع ، يوصي بالحق ويأمر باتباعه ويحض على عمل الخير والتمسك به « أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى » (آل عمران ١٩٥) « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » (النحل ٩٧) والإسلام في تشريعه قدوة ومثل أعلى ، منه أخذت القوانين الوضعية وتشريعات العمل جميع خطوطها الأساسية ، وبها كانت الدولة الإسلامية في يوم من الأيام ، وعسى أن يعود قريبا من أعظم الدول قوة ومنعة ، وما ذلك إلا بالعمل الدائب في جميع المجالات والأمانة والأخلاص في تأدية هذا العمل فبهما تنهض الأمم ، وعليهما قامت وتقوم الحضارة الإنسانية . ؟

محمد كمال الدين

---

[1] فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، لابن حجر العسقلاني الجزء الرابع ، ص ٣٣٢ .

انتشار الإسلام في الرحاب

للدكتور حامد غنيم أبو سعيد

— ٥ —

في المقال السابق تناولنا بالتحليل بعض المظاهر التي تعكس لنا مدى ازدهار الإسلام في إقليم آذربيجان، ونواصل في مقال اليوم الحديث عن بقية هذه المظاهر، فنقول: إن من يدرس حركة انتشار الإسلام في هذا الإقليم يستطيع أن يتبين بجلاء ظاهرة هامة تعكس له الدرجة الكبيرة التي وصل إليها نمو الإسلام وازدهاره في الناحية الشرقية لهذا الإقليم، بل وفي غيرها من النواحي، تلك هي ظاهرة إنشاء مدن وقرى إسلامية بكل ما تحمل هذه الصفة من دلالة، إذ أن إنشاء مدينة أو قرية إسلامية كان يستلزم في الوقت نفسه إقامة جامع أو مسجد، وغير ذلك من المعالم العمرانية التي تعطي المدينة أو القرية الطابع الإسلامي.

ومدينة (ورثان) التي أشرنا إليها فيما سبق يقول عنها المؤرخون أمثال البلاذري [1] وابن الفقيه [1] وياقوت [2] إن نموها قد ارتبط بازدهار الإسلام.

وما يقال عن ورثان، وارتباط ظهورها وازدهارها بازدهار الإسلام في الشمال الشرقي لآذربيجان يقال أيضا عن كل من برزند وتبريز ومراغة، وكل من المدينتين الأخيرتين كانت عاصمة لإقليم آذربيجان في فترة من فترات التاريخ.

فعن برزند يقول ياقوت [3]: «كان أول من عمرها الأفشين [4]، وجعلها معسكراً له بعد أن كانت خرابة». وعن تبريز يقول البلاذري [5]: «وأما تبريز فنزلها الرواد الأزدي، ثم الوجناء بن الرواد،

[1] فتوح البلدان ٤٦٠ — ٤٦٥

[1] مختصر كتاب البلدان ٢٨٤

[2] معجم البلدان جـ ٥ — ٣٧٠

[3] المصدر السابق جـ ١ — ٣٨٢

[4] ومعروف أن الأفشين كان القائد الذي قاد القوات العباسية في مواجهة بابك الخرمي، وتحت قيادته نجحت القوات الإسلامية في هزيمة هذا المرتد وفي القضاء على حركته وذلك في سنة ٢٢٢.

[5] فتوح البلدان ٤٦٢ — ٤٦٣

وبنى بها وإخوته بناء ، وحصنها بسور ، فنزلها الناس معه » ، ومن المراغة يقول هذا المؤرخ : « وكان أهلها ألجأوها إلى مروان بن محمد فابتناها ، وتألف وكلاؤه الناس ، فكثروا فيها للتعزز وعمروها .

من هذه النصوص وغيرها يتضح لنا أن كثيراً من المدن والقرى الأذربية قد ارتبط ظهورها بازدهار الإسلام ، ومن الطبيعي والحالة هذه أن تعكس هذه المدن والقرى الروح الإسلامية ، كما أن إنشاء المدينة في حد ذاتها يعتبر دليلا عاديا على قوة ازدهار الإسلام .

ومعنى هذا أن آذربيجان تختلف في مدنها وقراها بعد أن انتشر فيها الإسلام عنها قبل انتشار الإسلام .

وتوجد بجانب ذلك مظاهر أخرى تفرق بين آذربيجان الإسلامية وآذربيجان المجوسية ، ولعل أبرز هذه الظواهر على الإطلاق هو طبيعة التركيب البشرى الجديد ، التركيب الذى امتزج فيه الدم العربى مع الدم الكردى امتزاجا كاملا ، حتى ليكاد الدارس أن يقول بأن انتشار الإسلام هناك قد اقترن به ظهور عنصر بشرى جديد ، عنصر يجمع بين أهم خصائص العنصر الكردى وأبرز سمات العنصر العربى .

ومظهر آخر يلاحظ الدارس أنه كان مصاحبا لحركة انتشار وازدهار الإسلام في آذربيجان ، ذلك هو انتشار اللغة العربية ، لغة القرآن والحديث ، دعامتى الدين الجديد ، وقد أخذت اللغة العربية تستوطن آذربيجان مع العناصر العربية التى استقرت بها ، ثم أخذت هذه اللغة تنتقل إلى الأكراد مع اعتناقهم الإسلام ومحاولة التعرف على تعاليمه .

ونخلص من كل هذا إلى القول بأن آذربيجان الإسلامية أصبحت تختلف عن آذربيجان السابقة ، لا من حيث المظهر العمرانى فحسب ، بل وأيضا من ناحيتى التركيب البشرى ، ولغة التخاطب التى تكون العقلية وأنماط التفكير . وهذه المظاهر كلها كانت تشكل وجها واحدا لعملة وجهها الآخر هو العقيدة الإسلامية .

* * *

وينتقل بنا الحديث إلى محاولة التعرف على جزئية أخرى لا شك أنها تثير فضول المهتمين بدراسة انتشار الإسلام ،

تلك هي المذاهب الخاصة بالمذاهب الدينية التي انتشرت في تلك البلاد.

وحول هذه الجزئية نستطيع أن نقول: إن المصادر التي بين أيدينا تشير إلى أن المذاهب السنية هي التي كانت سائدة في آذربيجان، يقول المقدسي عن مواطني إقليم الرحاب بصورة عامة [1]: «أهل سنة وجماعة». كما يقول عنهم أيضاً [2]: «ومذاهبهم مستقيمة إلا أن أهل الحديث حنابلة، والغالب بدبيل مذهب أبي حنيفة» ويؤكد المقدسي هذا المعنى حينما يقول [3]: «وأما علم الكلام فلا يقولون به، ولا يتشيعون، وكان بدبيل خانقاه، وعندهم معرفة بعلم التصوف».

والنصوص التي نقلناها عن المقدسي تصل بنا إلى حقيقة عامة تصور لنا الوضع المذهبي الذي كانت عليه آذربيجان حتى الحلقة التاسعة من القرن الرابع الهجري [4]، هذه الحقيقة هي أن المذاهب السنية كانت منتشرة هناك، وبجانب ذلك كانت توجد أيضاً اتجاهات صوفية معينة، أما التشيع فلم يكن له أنصار هناك.

هذه النتيجة العامة لها ما يفصلها بعض الشيء في مصادر أخرى، وعلى رأسها معجم البلدان لياقوت الحموي، فقد حرص هذا المؤلف في حديثه عن الأقاليم أو المدن أن يشير إلى أبرز العلماء الذين ينتسبون إليها، ففي حديثه عن ورثان يقول [1]: (ينسب إليها أبو الفرج عبد الواحد بن بكر الورثاني الصوفي). وفي حديثه عن أشنه وهي بلدة بآذربيجان، يقول [2]: (وإليها ينسب الفقيه عبد العزيز بن علي الأشنهي الشافعي). وفي حديثه عن أرمية وهي واحدة من أهم مدن آذربيجان يقول عن أحد علمائها [3]: (وكان شافعي المذهب) وفي حديثه عن خوى يقول عن أحد علمائها [4]: (روى عنه أبو القاسم عبد الله ابن محمد بن إبراهيم بن إدريس الشافعي وغيره).

---

[١] أحسن التقاسيم ٣٧٣

[٢] المصدر السابق ٣٧٨، ٣٧٩

[٣] المصدر السابق ٣٧٩

[٤] ألف المقدسي كتابه حوالي سنة ٣٨٥، انظر: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ج ٢ ص ٢

---

[١] معجم البلدان جـ ٥ ٣٧١.

[٢] المصدر السابق جـ ١ ٢٠٢، ٢٠٢.

[٣] المصدر السابق جـ ١ ١٥٩.

[٤] المصدر السابق جـ ٢ ٤٠٩.

هذه النصوص التى قدمها لنا ياقوت تؤكد لنا أن مذهب الإمام الشافعى كان واسع الانتشار فى إقليم آذربيجان .

وإلى جانب ذلك كان يوجد فى إقليم آذربيجان اتجاه قوى نحو رواية ودراسة الحديث ، ففى برزند كان يوجد كثير من المحدثين ، وكذلك الحال فى كل من تبريز وسلماس ، ومراغة ومرند[1] .

والذى نود أن نقوله هنا هو أن المذاهب السنية ورواية الحديث كانت متعمقة وأصيلة فى نفوس الأذربيين إلى الحد الذى لم تستطع معه بعض الاتجاهات الشيعية التى وفدت إلى الإقليم مع بعض التطورات السياسية أن تجد لها مكانا فى آذربيجان ، فقد حدث فى سنة ٣٣٠ أن استولى الديلم الشيعيون ، بقيادة المرزبان بن محمد ، الذى كان باطنى المذهب ، على آذربيجان[2] .

[١] المصدر السابق حـ ٢ ص ١٣ ، حـ ٣ ص ٢٣٩ ، حـ ٥ ص ٩٣ ، ١١٠ وقد أثبتت الدراسات الحديثة أن أصحاب الحديث كانوا يكونون مدرسة فقهية خاصة . ومن يرد المزيد عن هذا الموضوع فإنه يستطيع أن يطلع على البحث الذى حصل به الدكتور عبد المجيد محمود عبد المجيد على درجة الدكتوراه من كلية دار العلوم - جامعة القاهرة ، والبحث عنوانه ، الاتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث فى القرن الثالث » .

[٢] ابن الأثير حـ ٨ ص ٣٨٥ - ٣٨٨ ، دائرة المعارف الإسلامية ، مقال آذربيجان ، حـ ١ ص ٣٠ .

ولكن يبدو أن هذا التطور السياسى لم يخلف بصماته على الحياة المذهبية بين الأذربيين حتى ليكاد الدارس أن يقول : إنه بسقوط هذه الدولة فى أوائل الحلقة الثامنة من القرن الرابع الهجرى لم يعد للباطنية هناك أى أتباع .

بل إنه حتى فى عهد الدولة الصفوية (ابتداء من القرن العاشر الهجرى) التى يقال عن مؤسسها إنه من نسل الإمام موسى الكاظم[1] ، كان التشيع قليلا بين الأذربيين بصفة عامة وأهل أرمية بصفة خاصة .

ومهما يكن من أمر ، فإنه بعد ذلك أصبح يوجد فى آذربيجان الشيعيون بجانب السنيين ، وهذا ثابت ومؤكد من الدراسات التى قام بها كثير من الباحثين[2] .

ونتنقل الآن إلى معالجة النقطة الأخيرة التى تتصل بانتشار الإسلام فى آذربيجان ، وهى النقطة الخاصة بتوضيح درجات الاستجابة التى قوبل بها الدين الإسلامى من مختلف الطوائف هناك ، فقد سبق لنا أن قلنا :

[١] دائرة المعارف الإسلامية ، مقال : إسماعيل مؤسس أسرة الصفويين بفارس ، حـ ٣ ص ٣٦٤ .

[٢] دائرة المعارف الإسلامية ، مقال : أرمية ، حـ ٣ ، ص ٢٦ ، ٢٧ .

إن الديانة المجوسية هي التي كانت لها السيادة في آذربيجان وقت بداية انتشار الإسلام هناك ، وأنه كان يوجد بجانب المجوس نصارى ويهود ، فهل قوبل الدين الإسلامي بالاستجابة على مستوى واحد من أتباع هذه الديانات الثلاث ؟؟

لا يستطيع دارس أن يجيب بالإيجاب على مثل هذا التساؤل ، وإذا أردنا ترتيب أتباع هذه الديانات ، من حيث تقبلهم للدين الإسلامي واعتناقهم له ، فربما نضع المجوس في المقدمة، يليهم النصارى ، وأخيراً اليهود.

فالأغلبية الساحقة من الأكراد الذين اعتنقوا الإسلام كانوا قبل ذلك من أتباع الديانة المجوسية ، وتشير بعض المصادر التاريخية إلى إسلام بعض النصارى ، أما اليهود فلم يرد ذكر عن اعتناق أي منهم الدين الإسلامي .

والأخبار التي سبق إيرادها عن انتشار الإسلام بين الأذربيين تنصب في الحقيقة على المجوس منهم ، ويحسن بنا هنا أن نضع بين يدي القارىء الملاحظات التي عثرت عليها والتي تتحدث عن اعتناق بعض النصارى للإسلام .

والذي أود أن أشير إليه هنا ، هو أن مثل هذه الملاحظات نادر للغاية ، وذلك بشهادة المستشرق (توماس أرنولد) في كتابه الدعوة إلى الإسلام[1] . وقد نقل هذا المستشرق نقلا عن المؤرخ ابن العبرى ، أن (فيلوكزينوس) ، أسقف آذربيجان لليعقوبيين ، قد اعتنق الإسلام حوالى سنة ٣٦٠ه[2] ، ومن ثم فقد صب عليه مؤرخو الكنيسة لعنتهم، واتهموه بارتكاب جريمة خلقية[3].

وقد سجل ابن العبرى إسلام فيلوكزينوس بصفة خاصة لأنه يتصل برجل من كبار النصارى ، ويغلب على الظن أن كثيرا من عامة النصارى قد اعتنقوا الإسلام ، ولكن ذلك لم يسترع انتباه ابن العبرى ولا غيره من المؤرخين .

وفي الوقت الذي نجد فيه إشارة ، ولو واحدة ، عن اعتناق أحد كبار النصارى في آذربيجان للدين الإسلامي لا نجد شيئا من هذا القبيل البتة بالنسبة لأي من اليهود

ولا يعود ذلك إلى إهمال أو تغافل من من المؤرخين ، بل إنه تصوير للواقع ،

---

[١] انظر الدعوة إلى الإسلام ، الطبعة الثانية سنة ١٩٥٧ ، ص ١٠٤ — ١١٧ .

[٢] المصدر السابق ١٠٦ .

[٣] الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجرى ج١ ص٨١ .

فاليهود من قديم كانوا يؤثرون العزلة وعدم الاندماج مع أبناء الديانات الأخرى ، أي أنهم كانوا منغلقين على أنفسهم ، لا يسمحون لغيرهم أن يتسرب إلى مجتمعهم ولا يرضون لأي منهم أن ينفتح على المجتمعات الأخرى ، وها هو ذا الدكتور كرجول في دراسته عن سكان أرمية ، وهي إحدى مدن آذربيجان ، يقول : إن عدد سكانها كان ثلاثين ألف نسمة ، من بينهم ألف من اليهود يقطنون حيا خاصا بهم[1] .

وهذا الانطواء كون لدى اليهود نفسية شاذة غير قابلة للتفاعل مع الأفكار الجديدة ، وخاصة إذا كانت هذه الأفكار تمس الجوانب المتصلة بالعقيدة .

ونخلص من هذا إلى القول بوجود تفاوت كبير في درجات الاستجابة التي قوبل بها الدين الإسلامي من أتباع الديانات المختلفة التي كانت موجودة بآذربيجان ، وكانت أعلى درجات الاستجابة من قبل المجوس ، يليهم النصارى ، أما اليهود فلم يثبت عن أي منهم أنه استجاب لدعوة الإسلام .

عند هذا الحد نكون قد أتينا إلى نهاية الحديث عن انتشار الإسلام في آذربيجان ، وفي المقال التالي نبدأ في معالجة موضوع انتشار الإسلام في أرمينية الإقليم الثاني من أقاليم الرحاب .

د . ناصر غنيم أبو سعيد

[1] انظر مقال أرمية في دائرة المعارف الإسلامية جـ٣ ص ٢٩ .

قال الله تعالى :

« الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد »

(الزمر : ٢٣)

هكذا يكون الإيثار

للأستاذ محمد محمد الشرقاوي

قد يكون في القمة من الفضائل، وقد تنطوي تحته كل القيم الرفيعة .. هذا هو الإيثار الذي يقول فيه الفاطمي رضي الله عنه: «هو أن تترك حظك لحظ غيرك، اعتماداً على صحة اليقين، وإصابة لعين التوكل، وتحملا للمشاق في عون الأخ في الله .. على المحبة من أجله، وهو من محاسن الأخلاق، وزكيات الأعمال، وهو ثابت من فعل الرسول صلى الله عليه وسلم ومن خلقه المرضيّ ..».

ولعل الناظر بصفة عامة في جملة الأخلاق الشخصية أو الاجتماعية باستثناء الإيثار يجدها في أغلب وقائعها تضفي على المتصف بها مصالح وكمالات يستفيد منها شخصه قبل أن يستفيد غيره .. أو بمعنى آخر .. تكون نسبة العوائد المرتجاة أكبر له منها عند غيره سواء كانت مادة تكتسب .. أو فضيلة يتحلى بها .. وخذ لذلك الصدق مثلا: فالتاجر الصدوق الذي قال فيه الرسول عليه الصلاة والسلام: «إنه مع النبيين والصديقين والشهداء ..» — يفيده الصدق الدائم في ذاته أولا .. وفي مجتمعه ثانيا. فالمجتمع يجنى منه النصح والإرشاد. ويأمن جانب الغش والخديعة، ويوفر على نفسه مؤونة التحري والقلق والبلبلة. بيد أن العائد المادي والأدبي على هذا التاجر الصدوق أكبر حصيلة، وأوفر نتاجا ..

أما خلق الإيثار فيكاد يكون في تصوره وواقعه نقصا ملحوظا في جانب صاحبه وفائدة محققة في جانب الآخرين. ذلك لأنه يتخلى نهائيا عن حظوظه الشخصية، ويميت في نفسه رغبة الجمع والتحصيل من أجل ذاته .. اكتفاء بتحول التيار المصلحي نحو غيره، فهو يقنع بوصول الخير إلى الغير علما أو ظنا، ويجد فيه العوض كل العوض عما يبذله من ذات نفسه أو ماله أو جهده وجهاده ..

ولعل أبرز ما تتبلور فيه معاني الإيثار في أسمى إطار، هو الجهاد والمجاهدون، والفداء والفدائيون الذين يخوضون المعارك النضالية، ويحملون أرواحهم على أكفهم

وسط الحقول الملغومة، والأسلاك الشائكة والقذائف المدوية، والطلقات المرسلة . . فهم يكتبون بدمائهم معنى الإيثار، ويرسمون بحطام وقفزاتهم صورة الإيثار، وينفخون فى تلك الصورة بفنائهم روح الإيثار. انظر إلى عوف بن الحارث يوم بدر يقول : يارسول الله، ما يضحك العبد من ربه ؟ فيرد عليه النبي ﷺ : (غمسه يده فى العدو حاسرا . .) فيخلع درعه، ويقذف بها فى وجه الأعداء، ويخوض المعركة حاسرا من الدروع حتى يسقط على أرض الكرامة .

ومن وراء ذلك المنظار نشهد حمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء يوم أحد، وقد انبرى كالليث الهصور فى مقدمة الصفوف يؤثر على نفسه كل من وراءه من الجند، ويتقدم فى فدائية منقطعة النظير يحمل فى صدره ريقة ندامة، فيقتل أرطاة بن عبد شرحبيل، ويقتل عثمان بن أبى طلحة حامل لواء قريش، ويقتل سباع بن عبد العزى؛ ثم يهجم على قريش يفرق صفوفها، ويشتت شملها؛ حتى يتلقى حربة وحشى على حين غفلة ويمضى إلى ربه موفور العزة فى ركاب الخالدين .

واملنا نلمح قبسا من ذلك الإشراق المادى حين نسترجع حوادث غزوة (مؤتة) التى تقابل فيها المسلمون مع الروم، فقتل أميرهم زيد بن حارثة؛ فحمل اللواء عنه جعفر بن أبى طالب وخاض المعركة على فرس له شقراء وهو يقول :

يا حبذا الجنة واقترابها
طيبة وباردا شرابها
والروم روم قد دنا عذابها
كافرة بعيدة أنسابها
على إن لاقيتها ضرابها

وفى إبان المعركة قطعت يمين جعفر فأخذ اللواء بشماله فقطعت فاحتضنه بعضديه . . حتى شطروه نصفين؛ وأقبل المسلمون فى النهاية يعدون الضربات فيما بقى من جسمه فوجدوها تسعين ما بين طعنة رمح وضربة سيف؛ هذا هو الإيثار فى أسمى صوره، وأقدس معانيه؛ إذ الجود بالنفس أقصى غاية الجود، وأحق ما يصل إليه طلاب المجد والخلود .

على أن الإيثار قد يتخذ مسيرته المثالية على طريق القيم العليا . . حين يصوغ من المال عدته، ويسوق بين يديه البذل والعطاء وسيلة إلى غايته .

والإسلام حافل بصور الإيثار الناهرة في دنيا الأموال ، بقدر ما هو زاخر بها في عالم المهج والأرواح ، وهنا تتحدث الأخبار الصحيحة أن رسول الله ﷺ حمل إليه تسعون ألف درهم ، فوضعت على حصير ثم قام إليها يقسمها ، فما رد سائلا حتى فرغ منه ، فأي إيثار هذا ، وأية أنشودة تلك التي يتغنى بها الزمان على مسمع الجود والكرم ، حين لا يستبقى من هذا المال شيئاً لنفسه ، ويدفعه كله إلى غيره .. ولكن إذا عرفنا أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يستدين ليفك من المحتاج أغلال فاقته أدركنا إلى أي مدى تتحدد أبعاد خلق الإيثار في قول النبي وفعله على السواء : جاءه رجل يسأله . فقال له الرسول ﷺ « ما عندي شيء ولكن ابتع على فإذا جاءنا شيء قضيناه » فقال عمر : ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره النبي ذلك ، حتى قال أنصاري : يارسول الله أنفق ولا تخف من ذي العرش إقلالا فتبسم النبي وقال : (بهذا أمرت) ذكره الترمذي .

وعلى هذا الدرب الصاعد سار جمهرة الصحابة رضوان الله عليهم حتى تحدث القرآن الكريم في شأنهم ، منوها بآثرهم ، وممجداً مفاخرهم وذلك في قوله تعالى : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » ولعل أروع ما تشهد له تلك الآية الكريمة حادثتان : أولاهما : يوم موقعة اليرموك حين عرض الماء على عكرمة وأصحابه وكان كل منهم مثخناً بالجراح على أرض المعركة يتطلع في لهفة وشوق إلى الماء بيد أن أولهم أمر بدفعه إلى صاحبه إيثاراً منه له وثانيهم أمر بدفعه إلى الثالث مدفوعاً بنفس العاطفة الإيثارية السابقة ، فما وصل الماء إلى الثالث حتى ماتوا عن آخرهم ولم يشرب منهم أحد . وثانيتهما : مارواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتى رجل رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله : أصابني الجهد ، فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئاً . فقال النبي ﷺ : (ألا رجل يضيف هذا الليلة رحمه الله ؟) فقام رجل من الأنصار فقال : أنا يا رسول الله . فذهب إلى أهله فقال لامرأته : هذا ضيف رسول الله ﷺ لا تدخريه شيئاً . فقالت : والله ما عندي إلا قوت الصبية . قال : فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهم ، وتعالى فأطفئ السراج ونطوى بطوننا الليلة ففعلت . . ثم غدا

الرجل على رسول الله ﷺ فقال : لقد عجب الله عز وجل - أو ضحك - من فلان وفلانة . وأنزل الله تعالى : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » . وفي رواية لمسلم تسمية هذا الصحابي الجليل بأبي طلحة رضي الله تعالى عنه وأرضاه .

وقد نقل عن عائشة رضي الله عنها : أن ابن الزبير رضي الله عنه — بعث لها بمال في غرارتين - قال الراوي . أراه ثمانين ومائة ألف — فدعت بطبق وهي يومئذ صائمة فجعلت تقسمه بين الناس ، فأمست وما عندها من ذلك درهم .. فلما أمست قالت : « يا جارية ! هلمي أفطري » فجاءتها بخبز وزيت .. فقيل لها أما استطعت فيما قسمت أن تشتري بدرهم لحما تفطرين عليه ؟ فقالت : لا تعنفيني ! لو كنت ذكرتني لفعلت

ويروى مالك رضي الله عنه عن عائشة رضي الله عنها حديثا آخر يدل على ثارته وسامه النفقة والإنفاق ، وبلغته حرصا لا ينسى في مراقب الإحسان وذلك : أن مسكينا سألها وهي صائمة وليس في بيتها إلا رغيف فقالت لمولاة لها : أعطيه إياه .. فقالت ليس لك ما تفطرين عليه ، فقالت أعطيه إياه . قالت : ففعلت .. حتى إذا أمسينا أهدى لنا أهل بيت ما يهدى لنا : شاة وكفنها .. فدعتني عائشة وقالت : كلي من هذا .. هذا خير من قرصك ..

كذلك روى عنها أنها قسمت سبعين ألفا وهي ترقع ثوبها ، وباعت ما لها بمائة ألف وقسمته ثم أفطرت على خبز الشعير .. والأخبار في هذا الباب أكثر من أن يحصيها مقال موجز أو حديث مقتضب ولا غـرو .. فعائشة هي الصديقة بنت الصديق .. حب الرسول وأم المؤمنين .. وليس بعجيب أن تؤثر عنها تلك الروايات التي يحسبها السذج ضربا من المحال أو لونا من ألوان الخيال . غير أن الراسخين في العلم من أمثال الإمام الشاطبي قد أكدوا هذا العمل ، وكشفوا عن جانب من تلك الشخصية حين قال معلقا على ما تقدم : « لأنها تام لها اليقين بقسم الله وتدبيره ، فتام تدبيرها لنفسها ولا اعتراض على هذا المقام . فإن صاحبه يرى تدبير الله له خيرا من تدبيره لنفسه ، فإذا دبر لنفسه انحط عن رتبته إلى ما هو دونها ، وهؤلاء هم أرباب الأحوال » .

محمد محمد الشرقاوي

من الأصول السياسية والدستورية في الإسلام

للدكتور مصطفى كمال وصفي

— ٧ —

(حرية الملكية)

تعتبر حرية التملك من أهم عناصر النظام الاجتماعية والسياسية على الإطلاق، وذلك لأنها تحدد أهداف النشاط الإنساني ونطاقه وتشكيل الأوضاع الأساسية في المجتمع، ولذلك فلا تخلو أية نظرية سياسية من بحث للملكية وحرية الأفراد فيها.

ويمكن القول أن النظريات المتعلقة بذلك ثلاثة:

(١) الملكية المطلقة: وهي التي تقول بها النظرية الفرديه، وهي تعتبر أن الإنسان مطلق الحرية في أمواله التي يملكها فله أن يستعملها أو يستغلها أو يتصرف فيها كيفما أراد ما لم يقيده القانون.

(٢) الملكية الاقتصادية: وهي التي يقول بها أصحاب النظم الشيوعية وهي تلغي الملكية الفردية الإنتاجية إلغاء تاما ولا تجعل للإنسان حتى مزايا اقتصادية مثل الدولة فضلا عن تملكه لبعض الأموال الاستهلاكية المحضة.

(٣) الوظيفة الاجتماعية: وهي التي تعترف بالملكية الفردية ولكن تقيدها بقيود للصالحة العامة، وتجيز للدولة التدخل بالتوجيه والإشراف في ملكيات الأفراد كما تجيز نزع الملكية ممن يسيء استعمالها لحرية الملك فيها مقيدة بذلك.

ومن المقرر أن الملكية الإسلامية هي ملكية مقيدة، وأنها بذلك تنتمي إلى الفصيلة الثالثة، فتعتبر وظيفة اجتماعية.

أساس الملكية الإسلامية:

وقد توصل البعض إلى هذا النظر بقولهم بما سموه بنظرية الاستخلاف [1]، وهي تقوم على القول بأن المال مملوك لله سبحانه وتعالى ملكية أصيلة وللأفراد ملكية مستقلة.

[١] انظر كتاب «النظم الاسلامية» للاستاذ الدكتور محمد عبد الله العربي الجزء الأول صفحة ٢ ١ وما بعدها. وكتاب الأستاذ الشيخ على الخفيف في الملكية والشريعة الاسلامية صفحة ٣١ وما بعدها. [طبعة معهد الدراسات الإسلامية ١٩٦٥ ١٩٦٦]

واستشهدوا على ذلك بآيات كثيرة كقوله تعالى «ولله ملك السموات والأرض» وقوله «وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه» (الحديد) وقالوا إنه إذا كانت هناك آيات أخرى تعترف للناس بالملكية كقوله تعالى «ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل» وقوله «وجاهدوا بأموالكم» وغير ذلك، فإنه لاتناقض بين نسبة المال لله تعالى ونسبته للناس. لأن المقاصد الشرعية تقتضي الاعتراف بملكية الله لما في أيدي الناس حتى يحسنوا استعماله ويشعروا بالمسئولية اللازمة في إنفاقه ولأن التملك غريزة نهمة تحفها الشهوة فوجب الإشعار بتقييدها وعدم الانطلاق فيها.

ولكنا نرى أن نظرية الاستخلاف ليست صحيحة في مجال المعاملات والأموال والعقود وليست لازمة كما أنها نظرية خطـرة قد تؤدي إلى نتائج لم يحتسبها أصحابها.

فهي ليست صحيحة لأنه لم يرد في الكتاب أو في السنة ما يرتب أي أثر مالي على ملكية الله سبحانه وتعالى للأموال فلا يدفع له شطر من ثمن أو إيجار أو انتفاع ولا يحسب لذلك حساب في سداد دين أو حوالة أو تقويم مال أو تقديره أو منع من التصرف فيه أو استغلاله غير المقاصد المعنوية العامة، والتي لا يرتب على مخالفتها في الغالب بطلان ولا فساد. والقول بما قال به أصحاب هذه النظرية يستدعي إعادة النظر من جديد في الفقه والمعاملات وترتيب آثار على غير ماثبت عن رسول الله ﷺ وأصحاب المذاهب باتفاق وكذلك فإن تحديد العلاقة بين هاتين الملكيتين يدعو إلى الخلاف، فهل هي شركة أو نيابة أو وساطة؟ وليس في الشريعة الإسلامية مدلول لكلمة خلافة في هذا المجال.

وهي ليست لازمة: لأن النتائج التي قالوا بها يدركها القول بأن الملكية وظيفة اجتماعية، أو هي كما عرفها الفقه: اختصاص شرعي، فما دام لاخلاف في النتائج فإنه لا داعي لهذا التأصيل المشدوه.

وهي خطرة: لأن أنصار الشيوعية قد يستعملونها للوصول إلى إلغاء الملكية الفردية، وإضافتها إلى المالك العام بقولهم إنه ملك الله سبحانه وتعالى وهذا مخالف للإسلام الذي يفترض وجود ملكيات فردية كبيرة كما سنرى.

خصائص الملكية الإسلامية :

وقد بين أستاذنا الشيخ على الخفيف : أنه « فى جميع التعريفات التى عرفت بها الملكية ، يوصف الملك بأنه حكم شرعى أو وصف شرعى أو قدرة شرعية .

وأساس ذلك ما يراه الفقهاء من أن الحقوق كلها ـ ومنها حق الملكية أو الملك ، هى حقوق شرعية أثبتها الشارع لأربابها وليس يترتب عليها من الآثار والأحكام إلا ما رتبه الشارع عليها » وإن « وصف الملك بهذه الصفات المتقدمة يجعله صالحا مهيئا لأن يقيد بما تقتضيه الأحكام . . لأنه إذا كان منحة أو حقا مصدره الشارع كان إليه تحديده وتوجيهه الوجهة التى قصد إليها الشارع من شرعه ، وقد شرعه مصلحة الناس ومصدراً لمعيشة راضية يتمتعون بخيراتها وينعمون بثمراتها وذلك ما يؤيد ما انتهى إليه أخيرا الباحثون الاجتماعيون والاقتصاديون فى هذا العصر من أنها وظيفة اجتماعية يقوم بها أحد أفراد المجتمع لا حقا ذاتيا لصاحبه فيه التصرف المطلق والانتفاع المطلق » . (كتابه الملكية فى الشريعة الإسلامية صفحة ١٨ ، ١٩) .

وقال أيضا : « وإذا كانت الملكية خلافة كانت وظيفة اجتماعية لها مع ذلك صفة الاختصاص التى أضفت عليها صفة الحق » (كتابه المذكور صفحة ٣٣ ، ٣٤) .

ومن المؤكد أن الملكية فى الإسلام حرية معصومة لأصحابها لقوله صلى الله عليه وسلم : « فإن أموالكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا » متفق عليه ـ رواه البخارى وغيره .

ولكنها حالة مكروه الانطلاق فى شهوتها . فهى حرية مقيدة من ناحية الانطلاق الشخصى فيها .

فإن الإسلام يحذر الفرد من المال فقال الله تعالى : « ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر » وقال : « يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » ، وقوله عز وجل : « وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما » وقوله : « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله » استدل البخارى بذلك فى كتاب البيوع على ترجيح قصد الله على المال .

ومن الأحاديث فى ذلك ما رواه البخارى أنه يؤتى يوم القيامة بالمال فيتمثل لصاحبه

شجاعا (ثعبانا) أقرع ذو زبيبتين أوله زبد يخرج من شدقيه ، فيقول : أنا مالك ولا يزال يواثبه حتى يأخذ بهازميه إلى النار (بمعناه) .

وقول النبي ﷺ لحكيم بن حزام : هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بإشراف نفس (أى بدون جشع) لم يضره . وقوله : ليس الفقر أخاف عليكم ولكن أخاف أن تنافسوا فى الدنيا (بمعناه للتوضيح) .

كما أن إضاعة المال وإفساده ممنوع شرعاً وجاء فى صحيح البخارى فى كتاب الحجر : (باب ما ينهى عن إضاعة المال وقوله تعالى: «والله لا يحب الفساد» «ولا يصلح عمل المفسدين» وقال : «أصلاتك تأمرك أن نترك مايعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء» وقال : «ولا تؤتوا السفهاء أموالكم» و(جواز) الحجر فى ذلك ..) فهذه الترجمة تبين لنا تعلق حق الجماعة بما يكون فى يد الفرد من المال وعدم جواز إضاعته وإفساده أو الانطلاق به يفعل فيه ما يشاء .

وكذلك فإن التوسع فى الملك والاستبداد فيه مكروه شرعا .

فقد ورد فى البخارى أن النبي ﷺ قال : « الجفاء وغلظ القلوب فى الفدادين أهل الوبر عند أصول أذناب الإبل والبقر » (كتاب بدء الخلق باب المناقب) وقيل فى شرح الفدادين : أى كبار المزارعين . وأصول الأذناب : يعنى السلالات الطيبة من المواشى والأنعام التى يربيها كبار الرعاة .

وجاء فى صحيح البخارى أيضا (كتاب المزارعة - باب ما يحذر من عواقب الاشتغال بآلة الزرع) أن أبا أمامة الباهلى رأى سكة وشيئاً من آلة الحرث فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يدخل هذا بيت قوم إلا دخله الذل » وأحال ذلك لأن المشروع إذا كبر وتضخم تملك صاحبه وأخضعه له فيكون ذليلا لأغراضه كما أنه يصرف الهمة عن الجهاد .

وهذا وجه آخر لتقييد حرية الملكية كراهة التوسع فيها .

ولكن لامناص فى الإسلام من وجود ملكيات كبيرة .

فالدولة من ناحية لا بد أن تملك الأملاك العامة بسبب استيلائها على الغنائم الحربية . فكل ما فتح عنوة يكون بلا خلاف ملكا عاما .

وكذلك فإن الأفراد في الإسلام يقومون بوظائف اجتماعية وتكاليف عامة من أداء المرافق والخدمات العامة كبناء الطرق والجسور وتطهير الأنهار وبناء المساجد والمدارس وغير ذلك. وقام إلى جانب هذا النظام الحر الفردي نظام الأوقاف الخيرية لتكون مؤسسات عامة تمول هذه المشروعات ذات النفع العام. وليس العدول عن هذا النظام إلى نظام قيام الدولة مباشرة بجميع الخدمات العامة من السهل، لأنه يتطلب تحولاً غير مستطاع تقريبا في النظام المالي الإسلامي، فإنه يتطلب تدبير أموال أخرى زيادة على الزكاة والخراج وأما الغنائم فليست مورداً دائما. ومهما قيل في سعة الموارد المادية في الإسلام فهي في الحقيقة لا تستطيع مواجهة توسع الدولة الحديثة في التدخل في الخدمات الاقتصادية والاجتماعية وخاصة أيضا بعد أن زادت التكاليف الحربية والعمرانية. كما أن الزكاة مرتبطة بمصارف خاصة بنص القرآن ومن المستحيل تحويرها. والطريقة الإسلامية التي تقوم على إجبار الناس عينا على أداء الخدمات العامة والقيام بالمرافق تحت إشراف الدولة وسلطتها الضابطة التي تمارسها مع اتساع شديد بالحسبة والرقابة الإدارية والقضائية أوفر وأجدى وأحسن إدارة من الطريقة الحديثة التي تقوم على التوسع في الضرائب ثم صرفها على المرافق فهي تتكلف الدولة مصاريف باهظة في الجباية ثم في إدارة المشروعات العامة ولا تؤدي إلى نتيجة أفضل مما تؤدي إليه طريقة الإدارة الإسلامية. ولذلك كله فلا مناص من إبقاء الملكيات في إيدي الأفراد فإن التصميم المالي في النظام الإسلامي وتحديده للضرائب فيه ومصارف الزكاة وتكليف الفرد الخدمات العامة كل ذلك يقوم على نظام مختلف تماما عن النظام الحديث الذي يقوم على نظام الإدارة المباشرة بعيوبه وتكاليفه الباهظة.

ولا شك أن هذا يتطلب تنظيم قيام الأفراد بالمرافق العامة على وجه يتفق مع الحياة الحديثة ويضمن وصول الخدمات للمنتفعين على وجه من الاضطراد والتحسن الذي يستلزمه القانون الإداري. وهو أمر يتطلب تنظيما قانونيا شاملا.

ومن المفيد أن نذكر أن صفة الوظيفة العامة في المال تختلف حسب أنواعه، فهي أقل ظهوراً في المال الاستهلاكي الخاص

ولو أن المسلم يتكلف المحافظة عليه وتطهيره وصيانته عملا بالمقاصد الشرعية ثم هو أكثر ظهوراً فيما يعدو الاستعمال الخاص من الدور والمساكن ونحوها ، ثم يكون أكثر فيما ينظرون إليه العامة أو يكون مشتركا شركة إباحة .

القيود التي ترد على الملكية وتدخل الدولة : نتيجة لما تقدم كله فقد اعترف بجواز تقييد الملكية الإسلامية وجواز تدخل الدولة فيها . وإذا كانت النظرية الفردية تجيز أيضا تقييد الملكية وتدخل الدولة فيها فإن الفارق بينها وبين ما تسمح به الشريعة وسائر النظم الوضعية أن الأولى تشترط في التدخل أن يكون بقانون تصدره السلطة التشريعية أما الشريعة الإسلامية فلا تشترط ذلك فإن أعمال الإجبار التي تجوز للسلطان ومن في حكمه وللقضاء إنما هي كائنة بأصل الشرع ودون حاجة إلى استصدار قانون ، فهي ملكية مقيدة بطبيعتها ولا تحتاج إلى تقرير هذه القيود بقانون .

وفي جواز هذا التقييد والتدخل قال أستاذنا الشيخ علي الخفيف (كتابه السابق صفحة ٣٤) «إنه بتحريم عزل المال عن وظيفته الاجتماعية والنهي عن إفساده وتبذيره وحبسه واكتنازه جعل لولي الأمر حق التدخل بالحجر على السفيه والمبذر والمتلف لماله والقيام على أموال الضعفاء ومنع الاحتكار ونزع الملكية للمصلحة العامة .. كما ترتب عليه عدم جواز منع المال عن ذوي الحاجة وعما تتطلبه مصالح الدولة عند ظهور حاجتها إليه ، ولذا كان لولي الأمر أن يتدخل عند ما يسيء الناس تدبير أموالهم والعمل فيها وذلك عند اختزان الأموال بدون عمل فيها أو عند ترك الأرض بوراً بلا زراعة كما له بناء على ما تقدم حق التوجيه والإرشاد في طرق التنمية والإنتاج والصناعة والزراعة ، فقد يحدث أن مالك الأرض يميل إلى زراعتها نوعا خاصاً من المحصولات لأنه أكثر ربحا في حين أن حاجة الأمة تدعو إلى زراعتها غير ذلك مما يقيتها (أي يقوم بقوت الناس) كأن يميل إلى زراعتها قطنا والناس في حاجة إلى البر . فلولي الأمر حينئذ حق التدخل بأن يحمل صاحب الأرض على أن يزرعها برا ، وهكذا يجب أن يوجه الاستثمار وجهة رشيدة بحسب حاجة المجتمع » .

وبناء على ذلك حدث في الإسلام نزع الملكية للمنفعة العامة وذلك إما بطريق

الودى أى بالتعاقد كما فى شراء الأرض التى بنى عليها المسجد النبوى فى المدينة أو جبراً عندما احتولى جيش النبى ﷺ على ماء تحمله أعرابية فى مزادتين (البخارى كتاب التيمم) وكذا لما ضاق المسجد الحرام على الناس فى زمن عمر وعثمان رضى الله عنهما ساوم كل منهما أصحاب الدور المجاورة فمن رضى اشترى منه ومن أبى أخذها جبراً (الشيخ على الخفيف المرجع السابق صفحه ٨٩) وقيل يجوز التأميم وهو نزع الملكية مشروع اقتصادى فى حدود المقاصد الشرعية وبضوابطها وبطرقها.

قال فى الفتاوى الهندية: ويجوز شرعا إذا عجز أهل القرية عن زراعتها أن يقدم السلطان بتأجيرها لمن يزرعها ويصدد أجرتها وما هو مستحق لبيت المال ويعطى باقيه لأصحابها، كما قد يصمدون بأراضيهم إليه برضاهم ليستغلوا ويسدد منها الخراج وهو ما عرف بأراضى الحوز كما يجوز له شراءها بقيود (الفتاوى الهندية جـ ٢ ص ٢٧١ و ٣٦٥ الطبعة الميمنية).

وقد أنشأ أستاذنا الدكتور محمد عبدالله العربى نظرية متماسكة فى ذلك (المرجع السابق صفحة ١٠٧ وما بعدها) قوامها أنه لما كانت الملكية أملا لله واستخلافا للإنسان، فإن الشارع نتيجة لذلك فرض تكاليف على الملكية وهى خمسة: أولها وجوب استثمار المال إذا كان من مصادر الإنتاج، وثانيها الزكاة، وثالثها الإنفاق فى سبيل الله، ورابعها أنه أوجب تكاليف سلبية هى اجتناب الإضرار فى استعمال المال والامتناع عن تنمية المال بالطرق غير المشروعة كالربا والغش والاحتكار كما نهى عن إنفاقه بما يخالف الشرع والامتناع عن استعماله فى نفوذ سياسى لقوله تعالى «وتدلوا بها إلى الحكام»، وخامسها أنه قيد حرية المالك فى الإيصاء والتوريث وعلى أساس هذه القيود أجاز تدخل ولى الأمر لتنفيذ هذه التكاليف السابقة إذ لابد أن تسهر الدولة على تنفيذ التعاليم الإسلامية وبين أن هذا التدخل ينقبض وينبسط تبعاً لمستوى السلوك الخلقى السائد فى المجتمع بالإضافة إلى الظروف الاستثنائية التى قد تعرض المجتمع وتهدد كيانه، فلا توجد قاعدة جامعة يتقيد بها ولى الأمر فى تحديد مدى تدخله لتنفيذ تعاليم الإسلام فى ملكية المال.

ولكنا نرى أنه يجب الحذر من المغالاة

(البقية على صفحة ٦٨٧)

العربية لغة الإسلام والمسلمين

للأستاذ على عبد العظيم

— ١ —

إن التوحيد الإسلامى يتسع نطاقه وتتسع آفاقه وتسمو غاياته ، حتى تتناول الأهداف المثالية العليا التى تحلم بها البشرية جمعاء ، وهو فى مداه العام الشامل يجمع بين المثالية والواقعية وبين الأرض والسماء وبين الدنيا والآخرة وبين الأرواح والأجسام ، وهدفه الأول الذى تدور حوله بقية الأهداف ، هو الإيمان بإله واحد أزلى أبدى ، خالق مدبر ، منه المبتدأ ، وإليه المنتهى ، وهو على كل شىء قدير « وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم » .

والهدف الثانى ، أن نكون هناك وحدة عالمية متكاملة تتجه فى اتحاد وائتلاف إلى هذا الهدف العظيم بالعبادة والتقديس ، وقد أوحى الله إلى الرسل جميعا بهذا الهدف العظيم وإن كانت رسالاتهم مقصورة على بعض الأمم والشعوب ، قال تعالى : « يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إنى بما تعملون عليم وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون » .

والهدف الثالث ، أن تحيا هذه الأمة الإنسانية فى ظل تشريع واحد يتساوى فيه الناس أمام هذا التشريع لا فرق فيه بين عربى وعجمى إلا بالتقوى فكلهم لآدم وآدم من تراب ، وهم فى ظل هذا التشريع سواسية كأسنان المشط ، وتفاوت درجاتهم فيه قائم على تفاوتهم فى الفضائل والملكات النفسية وقربهم من المثل الأعلى للكمال « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

والهدف الرابع ، وحدة الفكر وتتبعه وحدة اللغة ، فالفكر الإنسانى يتجه إلى الحق والخير والجمال من الناحية الروحية ، أما من الناحية المادية فإنه يتجه إلى استغلال جميع العناصر الأرضية وما تضمه الأرض من حيوان ونبات وجماد وما يتخللها من طاقات كهربية أو مغناطيسية أو جاذبية أو ضوئية أو حرارية أو لاسلكية لأن الله سخر للإنسان ما فى الأرض جميعاً ، ولابد من لغة موحدة تعبر عن هذه الأفكار الروحية والمادية لتلتقى الأفكار فى جملتها على أهداف الخير العام للبشرية جمعاء ، بحيث لا يكون بينها تنافر

أو تمزق أو انفصام يشطر البشرية إلى شيع متنافرة، وأمم متناحرة، وشعوب متحاربة مما يضيع الهدف السامي للوحدة الإنسانية المنشودة ويلقى بها في مهاوى الضياع.

ونحن نعلم أن رسالة محمد ﷺ رسالة عامة للإنسانية: «وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون»، وأنزل عليه القرآن الكريم معجزة للإنسانية جمعاء، بل للإنس والجن على السواء، في جميع العصور، إلى جميع الأمم والشعوب، وجعله دستورا عالميا واضحا دقيقا ملائما لجميع البيئات مناسبا لجميع الأحوال والملابسات، وقد أنزله بلسان عربي مبين ووجهه إلى جميع العالمين.

ومن السنن الإلهية أن الله لا يرسل رسولا إلا بلغة قومه، وقوم محمد هم جميع البشر، ومن هنا كان على الناس جميعاً أن يتعلموا العربية لتكون لغة عالمية لجميعهم: «وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم».

ومن هنا جعل الإمام الشافعي رضي الله عنه تعلم اللغة العربية فرضا على كل مسلم حيث ذكر في الرسالة أنه: «يجب تعلم العربية على كل مسلم حتى يشهد ألا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، ويتلو كتاب الله، وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير، وأمر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك»[1].

وأما ما يروى عن الإمام أبي حنيفة من أنه أجاز الصلاة بترجمة بعضه بالفارسية فقد صح أنه رجع عن هذا الرأي، وقد روى هذا الرجوع نوح بن مريم وهذا هو الراجح عند علماء المذهب، ويقولون: «إن أبا حنيفة أفتى بهذا أولا من قبيل الرخصة لمن لم يقوم لسانه بالعربية حينما رأى الأعاجم يدخلون في الإسلام أفواجا ثم يلوون ألسنتهم بالقرآن وهم لا يحسنون قراءته، فرخص لهم في ذلك، وقالوا: إنه اشترط في الترخيص ألا يفعل ذلك على وجه البدعة بل يفعله لحاجته إليه، ومع هذا فإن الإمام رجع عن رأيه، ومعظم علماء مذهبه على وجوب تعلم العربية على كل مسلم؛ والإمام الشافعي يحتم على المسلم أن يحفظ من القرآن الكريم قدراً يستطيع معه قراءته وفهمه فلا قراءة من غير فهم».

[1] الرسالة ص ٤٩.

(كانت العربية لغة عالمية)

فى فجر الإسلام حرص المسلمون على تحقيق أهداف التوحيد الإسلامى بأوسع معانيه فأخذوا الطريق إلى تحرير البشرية جمعاء من الذل والاستعباد وعبادة الزعماء والحكام الطغاة الذين أعلنوا أنفسهم آلهة أو سلالة الآلهة ، وكان دستور المسلمين قوله تعالى : « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » . وكان من الطبيعى أن يقاوم الطغاة والجبابرة من الحكام هذه الدعوة التحررية بقوة السلاح وفى مقدمتهم أكبر قوتين عالميتين فى ذلك الحين . القوة الأولى : قـوة المعسكر الشرقى بزعامة أمبراطور فارس ، والقـوة الثانية : قوة المعسكر الغربى بزعامة أمبراطور الرومان واحتدمت الحرب بين القوة الإسـلامية الفتية المحررة وبين جميع قوى الطغيان والاستعباد والاستبداد ، وانتصر الحق وعلت كلمة الله ، ولم يدخل المسلمون هذه البلاد غزاة فاتحين ، وإنما دخلوها هداة محررين ، لهم ما للشعوب وعليهم ما عليها وانتشر الإسلام فدخل الناس فيه أفواجاً من يقين واقتناع ، ولم يكتفوا باعتناقه ، وإنما جاهدوا فى سبيله مضحين بالأموال والنفوس حتى سيطرت العقيدة الإسلامية على العالمين ، وأصبحت شريعة القرآن شريعة عامة تنظم حياة الأمم والشعوب من الصين ، حتى حـدود بحر الظلمات والمحيط الأطلسى .

أما اللغة العربية فقد استوعبت جميع الحضارات السابقة وأضافت إليها - بعد تنقيتها وتصحيحها - آلافا من الكشوف العلمية ذات الأثر الخالد فى تاريخ العالم ؛ وأصبحت لغـة الحضارة العلميـة العالمية قروناً عديدة ، وأقبلت الأمم والشعوب على اللغة العربية تدرسها وتترجم آثارها العظيمة إلى لغاتها الخاصة ومن أهمها اللاتينية والإغريقية ، وكانت الجامعات الإسلامية فى بغداد ودمشق والقاهرة وقرطبة مهوى أفئدة العالم كله ، يحج إليها المثقفون يدرسون ويبحثون ويتتلمذون على أعلام اللغة العربية المسلمين .

ولقد ضج بعض كبار الزعماء للمسيحيين من إقبال المثقفين فى الشعوب المسيحية

على اللغة العربية إقبالا أنساهم الكتب المقدسة المكتوبة باللاتينية وهو الراهب أليسر حيث ذكر « أن أحدا من إخوانه النصارى لا يقرأ اللاتينية أو يلقى بالا إلى الكتب المقدسة المكتوبة بها لأنهم كانوا فى شغل عن ذلك بالعربية ودراستها ومحاولة التمكن منها .

ولا عجب فى هذا فقد اعتاد طلاب المعرفة فى أوروبا أن يهرعوا إلى الحواضر الإسلامية وبخاصة الأندلس لقربها منهم ليتخصصوا فى الدراسات العلمية العليا ، ومن أشهر هؤلاء الطلاب راهب مسيحى أسمه جيربر Gerber تتلمذ على علماء العرب بإشبيلية وقرطبة زهاء ثلاث سنين درس فيها الهندسة والفلك والميكانيكا ثم عاد إلى أوروبا فبهر الأنظار بعلمه وتدرج فى مناصب الكنيسة حتى ارتقى كرسى البابوية بإسم سلفستر الثانى وقد حملت براعته العلمية كثيرين على اتهامه بالسحر ، وينسب إليه فضل إدخال الأرقام العربية إلى فرنسا وكذلك الساعة الدقاقة ، وقد نحا نحوه كثيرون من الطلبة حيث تخرجوا من الجامعات الإسلامية وعادوا إلى بلادهم أساتذة مرموقين وكان أمراء ليون أو نافار أو برشلونه أوغيرهم كلما احتاجوا إلى جراح أو مهندس أو مغن أو خياط وجهوا طلبهم إلى قرطبة ، فذاع صيت هذه العاصمة الإسلامية حتى أقاصى ألمانيا حيث وصفتها راهبة سكسونية بأنها جوهرة العالم ، وكان الملوك والأمراء إذا أرادوا العلاج هرعوا إلى إحدى الحواضر العربية الكبرى طلبا للشفاء على أيدى أطباء العرب الماهرين ومن هؤلاء سانشو Sancho حاكم ليون حيث وفد مع جدته طوطا Theuda ملكة نافار على عبد الرحمن الناصر ليساعد على شفاء سانشو ، وكان ضخم الجثة حتى لا يكاد يستطيع المشى خطوات إلا بمساعدة شخصين ، فاستدعى له الناصر مهرة الأطباء فعالجوه وعاد إلى إمارته فى صحة وافية والمجال لا يتسع للاستطراد فى سرد هذه الحقائق التى سجلها كبار المؤرخين الغربيين ، وألف بعضهم فيها كتبا قيمة ومن أشهرهم غوستاف لوبون .

ولقد تأثرت اللغات الأجنبية باللغة العربية تأثرا كبيرا فى هذه العصور فلآداب العربية ظهرت آثارها واضحة فى الأدب الجرمانى وبخاصة عند جيته فى ديوانه الشرق

كما ظهرت آثارها فى شعراء فرنسا وبخاصة شعراء (التروبادور) وعرف شعراء فرنسا القافية عن طريق شعراء العرب وقد كتب الدكتور العلامة المعاصر نيكل NYKL كتابا رائعا فى هذا الموضوع نتمنى أن يترجم إلى اللغة العربية [1] ؛ وقد شبه بعض الأدباء (لامارتين) فى قصيدته البحيرة بابن زيدون فى مخمستيه المعبرتين عن فتنة الحب وجمال الطبيعة فى امتزاج تام بينهما وبين وجدان الشاعر المشبوب — ويعقد بعض النقاد موازنة بينه وبين الشاعر الانكليزى (وردزورث) Words worth فى خواطره حول نهر وى Wye — ويلاحظ علماء فقه اللغة أن آلافا من الكلمات العربية انتقلت بألفاظها إلى اللغة اللاتينية ومنها إلى اللغات الأوربية الحديثة ؛ والأمر من الوضوح بحيث يلمسه القارئ فى أى معجم من معجمات اللغات الأوربية المعاصرة .

وظلت اللغة العربية تؤدى رسالتها فى خدمة الثقافة العالمية ، وكانت إلى هذا تربط البلاد الإسلامية جميعها بأوثق الصلات لأنها لغة القرآن الكريم الذى يربط جميع المسلمين برباط متين .

ولما ضعف المسلمون ووقعوا أفريسة للاستعمار الأوربى المشيف تمزقت صلاتهم وتبدد جمعهم ، ولولا أن القرآن الكريم كان يشدهم إليه لانهار البناء وتبدد الشمل إلى غير رجعة — وعلى الرغم من تفرق المسلمين كانت المؤلفات الدينية تصدر باللغة العربية تباعا فى القارة الهندية (الهند وباكستان) وفى أندونيسيا وفى إيران وفى تركيا وكلها بلاد غير عربية .

وقد بذل الاستعمار جهوداً جبارة للقضاء على اللغة العربية تمهيداً للقضاء على القرآن الكريم ومن ورائه الإسلام ؛ وحشد جهوداً جبارة وأعد أموالا طائلة ورسم خططا شاذة قام بها المستشرقون والمبشرون للقضاء على اللغة العربية القضاء الأخير ، وسنتناول هذه الجهود فى مقال تال إن شاء الله .

وحسبنا الآن أن نقول إن النتيجة كانت مخيبة لآمال الاستعمار ، وإن كان لم يلق سلاحه حتى الآن …

وحسبنا أن نقول إن اللغة العربية بدأت تشق طريقها من جديد فى رسوخ وثبات

[١] الكتاب مطبوع فى بالتمور باللغة الانكليزية ١٩٤٦ Hispano - Arabic Poetry By Dr. A. R. Nykl .

لتعود إلى عالميتها من جديد . فقد اضطرت الهيئات الدولية إلى الاعتراف بها من جديد مثل هيئة اليونسكو وهيئة البريد الدولية والصحة العالمية ، كما ارتفع صوت اللغة العربية مدويا فى هيئة الأمم على ألسنة مندوبى الدول العربية .

وحسبنا أن نذكر أنه لا تكاد جامعة من جامعات الغرب تخلو من قسم كبير لدراسة اللغات الشرقية وفى مقدمتها اللغة العربية وإلى هذا تصدر صحف ومجلات عربية فى أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية تصدرها الجاليات العربية فى هذه البلاد .

وحسبنا اهتمام كثير من المستشرقين بنشر التراث العربى نشرا علميا دقيقا ودراسته دراسة دقيقة سواء كانت منصفة أو بعيدة عن الإنصاف ، وحسبنا أن نسمع آيات الذكر الحكيم رفافة على متن الأثير صادرة من محطات الإذاعة فى دول لا تدين بالإسلام ولا تكن خيرا للمسلمين .

وحسبنا أن المساجد الكبرى تم تشييدها فى عواصم الدول الغربية وأن كثيرا من الباحثين الغربيين اعتنقوا الإسلام نتيجة للدراسة العلمية والبحث العميق وأن الإسلام بدأ يتسع بعد انكماش فامتد إلى كوريا فى أقصى الشرق وإلى أمريكا فى أقصى الغرب وإلى بولندا فى أقصى الشمال وإلى جنوب أفريقيا فى أقصى الجنوب حيث أقبل كثيرون على اعتناق هذا الدين الحنيف .

وعلى الرغم من هذا كله فالصراع لا يزال قائما بين المسلمين وخصوم الإسلام وبخاصة حول اللغة العربية لغة القرآن الكريم .

وسنتناول أطوار هذا الصراع فى المقال التالى إن شاء الله

(للبحث بقية)

علی عبد العظيم

إلى فلسطين

للأستاذ أحمد عمر هاشم

لاح في الشرق فجرها وسناها … وهداها ونجمها وضحاها
عندليب الرياض غنى طروبا … بين أفنانها وفوق رباها
دوحة غضة حوت كل ليث … يرقب السعد باسماً من علاها
هي بين الأفواه صيحة حق … لفظها السعد والمنى معناها
صيحة زلزلت عروش الأعادي … دوت الأمس فانثنت دنياها
يا فلسطين أنت قرة عيني … ولياليك قد تبدى سناها

في جبين العلا قرأنا سطوراً … سطرتها ليوثها بدماها
حين هب العدو من كل فج … ومن الجو جاءها يغشاها
فكأن السماء تمطر ناراً … لا يرى غير ربنا عقباها
رب رحماك بالثكالى فقدن الأمس فيها فتاتها وفتاها
ذاك بيت به الرضيعة ترنو … لا ترى فيه أمها أو أباها
فتراها تدور في البيت حزناً … تذرف الدمع ساخناً عيناها
في سهاد وشقوة ونكال … عينها لا تذوق طعم كراها
فانثنت للعدو تشعل ناراً … مصطلى المعتدي إذا ما أتاها
فأبادت جيوشها ، ودجاها … فأدت كل من يريد أذاها

وفتاها المناضل الحر نادى : … قسماً لن نموت إلا فداها
والأبي الوفي من مات حراً … وشهيداً وكان من قتلاها
أحرزت مجدها وضمت عراها … وحمت عزها وصانت حماها
وإذا ما حمى الإله بلاداً … وأتاها العدو ضل وتاها

يا بلادي لا فتنة السوء تقضي ، … فتنة السوء خاب من عاداها
مزق هذه الغيوم وسيهوى … أمة تقهر العدى عن حماها
لاح في الشرق فجرها وسناها … وهداها ونجمها وضحاها
يا فلسطين أنت قرة عيني … ولياليك قد تبدى سناها

الجرح والتعديل في علم السنة

للأستاذ محمد نجيب المطيعي

— ٣ —

إن بعض المشتغلين بهذا الفن - فن الحديث - يكثرون من استعمال قاعدة (الجرح مقدم على التعديل) بشكل واسع ويكون الباعث في الغالب الرغبة في الإجهاز على خبر يعارض وميولهم ورغباتهم، أو ما أخذوا أنفسهم به من دعوة من الدعوات التي عرفها الجو الإسلامي لخصوبة تربته، ولأن كل دعوة تستند إلى نصوص ثابتة لها في مجال البحث والنظر تأويل تدعمه روايات أخرى، قد تفيد العلم الضروري عند بعض الباحثين، أو النظر عند غيرهم فينبرى صاحب الدعوة هذا إذا عارضت تأويله روايات كتلك التي تمضد النحو الذي نحاه، وتدعم إخذه ومأتاه إلى قاعدة (الجرح مقدم على التعديل) وكثيراً ما تكون هذه القاعدة كما شبهتها من قبل في الرد على بعض الأغرار [1] من صبية هذا الفن، كخاتم وضعه رجل في كفه ثم أطبق يده عليه ثم قال لآخر: في يدى شيء مدور ومقور ما هو؟ فأعمل المسئول فكره ثم قال له: حجر رحى أو حجر طاحون. هكذا بدون أن ينظر إلى ما يستحيل وجوده في قبضة القابض، فهو بنى على قاعدة (مدور ومقور) شيئاً لا يناسب الظرف الذي يحتويه.

ولو أردنا أن نأخذ بهذه القاعدة دون الرجوع إلى مناهج التطبيق عند من قعدها لما سلم لنا حديث واحد، وقد يكون في هذا مدعاة لسرور بعض الضالين من أعداء السنة ممن ظهرت لهم مصنفات تردد ترهات المستشرقين والحاقدين على الإسلام والمسلمين، ولكننا نمضى في بحثنا غير ملقين بالا لأولئك المفتونين بظلماتهم، أو الناشرين ما انطوى من غثاثات سادتهم.

نقول: إن القاعدة يجب الرجوع إلى مناهج أصحابها في التطبيق حتى نهتدى بطرائق الأخذ، ولنضرب مثلا من التجريح لشخص عند إمام جليل عدله إمام أكبر منه أو أكثر عدداً وذلك كأيوب

[1] بحث لنا في مجلة الاعتصام في عدد ربيع الآخر ١٣٨٩ هـ في الرد على من ضعف حديث توسل الأعمى واستشفاعه بالنبي صلى الله عليه وسلم وقد أثبتنا صحة الحديث كما أثبتنا صحة حديث: « حياتي خير لكم ومماتي خير لكم » في سلسلة من البحوث نشرتها الاعتصام فليشدد المنصف المجرد من الهوى بها يديه

ابن عائذ ضعفه بسبب الإرجاء أبو زرعة ، ووثقه ابن معين وأبو حاتم والنسائى والعجلى فلو اطردت القاعدة لكانت أحاديث أيوب مردودة فى كتب السنة ، ومنها حديث أخرجه له البخارى فى المغازى فى قصة أبى موسى الأشعرى ، وكذلك مثله فى صحيح مسلم وبهذا صار أيوب من رجال الصحيحين ، وأكبر دليل على أن تجريح من جرحه لا أثر له ألبتة كون أيوب ليس له ذكر فى ميزان الاعتدال للذهبى ، وهو لا يورد فى كتابه من الرجال إلا من تكلم فيهم وهو الذى يقول [1] :

«وفيه من تكلم فيه مع ثقته وجلالته بأدنى لين ، وبأقل تجريح ، فلولا أن ابن عدى أو غيره من مؤلفى كتب الجرح ذكروا ذلك الشخص لما ذكرته لثقته ، ولم أر من الرأى أن أحذف اسم أحد ممن له ذكر بتليين ما فى كتب الأئمة المذكورين خوفاً من أن يتعقب على ، لا أنى ذكرته لضعف فيه عندى ، إلا ما كان فى كتاب البخارى وابن عدى وغيرهما من الصحابة فإنى أسقطهم لجلالة الصحابة ، ولا أذكرهم فى هذا المصنف ، فإن الضعف إنما جاء من جهة الرواة إليهم» .

«وكذا لا أذكر فى كتابى من الأئمة المتبوعين فى الفروع أحداً لجلالتهم فى الإسلام ، وعظمتهم فى النفوس ، مثل أبى حنيفة والشافعى والبخارى ، فإن ذكرت أحداً منهم فأذكره على الإنصاف وما يضره ذلك عند الله ولا عند الناس ، إذ إنما يضر الإنسان الكذب ، والإصرار على كثرة الخطأ ، والتجرى على تدليس الباطل ، فإنه خيانة وجناية ، والمرء المسلم يطبع على كل شيء إلا الخيانة والكذب» ثم يورد أصناف من احتوام كتابه من أنواع الكذابين قاتلهم الله ، والكاذبين فى أنهم سمعوا ولم يكونوا سمعوا إلى أن يقول فيمن احتوام كتابه :

«ثم على الثقات الأثبات الذين فيهم بدعة ، أو الثقات الذى تكلم فيهم من لا يلتفت إلى كلامه فى ذلك الثقة لكونه تعنت فيه ، وخالف الجمهور من أولى النقد والتحرير ، فإنا لا ندعى العصمة من السهو والخطأ فى الاجتهاد فى غير الأنبياء» .

قلت : هذا هو الذهبى لم يورد اسم أيوب بن عائذ ، حتى ولو للدفاع عنه ،

---

[1] ج ١ ص ٢ مقدمة الميزان .

فقد وجد أنه أجل من يقف موقف الاتهام ثم الدفاع عنه ، وناهيك برجل وثقه البخاري أو اعتبره صدوقاً ، وهو الناقد الفذ للرجال .

ومثل : إسماعيل بن مجالد قال فيه النسائي : ليس بالقوي . وقال الدارقطني : ضعيف . وقال البخاري : صدوق . وروى له في الصحيح ، وقال أبو زرعة : هو وسط ليس ممن يكذب بمرة ، وقال أحمد : ما أراه إلا صدوقا .

ومثل بدل بن المحبر ضعفه الدارقطني في روايته عن زائدة، وهو أحد شيوخ البخاري والدقيق والكجي ، ومع ذلك أخرج له البخاري روايته عن زائدة ، وتعجب الحافظ في الميزان من تضعيف الدارقطني له ، فقد قال أبو حاتم : هو أوجع [1] من بهز وحبان وعفان .

ومثل أيوب أيوب بن سليمان وهو الذي روى له الستة وجرحه أبو الفتح الأزدي قائلا : يحدث بأحاديث لايتابع عليها ثم ساق له أحاديث جيدة غريبة .

ومثل أسيد بن زيد الجمال ، قال النسائي : متروك ، وقال بن معين : حدث بأحاديث كاذبة ، وقال الدار قطني : ضعيف ، وقال ابن عدي : لا يتابع على روايته ، وقال ابن حبان: يروي عن الثقات المناكير ويسرق الحديث ، ومعنى يسرق الحديث ، أنه يكون الحديث مشهوراً براو من الرواة أو إسناد فيأتي هذا ويبدل الراوي بغيره ليرغب فيه المحدثون كأن يكون الحديث معروفاً عن سالم بن عبد الله فيجعله عن نافع ، أو يبدل إسناداً بإسناد مثل رواية حماد بن عمرو النصيبي ، الكذاب عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً : « إذا لقيتم المشركين في طريق فلا تبدأوهم بالسلام » الحديث ، فإنه مقلوب قلبه حماد فجعله عن الأعمش ، وإنما هو معروف عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة ، هكذا أخرجه مسلم من رواية شعبة والثوري وجرير بن عبد الحميد وعبد العزيز الدراوردي كلهم

[1] بهز بن حكيم عن أبيه عن جده، وجده هو معاوية بن حيدة رضي الله عنه وإسناده مختلف فيه وهذا الإسناد مشهور كشهرة عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده إلا أن الأخير يعد من أصح الأسانيد خلافا لما ذهب إليه ابن حزم رحمه الله . وحبان هو ابن موسى ابن سوار غسلي ، وعفان هو ابن مسلم بن عبدالله الأنصاري مولى عزرة أحد الأئمة الأعلام عن هشام الدستوائي وشعبة وهمام وحماد بن سلمة وطبقتهم ، وعنه البخاري وأحمد وإسحق بن راهويه وابن معين وابن المديني وغيرهم من الكبار .

عن سهو، وقد يقع هذا الغلط عن غير قصد .

ومع ذلك أخرج له البخارى حديثاً قرنه بآخر .

ولا يمكن أن يجرؤ أحد على الزعم بأن أصحاب الدواوين وعلى رأسهم البخارى كانوا كحاطبى ليل يروون عن هذا وذاك بغير تدقيق ولا تحرير، إنهم براء من هذا .

هذا الإمام البخارى أى عاقل يجرؤ على أن ينال من توثيقه ؟ وهو صاحب التاريخ الكبير فى الرجال والصغير وغيرهما من كتب العلل، وهو الذى لم يبال بأعظم عظماء الرجال شرفاً، ومحتداً، فأسقط الاحتجاج به لعدم توفر شروطه فيه، مثل صنيعه فى رواية جعفر بن محمد المعروف بجعفر الصادق إذ أسقط الاحتجاج به مع رواية مسلم له فهو حين يوثق رجلا إنما يبنى حكمه على أسباب علمية حدد معالمها وأوضح شرائطها، فما كان من أصحاب هذه المذاهب كالخروج والتشيع والقدر والإرجاء، وما إلى ذلك من المقالات، إذا انتحلها من بلغ مرتبة الرسوخ والإفادة، وكان على جانب عظيم من العلم، وانتحل ما انتحل من اجتهاد ونظر، فإنه لا يرتاب أحد فى العناية بالأخذ عنه والتلقى عنه بشرط أن لا يكون داعية لبدعة، صاحب مصلحة فى ذيوعها، له شهوة فى جمع الناس حوله يدينون له بالولاء، ويبايعونه على السمع والطاعة فإن قيل : جاء فى (جزء رفع اليدين) قوله : (كان زائدة لا يحدث إلا أهل السنة اقتداء بالسلف) ومعنى هذا أن البخارى يخالف السلف فى روايته عن غير أهل السنة .

قلت : هذا كلام غير وارد علينا، لأن البخارى يحكى أن زائدة كان لا يحدث غير أهل السنة، أى إسماعهم الحديث، وذلك لا يكون إلا فى التلاميذ منهم والمبتدئين فى طلب الحديث، الذين يبغون التلقى والسماع هكذا أفاده القاسمى، وهؤلاء قد انتموا إلى غير مذهب أهل السنة، فكان زائدة يتجافى تحديثهم اقتداء بمن رآه من سلفه كذلك، ولا منازعة فى الوجدانيات ولا يكلف المرء ما لا يطيقه، فمن كانت نفسه لا تحب إسماع من كان كذلك فله الخيرة، ولا جناح عليه فى ترك الإسماع لتلاميذ لم يتأهلوا بعد للنظر والوقوف على التحقيق، وإما حفاظ وشيوخ أوتوا من العلم والفضل ما أهلهم للتحمل عنهم، والاستفادة من علومهم، بحيث طارت شهرتهم، وتفوقوا على غيرهم فلا دخل لكلام زائدة فيهم ولا يشملهم مشربه . يتبع محمد محمد حبيب الطيبى

الألغاز الأدبية

للأستاذ عباس ابو السعود

— ٢ —

٧ — جاءت امرأة إلى عمر رضى الله عنه فقالت : أشكو إليك زوجى ، هو خير أهل الأرض ، ما سبقه رجل إلى عمل طيب ، أو عمل مثل عمله ، يقوم الليل حتى يصبح ، ويصوم النهار حتى يمسى ، ثم أخذها الحياء فقالت : أقلنى يا أمير المؤمنين ، فقال : جزاك الله خيراً ، فقد أحسنت الثناء عليه فلما ولت قال كعب بن سور : يا أمير المؤمنين لقد أبلغت إليك فى الشكوى ، فإنها كنت بذلك عن عدم المباضعة .

٨ — ومن التعريض قولهم : إنه اجتمع الشعراء بباب أمير من أمراء العرب ، فمر رجل ببازٍ ، فقال رجل من بنى نمير لآخر من بنى تميم : هذا البازى ، فقال النميرى : إنه يصيد القطا ، عرض الأول بقول جرير :

أنا البازى المطل على نمير
أتيح من السماء لها انصبابا

وعرض الآخر بقول الطرماح :

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا
ولو سلكت طرق المكارم ضلت

٩ — قال عمر بن هبيرة الفزارى لأيوب ابن ظبيان النميرى وهو يسايره : غض من بغلتك ، فقال : إنها مكتوبة .

وعرض ابن هبيرة بقول جرير :

فغض الطرف إنك من نمير
فلا كعباً بلغت ولا كلابا

وعرض النميرى بقول ابن دارة .

لا تأمنن فزاريا خلوت به
على قلوصك واكتبها بأسيار

١٠ — ومن جيد التعريض وغريبه مع توخى الصدق فى موطن الخوف قول أبى بكر رضى الله عنه وقد كان مع رسول الله ﷺ مهاجرا ، وحينما قيل له من هذا يا أبا بكر ؟ فقال : رجل يهدينى السبيل .

١١ — ومن الألغاز قول الحكيم أمير الدولة المعروف بابن التلميذ :

ما واحد مختلف الأسماء
يعدل فى الأرض وفى السماء
يحكم بالقسط بلا رياء
أعمى يرى الرشاد كل راء

أخرس لا من علة وداء
يغنى عن التصريح بالإيماء
يجيب إن ناداه ذو امتراء [1]
بالرفع والخفض عن النداء
يفصح إن علق في الهواء

١٢ — قال ابن المغلس :

وقائمة أبداً لا تنام
وما قعدت قط مذ قامت
تعيش إذا غسلوا رجلها
وإن حلقوا رأسها ماتت

١٣ — وقال السري الرفاء :

وكثيرة الأحداق إلا أنها
عمياء ما لم تنغمس في ماء
وإذا هي انغمست أدت ربها
مالا ينال بأعين البصراء

١٤ — وقال المعرى :

خليلان لايطاق جوانب مجلس
جداراه قدام له ووراء
متى يضع الرجلين ما هو عليهما
يزل عنه في وقته حفاً وحفاء

١٥ — وقال ابن القاسم عبد الصمد ابن نائل في شخص :

يبسم عن أول اسمه حبي
ثم بثاني حروفه يسبي
ثم بحرفين لو بدا بهما
أسدى يدا صورة اسمها تنبي
هذا وفيه اسم يوم اتفقت
مفاخر المعجم فيه والعرب
فأعمل الفكر في تأمله
واركب به كل مركب صعب

١٦ — وقال ابن أبي البغل :

أصم عن المنادى لا يجيب
به تخبو وتشتعل الخطوب
ضئيل الجسم أعلم [1] ليس تخفى
عليه غيوب ما تخفى القلوب
تراه راجلا لا روح فيه
ويحييه وينطقه الركوب

١٧ — وقال أبو نواس ملغزاً في اسم شخص :

اسم من أهواه حسن
فإذا صحفته فهو حسن
وإذا أسقطت منه تاءه
صار معنى لهواه المختزن
وإذا أسقطت منه ياءه
صار فيه بعض أسباب الفتن

[1] الامتراء : الشك .

[1] الأعلم : مشقوق الشفة .

وإذا ألقيت منه راءه
صار شيئاً يعترى عند الوسن [1]
وإذا ألقيت عنه طاءه
صار فيه عيش سكان المدن

١٨ — ومن الرمز قول الشاعر :
هل ما هراً بالقريض والأدب
ما اسم فتاة محمودة النسب
قد صرح الدهر باسمها فتى
فكرت فيها ظفرت بالعجب

١٩ — ومن المعاياة
ماهية فى رأسها درة
تسبح فى بحر قليل المدى
إن غيبت كان العمى حاضراً
وإن بدت لاح طريق الهدى

٢٠ — وقال للمرى .
وبيضاء من سر الملاح ملكتها
فلما قضت إربى حبوت بها صحبى
فباتوا بها مستمتعين ولم تزل
تحثهم بعد الطعام على الشرب

٢١ — وقال آخر :
وما أخوان مشتبهان جداً
كما اشتبه الغرابة والغراب
يضمها على سر الليالى
وما اجتمعا ولا افترقا إهاب
فذاك وذا دموع هاملات [1]
ولكن كل دمعهما شراب
يصونهما عن الأبصار دين
ويضرب دون نيلهما حجاب

٢٢ — وقال آخر :
وما شيئان اسمهما سواء
وأصلهما معاً عند انتساب
إذا حضراك بت قرير عين
بلا طعم يلذ ولا شراب
وما إن يوجدان النفع إلا
بضرب أو بضرب من عذاب

٢٣ — ومن المعمى قوله :
ماذات عوك لها جناح
يختطف الناس من قريب
وهى مقيم ترى بنيها
من بين مرد وبين شيب
يأكل بعض البنين بعضاً
طلوع الشمس إلى غروب
تصحيفها الداء غير شك
قد يحسم الداء بالطبيب
والداء معكوسه مكان
يصلح للطائر النجيب

---

[1] الوسن : النوم .

[1] هاملات : فائضات من هملت العين إذا فاضت بالدمع .

يعرفها من يكون طَبّا[1]
بالشعر والنحو والغريب

٢٤ — وقال آخر :

وساكن يسكن فى الفلاة
ليس من الوحش ولا النبات
ولا من الجن ولا الحيات
ولا الخيام الشعر والأبيات
ولا بذى جسم ولا حياة
كلا ولا يدرك بالصفات
بل ، له صوت من الأصوات
يسمع فى الأحيان والأوقات

٢٥ — وقال أبو نصر الكاتب :

ومنكوح[2] إذا ملكته كف
وليس يكون فى هذا مراء
له عين كحلها ضياء
فإن كحلت فالميل[3] العماء
يظل طليعة للوصل عونا
والغاشى يزوره احتياء
وقد أوضحته وأبنت عنه
فعمره فقد برح الخفاء

[١] الطب بفتح الطاء : الماهر الحاذق بعمله .

[٢] المنكوح : الموطوء ، أو المغلوب من نكح النعاس عينه إذا غلبها .

[٣] الميل بالكسر : المرود الذى يكتحل به .

٢٦ — ومن العويص : امرأتان التقتا برجلين ، فقالتا لهما : مرحبا بابنينا ، وزوجينا ، وابنى زوجينا وذلك أن كل واحد من الرجلين تزوج أم الآخر ، فهما ابناها ، وزوجاها ، وابنا زوجيهما .

٢٧ — رجلان : كل واحد منهما عم الآخر وابن أخيه .

وذلك أن كل واحد من أبويهما تزوج أم الآخر ، فرزق كل منهما ولدا ، فكل من الولدين عم الآخر ، وابن أخيه .

٢٨ — رجلان : كل واحد منهما خال الآخر وابن أخته .

وذلك أن كل واحد من أبويهما تزوج ابنة الآخر ، فرزق كل منهما ولدا ، فكل من ولديهما خال الآخر ، وابن أخته .

٢٩ — رجل وامرأتان ، هو خال إحداهما ، وهى خالته ، وعم الأخرى وهى عمته .

وذلك أن جدته أم أبيه تزوجت أخاه لأمه ، وأخته لأبيه تزوجت أبا أمه فولدتا بنتين ، فبنت أخته خالته ، وهو خالها ، وبنت جدته عمته وهو عمها ، وهذا أصل بيت منظوم فى ذلك وهو :

ولى خالة وأنا خالها ولى عمة وأنا عمها

٣٠ — رجلان: كل واحد منهما ابن خال الآخر، وابن عمته

وذلك أن كل واحد من أبويهما تزوج أخت الآخر فرزق كل منهما ولداً فكل من ولديهما ابن خال الآخر وابن عمته.

٣١ — رجلان: كل واحد منهما عم والد الآخر.

وذلك أن كل واحد من أبويهما تزوج أم أب الآخر فكل من أولادهما عم أب الآخر.

٣٢ — رجلان: كل واحد منهما عم أم الآخر.

وذلك أن كل واحد من أبويهما تزوج ابنة ابن الآخر، فكل من أولادهما عم أم الآخر.

٣٣ — رجلان: كل واحد منهما خال أم الآخر.

وذلك أن كل واحد من أبويهما تزوج ابنة بنت الآخر فكل من أولادهما خال أم الآخر.

٣٤ — رجلان: أحدهما عم الآخر، والآخر خاله.

وذلك أن رجلين تزوج أحدهما امرأة، وتزوج الآخر ابنة ابنها، فولد لكل منهما ولد، فابن الأب عم ابن الابن، وابن الابن من أم امرأة الأب، هو أخوها، وخال ابنها

٣٥ — رجلان أحدهما عم الآخر، وخاله، والآخر ابن أخيه وابن أخته

وذلك أن رجلا له أخ لأب، وأخت لأم، فزوج أخاه لأبيه بأخته لأمه، فأولدها ولدا، فيكون أحدهما عم الآخر وخاله، ويكون الآخر ابن أخيه، وابن أخته

الاجابات

٦ — كنى بالأشهب عن الماء.

١١ — قوله: مختلف الأسماء: يعنى ميزان الشمس، وسائر آلات الرصد، وهو معنى قوله يحكم فى السماء، وميزان الكلام للنحو، وميزان الشعر العروض، وميزان المعانى المنطق.

١٢ — النخلة

١٣ — شبكة الصياد.

١٤ — ركابا السرج، والجالس السرج، وجداراه قربوسه ورادفته، والحفا بالقصر وجع الرجل، والمله المشى بلا نعل.

١٥ — اسم الشخص سعيد، شبه السين بالثغر، وثانيه للعين وهى تسبى القلوب، والحرفان يد واسم يوم التفاخر عيد.

١٦ — الأصم الذى لا يجيب هو القلم وأراد بقوله أعلم أنه مشقوق الشفة.

١٧ — اسم الشخص طريف ، فإذا أسقطت فاءه صار طريا ، وإذا أسقطت الياء صار طرفا وإذا ألقيت الراء صار طيفا ، وإذا ألقيت الطاء صار ريفا

١٨ — رمز الشاعر باسم الفتاة فى أول البيت وهو سلمى حينما قال : سل ما

١٩ — هى فتيلة السراج ، والبحر القليل المدى هو الزيت

٢٠ — هى الملح ، وقوله سر أى خالصة ، والملاح جمع ملح ، والإرب الحاجة

٢١ — هما ثديا المرأة ، والإهاب الجلد

٢٢ هما عودا الغناء ، والبخور ، وأصلهما خشب ، والضرب الأول ضرب عود الغناء والضرب الثانى من العذاب وهو الإحراق

٢٣ هى الحرب ، وشوكها السلاح وهى عقيم لأنها لا تلد ، وبنوها رجالها وأكلها قتلهم وتصحيفها الجرب ، ومسكنه برج

٢٤ — هو الصدى

٢٥ — هو الخاتم ، وأراه بقوله : تخللها ضياء أن عينه مفتوحة ، وكحلها وضع الأصبع فيها وقد يبعث الإنسان بخاتمه علامة لزيارة ، أو رهنا عليها .

عباس أبو السعود مصطفى

(بقية المنشور على صفحة ٦٧٠)

فى مسايرة النظم الجماعية الحديثة . فإن الإسلام يعترف بعصمة الملكية لأصحابها ويحتم أن يتحرى رضاهم قبل الإجبار وأنه إذا لم يكن المال فى أصل ملك الدولة — كالأراضى التى استولى عليها عنوة — فإن الأصول الإسلامية لا تقتضى تولى الدولة الإدارة بقدر ماتقتضى ترك المال فى يد صاحبه وتمكينه إدارته عما يتفق والصالح العام ، وأخيراً فإن الضرورات تقدر بقدرها فلا يتخذ ذلك ذريعة لإجراءات عامة غير مخصوصة بمبرراتها .

وعلى ذلك فحرية التملك هى حرية مقيدة أيضاً بالمقاصد الشرعية وتسمح بالتقييد والتدخل بالقدر الذى تجيزه هذه المقاصد وفى حدودها وبالطرق الجائزة شرعا .

والله أعلم .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

د. مصطفى كمال وصفى

حول كتاب .. عشرة أيام فى حياة الرسول

للأستاذ ابراهيم زيادة

كتاب جديد طالع الناس فى مطلع هذا العام يحمل ذلك الاسم الذكى للشعر الذى يطلق للخيال كل عنان ، ويجسم الرؤى على صفحة التصور وهى تلتقط من الأيام المباركة التى منحها الرسول للإنسانية كلها كلها أياما عظاما أعادت تشكيل الدنيا .. وصاغت وجه الحياة .

اسم يهز ثورة الشعور الدينى فى قلب كل مؤمن ، ويفجر فى أعماق الإنسان عوامل التحفز الباحثة فى روعة وجلال وبحور من سر هذه الأيام المتميزة التى كانت بقدور قوى كونية خلفت للبشرية أعظم تراث ، وأضاءت لها السبل والمعالم . وفى مثل ذلك الموكب الجليل النبيل تتسابق أجنحة الخيال كأنها رسل سليمان تختلس ومضة من هنا .. ولمحة من هناك من سمات هذه الأيام المختارة تحتبق بها الأنامل المدرقة وهى تقلب بينهم صفحات الكتاب .

وينطلق تداعى المعانى متمثلا بعض الأيام الفذة من حياة الرسول العظيم التى جلت بالضوء المبهر جبين التاريخ . سباق محموم بين الخيال وبين ما يدرك البصر من صفحات الكتاب . فإذا ما افتقد الخيال يوما بذاته من بين الأيام التى يستعرضها الكتاب توقع أن الضوء المرجى فيما يتلو من الصفحات .

هذا يوم التحكيم بين القبائل المتنافسة على رفع الحجر الأسود إلى متكئه يحمل الإرهاص النبوى العظيم ، وذلك يوم الوحى إذ جاءه الملك بأمر ربه .

وتتوالى الأيام العظام : يوم الطائف .. والعقبة " وحمزة " والحديبية .. والفتح وحنين " والتخيير .. ويوم الوداع " وبنزل المختار ؟ .

أين يوم الهجرة وما حوى ..

أين ذلك اليوم الذى تألقت فيه مواهب الربانى الذين صنعهم أعظم رسول أخرج للناس .. فسموا فوق طبيعة الإنسان ، ولم يشدهم مال ولا ولد ، ولا أرض ولا ذكرى ، إلى آخر ما تعارف عليه البشر من عواطف وروابط تحكم مسيرة الإنسان .

لم يذكروا إلا أنهم جند الله ومصابيح الضوء على منحنيات التاريخ ... يغرسون بذوب أرواحهم هداية الله للناس ، ويدقون بها

بدمائهم، متجردين من كل عواطف الضعف الإنسانى التى قد تعترض طرائق المجاهدين

أين عظمة اليقين ومضـــاء التحدى فى محمد بن عبد الله عليه السلام ، أمام طوفان الغدر وجبروت الشر ، أين براعة التخطيط ورباطة الجأش التى لا تبالى بجحافل الويل والقيل ولا تسمع لها ركزا . أين ومضات النور الإلهى التى يجريها الرحمن على يدى رحمته المهداة المصطفاة فـلا ينمى ودائع الناس فى للوقف الرهيب ، ومن خـلال أنياب الموت .

هل تراجع يوم الهجرة عن صدارته . وتخلف فى الترتيب حتى سبقته أيام عشرة وقد زيد إلى رقم لا يعلمه إلا المؤلف نفسه .

وقـد يقول قائل : ان الآراء تختلف فى ترتيب الأيام البارزة فى حيـاة الرسالة والرسول ، إلا أن القارىء ـ أى قارىء ـ عندما يقدم على قراءة كتاب اسمه (عشرة أيام فى حياة الرسول) ولا يجد من بينها يوم الهجرة فلا ريب أن الذهول سيدركه لهذا الإغفال ، وبخاصة عندما يجد المؤلف نفسه يؤكد الأهمية البالغة للأيام المختارة وما تتميز به من تأثـير فى تاريخ الرسول وسير الدعـــوة الاسـلامية فيقـول فى صفحتى (٤ ، ٥) . . .

« إنما يعنى اختيارنا هذه الأيام أننا وجدنا فيه مدخلا رحبا إلى تلك الحياة الحافلة العظيمة . . مدخـلا يفضى إلى الـكثير من أسرارها المضيئة ويجمعنا على الـكثير من خصائصها المتفوقة ، وشمائلها المتألقة وعطائها الذى لا يتقاصر أبدا ، ولا يفيض » .

ألم يرتق يوم الهجرة ـ فيما يرى المؤلف ـ ليصبح مدخلا رحبا يفضى بنا إلى أسرار الضياء المحمدى الذى يفيض دوما ولا يغيض أم تراه قـد انفحت سماته بأروقة الغمام فأضحى مدخلا مهجورا .

ولـكن فلنعرض عن دلالة الترتيب لعل معتذرا يقول ، إن يوم الهجرة عالم بذاته ولا يمكن أن يكون يوما واحدا معدودا !

تعالى معى أيها القارىء الـكريم لنرى من المؤلف أمرا عجيبا .

لقد تعرض المؤلف لانقطاع روح القدس جبريل عليه السلام بعد أن نزل على رسول الله ﷺ أول مرة بقوله تعالى « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان مالم يعـلم » وعلل ذلك الانقطاع بأمور منها : أنه يمكن للرسول أن يعتذر من حمل أعباء الرسالة إن وجـد فى نفسه ضعفا عن تحمل مالا يطاق بعد أن تملـكه الروع ، وبلغ منه الجهد كل مبلغ فى لقائه مع جبريل عليهما السلام ! !

ونص عبارة المؤلف من الكتاب المذكور ص ٤٢ (وإلى جانب ما قد تومىء إليه من منحة حق الاختيار إن شاء أن يتقدم حاملا من أعباء الرسالة ما يطاق ، ومالا يطاق ، وإن شاء فليتأخر قبل أن يرتبط مع الوحي بعهد وميثاق !

أرأيت أيها القارىء الكريم مثل ذلك من قول بالغ الغرابة ، مغرق فى البطلان ، ينشر على الناس فى كتاب ظاهره التمجيد وباطنه ارتياب يشكك فيما تعارف عليه المسلمون ، وأرسته قواعد السماء ، وأبرم منذ الأزل منذ إنفاذ أمر الله لرسوله ﷺ ، واختياره لحمل الأمانة العظمى وإعداده عليه السلام لما قبل أن يكون ما كان .

وبأسلوب إلهى مبرم ومعلوم لا يغويه احتمال التردد أو الرفض من جانب الرسول صلى الله عليه وسلم . الله أعلم حيث يجعل رسالته . ومن يختارهم مبشرين ومنذرين . وهو سبحانه غنى عن الدخول مع البشر فى تجارب يعجم بها أعوادهم ، ويستنبىء قدراتهم ، فمن فازفته أرسل ، ومن نكص فليذهب قعيد بيته قبل أن يرتبط مع الوحي بعهد وميثاق !!

من المستحيل أن يرسل الله إلى النبي بالآيات الخمس ثم يأمره بالانقطاع ليمنح الرسول حق الاختيار إن شاء قال ها أنذا مستعد لحمل الرسالة أو قال كفنى يا جبريل ما حدث أول مرة وأنا رافض لهذه الصفقة !

والفرض أن الرسول تنحى عن قبول الرسالة التى أكمل الله بها دينه فى الأرض ، فما مصير الآيات الخمس التى نزلت من سورة العلق . وما الذى كان سيحدث بالنسبة لبقية القرآن الكريم . هل يمسكه الله فلا مرسل له من بعده . وما مصير الرسالة كلها . أيحجبها الله عن العباد لتكون لهم الحجة عليه بعد ذلك أم يختار نبيا آخر غير ذلك الذى تنحى . وهل كان سيضعه تحت الاختبار مرة أخرى ليبلو معدنه .

وما الشأن لو رفض الرسالة ذلك النبي المختار الجديد كما رفض أخ له من قبل . هل تدور السانية من جديد وهل يتجمد الزمن فى مكانه انتظار الرسول تفرزه التجربة ، فيحمل الأمانة ، ويخرج الناس من الظلمات إلى النور . أم تبقى الجاهلية الظلماء ناشرة أعلامها السوداء حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

وبعد : فإن الكلمة المكتوبة هى أخطر نتاج للبشرية . وواجب أولئك الذين يتصدون للكتابة أن يراعوا مسئولياتهم ولا يغمسوا أقلامهم فى المداد الأسود وبخاصة حينما يكتبون عن أمر السماء .

ابراهيم عبد اللطيف نعمان

باب الفتوى

يقدمه الأستاذ : محمد أبو شادى

الإجابة لجنة الفتوى بالأزهر

(رأى الدين فى زواج الطائفة البهائية)

السؤال من السيد / الأستاذ وكيل نيابة طنطا الكلية للأحوال الشخصية :

تم عقد زواج بين كل من السيد / أحمد الصاوى ، والسيدة / ليلى محمد قاسم ، على مقتضى الشريعة البهائية بإيجاب وقبول من الطرفين على صداق مسمى بينهما ، وهذا العقد لم يسجل رسمياً ، وقد تنازع طرفا هذا العقد ورفع الأمر إلى القضاء .

ويسأل الأستاذ المستفتى عن حكم هذا العقد ؟ وعن محكمة الاختصاص للفصل فى هذا النزاع ؟

الجواب

إن مذهب الطائفة البهائية قد اشتمل على عقائد تخالف الإسلام منها ادعاء النبوة لبعض زعماء هذا المذهب ، والألوهية لبعض آخر وأن الإيمان هو متابعة هذا المذهب والكفر هو مخالفته ، وأن هذا المذهب ناسخ لجميع الأديان .

وعلى ذلك فطائفة البهائية ليسوا مسلمين بل هم مرتدون عن الإسلام ، وزواجهم باطل ويجب التفريق بينهما فورا .

والمختص بالفصل فى مثل هذا الزواج محاكم الأحوال الشخصية للمسلمين . والله تعالى أعلم .

(الإنفاق على المسجد إنما يكون من ريع الأرض الموقوفة عليه)

السؤال من السيد / كريم محمد كريم :

أوقف المرحوم محمد كريم قطعة أرض زراعية قدرها ط ١٦ و ٢ ف ليصرف من ريعها على مسجد قرية الغنش ، وبعض ورثة الواقف المذكور يعارضون فى هذه الوقفية ويريدون تقسيم قطعة الأرض المذكورة على أنفسهم ـ فما حكم الشرع

فى هذا الوقف، وكذلك ما الحكم فى مطلب الورثة المعارضين أو يرافق لهذا حجة الوقف المذكورة المؤرخة بتاريخ ١٩٦٠/٣/٢١ .

الجواب

اطلعت لجنة الفتوى بالأزهر على ما كتبه المرحوم الحاج محمد كريم من ناحية عزبة المفتش تبع بلدة العرقوب بحيرة بخصوص الأرض التى جعلها للمسجد المذكور بعزبة المفتش والتى ذكر فى كتابته وجوه المصرف منها على المسجد .

وتفيد اللجنة بأن ما كتبه الحاج محمد يعتبر وقفا خيريا على المسجد من وقت صدور الكتابة منه ويكون الإنفاق من بيع الأرض على المسجد وليس لأحد من الناس أن ينازع فى هذا الوقف الذى صدر منه بصيغة البيع للمسجد فذلك وقف واضح ومفهوم وعلى هذا فكل ما حصل من بيع الأرض يكون قاصراً على المسجد كما ذكرنا لأنه محبوس على ملك الله بنص الواقف وهذا هو الحكم والله تعالى أعلم .

(رأى الدين فى الأذان على الميت فى القبر ؟)

السؤال من السيد / الأستاذ عبد الله حسين

١ — هل يجوز الأذان على الميت فى القبر ؟

٢ — هل مس المرأة الأجنبية ينقض الوضوء ؟

٣ — هل تجب الزكاة على العدادة من الإبل والسيارة التجارية ؟

٤ — هل تجب الزكاة على حلية المرأة من ذهب أو فضة ؟

٥ — هل يصح أن يعتمد الولد لأمه ؟

الجواب

عن الأول : بأنا لم نقف على سنية الأذان أو الإقامة على الميت بعد أن يوضع فى قبره .

وعن الثانى : بأن لمس المرأة الأجنبية مطلقا لا ينقض الوضوء عند الحنفية وينقض مطلقا عند الشافعية وينقض عند الإمامين مالك وأحمد بشرط أن يقصد اللذة أو يجدها .

وعن الثالث : بأن مذهب الحنابلة لا تجب الزكاة فى العوامل أكثر السنة ولو لإجارة ولو كانت سائمة نصا ، كالإبل التى تكرى والبقر التى تتخذ للحرث أو الطحن ونحوه ، لحديث (ليس فى العوامل صدقة) وكذا عند الحنفية لا زكاة فى العوامل وعند المالكية تجب الزكاة فى العوامل مطلقا إبلا أو غيرها وعند الشافعية الأصح أنه لا زكاة فى العوامل لأنها ليست معدة للنماء بل للعمل .

وعن الرابع : بأن مذاهب الشافعية والمالكية والحنابلة لا توجب الزكاة فى حلية المرأة المصنوعة من الذهب أو الفضة ، أما الحنفية فإنهم يرون وجوب الزكاة فيها.

وعن الخامس : بأنه يصح للولد أن يتولى عقد زواج أمه عند وفاة أبيها عند الشافعية والله تعالى أعلم.

(تعاطى التبغ والدخان لايؤثر فى إسلام الشخص):

السؤال من السيد / الحاج حسن بن على
(جمهورية مالى)

١ — هل صحيح أن تعاطى تبغاً سواء كان على شكل تدخين أو أى شكل آخر لا تجوز الصلاة خلفه ؟ أو حتى الدخول فى مسجد يصلى فيه المدخن ؟ وهل إذا مات لايغسل ولا يصلى عليه ؟ وما حكم من يتعاطى التبغ ؟

٢ — ما حكم الرقيا بأسماء الله أو بغير أسماء الله هل حرام أو مكروه ؟ وهل الحديث الذى يقول : « صلوا على من قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله » هل صحيح أم ضعيف أم مردود ؟

الجـواب

عن الأول : بأن تعاطى التبغ والدخان لا يؤثر فى إسلام الشخص ولا فى صحة صلاته أو صحة الاقتداء به وحكم تعاطيه أنه مختلف فيه والورع تركه .

وعن الثانى : بأن الرقيا بآيات من الكتاب العزيز أو بما ورد عن رسول الله ﷺ ثابت فى كتب السنة الصحيحة ، كما أن الحديث المسئول عنه الذى فيه : « صلوا على من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله » ثابت فى كتب السنة الصحية والله أعلم .

(التسوية بين الزوجات فى القسم واجبة)

السؤال من السيد / محمود بهاء عبد العزيز

لوالدى زوجتان ، إحداهما والدتى وقد تزوجها من مدة طويلة وأنجب منها ستة أبناء ، أصغرهم عمره خمس سنوات ، والزوجة الأخرى حديثة وأنجب منها ثلاثة أولاد صغار ، وهو يعمل بالتجارة وأقوم أنا بمساعدته ، وكان قد أخفى زواجه الثانى على الأسرة جميعها وخاصة والدتى ولكنها علمت مصادفة أنه متزوج من أخرى ، ومن وقتها نشأ الخلاف بينهما وكان يؤدى إلى كثير من المشاحنات مما أثر على صحة والدتى وأخى الصغير ، فقد أصيب أخى هذا بانهيار عصبى وكذلك والدتى لازمت الفراش مما أثر

هذه الصدمات، وكان والدى فى بدء زواجه بالأخرى يتغيب عن محله وبيته الأول فى فترة الظهيرة ، وبعد العلم بهذا الزواج أخذ فى المبيت فى بيته الثانى وكلما زادت المشاحنة مع والدتى كلما زاد تغيبه عنها حتى استقر الآن فى بيت الزوجة الثانية ، وأرجو معرفة رأى الشرع فى هذه المشكلة حيث إن والدتى ترغب فى أن يعود والدى إلى وضعه الأول الذى كان عليه قبل العلم بزواجه الأخير .

الجواب :

يجب على الزوج أن يسوى فى القسم بين زوجاته ولا يدخل على غير المقسوم لها بغير حاجة فإن دعت ضرورة إلى دخوله على غير ذات النوبة فى الزمن المعتبر أصلا بالنسبة له وجب عليه أن يقضى هذا الزمن لصاحبة النوبة من نوبة من دخل عندها أما دخوله فى غير الزمن المعتبر أصلا بالنسبة له فإن لحاجة جاز أو لغير حاجة فلا يجوز والله تعالى أعلم .

(أخذ المال بدون إذن صاحبه يعتبر أكلا له بالباطل) :

سؤال : من السيد / أحمد البندارى

لى مبلغ ٣٠٠٠ جنيه طرف إحدى الشركات وقد رأيت تحويله لأحد أقاربى لاقتضائه من الشركة ويريد هذا القريب أخذ مبلغ ألف جنيه لابنى للزوج من بنته دون اتفاق على ذلك مع الإحاطة بأنى قمت بدفع جميع التكاليف التى تكبدها هذا القريب بدأن اقتضاء هذا المبلغ — فهل هذا من حقه ؟

الجواب :

إن قريب السائل لم يتكلف أى شىء فى العملية المستحق عنها مبلغ الـ ٣٠٠٠ جنيه وكان يتقاضى مصاريف حضوره فى كل مرة ولا حق له فى أصل المبلغ ولم يحصل أن وعده السائل بجعل نظير اقتضائه للمبلغ المذكور وعليه فإن المبلغ جميعه من حق صاحبه ولا يحق للآخر أن يتحكم فى أخذ أى جزء منه لا له ولا لغيره بدون رضا صاحب المال فإن فعل فهو من أكل أموال الناس بالباطل والله تعالى أعلم ؟

أنباء وآراء

« إلى محقق أسد الغابة ، فى معرفة الصحابة »

تصدير « دار الشعب »

« أسد الغابة فى معرفة الصحابة » من أندر المعاجم التى حدثت عن صحابة رسول الله ﷺ ، وهذا السفر الجليل - كغيره من كنوزنا - عبر إلينا القرون عن طريق النسخ ، وما وقع فى النسخ من شوائب ، ثم صدرت منه بعض طبعات ليس الاطمئنان إليها ميسورا .

فنحمد الله أن هيأ للكتاب ثلاثة من علمائنا توفروا على تحقيقه والعناية به بجهد بارز مشكور يليق بسفر (عز الدين بن الأثير) عليه رحمة الله .

وإنما بعض ملاحظات :

١ — جاء فى الترجمة ٢١٣ - أقمس بن سلمة ، وفيها أنه « وفد إلى النبى ﷺ ، هو وطلق بن على ، وسلم بن حنظلة ، وعلى بن شيبان . كلهم من بنى سحيم بن مرة ابن الدول » رضى الله عنهم .

وقد وقع الاسم فى طبعة الوهبية ١٢٨٠هـ (أقمش) بالشين ، وهو بالشين كذلك فيما اختاره المحققون أنفسهم فى الجزء الذى صدر لهم - قبل دار الشعب - مع تعلوق لم يحسم الخلاف - ثم جاءت طبعة الشعب لهم والاسم (أقمس) بمهملة فما سر الاختيار ؟ . كان الأجدر الحاق بيان بذلك حتى يطمئن الباحث إلى هذا الاختيار .

٢ — ترد فى بعض التراجم أسماء لصحابة اشتركوا فى واقعة حال مع المترجم عنه كهذه الترجمة ، ولا أشك أن المحققين قد استقروا هذه (الأعلام) فى مواضعها من الكتاب .

وفى هذه الترجمة ٢١٣ (سلم بن حنظلة) . وجد فى الوهبية (سلمى) كذا بالألف ولبس علما على مؤنث .

فهل هو خطأ مطبعي في الوهبية؟ مع أن «سلمي» لمذكر كرر في تراجم لثلاثة . الوهبية ٣/٣٤٢،٣٤٣ .

٣ — نصت الترجمة [٣٨٢] على تصحيح (بابل) بـ (بزبل) وفيها (بضم الباء والزاي ونحن نذكره في موضعه إن شاء الله تعالى) فأين موضعه ؟ إذ لا وجود لبزبل إطلاقا لا في طبعة دار الشعب ، ولا في طبعة المحققين الأولى ولا في الإصابة أو الاستيعاب .

٤ — جاء في الترجمة ٤٨٢ ـ ١ / ٢٣٩ في السطر العاشر قوله : قد جمالناه وصحتها (خلعناه) والمعنى معروف . فأما الأبيات والقصة مع غيرها فقد رويت لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه [شرح أشعار الهذليين للسكري ٢ / ٩٠٣ ط دار العروبة ١٣٨٤ هـ] ، وهي ثمة أدق حيث يقول :

أصادق ريشة يال ضمره . ألا ليس لله عليه قدره
أما تزال شارف أو بكره يطعن منها في سواء الثغره
يا رب إن كان معدا نجره فاجعل أمام العين منه جمره
تأكله حين يوافي الجمره

فأما الجمرة فيقصد بها الجمرات المعروفة في مناسك الحج ، ويشهد لدقة الأبيات في الهذليين سياق الرواية :

ونأمل أن تتدارك اللجنة هذه الأمور حتى يتم النفع بهذا السفر الجليل .

أنباء :

● بين شاه ولي الله الدهلوي ومحمد عبده

طلبت جامعة لندن إلى الباحث الدكتور خليل عبد العالي أن يعد بحثا يبين فيه إن كان ثم تأثير لشاه ولي الله الدهلوي على محمد عبده أو لا ؟

سبق للباحث أن قدم رسالة عن شاه ولي الله الدهلوي لجامعة «البنجاب» بباكستان حصل الدكتور خليل عبد العال مدرسا بالأزهر في معهد جرجا الديني .

● صلات دور الإفتاء :

يأمل مفتي الجمهورية العربية المتحدة الشيخ محمد خاطر أن يقيم صلات مباشرة مع مفتي البلاد الإسلامية حتى يعبد الإفتاء طريق اتصال لجمع الكلمة بين الشعوب الإسلامية ؟

علي الخطيب

become Muslims has given them a sense of belonging to a wider community trascending regional, racial, and linguistic barriers. But of great importance to note is that present-day Muslim leaders, learned men and youth, are aware of or assume that they are an historical people whose history is older than the other peoples with whom they are now east as members of a single state. This is axiomatic with them. What had given them, among other things, a sense of identity has been and still remains Islam.

Another factor must also be considered : Muslims, rightly or wrongly, take it for granted that they have a longer history in the struggle for freedom than the other inhabitants in the Philippines. All efforts to Christianize them, to reduce them to vassalage, and sometimes even to exterminate them, have failed. As a people proud on account of this fact they resent what appears to them an attitude of economic superiority over them by others, as well as the exercise of political power over them by persons who in effect seem to ignore their existence and take their sensibilities for granted. They also resent what appears to them as neglect, if not outright discremination, in their claimed share of these social benefits that ought to proportionately belong to them. In brief, they assert that the nationat society into which they had been thrut is an unequal society. But what they resent, most of all, is the questioning of their patriotism and similar unnecessary suspicions. And these attitudes have come about on account of their history. That is why the complains or problems of the Muslims in the Philippines cannot be dealt with in the same manner that the complaints of labor groups, political parties, farmer groups, pressure groups, etc., are to be dealt with. The problems of the Muslims in the Philippines are peculiar and special problems ; although by these I do not mean that they want to have special privileges. Just what these problems are and how they are to be solved do not properly belong to this paper— other papers will be read in this symposium and there is the Commission on National Integration. My point and conclusion is that no solution to the problems of the Muslims in the Philippines can be a permanent one or even possible without taking into consideration as a frame of reference the principle that the Muslims in the Philippines have an older history than that of the other Filipinos or even that of the Filipino nation and that they are aware of this.

(Concluded)

to prevent the English from having a foothold in Sulu as well as to punish the Sulu Sultan for the actions of some of his piratical subjects a more serious attempt was made to conquer Sulu and establish permanent garrisons there. Already a few garrisons were established in Muslim lands in Mindanao. One disadvantage of the Sulus and Maguindanaos in their resistance was the modern navy of the Spaniards. It was thus that in 1876 Jolo was taken in on assault. The Sultan retired to the interior. Incidentally, it was not long after this that the Sultan leased his North Bornean territories to an Austrian business adventurer. Although the Spaniards were able to foist intrigues in the dynastic affairs of the sultanate, for all practical purposes, the Sultan and Sulus felt unconqered. Skipping a great deal of important facts relative to this sixth stage, the point I want to emphasize is that the Moro War at this stage was principally waged by Spain to prevent other European powers from exercising political influence on the sultanates that might be detrimental to Spanish interests in the Archipelago. Admirable about the Sulu sultans at this stage is that they had to contend with the ambitions of Spain, Great Britain. the Netherlands, and even Germany. Actually, the Sultan had diplomatic relations with all of these countries — trying to play them one against the other and all the time trying to maintain control over the powerful datus. Significant about this last stage of the Moro Wars, is that the problem of evangelization ceased to play an important factor. Spanish military officers were mostly interested in converting the Muslims into loyal subjects of the Spanish King. The problem of Christianization was not their concern. The religious motive in colonialization was reducing although some missionaries in 1892 like Juan Ricart tried to convince Spanish officialdom that with the elimination of the power of the traditional chiefs as well as the prestige of Muslim religious teachers, the panditas, "it will not be long that the Moros will come to us en masse with the same docility as those of the other races of the Archipelago," — a tacit admission that it was Islam the prevented the Muslims of the Philippines to become docile subjects of Spanish officials or docile wards of Spanish friars.

The Muslims in the Philippines are an historical people whose political organizations have antedated the coming of Europeans in the Archipelago ; and their having

failed. Again, a desultory war followed. The idea to convert the sultans failed in the case of Maguindanao. Although I Azim-ud-Din, the deposed Sulu sultan, was baptized in Manila, such an action did not have much political results in Sulu since a new sultant took over. In any case, the problem of the sincerity of the conversion still remains an open one.

In the fifth stage, the Iranuns of Butig and the Maranaos begin their devastating attacks on other parts of the Philippines, reducing the number of tributes for Spain coming from the Visayas and causing a virtual disruption in the economic life of many islands under the Spanish colonial regime. On account of thousands of captives taken by the Muslims, some depopulation started to take place in the Visayas. But all these were in response to the Spanish order in 1751 to enslave all captured Muslims, destroy their settlements, boats, plantations, and fields. Yet as the facts demonstrate, it was the Sulu Sultan who was always the first to initiate moves for a peaceful settlement. The lessening of Spanish power as a direct result of the British invasion of the Philippines and capture of of Manila in 1762 once again brought about a decline of hostilities between Spaniards and the Sulus and Maguindanaos. The Muslim principalities once again tried to recapture their days of commercial prosperity; but they were not to be left in peace.

During the nineteenth century, Sulu become a center of European rivalrices. The French wanted to base in Basilan in the 1850's. The English started to renew trade agreements with the Sulus. All of these alarmed the Spaniards who concluded rightly that the presence of other rival European powers on their southern frontiers spelled danger to their hold in the Philippines. Taking as an excuse the piratical activities of some of the datus and other subjects of the Sultan, the Spaniards led an expedition to Sulu in 1851, capturing Jolo and claimed Sulu as a protectorate although the Sulus interpreted the peace terms to represent a declaration of firm friendship between two sovereign powers. In any case, the Sulu Sultan acted as independent as before although Spain used the Treaty as a legal document to prevent other rival European powers from entering into treaties with Sulu.

On account again of the fear that Sulu might seek an alliance with other European powers and

conflict between the Maguindanaos and the Spaniards once again broke around 1656, the Sultan declared the jihad (holy war) against the Spaniards. Declaring that the war against the Spaniards was for the preservation of the Islamic faith, the Sultan called on the sultans of Sulu, Ternate, and Makassar to drive out the Sapaniards from Muslim lands. A bloody but inconclusive war onsued. In any case what succeeded was that in 1663, the Spaniards, on account of the Koxinga threat as well assother factors, abandoned the Moluccas and the Zambeanga fort. For about fifty years there was to be relative peace between the Spaniards and the Muslims in the Philippines and other Indonesian islands. This relative peace was once again broken when the Spaniards in 1718 decided to reoccupy Zamboanga and fortify it. All this demonstrate that the Muslims were willing to keep the pleace now provided the Spaniards decided to leave them and their terriotories alone.

Between 1663, when Zamboanga was abandoned, to 1718 when it was refortified, there was an interlude in the Moro Wars which allowed the sultanates to become more organized and their Islamic institutions to be reinforced. Vigorous commercial relations with other principalities were initiated. It was around this time, too, that the Sulu Sultanate acquired the North Borneo territory from the Sultan of Brunei as a grateful recompense for an armed intervention in a dynastic quarrel. Sulu had reached the highest level of its territorial expansion. Actually, Sulu was simply filling up the power vacuum left in the island of Borneo as a result of Brunei's gradual political and commercial decline.

The Spanish government, principally on account of Jesuit agitation, decided to refortify Zambeanga. The Jesuits, more than any religious order in the Philippines, were the most insistant on the evangelization of the Muslims - an attitude, which in spite of traditional Muslim respect for men of religion of whatever faith, cost them a few casualties on account of extreme zeal. It is proposed that the fifth stage began with the refortification of Zamboanga in 1718 and ended in the Spanish failure in the eighteenth century to reduce the Muslims to vassalage. To achieve this political end, a Spanish plan was devised to convert the sultans of Sulu and Maguindanao as a stage preparatory to the eventual conversion of the datus and subjects. In this stage, the combined Sulu-Iranun attack to capture Zamboanga in 1719

THE MUSLIMS IN THE PHILIPPINES A HISTORICAL PERSPECTIVE

By : CESAR ADIB MAJUL

— IV —

The Spanirads adopted the policy of depopulating the Muslim areas — burning settlements, plantations, fields, and orchards, and enslaving Muslims for the galleys. The Lamitan capital of Sultan Qudarat falls the Spaniards in 1637 and Sulu Sultan's cotta in Jolo, defended by people of Makassar and Basilan, Tausugs and Samals, falls in 1638. The Sulus retire to the interior and other islands. The Maguindanaos and people of Buayan retire also to the interior. A new policy is adopted by Sultan Qudarat; battles with the Spaniards are to be reduced to a minimum and settlements were to be abandoned since as the Sultan said, there was enough wood in the forests to rebuild settlements after the withdrawal of the enemy. The problem of the Muslims was presence combined with the possibility of Muslim retaliation on Spanish controlled towns lead the Spaniards to make peace with Maguindanao in 1645 and Sulu in 1646. Spanish missionaries had also arrived at the conclusion that continuous conflict was incompatible with missionary activities.

Interesting to note about the treaty between the Spaniards and Maguindanaos in 1645 was that the former were forced to recognize that the sphere of influence of Sultan Qudarat covered the whole continuous coastal area from Sibuguey (just off Zamboanga City) to the Davao Gulf and extended to the interior up to most of Maranao territory as well as over the populations that inhabited the areas where all the sources of the Pulangi originated. Except for the present Republic of the Philippines, there was never a more extensive native kingdom or political entity in the Philippine Archipelago. The 1646 Treaty with the Sulus provided that the Spaniards abandon the island of Jolo.

When on account of Spanish provocations in territories tributary to Sultan Qudarat, insults against the person of the Sultan, and continuous efforts at conversion, the

of the State himself who performs this duty). Thus one meets not only other members of the community, but also the responsible function-aries of the place and approaches them directly without formality or hinderance. The social aspect of the service of prayer is that the believer feels around him the sovereignty of God, and lives in a state of military discipline. At the call of the muezzin, all rush to the place of assembly, stand in serried ranks behind the leader, doing acts and carrying on movements in common with others, in perfect uniformity and co-ordination. Further, the faithful, in all parts of the globe, turn their faces, during the service of worship, towards the same focal point, the Kabah or the House of God in Mecca. This reminds them of the unity of the world community of Muslims, without distinction of class, race, or region.

169 — The preferable and more formal way of worship is the congregational service. In the absence of such a possibility, or lacking adequate facility, one prays alone and individually, man or woman. The five prayers of the day mean rather a minimum duty of passing about 24 minutes, during 24 hours, in the presence and remembrance of God; but the believer must actually remember God, every instant, in weal and in woe, at work or in bed or while engaged in any occupation. The Qur'an (3/190-1) says : "..men of understanding, who remember God standing, sitting, and reclining, and consider the creation of the heavens and the earth, (and say) Our Lord ! Thou didst not create this in vain.." God has made the universe subservient to the use and benifit of man; but the enjoyment must be accompanied by recognition (gratitude) and obedience, and not by rebellion against God and injustice against other fellow-beings.

170 — It may here be mentioned that at the very moment when the service of prayer was instituted, the Qur'anic vers (2/285) was revealed : "God tasketh not a soul beyond its scope". It is the inteation and will that counts in the eyes of God, and not the quantity or the exterior method of accomplishing a thing. If a devout man honestly believes that he is unable to perform five times daily the service of prayer, let him observe at four times thrice, twice or even a single time every day, according to his opportunities and circumstances, and the duration of the hindrance. The essential point is that one shold not forget one's spiritual duty in the midst of material and mundane preoccupations.

(to be continued)

firm on the path when crossing over the Hell, and do not let them stumble on the day when the feet of Thy friends will remain firm and the feet of Thy enemies will stumble".

167 – The five daily services were made obligatory for Muslims on the occasion of the Ascension of the Prophet (mi'raj). The Prophet Muhammad has moreover declared that the service of worship of a believer is this own ascension, in which he is raised into the presence of God. Tese are no empty words; let look at what a Muslim does in his worship. First of all, he stands up, holds up his hands, and proclaims: "God alone is great"; thus he renounces all except God and submits himself to the will of his Lord alone. After having hymned and recalled the merits of God, he feels so humble before the Divine majesty, that he bows low and puts down his head as a sing of reverence, proclaiming "Glory to my Lord Who alone is Majestic". Then he stands erect to thank God for having guided him, and in his mind of minds he is struck so much by the greatness of God that he feels impressed to prostrate himself and to place his forehead on the ground in all humility, and declare "Glory to my Lord Who alone is High". He repeats these acts so that the body gets accustomed to the spiritual exercise and gradually becomes worthier and warthier so as to be lifted from the world of matter and pass through the heavenly atmosphere, and enter the presence of God, there he salutes God, and receives the answer to his greetings. In fact, he employs for the purpose the very formulae that were used during the Ascension of the Prophet Muhammad, when he exchanged greetings with God: "The blessed and purest of greetings to God - Peace with thee, O Prophet, and the mercy and blessings of God - Peace with us and with all the pious servants of God". Without material, idol-like symbols, the believer travels, so to say, towards the transcendent God, on a spiritual journey, which, in crtain communities, is termed "communion".

168 — Such is the spiritual significance of the service of worship. As for its material utilities, these again are numerous. It assembles five times daily the inhabitants of a locality, provides the opportumity of relaxation for some minutes in the course of the monotonous duties of individual avocations, and gathers the highest as well as the lowest personalities of the place in perfect equality (for it is the chief of the locality, who is to conduct the prayer; and in the metropolis, at the central mosque, it is the head

last chapter The above - mentioned acts of different creatures have been adapted and assimilated therein, adding thereto what is particular to man and not found in other creatures).

166/a – It may be recalled that the Islamic word for the service of worship is 'ibaadah, which is from the same root as 'abd, i.e., slave. In other words, worship is what the slave does, the service the masrer desires of him. God demands of the mountains to stand, and of beasts to remain bent ; that is their service, their worship. To everyone what suits him and what his Lord desires of him. Of course to man also what becomes of him as a rational being, as the foremost of the creatures, as the vice-gerant of God.

16?/b — Ablution or ritual washing and physically being clean is a pre requisite of the validity of a Service of Worship, as will be detailed later (S 549 ff.) A Muslim philosopher has nicely brought into relief its significance. For this ritual purification one has to wash the hands, the mouth, the nose, the face, the arms, the head, the ears and the feet. Washing them is not merely the outward cleanliness ; it is a repentence for the past and a a resolution for the future. Repentence washes away the past sins, and resolution through invoking the help of God concerns what is yet to come in life ; and this relates to our principal organs of mischief. The hand attacks, the mouth talks, the nose smells, the face or presence abuses the prestaige and exerts influence and pressure, the arms hold, the head thinks and plots, the ears hear, the feet march in the way of evil, forbidden by God. Not to speak of the sexual sin, from which one gets rid even before beginning the ablutions, and one has to get clean in W. C. This symbolical and mystical aspect or purification is evident in the formulas of invocatins which accompany washing each organ. In the W. C. we say ; " O God, purify my heart from hypocrisy, and my sex from shameful acts and fronication." One begins the formulation of the intention of the ablutions by saying : "Praise be to God Who has made water pure and purifying". When washing the face, one praise to God : "Brighten my face on the the Dooms Day, and do not darken it", for washing the arms : "Employ me in good deeds and not in evil one, give me may Rolls on Dooms Day in my right hand and not in left, and facilitate me my reckoning and do not make it difficult" ; for head : "Teach me useful knowledge"; for ears : "Let me listen to Thy word and the word of Thy messengers" ; and for feet : "Make my feet

ego and self - consciousness — so low that it touches the ground in front of the object of reverence . . . As a man can reach the top of his spiritual evolution only gradually, it is evident that such an ascension must pass through all the three stages; and a perfect service of worship would have three postures, Standing up, Bowing down, and Prostrating by laying the head on the ground in the presence of the Almighty; and all this is performed for the necessary evolution of the spirit so that one might feel truly the sublimity of God and the humbleness of man." (Hujjatullah al balighah, vol. I, Secrets of Worship).

166 — In a passage (2 /18), the Qur'an says : "Hast thou not seen that before God are prostrate whosoever is in the heavens and whosoever is on the earth, and the sun, and the moon, and the stars, and the hills, and the trees, and the beasts, and many of mankind. . . ."? Again (17/44) : "The seven heavens and the earth and all that is therein praise Him, and there is not a thing but hymneth His praise; but ye understand not their praise... The islâmic service of worship combines in fact the forms of worship of all creatures. The heavenly bodies (sun, moon, stars) repeat their act of rising and setting (like rak'at after rak'at of the service) : the mountains remain standing (like the first act in the service); the beast remain bowed and bent (like the ruku' in the service); as for treer, we see that they get their food through their roots, which are their mouths and this in other words signifies that the trees are perpetually prostrate (like the sajdah or prostration in the Islamic service of worship). Further, according to the Qur'an (8/11) one of the principle functions of the water is to purify (and compare the need of abulutions for the service). Another passage (13/13) says : "The thunder hymneth His praise," and this makes us think of the loud pronunciation of Allaahu akbar, so often repeated during the service, even if we disregard the loud recitation of the Qur'an during the service which is done during certain services and not in others. The birds flying in flocks worship God (Qur'an 24/41), as also Muslims do when celebrating their congregational service Just as the shadow stretches and shortens in the course of its daily, life, (which is its particular way of submission to and worship of God, cf. Qur'an 13/15, 16/48), so too the human worshipper stretches or shortens himself while standing, bowing prosterating or sitting in the course of the service. (See pictures of the different postures of Muslim worship in the

abandoning, during the few minutes spent in each service of worship, all material interests, in order to provide proof of one's submission and gratitude to God our Creator. That applies to every adult, man or women.

164 — The service of early afternoon is transformed every Firday into a weekly congregational service, with greater solemnity, in which the imam of the locality delivers also a sermon before prayer. Islam has instituted two annual feasts : one at the end of the fasting month, and the other on the occasion of the pilgrimage to Mecca. These two feasts are celebrated by two sepecial services of worship, in addition to the daily five. Thus, early in the morning people assemble for a collective service of prayer, after which the imam delivers a sermon. Another service of prayer, of restricted obligation. is held for the deceased before burial.

165 — Speaking of the hidden meaning and myesterious effects of the service of worship, the great mystic Walullah ad-Dihlawi says ; "Know that one is sometimes transported, quick as lightning, to the Holy Precincts (of the Divine Presence), and finds one's self attached, with the greatest possible adherence, to the threshold of God. There descend on this person the Divine transfigurations (tajalli) which dominate his soul. He sees and feels things which human tongue is incapable of describing. Once this state of light passes away, he returns to his previous condition, and finds himself tormented by the loss of such an ecstasy. Thereupon he tries to rejoin that which has escaped him, and adopts the condition, of this lowly world which would be nearest to a state of absorption in the knowledge of the Creator. This is a posture of respect, of devotion, and of an almost direct conversation with God, which posture is accompanied by appropriate acts and words, . . .

Worship consists essentially of three elements : (1) humility of heart (spirit) consequent on a feeling of the presence of the majesty and grandeur of God, (2) recognition of this superiority (of God) and humbleness (of man) by means of appropriate words, and (3) adoption by the organs of the body, of postures of necessary reverence . . . To show our honour to somebody we stand up, with a fulsome concentration of attention, turning our faces, towards him. Even more respectful is the state when we bend and bow our heads in reverence . . Still greater respect is displayed by laying down the face — which reflects in the highest degree, one's

DEVOTIONAL LIFE AND RELIGIOUS PRACTICES OF ISLAM

By Dr. Muhammad Hamidullah

It is the aim of Islam, to offer a complete code of life, without neglecting any one or the various domains of human activity. Its objective is a co-ordination of all these aspects. The concern "centralization" is displayed in the fact that all Islamic practices touch simultaneously the body and the soul. Not only do temporal Practices acquire a sacred moral character, when they conform to Divine prescriptions, but the spiritual practices also possess a material utility. The rules of conduct, whether spiritual or temporal, emanate from the one and the same source, the Qur'an which is the Word of God. The ineluctable result is that according to the Islamic terminology the imam (supreme director or leader of the Muslim world) signifies not only the leader of the service of prayer in the mosque, but also the head of the Muslim State.

161 — In a well-known saying, the Prophet Muhammad has defined the faith (Iman), the submission (Islam) and the best method (Ihsan) leading thereto. For elucidating the subject under discussion, it would admirambily suit our purpose to quote and comment on what he has said on the second point. He declared : Submission to God (Islam) is, that one should celebrate the services of worship, observe annual fasting, perform the Hajj (pilgrimage) and pay the Zakat taxes.

SERVICE OF WORSHIP

162 — "Worship is the pillar of religion" is a saying of the Prophet Muhammad. The Qur'an speaks of it more than a hundred times, and calls it variously salat (inclination), Du'a (prayer, appeal), dhikr (remembering), tasbih (glorification), inabah (returning, attachement), etc.

163 — In its concern for creating an atmosphere of the sovereignty of God on earth, Islam has prescribed five services of worship daily: one should pray when one rises — and one should rise early — again early in the afternoon, late in the afternoon, at sunset, and at night before one goes to bed. This requires

system, namely, to foster love sympathy and to purify hearts from envy and hate. It was for this reason that the Qur'an called the doers of these sins as : «الظالمون» (oppressors or evil-doers).

Patience :

Patience would be considered as a true moral quality only when it be performed with total submission to the Will of God, and in complete freedom of action. The Holy Quran refers to this noble quality as follows :

« يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين » .

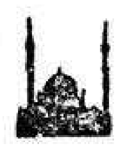
(البقرة ١٥٣)

It means : " O ye who believe ! Seek help with patience and prayer. Lo ! Allah is with patients" (2:153).

With the help of the patience the true believer resists and overcomes, first the passions of the body, and then the attacks of transgressors.

Forgiveness

The Qur'an commended this noble quality in several occasions. The objecti of the forgiveness or proportional punishment is to amend the fault and improve the condition of the wrongdoer. From this point we can understand there is in Islam neither the one extreme side. The mere presence of this quality in a person does not entitled him to real credit unless he shows by its use on the right occasion that he possess es it as amoral quality. In a society of this mode - where the Qur'anic moral qualities af honesty, sincerity, justice, Keeping promise, patience, politeness goodness for giveness-there is complete abseance of jealousy and hatred but there is a real sense of equality and brotherhood. The moral qualities recommended by the Holy Qur'an, effected at once the life of the wild children of the Arabian desert, and enabled them to become an advanced and civilized society in a short period



danger like a coward, but he takes any step to resist evil by patience and steadfastness even in the violent battle field. The true faith in God increases the instinct of bravery in the way of truth and justice.

Politeness

This is one of the highest moral qualities preached by the Holy Qur'an. It enjoins upon the believers to lead a polite social life. The preliminary stages of this quality are to avoid defaming one another, and not traduce any person in his absence, not to deride others, not to insult anyone, to avoid suspicions and even not to call one by his nickname. The following verses of the Qur'an refer to the essential conditions of the life of a true believer :

« يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ». (الحجرات ١١).

It means : "O ye who believe ! Let not a folk deride a folk who may be better than they (are), nor let women (deride) women who may be better than they are, neither defame one another nor insult one another by nicknames, Bad is the name of lewdness after faith. And who so turneth not in repentance, such are evil doers" (49 : 11) And :

« يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ، ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً ، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ، واتقوا الله إن الله تواب رحيم » . (الحجرات ١٢)

It means : "O ye who believe ! shun much suspicion; for Lo ! some suspicion is a crime. And Spy not, neither backbite one another. would one of you love to eat the flesh of his dead brother ? Ye abhor that (so abhor the other). And keep your duty to (Allah). Lo ! Allah is Relenting, Merciful". (49 : 12).

These Qur'anic verses refer, in clear terms, to the fact that the habits of mockery, defame, calling others by micknames, backbiting, watching other's private affairs and deriding, are contrary to the exigencies of «إيمان» (True faith in God) as it is clear from the prelude of the verses these habits will wreck the noble aim of Qur'anic moral

It means : "And feed with food the needy, the orphan and the prisoner, for the love of Him (Allah): (saying) : we feed you, for the sake of Allah only. we do not wish any reward or thanking from you"(76:8-9).

Charity :

The Qur'an enjoined charity for the sole aim of seeking Allah's pleasure any Grace. The practice of generosity and libarality for the sake of ostentation or any recompence, divertes charity into the base aim which gives rise to envy and disputes between the rich and the poor. The Qur'an amis at sublimating this tendency into a nobler aim.

Honesty

Holy Qur'an gives comprehensive injunctions against all sorts of dishonest dealings, and every breach of trust. The quality of honesty consists in not causing injustice to others by cheating them or taking unlauful possession of their own things. The true honesty and its various requisities are clearly set forth in the following Qur'anic verses :

«وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا»
(الإسراء ٣٤)

It means : "And fulfil every engagement (promise), for every engagement will be enquired into (on the Day of Judgment)" (17:34). And :

«يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون»
(الأنفال ٢٧)

It means : "O Believers ! Betray not the trust of Allah and the Messenger, nor misappropriate knowingly things entrusted to you" (8 : 27).

«إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل».

(النساء ٥٨)

It means : "Lo ! Allah commands you that you restore deposits to their owners, and, if you judge between mankind, that you judge justly" (4 : 58).

Courage:

Courage is a virtue which is resembled in those who do not lose their hearts but stand firmly and behave patiently under hardships and in battle field. The quality of courage is not a movement in an insolent manner or in a vain display. The courgeous man resists his passions and does not fly from

pretexts in the face of the ignorance and the misinterpretation. Habits have a great effect on the physical, moral and behavioural aspects of private and social life of man. According to psychologists one can get rid of a bad habit only when one abandons it irrevocably.

Man is most anxious about every thing relating to his personal interst. He is not actuated in most cases by the dictates of reason and logic. But reason is not always sufficient to control instincts being unable to distinguish between right and wrong in all cases. Hence the need for guiding the reason in this respect. This guidance can only be given by Divine Revelation. The Holy Qur'an does not simply enumerate some moralities and ethical qualities; but it further gives man the teachings as to how he can get to acquire these moral qualities.

The directions of the Qur'an lead man to the springs from which moral distinctions flow. The moralities enjoined by Qur'an upon its followers seek to produce the complete man in his every day individual and social life. The Qur'anic moral qualities aim at making harmony and belance betwen the physical, moral and spiritual conditions of man. The moral qualities directed by the Qur'an inable him to abstain from inflicting injury upon his fellowmen and to do good to others.

We should have a clear notion of the following moral qualities set forth by the Holy Qur'an in explicit terms :

Goodness :

There are three stages in the doing of goodness : The first stage is that in which man does good to his benefactors only; to repay good for mere justice. Second stage is that in which he takes the initiative to do good to others who cannot claim it as a right. In this stage he may, expect thanks or acknowledgement in return for the good he does. In the third stage he should not think of the goodness he has done nor expect any thankfulness or acknowledgement.

The Holy Qur'an commands people to do good for the sake of goodness, without expecting any benefit or thanks from the person upon whom the benefit is conferred. This is the highest stage of goodness. The Qur'an says :

« ويطعمون الطعام على حبه مسكينا
ويتيما وأسيراً ، إنما نطعمكم لوجه الله
لا نريد منكم جزاء ولا شكورا » .
الإنسان ٨—٩

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER :

ABDUL RAHIM FŪDA

SHAWWAL 1390	ENGLISH SECTION	DECEMBER 1970

The Effect of Quranic Moral Qualities On the Life of Man

By

A. M. Mohiaddin Alwaye

It is a well-known fact that a society consists of individuals. If these individuals are good, the whole community will be good. The Qur'an praised Prophet Muhammad as having a sublime character, for thus Allah said :

« وإنك لعلى خلق عظيم » .
(القلم ٤)

It means : " Verily you are (O Muhammad !) of a sublime character ". 68 : 4.

The term « عظيم » (sublime or great) with which the character of the Prophet is credited indicates that in his personality are combined all virtues such as honesty, justice, kindness, patience, courage, fulfilment of promises, support of the weak, hospitality to guests and magnanimity etc. It was the Qur'an which preached this nobility of character, as is clear from the numerous verses.

The enjoinment of a virtue implies the prohibition of its antithesis and vice versa. For instance, the prohibition of falsehood, hypocrisy, lie, perjury is implied in the enjoinment of truthfulness, as the prohibition of injustice, libel, backbiting and dishonesty is implied in the enjoinment of justice. But the Qur'an called every vice by its name in order to shut the door of false

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
« بدل الاشتراك »
٥٠ ق في الجمهورية العربية المتحدة
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص



« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٠٠٦

الجزء التاسع — السنة الثانية والأربعون — ذو القعدة سنة ١٣٩٠ هـ — يناير سنة ١٩٧١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة لابد منها

للأستاذ عبد الرحيم فوده

صدر عدد الهلال في الشهر الماضي بموضوعات خاصة بالقرآن ، وهو اتجاه حميد لا شك في أنه وقع من نفوس القراء موقعا حميداً ، وإن وقع فيه ما يجب توجيه الأنظار إليه وتنبيه القراء عليه ، لا بقصد إثارة اللغط حول موضوعات تختلف فيها وجهات النظر ، وإنما لتصحيح ما قد يقع فيه القراء من وهم أو سوء فهم ، بعد قراءة بعض الموضوعات التي نشرت فيه ، فقد عداها ما يجب التنبيه إليه

١ — وأول ما نبدأ به ما قيل حول قوله تعالى: « إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ، فقد غاب عن الكاتب أن الإيمان بالله لا يستقيم على معنى الإيمان بذاته ، لأن ذاته فوق الكشف والوصف ، ولأن الإيمان لا يتعلق بذات أو معنى منفصل عن الذات وإنما يتعلق بالنسبة (أي ثبوت شيء لشيء أو نفيه عنه) فالإيمان بالله معناه الإيمان بوجوده وقدرته وحكمته وكتبه ورسله ، وكل ما ثبت له وصدر عنه ، وأوضح شاهد على ذلك قول الله : « إن الذين

يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا، أولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا ».

والإيمان باليوم الآخر معناه كذلك التصديق بأنه آت لا ريب فيه ، وبأن كل ما أخبر به الله عنه حق : كالبعث والحشر والحساب ، والثواب والعقاب ، والجنة والنار ، فمن من آمن بالله واليوم الآخر من أسلم واعتنق الإسلام من هؤلاء.

٢ — وقد مدح الله من أسلم من النصارى كذلك كما يفهم من قوله : « ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون ، وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين، وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ».

٣ — والإيمان بالله يستلزم أن يكون الدين له لا لأحد سواه . كما يصرح بذلك قوله تعالى : « ألا لله الدين الخالص » ، وقوله : « فاعبدوا الله مخلصين له الدين » ، ومن ثم كانت كلمة الإسلام بمعنى الانقياد وإخلاص العبادة له هي أدق وأحق كلمة يعبر بها عن دينه الذي ارتضاه ، كما يفهم من قوله : « إن الدين عند الله الإسلام » فالمحمدية ، واليهودية ، والمسيحية ليست تعبيراً دقيقا عن معنى الدين الذي بعث به محمد وموسى والمسيح . وكل الأنبياء والمرسلين ، وإنما التعبير الدقيق هو كلمة الإسلام ، وهذا بعض ما يفسر به قول الله: « ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما » ، وقوله فيما حكاه عن يعقوب وهو يوصي بنيه « يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون »، وقوله حكاية عن موسى إذ قال لقومه : « يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين»، وقوله حكاية عن الحواريين من أنصار عيسى إذ قال : « من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون».

٤ — أما أن القرآن رفع مكانة عيسى إلى مركز رفيع فذلك حق وصدق ولكنه لم يجعله إلها أو ابنا للإله بل قال فيه : « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه

من تراب ثم قال له : كن فيكون » ، وهو جل شأنه : « إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون » ، وقد خلق آدم من غير أب وأم ، وخلق حواء من أب دون أم ، وخلق عيسى من أم دون أب ، وخلق الناس من ذكر وأنثى ، ومعنى ذلك أن قدرته لا يعجزها شيء ، وأنه وحده الخليق بأن يعبد ويحمد كما يقول جل شأنه : « يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون » .

٥ — أما أن معجزاته كانت فوق طاقة البشر كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص فذلك شأن المعجزات جميعا . كعصى موسى التى انقلبت حية تسعى . وناقة صالح التى كذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ، وكل المعجزات التى ظهرت على أيدى الأنبياء وقهرت الخلق كانت من عمل الله لا من عمل أحد سواه ، فليس لموسى يد فى العصى التى انقلبت حية ، وليس لعيسى يد فى إحياء الموتى ، وليس لمحمد يد فى القرآن ولا فيما ظهر على يديه من معجزات ، وقد قال الله فيه : « ولو تقول علينا بعض الأقاويل ، لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين ، فما منكم من أحد عنه حاجزين » .

وقال شوقى رحمه الله موازنا بين القرآن وبين معجزات الأنبياء السابقين :

جاء النبيون بالآيات فانصرمت
وجئتنا بحكيم غير منصرم
آياته كلما طال المدى جدد
يزينهن جلال العتق والقدم

٦ — وقد ذكر الله اسم مريم فى القرآن دون غيره من أسماء النساء ليظهر شرفها مما اتهمها به اليهود إذ قالوا : « يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا » فقال تعالى : « وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين » ، وقال جل شأنه : « وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين » وقال فى عيسى : « وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين ، ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين » .

٧ — وأما أنه كلمة الله فيفسره قوله تعالى : « إنما قولنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون » ، وقد كان عيسى عليه السلام بكلمة كن ، فلم يسبق بالأطوار العادية المعروفة فى نظام التناسل ، وإنما

كان بكلمة التكوين وقدرة الله .

مشيئة الخالق البارى وصنعته

وقدرة الله فوق الفلك والنهم

ولاشك أنه – عليه السلام – روح من الله كما صرح القرآن بذلك حيث يقول الله فيه : « إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، فهو روح منه وليس روحا له ولكن أى روح ... ؟

لقد قال الله فى آدم « فإذا سويته ونفخت فيه من روحى » . وفسرت الروح بما تقوم به الحياة ، وقال فى جبريل « وأيدناه بروح القدس » ، وسمى القرآن روحا حيث يقول : « وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا » ، وسمى نوعا من الخلق أعظم من الملائكة روحا حيث قال : « يوم يقوم الروح والملائكة صفا » ، وسمى الوحى الذى يتنزل على من يشاء من عباده روحا حيث يقول : « ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده » ، وفسر الروح بمعان أخرى فى قوله تعالى : « أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه » وكل هذه المعانى تدخل فيما يفهم من قوله جل شأنه : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا »

٨ — هذا ما عن لنا أن ننبه إليه ، وهو قليل من كثير ، وبقى أن نشير إلى ما كتبه الأستاذ رجاء النقاش فى افتتاحية العدد تحت عنوان : (حرروا القرآن من هذه القيود) ، فقد ذكر من هذه القيود الإصرار على أن تكون كل المصاحف مكتوبة بالخط القديم مما يشكل عقبة رئيسية أمام كل الأجيال الجديدة وأحب مع تقديرى الكبير للدافع النبيل عند الكاتب – أن أضع أمامه وأمام القراء سر المحافظة على الرسم العثمانى القديم . فيما كتبه فضيلة المرحوم الدكتور محمد عبد الله دراز ، فقد قال فى كتابه « النبأ العظيم » مايلى : وفى تسميته بهذين الاسمين (القرآن والكتاب) إشارة إلى أن من حقه العناية بحفظه فى موضعين ، لا فى موضع واحد ، أعنى أنه يجب حفظه فى الصدور والسطور جميعا ، أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ، فلا ثقة لنا بحفظ حافظ حتى يوافق الرسم المجمع عليه من الأصحاب ، المنقول إلينا جيلا بعد جيل ، على هيئته التى وضع عليها أول مرة ، ولا ثقة لنا بكتابة كاتب حتى يوافق ما هو عند الحفاظ بالإسناد الصحيح المتواتر .

وبهذه العناية المزدوجة التي بعثها الله في نفوس الأمة المحمدية اقتداء بنبيها بقي القرآن محفوظا في حرز حريز، إنجازا لوعد الله الذي تكفل بحفظه حيث يقول: « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » ، ولم يصبه ما أصاب الكتب الماضية من التحريف والتبديل وانقطاع السند، حيث لم يتكفل الله بحفظها ، بل وكلها إلى حفظ الناس فقال تعالى « والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله أي بما طلب إليهم حفظه .

والسر في هذه التفرقة أن سائر الكتب السماوية جيء بها على التوقيت لا التأبيد وأن هذا القرآن جاء جامعا لما فيها من الحقائق الثابتة ، زائدا عليها بما شاء الله زيادته ، وكان سادا مسدها ، ولم يكن شيء منها ليسد مسده ، فقضى الله أن يبقى حجة إلى قيام الساعة ، وإذا قضى الله أمرا يسر له أسبابه وهو الحكيم العليم » .

عبد الرحيم فوده

(القرآن والعلوم الكونية)

لم تقم حول كتاب من الكتب السماوية السابقة دراسة واسعة متنوعة كالدراسة التي قامت حول القرآن الكريم ؛ وكان من ثمارها علوم الفقه واللغة والتوحيد والتفسير والحديث والبلاغة والأدب والتجويد والقراءات ؛ وما يدخل في مفهوم هذه العلوم أو يتصل بها ، حتى ليمكن القول بأن الثقافة العربية والإسلامية نبتت حول القرآن واستمدت منه ماءها ونماءها ورواءها ... أما العلوم الكونية فقد فتح القرآن الأعين عليها وإن لم تظفر بعناية المسلمين في أول العهد بالإسلام ؛ لاشتغالهم بالحروب والفتوحات من جهة ؛ ولقصور وسائل البحث والتجارب التي تعينهم على استنباط الحقائق العلمية من جهة أخرى ، ولكن دعوته إلى النظر في ملكوت السموات والأرض . ولفت أنظارهم إلى أن الله لم يخلق شيئاً سيئا ؛ وتقريع الذين لا ينتفعون بعقولهم وأسماعهم بأنهم كالأنعام كما يقول سبحانه : « ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون » .

دلالة القرآن على نفسه أنه من عند الله

للدكتور محمد أحمد الغمراوى

— ٥ —

دلالة القصص فى الأسلوب والمعنى (٢)

أما الأسلوب فأساس دلالته أن القصص مسند ابتداء إما إلى اسم من أسماء الله الحسنى وإما إلى ضمير الجلالة المتكلم أى من ضمير المتكلم الذى لا يمكن أن يدل إلا على الله الحق سبحانه ، وأما المعنى فأساس الدلالة فيه أنه معنى يليق بجلال ما أسند إليه من أسماء الله الحسنى أو الضمير الدال على الله سبحانه وبخاصة ضمير الجلالة المتكلم ، وقد تبين ذلك كله فيما تأملنا فى المقال السابق [١] من قصص آدم ونوح عليهما السلام فى مواطنه المتعددة فى القرآن الكريم

ونريد الآن فى غير تطويل أن نستكمل دلالة القصص لمن بقى من الأنبياء ، للأهم منهم ، حرصاً لعله قد يعرض لقارئ أن ما توافر من الدلالة فى قصص آدم ونوح قد لا يكون توافر فى قصص من عداهم وفيهم نزل معظم آيات قصص الأنبياء التى بلغت حوالى خمس آيات القرآن فيما أحصينا.

قصص هود وعاد :

استخلف الله فى الأرض عاداً بعد قوم نوح بدليل قوله تعالى « واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بصطة » [١] على لسان هود يعظ قومه ، وقد جاء القصص فى تسع سور هى حسب ترتيب [٢] نزول الوحى بها : القمر والأعراف والشعراء وهود وفصلت والأحقاف والذاريات والحاقة والعنكبوت وقد ذكرت عاد فى السور كلها ، وخصت بالذكر دون نبيها فى القمر وفصلت والذاريات والحاقة والعنكبوت ، لأنها كانت الطرف الذى دعى إلى الله فكذب الداعى ، فحق عليها الهلاك سنة الله فى المكذبين .

وقد غر بعض المحدثين ذكر عاد دون

[١] عدد رمضان هذا العام .

[١] الأعراف ٦٩

[٢] ترتيب السور مأخوذ فى هذا المقال وسابقه من ديباجات السور فى مصحف لجنة الشيخ محمد خلف الحسينى شيخ المقارئ .

نبيها فى أممها فى سورة القمر والذاريات والحاقة، فضرب السور الثلاث مثلا لمرحلة أولى زعمها فى فن بناء القصة فى القرآن سمتها أن الشخصيات القصصية لا وجود لها فيها تقريبا . مع أن هذه الصفة لا تنطبق من قصص القمر إلا على قصة عاد ولو أن صاحب هذا الوهم رجع إلى مصدر يذكر سور القرآن بترتيب نزول الوحى بها كالإتقان أو تاريخ القرآن للزنجانى لوجد البون شاسعا بين تواريخ نزول الوحى بالسور التى ضربها مثلا للمرحلة الأولى التى زعم . فسورة القمر ترتيبها بين السور المكية فى كتاب الإتقان (٣٦) والذاريات (٦٦) والحاقة (٧٧) مما يستحيل معه أن تقع السور الثلاث فى مرحلة واحدة تليها ثانية، تليها ثالثة يتم فيها كما زعم بناء القصة فى القرآن، وقد مثل للمرحلة الثانية بسورتى الأعراف والشعراء وترتيبهما ٣٨ و ٤٦ ، وللمرحلة الثالثة بسورة يوسف وترتيبها (٥٢) أى أن المرحلتين الثانية والثالثة وقعتا أثناء المرحلة الأولى، وهذا التداخل بين المراحل الثلاث التى زعم أن فن بناء القصة القرآنية قد مر فيها حتى تكامل وأخذ شكله النهائى يبطلها جميعاً ! فهذا مثل للبحث العصرى فى القرآن تعوزه الدقة والاحتياط اللازمين فى كل بحث وهما فيما يتعلق بالقرآن ألزم .

وأولى السور التى اقتصر فيها على ذكر عاد دون ذكر هود، سورة القمر، تتكون القصة فيها من خمس آيات ورد ضمير الجلالة للمتكلم فى أربع منها : فى أولاها « كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر » ، وفى أخراها : « ولقد يسرنا القرآن للذكر، فهل من مدكر » ، وفيما بين ذلك : « إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصراً فى يوم نحس مستمر، تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر، فكيف كان عذابى ونذر » فأغنى ذلك من كثرة ورود الضمير فى القصة فى بقية السور، وقد ورد فيها جميعا إلا فى سورة الحاقة إذ جاء الفعل، الذى كان من شأنه أن يسند إلى الضمير، مبنيا فيها للمفعول : « وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية » ، فإنه لا يقدر على الإهلاك بالريح إلا الله ، ومع ذلك فقد جاء الفعل فى الآية بعدها مسنداً إلى ضمير الجلالة وإن لغير المتكلم : « سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما » الآية (٧) ، إذ تسخير الريح لا يكون إلا من الله ،

ويلاحظ فى قصة الحاقة أن الإهلاك كان لتكذيب بالقيامة : « كذبت ثمود وعاد بالقارعة » ، وهى الحاقة التى لا بد أن تكون وقتى من كذب بها هلك .

قصص صالح وثمود :

هذا أيضا ورد فى تسع سور هى بترتيب نزول الوحى بها : القمر والأعراف والشعراء والنمل وهود والحجر وفصلت والذاريات والحاقة، وقد خصت ثمود بالذكر دون ذكر نبيها فى نفس السور التى خصت بها عاد إلا سورة القمر فقد حلت سورة الحجر محلها من هذه الناحية ، ولم يذكر صالح فى قصة سورة القمر بالاسم ولكن بالحديث عنه واستكبار قومه عليه : « فقالوا أبشرا منا واحداً نتبعه ؟ إنا إذاً لفى ضلال وسعر . أألقى الذكر عليه من بيننا ؟ بل هو كذاب أشر » ، فتعرضوا بذلك لغضب الله ووعيده فى قوله تعالى : « سيعلمون غدا من الكذاب الأشر ، إنا مرسلو الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر » ، وقد حلت كلمة (فتنة) بعض المفسرين المحدثين على إنكار أن تكون ناقة صالح معجزة أرسل بها لقومه وذلوا قوله تعالى على لسان صالح يخاطب قومه فى قصة سورة الأعراف : « قد جاءتكم بينة من ربكم ، هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم » الآية (٧٣) وفى الآية بعدها دليل استخلاف الله ثمود فى الأرض من بعد عاد كما استخلف عادا من بعد قوم نوح : « واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا ، فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين » .

وقد ورد ضمير الجلالة للمتكلم فى القصة إنما وردت إلا فى الحاقة ، وإلا فى الشعراء فقد ورد الضمير قبل بدء القصة بآية فى آخر قصة عاد : « فكذبوه فأهلكناهم ، إن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين » الآية ١٣٩ ، وإلا فى الذاريات فقد ورد بعد القصة بآية فى قوله تعالى : « والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون » .

قصص إبراهيم عليه السلام :

إن بين إبراهيم ونوح فسحة لجوة من الزمن واسعة لم يذكر الله ممن بعث فيها من الرسل إلا هودا وصالحا واستأثر

يعلم ما وراء ذلك كما يتبين من قوله تعالى في سورة إبراهيم على لسان موسى يذكر قومه : « ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم ، لا يعلمهم إلا الله » . وقوله تعالى « لا يعلمهم إلا الله » . لا يشمل كل الفترة بين صالح وموسى ، إذ كان موسى عليه السلام يعلم طبعا نبأ إبراهيم ومن نجىء من ذريته ، وأخبره الله خبرهم فى التوراة .

وقد جاء قصص إبراهيم عليه السلام فى سبع عشرة سورة ، منها خمس مدنية ، هى : البقرة وآل عمران والممتحنة والنساء والحج ، وربما أضيف إليها أيضاً التوبة ، وبقيتها مكية وهى مريم والشعراء وهود والحجر ، والأنعام ، والصافات ، والزخرف والذاريات ، والنحل ، وإبراهيم ، والأنبياء والعنكبوت .

وقد ورد ضمير الجلالة للتكلم ، على تفاوت فى عدده ، فى عشر سور منها اثنتان مدنيتان ، هما البقرة والحج ، وثمان مكية هى مريم وهود والحجر والأنعام والصافات والنحل والأنبياء والعنكبوت ، وما عدا ذلك ، فقد ورد الضمير إما قبل القصة أو بعدها على تفاوت فى عدد الآيات الفاصلة بينهما ، فالفاصل مثلا آيتان فى سورة الشعراء : « وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين ، إن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ، وإن ربك لهو العزيز الرحيم » ثم « واتل عليهم نبأ إبراهيم » الآيات (٦٥) وما بعدها ، وقد لا يكون هناك فاصل ما ، قبل أو بعد ، كما فى سورة الزخرف فى قوله تعالى : « فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين ، وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إننى براء مما تعبدون ، إلا الذى فطرنى فإنه سيهدين ، وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون ، بل متعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين » ، فترى الأفعال المسندة إلى الضمير لا يقدر عليها إلا الله . وترى القصة هنا يكتنفها ضمير الجلالة المتكلم من جانبيها ، ويغلب إذا كانت هناك آيات فاصلة أن يأتى فى القصة ضمير الرسالة وارداً عنها مظنة أن يكون الكلام من عند محمد كما يوسوس مستشرق أو ملحد ، فالضميران متساندان فى درء المظنة عن قصص القرآن أن يكون من عند غير الله ، فضلا عن دلالة المعنى الذى لا يقدر على تحقيقه إلا الله .

وحكمة الله وأحكامه الممكن استخراجها من القصص القرآني يحتاج تبيان الممكن منها إلى كتاب ولا يتسع مقال، أو بعض مقال إلا إلى تأمل بعضها، لكن قبل التأمل لا بد من تذكر أمور لا بد من مراعاتها فيه:

أولا: أن القرآن حق من الله الحق، فقصصه حق، ووقائعه حق فلا بد أن تكون قد وقعت، ولا يترو باطلا قط، وإذن فليس فيه قصص أسطوري، كما زعم بعض المحدثين.

ثانيا: أن القرآن حاكم يحكم ولا يحكم عليه فما خالفه يقينا فهو باطل يقينا.

ثالثا: أنه معجز أسلوبا ومعنى فكل خاطر ينال من إعجازه فهو باطل وكل فهم فيه أو في آيه لا يتفق مع ذلك الإعجاز فهو خاطىء.

رابعا: أن التناقض والتعارض مستحيل عليه لله سبحانه وتعالى مستحيل عليه الخطأ والتعارض. فالتعارض إلى بدا لناظر فيه دليل سوء فهم أو نقص في العلم أو ضعف في البحث.

خامسا: أن الكون والقرآن هما من عند الله فالتناقض بين سنن الكون وآي القرآن غير ممكن.

سادسا: أن لا بد من مراعاة قواعد العربية في فهم القرآن خصوصا قاعدة عدم حمل الكلام على المجاز إلا بقرينة كافية فيه.

ولنضرب لذلك بعض الأمثلة:

١ — في تفسير النسفي لقوله تعالى: «ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم» في أول سورة الأعراف قال في خلقناكم أي خلقنا أباكم آدم عليه السلام طينا غير مصور ثم صورناه بعد ذلك. دليله «ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم» والاستدلال في ظاهره صحيح لكن قوله «طينا غير مصور» ليس معنى يليق بالقرآن، والخلق من الطين ليس له معنى إلا التصوير أولا وإذن فالخلق هنا معناه التقدير ولا بد من التماس معنى يليق بالقرآن دل عليه ضمير الجمع من غير تأويل.

٢ — استشكل في تفسير قوله تعالى في قصة ذي القرنين «حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة» بأن الشمس مستحيل أن تغرب في عين في الأرض وهي أعظم كثيرا من الأرض. وهذه القرينة الواضحة الداعية إلى نبذ هذا الفهم جعلوها أساس الاستشكال بدلا من أن يلتبهوا إلى أن الخبر هو عن ذي القرنين وأنه هو الذي

وجه الشمس تغرب كما تبدو لكل إنسان أنها تغرب فى البحر أو وراء جبل حسب موقع الرائى عند الغروب :

٣ — فى كتاب « الفن القصصى فى القرآن الكريم » أن قصة يوسف أجود قصص القرآن من الناحية الفنية . وهذا معناه أن غيرها من قصص القرآن أقل جودة وأضعف فنا ، وهو نقد أو حكم على القصص لا يتفق مع إعجازه الذى يعتز صاحب الكتاب به فى بحث حديث منشور له إذ يقول فيه « إن القصص القرآنى يقع فى دائرة التحدى كما تقع الآيات القرآنية الأخرى ويحكم له بالإعجاز كما يحكم لها لأن القرآن حين تحدى العرب أن يأتوا بمثله لم يقف من مسائل التحدى عند حدود غير القصص من القرآن الكريم . لقد تحدى بالقرآن كله قصصا وغير قصص » فقد أبطل هذا القول ذلك النقد هنا وإلا لجاء أحد كتاب القصص المحدثين المجيدين وعمد إلى قصة قرآنية غير قصة يوسف وجعلها أكثر فنية حسب المصطلح عليه بين المحدثين من كتاب القصة ويكون بذلك قد كسر التحدى بالقصص القرآنى وبالقرآن الذى أنزل البشرية فى كل عصر بإعجازه وتحديه لا يقتصر على العرب ولكن يمتد إلى البشرية فى كل العصور .

والخطأ ومنشؤه كامن فى الحكم على القرآن بمعيار اصطلاحى لجودة القصص يشترط « وحدة الموضوع وإحكام التصميم وجودة الحبكة والانتفاع بالحوادث الاستطرادية » والقرآن هو المرجع وهو الحكم فى كل ما تعرض له القرآن قصصا أو غير قصص ، فنا أو غير فن .

والحق أن القرآن شرع للناس فى كل ما قرر عن طريق النص أو الاستنتاج الصحيح هو هدى للناس فى كل ما يتصل بحياة الناس ، والناس فارقون لآذانهم الآن فى كل ما أغرقهم به الغرب وشغلهم به عن التأدب بأدب القرآن فى الحياة من أدب مكشوف وقصص خليع أو شبه خليع مقروء أو منظور يلهيهم شيئا فشيئا عن دين الله ويستنزف من أوقاتهم فى اللهو والتسلى ما هم أحوج إلى انفاقه فى جد الحياة وما الله محاسبهم على الإسراف فيه ؟

محمد أحمد الغمراوى

حول التفسير العلمي للقرآن

الدكتور علي عبد الواحد وافي

يدعو بعض الكتاب إلى تفسير جديد للقرآن يسمونه التفسير العصري أو العلمي . ويعنون بذلك أن يفسر ما ورد في القرآن من آيات كونية تفسيراً يكشف عما تنطوي عليه ـ في نظرهم ـ من حقائق علمية لم يهتد إليها الباحثون إلا بعد نزول القرآن بعدة قرون . ويقولون إنهم بذلك يضيفون إلى وجوه إعجاز القرآن التي سجلها القدامى وجهاً جديداً ، وهو إنباؤه عن حقائق وقوانين كونية كانت مجهولة في العصر الذي أرسل فيه الرسول عليه الصلاة والسلام .

ولكننا باستقراء ما ورد في القرآن الكريم من آيات كونية لا نجد فيها ما يمكن تطويعه لهذه الدعوة .

فقد عرض القرآن في أكثر من موضع لظواهر الكون . ولكنه حرص كل الحرص في كل موضع من هذه المواضع على ألا يفرض نظرية علمية معينة على العقول ، وألا يدخل في تفاصيل هذه الأمور . وإنما استحث العقول على النظر في هذه الظواهر ، وحض الناس على التأمل في شئونها لإدراك كنهها والوقوف على ما تسير عليه من قوانين ، وأثار في نفوسهم حب الاستطلاع حيال الأمور التي لا تثير الانتباه بطبعها لتكرر حدوثها ، وسيرها على وتيرة واحدة ، وإيلاف الناس النظر إليها ، كتتابع الليل والنهار ، وجرى الشمس والقمر والكواكب ، وتعاقب الفصول ، وتناسل الحيوان ، وتكاثر النبات ، ونزول المطر وإحياء الأرض به ، وطفو السفن على الماء ، وظواهر الرعد والبرق . وما إلى ذلك من الأمور التي لا تسترعي انتباه الناس ، فبين لهم أن هذه الأمور نفسها جديرة بالتأمل وأن فيها مجالا كبيراً للنظر والبحث .

والآيات القرآنية التي وردت في هذا الصدد تجل عن الحصر ، ولا تكاد تخلو منها سورة من سور القرآن . ولكننا لا نعثر في أي آية منها رائحة لفرض نظرية

علمية معينة، ولا يقصد القرآن بالتوجيهات الواردة فيها إلا ما ذكرناه من حث العقول على النظر فى محتويات الكون، وتدبر ما تسير عليه من صنن، واستنبط القوانين العامة التى تحكمها، ليتخذ الناس من ذلك دليلا على عظيم قدرته تعالى وإتقان صنعه؛ ثم ترك القرآن بعد ذلك لكل فرد كامل الحرية فى الأخذ بما تهديه إليه ملاحظاته وتجاربه فى هذه الشئون، واعتناق مايقتنع بصحته من نظريات.

ولا أدل على ذلك من أن القرآن فى إجابته على سؤال وجه إلى الرسول عليه الصلاة والسلام عن مراحل القمر وأسباب تزايد قرصه وتناقصه، قد تحاشى أن يدخل فى تفاصيل هذه الأمور الفلكية وقوانينها، حتى لا يفرض نظرية علمية على العقول، كما فعلت الكاثوليكية المنحرفة من قبل، وحتى لا يحجر على الأذهان النظر فى الأمور، واكتفى بأن يذكر بعض فوائد الأهلة، وأنها تحدد مواقيت الشهور والأيام التى تؤدى فيها شعائر الحج. وفى هذا يقول الله تعالى: «يسألونك عن الأهلة، قل هى مواقيت للناس والحج». فكأنه يقول لهم: يكفى أن تعلموا فيما يتعلق بصلة الأهلة بشئون الدين أنها مواقيت للناس فى الشهور والصيام وشعائر الحج وما إلى ذلك، أما ما وراء هذه الأمور من أسباب تزايد قرص القمر وتناقصه وخسوفه أحيانا أو حجبه عن النظر وعلاقته بالشمس والأرض... أما هذه الظواهر وما إليها فأترك لعقولكم كامل الحرية فى بحثها والاهتداء إلى كنهها وأسبابها، وليس القرآن كتاب فلك ولا علوم حتى يشرح هذه الظواهر، وإنما هو كتاب عقيدة وشريعة وتنظيم اجتماعى وهداية الناس إلى الصراط المستقيم.

فما يدعو إليه بعض الكتاب فى العصر الحاضر من تفسير ماورد فى القرآن من آيات كونية تفسيراً يجعلها مسايرة على النظريات العلمية الحديثة، وهو ما يسمونه التفسير العلمى للقرآن، لا يتفق فى شىء مع روح الكتاب الكريم واتجاهاته وما يحرص فى هذا الصدد على تقريره.

وقد استجاب لدعوتهم هذه بعض من انتسبوا إلى الدراسات الإسلامية وقدموا نماذج لهذا النوع من التفسير، فأساءوا بذلك أبلغ إساءة إلى الإسلام والقرآن

من حيث لا يشعرون ، وظهرت إساءتهم هذه من عدة وجوه :

١ — فهم يتعسفون كل التعسف في تفسير آيات الكتاب الكريم وتحميلها ما لا تحتمل من المعاني ، وما لم يفهمه العرب منها ولا يمكن أن يفهمه منها عالم باللغة العربية وأساليبها في البيان ، حتى يتاح لهم أن يقرروا أن القرآن قد سبق البحوث الحديثة فيما قالت به من نظريات وما كشفت عنه من قوانين . والأمثلة على ذلك تجل عن الحصر فيما يخرجه هؤلاء من كتب وما ينشرونه من مقالات .

فمن ذلك مثلا ما يذهب إليه أحدهم في فصل عقده عن « وحدة الخلق » في كتاب له عن « القرآن والعلم الحديث » إذ يفسر قوله تعالى : « هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها » بأن النفس الواحدة هي البروتون وأن زوجها هو الأليكترون ، وهما العنصران اللذان تتألف منهما الذرة ، وفي ذلك يقول بعد كلام كثير عن الجسيمات التي تتألف منها الخلية :

« وهذه الحقيقة العلمية التي يتيه بها العصر الحديث قد جاء بها القرآن الكريم منذ ألف وأربعمائة سنة في صراحة ووضوح إذ تقرر الآية ١٨٩ من سورة الأعراف أن كل ما خلق الله إنما خلقه من نفس واحدة وجعل منها زوجها . أليست هذه هي البروتونات والأليكترونات الكهارب الواحدة ، موجبة وسالبة ، أي النفس الواحدة . . الزوجية الجنس بين موجب وسالب [1] » .

ومن الغريب أنه كان يكفي هذا الكاتب لاتقاء تخبطه هذا وتعسفه في تفسير الآية الكريمة أن يقرأها كاملة ويتأمل معناها إذ تقول : « هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها ، فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به ، فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين ، فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما ، فتعالى الله عما يشركون » فهل يمكن أن نقول إن البروتون قد تغشى الأليكترونة فحملت منه حملا خفيفا ، فلما أثقلت دعوا الله لئن آتيتنا

[١] صفحة ١٣٦ من كتاب « القرآن والعلم الحديث » لعبد الرزاق نوفل.

مولودا صالحا لنكونن من الشاكرين ، فلما استجاب الله دعاءها كفرا بنعمته وجعلا له شركاء فيما آتاهما ؟ ! .

٢ — ولا يقتصر الأمر على تعسف هؤلاء في تفسير آيات الذكر الحكيم وتحميلها من المعاني مالا تحتمل ، بل إنهم كذلك بمسلكهم هذا يعرضون كلام الله للكذب والتكذيب ، تعالت كلمات الله عن ذلك علوا كبيرا ، وذلك أن كثيرا من النظريات العلمية ليست ثابتة ،ولم تقل الكلمة النهائية فيما تعالجه من ظواهر

وقد تظهر كشوف أخرى تبين عن خطئها أو عن نقصها فإذا فسر كتاب الله على وجه يتفق مع نظريات حاضرة ، ثم ظهر عدم صحتها فيما بعد ، فإن هذا يدعو إلى تكذيب كتاب الله ، أو على الأقل إلى زعزعة ثقة الناس بحقائقه .

٣ — وهم بذلك أيضا يصمون القرآن بوصمة هو برىء منها ، إذ يحاولون بذلك أن يظهروه بمظهر كتاب يفسر النظريات العلمية على أنها عقائد دينية نزل بها الوحي الأمين ، من قبل الله تعالى . وهذا مخالف لاتجاه الإسلام وروحه ، ولما يحث عليه القرآن من التأمل في ظواهر الكون واستنباط قوانينها العامة ، ولما يقرره من مبادىء سامية تتعلق بحرية التفكير .

• • •

صحيح أننا نجد بعض آيات من القرآن يمكن أن تؤول من غير كبير تعسف تأويلا يجعلها مقررة لبعض نظريات قال بها العلم الحديث . ولكننا لا نجد آية من هذه الآيات يسلم تأويلها على هذا الوجه من انحراف عن الفهم الصحيح .

وإليك مثلا الآية التي طالما رددها المتعصبون لهذه التفسيرات العلمية ، وهي قوله تعالى : « أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما[1] » فهم يذهبون إلى أن معنى هذه الآية أن السماء والأرض كانتا ملتحمتين ، أي كانتا كتلة واحدة ، ثم انفصلت كلتاهما عن الأخرى . وهذا التفسير يتفق مع نظرية علمية حديثة تقرر أن المجموعة الشمسية كانت كتلة واحدة ، ثم انفصلت أجزاؤها بعضها عن بعض ، ومن هذه الأجزاء الأرض ، وأصبح كل جزء يدور حول الشمس ،

ولكن تفسير الآية على هذا الوجه — وإن

---

[١] آية ٣٠ من سورة الأنبياء .

لم ينطو على تعمق كبير في دلالة الألفاظ — تفسير غير سليم من عدة وجوه :

١ — أن القرآن حينما يتحدث عن السماء أو عن السموات يقصد بها شيئا آخر متميزاً عن الشمس والكواكب ، كما يظهر ذلك من التأمل فى مئات الآيات التى وردت فيها كلمة السماء أو كلمة السموات.

٢ — أن المأثور عن ابن عباس وابن عمر فى تفسير هذه الآية أن السماء والأرض كانت كلتاهما ملتحمة متماسكة لا فرجة فيها، ففتح الله السماء بالمطر وشق الأرض بالنبات. فقد جاء فى تفسير الحافظ ابن كثير لهذه الآية عن ابن عمر « أن رجلا أتاه يسأله عن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما، قال اذهب إلى ذلك الشيخ فاسأله (يشير إلى ابن عباس) ثم تعال فأخبرنى بما قال لك . قال فذهب إلى ابن عباس فسأله. فقال ابن عباس : نعم كانت السموات رتقا لا تمطر ، وكانت الأرض رتقا لا تنبت . فلما خلق الله للأرض أهلا فتق هذه بالمطر وفتق هذه بالنبات . فرجع الرجل إلى ابن عمر فأخبره . فقال ابن عمر : صدق ابن عباس ، الآن قد علمت أنه قد أوتى فى القرآن علما » . وهذا متفق مع المعنى اللغوى لكلمة الرتق ، لأن الرتق فى اللغة هو الالتحام والتماسك . ويؤيد هذا التفسير قوله تعالى بعد ذلك مباشرة : « وجعلنا من الماء كل شيء حى » أى جعل من الماء الذى فتق عنه السماء كل شيء حى فى الأرض من نبات وغيره . ويؤيده كذلك أن القرآن يعبر فى مواضع أخرى كثيرة عن نزول المطر كأنه نتيجة لتفتح السماء بعد أن كانت ملتحمة ويعبر عن ظهور النبات كأنه نتيجة لشق الأرض بعد أن كانت متماسكة الأجزاء . قال تعالى : « ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر »[1] ؛ وقال : « فلينظر الإنسان إلى طعامه ، أنا صببنا الماء صبا ، ثم شققنا الأرض شقا ، فأنبتنا فيها حبا ، وعنبا وقضبا . . »[2]

٣ — أن الله يمن على الكفار بهذه الظواهر ، ولا يعقل أن يمن عليهم بشيء مجهول لهم ، لأن النظرية التى تقرر أن المجموعة الشمسية كانت كتلة واحدة ثم انفصلت أجزاؤها بعضها عن بعض ، لم تكن معروفة وقت نزول القرآن .

٤ — أن هذه النظرية غير مسلم بها من جميع العلماء ، بل إن هناك طائفة كبيرة منهم تذهب إلى أن الأرض خلقت خلقا مستقلا ولم تكن جزءا من الشمس .

---

[١] آية ١١ من سورة القمر .

[٢] آيات ٢٤ ، ٢٨ من سورة عبس .

ولا يصح أن تفسر آيات القرآن وفق نظريات مشكوك في صحتها .

٥ — أن القرآن الكريم نفسه قد بين لنا في آيات أخرى الطريقة التي خلق الله تعالى بها الأرض والسماء ، فبين ذلك في صورة تدل دلالة واضحة على أن خلق كلتيهما كان مستقلا عن خلق الأخرى ، بل كان له زمن غير زمن الآخر ، وذلك إذ يقول : « قل إئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين . ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين ، فقضاهن سبع سموات في يومين ، وأوحى في كل سماء أمرها ، وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ، ذلك تقدير العزيز العليم »[1] ، فهذه الآيات تدلنا على الطريقة التي خلق الله بها السماء والأرض ، إذا صح هذا التعبير ، وتدل صراحة على أن كل واحدة منهما كان خلقها مستقلا عن الأخرى ومنفصلا عنه . بل إن هذه الآيات لتبين لنا مدى الزمن الذي استغرقه خلق كل واحدة منهما . والزمن الذي تذكره ليس كزمننا ، وليس كالأيام التي نعدها ، وإنما هو شيء يعلمه الله تعالى؟

د . علي عبد الواحد وافي

[١] آيات ٩ ـ ١٢ من سورة فصلت .

قال الله تعالى :

« ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون ، قرآناً عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون » .

[الزمر : ٢٧ ، ٢٨]

حول تفسير تاريخي اجتماعي عصري للقرآن

للأستاذ مصطفى الطير

نسمع في هذه الأيام من بعض شبابنا المعاصر دعوة موجهة إلى علماء الأزهر لتأليف تفسير اجتماعي عصري للقرآن الكريم يراه أمراً تمليه الضرورة حتى تتلاءم للشعوب الإسلامية مع ماضيها وظروف عصرها الراهن، وبعد أن أصبح واضحاً أن الإسلام يلعب دوراً لم يعد من الممكن تجاهله في توجيه الحياة العصرية، سواء كان بوصفه ديناً أو حضارة أو ثقافة، هكذا يقول.

ويرى المقترح أن مثل هذا التفسير يمكن أن يكمل التفسيرات الموجودة حتى الآن، وأن يعمق الوعي بالتراث الديني في ذاتيتنا القومية المعاصرة، وأن يقرب الفكر المعاصر والعصري (كذا) إلى الفكر الإسلامي، ويفتح باب حوار خصب بين الفكر الإسلامي والأفكار المعاصرة كالوجودية والماركسية، ويمكن أن يكون بداية لحركة تقدم ديني جديدة، تخلق حلقة رئيسية من حلقات ذاتيتنا القومية، إلى آخر ما قال مما سنعرض له:

(التفسير المقترح)

يتبين من كلام صاحب هذا الاقتراح أن التفسير الذي يريده، هو الذي يقرب الفكر المعاصر إلى الفكر الإسلامي، ويفتح باب الحوار الخصيب بين الفكر الإسلامي والأفكار المعاصرة: كالوجودية والماركسية، ويزعم أن مثل هذا التفسير يعمق الوعي بالتراث الديني، ويكون بداية لحركة تقدم جديدة تخلق حلقة رئيسية من حلقات ذاتيتنا القومية.

ونحن نسأل صاحب هذا الاقتراح فنقول: هل فوض إلينا رب العزة الذي أنزل القرآن أن نطوعه لأفكار البشر، ونجعله تابعاً لنزعاتهم، ومتأثراً بأفكارهم بحيث يكون وجودياً مع الوجوديين، وماركسياً مع الماركسيين، وأن نجعله دائماً ملائماً لكل عصر في نزعاته وأفكاره

فكلما جدت فكرة أو مرحلة طبعته بطابعها، وصبته في بوتقتها، وأزالت شخصيته التي أنزله الله بها، وكيف يتم لتفسير يؤلف على هذا النحو، أن يعمق الوعي بالتراث الديني في ذاتيتنا القومية المعاصرة، وأن يكون بداية لحركة تقدم ديني جديدة تخلق حلقة رئيسية من حلقات ذاتيتنا القومية على حد تعبيره.

الحق أن الأثر المترتب على تنفيذ هذا الاقتراح هو ضياع القرآن، وتلاشي أمة القرآن في أمة جديدة ذات كيان فكري جديد، فهل هذا هو الهدف الحقيقي الذي أراده صاحب اقتراح التفسير الملائم للعصر في أفكاره؟

ماذا تريدون (بتعصير الإسلام) الذي تجعلونه مهمة ملقاة على كواهلنا، فهل العصر هو الذي يجب أن يخضع لتعاليم الإسلام الرشيدة؟ أم الإسلام هو الذي يجب أن ينحني لتعاليم العصر ويذوب فيها؟

وماذا تريدون بالتعبير عن الرسالة المحمدية بأنها (الثورة المحمدية) في الجزيرة العربية ضد سيطرة الإمبراطورية الفارسية والإمبراطورية الرومانية على السواء، فهل كانت الديانة الإسلامية ثورة سياسية محدية ضد الإمبراطوريتين؟ أم كانت هداية ربانية جاءت لتنقذ الناس من ضلال العقائد وفساد العادات، وخسة الأخلاق والمعاملات؟

وماذا تريدون بقولكم: إن هذا الوقت يشهد حركة إحياء لليهودية، وتجديد للمسيحية (بعضها مشبوه) لربط جميع المؤسسات الدينية بعضها ببعض، وأنه لهذا من الضروري على الإسلام أن يجدد نفسه أمام أعين العالم، وأن يحدد مكانه بوضوح في حركة التطور، وأن يطور معناه، فكيف يطور الإسلام معناه ويجدد نفسه أمام أعين العالم، وأن يحدد مكانه بوضوح في حركة التطور، ماذا تريدون بهذا الكلام كله، أيها الهدامون؟.

مفهوم الإسلام:

مفهوم الإسلام حدده الرسول ﷺ في إجابته لجبريل لما جاءه في صورة بشر ليعلم الناس دينهم، وقد سأله في هذه الزيارة عدة أسئلة منها قوله: «أخبرني عن الإسلام، قال: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان،

وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا » رواه مسلم وغيره .

وهـذا المفهوم هو نفس قواعده التى بنى عليها ، وفى ذلك يقول النبى ﷺ : « بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان » .

فالإسلام فى تكاليفه العديدة أمرا كانت أو نهيا أو إباحة كالقصر العظيم ، وهذه الأمور الخمسة أركانه لمزيد أهميتها .

وتطوير معنى الإسلام لا يكون إلا بهدم هذه الأركان ، وإزالة سائر البنيان ، فهل يريد هذا الداعى إلى تطوير معنى الإسلام أن يصل إلى هذه النتيجة ، وأن يتلاشى الإسلام فى غيره من الأفكار والأديان فلا يكون له كيان مستقل كما يفهم من روح كلامه ، أم يريد أن يجدد بإضافة بعض أفكار أهل العصر إليه ، حتى يقرب منها ، إن كان يريد هذا أو ذاك ، فإنه حينئذ لا يكون دين الإسلام ، بل دين الاستسلام ومهزلة التلاشى والذوبان ، وأضحوكة بلا شخصية ولا كيان .

ماذا جرى لشبابنا المسلم حتى ينساق نحو أفكار غير هضيمة ، وخواطر غير مستقيمة ، أذاك ضعف فى الدين ، أم فهم فيه غير مستقيم ، أم تعبير خاطىء غير سليم ، أم رغبة فى الاشتهار بالتجديد ، أم هو مجموعة مشتركة تمثل شخصية غريبة على الإسلام والمسلمين ؟

لقد قرأت هـــذه الدعوة إلى وضع التفسير التاريخى الاجتماعى العصرى ، وقرأت أفكارها وحواشيها ودوافعها وآثارها التى تخيلها من اقترح التفسير ، ولقد وجدتها بعد تكرار قراءتها كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ، ووجد الظمأ القاتل عنده .

وصدقنى إذا قلت لك : إن صاحب هذه الدعوة لم يقرأ تفسيراً واحداً لمفسر ، ولم يعرف ماذا يكتبه المفسرون ، ولا ما يلزم إيراده فى تفسير القرآن ، وما يجب إبعاده عنه ، ولا ما أداه القرآن وعلماؤه للإسلام فى كل عصر وجيل ، ولم يدرك سر غزوه القلوب ، وهو أنه حق (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) ، فهو وأمثاله يطالبون بالتجديد فى تفسيره ، وتفسيره هو معناه ، والمعنى لا يتغير ، وهم لا يعلمون أن القرآن جديد فى كل آن صالح لكل زمان ومكان ،

وبما أنه دستور الأولين فهو قانون الآخرين، فكيف يعتريه التطوير والتجديد، هل القرآن قصة أو قصيدة من الشعر تقال في ظرف، ويقال غيرها في ظرف آخر، كلا، بل هو قانون الأبد، ودستور لكل الأجيال أنزله من يعلم ما يصلح لعباده من التشريع والمعاملات والأخلاق، من يوم نزوله غضا نضيراً حتى تقوم الساعة وهو غض نضير، فهو القسطاس المستقيم، وقانون الله القويم، من أخذ به سلم، ومن أعرض عنه ندم.

تفسير القرآن

يعتمد تفسير القرآن على ثلاثة أصول:

(١) النص القرآني في موضع آخر.
(٢) التفسير النبوي.
(٣) التفسير اللغوي.

فأما اعتماده على النص القرآني فنحو قوله تعالى في كفارة الظهار «والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة»[١] أي إعتاق عبد أو أمة، ولم توصف الرقبة هنا بالإيمان، ولكنهم اشترطوا أن يكون الرقيق الذي يعتق مؤمناً حتى تحل امرأتك التي ظاهرت منها، أخذاً من تقييد الرقبة المعتقة بالإيمان في كفارة القتل الخطأ، كقوله تعالى «ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة»[١].

وأما اعتماده على السنة النبوية، فمثل قوله تعالى «إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً» فمع أن معنى الصلاة هو الدعاء لغة، فقد فسرها الرسول بأفعاله وأقواله حتى عرفنا من مجموع ذلك أن المراد بها في الآية ونحوها أقوال وأفعال خاصة، مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم، بشرائط مخصوصة، وليس المراد منها مجرد الدعاء فقط، وقد دخل الدعاء ضمن مفهومها الشرعي.

وأما اعتماده على اللغة، فذلك فيما لم يرد نص في تفسيره من كتاب الله وسنة رسوله، وليس كل مفكر يستطيع تفسير القرآن، فما لم يكن عظيم المعرفة بنصوص القرآن والسنة، عالماً باللغة نحواً وبلاغة وفقهاً عالماً بطريقة استنباط الأحكام، فإنه على خطر شديد إذا أقدم على تفسيره، لهذا يجب أن يتحاشاه من ليس من أهله، كما يتحاشى المهندس أن يكون طبيباً، والطبيب أن يكون مهندساً: حتى لا يقع كل في خطأ لا يمكن تلافيه.

[١] المجادلة ٣.

[١] النساء ٩٢.

وليس من حق كل مثقف أن يقول عن تفسير القرآن إنه لا يفي باحتياجات العصر أو إنه قاصر عن بلوغ المراد من الآيات القرآنية ، فمن لم يكن من أهل التفسير ، ومن لم يعرف ماهو التفسير ، ومن لم يقرأ التفسير ، فإنه يكون ظالما في الحكم عليه ، لأن الحكم على الشيء لا يكون إلا بعد العلم به وتمام إدراكه ، وإلا لكان كمن ينكر حلاوة العسل، وهو لم يذق طعمه، أو كان فاقداً لحاسة التذوق للمطعومات .

عندنا في المكتبة الإسلامية أعداد هائلة من تفسير القرآن ، لم تترك ناحية فيه حتى تحدثت عنها ولم يخدم كتاب في الدنيا كما خدم القرآن الكريم ، ومن المفسرين من ركز على أحكامه الفقهية كالقرطبي والجصاص ، ومنهم من ركز على بلاغياته كالباقلاني ، ومنهم من ركز على نحوياته كأبي حيان ، ومنهم من ركز على كونياته وعلومه كالفخر الرازي وطنطاوي جوهري، وكل هؤلاء وأمثالهم خدموه في نواحيه المختلفة بحيث يجد فيه كل طالب مطلبه ، وكل محتاج حاجته .

ومن العلماء من خصص موسوعات لأحكامه الفقهية وقوانينه المختلفة كأصحاب المذاهب، ومنهم من خصص لبعض الأبواب كتبا كأبي يوسف الذي ألف في الخراج ، ومنهم من ألف لأخلاقياته وآدابه كتبا كالغزالي الذي ألف كتاب الإحياء ، إلى غير ذلك من مختلف العلوم والاستنباطات.

وقد ترجم بعضها إلى اللغات الأجنبية، وجعلت مراجع لهم ومصادر لعلومهم ، ولا شك أن تشريع الطلاق الذي شرعته إيطاليا معقل الكاثوليكية في العالم مقتبس من شريعتنا وقد كانوا من قبل يعيبونه علينا ، فإذا هم بعد هذه الأجيال يتذوقون حكمته ويطبقونه راغمين .

فماذا يطلب منا في خدمة القرآن وعرض علومه على الناس أكثر مما قدمه السابقون وبعض المعاصرين رضي الله عنهم أجمعين .

كنت أفهم أن يطلب أولئك المقترحون من الأزهر عرض تفسير ميسر خال من الاصطلاحات الفنية إلا قليلا ، بحيث يكون وسطا بين الإفراط والتفريط ، وحينئذ أقول إنه الآن معنى بذلك وإن علماءه يعملون على إخراجه وفقهم الله .

ولو أنهم طلبوا إصدار كتيبات في مفاخر الإسلام في الفقه والاقتصاد والسياسة والحرب وإعتاق الرقيق وتحرير المرأة

من رقي عصبها ، ومفاخر أهله في الطب والجراحة والعلوم والاختراعات والأخلاق وغير ذلك بأسلوب عصري ، لو أنهم طلبوا ذلك لقلنا إنه مطلب معقول ، وإن علماءنا بدءوا يفعلون ذلك، ومجمع البحوث يشجعهم ويطبع لهم ، وإني أوصيهم بالتجويد فيما يكتبون من جهة المادة وحسن العرض ، لأن ذلك يبعث على الرغبة والاستفادة .

(ما معنى التفسير التاريخي)

كنت أفهم أن المقترح يقصد من كون التفسير تاريخيا أن يذكر معه سبب النزول وكنت أعجب من أن يقترح ذلك في التفسير وهو أمر يهتم به المفسرون مقلهم ومكثرهم ولما قرأت مقاله حتى نهايته وجدته يعطي تفسيرا لغرضه أقرب من الخيال ، فإذا قرأته أنت ولم تفهم منه شيئا يتصل بالتاريخ فلك الله وأنا مثلك ، لأن المقترح لا يريد أن يفهم الناس ، أو الأحرى غير قادر على أن يفهم ما يقترحه ، ولهذا فهو غير قادر على أن يعبر عنه .

اقرأ معي قوله : (لعل واحدا ممن يعتقدون اعتقاداً أصيلا بأن للدين سبباً إنسانيا حقيقاً لا يمكن إنكاره أو تجاهله وهذا السبب مصدره الرئيسي هو تحديد قدرة الإنسان على فهم جميع الظواهر والأحداث وما يقع له في حياته .

وبعد كلام يشبه كلام النائم الحالم يقول: (وفي ظني أنه ما ظل الإنسان يموت فإنه سيظل في حاجة إلى الدين الذي يبشره بالخلود ويمده بحياة أخرى أفضل من الحياة الدنيا ويثير في نفسه القدرة على تقبل بؤس الحياة الدنيا وخيباتها تقبلا نسبيا ، كما يثير في نفسه القدرة على أن يرفض هذا البؤس وتلك الخيبة ، وإذا كان الدين هذا السبب الإنساني الأصيل ، فإن معنى ذلك أن له دوراً تاريخياً في حياة الإنسان الاجتماعية - أي أن له بالإضافة إلى دلالته الإيمانية - دلالة تاريخية اجتماعية ، أو كما قال .

فهل فهمت يا فتى الدلالة التاريخية الاجتماعية من هذا الكلام ، إن كنت لم تفهمها فأنا مثلك فلا تبتئس ولا تحزن .

ثم يوضح لك ذلك فيقول - وكمثل على ذلك فلنتأمل معنى أن تكون أول آيات القرآن : « اقرأ باسم ربك الذي خلق » ، إلى قوله : « ما لم يعلم » إن دلالة هذه الآيات هي دلالة إنسانية كما هي دلالة تاريخية اجتماعية - أو كما قال - فهل فهمت يا فتى ؟ فإن كنت لم تفهم هذه الدلالة التاريخية الاجتماعية

مما قاله فأنا والله مثلك لم أفهمها فلا تحزن فتفرح التفسير التاريخي الاجتماعي من عالم آخر فوق الخيال ، ثم استمع إليه وهو يقول: (وإذ يبدأ القرآن بفعل الأمر اقرأ) فإنه ينوه ويعطى كل القيمة لأكثر إبداعات الإنسان عمومية ، إنه يعترف بأساس الحياة الإنسانية الذى لا يمكن أن يتحقق إلا بأن يقرأ الإنسان ، أى بأن يقيم علاقة مع أمثاله ومع الآخرين ليعلم بذلك ما لم يعلم ، وهذا فى تصورى نوع من المعنى الاجتماعى المقترح - أو كما قال - فهل فهمت يا فتى أم أنت مثلى لم تفهم ؟

عينا غير آثمة . لو أن مفسراً فسر سورة القلم كما قال الكاتب لألقى به القارىء من يده لضيقه من هذه المجاهيل والأحاجى والألغاز التى تشبه آية الليل فى الظلام ، وتشبه فى المنطق القياس العقيم فما هكذا يفسر كتاب الله يا رجل ، وهل يصح وأنت على هذا النحو من فهم التفسير أن تعيب على المفسرين وتقول إنهم لم يأتوا بما هو كاف فى الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعقائدية والأخلاقية ومعايير العلاقات بين الناس ، لو قرأت جزءاً من ألف مليون مما كتبوه فى ذلك لمنعك ضميرك أن تقول ما قلت ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ؟.

محمد مصطفى الطير

قال الله تعالى :

« إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا » .

ترجمة القرآن فوق طاقة المترجمين

للأستاذ عبد اللطيف مشتهرى

« وإنه لكتاب عزيز ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » ٤١ ، ٤٢ فصلت

(١) عروبة القرآن وضع إلهى

« إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » يوسف ـ ٢ ـ

« وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد » طه ـ ١١٣

« وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين » الأحقاف ـ ١٢

« قرآنا عربيا غير ذى عوج لعلهم يتقون » الزمر ٢٨

« كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون » فصلت ٣

« إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » الزخرف ٣

« وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا » الشورى ٧ .

« وإنه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين » الشعراء ١٩٢ ـ ١٩٥

« يقولون إنما يعلمه بشر ، لسان الذى يلحدون إليه أعجمى ، وهذا لسان عربى مبين » النحل ١٠٣ .

« ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمى وعربى » فصلت ٤٤

« وكذلك أنزلناه حكما عربيا . . » الرعد ٣٧ .

قال فى تفسير المنار بالجزء التاسع طبعة ١٩٢٨ ص ٣١٥ ما نصه : —

« فهذه آيات محكمات ، هى أم الكتاب فى هذا الباب ، تجاوزت جمع القلة إلى جمع الكثرة ، وعدت إشارات الإيجاز وحدود المساواة ، إلى باحة الإطناب ، ينطق بنصوص صريحة لا تحتمل التأويل ولا تقبل التبديل ولا التحويل ، بأن الله تبارك وتعالى هو الذى أنزل هذا الكتاب الذى جعله آخر كتبه ، على خاتم أنبيائه ورسله

قرآنا عربيا ، وأنه هو الذى جعله قرآنا عربيا ، وأنه هو الذى أوحاه قرآنا عربيا ، وأنه هو الذى فصل آياته قرآنا عربيا ، وأن الروح الأمين ، نزل به على قلب خاتم النبيين بلسان عربى مبين ، وأنه ضرب فيه من كل مثل للناس ، والمراد بالناس أمة الدعوة ، من جميع الملل والنحل ، حال كونه قرآنا عربيا غير ذى عوج ، وأنه أمر خاتم رسله أن ينذر به (أم القرى) ومن حولها من جميع الورى ، وأنه على إنزاله إياه قرآنا عربيا ، للإنذار والذكرى والوعيد والبشرى ، لعلهم يعقلون ولعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا ، أنزله حكما عربيا ، وأمر من أنزله عليه أن يحكم به بين جميع الناس بما أراه الله فيه من الحق والعدل الذى جعله فيه حقا مشاعا لا هوادة فيه ولا محاباة لقرابة ولا لفضل ، فقال « إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ، ولا تكن للخائنين خصيما » (الآيات من سورة النساء من ١٠٤ــ١١٤) بطولها ، اقرأها وراجع سبب نزولها .

فعلم من هذه الآيات المحكمة ، أن القرآن هداية دينية عربية ، وأنه حكومة دينية مدنية عربية ، عربية اللسان ، عامة لجميع شعوب الإنسان ، « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » — « ليكون للعالمين نذيرا » « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا » « ولكن رسول الله وخاتم النبيين » ، « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا » .

وقد بلغ ﷺ دعوة ربه كما أمره فبدأ بأم القرى ، ثم بما حولها من جزيرة العرب وشعوب العجم ، باللسان العربى الذى قضى الله أن يوحد به ألسنة جميع الأمم فيجعلهم أمة واحدة بالعقائد والعبادات والآداب ، والشرع واللغة ، ليكونوا بنعمته إخوانا لا مثار بينهم للعداوات التى تفرق بين الناس بعصبيات الأنساب والأقوام والأوطان والألسنة ، فكتب ﷺ إلى قيصر الروم وكسرى الفرس ومقوقس مصر بلغة الإسلام العربية ، ككتبه إلى ملوك العرب وأمرائهم وبلغ أصحابه ما أمر الله به أمته من تعميم الدعوة . وبشرهم بأن نورها سينتشر ما بين المشرق والمغرب ، فصدع الصحابة والتابعون لهديهم ، وجميع دول الإسلام من بعدهم بما أمروا به من نشر هذا الدين بلغته ، فى كلا قسمى شريعته (عبادته وحكومته) .

(٢) آثار إبلاغ القرآن بلغته العربية لجميع الأمم :

كان الإسلام ينتشر في شعوب الأعاجم من قارات الأرض الثلاث (آسيا وأفريقيا وأوروبا) بلغته العربية ، فيقبل الداخلون فيه على تعلم هذه اللغة بباعث العقيدة ، وضرورة إقامة الفريضة ، ولا سيما فريضة الصلاة التي هي عماد الدين ، وأعظم أركانه بعد التصريح بالشهادتين ، فكان تعلم العربية من ضروريات الإسلام ، عند جميع تلك الشعوب والأقوام ، بالإجماع تعلى العمل التعبدي والسياسي .

ثم ذكر للمنار ، ما كان من بعض الدول الإسلامية من تقصير ، بعدم جعل اللغة العربية لغة رسمية للدواوين ، فآل ذلك إلى التعارض والتعادي بين عصبية هذه الدولة اللغوية ورابطة الإسلام ، وأدى ذلك إلى التفرق والتقاتل بين هذه الدولة المتنكرة للغة القرآن وبين العرب .

فهجر كل ما هو إسلامي ، بل محاربته تعنتا وتحضراً وارتماء في أحضان الغرب المعادي للإسلام ولغة كتابه ، ثم وصل هذا التآمر على الإسلام إلى التعدي على القرآن ، فعمدوا إلى ترجمة ألفاظه ، لا ليفهمه الشعب ، لأن تفاسيره بلغتهم كثيرة ، ولكن لمحو كل ما هو عربي من اللغة ، حتى حرموا يومها مدارسة كتب السنة وكتب الفقه ونحوها ، لأنها مشحونة بآيات القرآن العربية ، وبالأحاديث النبوية العربية ، وبآثار السلف الصالح العربية ، وبالحكم والأمثال وشواهد اللغة العربية ، واقترح بعضهم كتابته بالحروف اللاتينية ، حتى يبدل كتاب الله بقرآن بلغته بعض الملاحدة ، مع أنه الكتاب العربي المبين ، المتعبد بألفاظه العربية بإجماع المسلمين ، والمعجز ببلاغته العربية لجميع العالمين ، والحجة لله إلى يوم الدين .

(٣) جريمة ترجمة القرآن ترجمة لفظية حرفية :

قال : إن من تقصير المسلمين في نشر دينهم ألا يبينوا معاني القرآن لأهل كل لغة بلغتهم ، لدعوة من ليس من أهله إليه ، وإرشاد من يدخله فيه عند الحاجة بقدر الحاجة ، وإن من زلزال المسلمين في دينهم أن يتفرقوا إلى أمم ، تكون رابطة كل أمة منها جنسية نسبية أو لغوية أو قانونية ، ويهجروا القرآن المنزل من عند الله تعالى ، المعجز بأسلوبه وبلاغته وهدايته ، اكتفاء بأفراد يترجمون لهم حسب فهمهم ، وهذا

الزائل ، أثر من آثار جهاد أوربا السياسى والمدنى للمسلمين ، زين لنا أن نتفرق ونتقسم إلى أجناس ، ظانا كل جنس منا أن فى ذلك حياته ، وما فى ذلك إلا موت الجميع ، وإننا نوجز بيان المفاسد المترتبة على هجر المسلمين للقرآن المنزل « بلسان عربى مبين » استغناء عنه بترجمة أجنبية ، يغنيهم عنها تفسيره بلغتهم ، ونوجز هـــذه المفاسد لترجمة القرآن فيما يلى :

(ا) إن ترجمة القرآن ترجمة حرفية بحيث تطابق الأصل متعذرة ، أما الترجمة المعنوية فهى عبارة عن فهم المترجم للقرآن ، أو فهم من عساه يعتمد هو على فهمه من المفسرين ، وحينئذ لا تكون هذه الترجمة هى القرآن ، وإنما هى فهم رجل للقرآن ، يخطىء فى فهمه ويصيب ، ولا يحصل بذلك المقصد المراد من الترجمة .

(ب) إن القرآن هو أساس الدين الإسلامى ، بل هو الدين كله ، إذ السنة ليست دينا إلا من حيث إنها مبينة له ، فالذين يأخذون بترجمة القرآن يكون دينهم ما فهمه مترجم القرآن لهم ، لا نص القرآن المنزل من عند الله تعالى على رسوله ﷺ ، والاجتهاد بالقياس إنما هو فرع عن النص والترجمة ليست نصا من الشارع ، والإجماع عند الجمهور لا بد أن يكون له مستند ، والترجمة ليست مستندا ، فعلى هذا لا يسلم لمن يجعلون ترجمة القرآن قرآنا ، شىء من أصول الإسلام .

(ج) إن القرآن منع التقليد فى الدين ، وشنع على المقلدين ، فأخذ الدين من ترجمة القرآن هو تقليد لمترجمه ، فهو إذا خروج عن هداية القرآن لا اتباع لها .

(د) يلزم على ترجمة القرآن حرمان المقتصرين على هذه الترجمة مما وصف الله به المؤمنين فى قوله : « قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى » ، وأمثالها من الآيات التى تجعل من المسلم مستعملا لعقله وفهمه فيما أنزل الله ، قال تعالى : « اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء ، قليلا ما تذكرون » ، والمنزل إلينا من ربنا هو القرآن العربى كما صرحت به الآيات (فى صدر هذا المقال) فاتباع الترجمة مخالف لكل من الأمر والنهى فى هذه الآية .

(هـ) ويلزم أيضا حرمانهم من هذه الصفات العالية ، الاجتهاد والاستنباط من عبارة المترجم لأن الاجتهاد فيها مما لا يقول به مسلم .

(و) إن من يعرف لغة القرآن، وما يحتاج إليه فى فهمه، كالسنة النبوية وتاريخ الجيل الأول، الذى ظهر فيه الإسلام، يكون مأجوراً بالعمل بما يفهمه من القرآن وإن أخطأ فى فهمه، لأنه بذل جهده فى الاهتداء، بما أنزل الله هداية له، كما يعلم ذلك من معاملة النبى ﷺ لأصحابه فيما فهموه من كيفية التيمم، إذ عذر المختلفين فى فهمها والعمل بها، وما فهموه فى نهيه عن صلاة العصر إلا فى بنى قريظة وأمثال هذه الاجتهادات، التى يؤجر عليها المسلم، ولا يمكن حصول هذه المزايا فى عبارة مترجم القرآن.

(ز) القرآن ينبوع الهداية والعلوم الإلهية، لا تخلق جدته، ودائما تتجدد حكمته ودلالته، فربما ظهر للمتأخر من حكمه وأسراره ما لم يظهر لمن قبله، تصديقا لعموم حديث (رب مبلغ أوعى من سامع) وترجمة القرآن تبطل هذه المزية، إذ تقيد القارىء بالمعنى الذى صوره المترجم بحسب فهمه، مثال ذلك أن المترجم قد يحمل قوله تعالى: «وأرسلنا الرياح لواقح» من المجاز بالاستعارة فاتصال الريح بالسحاب وحدوث المطر عقب ذلك، يشبه تلقيح الذكر للأنثى وحدوث الولد بعد ذلك كما فهم بعض المفسرين، فإذا هو جرى على ذلك حسب فهمه أو قصور لغته التى يترجم إليها القرآن فإن القارئين لترجمته يتقيدون بهذا الفهم فيحرمون من فهم المعنى الحقيقى لكلمة: (لواقح) وهو كون الرياح لواقح بالفعل إذ هى تحمل مادة اللقاح من ذكور الشجر إلى إناثه، فالترجمة تقف بنا عند حده من الفهم، يعوزنا معه الترقى المطلوب.

(ح) ذكر الغزالى فى كتاب (إلجام العوام عن علم الكلام) أن ترجمة آيات القرآن المتعلقة بالصفات الإلهية غير جائزة وأن الخطأ فى ذلك مدرجة للكفر.

(ط) ذكر الغزالى أيضا فى الاستدلال على ما تقدم أن من الألفاظ العربية ما لا يوجد لها لغة أخرى تطابقها، فما الذى يفعله المترجم فى مثل هذه الألفاظ، وهو إن شرحها بحسب فهمه ربما يوقع قارىء ترجمته فى اعتقاد ما لم يقصده القرآن.

(ى) إن من الألفاظ العربية، ما قد يكون لها فى اللغات الأخرى ما يطابقها ولكن لم تجر عادة أهل هذه اللغات استعمالها فى الاستعارات، كما يحدث أحيانا فى لغة القرآن، فيفسره المترجم بالمعنى

الحقيقي حسب لغته وفهمه، والله إنما يريد المعنى المجازي ، قال حجة الإسلام : وهذا المقام من مزلات الأقدام إذا كان الكلام من الله عز وجل وصفاته وأفعاله .

(ك) قال الغزالي أيضاً : إن من هذه الألفاظ ما يكون مشتركا في العربية ، ولا يكون كذلك في اللغات الأخرى ، فقد يختار المترجم غير المراد له من معاني المشترك ، ولا يخفى ما فيه .

(ل) من المقرر عند العلماء أنه إذا ظهر دليل قطعي على امتناع ظاهر آية من آيات القرآن ، فإنه يجب تأويلها حتى تتفق مع ذلك الدليل ، ولا شك في وجود الفرق الشاسع بين تأويل ألفاظ القرآن ، وتأويل ألفاظ ترجمته ، لا سيما في الآيات المتشابهة والألفاظ المشتركة .

(م) إن لنظم القرآن وأسلوبه تأثيراً خاصاً في نفس السامع ، لا يمكن أن ينقل بالترجمة ، ويفوت بفوته خير كثير ، وطالما كان هذا التأثير جاذباً للإسلام ، حتى قال أحد فلاسفة أوربا وهو فرنسي : إن محمداً كان يقرأ القرآن بحال مؤثرة تجذب السامع إلى الإيمان به ، فكان تأثيره أشد من تأثير ما ينقل عن غيره من الأنبياء من المعجزات ، وحضر أحد الأجانب احتفالا في إحدى المدارس ، وافتتح الاحتفال تلميذ بقراءة آيات من القرآن ، فقال الأجنبي : إن لهذه القراءة تأثيراً عميقاً في النفس ، ونشر هذا الأثر في جريدة المقطم ، فإذا كان لتلاوة القرآن هذا التأثير حتى في نفس غير المؤمن به ، فكيف نحرم منها المسلمين بترجمة القرآن لهم .

(ن) إذا سلمنا بترجمة القرآن إلى اللغات المختلفة ، تركية وفارسية وهندية وصينية وانجليزية وفرنسية ... الخ ثم أريد ترجمة هذا القرآن غير العربي ، فلابد أن يكون بين هذه التراجم من الخلاف ، مثل ما بين تراجم كتب العهد العتيق والعهد الجديد عند النصارى ، بل يكون الخلاف عندنا أشد ، لعجز جميع البشر عن ترجمة القرآن ، دون الترجمة والإنجيل ، وقد رأينا (رشيد رضا) ما استخرجه لهم صاحب كتاب « إظهار الحق » من الخلافات التي كنا نقرؤها ، ونحمد الله أن حفظ كتابنا من مثلها ، فكيف نختار مثلها من الخلافات لديننا وكتابنا وأنفسنا ؟

(س) إن القرآن هو الآية الكبرى على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، بل هو الآية الباقية من آيات النبيين، وإنما يظهر كونه آية باقية محفوظة من التغيير والتبديل، والتحريف والتصحيف، بالنص الذي نقلناه، عمن جاء به من عند الله، والترجمة ليست كذلك، هذا ما تراءى لنا من الوجوه العامة من ترجمة القرآن للمسلمين ليكون لهم قرآن أعجمي، بدل القرآن العربي، وهناك وجوه أخرى للمنع يمكن استنباطها، وهي كثيرة لا تحصى.

وأما دعوى وجوب الترجمة بحجة أن عدمها يستلزم بقاء القرآن فهو مفهوم (لشعوب كثيرة) فهي ممنوعة، لأننا نقول: إن فهمه سهل، ولكن ليس لأحد أن يجعل فهمه حجة على غيره، فكيف يجعله دينا لشعب برمته؟

وإن الطريق السليم لاهتداء الأجنبي بالقرآن على درجتين: درجة دنيا، خاصة بالعوام الذين لا يتيسر لهم طلب العلم، ليحفظون الفاتحة، وبعض السور القصيرة لأجل قراءتها في الصلاة، ويترجم لهم تفسيرها، وتفسر لهم في مجالس الوعظ بعض الآيات، ويذكر لهم تفسيرها، بلغتهم كما جرى عليه كثير من الأجانب حتى ببلاد الصين. ودرجة عليا، المشتغلين بالعلم، وهؤلاء يجب أن يتقنوا لغته، ويستقلوا بفهمه، مستعينين بكلام المفسرين غير مقلدين لأحد منهم.

إن الأعاجم الذين دخلوا الإسلام، على يد الصحابة الكرام، قد فهموا أن الإسلام لغة خاصة به، لا بد أن تكون عامة بين أهله، ليفهموا كتاب الله، يدينون به، ويهتدون بهديه، ويتعبدون الله بتلاوته، ولتتحقق بينهم الوحدة المشار إليها بقوله (إن هذه أمتكم أمة واحدة) الأنبياء ٩٢ ويكونوا جديرين بأن يعتصموا به وهو حبل الله، فلا يتفرقوا، ولتكمل فيهم أخوة الإسلام التي حتمها عليهم بقوله (إنما المؤمنون إخوة) الحجرات ١٠.

ولذلك انتشرت اللغة العربية في البلاد التي فتحها الصحابة، بسرعة غريبة، مع عدم وجود مدارس ولا كتب ولا أساتذة للتعليم، واستمرت الحال على ذلك في زمن الأمويين، في الشرق والغرب، وفي أول مدة العباسيين، حتى صارت اللغة العربية لغة الملايين من الأوربيين والبربر والقبط والروم والفرس، وغيرهم في ممالك تمتد من المحيط الغربي إلى بلاد الهند.

فهل كان هذا إلا خيرا عظيما : تآخت فيه شعوب كثيرة ، وتماوجت في مدنية كانت زينة للأرض ، ونوراً لأهلها ؟ حـق نقول : لقد كان يجب أن تـكون مسألة (ترجمة القرآن) أبعد من أهواء الخلاف للنصوص الـكثيرة الصريحة فيها ، وإجماع السلف والخلف ، بالعلم والعمل عليها ، وعدم شذوذ أصحاب المذاهب والفرق ، حتى المبتدعة منها ، ومضى أربعة عشر قرنا على ذلك ، فقد كثر الخلاف والتفرق في الدين ، وتعـددت الأحزاب والشيع في المسلمين ، بل ارتد بعض الفرق بضروب من التأويل وسخافات من أباطيل التحريف ومع هذا فلم تقم فرقة تنتمي إلى الإسلام بترجمة القرآن ، ولا ضلت طائفة بترجمة أذكار الصلاة والأذان ، لأجل الاستغناء بها في التعبد لله ، عن اللفظ المنزل من عند الله . وإنما قصارى ما وقع من الخلاف فيما حول ذلك من فروع المسألة ، ومن تصوير الفقهاء الوقائع النادرة (أنه إذا أسلم أعجمي مثلا ، وأردنا تعليمه الصلاة ، فلم يستطع لسانه أن ينطق ألفاظ الفاتحة ، فهل يصلي بمعانيها من لغته ، أم يستبدل بها بعض الأذكار العربية المأثورة مؤقتا ريثما يتعلم القرآن ، كما ورد في بعض الأحاديث ، أم يصلي بترجمة الفاتحة بلغته ؟

نقل القول الأخير عن أبي حنيفة وحده مع مخالفة جميع أصحابه له ، ونقل عنه أنه رجع إلى الإجماع ، ولم ينقل عن أحد من المسلمين أنه عمل بهـذا الرأي (على أنه لا حجة في قول أحـــد ولا عمله ، غير المعصوم) فكان هذا الإجماع العام المطلق مما يؤيد حفظ الله تعالى للقرآن :

قال الشافعي رحمـه الله : في رسالته في أصول الفقه « نزل القرآن كله بلسان العرب ، ليس فيه شيء إلا بلسانهم ، والحجة على ذلك قوله تعالى: « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومـه ليبين لهم » فإذا كانت الألسنة مختلفة بما لا يفهمه بعضهم من بعض فلا بد أن يكون بعضهم تبعا لبعض ، وأن يكون الفضل في اللسان المتبع على اللسان التابع ، وأولى الناس بالفضل في اللغة من لغته لغة رسول الدعوة صلى الله عليه وسلم اللغة العربية، ولا يجوز ـ والله تعالى أعلم ـ أن يكون أهل لسانه أتباعا لأهل لغة غير لغته في حـــرف واحـد ، بل كل لسان تبع لسانه ، وكل أهل دين قبله ، فعليهم اتباع دينه ، وقد

بين الله ذلك في غير آية من كتابه ثم ذكر الشافعي رحمه الله بعض الآيات التي صدرنا بها مقالنا هذا ، ثم قال :

فأقام الله حجته على أن كتابه عربي ، وأكد ذلك بأن نفى عنه كل لسان غير لسان العرب في آيتين من كتابه تعالى :

« لسان الذي يلحدون إليه أعجمي ، وهذا لسان عربي مبين » وقال سبحانه: « ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته ؟ أأعجمي وعربي » ؟ .

ثم ذكر الشافعي نعمة الله على المؤمنين ، إذ بعث فيهم رسولا منهم ، وجعل القرآن ذكرا له ولقومه العرب ، وأمره أن ينذر قومه خاصة وغيرهم بقوله: «وأنذر عشيرتك الأقربين » وقوله : «لتنذر أم القرى ومن حولها » لجعلهم في كتابه خاصة، وأدخلهم مع المنذرين عامة ، وقضى أن ينذروا بلسانهم العربي ، لسان قومه منهم خاصة .

وشدد الشافعي في وجوب تعلم اللغة العربية لا سيما فيما افترض الله على المسلم تعلمه من أركان الإسلام وأذكارها ، وقال : (ومن تعلم اللسان العربي، انتفت عنه الشبه التي دخلت على من جهله) .

ونص الشافعي هذا في أول رسالة أصولية قد أجمع على اعتباره أئمة المسلمين سلفا وخلفا . وقد اشتهرت هذه الرسالة في جميع الأقطار الإسلامية ، ومع اختلاف الأئمة في بعض مسائل الفروع الفقهية ، فإن أحدا لم يشذ عن الشافعي في هذه المسألة بالذات ولم يخالفه أحد ، بل ولم يناقشه فيها ، ولا فيما أورده من الأدلة عليها ، ولم يخرج عن هذا الإجماع (وهو التعبد بتلاوة القرآن العربي وأذكار الصلاة والحج وغيرها) سني ولا شيعي ، ولا أباضي ولا خارجي ولا معتزلي .

ولم يقل أبو حنيفة ولا غيره ، باستغناء أي شعب في دينه ، عن لغة كتابه وسنته والدليل على هذا أن جميع أتباع أبي حنيفة أنفسهم ومقلديه من الأعاجم ، لا يزالون يقرءون القرآن ، وأذكار الصلاة والحج وغيرها بالعربية ، وكذلك خطبة صلاة الجمعة والعيدين ، إلا ما شذت به بعض الدول ، في الخطابة بلغتها ، تمهيداً للصلاة بها ، لخلع ربقة الإسلام .

(أقول): وقد عادت هذه الدولة لتقرير لغة القرآن في شعائر الإسلام ، لما رأت نفور الشعب المسلم من غير لغة كتابه ،

ونوره على من حاول محوها من لسانه وعبادته: «ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون».

ومن قبل ذلك فى عهد الدولة العباسية، هفا المأمون هفوة سياسية، حركت العصبية الجنسية فى الفرس فجعلوا يتراجعون إلى لغتهم، ويعودون إلى جنسيتهم، وجاء الأتراك ففعلوا بالعصبية الجنسية ما فعلوا فسقط مقام الخلافة، وتمزق شمل الإسلام بفورة ملوك الطوائف، ولكن لم تصل الفتنة بالناس، إلى إيجاد قرآن أعجمى للأعاجم وإبقاء القرآن العربى خاصا بالعرب بل بقى الدين والعلم عربيين وراء إمامهما الذى هو القرآن.

ثم قال (المنار): وملخص هذه الفتوى: «إن ترجمة القرآن ترجمة حرفية متعذرة ويترتب عليها مفاسد كثيرة، وذلك محظور لا يبيحه الإسلام، لأنه جناية عليه وعلى أهله، ولا يجوز أن تسمى الترجمة قرآنا، ولا كتاب الله، ولا أن يسند منها شىء إلى الله تعالى، فيقال: قال الله كذا، لأن كتاب الله وقرآنه عربى بالنص القطعى، والإجماع الشرعى، من سلف أهل الملة كلهم وخلفها.

فكل لغات الترجمات ليس لها شىء من خصائص القرآن اللفظية ولا المعنوية كالإعجاز وغيره، فلا بد أن تكون مخالفة له فى المعنى كمخالفتها فى اللفظ، فإسنادها إليه تعالى كذب عليه وكفر بكتابه، بل أجمع المسلمون على أنه لا يجوز إبدال لفظ من ألفاظ المصحف بلفظ آخر يرادفه من اللغة العربية، ككلمتى (شك وريب) فى قوله تعالى: (ذلك الكتاب لا ريب فيه).

وأما الترجمة المعنوية، التى هى عبارة عن تفسير ما يحتاج إلى تفسيره منه بلغة أخرى فغير محرم، وإنما تتبع فيه المصلحة الشرعية بقدرها».

والواقع أن تفسير (المنار) — أثاب الله صاحبه — قد أطال النفس فى تحريم الترجمة للقرآن، فى نحو ست وخمسين صحيفة فى الجزء التاسع فى سورة الأعراف، وفنّد كل حجج المؤيدين للترجمة، والساعين إليها، أو القائمين بها، وبين وجه الله الإجرام فى حق الله وكتابه، وفى حق المسلمين ممن يسعى هذا السعى الخبيث، ويحاول الاعتداء على أقدس مقدسات المسلمين، سواء أكان ذلك منه بحسن قصد، أم كان بسوء قصد كما بين أن تبليغ الإسلام، لا يتوقف

على ترجمة حروف القرآن ، بل من الممكن ، وقد أمكن فعلا ، أن تترجم المعانى ، والأهداف ، والأحكام والحكم لكتاب الله وسنة نبيه الأعظم ﷺ ، ومن يتحقق من الأجانب معرفة الأصل ، فالسبيل سهل أمامه ، لتعرف لغة العرب ، ومدارستها ، ليتلقى إسلامه من نبعه الصافى ، وقد ذكر الإمام رحمه الله فى ذلك أقوال فقهاء المذاهب المشهورة والمعتبرة ، ونقل إجماع السلف والخلف على وجوب صيانة القرآن ، وإبقاء ألفاظه المعجزة ، فى ثوبها العربى الناصع المعجز ، وبين ما ترتب على الترجمات الأجنبية من خطأ فظيع فى نقل معانى كتاب الله ، وبالتالى من تطرف الملحدين ، ونهب المستعمرين لأملاكهم ، إذ ستتعصب كل أمة لما لديها من ترجمة تسميها قرآنا بلغتها هى ، وقد تتوالى لديها التفسيرات والتأويلات لترجمتها بما يزيدها بعدا عن مراد الله ، إذ ستتعدد الوسائط الناقلة البعيدة عن الأصل ، وهنا يكون المسلمون قد فرقوا دينهم وكانوا شيعا ، وقطعوا أمرهم بينهم زبرا ، كل حزب بما لديهم فرحون ، فتنفصل الروابط ، ويسهل على أعداء الإسلام التهامهم دولة وراء دولة (أكلت يوم أكل الثور الأبيض) أو كما قال على رضى الله عنه (إنما هنت يوم هان عثمان) إذ فقدوا العاصم الجامع لهم ، والمقوى لوحدتهم ، والهاد لجامعتهم ، والمنسق بين أفكارهم وآمالهم وآلامهم ، وصدق الله العظيم :

«واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا»

٤ — تعذر ترجمة القرآن :

هذا قرار أجمع عليه الخلف والسلف ، كما ذكرنا ، ولا يحتاج المسلم صحيح الإسلام إلى دليل على هذا ، لأنه يؤمن بأن القرآن معجز للبشر ، بأسلوبه ونظمه العربى المنزل كما أنه معجز بهدايته وإصلاحه للبشر ، وقد تحدى النبى ﷺ العرب بهذا الإعجاز ، وتحدى المسلمون به من بعدهم ، فثبت عجز الجميع عن الإتيان بمثله ، وصدق قوله عز وجل : (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) ٨٨ الإسراء — والترجمة لا تكون صحيحة ، إلا إذا كانت مثل الأصل .

فالآية ، نص قطعى على عجز الإنس والجن عن الإتيان بمثله ، ولو كان بعضهم عونا ومساعدا لبعض ، فكيف يمكن أن

يأتى بمثله فرد أو جماعة ؟ إن الذين يريدون ترجمته ، إنما قصدهم صرف أمة الإسلام من قومهم ، بالترجمة عن الكتاب المنزل من عند الله ، فهم ليسوا مؤمنين به ، حتى تقوم عليهم هذه الحجة ، وكثير من المسلمين المقلدين الذين يجهلون كثيراً من أصول الإسلام وفروعه، لينخدعون بشبهات القائلين بترجمة الكلام الإلهى باللغات المختلفة ، ولا يدرون أنه غير ممكن ولا أنه غير جائز ، وقد بينا للفريقين (فريق الكفرة به ـ وفريق المؤمنين الجهلة بخطورة الترجمة) عدم جوازه وما يترتب عليها من المفاسد بالأدلة المقنعة .

ونزيد الأمر وضوحا ، فنثبت تعذر ترجمته من جهة اللغة ، كما هى محرمة من جهة الشرع ، ونكتفى بقليل من الشواهد فالاستيعاب لها يحتاج إلى كتاب مستقل، ونقرر مبدئيا أن الترجمة متعذرة من حيث المفردات ، ومن حيث الجمل ، ومن حيث الأساليب .

من المعلوم بالقطع لدى العارفين باللغات المتعددة ، ولدى علماء الاجتماع ، أنه لا يمكن أن تتفق لغتان من لغات العالم ، فى جميع مفرداتها ولا فى طرق دلالتها ، وإذا فرض واتفقت لغتان فى حقيقة لفظ واحد ومجازه وكنايته ، بحيث يترجم أحدها بالآخر ، مهما يكن المراد منه المتكلم ، فلن يمكن مثل هذا فى الأوضاع الجديدة الشرعية والعرفية ، كالألفاظ الموضوعة فى القرآن لصفات الله تعالى ، وغير ذلك من عالم الغيب ، أو لبعض العبادات، ويستحيل قيام لغة مقام أخرى فى آدابها ومعارفها ، ومعانيها العقلية والشعرية .

مثال ذلك الأسماء الموضوعة ليوم القيامة ، وهى كثيرة ، وكل لفظ منها له معنى تدل عليه مادته العربية ، وهذا المعنى مراد لتحققه فى ذلك اليوم (كالواقعة ، والقارعة ، والطامة ، والصاخة ، والحاقة والغاشية الخ) فلو ترجمت كلها بمعنى (يوم القيامة) فاتت المعانى الاشتقاقية المقصودة بالذات من هذه الأسماء وهى بيان صفات ذلك اليوم مبدأ وغاية ، وما يقع فيه ، وما فيها من وعظ ونذر مؤثرة فى الخوف والرجاء ، والرادعة عن المعاصى ، وإذا ترجمت بمعناها الاشتقاقى لم يفهم منها أن المراد بها صفة يوم القيامة ، فلفظ القارعة يدل فى أصله على امرأة تقرع شيئا

بالمقرعة ، وفي المجاز معناها : داهية تقرع القلوب بأهوالها .

وأخص منها « الصاخة » وهي الضربة ذات الصوت الشديد ، الذي يصخ المسامع أي يقرعها حتى يصمها أو يكاد ، أو الذي يضطرها إلى الإصاخة والإصغاء .

وإذا أنت فسرت الكلمة بيوم القيامة ، ووصفته بالقارعة في سورتها ، وبالصاخة في سورة (عبس) تكون قد انفلت من مأزق الترجمة إلى صحة التفسير ، وحينئذ قد تكون عرضة لغلط في التفسير ، يضيع به شيء من مراد الله تعالى من هذه الألفاظ .

وإذا كان بعض المفسرين بالعربية ، قد وقع في مثل هذا الغلط ، فالمترجم بلغة غير عربية أولى بالغلط ، لقد فسرها بعض المفسرين فقال : المراد بالقارعة : الداهية التي تقرع القلوب ، ولكنه تفسير مردود بدلالة القرآن نفسه ، فالله تعالى يبين هذا القرع في أول سورة الواقعة (إذا وقعت الواقعة ،ليس لوقعتها، كاذبة، خافضة رافعة إذا رجت الأرض رجا ، وبست الجبال بسا ، فكانت هباء منبثا) ، وهذا هو عين المراد من قوله تعالى : (القارعة، ما القارعة وما أدراك ما القارعة ! يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ، وتكون الجبال كالعهن المنفوش) .

ويوضح هذا من نظريات الفلك ، ما قرره علماؤه ، من أن خراب هذا العالم لا يتصور إلا بدنو بعض النجوم ذوات الأذناب من الأرض وصدمه أو قرعه لها قرعا شديدا ، على نسبة قوة الجذب ، تبس به الجبال ، أي تتفتت حتى تكون هباء منبثا في الفضاء ، وحينئذ يبطل نظام الجاذبية العام ، فتتناثر الكواكب وتتصادم ، كما قال تعالى في وصف ذلك اليوم : (وإذا الكواكب انتثرت) فانطباق الآيات المختلفة الواردة في وصف يوم القيامة من السور المتفرقة ، على هذه النظرية الفلكية ، التي لم تكن في عصر التنزيل معروفة للعرب ، ولا لغيرهم من علماء الفلك على الطريق القديم ، قد تعد في هذا العصر من معجزات القرآن وعجائبه وفاقا لما ورد في وصفه من الأثر (لا تنتهي عجائبه) ولكن كل هذه المعاني المعجزة لا يمكن ظهورها في الترجمة الحرفية ، فيكون قصورها وعدم موافقتها للأصل من طرق متعددة :

وقد فسروا أيضا: «مالك يوم الدين» بيوم القيامة، والدين هنا مراد به الجزاء على الأعمال، وذكره مقصود بالذات، وله من التأثير ما ليس لكلمة يوم القيامة فإنه يذكر التالي للفاتحة في الصلاة وغيرها بأن الله سيحاسبه على أعماله ويجزيه بها إن خيرا وإن شرا.

وهكذا نجد أن لمفردات الأفعال دلالة صيغها على معان عدة كالتكلف، والتكثير والمشاركة، والمطاوعة الخ ومن مفردات حروف المعاني والأدوات فروق (العطف ونكت وضع بعضها في موضع الآخر، كقوله تعالى في سورة الأنعام: (قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين) وقوله سبحانه في العنكبوت (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق) فعطف النظر في الأول بثم المفيدة للتراخي، وفي الثاني بالفاء المفيدة للتعقيب.

فهل يوجد في سائر اللغات مثل هذا العطف، الذي تقتضيه المعاني؟

ومثل هذه الخصائص للغة القرآن، ما حققه الإمام عبد القاهر الجرجاني، من الفرق بين الحصر بإنما، والحصر بحرف النفي والإثبات، كقوله تعالى في الأنعام (قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقا أهل لغير الله) فالحصر هنا بالنفي والإثبات ولكنه في البقرة والنحل حصر بإنما (إنما حرم عليكم الميتة والدم) الخ فالتعبير في الأنعام كان أول ما نزل فيما ينكره المشركون ويجهله المسلمون، وفي سورتي البقرة والنحل كان التعبير في معنى صار معروفا لدى المخاطبين، وإنما تأتي لخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته، أو لما نزل هذه المنزلة، أما الحصر بالنفي والإثبات فيعبر به للأمر ينكره المخاطب ويشك فيه.

فهل يوجد مثل هذه الفروق الدقيقة في أية لغة أخرى غير لغة القرآن، وهل يفهم المترجمون هذه الدقائق في الكتاب الإلهي حتى يراعوها في ترجمتهم، إن كانت لغتهم تساعدهم على ذلك؟

ومن ذلك الفرق بين (إن وإذا الشرطيتين) فالأولى لما فيه جهل المخاطب أو إنكاره أو شكه، وليست كذلك الثانية فإذا جاوزنا المفردات إلى (الجمل) وجدنا الأدق والأحكم في لغة القرآن، مما يتعذر مثله

في أية لغة ، ويكفي في مثال ذلك ماقرره علماء النحو والقواعد ، في الجملة المقيدة بالحال ، والفرق فيها بين الحال المفردة ، وجملة الحال ، ويترتب على ذلك أحكام شرعية في مثل قوله تعالى: «لا تقربوا الصلاة (وأنتم سكارى) حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا إلا عابرى سبيل حتى تغتسلوا » فجملة (وأنتم سكارى) جملة حالية مقيدة للنهي ، وقوله: (جنبا) حال مفردة مقيدة له أيضا ، ولكل منهما معناه في موضعه الخاص به ، فالأولى تفيد النهي عن السكر قبل الصلاة ، لئلا يأتي وقت الصلاة في حال السكر ، فيضطر السكران إلى ترك الصلاة ، أو إلى أدائها وهو سكران ، وهو المنهي عنه في الآية . وأما الثانية (جنبا) فلا تدل على ترك أسباب الجنابة قبل وقت الصلاة ولا في وقتها إلا إذا ضاق الوقت عن الطهارة

فهل يفهم مترجمو القرآن مثل هذه الدقائق ، وهل تساعدهم لغتهم على مراعاتها إن كانوا يفهمونها ، أم يحتاجون إلى شرح وتفسير ، لبيانها ، فيكون أحدهم مفسراً لا مترجما ؟

وأما دقة التعبير ، وخاصية الأسلوب القرآني ، فمن عجائب شواهده ، وصف الظالمين يوم القيامة ، في قوله تعالى من سورة إبراهيم :(إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار ، مهطعين مقنعي رءوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء) .

فشخوص الأبصار عبارة عن ارتفاعها ، وكون أجفانها مفتوحة ساكنة لا تطرف و (مهطعين) من أهطع البعير إذا صوب عنقه ومد بصره ، وقيل الإهطاع : أن تقبل ببصرك على المرئي تديم النظر إليه ، لا تلتفت إلى غيره ، ويأتي بمعنى الإسراع و (مقنعي رءوسهم) من أقنع البعير رأسه إلى الحوض ليشرب إذا رفعه ، وقيل إنه يكون خفضا ورفعا ، فهو من أسماء الأضداد ، وقوله: (لا يرتد إليهم طرفهم) معناه أن لهم في شخوص الأبصار وإهطاعها مع امتداد الأعناق وتصويبها إلى ما تنظر إليه شغلا شاغلا لها أن ترجع إليهم فتكون طوع إرادتهم يوجهونها حيث شاءوا ، بل هم في هول وكرب لا مشيئة ولا سلطان لهم معهما على أبصارهم ، بل عيونهم ممدودة مفتوحة ، لا تطرف ولا تتحرك ولا تتوجه إلى شيء آخر بتصويب ولا تصعيد ، ثم بين علة هذا وسببه في النفس ، فقال : (وأفئدتهم هواء) أي خلاء خاوية من العقل فاقدة للقوة والإرادة ، لعمر الحق ، إذا تصور من يفهم هذا الوصف حق الفهم ، قوما هذه حالهم في ذلك اليوم ، حتى كأنه يراهم ، ليأخذن الرعب بخنقه ،

وليستحوذ على القلب على شعوره وإدراكه ، ولا سيما إذا كان من العرب الخلص أو الأعراب الأقحاح .

ويدخل ضمن هذه الخصائص التعبير بالكناية ، مثل - الرفث وإفضاء الزوج إلى الزوج - وقوله تعالى (فلما تغشاها حملت حملا خفيفا) وقوله تعالى : (أو لامستم النساء) وقوله : (نساؤكم حرث لكم) (وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) .

والخلاصة أن أسلوب القرآن نسيج وحده ، وفريد بابه ، فإنه أظهر وجوه الإعجاز اللفظية .

فهو يمزج فنون الكلام ، وينظم مقاصد الهداية والإرشاد ، على اختلاف أنواعها ، وتباين موضوعاتها ، مزجا متلائما ونظما متناسبا متناسقا ، موافقا للذوق السليم ، مطابقا لنكت البلاغة .

فالعقائد الإلهية ، والدلائل العلمية والعقلية ، والأخبار الغيبية ، والسنن الكونية والاجتماعية ، والمواعظ الأخلاقية ، والأدبية ، وأحكام العبادات والمعاملات القضائية والسياسية ، وقصص الأنبياء ، ووصف الأرض والسماء ، وما فيهما من جمادات وأحياء ، وما بينهما من هواء وهباء ، تراه كله في السورة الواحدة ، وترى الكثير منه في آية واحدة بعبارة بديعة مؤثرة ، ينتقل فيها العقل من فائدة إلى فائدة ، ويتقلب فيها القلب من موعظة إلى موعظة ، مع منتهى الإحكام والمناسبة بحيث لا تمل تلاوته ، ولا تفتأ تتجدد هدايته ، حتى إن بعض الأدباء وأهل الذوق في اللغة العربية من غير المسلمين ، يترددون في ليالي رمضان على بيوت معارفهم من المسلمين ، ليسمعوا القرآن ، ويمتعوا قلوبهم وآذانهم بسماع ترتيله ، بذلك النظم الذي ليس بسجع ولا شعر ، ولا كلام مرسل ، بل هو نظم خاص ، قابل للأداء بالنغمات المختلفة المؤثرة على تفاوت آياته وفواصله ، في الطول والقصر ، فالآية قد تكون كلمة مفردة أو كلمتين ، وجملة أو جملتين ، أو جملا قليلة أو كثيرة ، وكلها مخالفة لسائر أساليب الكلام العربي المنثور والمنظوم ، ولكل نوع منها تأثير غريب في ترتيلها وتجويدها بالأصوات الملائمة لمعانيها فهل في مقدور الخلق كلهم عربهم وعجمهم ، إنسهم وجنهم ، أن يحيطوا بقطرات من هذا البحر الخضم ، والقاموس المحيط الأعظم ، فضلا عن محاكاته وترجمته ؟ اللهم نشهدك على عجز

الجسيم من الاقتراب إلى حمى هذا الطود الشامخ (ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام ، والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله) (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً) (وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً ، لا مبدل لكلماته ، وهو السميع العليم) انتهى ما أوردناه من المنار بتصرف ملخصا .

٥ — هؤلاء قالوا في ترجمة القرآن :

محاولات النيل من القرآن ، بل والإجهاز عليه ، لم تخب نارها ، من أول آية طرقت أسماع الملحدين ، إلى الآن ، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وكم وضعوا من شبهات ، وأثاروا من جدل ، وحاولوا من تبديل (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون) فصلت — ٢٦ — وكان في عصر النزول يتولى الوحي كبت المعارضين ، وإفحام المشككين (ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً) الفرقان — ٣٣ وبعد انتهاء الوحي وموت النبي ﷺ ، قيض الله لكتابه ولا يزال يقيض من يدفع عنه انتحال المبطلين ، وتحايل المغرضين ، وتأويل الجاهلين (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) الحجر — ٩ وبلغ من عنت المفسدين أن طالبوا بتغيير هذا الكتاب الحكيم ، وقالوا : «ائت بقرآن غير هذا أو بدله .. الآية» يونس ١٥ لأن الأعداء لهذا القرآن في كل جيل يوقنون بأنه العقبة الكئود في طريق مطامعهم ، للنيل من الإسلام وأهله ، وهو الطود الأشم ، الذي تتكسر على جنباته عواصف التشكيك والتلبيس (ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) التوبة ٣٢ — ومها تنوعت أساليب مكرهم ومها أخفوا مقاصدهم ، بمعسول القول ، وخداع الوسيلة ، فإن الله من ورائهم محيط ، وإن حزب الله لهم بالمرصاد ، والله غالب على أمره .

كانت أول محاولات استبدال القرآن العربي المعجز ، بقرآن آخر بلغة أخرى ، في خلافة الأمويين ، ومن عهدهم إلى يومنا هذا والمحاولات مستمرة ، وقد ترجم إلى عدة لغات أجنبية كلها مملوءة بالأخطاء في اللفظ وفي المعنى ، حدث هذا في أواخر القرن السابع الميلادي كما ترجم أيضاً في منتصف القرن الثاني عشر الميلادي

وما بعده إلى لغات عدة كالإيطالية والهندية والفرنسية والألمانية والهولاندية والروسية والإنجليزية والتركية، وغيرها، وكلها ترجمات تفسيرية لمعاني فهموها هم حسب تصورهم أو غرضهم الفاسد، ولا تخلو من تحريفات، والقصد من ورائها مهاجمة القرآن، وإضعاف ثقة المسلمين به، لو تم لهم التحلل والضياع.

ولكن مشيخة الأزهر، تصدت لهذه المحاولات الخبيثة، وأعلنت فسادها، وعارضتها بترجمة التفسير الصحيح للقرآن وذلك منذ أكثر من ثلث قرن، كما بينت أن القرآن لفظ معجز، تستحيل محاكاته، وأنه من الممكن ترجمة معانيه الملهمة، ولما ترجمت تركيا المصحف الشريف، انتصر لترجمته «محمد فريد وجدي» وطالب بتعميم الترجمة لكل اللغات، وكتب في هذا كثيرا، ومما كتبه رسالته (الأدلة العلمية، على جواز ترجمة معاني القرآن إلى اللغات الأجنبية) جعلها ملحقا بمجلة الأزهر التي كان يرأس تحريرها عام ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م وتتكون رسالته تلك في ٧٩ صفحة.

وقام بالرد عليه الشيخ محمد سليمان نائب المحكمة العليا الشرعية في رسالته المسماة (حدث الأحداث في الإسلام، الإقدام على ترجمة القرآن) في ربيع الثاني ١٣٥٥ هـ وهو عبارة عن ٢٢٦ صفحة، ملأه بالنصوص العقلية والنقلية والفقهية، في إبطال ترجمة القرآن كما انبرى للرد أيضا «محمد مصطفى الشاطر في رسالته (الرد على مشروع ترجمة القرآن الكريم عام ١٣٥٥ هـ أيضا وسماها «تذكرة في الأولى البصائر والأبصار، إلى ما في ترجمة معنى القرآن من إخطار» مرفوعة إلى مشيخة الأزهر ومكونة من ٧٧ صفحة وبذلك دخلت الحشرات في جحورها، تنتظر الفرص المواتية، لعلها تبلغ حاجة في نفسها.

وما هي النتيجة لكل هذه المحاولات؟ من خير الأجوبة على هذا التساؤل، ما قاله دكتور سعاد في صحيفته اليومية: - «لم يبق للمسلمين اليوم جامعة تجمعهم في مشارق الأرض ومغاربها، على تناثر أممهم، وتفتت وحدتهم، وتمزق كيانهم شر ممزق، إلا تقديس هذا القرآن العظيم، وحبه والإيواء إليه والتداعي به في الأحداث فهو الوشيجة العظمى الباقية لهم، التي يمكن أن تستثير شجنهم وتجمع جامعتهم وتؤلف بينهم، ومن مصلحة أعداء الإسلام أن يعملوا جاهدين على ابتذال القرآن في نفوس الشباب المسلم من الأجيال الجديدة، والتهوين

(البقية ص ٧٤٧)

حول فكرة تلحين القرآن

للدكتور لبيب السعيد

— ١ —

قراءة القرآن بالألحان قديمة، وأول من فعلها عبيد الله بن أبي بكرة، من الطبقة الثالثة من التابعين، وكانت قراءته رقيقة الصوت، ولكنها لم تكن على شيء من ألحان الغناء أو الحداء؛ وورث ذلك منه حفيده عبيد الله بن عمر ابن عبد الله، وأخذ ذلك منه قراء ذكرتهم كتب التراث العربي، وذكرت طرائقهم في إدخال ألحان الغناء والحُداء والرهبانية في قراءة القرآن، ولكن هؤلاء السابقين كانوا أصلا من القراء الضابطين الحاذقين، وكانوا في الصميم من العروبة، وكانوا من علماء الشريعة، وبالتالي من علماء العربية ومن أصحاب المنزلة الدينية والسياسية، فمثلا: كان أولهم وهو عبيد الله بن أبي بكرة الذي أشرنا إليه قبلا متوليا قضاء البصرة، وأوفده الحجاج على الخليفة عبد الملك فسأله أن يولي الحجاج خراسان وسجستان[1].

[1] انظر: ابن قتيبة: المعارف ص ٢٣٣ (بتحقيق ثروت عكاشة) وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١ ص ٢٢٠.

— ٢ —

على أن الرأي في هذه القراءة انشعب بين المسلمين: ففريق يؤيدها، وفريق يعارضها، ولكل وجهة هو موليها ويضيق هنا المجال من ذكر ما يحتج به كل من الفريقين، وهو كثير[1]، ولكنهما -لحسن حظ الحق- يجمعان تماما على وجوب الالتزام بقواعد الأداء والتجويد، ونكيرهما على المترخصين في هذا شديد.

وقد انتهى ابن قيم الجوزية، في أمر التطريب والتغني بالقرآن، بعد دراسة موفقة طويلة، إلى حكم لا نرى بأسا به، وهو «تحسينهما إذا اقتضتهما الطبيعة، وسمحت بهما من غير تكلف ولا تمرين ولا تعلم، وأن النفوس تقبل هذا، وتستحليه، وأن هذا هو الذي كان

[1] أوضحنا هذا تفصيلا في كتابينا: «الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم» الذي صدر في رمضان ١٣٨٧هـ و«التغني بالقرآن» الذي صدر في أواخر رمضان ١٣٩٠هـ.

المسلمون يفعلونه ويستمعونه، وهو الذي يتأثر به السامع والتالي؛ أما ما كان من ذلك يعلم بأنواع الألحان البسيطة والمركبة، على إيقاعات مخصوصة، وأوزان مخترعة، ولا يحصل إلا بالتعلم والتكلف، فهذه هي التي كرهها السلف، وأنكروا على من قرأ بها»[1].

وهذا الرأي أو ما يقرب منه هو أيضاً رأي جمهور علماء المسلمين، فيما روى أو قرر أمثال الماوردي، وابن حجر العسقلاني، والقرطبي، وعلى القاري، والتهانوي، وساجقلي زاده.

ونحن نضيف من عندنا في هذا المقام أنه ما دام المختار عند فقهاء المسلمين أنه يحل تحلية المصحف المكتوب بالذهب حلا مطلقاً للمرأة والرجل على السواء[2].

وما دام المسلمون على مدى الزمان قد أحبوا للمصحف المكتوب أن يكون جميل الخط، تحبيباً في قراءته وتيسيراً لها، فإن تجميل القراءة بالترتيل الحسن أمر صحيح جداً في القياس، وسائغ جداً في العقل.

[1] زاد المعاد جـ ١ ص ١٣٧، ١٣٨؛ ط المطبعة المصرية ١٣٧٩.

[2] انظر: عبد الوهاب السبكي «معيد النعم ومبيد النقم» ص ١٣٢.

ولكن، كما أن المصحف المكتوب المحلى بالذهب، والجميل الخط لا ينضاف إلى حروفه شيء قليل أو كثير من خارج القرآن.. فكذلك المصحف المقروء يتميز أن لا يقحم على أصواته أي صوت خارجي.

— ٣ —

وقد تظاهرت السنة النبوية الصحيحة على تأكيد استحباب تحسين الصوت بالقرآن، وفي كتابنا: «الجمع الصوتي الأول للقرآن» طائفة موثقة من الأحاديث الشريفة في هذا الشأن، وأخبار صحيحة تؤيد أن الصحابة والتابعين وتابعيهم ساروا على هدى هذه السنة.

ولم نسمع البتة أن مسلماً أو غير مسلم طوال الأربعة عشر قرنا التي مضت على نزول القرآن أحس الحاجة إلى خلط صوت القرآن بصوت أي معزف. وقد بكى الطبيب البصري ماسرجويه ـ وهو يهودي ـ من قراءة أبي الخوخ، فقيل له: كيف بكيت من كتاب الله ولا تصدق به؟ قال: إنما أبكاني الشجى[1]. وهو شجى كانت وسيلة القرآن الذاتية كافية لإثارته حتى عند هذا اليهودي الكافر بالقرآن.

— ٤ —

بيد أن التسمح في دس ألحان

[1] الجاحظ: الحيوان جـ ٥ ص ٥٩٢.

الغناء فى تلاوة القرآن أطمع بعض أعدائه من غير المسلمين فى الكيد له ، فكروا مكرهم ، وطلبوا تلحينه « على النای والمثلث والأرغن » ، وكتبوا فى جرأة ما من نماذجه مقال[1] قال فيه صاحبه : « إن حق تلحين القرآن مقطوع به » ، « وإننا فى حاجة فقط إلى فنان عربى عظيم مثل باخ وهندل وهايدن فى أعمالهم الدينية الرائعة والمعروفة بـ "Oratorio" « وأن خير موسيقى لتلحين القرآن هى موسيقى الكنيسة المصرية التى نجدها فى القداس القبطى القديم ، وأن الأذان الإسلامى (الحالى) فيه جزء واضح من هذا القداس القبطى ، وأن كثيرا مايختلط الأمر على كاتب المقال فلا يميز بين صوت مقرىء عجوز (كذا) وصوت قسيس قبطى عجوز (كذا أيضا) من كنائس الصعيد ، وأنه يقترح لتلحين القرآن « آلات موسيقية أساسية هى بصفة مبدئية الناى والمثلث والأرغن » وقال : « إنه لا عيب إلى إدخال الطبلة » ، وقال « إن القرآن سيمفونية ضخمة من حركات كثيرة ، وأقرب السيمفونيات إلى هذه السيمفونية الإلهية : السيمفونية التاسعة التى تنتهى إلى نشيد الفرح يردده كل الناس ».

[١] نشر فى مجلة الأدب ع . مايو ١٩٥٦ .

وقد أوضحنا فى كتابنا السالف الذكر خطأ هذا الرأى ، وأنه ترويج لدعاوى بعض المستشرقين المسيحيين الذين يعزون - فى تبكك وتعصب - كل المظاهر والشعائر الإسلامية إلى أصول مسيحية ، مثل جون تاكلى الذى يقول : « يجب أن نستخدم القرآن وهو أمضى سلاح فى الإسلام ضد الإسلام نفسه ، لنقضى عليه تماما ، ويجب أن نرى هؤلاء الناس أن الصحيح فى القرآن ليس جديداً ، وأن الجديد فيه ليس صحيحا »[1] ، ومثل و . س . تلمون الذى يقول فى حقد مماثل : « إن الإسلام تقليد ، وإن أحسن ما فيه مأخوذ من النصرانية ، وسائر ما فيه أخذ من الوثنية كما هو ، أو مع شىء من التبديل »[2] ، ومثل جولدتسيهر الذى حاول أن يثبت أن اليهودية شاركت فى تأسيس الفكر الإسلامى والذى كان يقول : « إن تبشير النبى العربى ليس إلا مزيجا منتخبا من معارف وآراء دينية عرفها إذ اعتنقاها بسبب اتصاله باليهود والمسيحيين » الخ[3]

[١] انظر : م . خالدى و . ع . فروخ : التبشير والاستعمار فى البلاد العربية ص ٤٠ .

[٢] نقلا عن المرجع السابق .

[٣] انظر : العقيدة والشريعة (الترجمة العربية) ص ١١ — ٢٠ .

— ٥ —

والتاق بعض المسلمين المفتونين وراء ذلك التسمح، فتطلعوا فى سذاجة إلى تلحين القرآن موسيقيا ، فنشر مثلا [1] بعنوان «خمس سور من القرآن تم تلحينها» ما نصه:

« أرسل وكيل وزارة التربية والتعليم إلى صالح أمين مفتش الموسيقى بالوزارة الذى بدأ فى تلحين القـــرآن خطابا يقول فيه :

إن الوزارة تبارك المشروع ، وإنها مستعدة لدفع تكاليف تكوين فرقة موسيقية لتسجيل السور التى تم تلحينها ، وعرضها على هيئة كبار العلماء ، ثم تقديمها للإذاعة ، وقد أبدى عبد الوهاب حودة عضو لجنة الاستماع بالإذاعة إعجابه بالسور الملحنة ، بعد أن غناها له على العود صالح أمين ، وقد أتم صالح أمين تلحين ٥ سور ، هى : المدثر ، والإنسان، والنور، والفرقان، والأنفال ، ويقوم الآن بكتابة « نوتها » الموسيقية ، وسيسبق كل سورة مقدمة موسيقية تصور المناسبة التى نزلت فيها السور » .

ومع أن وزارة التربية نفت فوراً فى بلاغ رسمى مباركتها للمشروع ، وإسهامها فيه ، (وحرصها على أن يكون للدين مكانة ، وللقرآن المجيد قداسة) ، فإن نفيها وقف طبعاً عندما يخصها هى ، ولم يتجاوزه إلى الأمور الخطيرة الأخرى التى تضمنها الخبر.

وكذلك نشر [1] (أن زكريا أحمد كان سيقوم بمحاولة فنية لتلحين القرآن، وأن فكرته هى تصوير المعانى وضبط الأنغام فى الترتيل ، ولكن زكريا رحمه الله قرر لى فى منزل وهو يرجونى الإذن فى الاشتراك بأى قدر فى تسجيل أحد المصاحف المرتلة بصوته ، أن كل قصده هو أن يقرأ القرآن قراءة معبرة عن المعانى إلى آخر ما أوضحناه فى كتاب الجمع الصوتى الأول) [2] .

وقد كان المرحوم المطرب محمد فوزى صاحب مصنع الشرق للاسطوانات الذى كنت اتفقت معه على طبع المصحف المرتل قبل أن تتولى طبعه وزارة الأوقاف ، فعرض على مرة أن يصبق التسجيل القرآنى صوت كصوت الصدى ، وقال إن ذلك سيزيد القراءة تأثيراً ، فرددت فى الحال بما دفن الفكرة الخاطئة دفنا .

[1] انظر الأهرام ع ٧ أغسطس ١٩٥٨ .

[1] انظر الأخبار ع ٢ أكتوبر ١٩٥٩ .
[2] ص ٣٤٣ .

— ٦ —

وقد قال أصحاب هذه الدعوة من المسلمين أن الفقه الإسلامي يقرر أن قراءة القرآن على الدف فضلا عن غيره من المعازف هو كفر.

وقالوا أن قراءة القرآن بالألحان الموسيقية تمس قداسته، وتخالط صوته القدسي بأصوات المعازف، وتخرج القراءة عما يجب فيها ولها من خشوع ووقار، وقد تصرف السامع عن تدبر المعاني والتأثر بها إلى الاستمتاع بالموسيقى وأنغامها وإيقاعاتها وقد تقحم في القرآن حركات وتنزع منه حركات، فتلا قد تمد المقصور وتقصر الممدود، بل قد تحدث ما لا أصل له، وهذا يفضى غالبا إلى تغيير المعاني، أو على الأقل وقوع اللبس فيها، ومثل هذا حقيق من الناحية الدينية أن يفسق صانعه ويؤثم سامعه.

ثم ما جدوى قراءة القرآن على المعازف وهو - كما سنوضح - له موسيقاه الذاتية الخاصة وليس مثل الكتب الدينية الأخرى التي تستمد الموسيقى من الخارج، لتظهر معانيها وتكمل نقصها؟

— ٧ —

ويأخذ بعض هؤلاء المسلمين الأمور أخذاً صحيحا، ويريدون أن يقتبسوا للقرآن من الكنيسة استعمال الآلات الموسيقية، فلهؤلاء نقول: إن الكنيسة المسيحية التي عرفت الإنشاد الموسيقي منذ تاريخها الأول والتي يتعدد فيها المرتلون، وهم: الأرشيدياكون أي رئيس الشمامسة الذي يساعد الكهنة في الخدمة، ومنها إلقاء التراتيم، والدياكون أو الشماس، والأبودياكون وهو معاونه، والأغنستس أو القارىء، ومهمة تلاوة الفصول الكنسية ... الكنيسة وهذه أهمية الإنشاد الموسيقي فيها تقرر أن (الذين يرتلون على المذبح لا يرتلون بلذة بل بحكمة)[1].

ويقول أحد رجال الكنيسة المصرية: «ما زالت إلى اليوم موسيقى كنائس كثيرة منها القبطية واليونانية والسريانية صوتية بحتة، ولتوقيعها على الآلات الوترية يعطى أداء هزيلا مبتورا، لا يصور اللحن تصويرا صحيحا أو حقيقيا، كما يصوره الصوت، والتوقيع على الأرغن أو البيانو يستلزم إضافة الأرمونى إليها وهي بطبيعتها لا تقبل بتاتا إضافة الأرمونى، وإذا حاولنا ذلك فلا بد من

(١) انظر الفتوى السال: المجموع ص ١٢٤.

تمزيق أوصالها، وهذا معناه القضاء على طقوسنا الكنسية، والكنيسة اليونانية لا تستعمل آلات موسيقية قط، ولا حتى الدف والمثلث»(١).

هذا مع بعد ما بين طبيعة النص القرآني الذي هو القمة في البلاغة والمعجز بيقين وبين طبيعة الترانيم المسيحية التي هي من وضع أناس عاديين، والتي تحتاج فعلا إلى وسائل تقويها عند الإنشاد.

وقد حذر نبي القرآن صراحة من قراءة القرآن بلحون غير إسلامية تخرج التلاوة عن أوضاعها التي نزلت بها، فقال صلوات الله وسلامه عليه: «اقرأوا القرآن بلحون العرب، وإياكم ولحون أهل الفسق والكبائر، فإنه سيجيء أقوام من بعدي يرجعون القرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح لا يجاوز حناجرهم، مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم»(٢).

(١) راغب مفتاح: الألحان – مقال بمجلة مدارس الأحد إبريل ١٩٦٠ ص ٢٩، ٣٠.

(٢) انظر: مالك بن أنس: الموطأ جـ ١ حديث ١٠، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ٢٧، علي بن سلطان القاري: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح جـ ٢ ص ٦١٨، السيوطي: الإتقان جـ ١ ص ١٠١ و ١٠٢

السخاوي: جمال القراء ص٦٨ – مخطوطة رقم ٢٩ بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة

— ٨ —

ثم إن للقرآن موسيقاه الخاصة الواضحة كما قدمنا، فعباراته تساير معانيه بإطلاق: هو مثلا في التقريع والإنذار والتخويف ذو ألفاظ شديدة قابضة مزعجة فإذا بشر ووعد، وجد فألفاظه روح وريحان.

ومن أنواع البدائع البلاغية في القرآن ما يقوم حجة على أن موسيقاه نابعة منه وليست مستجلبة إليه، وقد تناولنا في كتاب سابق(١) بالإيضاح المفصل من تلك البدائع: الانسجام، وائتلاف اللفظ مع اللفظ، وائتلاف اللفظ مع المعنى، والإبدال، والتفويف، والتصدير، والمضارع، وحسن النسق، والفاصلة، والتجنيس والترديد، والتعطف، والتسميط والمماثلة...

وكذلك أوضحنا ثمة في مجال إثبات الموسيقى الذاتية للقرآن أنه يوفر بنفسه الانسجام بين ألفاظه وأصواته أيضا، وذلك من طرق كثيرة منها:

(أ) حذف ياء المنقوص المعرف نحو «الكبير المتعال»(٢)، «يوم التناد»(٣).

(١) الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم ص ٣٢٤، ٣٣٢.

(٢) سورة الرعد ٩

(٣) سورة غافر ٣٢

(ب) حذف ياء الإضافة، نحو: «فكيف كان عذابي ونذر»[1]. «فكيف كان عقاب»[2].

(ج) حذف ياء الفعل غير المجزوم، نحو: «والّيل إذا يسر»[3].

(د) زيادة حرف لمد، نحو: «الظنونا ـ الرسولا ـ السبيلا»[4].

(هـ) اختيار أغرب اللفظين، نحو: «قسمة ضيزى»[5]، ولم يقل جائرة، ونحو: «لينبذن في الحطمة»[6]، ولم يقل «جهنم» أو «النار». وفي سورة المدثر: «سأصليه سقر»[7]، وفي المعارج: «إنها لظى»[8]، وفي سورة القارعة: «فأمه هاوية»[9].

(و) الاستغناء عن الإفراد بالتثنية، نحو: «فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى»[10].

(ز) إيثار بعض أوصاف للمبالغة على بعض، نحو: «إن هذا لشيء عجاب»[11].

---

(١) القمر: ١٦ و١٨ و٢١ و٣٠ و٣٨ و٣٩
(٢) غافر: ٥. (٣) الفجر: ٤
(٤) الأحزاب: ١٠ و٦٦ و٦٧.
(٥) النجم: ٢٢. (٦) الهمزة: ٤
(٧) الآية ٢٦ (٨) الآية ١٥.
(٩) الآية ٩. (١٠) طه ١١٧.
(١١) ص: ٥.

(ح) العدول عن صيغة الماضي إلى صيغة الاستقبال، نحو: «ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون»[1]. والأصل: قتلتم.

(ط) تغيير بنية الكلمة، نحو: «طور سينين»[2]، والأصل: سينا.

وكذلك أوضحنا أنه كثر في القرآن ختم الفواصل بحروف المد واللين وإلحاق النون، يقول السيوطي: (وحكمته وجود التمكن من التطريب بذلك، كما قال سيبويه: إنهم إذا ترنموا يلحقون الألف والياء والنون، لأنهم أرادوا مد الصوت، ويتركون ذلك إذا لم يترنموا، وجاء القرآن على أسهل موقف وأعذب مقطع)[3].

— ٩ —

والحاذقون والعلماء من القراء يعرفون أن للقرآن أغراضاً منها: التنبيه والأمر والنهي والوعد والوعيد.

ووصف الجنة والنار، والاحتجاج

---

(١) البقرة ٨٧. (٢) التين: ٢.
(٣) الإتقان جـ ٢ ص ١٠٥ ط. أمين هندية.
وانظر الخفاجي: سر الفصاحة ص ١٦٥، ١٦٦
وانظر في ختم مقاطع الفواصل بحروف المد واللين، وفي معنى الفواصل عن الوقف: الزركشي: البرهان في علوم القرآن جـ ١ ص ٦٨ — ٧٠.

على المخالفين، والرد على الملحدين والبيان من الرغبة والرهبة، والخير والشر والحسن والقبيح، ومدح الأبرار وذم الفجار. الخ ويعرفون أنه ليس طبيعيا ولا صحيحا أن يقرأوا موضوعات هذه الأغراض كلها بأسلوب واحد، وأنه إذا كان التغني الخاشع مناسباً مثلا في آيات الاستغفار والتوبة والاسترحام فهو غير مناسب في آيات الإنذار والتحذير، أو الحض على القتال وهم يعلمون أن اللين غير الشدة، وأن الأمر والنهي غير الدعاء والالتماس، والخبر غير الاستفهام، والإقرار غير التعجب، والوعد غير الوعيد، وهكذا . .

وهم إذ يراعون هذا لا يحتاجون بحال إلى مساعدة الموسيقى.

ومن هنا، نرى أن الذي نحتاجه فعلا والذي ينبغي أن تحول إليه الدعوة وتلتقي عنده الأبصار هو العناية بتخريج القارىء العالم الضابط المحسن، بحيث يكون قادراً على القراءة المتدبرة التي تساير المعاني وتستغرق النفوس، ولا يكون من رجال يقرأون القرآن «لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية» (١)

فيحذق مثلا علم الوقف والابتداء، لأن عدم الوقف في مكانه يؤدي إلى تغيير المعنى تغييراً كبيرا، ويدرس اللغة نحوا وصرفا وفصاحة وبلاغة وأدبا، ويدرس القراءات والتفسير والقصص والفقه والتاريخ والاجتماع وعلم النفس.

ذلك — على الحقيقة، أحرى أن يعين القارىء على حمل آيات الله إلى أعماق القلوب والأفهام، وأحرى أن يديم عليه هو نفسه نشاطه القلبي . .

— ١٠ —

وليت المشغولين من المسلمين بفكرة تلحين القرآن وكتابة «نوتة» له على رجاء خدمته، ليتهم يهتدون للتي هي أقوم، فيدعون معنا إلى الكشف عن المبتدعات الصوتية التي تنافي جلال الكتاب العزيز وتخرج عن قواعد أدائه، وتناله بشيء من التحريف، وتعوق حسن فهمه والتأثر به كالقراءة بالترعيد، وهو أن يرعد القارىء صوته كأنه يرعد من برد أو ألم أصابه، وكالقراءة بالتطريب المفسد للمعنى، والذي يجري على نحو من شأنه المد في غير مواضع المد أو الزيادة فيه على ما لا ينبغي، وكالقراءة بالترقيص، بحيث يروم القارىء

(١) نص الحديث عن أنس: «سيقرأ القرآن رجال لا يجاوز . . الخ»، رواه أبو يعلى في مسنده.

السكت على الساكن ، ثم ينفر عنه مع الحركة فى عدو وهرولة ، أو كالقراءة باللين والرخاوة فى الحروف أو المبالغة فى القلقلة أو تفخيم الراء الساكنة ولو كان قبلها مايوجب ترقيقها ، أو المبالغة فى إخفاء الحروف أو ترك التجويد مطلقا . . . الخ

أما بعد : فالقول بأن القرآن محتاج إلى موسيقى تزيده تأثيرا هو أغاليط كذبة على الحق الواضح والأمر السكائن ، وهو بائقة يرتكس فيها قائلوها ، وهو عدوان على أغلى أمانة أورثها الله الذين اصطفى من عباده .

والله اهد قومى فإنهم لا يعلمون .

لبيب السعيد

(بقية المنشور على ص ٧٣٨)

من شأنه عليهم ، وإسقاط جلاله « والغوا فيه » واللغو : إحداث شوشرة وضوضاء تضعف من وقع تأثيره ولا جديد تحت الشمس – فالذى يستعمله المثقفون الجدد اليوم لتخريب مكانة القرآن فى نفوس العرب والمسلمين ، هو ما كان يصنعه أسلاف لهم من قبل ، ولكننا نقطع بأن الفشل الذى أصاب المشركين من قبلهم ، سيصيبهم أيضا بشكل أخزى لهم وأشد خيبة ، وسيظل القرآن ملء النفوس والقلوب ، وملء السموات والأرض ، وملء الزمان وملء الأبد

وأخيرا (وليس بآخر) فإن القرآن كلام الله ، وكلامه تعالى صفة من صفات ذاته ، واعتقادنا الذى ندين الله عليه أن كلام الله كخلق الله ، فكما أنه (لا تبديل لخلق الله) فكذلك (لا مبدل لكلماته) ولا قيام لباطل إلا فى غفلة الحق ، ولكن لا تزال طائفة من هذه الأمة قائمين بالحق ظاهرين به ، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يقاتل آخرهم المسيخ الدجال ، وحتى يأتى أمر الله وهم على ذلك ، والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، وهو المستعان .

عبد اللطيف مشتهرى

القراءات في نظر المستشرقين والملحدين

للأستاذ عبد الفتاح القاضي

الحمد لله تعالى على ما أولانا من فضل، ومنه سبحانه نستمد العون، ونستلهم الرشد، ونصلي ونسلم على سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله، النبي العربي القرشي، منبع كل خير، ومصدر كل بر، وعلى آله وصحبه، ومن كل من ترسم خطاهم إلى يوم الدين.

وبعد: فقد أتيح لي أن اطلع على كتاب «مذاهب التفسير الإسلامي» الذي ألفه المستشرق «اجنتس جولد زيهر». وترجمه الدكتور علي حسن عبد القادر. والمغفور له الدكتور عبد الحليم النجار.

فوجدت مقدمة الكتاب تتعلق بالقراءات، فرأيت أن أتقصاها. وأمعن النظر فيها.

فإن كانت معتمدة على حقائق علمية ثابتة شددنا أزرها، وعملنا جهد الطاقة على إذاعتها وترويجها؛ لينتفع بها الدارسون لهذا العلم. الراغبون في التزود من الثقافات القرآنية.

وإن كانت متضمنة غير ذلك نقدناها، ونقضنا ما فيها وكشفنا زيفها. وأبنا الحق فيما تناولته من مسائل. ونشرنا ذلك بين الجمهور. حتى لا يغتر بها البسطاء. وذوو الأهواء الذين يجرون وراء كل خادع، ويسيرون خلف كل مجدد، ولو كان تجديده مروقا من الدين. وخروجا على إجماع المسلمين.

وقد ألقيت على هذه المقدمة نظرة فاحصة عميقة، وتأملتها تأمل المنصف الذي يتلمس الحقيقة أنى يجدها. ويبغي الصواب حيث يصل إليه؛ غير متعصب ولا متحامل يحدوني في ذلك الإخلاص لكتاب الله تعالى: وذود عن حوزته، والرغبة الصادقة في بيان الحقائق ناصعة مضيئة. وتنقيتها من غبار الشبه الذي علق بها. فعدوه جهالها وأضعف عندهم المنصفين من مكانها.

وقد تبين لي ــ بعد البحث الهادئ، والتمحيص المتريث ــ أن جولدزيهر في بحثه في القراءات قد حاد عن الجادة، وتنكب الصراط السوي، وجانبه التوفيق في كل ما كتب، وتورط في أخطاء ما كان لمثله

ـ وهو واسع الاطلاع كما يصفه من ترجم له ـ أن يتزلق فيها .

وهاك ما كتب فى القراءات :

قال فى صفحة ٤ : « فلا يوجد كتاب تشريعى اعترفت به طائفة دينية اعترافا عقديا على أنه نص منزل موحى به يقدم نصه فى أقدم عصور ـ تداوله مثل هذه الصورة من الاضطراب وعدم الثبات كما نجد فى نص القرآن » .

والذى يعنينا من هذه الفقرة ما دلت عليه من أن النص القرآنى اعتراه من الاضطراب وعدم الثبات ما لم يعتر نص كتاب سماوى قبله .

ونقول له : إن النص القرآنى لم يعتره ومحال أن يعتريه ـ اضطراب أبداً ـ ولن ينزل بساحته قلق أبداً ، لأن معنى الاضطراب والقلق وعدم الثبات فى النص القرآنى أن يقرأ على وجوه مختلفة ، وصور متعددة ، ويكون بين هذه الصور تناقض فى المعنى وتعارض فى المراد ، وتضارب فى الهدف ، ولا يعرف الموحى به من هذه الصور من غيره ، ولا الثابت منها من غير الثابت ، وهذا منفى عن القرآن قطعا ، فإن الروايات المختلفة ، والوجوه المتعددة التى تواردت على النص القرآنى لا تناقض فيها ، ولا تعارض فى معانيها ، ولا تضارب فى المراد منها ، بل كلها يظاهر بعضها بعضا ، ويشهد بعضها لبعض .

وإنك لو سبرت القراءات ، متواترها ، ومشهورها ، وصحيحها لوجـدت أن الاختلاف بينها لا يعدو نوعين :

الأول : أن تختلف القراءتان فى اللفظ وتتفقا فى المعنى ، ومن هذا النوع ما يرجع إلى اختلاف اللغات ، كقراءتى « إهدنا الصراط » بالصاد والسين ، وقراءتى .. « ويأمرون الناس بالبخل » .. بضم الباء وسكون الخاء ، وبفتح الباء والخاء . وقراءتى « يحسب » بفتح السين وكسرها . وقراءتى « مرفقا » بالكهف بكسر الميم وفتح الفاء ـ وبفتح الميم وكسر الفاء .

والحكمة فى إنزال هذا النوع فى القرآن تيسير تلاوته على ذوى اللغات المختلفة .

ومن هذا النوع ما لا تختلف فيه اللغات وإنما هما وجهان ، أو هى وجوه تجرى فى فصيح الكلام نحو : « نزل به الروح الأمين » فى الشعراء بتخفيف الزاى من نزل ورفع الحاء من الروح والنون من

الأمين وبتشديد الزاى من نزل ، وانصب الحاء من الروح ، والنون من الأمين .

ونحو « أو من ينشأ فى الحلية » فى الزخرف قرىء بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين ، وقرىء بفتح الياء وسكون النون وتخفيف الشين ، ونحو « لينذر من كان حيا . » فى يس قرىء بتاء الخطاب ، وباء للغيبة ، ونحو .. « وقوم نوح من قبل .. » فى الذاريات قرىء بنصب ميم وقوم وجرها ، وهذا النوع وارد على سنة العرب من صرف عنايتها إلى المعانى ، ونظرها إلى الألفاظ على أنها وسائل . فلا ترى بأسا فى إيراد اللفظ على وجهين أو وجوه ما دام المعنى الذى يقصد بالخطاب مستقيما ، وفى هذا توسعة على القارىء بعدم قصره فى نطاق حرف واحد ولا سيما إذا كان محجورا عليه أن يغير الكلمة من القرآن ، ويحيد بها عن وجهها المسموع .

الثانى : أن تختلف القراءتان فى اللفظ والمعنى معا مع صحة المعنيين كليهما .

فلا يكونان متناقضين ولا متعارضين ، بل يمكن اجتماعهما فى شىء واحد . نحو : « وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما » فى البقرة قرىء ننشزها بالزاى والمعنى : نضم بعضها إلى بعض حتى تلتئم وتجتمع ، وقرىء بالراء والمعنى : نحييها بعد الموت للحساب . والمعنيان مختلفان ولكنهما لا يتناقضان ولا يتنافيان بل يلتقيان ، لأن الله تعالى إذا أراد بعث الخلائق ضم عظامهم بعضها إلى بعض حتى تجتمع ثم يحييها للجزاء .

ونحو : « إن المصدقين والمصدقات » فى سورة الحديد قرىء بتشديد الصاد فى الكلمتين والأصل المتصدقين والمتصدقات ثم قلبت التاء صادا وأدغمت فى الصاد بعدها والمعنى : الذين يخرجون صدقات أموالهم سواء كانت مفروضة ، أو مندوبة .

وقرىء بتخفيف الصاد فى الكلمتين ، والمعنى : الذين يذعنون للدين . وتذل نفوسهم بالانقياد له والاستسلام لأحكامه فالمعنيان مختلفان بيد أنهما يجتمعان فى العبد المؤمن المتصدق .

ونحو : « فأزلهما الشيطان عنها » فى البقرة قرىء بحذف الألف بعد الزاى مع تشديد اللام والمعنى أوقعهما فى الزلة أى الخطيئة ، وقرىء بإثبات الألف بعد الزاى مع تخفيف

اللام والمعنى نحاها وأبعدها عن الجنة . فالمعنيان متغايران كما ترى ولكنهما يجتمعان فى أن إيقاعهما فى الزلة اقتضى تنحيتهما من الجنة فهناك تلازم بين المعنيين . فالوقوع فى الزلة ملزوم ، والتنحى عن الجنة لازم له .

وحكمة هذا النوع من الاختلاف أن تكون الآية بمنزلة آيتين وردتا لإفادة المعنيين جميعا .

أما اختلاف القراءتين فى اللفظ والمعنى مع تضاد المعنيين ، وتضارب المدلولين فلا أثر له فى القرآن الكريم . ومحال أن يكون فيه « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً » قال الإمام ابن قتيبة فى مشكل القرآن : « الاختلاف نوعان . اختلاف تغاير ، واختلاف تضاد فاختلاف التضاد لا يجوز ولست بواجده. بحمد الله ـ فى كتاب الله تعالى واختلاف التغاير جائز . ثم ضرب لهـذا النوع من الاختلاف أمثلة من الآيات . وبرهن على جوازه بأن كلا من المعنيين صحيح ، وأن كل قراءة بمنزلة آية مستقلة ، ولا جرم أن يكون هذا الاختلاف فنا من فنون الإعجاز الذى يسلكه القرآن فى إرشاده وتعليمه انتهى .

وعلى الجملة فاختلاف القراءات إنما هو اختلاف تنوع وتغاير . لا اختلاف تعارض وتضارب . فإن هذا لا يتصور أن يكون فى كلام العقلاء من البشر فضلا عن أن يكون فى كلام رب العالمين . وإذا كان الأمر كذلك استحال على النص القرآنى أن يعتوره قلق . أو ينزل بساحته اضطراب ، ثم إن الروايات المعتمدة التى تلى بها النص القرآنى قد ثبتت بطريق التواتر الذى لا شك فيه ، وقطع بنسبتها إلى مصدرها الأصلى وهو الرسول ﷺ بتلقى الصحابة لها مشافهة عنه ﷺ ، ونقلها عن الصحابة سماعا التابعون ، ونقلها عن التابعين أتباعهم وهكذا إلى أن وصلت إلينا . فلا مجال إذاً لقلق النص واضطرابه .

وقال فى صفحة ٥ : « وفى جميع الشوط القديم للتاريخ الإسلامى لم يحرز الميل إلى التوحيد المقيد للنص إلا انتصارات طفيفة » .

وأقول : تفيد هـذه الفقرة أن طائفة من المسلمين كانت تميل إلى توحيد النص القرآنى .

ولكن ميلها إلى هـذا التوحيد

لم يظفر إلا بتأييد ضئيل . وهذه دعوى لا دليل عليها .

بل هناك من الأدلة ما ينقضها ، ويأتى عليها من أساسها ، إذ لم يثبت أن أحداً ما من المسلمين جال بخاطره ، أو حدثته نفسه بتوحيد نصوص القرآن الكريم . ولو وقع لنقل إلينا لتوفر الدواعى على نقله وأما ما قام به الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه من كتابة المصاحف، وإرسالها إلى الأمصار الإسلامية وحمل للناس على ما فيها ، فليس الباعث عليه الميل إلى توحيد نص القرآن . وإنما الحامل عليه الرغبة فى جمع المسلمين على القراءات الثابتة عن رسول الله ﷺ بطريق التواتر ، دون ما عداها من القراءات التى نزلت أولا للتوسعة على الأمة ثم نسخت بالعرضة الأخيرة وكان يقرؤها من لم يبلغه نسخها ، ولقد كان خلو المصاحف من النقط والشكل محققا لرغبة الخليفة عثمان ومساعداً له على جمع الناس على القراءات المتواترة ، دون المنسوخة والشاذة .

وليس أدل على ما قلناه أن هذه المصاحف التى كتبت بأمر الخليفة عثمان كان بينها اختلاف فى مواضع كثيرة تبعا لاختلاف القراءات فى هذه المواضع كما هو مدون فى كتب القراءات، ورسم القرآن. فلو كان قصد عثمان توحيد النص القرآنى لكتبت المصاحف بصورة واحدة . ولم يكن بينها اختلاف ما ، فكتابتها على هذه الصورة المختلفة . والكيفيات المتعددة دليل واضح على أن عثمان لم يعمد إلى توحيد النص . وإنما عمد إلى حمل الناس على ما ثبت من القراءات بطريق التواتر دون ما لم يكن كذلك ؟

عبد الفتاح القاضى

الأسلوب القرآني
بين الجزالة والرقة

للدكتور محمد رجب البيومي

لا يوجد لدينا معجم تاريخي يبين تطور الكلمات على مر الزمن لنعرف متى انتقلت كلمة الجزالة، مثلا من معناها اللغوي إلى معناها النقدي البلاغي، لأن ذلك يعيننا على التحديد الدقيق والإيضاح الكاشف، وإن كنا نعرف أن المدلول الأولي الكلمة يعطى معنى القوة والكثرة فالحطب الجزل لغة هو القوى العود الذي تصبر النار بعض الوقت على التهامه، ثم قيل - على سبيل المجاز - رجل جزل إذا كان ذا عقل قوى، وشعر جزل إذا تماسك وقوى أسلوبه، وإذن ففي الجزالة قوة تقابل الرقة.

ولعل مما يؤيد ذلك أن رجال النقد الأدبي قد استعملوا الجزالة بادىء أمرها النقدي في الموازنة بين الفرزدق وجرير، وقد نقل عنهم أبو الفرج الأصبهاني فقال: « فأما قدماء أهل العلم والرواة فلم يسووا بينهما - يريد الفرزدق وجرير - وبين الأخطل لأنه لم يلحق شأوهما في الشعر، ولا له مثل ما لهما من فنونه وهما في ذلك طبقتان، أما من يميل إلى جزالة الشعر ونخامته وشدة أسره فيقدم الفرزدق، وأما من يميل إلى أشعار المطبوعين وإلى الكلام السمح السهل الغزل فيقدم جريرا ».

هذا رأى قدماء أهل العلم والرواية - كما نقله صاحب الأغاني - فقد أفردوا الفرزدق بالجزالة لفخامة الشعر وشدة أسره فأوحوا إلى الأذهان أن الجزالة لن تكون إلا مع الفخامة والجلجلة والغرابة لأن هذه أوصاف الكثرة الكاثرة من شعر الفرزدق، كما قرروا أن السهولة ذات السماحة واليسر تقف من الجزالة موقفا مقابلا كموقف الفرزدق من جرير في رأيهم أيضاً، ومضى الرأي على ذلك في التاريخ الأدبي فصار الشعراء ما بين رقيق وجزل

والضح ذلك غالبا فى أسر كل شاعرين متعاصرين تتنازع عليهما الناس . فابن رشيق مثلا يقول فى العمدة عن أبى تمام والبحترى : « فأما حبيب ـ يريد أبا تمام ـ فيذهب إلى حزونة اللفظ وما يملأ الأسماع منه مع التصنع المحكم طوعا أو كرها يأتى للأشياء من بعد ، ويطلبها بكلفة ويأخذها بقوة وأما البحترى فكان أملح صنعة وأحسن مذهبا فى الكلام يسلك منه دماثة وسهولة ومع إحكام الصنعة وقرب المأخذ لا يظهر عليه كلفة ولا مشقة » ، فابن رشيق وإن لم يذكر الجزالة والرقة باسميهما فقد عبر عنهما بدلالتيهما حين جعل أبا تمام يذهب للحزونة وما يملأ الأسماع والبحترى يسلك مسلك الدماثة والسهولة وقرب المأخذ وهل الجزالة والرقة غير هذين ؟

وموضع النظر فى ذلك كله أن هؤلاء النقاد ألزموا كل شاعر بمسلك خاص لا يتعداه حين قصروا أفرادا منهم على الجزالة وآخرين على الرقة ، مع أنهما يختلفان باختلاف الأغراض الشعرية ، إذ أن مثل الفرزدق له أن يجزل ويصلب حين يهجو ويمدح ويفخر ، وليس له أن يتكلف ذلك حين يرثى من أعماق قلبه أو يغفو ـ فى بعض لحظات صفائه ـ إلى الغزل الصادق غير المصنوع ، وكذلك نرى جريراً يضطر كثيراً إلى الحزونة والجلجلة حين يهجو ويناقض ، فكأن الموقف الشعرى هو الذى يطبع الشاعر بطابعه ، لذلك كان من العسير أن تجد شاعراً جزلا دائما وآخر رقيقاً دائما .

وأوفى من تحدث عن الجزالة والرقة ابن الأثير فقد تعرض فى المثل السائر إلى تفصيل أوضح ، فقال فيما قال : « والألفاظ تنقسم فى الاستعمال إلى جزلة ورقيقة ، ولكل منهما موضع يحسن استعماله فيه ، فالجزل منها يستعمل فى مواقف الحروب وفى قوارع التهديد والتخويف وأشباه ذلك ، وأما الرقيق منها فإنه يستعمل فى وصف الأشواق وذكر أيام البعاد ، وفى استجلاب المودات ، وملاينات الاستعطاف وأشباه ذلك ، ولست أعنى بالجزل من الألفاظ أن يكون وحشيا متوعراً عليه عنجهية البداوة بل أعنى بالجزل أن يكون متيناً على عذوبته فى الفم ولذاذته فى السمع وكذلك لست أعنى بالرقيق أن يكون ركيكا سفسفا وإنما هو اللطيف الرقيق الحاشية الناعم الملمس كقول أبى تمام:

ناعمات الأطراف لو أنها تلبس
أغنت من الملاء الرقاق

وإذن فصاحب المثل السائر قد اهتدى إلى حقيقتين هامتين أولاهما : أن الجزالة والرقة تتبعان الأغراض الشعرية وفق طبيعة الموضوع ومنحاه .

وثانيتهما : أن الجزالة ليست هي الغرابة والتوعر وهي لا تعني الفجوة والفظاظة كما أن الرقة يجب أن تبعد عن الركاكة والإسفاف فلا يهبط الشعر إلى شيء منهما ! وقد رد بذلك على من ظن أن حشد الغريبات الجلجلة جزالة تملأ الفم ، وهي من الجزالة بعيد بعيد ، كما اتجه في استدراك إلى أن الرقة قد توجد مع الأسر ومتانة النسج ! .

ولعل التفسير النفسي للإنتاج الأدبي ، يكشف الغطاء بجلاء عما حاول القدماء من النقاد أن يقولوه بدءاً أو تعقيبا ، إذ أن الأديب حين يسجل مشاعره يعبر عن طبيعة متأصلة في نفسه ، والألفاظ ليست إلا رموزا لما يجيش في الخاطر من طبع ، وإذا كان الناس يختلفون عنفا وعطفا ، وقوة ورقة فكل إنسان يحس إحساسه من الخواطر والمعاني وفق ما يتلاءم مع طبعه ومنحاه فإذا جنح إلى القوة والأسر فلأن خواطره من الصلابة والتماسك بحيث تنحو به منحى الجزالة وإذا انحدر تعبيره الأدبي سلسا طيعا فلأن مشاعره من العذوبة واليسر بحيث تنحو به منحى الرقة ! وإذا كانت الطبيعة البشرية لا تقف في تيارها الشعوري عند اتجاه معين لا تتعداه بحيث يبقى الصلب صلبا أبد الدهر كما يصير السهل سهلا طوال حياته ، فإن اختلاف هذه المشاعر هو الذي يحتم على الشاعر أن ينوع بين الجزالة والرقة وفق ما تتسم به مشاعره من انفعال أو هدوء وشموخ أو انصياع ، هذا إذا رجع الشاعر إلى نفسه واستقى من ينبوعها كما يفيض في جيشانه وهدوئه معا ، أما إذا تعمل وتكلف واصطنع الجزالة والرقة دون أن ينقل عن خاطر صادق فهو إذن صانع ينظم لا شاعر يعبر ، ومثل ذلك ما قاله ابن هانئ الأندلسي في الغزل :

أصاخت فقالت وقع أجرد شيظم
وشامت فقالت لمع أبيض مخذم
وما ذعرت إلا لجرس حليها
ولا رمقت إلا برى في مخدم

إذا يصف حسناء تترقبه وقد سمعت ضجة هائلة ففزعت ورأت وميضا ساطعا

تخافت ، فزعت إذ زعمت الضجة وقع حوافر فـرس قوى سابح ، وخالت إذ توهمت الضوء لمع حسام باتر وكأن بطلا فوق الحصان يحمل سيفا يوشك أن يهوى به عليها ، وما هذه الضجة فى الحقيقة ـ كما لفقها الشاعر ـ إلا صوت حليها فوق صدرها وبين معصميها ، وما هذا الضوء إلا وميض الخلخال والقرط تتزين بهما ! إن للمعنى تلفيق ذهنى لا تنضح به تجربة ، وإن الصياغة قد كدرت هذا التلفيق وباعدت كثيرا بينه وبين النفس فما يتقبله قارىء بارتياح ، وقد حسب ابن هانىء أنه باستعمال كلمات الأجرد والعيطلم والأبيض الخذم والبرى فى مخدم قد سلك مسلك الجزالة الفخمة ، وهو فهم عامى لا أدبى ، لأن الجزالة ليست غرابة اللفظ بحال ، فقد يكون الأسلوب بعيداً عن الغريب ، وهو جزل متماسك جاءت جزالته من تماسك كلماته وترابطها ترابطاً صادقا حين تعبر عن معنى مترابط متماسك فتنتقل منه فى قوة متمكنة بحيث يحاكى تمكن الأسلوب القولى تمكن الخاطر الشعرى ، فقول الحطيئة مثلا .

أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم
من اللوم أو سدوا المكان الذى سدوا

وتعذلنى أفناء سعد عليهم
وما قلت إلا بالتى علمت سعد

هو قول جزل بلا شك وليس فيه لفظ غريب لظن أن القوة قد انحدرت منه ، ولعل ابن الأثير حين قال : وأعنى بالجزل من الألفاظ أن يكون وحشيا متوعرا عليه عنجهية البداوة بل أعنى بالجزل أن يكون متينا مع عذوبته فى الفم ولذاذته فى السمع ، لعله كان يرى الجزالة قوة معنوية تنتقل من صياغة صادقة متماسكة لمعنى قوى متماسك وإن جاءت الألفاظ سهلة سلسة إذ أن تماسك المعنى وترابط النظم قد أحدث كلاهما من القوة والتمكن مالا يحدثه اللفظ الغريب ، واللفظ الغريب ، لا يحدث قوة إطلاقا إلا إذا صادف مكانه الصادق من التجربة وإلا فهو حجر ثقيل فى طريق القارىء يرهقه ويضنيه .

أفلح ابن الأثير إذن فى حديثه عن الجزالة والرقة ، وبخاصة حين أشار إلى أن من الجزالة ما يعذب ويلذ .

لأن العذوبة واللذاذة هما بعض صفات الرقة دون نزاع ، ولهذا التداخل المتصل نر الكاتب البليغ الأستاذ أحمد حسن الزيات

رحمه الله من سرد هذه الأوصاف النقدية إلى أوصاف غيرها تكون أكثر ضبطا وتحديدا حيث قال فى كتابه الأصيل (دفاع عن البلاغة) .

« تقرأ فى كتب النقد والبلاغة فتجد من صفحة إلى صفحة سلاسل من الوصف الجزاف تتلاحق على الكلام البليغ فلا تحدده ولا توضحه ، ذلك لأن أكثرها من الألفاظ التى أشاعها الكتاب فى الناس من غير تقييد ولا تحديد فظلت معانيها مبهمة ، ودلالتها عائمة من ذلك قولهم : الجزالة والسهولة والعذوبة والرقة والدقة والخفة والقوة والسلاسة والرصانة والنصاعة والوضوح والصدق والطلاوة والحلاوة والمائية والصنعة والسبك والحبك والسمو والشرف والجلال إلى آخر هذه النعوت المتداخلة التى لا تعين حدا ولا تبين مزية » وللاستاذ الزيات رحمه الله عذره حين يرى الكتاب يملئون الصفحات بأوصاف متداخلة دون تحديد ! فيميل إلى ألفاظ نقدية أخرى حصرها فى الأصالة والوجازة والتلاؤم ، ولكن المشكلة لم تحل بعد ، لأن التلاؤم معنى إجمالى سيفصله ناقد غير الزيات بألفاظ لا تخرج عن مضمون السلاسة والقوة والجزالة والرقة فيعود ثانية إلى هذا التداخل الذى فر منه الأستاذ ! وأنا أرى أن الناقد الجيد يستطيع أن يضع اللفظ النقدى موضعه الصحيح ولن يضيره أن يستعمل لفظى الجزالة والرقة إذا تحقق ما تهوان إليه من سمات ، تنطبق عليهما غير ناسين ما أكده ابن الأثير .

هذه مقدمة لا بد منها لدراسة الجزالة والرقة فى الأسلوب القرآنى ومنها نعرف أن الجزالة جزالة موضوع لا جزالة كلمة أو بيت أو آية ، فالذين يقفون عند الكلمة وحدها فى النص الأدبى أو يتجاوزونها إلى البيت الواحد أو الآية المفردة يبترون السياق بترا ، وكذلك الرقة لا تكون فى لفظة منقطعة من سياقها ، كما نعرف أن التماسك الأسر لا يكون بقوة الألفاظ وحدها بل بما تعبر عنه من مواقف قوية تتطلب التلاؤم بين اللفظ والمعنى أو بين الشكل والمضمون كما يقال فى هذه الأيام ، ويقتضى ذلك أن يكون الأديب صادقا كل الصدق فى نقل الخواطر شديد الشعور بقيمته الأدبية التى لا تجعل زركشة اللفظ ورنينه مسحة ظاهرية لا صلة لها بالنبع الحقيقى الذى يجيش فى أعماق

النفس ، إذ أن رسالة البيان الأولى هي إظهار ما بالنفس من الحقائق إظهارا يوضحه الخيال الكاشف والنظم للوحي ، والجرس المعبر ، فإذا جاء ذلك كله بعيدا عن الخلجات النابضة أو مقنعا بستائر زائفة من حجب الصنعة فلا أداء ولا بيان .

وما دامت الجزالة والرقة كلتاهما ترجمان إلى الموضوع ، فإن الاستشهاد عليهما من آيات القرآن الكريم لا يتم إلا بعرض نص كامل يرسم موقفا تاما تتضح به سمات الجزالة إذا انتمى إليها القول أو صفات الرقة إذا اتسم بها النص ، وفي الشاهد الواحد لكل من الناحيتين ما يعطي الأنموذج الكاشف للنظائر والأشباه ، وإخال القارىء قد اشتاق إلى التطبيق بعد أن طال به المطاف حول التعريفات والحدود .

ولنبدأ بالجزالة فنختار لها هذه الآيات الرائعة من كتاب الله ، قال تعالى :

« الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة كذبت ثمود وعاد بالقارعة فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية ، وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية ، سخرها عليهم سبع ليال ، وثمانية أيام حسوما ، فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية ، وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة ، فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية ، إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية ، لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية ، فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة ، وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة ، فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية ، والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ، يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ، فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه ، إني ظننت أني ملاق حسابيه فهو في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية ، كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية ، وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول : ياليتني لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه ، ياليتها كانت القاضية ما أغنى عني ماليه ، هلك عني سلطانيه خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه ، إنه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين ، فليس له اليوم هاهنا حميم ، ولا طعام إلا من غسلين لا يأكله إلا الخاطئون » .

وبتأمل هذه الآيات نجد أن المشهدين اللذين يتكفل بعرضهما هـذا النص الكريم من أقوى المشاهد الإنسانية روعة وإدهاشا وأخذا بالألباب والأحاسيس مشهد الماضي وقد عرفت أخباره من قراءة التاريخ ورواية الأخبار واستطلاع الآثار ، ومشهد الآتي وقـد جاءت به النذر في الكتب المنزلة من توراة وإنجيل وقرآن وهما معاً يتشابهان دهشة وقـوة وأخذا بالنفوس والألباب وإن كان مشهد القيامة من الروعة والإدهاش بحيث لا تقاس به مصارع المكذبين من عاد وثمـود وآل فرعون والمؤتفكات ! هذه القوة العاتية في الموضوع تتطلب مثيلتها في العرض فكرة وتصويرا وتعبيرا ، بحيث تكون عناصر الأسلوب وحـدة متلائمة اللون والمنحى والإيقاع متجهة إلى إبراز هذه هذه الصلابة الحية في معرض آخـذ من معارض البيان الصلب القوى ! فن ناحية اللفظ تأتي كلمات الحاقة والقارعة والآخذة والرابية والطاغية والريح الصرصر العاتية والدكة المائلة والنفخة الواحدة والسماء المنشقة الواهية ذات جرس يأخذ منافذ الأسماع ويأتي تكرار بعضها في أساليب من الاستفهام ذى التهويل والتخويف والزجر ثم من الخبر ذى التقريع والتنديد والتهديد والترهيب ، كما تقصر الفواصل قصرا يجعلها ترن في السمع رنينا لا يقطعه طول العبارة بل يلح على الأذن إلحاحا بهذه القاصفة ذات الوزن الرتيب .

وذلك - كما نرى - يستمد جزالته الآسرة من طبيعة الموقف المعبر عنه ، وهو موقف تتصعد فيه المشاهد المفزعة المتشابهة النهايات فقوم يهلكون بالطاغية ، وقوم يهلكون بريح صرصر عاتية ، وقوم يؤخذون أخذة رابية ! كم يحمل اتجاه الفواصل في هـذا العرض المهدد من أدوات الترويع ما يكاد يخلع القلوب الجاحدة والعقول المنكرة ، ليكون منه تذكرة تعيها الأذن الواعية !! فإذا انتقل الحديث من الماضي إلى المستقبل فإنه يفتتح بما يفوق الرجفات السابقة هولا ، إذ ينفخ في الصور نفخة واحدة فتطير الأرض والجبال طيرانا يعبر عنه هذا التصوير الآخذ لينفرج ذلك كله عن مشهد الحساب والعرض ، تنطق به الفواصل القريبة ذات النبر المتقارب ، فتتوقـد في الصدور ما يلهبه ويزكيه ، وهذا من ناحية اللفظ ، أما من ناحية المشاهد التصويرية

فأنت لا تستطيع حصرها حتى تختلف على عينك في سرعة وامضة وكأنك تجاه شريط ينقل لك قصة الحياة متخطيا حدوده الأبد إلى ما بعد الحياة من مواقف العرض والحساب !

ومع هذا الانتقال المفاجىء من الدنيا إلى الآخرة فإن الجو هو الجو ، واللون هو اللون ، ومهما اختلفت حدة الترويع بدءا وخاتمة فإن هذا الاختلاف بين مشاهد النقمة في الحياة ومشاهد الحساب في الآخرة لا يضائل شيئاً من وقعه الآخذ على الشعور الإنساني ، لأن أهول هذه المشاهد يحمل من العنف والترويع ما يعصف بالرواسخ من شم الجبال ، ها أنت ذا تفجأ بالحاقة حتى إذا علمت خبرها وجدت ثمود تهلك بالطاغية وعاداً بالريح الصرصر العاتية ! تظل سبع ليال وثمانية أيام حسوما فتترك القوم صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية ! إن العربي يشهد الريح الصرصر ساعة واحدة فلا يأمن على نفسه لحدة ما ينتظر من الهول فكيف بهذه التي امتدت سبع ليال وثمانية أيام ! ! ويتوالى الشريط السريع الراعب بمشاهده المؤسية ليعرض فرعون والمؤتفكات وقد أخذتهم أخذة رابية ، فإذا التقط القوم أنفاسهم بعض الشيء وأنسوا لقول الله : « إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية » فاجأهم الكارث الكارب بالحديث عن المستقبل يوم العرض، فسمعوا الصور ينفخ نفخة واحدة ورأوا الجبال بأرضها تحمل طائرة إلى حيث لا يطلون والسماء تنشق ليظهر على أرجائها ملائكة الله يحملون عرشه ! فلا أرض ولا سماء ولا جبال يمكن أن يستقر بها مستقر حين يعرض القوم ولا تخفى منهم خافية ! ثم ينفرج الموقف عن جماعتين تؤتى إحداها الكتب باليمين فيصيح صاحبها مستبشراً « هاؤم اقرءوا كتابيه » وكأنه لم يكن يصدق بالنجاة فيقول متعجبا « إني ظننت أني ملاق حسابيه » أما الثانية فتؤتى كتبها بالشمال فيصيح صاحبها صارخا مولولا « ياليتني لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه، ياليتها كانت القاضية ما أغنى عني ماليه ، هلك عني سلطانيه » .

محمد رجب البيومي

بنو إسرائيل في القرآن الكريم

للدكتور ابراهيم أنيس

يقول الله سبحانه وتعالى لنبيه الكريم حين شق عليه أمر الكافرين في أوائل الدعوة الإسلامية: « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك » ويقول : « لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب » ويقول « فاقصص القصص لعلهم يتفكرون »

وتتكرر الإشارة في السور المكية بصفة خاصة إلى ذكر الماضين السابقين، وحديثهم مع الذين أرسلوا إليهم من أنبياء صالحين، يدعون إلى المعروف، وينهون عن المنكر.

ففي سورة طه التي نزلت بمكة المكرمة جاء ذكر موسى عليه السلام وليداً رضيعاً، رده الله إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن، ثم لما كان في طريق عودته إلى قومه من أرض مدين ناضجاً، طاهر القلب والنفس، فأبصر القبس الإلهي. و « نودي يا موسى إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى، وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى ».

وهكذا جاءه الوحي، وكلف الرسالة، ودعاه ربه إلى تخليص بني إسرائيل، قومه وآله وعشيرته، من ظلم فرعون وطغيانه.

ثم في آيات بينات من هذه السورة يقص علينا الكتاب الكريم ما كان من تحدي موسى لفرعون، ونصرة الله لموسى على السحرة، وما كان بعد ذلك من هجرة بني إسرائيل، وغرق فرعون، وتختتم هذه الآيات الكريمة بقوله تعالى لنبينا محمد ﷺ : « كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق ».

وفي سورة الأعراف وهي مكية أيضاً يقص علينا القرآن الكريم قصص الأنبياء الذين جاءوا قبل موسى، ويختتم الحديث عنهم بقوله سبحانه : « تلك القرى نقص عليك من أنبائها ».

ثم في تفصيل يجيء ذكر موسى عليه السلام، وما كان بينه وبين فرعون وهلاك فرعون وجنوده في اليم. وتتوج هذه

لامعجزة الرائعة بقوله تعالى : « وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها ، وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا » .

وتقص علينا باقي الآيات ما كان حين أصبح موسى وقومه في صحراء التيه . وحين أتم سبحانه على هؤلاء المستضعفين في الأرض وأظلهم بالغمام وفجر لهم الينابيع وأنزل عليهم المن والسلوى ، ورزقهم من طيبات الأرض ، فلما صعد موسى الجبل ، وكلمه ربه ، وعاد ومعه الألواح فيها شريعة بني إسرائيل ، وفيها من كل شيء موعظة ، وجد قومه قد ضلوا من بعده سواء السبيل ، لكنهم تابوا بعد ماتبين لهم الهدى ، وقالوا : « لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين » .

وظل شأن بني إسرائيل على عهد موسى بين توحيد وإيمان بتعاليم التوراة يستمسكون بها ، ويعيشون في كنفها وادعين مسالمين

وابتلاهم ربهم في أحيان من حياتهم فانحرفوا عن الطريق المستقيم وبطروا بنعم الله عليهم ، ولكنهم كلما ذكروا بنعمه عليهم ثابوا إلى رشدهم وعادوا إلى سواءهم ، فغفر الله لهم ، وذلك ما قرره القرآن الكريم

« ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » .

هؤلاء هم بنو إسرائيل الذين حدثنا القرآن الكريم عنهم حديثا مفصلا في سورتي طه والأعراف من السور المكية أيام الدعوة الإسلامية بمكة فقد بينت هذه الآيات المكية أن بني إسرائيل كانوا أهل وحدانية ، وكانوا مستضعفين في الأرض فأنعم الله بنعمه ، وأنزل عليهم التوراة . وخلصهم من الظلم والطغيان ، فهم أهل موسى كليم الله ، وهم قومه وعشيرته ، وهو نجي الله ، وهو التقي الطاهر الحريص على هدى قومه وصلاحهم ، وفلاحهم في الدنيا والآخرة .

وقد أشار القرآن الكريم إلى قوم موسى في السور المكية وحدها أكثر من عشرين مرة ، دعاهم فيها بني إسرائيل وإسرائيل لقب ليعقوب عليه السلام ، ونحس بعد التأمل في هذه الآيات البينات — والله أعلم بمراده — بنعمة العطف عليهم والرثاء لحالهم ، وأنهم كانوا أهلا للعفو والمغفرة ، حين زلوا وضلوا ، ثم تابوا .

هذا هو موقف القرآن الكريم من بني إسرائيل في الآيات المكية، أما في المدنية فحين هاجر النبي إليها وجد فيها قوما كانوا يزعمون أنهم أهل التوراة، فاستبشر بلقائهم، وظن أنهم سيكونون حلفاء مخلصين للمسلمين، إذ يجمعهم وإياهم دين سماوي، أو عقيدة توحيدية، فعقد معهم حلفا يقضي بحرية العبادة وأن لهم ما للمسلمين من حقوق، ولكنه لم يلبث أن تبين كيدهم وخديعتهم، فقد أخذوا يشككون في دعوته، ويسخرون من من تعاليم الإسلام.

ثم حدث أن فريقا منهم يدعون (بني قينقاع) حاولوا النيل من نصر المؤمنين في غزوة بدر، وجاهروا النبي بهذا، فحاصرهم المسلمون في ديارهم وأوقعوا في قلوبهم الرعب، وقنع عليه السلام بجلائهم وطردهم من جزيرة العرب.

أما الفريق الثاني من هؤلاء القوم فكانوا يدعون (بني النضير) وكانوا يحتلون في المدينة مايشبه الطابور الخامس في العصر الحديث، فقد خانوا النبي أيضا، ونكثوا بعهده، وتآمروا على قتله، فلما أوحى الله إليه أن القوم يأتمرون به ليقتلوه حاصرهم في حصونهم أياما، بعدها سمح لهم بالجلاء أيضا عن المدينة، فرحلوا إلى خيبر ولكنهم ظلوا هناك مصدر شر على المسلمين.

وهكذا نرى أنه صلى الله عليه وسلم كان في هاتين التجربتين سمحا كريما مع هؤلاء الغادرين الخائنين، الذين لا يرعون إلا ولا ذمة.

أما الفريق الثالث من هؤلاء القوم فهم بنو قريظة، وكانوا أشد غدرا وأقسى قلبا، ألبوا القبائل على المسلمين، وأثاروا ما عرف في تاريخ الغزوات بغزوة الأحزاب التي عانى فيها المسلمون بلاء شديدا والتي وصفت فيها حال المسلمين بقوله تعالى:

« إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر ».

في هذه الفترة لم يتفرغ لهم الرسول، وترك جند المسلمين فيقتلون الرجال، ويسبون النساء والأطفال، وكان ذلك في العام الخامس من الهجرة ولم يكد يمضي على هذا عامان حتى تبين عليه السلام أن القوم الذين أجلاهم يستجمعون قواهم في خيبر، فخرج إليهم، وحاصرهم وهزمهم، ومع هذا قنع بأن يدفعوا الجزية عن يد وهم صاغرون.

ثم ظل شأنهم هكذا إلى أن كان عهد عمر بن الخطاب فطردهم من خيبر ، وطهر جزيرة العرب منهم جميعا .

وحين نتأمل السور التي نزلت بالمدينة نرى أن الإشارة إلى بني إسرائيل ظلت بنفس الروح التي ألفناها في الآيات المكية فقد أشير إليهم فيها ما يقرب من عشرين مرة نحس فيها جميعا بعد التأمل والتفكير — والله أعلم بمراده — أن المراد ببني إسرائيل هم قوم موسى ، والصالحون من نسلهم حتى ظهور المسيح عليه السلام ؛ إذ يقول سبحانه وتعالى في ذكر المسيح : « ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ورسولا إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم » ، ويخاطبهم المسيح في قوله تعالى : « يابني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم » وقوله : « وإذا قال عيسى ابن مريم يابني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة » .

فكل الآيات المدنية التي ورد فيها ذكر بني إسرائيل لا تنصرف إلا إلى قوم موسى حتى ظهور المسيحية ، أما تلك الآيات الفريدة التي فيها يخاطب النبي الكريم الكفار في عهده : « قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين » .

فيفسرها بعض الثقات من القدماء بقوله : « إن الشاهد هو موسى ، وشهادته هو ما في التوراة من بعث محمد ﷺ . وإيمانه تصديقه ذلك » .

وهكذا لم تلقب السور المدنية بني إسرائيل قوما آذوا الرسول في المدينة وخانوا عهده ، وتآمروا على قتله .

ولما يئس ﷺ من هؤلاء القوم بالمدينة وضاق بهم ذرعا كشف الله سبحانه في آياته البينات عن حقيقة أمرهم ، وبين لنا أنهم لا يتسمون بصفات أصحاب الديانات السماوية ، ولا ينتمون إلى قوم موسى ولا إلى بني إسرائيل ، وإنما هم اليهود ، فلقبهم بهذا اللقب الكريه البغيض في ثماني آيات من السور المدنية ؛ ذلك اللقب الذي لم يرد ذكره قط في سورة مكية ، وبلغت نقمته عليهم ذروتها في قوله تعالى : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » ، وفي قوله عز وجل : « وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا ، بل يداه مبسوطتان

ينفق كيف يشاء . وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا ، وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ، كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون فى الأرض فسادا ، والله لا يحب المفسدين » .

من نسل هؤلاء وأمثالهم تلك العصابات الصهيونية التى تعبث فى الأرض فسادا ، وتسكيد للعرب وللمسلمين ، وهؤلاء الصهاينة - وإن سموا أنفسهم بإسرائيل - لا يمتون بصلة إلى بنى إسرائيل الذين ورد ذكرهم فى القرآن ، وقد اغتصبوا هذا الاسم الكريم علينا ، كما اغتصبوا أرضا عزيزة علينا ، فإسرائيل أو يعقوب نبى الله عليه السلام ، برىء منهم .

وليس يغض من شأن الاسم (محمد) أن يكون بين السفاحين المجرمين من يسمى نفسه (بمحمد) ، وليس يضير عبد الرحمن ابن عوف صاحب رسول الله أن يكون قاتل على كرم الله وجهه يدعى أيضا عبد الرحمن وهل يضير الفاسق أن يسمى نفسه بصالح والمريب أن يسمى نفسه بطاهر ، والخائن الغادر أن يسمى نفسه بأمين ؟! هيهات هيهات . وكذلك الشأن لن يشفع للصهاينة أبدا أن يسموا أنفسهم بإسرائيل ؟

د . ابراهيم أنيس

قال الله تعالى :

« لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون » (المجادلة ٢٢) .

القرآن والمسيحية

للأستاذ محمد نجيب المطيعي

لقد ورد في القرآن الكريم الثناء الجزيل على المسيح والإنجيل قال تعالى : « وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » .

ومثل هذه الآيات في القرآن ترد على سبيل الثناء على الإنجيل الذي أنزله الله تعالى على عبده عيسى بن مريم والثناء عليه عليه السلام ذلك ، لأن القرآن ينادي بالحقيقة الأولية التي جاء بها موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ، وأوضح أن هذه الحقيقة طرأ عليها التحريف والتبديل ، فأرسل الله نبيه محمداً ﷺ ليضع الأمور في نصابها ويصحح عقائد دين النبيين والمرسلين من زيغ الضالين ، ومكر المغضوب عليهم أجمعين .

والآية التي سقناها هنا ومثلها ربما استشهد بها بعض من يعوزه فهم القرآن ، أو من تستهويه بداهة الآية دون التعمق فيها وسبر مفهومها ، بل فهم منطوقها ، والإحاطة بالمعلوم من القرآن بصفة عامة أقول : ربما استشهد بها هذا البعض على صحة التوراة والإنجيل اللذين كانا بأيدي اليهود والنصارى على عهده ﷺ وهذا خطأ ، كذلك يخطىء من اعتبر هذه الآيات ثناء على أهل الكتاب من النصارى .

ذلك أن الله تعالى أثنى على موسى وكتابه فقال : « إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون »[1] لهذا ثناؤه

---

[١] الجواب الصحيح فيمن بدل دين المسيح لابن تيمية.

على التوراة ، وإخباره أن فيها حكم الله ، وأنه أنزل التوراة وفيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا وقال عقب ذكرها : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » وهذا أعظم مما ذكره في الإنجيل فإنه قال : « وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور » « وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » .

وهذه المقارنة تتضمن أموراً .

١ — أنه سبحانه مع إخباره بإنزال الكتابين يصف التوراة بأوسع مما يصف الإنجيل ففي التوراة يقول : « يحكم بها النبيون » ، « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » ، وفي الإنجيل يقول : « وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه » ويقول : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » .

٢ — ما ذكره من مدح التوراة وموسى عليه السلام لم يوجب مدح اليهود الذين كذبوا المسيح ومحمداً عليهما الصلاة والسلام ، وليس فيه ثناء على دين اليهود المبدل المنسوخ على ما سيأتي .

٣ — ما ذكره من مدح الإنجيل والمسيح ليس فيه مدح للنصارى الذين كذبوا محمداً صلى الله عليه وسلم وبدلوا أحكام التوراة والإنجيل، واليهود توافق المسلمين على أنه ليس فيها ذكر مدح للنصارى، والنصارى توافق المسلمين على أنه ليس فيها ذكر مدح لليهود بعد النسخ والتبديل ، فعلم اتفاق أهل الملل كلها : المسلمين واليهود والنصارى على أنه ليس فيما ذكر في القرآن من ذكر التوراة والإنجيل وموسى وعيسى مدح لأهل الكتاب المكذبين بمحمد صلى الله عليه وسلم ولا مدح لدينهم المبدل

٤ — ليس في قوله تعالى : « وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة » دليل على مدح النصارى؛ لأن أولى الناس بالأنبياء هم الذين يتبعونهم « وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين » وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : (إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد ، وإن أولى الناس بابن مريم لأنا ، لأنه ليس بيني وبينه نبي)

٥ — إن آية : « وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه » جاءت عقب قوله تعالى: « وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم

مصدقاً لما بين يديه من التوراة » إلى قوله « وليحكم » وفي قراءة مفسرة عند حمزة والكسائي « وليحكم » بلام التعليل .

٦ — المقصود بقوله « بما أنزل الله فيه » أي بما أنزل في الإنجيل المنزل على المسيح عليه السلام .

أما قوله تعالى : « فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك » فهذا الخطاب لا يدل على وقوع الشك ولا السؤال ، لأنه لم يسأل ، بل النبي ﷺ لم يكن شاكاً ولا سأل أحداً منهم بل روى عنه ﷺ أنه قال : « لا أشك ولا أسأل » ولكن المقصود بيان أن أهل الكتاب عندهم وبين أيديهم ما يصلح لتصديقك فيما كذبك فيه الكافرون . كما قال تعالى : « قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب » « قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين » « أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل » « الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون ، وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين » « إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا . ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا » « وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين » « لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك » « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » والضمير في يعرفونه يرجع إلى محمد ﷺ فالمقصود بيان أن أهل الكتاب عندهم ما يصدقك فيما كذبك فيه الكافرون . وذلك من وجوه :

١ — أن الكتب المتقدمة تنطق بأن موسى وغيره دعوا إلى عبادة الله وحده ، ونهوا عن الشرك . فكان في هذا حجة على من ظن أن الشرك دين ، ومثل هذا قوله تعالى : « واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون » « وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون » « ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم

من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين » .

٢ — أن أهل الكتاب يعلمون أن الله لم يرسل إلى الناس رسلا من غير البشر ، وقد كان الكفار يزعمون أن الله لا يرسل إلا ملكا أو بشراً معه ملك ، ويتعجبون من إرسال بشر ليس معه ملك ظاهر :

« وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولا قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا » ، « ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذاً لخاسرون » ، « فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين » ، « أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم » .

« وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون » فأمر الله تعالى بسؤال أهل الكتاب عمن أرسل إليهم : أكان بشراً أم كان ملكا ليقيم الحجة بذلك على من أنكر إرسال البشر .

٣ — وهذه الأمور من المتواتر عند أهل الكتاب ، ولا تتوقف الإجابة عليها على صحة ما فى أيديهم أو بقائه على ما هو عليه منذ نزوله ، ولا يلزم من كون هذا معلوما عندهم أن يكون كل ما عندهم ، وكل ما يقولون به صحيحا ، وأيضاً فإنهم يسألون عما فى كتبهم برغم تجريدها من البشارات والشهادات بنبوة محمد ﷺ وقد أخبر الله تعالى بذلك فى القرآن فقال :

« الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم » ، « وإذ قال عيسى بن مريم يا بنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين » .

وقال تبارك وتعالى : « وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد

ربنا لمفعولا . ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً » .

وقال تعالى : « أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين » « ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين » . ولهذا كان النبي ﷺ في خطابه لأهل الكتاب يقول . « والله الذي لا إله غيره إنكم لتعلمون أني رسول الله » .

ومن يزعم أنه لم يرد في القرآن أنه ناسخ لما قبله من التوراة والإنجيل فهو غير جاد في هذا الزعم ، وحسبنا — في بيان نسخه لما قبله — قوله تعالى : « إن الدين عند الله الإسلام » وقوله تعالى : « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » وقوله تعالى : « ومهيمناً عليه » .

وهو لم ينسخ الأصول الأولية بين الأديان كلها وهي وحدانية الله تعالى التي من أجلها أرسل الرسل ومن أجلها أنزل الكتب ، ومن أجلها قامت السموات والأرض : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » « قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين » .

والقائلون بأنه ليس في القرآن ما يدل على نسخهما لا يسوغ لهم الاحتجاج بالقرآن بوجه من الوجوه ، فإنه إن كان — أي محمد ﷺ — صادقاً فيما أخبر به عن ربه فقد علم كل من على وجه الأرض وتحت قبة السماء أنه جاء بما يخالف دين القائلين بالتجسد والفداء ولاهوت المسيح وصلبه وأسرار الكنيسة فيلزم إن كان صادقاً يحتج بكلامه في نعت أهل الكتاب ورسلهم ومسيحهم أن تكون هذه الأشياء باطلة ، وإن قالوا : إن تزييف القرآن لمثل هذه العقائد ومناقضته لها مناقضة جوهرية ، ومباينته لها مباينة جلية بعضه باطل ، لزم ألا يكون شيء مما ذكر من أهل الكتاب في القرآن صحيحاً .

ولنتساءل نحن : لماذا لم يعتن القرآن بتلك الصحف المسماة بالأناجيل فينص على أنه جاء ناسخاً لها ؟

إن كتباً لا يعرف أحد في هذه الدنيا مؤمناً بها أو كافراً : متى كتبت ؟ ولا بأي لغة كتبت ، ونسبتها إلى أصحابها نسبة وهمية يرفضها التاريخ مرات ومرات :

المرة الأولى : عندما يقول التاريخ أن أقدم إنجيل عثر عليه كتب بعد المسيح بخمسين ومائة سنة .

والمرة الثانية : عندما يقرر أن هـذه الأناجيـل كتبها أناس لم يشهدوا الصلب ولم يروه، وبعضهم لم ير المسيح ولم يصاحبه.

المرة الثالثة : عندما يختلف الباحثون في مصدر إنجيل كأنجيل مرقس مثلا : من أين أتى به ؟ فيقولون : إنه كتبه حفظاً لتلقين القديس بطرس الذى كان من الحواريين ، ويسأل التاريخ : ومتى التقى مرقس ببطرس ، هنا يتلجلج المجيبون ، فبعضهم يقول : لقيه في قبرص ، وبعضهم يذهب إلى استبعاد لقائه في قبرص، ولا يحير جـوابا على أن مرقس لم يلتق ببطـرس إلا عندما ذهبت جثته إلى (رومية) حين سرقهـــا بعض البحارة من كنيسة الإسكندرية . المرة الرابعة : حين لا نعرف على وجـه التحديد اللغة التى كتبت بهـا هذه الأناجيل : الآرامية ، أم السريانية ، أم العبرانية . وليس هناك دليـل قطعى ولا ظنى ولا وهمى على اللغة التى كتبت بها أحد هـذه الأناجيل .

مثل هذه الـكتب لا يليق بالقـرآن المنزل من عند الله أن يقول لنا : جئت لأنسخ هـذه الـكتب ، لأن النسخ لا يكون إلا فى أمرين صادرين من جهة واحـدة ، الناسخ والمنسوخ أما هـذه الأناجيل وأسفار العهد القديم ، فإذا كان فيها بعض الحقائق الأولية فذلك ما نبـه عليه القـرآن بقـوله : « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الـكتاب » وقوله تعالى « فنسوا حظا مما ذكروا به » وقوله تعالى « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون » .

أجل لقد كان أحد الحواريين يدعى برنابا ــ وهو مذكور الخ ، مذكور فى جميع كتبهم من الأناجيل إلى أعمال الرسل ــ وهو صاحب إنجيل برنابا الذى يصحح كثيراً من الأخطاء فى الأناجيل ويكشف كثيراً من الأمور الغامضة فيذكرها واضحة مفصلة وبرنابا رجل باع كل ما يملك ووضع ثمنه عند أقدام الرسل ، وقد عثر راهب يدعى فرامينو على رسائل لايريانوس وفيها رسالة ينقد فيها ما كتبه بولس ، ويسند تنديده إلى إنجيل برنابا ، فدفعه حب الاستطلاع

إلى البحث عن إنجيل برنابا ، ولما وصل إلى البابا سكتس الخامس وصار من المقربين إليه عثر على ذلك الإنجيل في مكتبة هذا البابا فأخفاه بين ثيابه وطالعه ثم اعتنق الإسلام ، فإذا كان بعضهم يحتج على بطلان هذا الإنجيل بأنه لم يذكر في القرآن؛ فإن كان عدم ذكره في القرآن دليل بطلانه فأولى ثم أولى أن يقال مثل ذلك في متى ولوقا ومرقس ويوحنا ، لأنها لم تذكر كذلك في القرآن فيلزمها ما لزم برنابا، لأن إنجيل برنابا يوافق القرآن في كثير مما تختلف فيه الكتب الأخرى، وقد ثبت أنه كلما عثروا على نسخة من الأناجيل وجدوا فيها اختلافاً عن النسخ الموجودة ، بل إن يوحنا يثبت أنه لم يكتب كل شيء عن المسيح ، وأنه ترك أشياء كثيرة بقوله : « وآيات أخرى كثيرة صنعها يسوع قدام تلاميذه لم تكتب في هذا الكتاب » يو ٢٠ : ٣٠ فدل هذا على ضياع أشياء كثيرة من هذا الكتاب: بل إن الأب مركيس المارونى الذى كان مطراناً لدمشق في القرن الـ ١٧ الميلادى أراد أن يجتهد بإصلاح لغة الإنجيل العربية فاستأذن البابا أريانوس الثامن فأذن له فألف لجنة من القسيسين والكهنة ومع هذا اعتذروا بقولهم بعد إصلاح كثير من الأخطاء والتحريفات اللغوية : « إن الروح القدس لم يرد أن تقيد اتساع الكلمة الإلهية بالحدود الضيقة في القواعد النحوية، فقدم إلينا الأسرار الإلهية بغير فصاحة ولا بلاغة .

أما التوراة فشأنها شأن هذه الأناجيل؛ بل إن نسبة التحريف إليها مقررة من جميع فرقهم ، فهؤلاء السامريون يزعمون أن أن القرائين والربانيين والصدوقيين والحسديم وغيرهم من فرق اليهود حرفوا التوراة تحريفاً جلياً ، وقد ثبت عندهم في العهد القديم أن التوراة إنما كانت في الفترة القصيرة التي كانت لبني إسرائيل مملكة اغتصبوها من أهل البلاد الأصليين .. كانت التوراة عند الكوهان الأكبر الهاروني وحده ، واليهود تقرأ أن السبعين كوهاناً اجتمعوا على اتفاق من جميعهم في تبديل ثلاثة عشر موضعاً من التوراة ، وذلك بعد المسيح وفي زمان القياصرة ، ويزعمون أن السامرية حرفوا في التوراة قال البحاثة اليهودى مراد فرج في كتابه (القراءون والربانون) وهو يتكلم عن السامرية : فعمدوا إلى جبل جرزيم ، وفي المقريزي : طور بريك

ولعله جبل البركة تجاه جبل عيبل ، جبل اللعنة عبر الأردن ، وأقاموا به هيكلا هبيها ببيت المقدس ، وتبعهم كثيرون من اليهود الذين امتنعوا من طلاق نسائهم الأجنبيات غير مطيعين لعزرا ، ولكيما يعطى السامرة لهذا الجبل منزلته التى تليق به ، حرفوا فى التوراة ، فأضافوا ذكره فى السفر الخامس بالفصل السابع والعشرين بالآية السابعة عندقوله « قوله وتذبح ذبائح السلامة وتأكل هناك وتفرح أمام الله ! « إلهك » فزادوا جملة « على جبل جريزيم » كذلك أضافوا فى الفصل ١١ الآية ٣٠ جملة « تجاه شخيم » أى نابلس ، إلى غير ذلك من التحريف اهـ من الكتاب المذكور ص ١٥

وجاء فى هذا الكتاب عن الصدوقيين وهم كانوا كما يقول : « من سراة وأشراف الأمة الإسرائيلية ، ومن الكهنة العظام ، وسموا كذلك على اسم كبيرهم (صدوق) تلميذانتيجونس ، وفى المقريزى (صدوقيم) وصدوف بالفاء وبالملل والنحل إنهم الذين قالوا من بين اليهود : العزيز ابن الله . وكان أول الخلاف بينهم وبين الفروسيين إنكارهم البعث والنشور والعقاب ، فقد أرادوا أن يكون نعيمهم فى الدنيا ، وهزئوا بالتشدد المتالعين لهذا النعيم ، وقالوا : ما نحن بمبعوثين إن هى إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين إن هذا لهو الفوز العظيم .

أما الأسيم أو الاسينيم من اليهود فهم فرقة تفانت لبلوغ أعلى درجات الفضيلة فحرمت التبايع ورجعت إلى المقايضة ، وحرمت الزواج إلى آخر ما حرفوا اهـ بنصه من الكتاب المذكور .

ولو تتبعنا ما فى التوراة من نسبة الفجور إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لما وسعنا إلى أن ننزه الله تعالى عن أن ينزل كلاماً كهذا فهذا نبى زنى ببناته ، وذاك نبى صارع الله فعطل حركته ، واشترط عليه أن لا يطلق سراحه حتى يباركه ، « فباركه الرب فأطلقه إسرا » مثل هذا لا يمكن أن يهبط القرآن أو أى كتاب منزل إلى مستوى الحضيض ليقول : هذا منسوخ . أى نسخ فى مسخ تاريخ الأنبياء والمرسلين ؟ أى نسخ فى عقيدة التثليث والتجسيد والصلب والفداء ؟ أليس فى إرسال الله لنبيه المصطفى نبى الرحمة محمد ﷺ ليهدى الضالين ، ويقيل عثرات المغضوب عليهم عفو لكل ما يخالف تعاليم دينه ، لأنه

مهيمن على كل ما عداه « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً . الذى له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شىء فقدره تقديراً . واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون . ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً . وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلماً وزوراً وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا . قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض إنه كان غفوراً رحيما وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها ، وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحوراً . انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا » .

أما مركز العذراء فى القرآن الكريم فهو مركز ممتاز كمركز امرأة فرعون ضربها الله مثلا للذين آمنوا : « إذ قالت رب ابن لى عندك بيتاً فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين » وكمركز أم موسى التى أوحى الله إليها .

ويدعو القرآن النصارى أهل كتاب لا باعتبار ما بأيديهم ولكن بحرمة انتسابهم إلى كتاب منزل ، وبحرمة انتسابهم إلى آبائهم الذين كانوا يؤمنون به قبل أن يحرف ويبدل ، وعلى هذا لا يعاملون معاملة المشركين .

والناس بحسب نظرهم وما يدينون به ست طوائف قسمها الشهرستانى .

(١) من لا يقول بمحسوس ولا معقول وهم السوفسطائية .

(٢) من يقول بالمحسوس ولا يقول بالمعقول وهم الطبيعية .

(٣) من يقول بالمحسوس والمعقول ولا يقول بالحدود والأحكام وهم الفلاسفة الدهرية .

(٤) من يقول بالمحسوس والمعقول والحدود والأحكام ولا يقول بالشريعة والإسلام وهم الصابئة .

(٥) من يقول بالمحسوس والمعقول والحدود والأحكام وبشريعة ما ولا يقر بشريعة الإسلام وهم اليهود والنصارى .

(٦) من يقول بهذه كلها وهم المسلمون فإن شريعة الله أن تشتمل على المحسوس والمعقول والحدود والأحكام والآخرة

والمعاد «وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً».

ومن هنا يميز القرآن النصارى واليهود والمجوس عن المشركين من الماديين والوثنيين لأنهم يؤمنون بالكتاب، ويؤمنون بالنبوات ومتى صححنا عقيدتهم في الأنبياء الذين هم أنبياؤنا وفي الهنا جميعاً المنزه عن التجسد والتشبه بخلقه فقد زالت الحواجز والعقبات، وخلصوا معنا إلى دين الله الحق فأسلموا وجوههم لله رب العالمين وآمنوا معنا بعيسى المسيح ابن مريم عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه.

ومعنى الكلمة هنا التي ألقاها الى مريم قد مثل لها القرآن تمثيلاً تاماً بقوله: إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون» وقوله «وكلمته» بالإضافة يجعلنا نتكلم عن نوعي المضاف إلى الله تعالى: فأحدهما أن يكون صفة لا تقوم بنفسها كالعلم والقدرة والحياة وثانيهما أن يكون عيناً قائمة بنفسها، فالأول إضافة صفة لموصوف والثاني إضافة عين كقوله تعالى «وطهر بيتي للطائفين» وقوله «ناقة الله وسقياها» وقوله: «عيناً يشرب بها عباد الله» فالمضاف في الأول صفة لله تعالى قائمة به ليست مخلوقاً له بائناً منه والمضاف في الثاني مملوك لله تعالى بائن عنه، لكنه مفضل مشرف لما خصه الله به من الصفات التي اقتضت إضافته إليه تبارك وتعالى ومن الباب الأخير قوله تعالى «فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سويا» فإنه وصف هذا الروح بأنه تمثل لها بشرا سويا وأنها استعاذت بالله منه إن كان تقيا، وأنه قال: «إنما أنا رسول ربك» وهذا كله يدل على أنه عين قائمة بنفسها وهي التي تسمى في اصطلاح النظار «جوهراً» وقد تسمى جسما إذا كانت مشارا إليها مع اختلاف الناس في الجسم هل هو مركب من الجواهر المفردة أم من المادة والصورة، أم ليس مركبا من هذا ولا من ذاك؟.

وإذا كانت الآية قد بينت هنا أن المضاف ليس من الصفات القائمة بغيرها من الأعيان القائمة بنفسها على أن المضاف مملوك لله، له من الاصطفاء، والإكرام بما أوجب التخصيص بالإضافة.

إذا ثبت هذا فإنه لا يسوغ لأحد أن يقف مبهوراً متحيراً كما ورد ذلك على لسان بعضهم من نسبة الحيرة إلى علماء

المسلمين ومفسريهم إزاء رفع المسيح عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، وكيف يحار المسلمون بمانة فضلا عن خاصتهم وهم يتلون قوله تعالى: «سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير».

على أن الحيرة فى مثل هذه الأمور وهى التى يسميها القرآن الكريم الضلال المبين لأنها توصل أصحابها إلى الاختلافات حول متاهات اللاهوت والناسوت من ناحيتين:

١ — كيفية نزوله واتصاله بأمه وتجسد الكلمة.

٢ — كيفية صعوده واتصاله بالملائكة وتوحد الكلمة.

فالملكانية يقولون: إن الكلمة اتحدت بجسد المسيح وتدرعت بناسوته، ويعنون بالكلمة أقنوم العلم، ويعنون بروح القدس أقنوم الحياة، ولا يسمون العلم قبل تدرعه ابناً بل المسيح مع ما تدرع به ابن، فقال بعضهم: إن الكلمة مازجت جسد المسيح كما يمازج الخمر أو الماء اللبن.

ولما جاء آريوس وقال: «القديم هو الله والمسيح هو مخلوق» اجتمعت البطارقة والمطارنة والأساقفة فى القسطنطينية [1] بمحضر ملكهم، وكانوا ٣١٨ رجلا واتفقوا على هذه الكلمة اعتقاداً ودعوة وذلك قولهم:

«نؤمن بالله الواحد الأب مالك كل شىء وصانع ما يرى وما لا يرى، والابن يسوع المسيح ابن الله الواحد بكر الخلائق كلها الذى ولد من أبيه قبل العوالم كلها، وليس بمصنوع، إله حق من إله حق من جوهر أبيه الذى بيده أتقنت العوالم وخلق كل شىء من أجلنا ومن أجل معشر الناس ومن أجل خلاصنا، نزل من السماء وتجسد من روح القدس وصار إنسانا وحبل به، وولد من مريم البتول وقتل وصلب أيام فيلاطس ودفن ثم قام فى الثالث وصعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه وهو مستعد للمجىء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء، ونؤمن بروح القدس الواحد، روح الحق الذى يخرج من أبيه، وبمعمودية واحدة لغفران الخطايا، وبجماعة واحدة قدسية مسيحية جاثليقية، وبقيام أبداننا وبالحياة الدائمة أبد الآبدين».

ويلاحظ أن هذا البيان يعلن قيام

(١) الشهرستانى: الملل والنحل.

الأبدان وبعث الأجساد ، ثم خلف من بعدهم خلف قالوا بحشر الأرواح لا الأبدان .

وفي هؤلاء وأولئك يقول القرآن الكريم : « لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة » .

وفريق ثالث يقول : إن الله تعالى واحد ذو أقانيم ثلاثة : الوجود والعلم والحياة ، وهذه الأقانيم ليست زائدة على الذات ولا هي هو ، واتحدت الكلمة بجسد المسيح لا عن طريق الامتزاج كقول الملكانية ، ولا عن طريق الظهور به كما قالت اليعاقبة ، ولكن كإشراق الشمس في كوة على بلورة ، وكظهور النقش في الشمع إذا طبع بالخاتم .

وأما الفريق الثالث فقال : انقلبت الكلمة لحماً ودماً فصار الإله هو المسيح وهو الظاهر بجسده بل هو هو ، وعنهم أخبرنا القرآن الكريم بقوله : « لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم » .

ولكل فريق من هؤلاء فلسفة في الجوهر وتمدده .

على أن روح القدس من الله هو الروح الأمين جبريل ، وثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لحسان بن ثابت : « أجب عني ، اللهم أيده بروح القدس » وفي صحيح مسلم وغيره عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : « سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله » وفي الصحيحين عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان : اهجهم أو هاجهم وجبريل معك » .

وتأييد الله بروح القدس لا يعني اتحاد اللاهوت بالناسوت ، ولا يقتضي أن يكون التأييد بروح القدس من خصائص المسيح وحده « أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه » « ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده » فسمى الله تعالى الملك روحاً ، وسمى ما ينزل به الملك روحاً وهما متلازمان ، والمسيح عليه السلام مؤيد بهذا وبهذا .

فإذا زعم أحد بأن الله ليس بثالث ثلاثة وإنما هو جوهر إلهي والثلاثة واحد كالنار لها حرارة ونور فقد قالوا بأن الثلاثة إله واحد . ولقد دحض الإسلام هذه المغالطة السوفسطائية من العرب المشركين حين كانوا يقولون في الحج قائلين « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك ، تملكه وما ملك » .

(البقية على ص ٧٨٤)

علاقة الوحي بالرسول

للأستاذ يوسف عبد الهادي الشال

يطلق الوحي في اللغة على الإشارة والكتابة والمكتوب والرسالة والإلهام والكلام الخفي وكل ما ألقيته إلى غيرك[1] وهذه المعاني — على اختلافها — يجمعها معنى «الإعلام في سرعة وخفاء»[2].

ومن الوحي اللغوي الإلهام الغريزي كالوحي إلى النحل وإلهام الخواطر بما يلقيه الله في روع الإنسان السليم الفطرة كالوحي إلى أم موسى، ومنه ضده وهو وسوسة الشيطان. قال تعالى «وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم» وقوله: «وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً»[3].

والوحي في لسان الشرع هو: إعلام الله تعالى لنبي من أنبيائه بحكم شرعي ونحوه[4].

[1] القاموس المحيط للفيروزابادي ج ٤ ص ٣٩٩ ط الخامسة.

[2] الوحي والقرآن للأستاذ عبد الرحيم فودة. ص ٥ ط الأزهر.

[3] الوحي المحمدي للأستاذ رشيد رضا ص ٣٧، ٣٨ ط الثانية.

[4] المرجع السابق ص ٣٨.

وقد يطلق الوحي ويراد به اسم المفعول منه أي الموحى، وهو كلام الله المنزل على النبي ﷺ[1].

والوحي بمعناه الشرعي ظاهرة يشترك فيها الأنبياء جميعاً، قال تعالى:

«إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده، وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبوراً، ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً»[2].

وبشائر النبوة لجميع الأنبياء هي الرؤيا في المنام بعثاً لليقين في قلوبهم وتمهيداً لما يستقبل كل رسول: روى أبو نعيم في الدلائل بإسناد حسن عن علقمة ابن قيس صاحب ابن مسعود قال: «إن أول ما يؤتى به الأنبياء في المنام حتى تهدأ

[1] فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر ج ١ ص ٥ ط الأولى.

[2] النساء: ١٦٣، ١٦٤.

قلوبهم ثم ينزل الوحي بعد في اليقظة »[1]

وليست للوحي كيفية واحدة وإنما تنوعت طريقته .

حدث عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ فقال يارسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله ﷺ : أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده على فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال ، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول ، قالت عائشة رضي الله عنها ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا »[1] .

والتجربة الأولى للوحي كانت تمريضا وتدريبا على اللقاء والتلاقي بين ذاتين منفصلتين تمام الانفصال .

حدث يحيى بن بكير قال حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه — وهو التعبد — الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال : اقرأ . قال : ما أنا بقارئ . قال : فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ . قلت : ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارئ . فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال : « اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم » فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد فقال : زملوني زملوني ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسي ، فقالت له خديجة : كلا والله ما يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق . فانطلقت به

---

[1] فتح الباري بشرح صحيح البخاري جـ١ ص٦

[2] المرجع السابق ص ١٤ ، ١٦

خديجة - حتى أتت ورقة بن نوفل بن أسد ابن عبد العزى ابن عم خديجة ، وكان امرأ قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عمي ، فقالت له خديجة : يا ابن عم اسمع من ابن أخيك ، فقال له ورقة : يا ابن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى ، فقال له ورقة : هذا الناموس الذي نزل الله على موسى يا ليتني فيها جذعا ، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله ﷺ أو مخرجي هم ؟ قال نعم : لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزرا ثم لم ينشب ورقة أن توفي (١) .

وهكذا تكرر اللقاء والتلقي حتى تمت بفضل الله رسالة خاتم النبيين ﷺ .

وهذا اللقاء وذلك التلقي كان بين ذاتين منفصلتين تمام الانفصال ، الأمر الذي يؤكد أن الموحى به من خارج ذات النبي ﷺ وليس من داخلها حتى يقال إنه إلهام ذاتي للنبي ﷺ ، وما يقطع أنه ليس إلهاما ذاتيا أمران جديران بالانتباه .

أولهما : أن سيدنا محمدا ﷺ عرف بالصدق طيلة حياته ، ولم يجرب عليه الكذب أبدا ، وهو صلى الله عليه وسلم يعرف من نفسه ذلك .

فلما نزل عليه قوله تعالى : « وأنذر عشيرتك الأقربين » تجلت حصافته في انتزاع الإقرار بصدقه ممن أمر بإنذارهم قبل أن يبين لهم لم يدعوهم .

فقد صعد الصفا ونادى يا معشر قريش فأقبلوا عليه فقال : أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل أكنتم تصدقون ؟ قالوا : نعم . أنت عندنا غير متهم وما جربنا عليك كذبا قط ، قال : فإني نذير بين يدي عذاب شديد . يا بني عبد المطلب ، يا بني عبد مناف ، يا بني زهرة ، يا بني تيم ، يا بني مخزوم ، يا بني أسد ، إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين وإني لا أملك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيبا إلا أن تقولوا لا إله إلا الله فنهض أبو لهب وكان رجلا بدينا سريع الغضب فصاح : « تباً لك سائر هذا اليوم ، ألهذا جمعتنا » (١)

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام أحمد ابن حجر ج ١ ص ١٤ - ٢٠ .

(١) حياة محمد للدكتور محمد حسين هيكل ص ١٤٢ ط الثامنة .

وكانت ظاهرة صدق النبي ﷺ طيلة حياته قبل البعثة ، أحد براهين « هرقل » على صدق محمد ﷺ في رسالته حين بعث إليه الرسول ﷺ يدعوه إلى الإسلام .

فلما تسلم هرقل كتاب رسول الله ﷺ دعا صاحب شرطته وقال له : قلب لي الشام ظهراً وبطناً حتى تأتيني برجل من قوم هذا الرجل . يعني النبي ﷺ .

فأخذ صاحب الشرطة يبحث حتى لقي أبا سفيان ـ وكان أبو سفيان يومئذ لا يزال على الكفر ـ وكان في تجارة له بالشام .

فصحبه إلى هرقل ، ووجه إليه هرقل عدة أسئلة ترتبط بشخصية الرسول الكريم ارتباطاً وثيقاً وتعطي نتائج مؤكدة للاقتناع بصدقه ، فكان من بين أسئلة هرقل لأبي سفيان :

(١) هل كان من آبائه من ملك ؟ فقال أبو سفيان لا . وكان تعليق هرقل على ذلك بقوله : لو كان من آبائه من ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه .

(٢) هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ؟ قال أبو سفيان لا . وكان تعليق هرقل على ذلك بقوله : إنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله .

(٣) هل يغدر ؟ قال أبو سفيان : لا . وكان تعليق هرقل على ذلك بقوله : إن الرسل كذلك لا تغدر [١] .

والأمر الآخر : أن النبي ﷺ لم ينسب الوحي به لنفسه وإنما أعلن أنه من خارج ذاته ، وليس هناك من سبب يدعوه إلى أن ينسب إنتاجه لغيره وينسلخ منه انسلاخاً على حين أنه كان يستطيع أن ينتحل الوحي به فيزداد رفعة وفخامة شأن . ولو انتحلها لما وجد من البشر أحداً يعارضه .

« والذي نعرفه أن كثيراً من الأدباء يسطون على آثار غيرهم فيسرقونها أو يسرقون منها ما خف حمله وغلت قيمته وأمنت تهمته ، حتى أن منهم من ينبش قبور الموتى ويلبس من أكفانهم ويخرج على قومه في زينة من تلك الأثواب المستعارة أما أن أحداً ينسب إلى غيره أنفس آثار عقله ، وأغلى ما تجود به قريحته ، فهذا ما لم يلده الدهر بعد » [٢] .

هذا من خارج نص الوحي به .

---

[١] فتح الباري بشرح صحيح البخاري للامام ابن حجر جـ ١ ص ٢٦ ، ٢٧ .

[٢] النبأ العظيم : د. محمد عبد الله دراز ص ١٥ ط ١٩٦٠ م .

أما ذات النص فعامر بالبراهين القاطعة على أنه من خارج ذات النبي ﷺ وليس إلهاما ولا فيض خاطر كذلك الذي يكون من الفلاسفة والأدباء .

ومن الأمثلة على ذلك - وهي كثيرة في القرآن الكريم - تلك الآيات التي نزلت في واقعة « ابن أم مكتوم » ، تدمدم بالعتاب القاسي والردع الزاجر فتقول :

« عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى ، أو يذكر فتنفعه الذكرى . أما من استغنى فأنت له تصدى . وما عليك ألا يزكى ، وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى . كلا . إنها تذكرة »[1] فهذه الآيات تصحح وضعا كان من النبي ﷺ في عتاب قاس تزيد في قسوته أداة الردع - كلا -

وذلك الوضع أن النبي ﷺ يوماً مشغولا بأمر جماعة من كبراء قريش يدعوهم إلى الإسلام حينما جاءه ابن أم مكتوم . الرجل الأعمى الفقير - وهو لا يعلم أنه مشغول بأمر القوم - يطلب منه أن يعلمه مما علمه الله فكره رسول الله ﷺ هذا وعبس في وجهه وأعرض عنه فنزلت هذه الآيات مقررة حقيقة القيم في حياة الجماعة المسلمة في أسلوب قوي حاسم .

والحقيقة التي استهدف هذا التوجيه إقرارها هي أن يستمد الناس في الأرض قيمهم وموازينهم من اعتبارات سماوية إلهية بحتة غير مقيدة بملابسات أرضهم ولا بمواضعات حياتهم ولا نابعة من تصوراتهم المقيدة بهذه المواضعات وتلك الملابسات .

فهنا انفصال تام بين الوحي وذات النبي ﷺ .

ذلك أن عمل النبي ﷺ وحرصه على إسلام كبراء قريش في حدود منطق البشر .

ومنطق البشر يقضي بأن إسلام هؤلاء في صالح الدعوة ، إذ بإسلامهم سوف يتخلص الرسول من كبار المعاندين أولا وسيتبعهم في الإسلام حتما كثيرون غيرهم من أتباعهم ثانيا .

ثم تأتي خطوة أخرى عقب ذلك . وهي عملية الجذب التلقائي إلى الإسلام ؛ حيث يتأمل من لم يكن على الإسلام من الجماعات الأخرى دخول هؤلاء الكبراء في الإسلام .

وطبقا لنظرية « رد الفعل » سيكون

[1] عبس الآيات من ١ — ١١

لهذا التأمل آثاره في ازدياد أعداد المسلمين وتكاثرهم . ومنطق الآيات يخالف هذا المنطق تمام المخالفة .

ولو كان عدول النبي ﷺ عن هذا المنطق البشري لفكرة رآها لاكتفى بتقديم مبررات عمله واعتذاره عنه وعدوله إلى الفكرة الجديدة .

لكن هنا ـ في الآيات ـ عتاباً شديداً وردعاً زاجراً لا يمكن أن ينسجم بأي حال مع العدول عن فكرة ، وبخاصة إذا كانت قائمة على منطق بشري معتدل ، وهدف يقدر حين يعرض على المقاييس المقبولة .

ولا يمكن أن يكون هذا الأسلوب نقداً ذاتياً . لأن النقد الذاتي لا يكون معه عتاب النفس أو الردع أو هما معاً .

وعهد البشر بالنقد الذاتي الاعتراف بالخطأ وتبرير وقوعه دون تجاوز هذا النطاق .

أما التهنيع والتهويل فإنه دائماً يضفى عليهما السكوت ومحاولات التغطية لمعالم يستشعرها كل إنسان . ولا تحتاج إلى إقامة البرهان .

كذلك قوله تعالى « ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم »[1] .

فإن هاتين الآيتين تحملان عتاباً عدمدماً يحس القارىء لفحه ، فعلام هذا العتاب ؟

إن النبي ﷺ سلك طريقاً وفق ما أداه إليه اجتهاده حينما انجلت واقعة بدر عن أسرى استشار الرسول فيهم أصحابه وأخذ برأى أبي بكر في قبول الفداء ممن يريه من هؤلاء الأسرى .

ولكن سرعان ما نزلت الآيتان بنقض ذلك وتعاتب العتاب الساخن لقبول الفداء .

ونحن حيال هذا الحادث لا نستطيع أن نكيف الواقع إلا بإقرار الانفصال التام بين الوحي به وذات الرسول الكريم حيث لا يتصور عتاب مثل هذا أو أقل منه أو عتاب أصلا على رأى تمخض عنه موقف اجتهادي كانت الشورى أرضيته السليمة في منطق البشر .

وإذا انتفى ذلك التصور وهو أقصى ما يمكن أن يذهب إليه المفكر بين المذاهب ثبت أن العتاب من جهة أخرى هي مصدر الوحي وهي خارجة عن الذات ذات النبي ﷺ ، وأخير وليس آخراً .

---

[1] الأنفال الآيات ٦٧ ، ٦٨

لقد أرجف المنافقون بحديث الإفك عن زوجه عائشة رضى الله عنها وأبطأ الوحى وطال الأمر والناس يخوضون حتى بلغت القلوب الحناجر وهو لا يستطيع إلا أن يقول بكل تحفظ واحتراس «إنى لا أعلم عنها إلا خيرا» ثم إنه بعد أن بذل جهده فى التحرى والسؤال واستشارة الأصحاب ومضى شهر بأكمله والكل يقولون: ما علمنا عليها من سوء لم يزد على أنه قال لها آخر الأمر: ياعائشة أما إنه بلغنى كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب استغفرى الله».

هذا كلامه بوحى ضميره فماذا كان يمنعه وهو البليغ المتفوق بشهادة أعدائه قبل أتباعه لو أن أمر الوحى إليه أن يتقول كلاما يحمى به عرضه ويدافع به عن أهله وينسبه إلى الوحى لتنقطع ألسنة المتخرصين [١]

وغير هذا كثير مبثوث فى ثنايا القرآن الكريم يطول بنا القول ويمتد دون استقصاء فى مثل هذا المقام.

وهكذا نرى أنفسنا مضطرين على أى ناحية تصدينا فيها لدراسة الوحى إلى الإيمان به والتصديق بحقيقته سواء اتخذنا شخصية الرسول وتاريخ حياته سبيلا للاقتناع أو اتخذنا نص القرآن الكريم وتحليل أحداثه وعباراته والوقوف على خصائصه طريقا للاطمئنان والإذعان؟

يوسف عبد الهادى الشال

[١] النبأ العظيم للدكتور محمد عبد الله دراز ص ١٧ ط ١٩٦٠.

(بقية المنشور على ص ٧٧٧)

(أما بعد) فاللهم أنت تعلم أننا ما شرعنا القلم إلا دفاعا عن حبيبك ورسولك صاحب الآيات الظاهرة والمعجزات الباهرة المبشر به من حبيبك المصطفى ونبيك المجتبى عبدك وابن أمتك المسيح ابن مريم.

اللهم إنك هديتنا لاستشعار عظمتك وكبريائك حين قلت: «ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام» فعلمتنا أن من يفتقر إلى لقمة الخبز مخلوق ضعيف وإن كان صديقا نبيا فاللهم لا تحرمنا شفاعتهم كفاء ماندود عن دمومهم. آمين؟

محمد نجيب المطيعى

عرض القصص القرآني عن طريق السينما والمسرح

للدكتور محمد محمد أبو شهبة

القرآن الكريم هو كتاب الهداية الكبرى، والتربية الإلهية العظمى، فهو هداية الخالق لإصلاح الخلق، ووحي السماء لأهل الأرض، ومنقذ البشرية من وهدتها وترديها، والآخذ بيدها إلى السعادة الكاملة وهو المعجزة العظمى والآية الكبرى الباقية على وجه الدهر لخاتم أنبياء الله ورسله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، الذي أرسله الله للناس عامة بشيرا، ونذيرا.

وقد اشتمل هذا الكتاب الكريم على أصول العقائد الحقة، والفضائل الثابتة والتشريعات الحكيمة العادلة التي تفي بحاجات البشر في دينهم ودنياهم، كما اشتمل على قدر غير قليل من قصص الأنبياء والمرسلين، والملوك الغابرين، والأمم والأقوام الماضين.

والقرآن الكريم ليس كتاب قصص وتواريخ، فمن ثم لم يسق قصص القرآن مساقا تاريخيا مكتملا، مع الحرص على المقومات والنواحي الفنية في القصة من البدء إلى النهاية[1] وإنما قصده انتزاع العبرة والعظة فمن ثم يكتفي من القصة بما يلائم المقام والغرض الذي سيق له الكلام القرآني، فهو حينما يبين أن التوحيد هو دعوة جميع الأنبياء والمرسلين يذكر ما يحقق هذا الغرض من قصة نوح، وهود، وصالح، وشعيب .. عليهم الصلاة والسلام، وحينما يدعو النبي إلى الصبر على المشركين وتحمل أذاهم يذكر ما نال أسلافه من الأنبياء والمرسلين من الأذى والبلاء، قال سبحانه: « فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل »[2] وقد أشار الله إلى هذه الحكمة بقوله: « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل

---

[١] لم يذكر الله في القرآن قصة مكتملة بمقوماتها وخصائصها الفنية إلا في سورة يوسف عليه الصلاة والسلام، وذلك ليكون دليلا أيضا على إعجاز القرآن، وأنه من عند الله، إذ لم يعرف من النبي ولا عن أحد من العرب البراعة في القصة إلى هذا الحد، وليعلم الله الناس جميعاً أن ترك هذا للنهج في القصص ليس عن عجز، وإنما هو اقتدار وأنه سبحانه نهج ما نهج في معظم القصص القرآني لحكم سامية دقيقة عرضنا لبعضها أثناء المقال. [٢] الأحقاف ٣٥

ما نثبت به فؤادك ، وجاءك فى هذه الحق وموعظة ، وذكرى للمؤمنين » (١) .

وحينا يخوف المشركين ، والمنافقين ، واليهود من الاستمرار فى معارضة النبى ومحاربة دعوته ، وإلحاق الأذى بالنبى والمسلمين ، يذكر لهم ما حصل بأمثالهم المكذبين من أقوام الأنبياء السابقين وذلك كما جرى فى الأعراف ، وهود والقمر وغيرها ، إلى غير ذلك من الحكم والعبر ، والمقاصد ، ومن الحكم العامة المهمة لذكر القصص القرآنى إقامة الحجة على أن القرآن من عند الله ، وليس من عند النبى لأنه لم يكن قارئا ولا كاتبا ، ولا عرف عنه أنه اتصل بأهل الكتاب وأخذ عنهم ، ولو أنه صلى الله عليه وسلم أخذ عنهم شيئا من معارفهم ، أو تعلم منهم ، لكان أول ما جابهوه به حينما جاء لهم وسفه آراءهم وبين زيغ عقائدهم ، أن قالوا إننا نحن الذين علمناك ، ولقناك ، ولكن أنى هو؟!! وصدق الله حيث قال : « نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين » (٢) وقال : « لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ، ما كان حديثا يفترى ، ولكن تصديق الذى بين يديه ، وتفصيل كل شىء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » (١) وقال « تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين » (٢) .

ولقد كان من حكمة الله البالغة أن الله تبارك وتعالى ذكر معظم القصص وتفاصيله فى السور المكية .

ومعروف أن مكة لم يكن بها أحد من علماء أهل الكتاب ، وذلك ليقطع سبحانه أى احتمال أو شبهة فى أنه إنما علم النبى القصص بشر ، ولو أن هذا القصص المكى تأخر إلى الفترة المدنية من عمر الدعوة الإسلامية ، لربما كان هناك احتمال شبهة فى أنه ﷺ إنما تعلمه من اليهود — وهم أهل كتاب — بالمدينة ، والمشركون حينما قالوا « إنما يعلمه بشر » أرادوا به بعض الغلمان النصارى الذين كانوا من سوقة الناس ، ولم يكونوا عند أحد يعتبرون من أهل العلم والمعرفة ، وإنما كانت مهنتهم الحدادة أو الخدمة ، فمن ثم لم يقم الله أى اعتبار لاحتمال استفادة النبى منهم شيئا من معارف القرآن ، ورد عليهم من أوجز طريق ،

[١] هود ١٢٠ [٢] يوسف ٣

[١] يوسف ١١١ ، [٢] هود ٤٩ .

وأظهره بداهة، فقال: «لسان الذى يلحدون إليه أعجمى ، وهذا لسان عربى مبين»[1] .

وقصص القرآن كله حق ، وصدق ، وواقع ، وليس من قبيل الخيال ، أو الاختراع والابتداع من غير أن يكون واقعا كما هو الشأن فى معظم القصص والروايات اليوم التى تمثل على المسرح ، أو على شاشة السينما .

وليس فيه تزيد أو اختلاف ، أو تجنٍ ، أو تحيف ، وإنما هو الحقيقة الواقعة ، والله تبارك وتعالى ـ وهو الذى أحاط علمه بكل شىء ـ حينما عبر عما جرى بين الأقوام السابقين ، الذين لم تكن لغتهم العربية ، إنما ترجم ذلك إلى اللغة العربية الفصحى ترجمة توفرت لها أقصى غايات الدقة ، والأمانة ، والعلم بما يبدون ، وما يخفون من خلجات النفوس، ومكنونات الضمائر وما يريدون من المعانى الأصلية ، والمعانى الثانوية ،واللغة العربية هى بين لغات العالم القدح المعلى فى الوفاء بكل ذلك .

هذه مقدمات لابد منها قبل الدخول فى هذا الموضوع الجليل الذى سأتكلم عنه.

وقد جاءتنى رسائل من داخل الجمهورية ، ومن خارجها، ولاسيما من اتحاد طلبة المسلمين فى الولايات المتحدة وكندا وهى تدور حول هل يجوز عرض القصص القرآنى عن طريق المسرح أو السينما !! وهل يصح أن نقوم بتمثيل فى المسرح ، أو السينما عن حياة النبى محمد ، أو موسى ، وعيسى ، وإبراهيم الخليل عليهم الصلاة والسلام ؟ !

وهل يصح لنا نحن المسلمين القيام بتمثيل قصص عن زوجات النبى محمد وآله سواء بالمسرح ، أو على شاشة السينما ؟ !

وهل يصح لنا معاشر المسلمين القيام بتمثيليات سواء بالمسرح ، أو على شاشة السينما لحياة أصحاب النبى محمد ﷺ أو حياة زوجاتهم ؟ ! وهل يجوز تصوير المعانى القرآنية عن طريق اللوحات الفنية !!

وهى أسئلة ـ ولا شك ـ جديرة بالتقدير والإجابة ، وإليكم الجواب :

إن الأشخاص الذين تدور عليهم القصة إما أن يكونوا غير أنبياء من الملوك الظلمة المستبدين ، والكفار المعاندين وهؤلاء يجوز تمثيلهم وإظهارهم على المسرح أو شاشة السينما، ولا حرج ، ولا ضير فى ذلك.

وإما أن يكونوا أنبياء ، أو رسلا مرسلين ، وهؤلاء لايجوز أن يمثلوا لا على

---
[1] النحل ١٠٣ .

المسرح ولا على شاشة السينما قط ، وسواء في ذلك نبينا محمد أو موسى ، أو عيسى ، أو إخوانهم الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - وفتح هذا الباب يجر على الأديان كلها شر مستطير ، ويقلل من شأن الأنبياء والمرسلين ، ويؤدي في يوم ما إلى الاستهانة بهم .

إن الفن المسرحي أو السينمائي - على حسب ما أعرف - يعتمد أكثر ما يعتمد على التقارب أو التجانس الخلقي - بكسر الخاء وسكون اللام - والخلقي - بضم الخاء واللام - بين الممثل ، وبين من يمثله ، بل عليه فنيا أن يعمل ما استطاع على أن يتقمص شخصية من يمثله ، وأن يحاول أن يكون صورة منه مطابقة للأصل ، ومن ذا الذي يكون له من قوة الشخصية ، والاستقامة الكاملة على الدين ، والعظمة الأخلاقية ، من الممثلين وغيرهم من يصلح أن يمثل صفات ، وأخلاق ، واستقامة ، وشتى جوانب حياة نبي من الأنبياء ؟!!

ولعل مما لا يختلف فيه اثنان أن الأوساط الفنية ، والمسرحية ، والسينمائية قلما تجد فيها واحدا أو واحدة يؤهله سلوكه لمثل هذا العمل الجليل النبيل ، أو عنده علم بسير الأنبياء وسمو فطرتهم ، وما يجوز عليهم من الصفات ، وما لا يجوز وما يجب عليهم الاتصاف به ، وما يستحيل عليهم ، ومن زعم أن في هذه الأوساط من هو كفيل بتمثيل الأنبياء فقد كابر وعانه .

وكذلك ليس في غير الأوساط المسرحية والسينمائية من يصلح لذلك ، فمن إذ صلح من ناحية دينه ، وخلقه ، واستقامته فلن يستطيع ذلك من جهة الفن ومن ذلك نرى أنه لا يجوز تمثيل الأنبياء والمرسلين على المسرح أو السينما ، إبقاء على جلالهم ، وقدسيتهم في النفوس .

وقد يقال : إن فيلم « المسيح » عليه السلام الذي ظهر في إيطاليا قد نجح ، وقد تحوط القائمون به في اختيار الشخص الذي قام بتمثيل شخصية السيد المسيح ، وتعهد هو بألا يمثل بعدها أبداً ، وقد عوضه البابا بأن قدم « فيلا » منزلا خاصا وأمده بمعاش شهري مدى الحياة ، فلماذا لا نفعل كذلك ؟!! وكذلك ظهر في الغرب فيلم « الإنجيل » ومهما قيل عن هذا الفيلم وعن أخطائه فهو محاولة جريئة ، فلم لم نحاول مثل ما حاولوا ؟!!

وأنا أقول لهؤلاء : إن التحوط إلخ

أمكن اليوم ، فمن يدري أن هذا التحوط سيستمر ، ومن يضمن لنا ذلك ؟ ! ! وهاهوذا العالم اليوم يجري بخطى واسعة في سبيل التحلل من التكاليف الدينية ، والآداب الخلقية ، والاجتماعية ، ثم من من الممثلين يستأهل أن يمثل شخصية النبي ﷺ ؟! ثم إذا كان الغرب قد أخطأ فيما عمل ، فهل من شرعة العدل والإنصاف أن نخطىء كذلك ؟! ومن قال : إن الخطأ يبرر الخطأ ؟ !

وفرق ما بيننا معاشر المسلمين ، وما بين الغرب ؛ فالغرب لا يعنيه من أمر الدين إلا القليل ، والدين انكمش من الحياة حتى صار منزويا في الكنائس ، وهم - مهما كانوا - لا يرون أن تقديس جميع الأنبياء واجب ، وإلا فما هذا السفه والتجني الآثم على النبي ﷺ ، وعلى الإسلام الذي طفحت به كتبهم ، ولا سيما فئة المستشرقين منهم أو إن شئت فقل المستعمرين ، أما نحن المسلمين فعلى ضد ذلك ، ولن تجده قط في كتاب إسلامي حط أو تنقيص لموسى ، وعيسى ، وغيرهما. والذي أخلص إليه : أنه لا يجوز تمثيل نبي من الأنبياء على المسرح أو شاشة السينما ، بل أقول : إنه حرام وإثم.

وكذلك لا يجوز تمثيل حياة زوجات النبي ﷺ على المسرح أو السينما ، ولا أحد من الصحابيات ، ولا أدري من هي التي تصلح من الممثلات وغيرهن أن تكون رمزا صادقا ، وعنوانا مشرفا لزوجات النبي وزوجات أصحابه ، أو تدانيهن في نسبهن وشرفهن ، ودينهن ، وخلقهن ، وعقلهن ، وعلمهن ؟ !!

إننا لو وجدنا المثقفة ، فلن نجد المتدينة تدينا حقيقيا كاملا ، ولو وجدنا المتدينة فلن نجد العالمة ، العاقلة ، ولو وجدناها فلن نجد ذات الخلق الأصيل ، والاستقامة على الدين ، أليست هذه هي الحقيقة المرة ؟!

وأيضا لا يجوز تمثيل أحد من الصحابة - ولا سيما المشاهير منهم ، والأئمة كالخلفاء الراشدين وأمثالهم - على المسرح أو على الشاشة ، ومن ذا الذي يداني الصحابة - رضوان الله عليهم - في دين ، واستقامة ، وخلق ، وقوة شخصية ، وعظمة نفس حتى يستأهل أن يتقمص شخصياتهم ، ويظهر بمظهرهم ، ويجسد فضائلهم ؟ !!

إني أربأ بالأنبياء المصطفين الأخيار ، وأزواج النبي الأطهار ، والصحابة الأمجاد أن يصيروا - لو فتحنا باب الشر هذا -

ملعبة للشانئين ، والمثلات ، وسخرية للساخرين منهم ، والساخرات ، ومضغة يلوكونها فى أفواههم ، وأفواههن .

وكذلك لا أرى تصوير المعانى القرآنية باللوحات الفنية : وهذا إن جاز فى تربية النشء ، وتعليم الصغار بالنسبة لغير القرآن فلن يجوز بالنسبة لأقدس كتاب سماوى توفرت له من دواعى التبرك ، والوثوق بالنص ، وعدم التحريف والتبديل ، ودواعى الحفظ ، ما لم يكن لأى كتاب فى الوجود سماوى ، أو أرضى .

إن الاستفادة بالقرآن الكريم إنما تكون بحفظه ، ثم تدبره وفهمه ، ثم العمل به ، وإذا أردنا أن نثبت معانى القرآن فى نفس الأطفال والشباب فليكن عن طريق القدوة الحسنة ، وإلا فما معنى أن يأمر المدرس التلميذ بالصلاة وهو لا يراه أبدا يصلى ، وأن تأمر المدرسة الطالبة بالاحتشام ، وهى فى غاية الابتذال .

وقد يسألنى سائل : وكيف الاستفادة إذاً من حيوات الأنبياء ، وأزواجهم ، ولا سيما نساء النبى ﷺ ، وحيوات الصحابة الكرام ، وزوجاتهم وهذه الحيوات التى تعتبر مثلا عليا فى كل جوانب الحياة ، والتى يجب علينا أن نبرزها للناس ، ونستفيد بها فى التربية ، والتهذيب والتثقيف ، والتعليم ؟!

والجواب : أن نعرض هذه الحيوات ، ولا سيما سيرة النبى ﷺ ، وسير الصحابة الفضلاء عرضا ، صادقا ، جذابا ، مغريا ، عن طريق المحاضرات ، والأحاديث ، والقصص وشاشة السينما من غير تصوير الشخصيات وإظهارها على الشاشة ، وذلك كما حدث فى فيلم (ظهور الإسلام) فقد عرضت فيه الأحداث الإسلامية عرضا رائعاً مؤثرا من غير إظهار شخصية النبى ﷺ ، ولا شخصيات أصحابه الكبار ، وقد نجح هذا الفيلم السينمائى أيما نجاح ، وكان له أثره فى نفوس الجماهير .

وأهم من ذلك — فى رأيى — أن نلقن أبناءنا وبناتنا أحداث السيرة ، ومواقفها الخالدة من الصغر ، كما نلقنهم القرآن ، وأن يفرض تدريس سير هؤلاء السادة الأخيار ، والسيدات الفضليات فى المدارس والمعاهد والجامعات ، وفى المساجد ، والمعامل ، والمصانع ، والمصالح ، وثكنات الجنود ، دراسة يكون لها أثرها فى العقيدة والسلوك والأخلاق ، والمعاملة ، وهكذا كان لسيرة

النبي ، وسير الصحابة ، وغزواتهم ، مكانها ، ومنزلتها في المجتمع الإسلامي الأول .

روى عن محمد بن سعد بن أبي وقاص ، أحد أبطال الإسلام المغاوير ، أنه كان يجمع بنيه ويقول لهم : (يا بني احفظوا هذه السير والمغازي ، فإنها شرف آبائكم) ! إي والله إنها شرف الآباء .

وهذا هو علي زين العابدين بن الحسين - رضي الله عنه - يقول : (كنا نعلم مغازي رسول الله ﷺ كما نعلم السورة من القرآن) !! إي والله كانت السيرة لها هذا الخطر ، وتلك المنزلة .

وبهذا ثلوا عروش الأكاسرة والقياصرة وصاروا سادة الدنيا أحقابا من الزمان ، لقد كانت الجيوش العربية الإسلامية - التي فتحت بلاد فارس ، والروم ، وبلاد آسيا حتى وصلت حدود الصين ، وبلاد أفريقيا حتى وصلت إلى المحيط الأطلسي - تخرج إلى الجهاد وفيها قصاص من خيرة الصحابة والتابعين ، وكانت مهمة القاص أن يقرأ بين الصفوف ، وعند احتدام القتال ، آيات الجهاد والاستشهاد في القرآن الكريم ويذكر المجاهدين بالبطولات والمواقف الإسلامية في بدر ، وأحد ، والخندق ، والحديبية ، والفتح ، وحنين وغيرها من المشاهد والملاحم ! وهل كان آباؤنا ، وسلفنا الصالح الذين فتحوا الدنيا بالإيمان والعلم ، والرحمة والعدل ، يعرفون مسرحيات ، أو روايات سينمائية ؟! لقد أصبح هذان النوعان ولا سيما في العالم العربي والإسلامي من أخطر العوامل الهدامة التي صرفت الشباب عن الجد والعمل الدائب المفيد ، وحلت عرى الدين والأخلاق الكريمة من النفوس ، وهل استنفدنا كل وسائل التقدم ، ولم يبق أمامنا إلا تمثيل القصص القرآني على المسارح ، وشاشة السينما ؟!

ما أحوجنا في هذه الظروف العصيبة التي تمر بها البلاد من أن ندع البلبلة ، وإثارة الفتن (والفتنة نائمة ، ولعن الله من أيقظها) ؟

د . محمد محمد أبو شهبة

الموسوعة القرآنية
تصنيف الأستاذين :
ابراهيم الإبياري و عبد المقصود مرزوق

للدكتور على العمارى

— ٢ —

ومن عجب أن الكاتب يذكر — بعد ذلك — قصة سيدنا عمر مع هشام بن حكيم — رضى الله عنهما — وأن النبي — ﷺ — قال لكل منهما — بعد أن سمع قراءته — : هكذا أنزلت .

ومما مهد به المصنف لرأيه ما نقله عن (ابن قتيبة) إذ يقول : (وكذلك تتبع ابن قتيبة القراء ، وأحصى لهم الكثير ، وفى ذلك يقول : وما أقل من سلم من هذه الطبقة فى حرفه من الغلط والوهم [1]) .

ويقول فى الصفحة التالية بعد أن تكلم على رسم المصحف ، وأنه كان آخر جهد الذين كتبوه : (وكان هذا ما عناه عثمان حين قال : أرى فيه لحنا وستقيمه العرب بألسنتها ، ولقد أقامته بألسنتها ، وتركت الرسم على حاله ممثلا فى مصحفه الإمام) .

(١) الموسوعة جـ ١ ص ٨

ثم يقول : (غير أن ما فعله عثمان لم يقض على كل خلاف ، وأوسع فى هذا الخلاف بقاء المصحف الإمام غير منقوط ولا مشكول) .

وكأن الخلاف لم يكن ناشئا من اختلاف الرواية عن الرسول ، بل كان ناشئا عن اجتهاد وسع فيه بقاء المصحف غير منقوط ولا مشكول .

وبعد أن يمهد لرأيه بما ذكرنا يذكر بعده كلمة للزركشى ، وكأنه يؤكد بها هذا الرأى : (والقراءات السبع متواترة عند الجمهور ، وقيل : بل مشهورة . والتحقيق أنها متواترة عن الأئمة السبعة ، أما تواترها عن النبي — صلى الله عليه وسلم — ففيه نظر) [1] .

وعند الكاتب أن مصحف عثمان الذى

(١) المصدر السابق ص ٨٢

بين أيدينا الآن ، وهو — كما يقول — أقوم ما يكون ضبطا ، وأصح ما يكون شكلا يغنينا عن كل قراءة لا يحملها رسمه ، ولا يهدي إليها ضبطه ، بل يرى أننا (حين نمكن لهذه القراءات أن تعيش تكون كمن يحاول أن يخرج عن ما أراده عثمان ، ومعه على من قبل ، ثم الصحابة عن وحدة القرآن).

وقد كان هذا الكلام تعقيبا على مارده الزمخشرى على (ابن عامر) فى قراءته « وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم » برفع (قتل) ونصب (أولادهم) وجرت (شركاء) على إضافة القتل إلى الشركاء ، والفصل بينهما بغير الظرف ، وعلى (أبى عمرو) فى قراءته : (فيغفر لمن يشاء) بإدغام الراء فى اللام

وخلاصة تعقيب الكاتب على القراءات تنحصر فى ثلاثة أمور .

١ — ما يتصل بأحرف العرب ولغاتها مثل الإشمام والتفخيم والترقيق وغير ذلك مما نطقت به القبائل ، ولم تستطع ألسنتها غيره ، وهذا — عند الكاتب — هو المراد بالأحرف السبعة التى وردت فى قول النبى ﷺ — : (أنزل القرآن على سبعة أحرف).

قال . وما من شك فى أن ذلك كان رخصة للعرب ، وما من شك فى أن هذه الرخصة قد نسخت بزوال العذر ، وتيسر الحفظ ، وفشو الضبط ، وتعلم القراءة والكتابة [١] .

٢ — ما يتصل برسم المصحف ، وبقائه عهدا غير منقوط ولا مشكول إلى زمن عبد الملك ، وقد نشأ عن ذلك قراءات كثيرة وتأويلات جمة . وهذه — عند المصنف — ليست صحيحة ، وإنما هى إسراف فى الاجتهاد من القراء [٢] .

٣ — ما يتصل بإحلال كلمة مكان كلمة ، أو تقديم كلمة على كلمة ، أو زيادة أو نقصان .

قال الكاتب : وما أظن هذه تكون كلمة تذكر بعد أن أصبح فى أيدينا المصحف الإمام [٣] .

ـ كل هذا يتضح لنا أن الكاتب الفاضل يرى ألا يقرأ القرآن بشىء من هذه الوجوه التى نوه بها ، وتعمل — فيما يبدو

---

[١] المصدر السابق ص ٧٩ .
[٢] المصدر السابق ص ٨٠ .
[٣] المصدر السابق ص ٨٢ .

من كلامه ـ القراءات السبع ، بل العشر وما فوقها .

فعلينا ـ كما يرى ـ أن نقرأ القرآن كما نجده في مصحف عثمان ، نطقا بألفاظه ، وجملا مجردة من الترقيق والتفخيم والإمالة وغيرها ، وألا نحاول أن نقرأ مثلا : « وجاءت سكرة الموت بالحق » أن نقرأها (وجاءت سكرة الحق بالموت) . وذلك لأن هذه القراءات اجتهاد من القراء ، والاجتهاد عرضة للخطأ ، وقد ساعد على ذلك بقاء المصحف حيناً غير منقوط ولا مشكول .

وهذا رأى جد خطير ، ونافذة ـ إن أبقينا عليها ـ لا تأتينا إلا بالمصائب والأعاصير ، وما لا نتوقع من مزالق وأخطار .

وقبل أن نأخذ في تفنيد هذا الرأى نحب أن نضع أمام الكاتب ، وأمام غيره من كل متجرىء على التراث الإسلامى ما كتبه العالم الكبير أحمد بن المنير السكندرى تعقيباً على تخطئة الزمخشرى لابن عامر في القراءة التى أشرنا إليها سابقا قال ـ رحمه الله ـ في كتابه (الانتصاف) (لقد ركب المصنف في هذا الفصل متن عمياء ، وتاه في تيهاء ، وأنا أبرأ إلى الله وأبرىء حملة كتابه ، وحفظة كلامه ، مما رماهم به ، فإنه تخيل أن القراء أئمة الوجوه السبعة اختار كل منهم حرفا قرأ به اجتهادا لا نقلا وسماعا ، فلذلك غلط (ابن عامر) في قراءته هذه) .

وبعد أن ذكر الوجه الذى غلط الزمخشرى به ابن عامر ، قال : « فهذا كله ـ كما ترى ـ ظن من الزمخشرى أن ابن عامر قرأ قراءته هذه رأيا منه ، وكان الصواب خلافه ، والفصيح سواه ، ولم يعلم الزمخشرى أن هذه القراءة بنصب الأولاد ، والفصل بين المضاف والمضاف إليه بها يعلم ضرورة أن النبى ـ ﷺ ـ قرأها على جبريل ، كما أنزلها عليه كذلك ، ثم تلاها النبى ـ ﷺ ـ على عدد التواتر من الأئمة .

ولم يزل عدد التواتر يتناقلونها ، ويقرءون بها ، خلفا عن سلف ، إلى أن انتهت إلى ابن عامر ، فقرأها أيضا ـ كما سمعها ، فهذا معتقد أهل الحق في جميع الوجوه السبعة أنها متواترة جملة وتفصيلا ، عن أفصح من نطق بالضاد ـ صلى الله عليه وسلم) :

ثم قال : « ولولا عذر أن المنكر ليس

من أهل الشأن – أعنى علم القراءة ، وعلم الأصول – ولا يعد من ذوى الفنين المذكورين لخيف عليه الخروج من ربقة الدين ، وإنه – على هذا العذر – لفى عهدة خطرة ، وزلة منكرة ، تزيد على زلة من ظن أن تفاصيل الوجوه السبعة منها ما ليس متواترا ، فإن هذا القائل يثبتها بغير النقل ، وغايته أنه ادعى أن نقلها لا يشترط فيه التواتر ، وأما الزمخشرى فظن أنها تثبت بالرأى غير موقوفة على النقل ، وهذا لم يقل به أحد من المسلمين [1]

وما أحسن ما قال هذا العالم الجليل بعد ذلك وما أحرانا أن نتدبره جيدا ، قال : وليس غرضنا تصحيح القراءة بقواعد العربية ، بل تصحيح قواعد العربية بالقراءة » .

فالشأن إنما هو فى إثبات القراءة بالنقل الصحيح ، ومتى ثبتت من هذا الطريق فلا ينبغى أن يقف فى طريقها شىء من قواعد اللغة ، بل يجب أن يكون ما جاءت عليه هو القاعدة .

نعم ، قد اشترط العلماء فى الحكم بصحة القراءة أن توافق العربية ولو بوجه ، ولكن الذى حدث بالفعل أنه لم تصح قراءة من طريق النقل إلا وهى موافقة للعربية ، فإذا صحت القراءة وجهلنا نظيرها فى لغة العرب فليس واجبنا أن نرد القراءة بل واجبنا أن نبحث – متى نحجت – عن مصدرها فى لغة العرب ، ولأن نتهم استقراء النحويين أولى من أن نرد قراءة ثبتت بالنقل الصحيح .

ويعجبنى قول الإمام فخر الدين الرازى عند تفسيره لقول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا فى الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا » [1].

قال الفخر : (قال قطرب : كلمة (إذ) و (إذا) يجوز إقامة كل واحدة منهما مقام الأخرى ، وأقول : هذا الذى قاله قطرب كلام حسن ، وذلك لأنا إذا جوزنا إثبات اللغة بشعر مجهول منقول عن قائل مجهول فلأن يجوز إثباتها بالقرآن العظيم كان ذلك أولى .

أقصى ما فى الباب أن يقال : (إذا)

---

(١) هامش الكشاف جـ ٢ ص ٤١ ، ٤٢

(١) الآية ١٥٦ من سورة (آل عمران)

حقيقة فى المستقبل ، ولكن لم لا يجوز استعماله فى الماضى على سبيل المجاز ، لما بينه وبين كلمة — (إذ) من المقاربة الشديدة ؟.

وكثيرا أرى النحويين يتحيرون فى تقرير الألفاظ الواردة فى القرآن ، فإذا استشهدوا فى تقريرها ببيت مجهول فرحوا به . وأنا شديد العجب منهم، فإنهم إذا جعلوا ورود ذلك البيت المجهول على وفقه دليلا على صحته فلأن يجعلوا ورود القرآن به دليلا على صحته كان أولى) .

ومن عجب أن الزمخشرى نفسه نقل تغليط القراء لبعض قراءات الحسن وعجل ابن السميذع، ثم نقل بتعقيب النضر بن شميل على القراء حيث يقول (إن جاز أن يحتج بقول العجاج ورؤبة فهلا جاز أن يحتج بقول الحسن وصاحبه ، مع أنا نعلم أنهما لم يقرءا بهذا الحرف إلا وقد سمع فيه) الكشاف ج ٣ ص ١٢٩

ثم نسوق الأدلة على صحة ما ذهب إليه هذان العالمان ، وأمثالهما وهم أهل الحق من المسلمين ، وعلى أبطال ما ذهب إليه صاحب الموسوعة القرآنية من أن القراءات اجتهادات القراء .

أولا :

ما أثر عن الصحابة — رضوان الله عليهم — وجمهرة علماء العلماء يؤكد أن القراءات منقولة عن النبى — ﷺ — وإذا كان حدث فيما بعد ، خطأ من بعض القراء فهو كمكل يقع من عالم ، وقد جهد العلماء الثقات فى رد ذلك بما توفر لهم من أدلة تطمئن فى تصحيح النقل .

فما ورد عن الصحابة :

(١) روى عبد الله بن مسعود، رضى الله عنه ، من حديث له عن القرآن ، قوله : ولقد رأيتنا نتنازع فيه عند رسول الله ﷺ فيأمرنا نقرأ عليه، فيخبرنا أن كلنا محسن، ولو أعلم أحدا أعلم بما أنزل الله على رسوله منى لطلبته حتى ازداد علمه إلى علمى.

ولقد قرأت من لسان رسول الله، ﷺ سبعين سورة ،وقد كنت علمت أنه يعرض عليه القرآن فى كل رمضان حتى كان عام قبض فعرض عليه مرتين ، فكان إذا فرغ أقرأ عليه فيخبرنى أنى محسن ، فمن قرأ على قراءتى فلا يدعها رغبة عنها ، ومن قرأ على شىء من هذه الحروف فلا يدعه رغبة عنه، فإنه من جحد بآية جحد به كله.

فسيدنا ابن مسعود قرأ أولا ، من لسان

رسول الله، ﷺ رأى أنه تلقى عنه القرآن بالقراءة التي تتفق مع لغة (هذيل)، وابن مسعود منهم، ثم كان بعد ذلك يتأكد من أن قراءته الأولى لم يطرأ عليها تغيير بعد العرض، واستمر على ذلك حتى العرضتين الأخيرتين، وكذلك كان يفعل غيره.

وعلينا أن نتأمل جيداً كلمته: فإنه من جحد بآية جحد به كله.

وواضح من كلامه أنه يريد بجحد الآية جحد قراءتها على حرف من هذه الحروف التي نهى أن يدعها من قرأ بها.

(ب) تلك القصة المشهورة التي وقعت بين عمر الخطاب، وهشام بن حكيم، رضي الله عنهما، والتي احتكما فيها إلى رسول الله، ﷺ، فسمع من كل منهما قراءته لسورة (الفرقان)، وكانت القراءتان جد مختلفتين حتى هم عمر أن يبطش بهشام، وقد قال النبي لكل منهما: هكذا أنزلت فقراءة عمر نزلت من السماء، وقراءة هشام نزلت من السماء، وقد أقرأ رسول الله كلا منهما بالقراءة التي قرأ بها كما احتجا بذلك ولم يكن موقف النبي ﷺ، أن يسمع من كل منهما، ويتركه يقرأ بلهجته، ثم يجيزه بعد ذلك، كما أراد أن يفهم كاتب الموسوعة

(ج) قصة أخرى وقعت لأبي بن كعب تشبه قصة عمر وهشام فهي أن أبي حدث من نفسه بعد أن سمع إقرار النبي قراءة الرجلين اللذين أنكر أبي قراءتهما، مع اختلافهما، أحدهما عن الآخر أيضاً.

قال أبي: فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية، فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ما قد غشيني ضرب في صدري ففضت عرقاً، وكأني أنظر إلى الله تعالى فرقاً، فقال: «يا أبي أرسل إلي أن أقرأ القرآن على حرف فرددت إليه أن هون على أمتي، فرد إلي الثانية: أن أقرأ على حرفين، فرددت إليه أن هون على أمتي، فرد إلي الثالثة: أن أقرأه على سبعة أحرف، ولك بكل ردة رددتكها مسألة تسألنيها، فقلت: اللهم اغفر لأمتي اللهم اغفر لأمتي، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلي فيه الخلق كلهم حتى إبراهيم عليه السلام»[1].

(د) وأصرح من هذا ما رواه مسلم — أيضاً — عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ أنه حدثه، قال: «أقرأني جبريل عليه السلام على حرف، فراجعته، فلم أزل

[1] صحيح مسلم ج ٦ ص ١٠١.

أستزيده فيزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف ».

(ه) وفي مسلم أيضاً : حدثنا أحمد ابن عبد الله بن يونس حدثنا زهير حدثنا أبو إسحاق قال : رأيت رجلا سأل الأسود ابن يزيد - وهو يعلم القرآن في المسجد - فقال : كيف تقرأ هذه الآية : « فهل من مدكر » . أدالا أم ذالا ؟ قال : بل دالا . سمعت عبد الله بن مسعود يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول (مدكر) دالا .

ومثل هذا الحديث كثير ، كلها يسند القراءة إلى رسول الله ﷺ .

وهذا ما أجمعت عليه كلمة العلماء فيما بعد ومن ذلك :

(أ) قال ابن قتيبة - وهو الذي استند الكاتب في رأيه إلى بعض ما أخذه على بعض القراء - قال - بعد أن تدبر وجوه الخلاف في القراءات فوجدها سبعة أوجه (وكل هذه الحروف كلام الله تعالى) وقد أثبتنا كلمته فيما سبق .

(ب) وقال الامام بدر الدين الزركشي - وهو الذي اعتمد الكاتب بكلمة من كلماته - : (إن القراءات توقيفية ، وليست اختيارية ، خلافا لجماعة منهم الزمخشري . وقد انعقد الإجماع على صحة قراءة هؤلاء الأئمة ، وأنها سنة متبعة ، ولا مجال فيها للاجتهاد .

وإنما كان ذلك لأن القراءة سنة مروية عن النبي ﷺ ولا تكون القراءة بغير ما روى عنه[1] .

هكذا : (انعقد الإجماع) . (ولا مجال فيها للاجتهاد) .

(ح) نقل القرطبي عن كثير من العلماء كلمات في القراءات ، منها : (وقد أجمع المسلمون في هذه الأمصار على ما صح من هؤلاء الأئمة مما رووه ورأوه من القراءات ، وكتبوا في ذلك مصنفات فاستمر الإجماع على الصواب)[2] .

(د) ونقل عن (ابن عطية) المفسر الأندلسي المشهور قوله : (ومضت الأعصار والأمصار على قراءة السبعة ، وبها يصلى ، لأنها ثبتت بالإجماع ، وأما شاذ القراءات فلا يصلى به ، لأنه لم يجمع الناس عليه)[3] .

ومعنى الإجماع هنا أن الرواة نقلوا القراءة عن الرسول ، نقلها جماعة يؤمن

---

[1] البرهان ج ١ ص ٣٢١ ، ٣٢٢ .
[2] الجامع لأحكام القرن ج ١ ص ٤٠ .
[3] المرجع السابق .

تواطئهم على الكذب . ولم ينكر عليهم أحد من المسلمين ، فصار ذلك إجماعا .

وإذا كانت الصلاة جائزة بهذه القراءات السبع ، وهو عالم بخالف فيه ، فكيف يدعونا الكاتب إلى نبذها ؟ ويقول (أبو شامة) في (ملك) و (مالك) من سورة الفاتحة : إنى أصلى بهذه فى ركعة ، وبهذه فى ركعة .

(ه) ونقل القرطبى عن ابن عطية — أيضا قوله : (ولم تقع الإباحة فى قوله — عليه السلام — : « فاقرءوا ما تيسر منه » أن يكون كل واحد من الصحابة إذا أراد أن يبدل اللفظة من بعض هذه اللغات جعلها من تلقاء نفسه ، ولو كان هذا لذهب إعجاز القرآن ، وكان معرضا أن يبدل هذا وهذا حتى يكون غير الذى نزل من عند الله ، وإنما وقعت الإباحة فى الحروف السبعة للنبى — ﷺ — ليوسع بها على أمته ، فأقرأ مرة لأبى بما عارضه به جبريل ، ومرة لابن مسعود بما عارضه به أيضا » .

(و) روى عن حمزة أحد القراء السبعة — وكان أورع أهل زمانه — قال : ما قرأت حرفا من كتاب الله إلا بأثر .

فإذا لم يكن للصحابة — رضوان الله عليهم — أن يجتهدوا فى القراءة ، فكيف يجوز لعلماء متأخرين عن عهدهم مهما كان مبلغهم من العلم أن يجتهدوا ، وهم — بعد — ليسوا من أرباب اللغة الأصلاء فيها ؟

والكاتب يرى أن القراءات السبع هى الأحرف السبعة [1] ، فكل ما نقلناه مما يتعلق بالأحرف السبعة يلزمه فى القراءات السبع .

غير أن جمهرة العلماء يرون أن القراءات السبع ليست هى الأحرف السبعة ، وإنما ترجع القراءات إلى حرف واحد منها ، وهو الذى جمع عليه عثمان المصحف — كما ذكر القرطبى فى تفسيره — [2] ، وكما ذكره الطبرى فى (البيان) والمحاسبى فى (فهم السنن) .

وإذا اقتنع الكاتب بهذا الرأى وهو حق لزمه أن القراءات السبع موجودة كلها فى مصحف عثمان ، فلا تنسى له الدعوة إلى الاستغناء عنها بحجة أن مصحف عثمان يكفينا .

---

[١] الموسوعة القرآنية جـ ١ ص ٦٨ ، ٧٢

[٢] جـ ١ ص ٥٠

ومن عجب أن الكاتب نفسه ناقض نفسه في الجزء الرابع فذكر أولا: أن القراءات السبع هي الأحرف السبعة، وذكر ثانيا هذه العبارة المضطربة: (هذه القراءات السبع ليست هي الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، كما أنها ليست مجموع حرف واحد من هذه الأحرف السبعة، بل هي القراءات الثابتة عن هؤلاء الأئمة السبعة) جـ ٤ صـ ٢٥٢.

وقد تجاهل الكاتب - في هذا الموضع - أن مصحف عثمان لم يكن منقوطا ولا مشكولا، وأنه - على ذلك - يحتمل هذه القراءات، بخلاف المصحف الذي بين أيدينا الآن، فإنه منقوط ومشكول، فلا نستطيع أن نقتصر في القراءة على ما وافق هذا المصحف فقط بحالته هذه، لأننا - حينئذ - ننكر حقائق في النص القرآني، توفر العلماء، وبالغوا في نقلها عن السابقين الذين نقلوها عمن سبقهم حتى يتصل النقل بالصحابة الذين أخذوا عن رسول الله ﷺ، وقد بذل العلماء جهودا مشكورة في الحفاظ على هذه الحقائق ليصل إلينا النص القرآني الكريم كما أنزل.

وغلطة الكاتب - هنا - أنه اعتبر النقط الذي حدث في زمن الحجاج بن يوسف محددا للنص القرآني، وفي ذلك يقول: (في أيدينا للمصحف الإمام، هيأه لنا عثمان في الأولى، وزفه إلينا الحجاج في الثانية، وما كان هذان العملان إلا خطوتين: خطوة ومضت خطوة في سبيل الوحدة لكتاب الله تعالى، كما حفظه على لسان الحفظة من الصحابة والتابعين)[1].

وفي نفس الصفحة يقول: (ونحن اليوم في أيدينا هذا المصحف الإمام أقوم ما يكون ضبطا، وأصح ما يكون شكلا، فما أغنانا به عن كل قراءة لا يحملها رسمه، ولا يهدي إليها ضبطه، من تلك القراءات التي كانت وتلك حالها التي بسطناها لك). وكلمته: (ولا يهدي إليها ضبطه) هي التي ننكرها، ولا نعرف أن السابقين وقفوا عندها، والمصاحف العثمانية نفسها فيها بعض الاختلاف. ذكر ابن الجزري أن ابن عامر يقرأ (قالوا اتخذ الله ولدا) وقراءة غيره (وقالوا اتخذ الله ولدا) بزيادة الواو، وأن ذلك - أي حذف الواو - ثابت في المصحف الشامي، وقرأ ابن كثير: (تجري

[١] المصدر السابق جـ ١ ص ٢٢٢.

من تحتها الأنهار) وقراءة غيره (تجرى تحتها الأنهار) ، وقراءة ابن كثير ثابتة فى المصحف المكى .

وقد غاب عن الكاتب هنا حقائق :

١ — أن الحجاج حين أمر بنقط المصحف بعد سنة ٧٥ هـ كانت هذه القراءات قد انتشرت فى الآفاق ، وكان المقبول منها — كما سنذكره قريباً — هو ما وافق رسم المصحف العثمانى .

٢ — أن القراءتين مثلا — اللتين توافقان رسم المصحف قبل نقط الحجاج صحيحتان ، مثلا قول الله تعالى : (عذابى أصيب به من أشاء) بالشين المعجمة ، وقرىء (من أساء) بالسين المهملة ، قراءتان صحيحتان ، والثانية قراءة زيد بن على ، والحسن ، وطاووس ، وعمرو بن فايد ، فعلى ماذهب إليه الكاتب ينبغى أن نلفظ هذه القراءة ، وعلى ماحدده العلماء من أن القراءة تصح إذا وافقت رسم المصحف تكون صحيحة ، فأيهما نعتمد ؟

د. على العمارى

قال الله تعالى :

« آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه ، والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير »

(البقرة : ٢٨٥)

العلم والدين

«يظن بعض من لا خبرة لهم بالعلم أو بالدين الإسلامى أو بكليهما أن هذه العلوم المسماة بالعلوم الطبيعية - والتى يصح تسميتها بعلوم الفطرة - علوم مستحدثة وأنها غريبة عن الدين، وأن من الجائز وجود تناقض بين حقائقها وحقائقه.

لكن ظنهم هذا باطل: لأن هذه العلوم الطبيعية - هى فى الواقع - علوم إسلامية، لأنها - فى الواقع - علوم قرآنية فى موضوعها.. قرآنية فى طريقتها، بل قرآنية فى اسمها لأن مادة (علم) بهذا المعنى الطبيعى واردة فى القرآن.

فأما ورود مادة «علم» فى القرآن الكريم، بمعنى العلم الكونى الذى يسمى الآن بالعلم الطبيعى... فذلك نراه فى أكثر من آية:

ففى سورة الأنعام وردت آيات كثيرة موضوعها الحث على طلب هذا العلم بآيات الله فى الكون، منها قوله تعالى: «وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون».

كذلك وردت آيات فى سورة الروم نذكر منها قوله تعالى: «ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين».

وواضح من السياق أن المراد بالعلماء هم العالمون بالآيات وأسرار الخلق التى أودعها الله فيما أشارت إليه هذه الآيات الكريمة... هؤلاء العلماء إذا كانوا مؤمنين حملهم علمهم بأسرار الفطرة على خشية الله فاطر الفطرة، لأنهم يكونون بعلمهم أبصر بعظمة الله سبحانه وجلاله وقدرته المتجلية فى آيات صنعه.

وهذا فى الواقع هو الحكمة الكبرى التى من أجلها أمر الله الإنسان فى كثير من آيات القرآن بالنظر فيما خلق الله فى السموات والأرض من خلقه»؟

«سنن الله فى الكون»

للدكتور محمد أحمد الغمراوى

أنباء وآراء

● في المؤتمر الخامس لعلماء المسلمين المنعقد في القاهرة ٢٢ من ذي الحجة ١٣٨٩ ـ ٢٨ / ٢ / ١٩٧٠ ، قال الأستاذ عبد الغني الشيخ أحمد قاضي المحكمة العليا بالصومال ، ومندوب بلاده في المؤتمر :

إن المسلمين في البلاد غير العربية ينظرون إلى العرب نظرة تقديس ، وكل عربي يكتب كلمة منحرفة ضد الإسلام ، أو يقال من شأنه يحدث بذلك رد فعل سيء في البلاد الإسلامية غير العربية .

وأنتم أيها المسلمون العرب تستطيعون أن تميزوا بين الخبيث والطيب وتدركوا هذا وذاك ، أما القلة الواعية في البلاد الإسلامية غير العربية فإنها لا تستطيع أن تقاوم آثار الانحراف بسهولة فعلى المسلمين العرب ألا يتهاونوا في درء هذا الخطر .

● أصدرت الهلال عدداً خاصاً « بالقرآن » ورد فيه كلمات غريبة وعجيبة مما يجد القارىء في هذا المصدر ورداً بخصوصها ، من بين هذه الكلمات ما ورد ص ٧٦ :

« فالأنبياء شخصيات ضبابية » .

إنا نعلم أن الشخصية الضبابية هي الشخصية « السرابية » نسبة إلى كلمة (سراب) ، وتعني لدى علماء النفس : الشخصية الهشة التي لا تثبت للأحداث كما لا يثبت الضباب للشمس ، والأنبياء الكرام أثبت للأحداث من الجبال الشم والشمس والقمر .

● بمناسبة الدعوة إلى تجريد القرآن من رسم المصحف نذكر ما حدث في العام الماضي بمجلس العموم البريطاني ، ليدرك القارىء الفارق الشاسع بين هذه الحادثة ودعوى تجريد القرآن من رسم المصحف فقد تقدم بعض نواب الإنجليز بمشروع يدعو إلى حذف الحروف غير الدالة على نطق أو هجاء في الكلمة الإنجليزية ورفض المجلس المشروع بأغلبية ساحقة ، وأصر على أن يتولى الصغار حفظ الكلمات الإنجليزية وكتابتها كما توارثها آباؤهم .

اللغة الإنجليزية ليست لغة كتاب مقدس .

● قام فضيلة الإمام الأكبر دكتور محمد الفحام بزيارة الفيوم ـ ضمن برنامجه فى زيارة الأقاليم الذى بدأه فى العام الماضى وذلك صباح ١٣/١٢/١٩٧٠.

صحبه فى هذه الزيارة فضيلة الأستاذ الشيخ عبد العزيز عيسى وكيل الوزارة لشئون المعاهد الأزهرية، وفضيلة الأمين العام لمجلس الأزهر الأعلى الأستاذ الشيخ ثابت أبو المعالى، ومراقب تفتيش العلوم الشرعية والعربية الشيخ مصطفى عمارة، ومراقب عام المواد الثقافية بالأزهر، ومراقب عام الشئون المالية والإدارية بالمعاهد الأزهرية، وعدد من أجهزة الإعلام.

وكان فى استقبال فضيلته كبار المسئولين بمحافظة الفيوم يتقدمهم سيادة محافظ المدينة.

● زار فضيلة الإمام الأكبر المعهد الأزهرى بالفيوم، وطاف بحجرات الدراسة واستمع فضيلته لبعض دروس الفقه واللغة وناقش الطلاب فيها.

● أقيم حفل للأستاذ الأكبر بالفيوم وقد ضم السرادق جمعاً كبيراً من المواطنين وتحدث فى الحفل فضيلة الشيخ محمد أبو العلا مراقب التعليم الابتدائى، كذلك ألقى السيد المحافظ كلمة ضافية عن الأزهر ورسالته فى العالم الإسلامى ـ منشورة فى هذا الباب ـ ثم تحدث فضيلة الإمام الأكبر إلى مواطنى الفيوم عن رسالة الإسلام ومنهجه فى الإصلاح وبين أن الأمة لا تصلح إلا بما صلح به أولها، واختتم حديثه بقول الرسول ـ ﷺ ـ تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنتى.

● زار فضيلة الإمام الأكبر معالم مدينة الفيوم قبل عودته إلى القاهرة.

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر فى ١٥/١٢/١٩٧٠ وفد حجاج مسلمى ومسلمات تايلاند برئاسة الدكتور سليمان طيب كريمى والسيدة نورياساتين نائبة رئيسة جمعية النساء المسلمات ورئيسة قسم اليتامى بالجمعية.

ورحب الإمام الأكبر بالوفد وألقى فيه كلمة أثنى فيها على لقاء المسلمين على القرآن الكريم واللغة العربية، ودعا الوفد إلى تكرار زيارته عند عودته من الأراضى الحجازية ليستقبلهم حجاجا وحاجات.

● ألقى السيد دكتور سليمان طيب كريمى

كلمة حيا فيها فضيلة الإمام الأكبر وشكر له دعوتهم إلى لقاء ثان . ثم قال : لقد اتفقنا على ضرورة لقاء فضيلتكم لأننا نعتبر الأزهر أقدس مكان للمسلمين .

أهدى فضيلة الإمام المصاحف الشريفة لأعضاء الوفد .

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ الدكتور محمد محمد الفحام شيخ الأزهر سيادة الدكتور محمود فوزى رئيس الوزراء فى الجمهورية العربية المتحدة يوم الأربعاء ١٦ / ١٢ / ١٩٧٠ .

وكان فى استقبال سيادته فى مكتب الإمام الأكبر :

الدكتور عبد العزيز كامل وزير الأوقاف وشئون الأزهر .

كما كان فى استقباله فضيلة الأستاذ عبد العزيز عيسى وكيل الوزارة لشئون المعاهد الأزهرية والدكتور محمد بيصار وكيل الوزارة لشئون مجمع البحوث الإسلامية وفضيلة الشيخ ثابت أبو المعالى الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر .

وقد دامت المقابلة حوالى ٤٠ دقيقة وجرى البحث فى شئون الأزهر والأزهريين وفى شئون الإسلام والمسلمين .

● خطاب السيد محافظ الفيوم أمام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر :

السيد الدكتور الإمام الأكبر

يحملنى شعب الفيوم إليكم تحية طيبة ، وترحيبا من الأعماق ، ودعوات حارة .

وبعد : فإن سباق الأزهر حاليا مع متطلبات العصر ، ليملأ قلوبنا بالأمل فى عهد جديد نحس فيه إشراقة الدين فى كل نفس ، ونوازع الخير تغمر آفاقنا بفيض من نور .

لقد تعود بعض الناس خطأ أن يربطوا بين رسالة الأزهر قديما ، وبين الرجعية فى العلم ، والواقع أن علماء الأزهر كانوا سباقين إلى العلم الحديث ، فقد قال المرحوم العقاد عن كتاب (مناهج الألباب) لرفاعة الطهطاوى : « إنه يعتبر وثيقة رسمية من أهم الوثائق فى تاريخ التعليم بالجامع الأزهر ، لأنه يشتمل على ثبت صحيح بأسماء المؤلفات الكثيرة التى كانت تؤلف فى علوم الطب والرياضة والطبيعة وغيرها من العلوم الكونية . ويشتمل على أسماء مؤلفيها والعلماء الذين يدرسونها وطريقتهم فى تحصيلها ، ومن هذا الثبت الصحيح يتبين لنا أنها كانت تحيط بصفوة المعارف البشرية

وأنها كانت دراسات موسوعية جامعية ، من طراز مناهجها فى أنحاء العالم كلـه على عهدها .

ولقد كان رفاعة الطهطاوى ، الفتى الأزهرى ، إمام البعثة التعليمية فى فرنسا يعيش مع آخر تطورات الفكر السياسى والاجتماعى والاقتصادى فى أوربا ، ويتابع ما يكتبه فلاسفة الاشتراكية فى موضوع (فائض القيمة) ولقد أدلى برأيه فى عبارات قاطعة قائلا :

« إن القيمة فى الإنتاج لها مصدران : العمل ، وهو يأتى فى المقام الأول ، ورأس المال وهو يأتى فى المقام الثانى » .

ثم ترتفع نبرة رفاعة الطهطاوى ، فى التنديد باستغلال الملاك للفلاحين إلى درجة التحذير من القلق الاجتماعى ، الذى يتبلور فى ثورة الفلاحين .

أليست هذه بذور اشتراكيتنا ؟

وكان واضحا أن الأزهر ـ طوال حكم المماليك والأتراك ـ كان ملاذ المظلومين ونقطة تجمع أكثر حركات الاحتجاج على الظلم ، كما كان واضحا أن بعض كبار العلماء كانوا يقومون بدور واضح فى الحياة العامة .

لقد كان الشيخ الدردير الجماهير المتجمعة فى الأزهر للاحتجاج على أعمال النهب . .

وكذلك فعل الشيخ الشرقاوى فى أيام « مراد بك » حيث تزعم الجماهير ، وكان على رأسها الشيخ السادات ، وعمر مكرم والبكرى ، والأمير ... وذهبوا إلى الأمير المستبد وحضر القاضى ، فأملوا عليه وثيقة رسمية صادق عليها الباشا وختمها إبراهيم بك ، برفع المظالم وإبطال المكوس ، والتوبة ، وعدم العودة إلى ظلم الناس .

وقد اعتمدت ثورة القاهرة ضد الفرنسيين على جماهير الشعب بقيادة علماء الأزهر وحينما حاول نابليون أن يسترضى هذه الصفوة الممتازة ، فألف منهم وحدهم « الديوان » أى مجلس الوزراء برياسة الشيخ الشرقاوى . وإمعانا فى إرضائهم وقف فى أول اجتماع وقام بإلباس الشيخ الشرقاوى الطيلسان وشارة فرنسا الثلاثة الألوان فما كان من الشيخ إلا أن خلع الطيلسان والشارة ، وألقى بهما على الأرض متأففا وأدرك نابليون وهو الأريب أن كلمة الشعب هى العليا ، فابتلع الإهانة صاغرا ، هؤلاء العلماء أنفسهم هم الذين فرضهم الشعب فقام من بينهم عمر مكرم والشرقاوى

« بإلباس » محمد على « بـدلة » الوالى فى دار الحكمة .

ومن أهم عناصر هذا الموقف التاريخى أن العلماء حين بايعوه لم يفوضوا إليه السلطة المطلقة ، وإنما اختاروه واليا على حد تعبير الوثيقة « بشروطنا » وهذه الشروط التى اشترطها العلمـاء قادة الشعب هى كما نقلها الجبرتى : « ثم الأسرية الماهدة والمعاقدة على سيرة العدل وإقامة الأحكام والشرائع والإقــلاع عن المظالم وألا يفعل أمرا إلا بمشورة العلماء وأنه متى خالف الشروط عزلوه ،وقيمة هذا المحضر كما يرى مؤرخ فرنسى أنه يقرر أن الأمة مصدر السلطات .

والله تدفق هـذا الفيض النورانى إلى روح الإمام الشيخ « محمـد عبده » الذى يقول فيه أحد كبار المستشرقين الذين عاصروه « حين رأيته مقبلا على أحسست أنى أمام صورة إنسان برز من كتب الأنبياء .

لقد كان الأزهر ــ أيها السادة ــ منارة ارتفع فى مصر ، فيسطع ضوءها فى أقطار الأرض ، وقد تحصنت فيه اللغة العربية إبان العصر التركى الذى تبلبلت فيها الألسنة حتى لقد صدرت الجريدة الرسمية للدولة فى ذلك الوقت بلسان الترك .

وكنت فى بيئة الأزهـر الخصبة بذور لغتنا الفصحى ومدت لغة القرآن جذورها فى الكتاتيب والمساجـد والزوايا حتى انكشف الصقيع وعمرت القلوب بدفء القومية فأطل بعث جديد أزهر وأثمر .

إن القيم الدينية فى الأزهر عاشت إيجابية مع المجتمع وترجمت نفسها إلى ســلوك استعلى على الماديات،وكانت سطوة علماء الأزهر فى الحق فوق سطوة الملوك والأمراء هـؤلاء الذين كانوا يعنون لهم صاغرين وكأنما كان هؤلاء العلماء ترجمة عملية لقوله تعالى :

« بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه ، فإذا هو زاهق » .

ولم يكن فى صالح المستعمر وأذنابه من طلاب السلطة أن يحمل الأزهر مشعل الحضارة الحديثة ليجلو به ظلمات الجهالة وينير طريق الأمة وهو القلعة التى دارت فيه كواكب الشعب التى أضاءت طريقه إلى مقاومة مظالم المماليك والوقوف فى وجه الطاغية الكورسيكى ، والقضاء على حملة « فريزر » ومصاولة الطغيان فى كل حين وفى كل مكان .

وفى ثورة سنة ١٩١٩ تعانق الهلال والصليب فى قبـلة الأزهر بزعامة الفتى الأزهرى سعد زغلول - وانطلق رصاص الإنجليز ليسقط أوائل شهداء الثورة على عتبات الجامعة العريقة هاتفين: تحيا مصر يحيا الوطن ...

وفى عدوان ١٩٥٦ انطلق صوت الزعيم الخالد جمال عبد الناصر من فوق منبر الأزهر فحرك مشاعر الأمة وهز كيانهـا وأثار فى روحها صور الكفاح التى زلزلت أقدام الطغاة والمتجبرين واجتاح هـذا الصوت مشارق الأرض ومغاربها ليوقظ ضمائر العالم فى ذلك الحين وما أحوجنا اليوم إلى نفحة زكية من نفحات الدين تغسل وضر النفوس وتصقل الأرواح التى صدئت فأطلت منها عوامل ، لا تمكس القيم الإسلامية الرفيعة التى تقدس التضحية وتمجد الاستشهاد .

ما أحوجنا إلى مرآة نرى فيها صورة الأزهر فى الصين وجزر الفلبين وكيف كانت هذه الصورة ترجمة صادقة لآمال المسلمين فى الأزهر الذى تهوى إليه أفئدة أقطار استضاءت بضوء الإسلام .

ما أحوجنا إلى أن نزرع فى كل فناء من أفنية المحافظات والمراكز والقرى - غرسا زكيا من غراس الأزهر ، يصافح وجوهنا وقلوبنا بروح وريحان وجنة نعيم.

ما أحوجنا إلى أن نلمس الأثر العملى الإيجابى للتدين فى سلوك أبنائنا . . . إذاً لأصبحوا فى مقتبل أعمارهم صيحة مصلتة على الأعداء : « فظلت أعناقهم لها خاضعين » .

لقد كان للزعيم الخالد أثر واضح فى تطوير الجامعة الأزهرية لكى تسهم فى الخط الحضارى الصاعد ... ولا زلنا نطمع فى أن يتدارك أولو الأمر مناهج المرحلة العامة بالتطوير والإصلاح ، لتبرأ من الازدواج المرهق ، ولتستقبل عناصر قوية يعتمد عليها الأزهر فى رسالته السامية بمصر والعالم الإسلامى .

سيدى الدكتور الإمام الأكبر :

إن الأمة التى قلدتك مشيخة الأزهر ، وضعت فى يدك مقاليد السلطة الروحية لتنهج بها نهج سلفك العظيم ، الذين دخلوا بالأزهر والقيم الدينية من أوسع أبواب التاريخ .

حقق الله آمالنا فى غد أسمى ،

ونصر الأمة العربية على عدوها الغاشم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

على الخطيب

It should be within the reach of every stage of intellect and should be satisfying to it.

What type of path then will fulfil these conditions ? will the paths carved out by the followers of the different religions under the urge of exclusive groupism satisfy these conditions, or the way which the Qur'an designates as The Way, the straight way of God. Among, the different group formations, there is not one which does not present a bundle of empty beliefs and unintelligible puzzles or a long list of trying practices. We need not go into details here. Everyone knows what the vaunted beliefs, and practices of the followers of the different groupisms are ? And what their character is. The aim underlying them all is to present religion as a baffling riddle to the mind and as a trying excercise to the body. But the character of the Din is so open, so easy, so brief that the entire body of the beliefs and practices is summed up in but two terms viz. 'faith and righteous work'. Its beliefs do not baffle the mind : its practices do not tax the body. It is free from every form of meaningless subtlety. It is throughout a straight road. As the saying goes, its night is as bright as its day.

In short, the follower of the Qur'an is one who treads the Straight Path, the path not chalked out for any particular group or race or community or time, but the universal path of God's truth which has found expression everywhere and at all times and which transcends all geographical and national bounds.

(Continued from page 12)

Thus God speaks sometimes in the first person and sometimes in the third. He says "I" as well as "We" and "He" but never "They". It is a collection of revelation sent by occasion and this fact must be recalled to the beginner - and one should therefore read it again and again in order to better grasp the meaning. It has directions for everybody, every place and for all time.

The diction and style of the Qur'an are magnificent and appropriate to its Divine quality. Its recitation moves the spirit of even those who just listen to it, without understanding it. In passing, the Qura'n (cf. 17/88, 11/13, 2/23, 10/38) has by virtue of its claim of a Divine origine challenged men and jinn to to produce unitely even a few verses equal to those of the Qur'an. The challenge has remained unanswered to this day.

life as devised by God. On the other hand, it designates the evil consequences of an evil dead as 'divine displeasure', as it is the result of a going against the same law.

The fact is that no other term than "Straight Path" could have been chosen to signify the universal Din or the way of God that the Qur'an speaks of. You may chalk out any number of paths like to reach a particular destination, but the Straight Path will be but one, and it is by following it alone that you can complete your journey with safety. It is only the Straight Path which is called the royal road. Travellers coming from different directions, if they care to reach their common goal in time, shall all have to enter on this royal road as quickly as they can, and proceed on this road only to reach their goal. Else, they will get scattered. Similarly, says the Qur'an, the Straight Path in religion likewise can be only one and not several. It states that such a path was there from the very beginning. It is by proceeding along that path alone that every people in every country, at all times, have prospered. They are now going their own way. But they care to find out whither lies the so-much-sought-for goal, they will have to repair themselves to the Straight Path. For, this is the Straight Path easy to traverse, by no means uneven wide enough, and by which alone destination is reached. The Qur'an says :

« وأن هـذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السـبل فتفرق بكم عن سبيله ذلـكم وصاكم به لعلـكم تتقون ».

(الأعراف ١٥٣)

It means : "And (He commandeth you, saying) : This is My straight path, so follow it. Follow not other ways lest ye be parted from His way. This hath He ordained for you, that ye may ward of evil". (6 : 153)

From this it is clear that all those forces which cause divisions among mankind are not straight path : they are factors for disintegration. The path that lies away from these, the 'Sirat-al-Mustaqim' or the Straight Path, is the only path which aims to bring together the dispersed humanity and restore unity to them.

'Din' laid down by God is for the the guidance of man, it necessarily follows that like every other law of life fixed by God, it should by its very nature, be plain and clear enough. There should be no mystery about it, nor should it present a puzzle. It should be easy to conceive and easy to practise.

gone astray. The two types of people - the type whom God has rewarded and the type from whom reward is withheld - are here set side by side. The law of Nature is that compliance with truth brings its reward, and non-compliance brings its own style of recompense viz. the denial of reward. Those who fall under the second category are of two kinds. One is of those who have earned the displeasure of God; the other of those who have no claim to any reward. The former are those who have knowingly discarded the Straight Path and deserved divine dleasure. The latter are those who have wandered waywardly in iganorance of the of the Straight Path, and gained nothing.

The history of nations is replete with examples of both of the latter categories, of peoples who have not profitted by the Straight Path and suffered in consequence. One category is of these who once marched on the Straight Path and reaped all the resultant benefits, but a stage came in their course when knowingly they deviated from the Straight Path. The law of requital took its own cowrse and they had to go under. Similarly, there have been others, to whom the Straight Path was formally shown but who preferred darkness to light. They could not therefore enter upon the Straight Path and prosper.

Such is the eternal law of life. It does not alter for nations, as it does not alter for individuals. Everything has its own peculiarity about it, and produces its own peculiar effect. This is the law :

« سنة الله في الذين خلوا من قبل
ولن تجد لسنة الله تبديلا » (الأحزاب ٦٢)

It means : ' Such hath been the way of God with those who lived before them, and no change canst thou find in the way of God "
(33 : 62)

« سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا
ولا تجد لسنتنا تحويلا »
(الإسراء ٧٧)

It means : " (This was our) way with the Apostles we have already sent before thee, and in this our way, thou shalt find no change ".
(17 : 77)

This is why the Qura'n repeatedly draws attention to the success which attended all those people who chose to follow the Straight Path, and gives an account of the sufferings which those who discarded the Path necessarily brought upon themselves and draws a moral. It clearly points out that success was the result of what one did, and suffering was the result of what one did. It designates success as divine favour, as it is the result of conforming to the law of

THE QUR'AN LEADS HUMANITY TO THE PATH OF PROGRESS

By : Moulana Abul Kalam Azad

The path of progress and goodness is styled in the Qur'an as the "Straight Path". The urge to find the straight road and to walk thereon is inherent in human nature. It does not call for any extraordinary intellectual exertion to perceive it. The Qur'an therefore simply points to a well-known type of people who have taken to that road. The pointer presents concrete examples to one's view.

Whatever the age to which one may belong, or the community, one will not fail to notice that human society consists of two types of people,- the successful and the unsuccessful, the good and the wicked. So the easiest way to impress on one's mind what the path of succes in life is, it is enough to point to those who have followed it. Had the method of logical argumentation been adopted instead, few would have comprehended the truth without very trying mental exertion and even then would have agreed on no one definite view.

Whatever view one might take of what constitutes human progress, the straight road to it will always mean to every one that which promotes goodness in life and does not create disorder therein or cause injury to it. Some 400 years before Christ, Darius I had this transcribed on a state pilliar which is preserved till today :

"O man ! The order of Ahur Mazda is this ; Do not entertain the thought of committing wrong ; do not discard the Straight Path, abstain from sin". So the urge to tread the Straight Path is the urge to follow the path of rectitude and well being. Thes uccessful are only those who have followed the Straight Path.

And then this is the to be noted that the Straight Path has been defined not merely by what it actually is, but also by what it is not. The Straight Path is not the the Path, states the Qur'an, of those whom God has shown his disapprobation, nor of those who have

Qur'an has hundred and fourteen chapters, called surats, each of which has a number of verses, called ayats.

In Arabic "manzil" means a station after the days journey; surats means a walled enclosure, a room; and the root awa, from which the word Ayat is derived, means to go to bed. Station, room, bed, there are the three eliments of the journey of the traveller, spiritual or temporal. The traveller undertaking a long spiritual journey has to halt in a station after the day's journey, requires a room and a bed to take rest before the further march the next day in the eternal journey towards the Eternal and Limitless!

The Qur'an is addressed to all humanity, without distinction of race, region or time. Further, it seeks to guide man in all walks of life: spiritual, individual and collective. It contains directions for the conduct of the head of a state, as well as a simple commener, of the rich as well as of the poor, for peace as well as for war, for spiritual culture as for commere and material well being. The Qur'an seeks primarily to develop the personality of the individual: every being will be personally responsible to his creator.

For this purpose, the Qur'an not only gives commands, but also tries to convince. It appeals to the reason of man, and it relates stories, parables and metaphors. It describes the attributes of God, who is one, Creator of all, Knower, Powerful, capable of resuscitating us after death and taking account of our wordly behaviour, Just, Merciful, etc.

It contains also the mode of praising God, of pointing out which are the best prayers, what the duties of man are with regard to God, to his fellow-beings and to his ownself; this last because we do not belong to ourselves but to God, Who has deposited ourself with us. The Qur'an speaks of the best rules relating to social life, commerce, marriage, inheritance, penal law, international law, and so on.

But the Qur'an is not a Book in the ordinary sense; it is a collection of the words of God revealed from Him, during twenty-three years, to His messenger, sent among human beings. The Qur'an employs graphically the word 'King' for God, and 'Slave' for man; when the King desires to communicate a message to His slave He sends a messenger, and gives His instructions to his envoy; therefore there are certain things understood and implied; there are repetitions, and even changes of the forms of expression.

(Continued on page 16)

It is to be remembered however that it is in the original Arabic language that the text has come down to us, and there has been no need of retranslating into Arabic from some later translations.

A text in the original language, a codification under the auspices of the Prophet himself, a continued preservation by the simultaneous double controle of memory and writing, and this by a large number of individuals in every generation, and the absence of any variants in the text--these are some of remarkable features of the Qur'an, the Holy Book of the Muslims.

CONTENTS OF THE QUR'AN

As stated previously, the Muslims believe that the Qur'an is the Word of God, revealed to His messenger Muhammad. This messenger is only an intermediary for the reception and communication of the revelations; his role is neither of an auther nor of compiler. If the Prophet Muhammad sometimes ordered the suppression of certain verses, that was done merely on the basis of a new revelation coming to him from Almighty.

God is transcendent and beyond all physical perception of man; and it is through the medium of a celestial messenger, an angel, that God causes His Will and His Command to be revealed to His human messenger, for the sake of mankind. God is above all bounds of language.

We may in explanation employ the metaphor, that the prophets are bulbs, and the revelation the electric current; with the contact the current, the bulb gives a light according to its voltage and colour. The mother tongue of a Prophet is the colour of the bulb. The power of the bulb, the current and other things are determined by God Himself; the human factor is just an instrument of transmission, only an intermediary.

The Qur'an is, according to Islam, the word of God; and the Qur'an itself repeats again and again, that the believer must recite it day and night, whenever one can. The mystics have well explained that it is a travelling of man towards God by means and through the word of God, the word of God being the high road, even as the electric current is the road for the light, which joins the lamb w.h the power house. This is not an empty verbosity. In fact the Prophet Muhammad has strongly recommended that one should read the whole of the Qur'an once a week. This has lead to its division into seven parts called manzils. Further the

gradually disappeared, in the succeeding centurics; one of them is at present in the Topkapi Muesum of Istambul ; another incomplete one is now in Taskent. The Czarist government of Russia had published this latter with a facsimile reproduction; and we see that there is complete identity between these copies and the text otherwise in use. The same is true of other extant MSS. of the Qur'an both complete and fragmentary, dating from the first centuary of the Hijrah onwards.

The habit of learning by heart the text of the entire Qur'an dates from the time of the Prophet himself. The caliphs and other heads of Muslim States have always encouraged this habit. A happy coincidence has further reinforced the integrity of the text. In fact from the very beginning, Muslims have bean accustomed to read a work in the presence of its author or one of his authorised pupils, and obtain his permission of further transmission of the text established and corrected at the time of study and collation. Those who rected the Qur'an by heart or simply read the written text, also acted in the same manner.

The habit has continued down to our own day, with this remarkable feature that every master indicates in detail in the certificate given by him not only the fact that the rendering of his pupil was correct, but that it was in conformity with that which his master had learned from his own master, and that this last had affirmed that he in his turn had learnt it from his master, the chain mounting up to the Prophet.

The writer of these lires studied the Qur'an at Madinah with shaikh al-Qurra, Hasan ash-Shair, and the certificate he obtained notes, among other things, the chain of masters and masters of masters, and in the finel act how the master had studied simultaneously from Uthman, Ali Ibn Masud, Ubaiy Ibn kab and Zaid Ibn Thabith (all companions of the Prophet) and that all had taught exactly the same text.

The number of hafizes is now counted in the world by hundreds of thousands, and millions of copies of the text are found in all parts of the globe. And what deserves to be noted is that there is absolutely no difference between the memories of the Hafizes and the texts employed.

The original of the Qur'an was in Arabic ; and the same text is still in use. Translations have been made in all the important languaes of the world, more or less serviceable to those who do not know Arabic.

which in any way deviated from the text thus officially established.

It is conceivable that the great military conquests of the early Muslims persuaded some hypocritical spirits to proclaim their outward conversion to Islam, for material motives, and to try to do it harm in a clandestine manner. They could have fabricated versions of the Qur'an with interpolations. The crocedile tears shed at the order of the caliph 'Uthman', regarding the destruection af unauthenticated copies of the Qur'an, could have been only by such hypocrites.

It is reported that the Prophet sometimes abrogated certain verses that had been communicated to the people previously, and this was done on the strength of new Divine revelations. There were companions, who had learnt the first versions, were not aware of the later modifications, either because of death or of residence out side Medinah. These persons might have left copies to their posterity, which although authentic were yet outdated. Again, some Muslims had the habit of asking the prophet to explain certain terms employed in the holy text, and nothing these explanations on the margins of their copies of the Qur'an, in order not to forget them.

The copies made later, on the basis of these annotated texts could sometimes have caused confusion in the matter of the text and the gloss. In spite of the order of the Kaliph U hman to destroy the inexact texts, there existed in the 3rd and 4th cenuries of the Hijrah enough matter for compiling voluminous works on the "variants in the Qur'an". These have come down to us, and a close study shows that these variants were due either to glosses or mistakes of deciphering the old Arabic writing which neither possessed vowel signs nor distinguished between letters of close resemblance by means of points, as is done now.

Moreover, there existed different dialects in different regions, and the Prophet had allowed the Muslims of such regions to recite in accordance with their dialects, and even to replace the words which were beyond their ken by synonyms which they knew better. This was just an emergent measure af grace and clemency. By the time of Caliph Uthman, however public instruction had advanced enough and it was felt desirable that concessions should on more be tolerated lest the Divine text be affected and variants of reading take root.

The copies of the Qur'an sent by uthman to provincial centres

parts of the country. In quelling it, several people fell who knew the Qur'an by heart. The Caliph Abu Bakr felt the urgency of codifying the Qur'an and the task was accomplished a few months after the death of the Prophet.

During the last years of his life, the Prophet used to employ Zaid ibn Thabit as his chief amanuensis for taking dictation of the newly received revelations. Abu Bakr charged this same gentleman with the task of preparing a fair copy of the entire text in the form of a book. There were then in Madinah several hafizes (those who knew the whole Qur'an by heart) and Zaid was one. He had also attended the 'ardah akeerah' referred to above. The Caliph directed him to obtain two written copies of each portion of the text from among those which had been collated with the recitation of the Prophet himself, prior to its enclution in the corpus.

At the direction of the Caliph the people of Madinah brought to Zaid copies of the various fragments of the Qura'n which they possessed. The sources declaie authoritatively that only two verses were such as had a single documentary evidence and that the rest were supported by the production of numerous copies,

The fair copy thus prepared was called the Mushaf (bound leaves). It was kept in his own custody by the Kaliph Abu Bakr, and after him by successor Umar. In the meanwhile the study of the Qura'n was encouraged everywhere in the Muslim empire. Kaliph Umar felt the need sending authentic copies of the text to the prcvisscial centres, to avoid deviations.

One of his lieutenants having returned from far off Armenia reported that he had found conflicting copies of the Qur'an, and that there were sometimes even quarrels among the different teachers of the Book on this account. Uthman caused immediately the copy prepared for Abu Bakr to be entrusted to a commission, presided over by the above mentioned Zaid ibn Thabith, for preparing seven copies; he authorized them to revise the old spelling of necessary.

When the task was complited the Caliph caused a puplic reading of the new 'edition' before the experts present in the capital, from among the companions of the Prophet, and then sent these copies to different centres of the vast Islamic World, ordering that thence forward all copies should be based only on the authantic edition. He ordered the destruction of copies

be to promulgate the law of inheritance; it could not be that the penal law regarding theft, murder, or wine drinking for instance, should have been revealed at that moment. The revelations continued during the whole missionary life of Muhammad, thirteen years at Mecca and ten at Madinah. A revelation consisted sometimes of a whole chapter, short or long, and sometimes of only a few verses.

The nature of the revelations necessitated that the Prophet should repeat them constantly to his Companions and revise continually the form which the collections of fragments had to take. It is authoritatively known that the Prophet recited every year in the month of Ramadan, in the presence of the angele Gabriel, the portion of the Qur'an till then revealed, and that in the last year of his life, Gabriel asked him to recite the whole of it twice. The Prophet concluded thereupon that he was going soon to depart his life. Whatever the spiritual meaning of his angelic aid to the Prophet, his companions attended these public recitations (called ardah, and the celebrated last presentation : the ardah akeerah) and corrected their private copies of the Qur'an.

Thus the Prophet used to revise in the fasting month verses and chapters and put them in their proper sequence. This was necessary, because of the continuity of new revelations. Sometimes a whole chapter was revealed at a stretch, at others fragments of the same chapther came continually, and this posed no problems. The same was not the case if several chapters began simultaneously to be revealed in fragments (suwar dhawat al-adad of the historians).

In this last case one had perforce to note them provisionally and separately on handy materials, such as shoulder blades, palm leaves, slate-like stones, pieces of hides etc. and as soon as a chapter was entirely revealed, the secretaries classified these notes (nuallif-al Qur'an) under the personal supervision of the Prophet and made fair copy (ch. Tirmidhi, Ibn Hanbal, Ibn Kathir etc.).

It is also known, that the Prophet was in the habit of celebrating an additional service of worship during the fasting month, every night, sometimes even in congregation, in which he recited the Qur'an from the beginning to end, the task being completed in the course of the month. This service of Tarawih continues to be observed with great devotion to this our day.

When the Prophet breathed his last, arebellion was afoot in certain

HISTORY OF THE QUR'AN

By Dr. Muhammad Hamidullah

Qur'an literally means reading or recitation. While dictating this to his disciples, the Prophet assured them that it was the Divine revelation that had come to him. He did not dictate the whole at one stretch : the revelations came to him in fragments from time to time. As soon as he received one, used to communicate it to his disciples and ask them not only to learn it by heart-in order to recite it during the service of worship-but also to write it down and to multiply the copies.

On each such occasion, he indicated the precise place of the new revelation in the text of till-then--revealed Qur'an; his was not a chronological compilation. One cannot but admire too much, this precaution and care taken for accuracy, when one takes into consideration the standard of the culture of the Arabs of the time.

It is reasonable to believe that the earliest revelations received by the Prophet were not committed to writing immeadiately, for the simple reason that there were then no disciples or adherents. These early portions were neither long nor numerous. There was no risk that the Prophet would forget them, since he recited them of ten in his prayers and proselytising talks.

Some facts of history give us an idea of what happened. Umar is considered to be the fortieth person to embrace Islam. This refers to the year 5 of the Mission (8 before the Hijrah) Even at such an early date there existed written copies of certain chapters of the Qur'an, and has Ibn Hisham reports, it was due to the profound effects produced by the perusal of some such document that Umar embraced Islam.

We do not know precisely the time since when the practice of writing down the Qur'an began, yet there is little doubt that during the remaining eighteen years of the life of the Prophet, the number of the Muslims as also that of the copies of the sacred text went on increasing day by day. The Prophet received the revelations in fragments, it is but natural that the revealed text should have referred to the problems of the day.

It may be that one of his companions died ; the revelation would

« وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له
وأنصتوا لعلكم ترحمون » (الأعراف ٢٠٤)

It means : ' And when the Qura'n is recited, give ear to it and pay heed that ye may obtain mercy" — 7 : 204.

« إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله
وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم
إيمانا وعلى ربهم يتوكلون » (الأنفال ٢) .

It means : "They only are the (true) believers whose hearts feel fear when Allah is mentioned, and when the revelations of Allah are recited unto them they increase their faith, and who trust in their Lord " ; (8 : 2)

« أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب
أقفالها » . (محمد ٢٤)

It means : 'Will they then not meditate on the Qur'an, or are there locks on the hearts ? " (47 : 24)

With a view to understanding the significances of the Holy Qur'an we should remember the following points :

— The original text of the Qur'an is still preserved in all its original language word by word. Records of revelation and order of revelation of the Holy Qur'an were so faithfully made that even today one can say with precision the actual time and place of revelation of each verse.

— The Qur'an was received by its followers through authentic and successive transfer from generation to another in writing and by heart.

— The language of the Qur'an is in living Arabic so that it can be safely presumed that no interpolation or change is possible. The case is not so with regard to old and extince languages.

— The text of the Qur'an is not mixed with the traditions of the Prophet or with commentaries of the interpretors. So there is no fear of mixing the words of God with human interpretation. The Qur'an as a living miracle of Islam and the Prophet, has retained its purity without the least change, for the last one thousand and four hundred years :

«إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون»
(الحجر ٩)

It means : "Lo ! We even We, reveal the Reminder and lo ! We verily are its Guardian". (15 : 9).

« ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون . قرآناً عربياً غير ذى عوج لعلهم يتقون » .
(الزمر ٢٧ ، ٢٨)

It means : "And verily We have coined for mankind in this Qur'an all kinds of similitudes, that haply they may reflect; A Qur'an in Arabic, containing no crookedness, that haply they may ward off (evil)" (39 : 27—28).

The purpose of studying the Qur'an must be seeking knowledge and practical guidance in the aspects of life. The knowledge of Arabic language and literature is the key to the proper understanding and assimilation of the message of the Qur'an. But translations and commentaries of the Qur'an, which are now available in different languages, will help, only to acquire some general knowledge of this Divine Book. The true spirit of this eternal miracle of Islam may not be felt without complete knowledge of Arabic and the life of the Prophet who was the practical example and the interpretor of the Qur'an.

« وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون » .
(النحل ٤٤)

It means: "And We have revealed unto thee the Rememberance that thou mayst explain to mankind that which hath been revealed for them, and that haply they may reflect" — 16 : 44.

The Holy Qur'an is a composite whole and not a collection of unrelated fragments. Each word and each verse, each chapter must, there fore, be studied with reference to the whole. The whys and wherefores of selection and use of a particular word or expression for expressing a particular idea should be carefully ascertained and the greatest care and emphasis shorild be given to realise import of choice of Divine atributes. Each verse must be read with reference to its context and verses immeadiately preceding and following it without losing signifiiance of its sequence with its preceding and following verses. The Holy Qur'an is basically addressed to intelligent understanding and it invites man to look at every thing in the universe and to reflect upon it carefully. The knowledge of the Holy Qura'n is the highest knowledge and to acquire this a calm and quite surrounding, purity of faith and the highest concentration of the mind are necessary prerequisites. The following verses of the Qura'n give guidance to the purpose and the method of studying it :

chapter was revealed. The arrangement of the chapters and the order of the verses were made under the direction of the Prophet himself. All the chapters of the Qur'an had been recorded in writing before the death of the Prophet, and many Muslims had committed the whole Qur'an to memory in his life time.

The arrangement of chapters and parts and even putting notations and punctuations — as it now — was done under the direct guidance and supervision of the Prophet. During the Caliphate of the third Caliph Usman, when the copies of the text of the Holy Qur'an were made in different parts of the Caliphate, apprehending that there may be dispute as to the accuracy and authenticity of these copies, he collected all these copies, verified them and made several authenticated copies of the Holy Qur'an, based on Abu Bakr's (the first Caliph) collection and the testimony of those who had the whole Qur'an by heart, and distributed these copies in different parts of his Caliphate.

The original copies of Usman have been very carefully preserved and millions of copies are produced in all parts of the world exactly in the form and order of these copies, which is regarded as the arrangement of the Prophet himself. The Divine guarantee of preserving the purity of the Holy Qur'an has survived the test over fourteen hundred years and civilization has reached a stage when it can be safely presumed that no future interpolation is possible.

The Holly Qur'an is the last of all revealed Books from God to the guidance of mankind. Humanity has been receiving guidance from God directly, through revelation received by the prophets, since the birth of man on this earth. The office of Prophethood was made final with the complition of revelation of the Holy Qur'an. The Qur'an calls people to believe not only in the Prophethood of Muhammad (Peace be on him) and the revelation of the Qur'an but it enjoins the belief in previous revelations and prophets. Thus the belief in previous revelations and prophets is a fundamental of the Qur'anic Call. Being the last revealed Book, the Qur'an cantains Universal and Eternal truths previously revealed to mankind at various stages of its development.

It is the original source of Islamic theology, Jurisprudence, culture and civilization. The Qur'an has stressed the universality of Divine guidance and it intended to unite mankind, not to divide them :

Qur'an as the, Fitrat [فطرة] for Nature of God, the Qur'an says :

« فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ». (الروم ٣٠)

It means : " So set thy purpose for religion as a man by nature upright — the nature (framed) of Allah, in which He hath created man. There is no altering (the laws of) Allah's creation. That is the right religion, but most men know not". (30 : 30)

If any conflict between Qur'an and Nature appears, it is not because of the conflict is real but because human study of Nature and of the Holy Qur'an is not perfect. Some people try to interpret the Qur'an to adjust it with the human interpretation of Nature. They claim that the knowledge of man is final and unfailing. This attitude definitely indicates the weakness of faith in the revelation of God.

The Holy Qur'an directly revealed from the Creator of Fitrat, and Will of God made manifest in His Creation. So the Qur'an would lead to discoveries of the secrets of Nature and a careful study of Nature will help the proper interpretation and understanding of the Qur'an. Whenever any contradiction between human knowledge and the Holy Qur'an arises, the human interpretation of Nature must be rejected as mistaken. As human knowledge increases the Qur'an unfolds itself gradually like flower leaf.

Qur'an is the Divine Guidance to all mankind. The guidance is alike for all without distinction of race, time, place or colour. It calls this Universal guidance Islam. It means complete and unqualified submission to God. The entire teachings of the Qur'an is based on this Cardinal principle. The Qur'an is not only laid down the law of relation of man to God but it also regulated the proper relation between man and his fellow-beings. Besides the fundamental principles of faith and the practical devotions, Qur'an distinctly defined the rules of transactions, punishments, moralities and political, social and economical systems.

It has been revealed to prophet Muhammad (peace be on him) in parts at different times and occassions during a period of twenty-three years. The Qur'an was divided into thirty parts and One hundred and fourteen chapters. Sometimes a single verse, sometimes a few verses together and othertimes a complete

QUR'AN NUMBER

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER :

ABDUL RAHIM FUDA

Dhu'l-Qa'dah 1390 | ENGLISH SECTION | JANUARY 1971

The Holy Qur'an – Eternal Guidance Suited to All Times and Climes

By

A. M. Mohiaddin Alwaye

Qur'an correctly interprets life, guides humanity in the right path and keeps the tourch of progress burning ever - fresh and bright through all ages to come. When such a complete and well-formulated Divine constitution guarantees preservation of its original purity there will no longer be need for further revelation. The Holy Qur'an speaks clearly on this point in the following verses :

الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . (البقرة ١ ، ٢)

It means : "Alif, Lam. Mim. This is the Scripture whereof there is no doubt, a guidance unto those who ward off evil" (2 : 1 — 2)

« إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً » (الإسراء ٩) .

It means : "Lo ! this Qur'an guideth unto that which is straightest, and giveth tidings unto the believers who do good works that theirs will be a great reward" (17 : 9)

The Holy Qur'an is the first source of Islam and the fountain – head of its laws. It contains the fundamentals of the law of nature which governs man. The Qur'an and original nature are in perfect harmony because the true religion is defined in the clear verses of



مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
« بدل الاشتراك »
٥٠ قرشاً في الجمهورية العربية المتحدة
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

الجزء العاشر — السنة الثانية والأربعون — ذو الحجة سنة ١٣٩٠ هـ — فبراير سنة ١٩٧١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

وفد الله في أحب أرضه إليه

للأستاذ عبد الرحيم فوده

١ — ذكر ابن كثير في تفسيره أن ابراهيم عليه السلام لما أتم بناء البيت أمره الله أن يؤذن في الناس بالحج . وأخبره أنهم سيأتونه رجالا وعلى كل ضامر ، فقال يارب وماذا عسى أن يبلغ صوتي فيهم . ؟ فأجابه سبحانه : عليك أن تؤذن وعلى أن أبلغ صوتك من أشاء ، فقام على مكان مرتفع (قيل على مقامه ، وقيل على الحجر وقيل على الصفا ، وقيل على جبل أبي قبيس) ونادى : يا أيها الناس إن ربكم قد اتخذ بيتا فحجوه ، فيقال إن الجبال تواضعت حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض ، واسمع من في الأرحام والأصلاب ، وأجابه كل شيء سمعه من حجر ومدر وشجر ، ومن كتب الله أنه يحج إلى يوم القيامة . لبيك اللهم لبيك

٢ — ولا عجب أن يكون ذلك . وقدرة الله فوق الشك والتهم ، وقد سخر الجبال مع داود عليه السلام « يسبحن بالعشى والإشراق » وأخذ العهد على ذرية بني آدم في ظهور آبائهم قبل ظهورهم . كما يفهم من قوله تعالى : « وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ، أو تقولوا

إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون ».

٣ — وقد قيل إن ذلك تمثيل لبيان استجابة الفطر السليمة لدين الله الحق ، لأنه كما يقول الله: «فطرة الله التي فطر الناس عليها » ولكن هذا التأويل لا يشعر المؤمنون بالحاجة إليه ، لإيمانهم بالله ، وبأنه — جل شأنه — لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، وأنه كما يقول : « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ، ويعلم ما في البر والبحر ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ».

٤ — ولا شك أن الكعبة . أول بيت وضع لعبادة الله وحده في الأرض ، كما يقول الله : « إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين » وقد قرن الله بهذا البيت الأمن والخير والبركة كما يفهم من قوله : « فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » وأضافه الله إليه حيث قال : « وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود » وسماه البيت العتيق أي القديم الكريم ، وأضفى على مكانه وزمانه حجه الحرمة والجلال فكان الحرم . وكانت الأشهر الحرم . كما يفهم من قوله : « أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم » وقوله : « الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج » فهذه الأشهر من الأشهر الحرم التي يقول الله فيها : « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم ».

٥ — وليس في أرض الله الواسعة بقعة أو رقعة شهدت ما شهدته أرض هذا البيت وأرض ما حوله من ذكريات طاهرة زكية كذكرى ابراهيم وهو يدع زوجه وطفله حيث يقول : « ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » وذكرى زوجه هاجر وهي تسعى بين الصفا والمروة باحثة عن ماء تروي به طفلها وقد كاد يقتله الظمأ بين عينيها . ثم تعود بعد أن أعياها السعي والطلب لتجد رحمة الله قد تداركت ولدها بماء غزير يتفجر تحت قدميه من زمزم ، وذكرى إسماعيل وهو يتحلى بالصبر والإيمان

أمر الله كما أخبره أبوه إذ قال: «يابنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى». فقد قال «يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين» وشهدت منى أروع صورة للإسلام. وأعظم درس فى امتثال أمر الله والتضحية بأعز شىء - وهو الحياة - فى سبيل مرضاته، ثم كان من ثمرة ذلك أن أبقى الله إسماعيل. ووهب إبراهيم ولدا آخر هو إسحق. وجعل من هذين شجرة النبوة التى عطرت الوجود بنفحات السماء وأضاءت الأرض بنور الأنبياء.

٦ — لهذا — ولغيره مما لا يتسع المقام لذكره — وقف ﷺ يودع هذه الأرض قبل أن يغادرها إلى المدينة فقال: (والله إنك لأحب أرض الله إلى، وإنك لأحب أرض الله إلى الله، ولولا أن قومك أخرجونى منك ما خرجت) ولو لم يكن لها من شرف إلا شرف مولده بها، وجهاده فيها، وتنقله بين أرجائها ونواحيها، لعظم بذلك قدرها وذكرها وكانت أحب أرض الله إلى الله لأنها أحب أرضه إلى رسوله ومصطفاه.

٧ — وقد قال ﷺ: الحجاج والعمار وفد الله، إن دعوه أجابهم وإن استغفروه غفر لهم، والوفد فى اللغة الجماعة المختارة للتقدم فى لقاء ذوى الشأن فأى شرف أعلى وأجلى من شرف الحجاج والعمار، وهم يلبون نداء ربهم بحج بيته والطواف حوله ويجهدون فى أعمال الحج ومناسكه ومشاهده وقرباته، ما يذهب عن النفوس صدأها ويسمو بها إلى فطرتها السوية النقية التى يتألق فيها نور الفطرة ويشرق عليها نور الإسلام.

٨ — أيتها الوفود المحتشدة فى أحب أرض الله إلى الله وإلى رسوله. إن هذا البيت الذى تحجونه فى أرض عربية، والمساجد التى تشد إليها الرحال فى أرض عربية واللغة التى نزل بها القرآن وتحدث بها النبى لغة عربية، وأنتم تعرفون ما تتعرض له هذه المقدسات من أعداء الله وأعداء دينكم الذين يقول الله فيهم: «لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا» فاعرفوا واجبكم وانهضوا به، واذكروا قول الله: «لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون».

عبد الرحيم فوده

دراسات قرآنية :

الأعياد من طبائع الأمم

للأستاذ مصطفى الطير

« إنا أعطيناك الكوثر ، فصل لربك وانحر ، إن شانئك هو الأبتر » .

من طبائع الأمم أن تتخذ لها أعياداً تستريح فيها من متاعب الحياة وهمومها ، وتجدد نشاطها وتستعيد همتها وعزيمتها ، فتنطلق فيها على سجيتها في بهجة وانشراح ، متحللة من جميع الأعباء والتكاليف التي أرهقتها فكأنما هي واحة خضراء في صحراء الحياة ، يستريح فيها المكدود ، ويأوي إلى ظلها اللاغب المحرور .

ولما شرف الله أهل المدينة بالإسلام كان لهم عيدان ، النيروز والمهرجان ، فعيد النيروز أول يوم تتحول فيه الشمس إلى برج الحمل ، ويكون عادة في شهر برمهات ، وهو أول السنة الشمسية ، وعيد المهرجان أول يوم تتحول فيه الشمس إلى برج الميزان ، ويكون في شهر توت ، وهما يومان معتدلان في الحرارة والبرودة يستوي فيهما الليل والنهار .

وكانت أعيادهم قبل الإسلام مطبوعة بالطابع الجاهلي في بهجتهم وانشراحهم ، فلما قدم الرسول ﷺ إلى المدينة وعلم بعيديهم وعاداتهم فيهما ، قال لهم : « إن الله تبارك وتعالى أبدلكم بهما خيراً منهما يوم الفطر ويوم النحر » وألزمهم آداب الإسلام في العيد حتى لا يخرجوا في ابتهاجهم به إلى المجون العابث الذي يحل ما حرم الله ، وأهم آدابه وذروة سنامها بالنسبة للحجاج وغيرهم هو ما أمر الله به نبيه ﷺ في هذه السورة (سورة الكوثر) وقد أمره فيها بصلاة العيد أدبا مع الله وشكراً له على نعمه ، كما أمره بذبح الأضحية براً بالأسرة ، وتعاطفاً مع الأقارب والأصحاب والمحتاجين كما سنبينه في هذا المقال ، وما أمر به النبي ﷺ فأمته مأمورة به إلا ما اختص به ، وهذان الأدبان حكمهما عام لجميع المسلمين ، ولا بد من أن يقترن بهما سائر الآداب الإسلامية

المشروعة في الأعياد وغيرها من فعل الواجبات وترك المهمات ، ثم يباح بعد ذلك من ألوان المرح ما لا يخل بالمروءة ، ولا يخدش الكرامة .

ولا بأس بالغناء واستعمال بعض آلات اللهو فيه ، بشرط أن لا يحض ذلك على فتنة ، ولا يبيح محرما ، فقد روى الإمام أحمد في مسنده عن عائشة أنها قالت : « دخل علينا أبو بكر يوم عيد ، وعندنا جاريتان تذكران يوم بعاث يوم قتل فيه صناديد الأوس والخزرج ، فقال أبو بكر: عباد الله أمزمور الشيطان (قالها ثلاثا) فقال رسول الله ﷺ يا أبا بكر، إن لكل قوم عيداً ، وإن اليوم عيدنا » .

والجارية هي الأنثى قبل البلوغ ، كما أن الغلام هو الذكر قبل البلوغ ، وإحدى هاتين الجاريتين كانت لحسان بن ثابت ، ويوم بعاث هو يوم جدت فيه الحرب بين الأوس والخزرج في الجاهلية وكان النصر فيها للأوس .

وقد استمرت الحرب بينهما مائة وعشرين سنة قبل الإسلام ، ثم زالت بعد أن شرفها الله بالإسلام وفي ذلك يقول الله تعالى لنبيه ﷺ: « لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم » وبعاث اسم حصن للأوس .

وكانت هاتان الجاريتان تغنيان وتضربان بالدف ، كما في رواية أخرى لهذا الحديث ، والدف آلة مستديرة في شكل الغربال من غير (جلاجل) لها جلد رقيق يحدث الضرب عليه بعض النغم .

وقد دل الحديث على إباحة الغناء واستعمال الدف في العيد ، فقد أمر الرسول أبا بكر أن يترك الجاريتين تغنيان وتضربان بالدف ، كما صرح به في رواية أخرى لهذا الحديث ، وعلل أمره بأن لكل قوم عيداً ، وأن اليوم عيدنا ، وإذا كان الغناء مباحا في العيد فلا يجوز أن يكون منحرفا عن الآداب الإسلامية كما قدمنا .

(تشريع البر في الأعياد الإسلامية)

تمتاز الأعياد الإسلامية باقترانها بتشريعات تستهدف البر بالفقراء والمحتاجين والعطف على ذوي الأرحام والأرامل والأيتام ، فعيد الفطر يقترن بتشريع زكاة الفطر ، وعيد النحر يقترن بتشريع نحر الأضحية ، وكلاهما بر بالمعوزين والتوسعة عليهم في وقت أعده الله للفرح

والغبطة للجميع ، وقد تعطلت فيه الأعمال وموارد الأرزاق لسكانه ومن .

(الأضحية وأحكامها)

شرعت الأضحية في عيد النحر بسورة الكوثر وبعمل النبي ﷺ وقوله ، فأما عمله فهو ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس قال : والنص لمسلم « ضحى النبي صلى الله عليه وسلم بكبشين أملحين أقرنين ذبحهما بيده وسمى الله وكبر ، ووضع رجله على صفاحهما » زاد البخاري قول أنس « وأنا أضحي بكبشين » وروى الترمذي « أن النبي ﷺ أتى بكبش فذبحه بيده ، وقال بسم الله والله أكبر ، هذا عني وعمن لم يضح من أمتي » أي من غير القادرين ، إلى غير ذلك من الروايات

وأما قوله ﷺ فهو ما رواه الترمذي « أن النبي ﷺ قال « ما عمل ابن آدم من عمل يوم النحر أحب إليه من إهراق الدم ، إنها لتأتي يوم القيامة بقرونها وأشعارها وأظلافها وإن الدم ليقع بمكان من الله قبل أن يقع على الأرض ، فطيبوا بها نفساً » إلى غير ذلك من الأحاديث .

والأضحية كما قال الشافعي سنة على كل من وجد السبيل من المسلمين من أهل المدائن والقرى ، وأهل السفر والحضر ، والحاج بمنى وغيرهم ، ممن كان معه هدى ومن لم يكن معه هدى ا . هـ

وكونها سنة للحاج كغيره هو الثابت في الصحيح ، فقد روى البخاري ومسلم (أن النبي ﷺ ضحى في منى عن نسائه بالبقر) فقد كان النبي ﷺ حاجا مع زوجاته ، كما يصرح به الحديث ، ومع كونها سنة عند الشافعي فهي سنة كفاية في حق أهل البيت الواحد ، فإذا ضحى أحدهم حصلت سنة التضحية في حقهم ، وعلى هذا حمل ما روى (أن النبي ﷺ ضحى بكبشين قال : « اللهم تقبل من محمد وآل محمد » .

قال الرافعي : ويدل لكونها سنة كفاية أيضاً ما رواه مالك في الموطأ عن أبي أيوب الأنصاري قال : « كنا نضحي بالشاة الواحدة يذبحها الرجل عنه وعن أهل بيته ، ثم تباهى الناس بعد فصارت مباهاة » وبكونها سنة كفاية قال جمهور العلماء ، وممن قال به أبو بكر وعمر وابن عباس وبلال ومالك وأحمد وأبو يوسف وداود وغيرهم ، قال عكرمة : كان ابن عباس يبعثني يوم الأضحى بدرهمين اشترى له لحما ، ويقول : من لقيت فقل هذه أضحية

ابن عباس[١] . وقال أبو حنيفة والليث ابن سعد والأوزاعي : الأضحية واجبة على الموسر إلا الحاج بمنى ، وقال محمد بن الحسن هي واجبة على المقيم بالأمصار .

والمشهور عن أبي حنيفة أنه لم يوجبها إلا على مقيم يملك نصابا ، واحتج القائلون بوجوبها على الميسور بأحاديث لا تنهض دليلا على ما قالوا ، ولا مجال لذكرها ومناقشتها في هذا المقال واختلفوا هل الأضحية أفضل أم التصدق بثمنها ؟ فعلى الأول مالك وأصحابه وأحمد بن حنبل وغيرهم وبه قالت عائشة رضي الله عنها ، وعلى الثاني بلال والشعبي وأبو ثور وغيرهم ، روى عن بلال أنه قال ما أبالي أن لا أضحي إلا بديك ، ولأن أضعه في يتيم قد ترب (أي افتقر) أحب إلي من أن ضحي به .

(متى تذبح الأضحية) ؟

يدخل وقت ذبحها عند الشافعية إذا طلعت الشمس يوم العيد ، ومضى بعد طلوعها قدر ركعتين وخطبتين خفيفتين ومنهم من اعتبر زمن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان يقرأ في صلاته بعد الفاتحة في الركعة الأولى سورة (ق) وبعدها في الركعة الثانية سورة (اقتربت الساعة) وأما خطبته صلى الله عليه وسلم فقد كانت مخففة بلا خلاف .

وظاهر كلام صاحب الشامل أن من يعتبر الركعتين خفيفتين يكتفي بأقل ما يجزىء فيهما ، وحكى الرافعي عن بعض أهل العلم أنه يكفي مضي زمن يسع ركعتين بعد خروج وقت الكراهة ، ولا يعتبر الخطبتين . والذبح قبل الوقت المذكور لا تحصل به السنة . والذبيحة حينئذ لحم قدمه الذابح لأهله ، روى البراء رضي الله عنه قال « خطب رسول الله ﷺ يوم النحر بعد الصلاة فقال « من صلى صلاتنا هذه ونسك نسكنا فقد أصاب سنتنا ، ومن نسك قبل صلاتنا فتلك شاة لحم فليذبح مكانها رواه البخاري ومسلم فهذا قوله « فليذبح مكانها » .

فإن ذبح بعد الوقت أجزأه سواء أصلى الإمام وخطب أم لم يصل ولم يخطب وسواء أكان من أهل الأمصار أم من أهل القرى أو البوادي أو المسافرين ، وسواء أذبح الإمام أضحيته أم لم يذبح .

[١] يقصد ابن عباس من ذلك أن يبين للناس عمليا أنها ليست بواجبة ولذلك اشترى لحما من السوق بدلا من أن يذبح أضحية وأعلن ذلك للناس .

وقال أبو حنيفة يدخل وقتها فى حق أهل الأمصار إذا صلى الإمام وخطب ، فمن ذبح قبل ذلك لم يجزه . وما أهل القرى والبوادى فوقتها فى حقهم إذا طلع الفجر الثانى .

وقال مالك : لا يجوز ذبحها إلا بعد صلاة الإمام وخطبته وذبحه ، وقال أحمد لا يجوز قبل صلاة الإمام ، ويجوز بعدها قبل ذبح الإمام ، ويستوى عنده فى ذلك أهل القرى والأمصار ، ولكل دليله ، ولا مجال هنا لمناقشة الأدلة .

وأما آخر وقت الذبح فقد اتفق فيه ما روى عن الشافعى وأصحابه أنه آخر وقت يتسع له قبل غروب الشمس من اليوم الثالث أيام التشريق (أى رابع أيام العيد) لقوله ﷺ « كل أيام التشريق ذبح » ويجوز الذبح فى هذه المدة ليلا ونهارا ، لكنه يكره فى الليل كل ذبح ، وهو فى الأضحية أشد كراهة ، وقال مالك وأبو حنيفة وأحمد : يختص الذبح بيوم النحر ويومين بعده ، وأجاز أبو حنيفة الذبح ليلا فى هذه المدة مع الكراهة ، وهو الأصح عند أحمد وبه قال الجمهور ، وقال مالك : لا يجوز الذبح فيها ليلا ، بل تكون شاة لحم . تلك هى المذاهب المختلفة فى وقت ذبح الأضحية ، وليس هناك ما نع شرعا من الأخذ بأيسرها .

(ما يجزىء فى الأضحية) .

لا يجزىء فيها إلا النعم وهى الإبل والبقر والغنم ، ويدخل فى البقر الجواميس ويدخل فى الغنم الضأن والمعز ولا يجزىء فى الغنم إلا الجزع من الضأن وهو ما استكمل سنة على الأصح ، وقيل هو ما استكمل ستة أشهر وقيل ثمانية ، أما المعز فلا يجزىء فيها إلا الثنى ، وهو ماله سنتان ودخل فى الثالثة ، وقيل يكفى ما استكمل سنة ، وهو قول ضعيف .

ولا يجزىء فى الإبل إلا الثنى ، وهو فيها ما استكمل خمس سنين بدخوله فى السادسة ، ولا يجزىء فى البقر إلا الثنى وهو فيها ما استكمل سنتين بدخوله فى الثالثة وتجزىء كل من البدنة والبقرة عن سبعة ، والشاة عن واحد وحده أو معه أسرته ، وأجمع العلماء على استحباب السمينة .

ولا تجزىء ما فيها عيب ينقص اللحم ، فلا تجزىء العمياء ولا العوراء ولا العجفاء التى ذهب مخ ساقها من شدة هزالها ، فإن كان بها هزال ولم يذهب مخ ساقها أجزأت

ولا تجزىء مقطوعة الأذن كلها أو معظمها وتجزىء مشقوقتها أو المقطوع بعض يسير منها ، ولا تجزىء الجرباء وإن قل جربها ، ولا العرجاء إن اشتد عرجها بحيث يسبقها غيرها إلى الكلأ الطيب ، فيؤثر ذلك على نموها ، فإن كان قليلا لا يخلفها عن الماشية لم يضر ، ولا تجزىء المريضة مرضا يسبب هزالها وفساد لحمها .

ويجزىء الخصى لأن ما نقص من لحمه يعوض بالسمن ، وتجزىء المكوية والتى لا قرن لها ، وكذا مكسورة القرن ، ومكسورة بعض الأسنان ، أما ذاهبة الأسنان كلها بكسر أو سقوط ففى إجزائها وعدمه رأيان .

(ما يستحب فى نحرها)

يستحب أن يذبح المضحى بنفسه كما فعل الرسول ﷺ ، ويجوز أن يستنيب غيره ويستحب أن يكون النائب مسلما ، لأن ذبحها قربة ، فإن استناب يهوديا أو نصرانيا جاز لأنه تؤكل ذبيحته ، لكنه مكروه ، ويستحب أن يشهد الذبح إذا استناب .

ويستحب أن يحد السكين ويريح الذبيحة وأن يمر السكين بقوة وتحامل ذهابا وعودة وأن يستقبل الذابح القبلة ويوجه إليها الأضحية ، وأن يسمى الله تعالى ، فإن تركها حلت الذبيحة لكنه مكروه ، ويستحب أن يكبر مع التسمية ، وأن يقول : اللهم منك وإليك . تقبل منى .

وعند الحنفية أن التسمية شرط للإباحة عند التذكر دون النسيان ، وهو مذهب الجمهور ، والمالكية لهم رأيان : أحدهما الاستحباب كالشافعية ، والثانى : الوجوب كالحنفية .

(ما يصنع بلحم الأضحية)

يستحب لصاحب الأضحية المتطوع بها أن يأكل بعضها ويتصدق بالباقى وليس الأكل منها بواجب ، فلو تصدق بالجميع جاز ، وهذا مذهب الشافعية وعامة العلماء ومنهم المالكية والحنفية ، وقيل لا يجوز التصدق بالجميع ، بل يجب أكل شىء منها ولو يسيرا ، لظاهر قوله تعالى : « فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير » وهذا مذهب بعض السلف وبعض الشافعية ، والصحيح الأول ، ويستحب أن يأكل الثلث ويتصدق على الفقراء والمساكين بالثلث ، ويهدى الثلث إلى غيرهم .

واتفق الشافعية على أنه لو تصدق ببعضها

(البقية ص ٨٢٠)

مسئولية الإيمان

للأستاذ أبو الوفا المراغي

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال:

سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

« والذي نفسي بيده لولا أن رجالا من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عنى ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله ، والذي نفسي بيده لوددت أنى أقتل في سبيل الله ثم أحيا ، ثم أقتل ثم أحيا ، ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل » رواه البخاري .

أول بشائر نجاح الدعوات وأقوى أسبابه الإيمان بها والاستعداد لبذل كل ما يتطلبه ذلك النجاح . ولم يشهد التاريخ إيمان جماعة بدعوتهم كما شهد إيمان الجماعة الإسلامية الأولى بدعوتهم الإسلامية ، فقد آمنت تلك الجماعة بالدعوة إيمانا عميقا تغلغل في نفوسهم وسرى في دمائهم ، وخالط كل ذرة في أجسامهم وأخذ عليهم سمعهم وأبصارهم فهان عليهم كل شيء دونه ، ومن أجله ورخصت الأموال والأرواح والأوطان وكان القتال والقتل أعز أمانيهم يتسابقون إليه ويلتمسون له كل حيلة ويتشفعون إليه كل وسيلة .

ولقد كان هذا السلوك انعكاسا لمنهج صاحب الدعوة وقائدها وقبسا من روحه ﷺ ، فقد كان سلوكه بين القادة فريدا إذ كان قدوة لجنوده ، وكان فعله تصديقا لقوله ، فلم يكن قوالا خطيبا لدعوته فحسب بل كان خطيبا ومنفذا إذا أمر بالقتال كان أول المقاتلين وإذا عاهد كان أصدق الوفين وإذا أمر بالرحمة كان أرفق الراحمين .

وإذا أخذت العهد أو أعطيته
فجميع عهدك ذمة ووفاء
وإذا رحمت فأنت أم أو أب
هذان في الدنيا هما الرحماء

وكان أصحابه صورة منه ، يحرصون أن يحاكوه في تأييد الدعوة ويحاولون أن يعملوا كما يعمل ، وبخاصة في مواقف النضال ليشدوا أزره ويبلغوا ما عسى أن يبلغه من أجر .

وقد كان فيما وعد الله المقاتلين في سبيله من أجر إغراء بالجهاد وأى إغراء ؟ ! لقد بايعهم ربهم على أن لهم الجنة قاتلين أو مقتولين « ومن أوفى بعهده من الله » ؟

« إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » .

ومسئولية الإيمان بالدعوة وحرص المؤمنين على أن تبلغ غايتها ورغبتهم في الجهاد للنصر أو الاستشهاد كانوا يتوقون أن يخوضوا كل معركة ويشهدوا مع رسول الله كل موقعة ويألمون أن يقعدوا أو يتخلفوا إذا اضطرتهم ظروف الانتقال إلى ذلك وكانت أعينهم تفيض بالدمع حزنا على ذلك التخلف كما قص الله علينا في كتابه حيث قال :

«ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ، ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم، ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم ، قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون » .

وهؤلاء هم الذين عناهم الحديث بقوله ، «لولا أن رجالا من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت من سرية تغزو في سبيل الله»

يتحدث كثير من رجال الحرب عن الروح المعنوية ووسائل ترسيخها ودعمها في نفوس المحاربين ، فهل رأوا أو سمعوا مثل هذه الروح التي بعثها الإسلام في نفوس تلك الجماعة الإسلامية الأولى ؟ جماعة يحاول قائدهم أن يتهرب منهم حتى لا ينفروا معه إلى الميدان نزولا على ظروف الإمداد ، وهم يحاولون أن ينفروا معه ويتحسسون أن يعرفوا متى يخرج ليخرجوا معه .

إنها تعبئة إيمانية سرت إليهم من روح قائدهم فمست شغاف قلوبهم وأوقدت في نفوسهم نار الحماس والغيرة والإخلاص .

لقد سمعوا قائدهم يقول وهم يعلمون صدق ما يقول : (لولا أن يغضب أصحابي من التخلف لتعذر المتقي حيث لا يجدون ما يحملهم لخرجت في كل معركة) ويسمعونه يتمنى أن يقتل ثم يحيا مرارا ليتضاعف ثوابه ويزداد رضا الله عنه حيث يقول مقسما : « والذي نفسي بيده وددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل » فما بالهم لا يتفجرون حمية وعزما وإقداما ، لقد عبأهم القرآن بما وعد وعبأهم الرسول بما قال وبما فعل تعبئة إيمانية روحية

تقتحم الأهوال وتستهين بالخطوب وجعلت الموت أغلى أمانيهم وأعز غاياتهم .

وفي الحديث لطيفة يحسن أن ننبه إليها وهي أن النبي ﷺ ختم أمنياته بتمني القتل ولم يختمها بتمني الحياة حيث قال في آخر الحديث : ثم أقتل ولم يقل ثم أحيا ولعل ذلك للإشارة بأن الحياة عنده لاوزن لها ولا ينبغي أن تكون من أماني المسلم ، وإنما القتل في سبيل الله هو الأمنية الغالية التي يتمنى المؤمن أن يختتم بها حياته .

بهذه التعبئة الإيمانية الروحية التي تسترخص الحياة وتستعذب الموت كان الجندي المؤمن في نظر الإسلام يعدل في القتال عشرة من جنود الأعداء وفي أدنى الأحوال يعدل اثنين منهم كما قال تعالى :

« يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون ، الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين » .

فليقرأ شبابنا هذه الصفحات عسى أن يكون فيها نور تستهدي به أبصارهم وبصائرهم ويستعيدوا مجد أسلافهم ففيها توعية إيمانية دونها كل توعية وتنبيه ؟

أبو الوفا المراغي

(بقية المنشور على ص ٨١٧)

إلى مسكين واحد لحصلت السنة بذلك ، ولا بد من إعطاء اللحم نيئا ، فلا يكفي عندهم إعطاؤه مطبوخا .

وأجاز بعض العلماء أن يأكل المضحي جميع أضحيته ولا يعطي منها شيئا للفقراء وقال إن الثواب يحصل بإراقة الدم وهذا قول ضعيف لا يتناسب مع حكمة مشروعية الأضحية ، فإنه لا يليق بالإسلام أن يشرعها من أجل إراقة دمها فحسب ، والصحيح ما قاله الجمهور من لزوم التصدق بشيء منها لتحصل سنة الأضحية ، فلو أكل الجميع لزمه ضمان بعضها ، وحدده بعض العلماء بالنصف ، وحدده البعض الآخر بالثلث ، فعليه أن يشتري بقيمته لحما يتصدق به ، وقيل يتصدق بثمنه دراهم ، فإن كانت الأضحية منذورة فلا يحل له أكل شيء منها بلا خلاف . فلو أكل غرم قيمة ما أكله للفقراء على نحو ما ذكرنا ، والله تعالى أعلم ؟

مصطفى محمد الأمير

من هدى السنة :

يوم النحر يوم الحج الأكبر

لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد أبو شهبة

روى الشيخان في صحيحيهما بسندهما عن ابن شهاب ، عن حميد بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة قال :

« بعثني أبو بكر الصديق في الحجة التي أمره عليها رسول الله ﷺ قبل حجة الوداع في رهط يؤذنون في الناس يوم النحر : لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان » . قال ابن شهاب : فكان حميد بن عبد الرحمن يقول : « يوم النحر يوم الحج الأكبر من أجل حديث أبي هريرة » .

تخريج الحديث :

خرج هذا الحديث الإمام البخاري في صحيحه (كتاب التفسير – سورة براءة – باب قوله : « وأذان من الله ورسوله » . إلى قوله : المشركين) .

وخرجه الإمام مسلم في صحيحه (كتاب الحج – باب لا يحج البيت مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ، وبيان الحج الأكبر) .

« الشرح والبيان »

« أبو هريرة – رضي الله عنه – »

تقدمت ترجمته :

قال : « بعثني أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – في الحجة التي أمره عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حجة الوداع في رهط يؤذنون في الناس يوم النحر » .

المفردات : أمره : بفتح الهمزة وتشديد الميم أي جعله أميرا ، الرهط : الجماعة من الثلاثة إلى العشرة . يؤذنون في الناس : أي يعلمونهم بما سيأتي في الحديث ، مأخوذ من التأذين وهو الإعلام ، قال تعالى لخليله إبراهيم عليه الصلاة السلام « وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا » ، ومنه قوله تعالى : « وأذان من الله

ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر » أى إعلام ...

وكانت حجة الصديق أبى بكر رضى الله عنه سنة تسع من الهجرة اتفاقا ، والصحيح أنها كانت فى شهر ذى الحجة من هذا العام بدليل هذا الحديث وغيره من الأحاديث ، لا فى شهر ذى القعدة كما قيل .

وفى الحديث إجمال بينته الروايات الأخرى ، وهاهو ذا تفصيل ذلك كى يتضح للمراد ، ذلك أنه لما انصرف رسول الله ﷺ من تبوك وهى آخر غزوة غزاها أراد الحج ثم قال : « إنه يحضر البيت عراة مشركون يطوفون بالبيت فلا أحب أن أحج حتى لا يكون ذلك » ، فأرسل أبا بكر أميراً على الحج سنة تسع وبعث معه نحو أربعين آية من صدر سورة (براءة) ليقرأها على أهل الموسم .

فلما خرج دعا النبى ﷺ عليا وقال : « أخرج بهذه الآيات من صدر سورة براءة فأذن بها فى الناس إذا اجتمعوا » فخرج على رضى الله عنه ، على ناقة رسول الله ﷺ عليه وسلم «العضباء» حتى أدرك أبا بكر الصديق بـ (ذى الحليفة) فقال له أبو بكر لما رآه : أمير أم مأمور ؟ فقال : بل مأمور ، ثم سارا معا ، فأقام أبو بكر الناس الحج على منازلهم التى كانوا عليها فى الجاهلية ، وقد خطب الصديق قبل التروية معلما الناس مناسكهم ، ثم خطب يوم عرفة ، ويوم النحر ، وكان كلما خطب الصديق قام سيدنا على فقرأ على الناس صدر سورة براءة ، ثم ينادى فى الناس بهذين الأمرين المذكورين فى هذا الحديث وأمرين آخرين كما سيأتى عن كثب ، فالصديق كان أميرا على الحج ، والإمام كان قارئا لصدر السورة ، ومبلغا للناس ما أمر به .

وهنا سؤال يرد على ذهن القارىء : إذا كان رسول الله ﷺ أمر أبا بكر على الحج عام تسع وعهد إليه بتبليغ ما فى صدر سورة براءة ، فلم عدل عن ذلك ووكل إلى على قراءة صدر السورة ، وتبليغ ما أمر بتبليغه للناس ؟ !

والجواب : أن صدر سورة براءة تضمن نقض العهود المطلقة غير المؤقتة بوقت ، أو التى مدتها دون أربعة أشهر فيما زاد عن الأربعة وتوثيقها فيما زاد عن الأربعة ، ولم يبدءوهم بما يخل بالعهد ، وكان العرب قد تعارفوا فيما بينهم فى عقد العهود ونقضها أن لا يتولى ذلك إلا سيد القبيلة أو رجل من رهطه ، فأراد رسول الله ﷺ

أن يقطع ألسنة العرب ويحول بينهم وبين النيل منه ، والتشويش عليه بسبب ما تعارفوا عليه ، فأرسل ابن عمه الهاشمي كي ينقض العهد حتى لا يدع لهم مجالا للتكلم فيه فهذا هو السبب . لا ما يزعمه بعض الرافضة وأضرابهم من أن ذلك كان لأن عليا أفضل من أبي بكر ، وأولى بالخلافة منه .

ولا أدري كيف يتفق ما زعموه وما ذكرته الروايات الموثوق بها من أن سيدنا عليا لم يكن أميراً بل كان مأمورا ، ويفصح عن السر في إرساله علي بعد الصديق ليقرأ على الناس صدر سورة براءة ما رواه الترمذي وحسنه ، وأحمد من حديث أنس رضي الله عنه ، قال : « بعث النبي ﷺ براءة مع أبي بكر ، ثم دعا عليا فأعطاه إياه ، وقال: لا ينبغي لأحد أن يبلغ هذا ! إلا رجل من أهلي » وفي رواية الطبراني : « أن جبريل عليه السلام هو الذي قال للنبي ﷺ إنه لن يؤديها عنك إلا أنت أو رجل منك » وفي تأمير الرسول الصديق على الناس في هذه الحجة ما يشير إلى أنه الأحق بالخلافة ، وليس هنا مقام الاستدلال على ذلك ، فلذلك مقام آخر .

« في رهط يؤذنون في الناس يوم النحر: لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان » وقد اقتصر هنا على هذا القدر من الأمور التي أعلم سيدنا علي ومعاونوه الناس بها ، وقد جاءت رواية الترمذي بأوفى من هذا ، فقد روى بسنده عن زيد بن يثيع قال : سألت عليا بأي شيء بعثت في الحج ؟ قال : بعثت بأربع ، أن لا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان بينه وبين النبي ﷺ عهد فهو إلى مدته ، ومن لم يكن له عهد فأجله أربعة أشهر ، ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ، ولا يجتمع المسلمون والمشركون بعد عامهم هذا » قال الترمذي: حديث حسن صحيح، وخرجه النسائي أيضا ، وفيه قال علي : « فكنت أنادي حتى صحل صوتي » (١)

وقد كان لعلي معاونون منهم أبو هريرة كما يدل على ذلك هذا الحديث ، وروى الإمام أحمد وغيره عن أبي هريرة قال : « كنت مع علي حين بعثه رسول الله ﷺ ببراءة إلى أهل مكة فكنت أنادي معه

(١) في القاموس: صحل صوته كفرح فهو أصحل ، وصحل بح أو احتد في بحح أو الصحل خشونة في الصدر وانشقاق في الصوت من غير أن يستقيم » .

بذلك حتى يصحل صوتى ، وكان ينادى قبل حتى يعيى »[1] .

وإنما لعلى الصديق فى أمرهم بمعاونته فى مثل هذا الموسم الحافل الذى يجتمع فيه الناس من كل فج يتعذر على أى فرد أن يقوم وحده بالتبليغ مهما أوتى من قوة .

« لا يحج بعد العام مشرك » أى بعد الزمان الذى وقع فيه الإعلام ، وقد كان فقد نفى المشركون من البيت ، وحج النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه حجة الوداع ، فلم يشاركهم فى حجهم أحد من المشركين ، وبذلك أكمل الله للنبى والمؤمنين الدين ، وأتم عليهم النعمة ، وهذا مأخوذ من قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ... »[2] .

وكان نزول هذه الآية سنة تسع ـ قبل الحج فى شوال ـ فى بضع وثلاثين آية من صدر سورة براءة ، وهى التى أمر النبى عليا بقراءتها على الناس .

والمراد من نجاسة المشركين النجاسة المعنوية ، وهى نجاسة المعتقد ، أو المراد أنهم لا يتنزهون عن النجاسات غالبا ، أو لا يغتسلون من الجنابات ، والمراد بالمسجد الحرام : الحرم كله ، وعلى هذا فلا يمكن مشرك ولا كافر من الدخول فى الحرم حتى لو جاء برسالة ، أو أمر مهم لا يمكن من الدخول ، بل يخرج إليه من يقضى إليه الأمر المتعلق به ، وإلى شمول النهى للحرم كله ذهب جمهور العلماء ، وحمل بعضهم النهى على المسجد الحرام خاصة دون الحرم ، ودون غيره من المساجد ، وبعضهم قال : المراد به عدم تمكينهم من أداء الحج أو العمرة « ولا يطوف بالبيت عريان » .

هذا وما قبله أسلوب خبر ، ولكن المراد به الأمر ، وهو أسلوب مستفيض فى اللغة العربية ، وقد ذكر ابن اسحاق فى سبب ذلك أن قريشا ابتدعت قبل الفيل ، أو بعده ، أن لا يطوف أحد ممن يقدم عليهم من غيرهم أول ما يطوف إلا فى ثياب أحدهم ، فإن لم يجد طاف عريانا ، فإن خالف وطاف بثيابه ألقاها إذا فرغ ، ثم لم ينتفع بها فلما جاء الإسلام هدم ذلك ، وزاد ابن كثير فى تفسيره[1] السبب توضيحا فقال : كانت العرب ما عدا قريشا لا يطوفون بالبيت فى ثيابهم التى عصوا الله فيها ، وكانت قريش يطوفون فى ثيابهم

[1] فتح البارى ج ٨ ص ٢٠٠ ـ ٢٠٧ .
[2] براءة ٢٨ .

[1] ج ٣ ص ٤٦٤ ط المنار .

ومن أعاره قرشي ثوبا طاف فيه ، ومن معه ثوب جـديد طاف فيه ، ثم يلقيه فلا يتملكه ، ومن لم يجد ثوبا جـديداً ، ولا أعاره قرشي طاف عريانا ، وربما كانت امرأة فتطوف عريانة ، فتجعل على سوأتها شيئا فيستترها ببعض الستر وتقول:

اليوم يبـدو بعضه أو كله
وما بدا منـه فلا أحـله

وأكثر ما كان النساء يطفن عرايا بالليل وقد قضى الإسلام على كل ذلك فلله الحمد والمنة « قال ابن شهاب » هو الإمام محمد ابن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري نسب إلى جد أبيه من خيار التابعين وأجمعهم للحديث ، وأعلمهم به ، وقد ساهم بحظ وافر في تدوين الحديث تدوينا عاما بأمر الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز وحميد: هو ابن عبد الرحمن بن عوف الزهري ، وكان يقول: يوم النحر يوم الحج الأكبر من أجل حديث أبي هريرة هذا .

وقد استنبط حميد هذا من قوله تعالى: « وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر ، أن الله بريء من المشركين ورسوله » ومن تأذين أبي هريرة وغيره بهذا النداء يوم النحر ، فبضم الآية إلى الحديث تخلص إلى أن المراد بيوم الحج الأكبر هـو يوم النحـر ، والصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ أعلم الناس بفهم المراد من كتاب الله تعالى ، ولولا أنهم فهموا أن المـراد بالحج الأكبر هـو يوم النحر لما أذنوا فيه . وجمهور العلماء من الصحابة فمن بعدهم على أن يوم الحج الأكبر هـو يوم النحر ، وهو مذهب مالك والشافعي في الصحيح عنه يدل على ذلك هذا الحديث ، ويدل عليه أيضاً الحديث الذي رواه البخاري في كتاب الجهاد عن أبي هريرة قال : بعثني أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ فيمن يؤذن يوم النحر بمنى . ويوم الحج الأكبر يوم النحر ، وإنما قيل الأكبر من أجل قـول الناس : الحج الأصغر فنبذ أبو بكر إلى الناس في ذلك العام فلم يحج عام حجة الوداع مشرك . وروى أبو داود عن ابن عمـر أن رسـول الله ﷺ وقف يوم النحر في الحجة التي حج فيها فقال : « أي يوم هـذا ؟ » فقالوا : يوم النحـر ، فقال : « هذا يوم الحج الأكبر » وأيضا ففيه الرمي ، والنحر ، والحلق ، والطواف .

وقيل : هو يوم عرفة ، روى هذا عن عمر ، وعثمان ، ومجاهد وغيرهم ، وهـو مذهب أبي حنيفة ، واحتج القـائلون بهذا الحـديث المشهور « الحج عرفة »

وأن يوم عرفة فيه الركن الذي لو فات الإنسان فقد فاته الحج، وقال الثوري وابن جريج: الحج الأكبر، أيام منى كلها، وهذا كما يقال: يوم صفين، ويوم بعاث فيراد باليوم الحين والزمان لا اليوم المعروف، وهو مذهب واسع.

هذا وإنما قيل الحج الأكبر للاحتراز من الحج الأصغر وهو العمرة، وقد استدل جمهور العلماء بالحديث على أن ستر العورة شرط في الطواف حول البيت.

« ما يؤخذ من الحديث من الأحكام والآداب ».

(١) فضل الصديق رضي الله تعالى عنه، وتكريم رسول الله ﷺ له بجعله أميراً على الناس في الحجة التي كانت ممهدة لحجة الوداع.

(٢) أدب الصحابة العالي بعضهم مع بعض، وشدة تواضعهم، ووقوفهم عند أمر الله ورسوله فهذا هو الصديق ـ رضي الله عنه ـ على جلالة قدره وصحبته لرسول الله، هذه الصحبة التي نوه بها القرآن الكريم، وأياديه البيضاء على الإسلام حتى قال الصادق المصدوق فيما صح عنه: « إن أمن الناس علي في ماله ونفسه أبو بكر » هذا الصديق يرى علياً قد لحق به فيقول له: أمير أم مأمور؟ فيسارع علي إلى قوله: بل مأمور، ويسير في الركب تحت إمرة شيخ الإسلام أبي بكر كغيره من الناس ولا عجب فكلاهما خريج التربية المحمدية، والمدرسة النبوية التي صهرت منهم علماء، حكماء، فقهاء، زهاد، أدباء.

(٣) إن تأمير أمير على الناس في الحج يهتدون بهديه، ويسيرون بسيره، ويعلمهم المناسك أمر مشروع، وإن الأمير ينبغي أن يكون عالما بالشرع بعامة، والحج ومناسكه بخاصة، عاملا بما يعلم، حتى يتحقق الغرض المقصود من تأميره.

(٤) حرمة دخول المشرك الحرم، وقد كان الشارع في هذا حكيما غاية الحكمة فالمشرك أو الكافر لا يؤمن إفساده الديني والدنيوي في الحرم، وإشاعته الفتنة بين الناس، ثم هو نجس، فكان الواجب إذاً منعه من دخول المكان المقدس الذي جعله الله حرما آمنا وجعل فيه الكعبة المشرفة، بيت الله، ورمز العبادة والتوحيد في الأرض.

(٥) أن يوم الحج الأكبر هو يوم النحر وأنه الرأي الذي عليه جمهور العلماء سلفاً وخلفاً وصلى الله تبارك وتعالى على نبينا وسيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

د. محمد محمد أبو شهبة

نظام الاقتصاد فى الإسلام

للدكتور على عبد الواحد وافى

أقام الإسلام بنيان نظامه الاقتصادى على ثلاث دعائم رئيسية تعمل متضافرة على تحقيق العدالة الاجتماعية واحترام حقوق الإنسان :

(الدعامة الأولى) تتمثل فى إقرار الملكية الفردية وحمايتها وحماية العمل الإنسانى ؛ ويرمى الإسلام من وراء ذلك إلى تشجيع الوازع الفردى وإعطاء كل فرد جزاء اجتهاده من ثمرات الحياة الدنيا .

(والدعامة الثانية) تتمثل فيما يفرضه الإسلام على حقوق الملكية الفردية من قيود وما يضعه على كاهل مالكها من واجبات ويرمى الإسلام من وراء ذلك إلى إقرار العدالة الاجتماعية والتوازن الاقتصادى ، وتقليل الفروق بين الطبقات وتقريبها بعضها من بعض ، واتقاء تضخم الثروات وتجمعها فى أيد قليلة ، وتجريد رأس المال من وسائل الجبروت والطغيان والسيطرة على شئون الحياة ، وضمان حياة إنسانية كريمة لأفراد الطبقات الكادحة فى المجتمع

ويدخل فى ذلك تقرير الإسلام لنظام الملكية الجماعية فى الأشياء الضرورية لجميع الناس ، وإباحة الإسلام نزع الملكية الفردية وجعلها ملكية جماعية إذا اقتضى ذلك الصالح العام وإباحة الإسلام لأولياء الأمور أن يتخذوا حيال الملكية الفردية ما يرونه كفيلا بتحقيق التوازن الاقتصادى بين طبقات المجتمع وأفراده ، وتنظيم الإسلام لدوام الملكية الفردية ، وتقييده لحرية التصرف فى هذه الملكية بما يحقق الصالح العام ويحول دون الإضرار بالآخرين ، وما يضعه على كاهل المالك الفردى من أعباء مالية يقدمها للدولة والمجتمع كالزكاة والخراج والضرائب والصدقات الموصية والكفارات .

(والدعامة الثالثة) تتمثل فى نظرية الإسلام فيما ينبغى أن تكون عليه العلاقات الاقتصادية بين الناس .

فالإسلام لا يقيم هذه العلاقات على

أسس نفعية مادية كما تفعل النظم الأخرى وإنما يقيمها على أسس إنسانية خلقية يتحقق بفضلها التكافل والتعاون والتحاب والتواد والتراحم بين الناس بعضهم مع بعض ، والتواصي بالبر والخير والعدل والإحسان ، واحترام الشخصية الإنسانية التي كرمها الله ، فينظر كل فرد إلى الآخر على أنه غاية لا على أنه وسيلة تستخدم لجلب المنفعة ، ويحب كل فرد لغيره ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه فالنظام الاقتصادي في الإسلام ، مع أنه يعالج ماديات الحياة ، يقيم هذه الماديات نفسها على أسس إنسانية خلقية كريمة .

ولعل هذا هو أهم ما يمتاز به النظام الاقتصادي في الإسلام عما عداه ، ويدخل في هذه الدعامة نظم التكافل والضمان الاجتماعي في الإسلام ، وتحريم الإسلام لطرائق الكسب غير السليم ، وترغيبه في التصدق على الفقراء ، وفي إنفاق ما زاد عن الحاجة في سبيل الصالح العام وسد حاجات المعوزين .

هذه نظرة مجملة في الدعائم التي يقيم عليها الإسلام النظام الاقتصادي ، وفي الأغراض الرئيسية التي يرمى إليها من وراء كل دعامة منها ، وفي أهم الوسائل التي اتخذها لتحقيق هذه الأغراض .

ويقتضينا توضيح هذا الإجمال أن نعرض لكل دعامة من هذه الدعائم على حدة ونتحدث عنها وعن أهدافها ووسائلها بشيء من التفصيل .

وسنقتصر في هذا المقال على الكلام على الدعامة الأولى، وهي إباحة الإسلام للملكية الفردية وحمايتها وحمايته للعمل الإنساني ، مرجئين الكلام على الدعائم الأخرى إلى مقالات تالية إن شاء الله .

* * *

يقر الإسلام الملكية الفردية، ويذلل أمام الفرد سبل التملك والحصول على المال بالطرق المشروعة ويعطى كل مجتهد جزاء اجتهاده من ثمرات الحياة الدنيا ، ويفسح المجال أمام المنافسة الشريفة، وبذلك يحقق تكافؤ الفرص بين الناس في هذه الميادين .

ولا يكتفى الإسلام بإقرار الملكية الفردية وتيسير سبل الحصول عليها ، بل يحيطها كذلك بسياج قوى من الحماية ، كما تدل على ذلك الحدود والعقوبات الدنيوية والأخروية التي يقررها لمختلف أنواع الاعتداء على الملكية كالسرقة وقطع الطريق والغصب ونقل حدود الأرض .

فتقرر الإسلام عقوبة قطع اليد في السرقة، قال تعالى: « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله ، والله عزيز حكيم » ، ولم يتشدد الرسول عليه الصلاة والسلام في تنفيذ حد تشدده في تنفيذ حد السرقة ، فقد جاءه - مرة أسامة بن زيد وكان من أحب الناس إليه - يشفع في فاطمة بنت الأسود المخزومية ، وكان قد وجب عليها حد السرقة لسرقتها قطيفة وحليا ، فأنكر الرسول عليه الصلاة والسلام شفاعة أسامة ، على حبه له ، وانتهره قائلا : « أتشفع في حد من حدود الله » ، ثم قام فخطب الناس فقال : « إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » .

صحيح أن عقوبة قطع اليد لا توقع إلا بشروط كثيرة يتعلق بعضها بعادة الشيء المسروق ، وبعضها بقيمته ، وبعضها بالمكان الذي سرق منه ، وبعضها بالسارق نفسه ، وبعضها بالمالك ، وبعضها بعلاقة أحدهما بالآخر وقرابته منه ، وبعضها بالشهود ... وهلم جرا . وصحيح أن هذه الشروط يندر توافرها ، وصحيح أنه لا توقع عقوبة القطع إلا حيث تنتفي جميع الشبهات ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « ادرءوا الحدود بالشبهات » ، ولكن سقوط القطع بعدم توافر الشروط أو لقيام شبهة ما لا يعفي السارق من العقوبة ، فالشريعة الإسلامية تقرر عقوبة التعزير في كل حالة يسقط فيها الحد متى ثبتت الجريمة ، والتعزير عقوبة يقدرها القاضي أو يقدرها القانون الذي يتواضع عليه وصورة تتفاوت شدتها بحسب درجات الجريمة ومبلغ خطرها ، وبحسب اختلاف المجرمين أنفسهم وما يكفي لردعهم ، ويكون بالحبس والجلد والتأنيب وما إلى ذلك .

وهذا كله في السرقة العادية أو ما يسميه فقهاء المسلمين بالسرقة الصغرى ، وأما قطع الطريق ، أو ما يسميه فقهاء المسلمين بالسرقة الكبرى أو الحرابة ، فعقوبته أشد من ذلك كثيراً ، وقد بينها القرآن الكريم إذ يقول : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ، ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم

فى الآخرة عذاب عظيم » ، ويستمد أبو حنيفة من هذه الآية عقوبة قطع الطريق فيقرر أن قطاع الطريق يحكم عليهم بالقتل أو الصلب أو كليهما معا إن قبض عليهم بعد أن سلبوا المال وقتلوا النفس ، وبالقتل فقط إن كانوا قد قتلوا النفس ولم يكونوا قد سلبوا مالا بعد ، وبقطع الأيدى والأرجل من خلاف بأن تقطع من كل واحد منهم يده اليمنى ورجله اليسرى إذا كانوا قد سلبوا المال فقط ، وبالحبس إذا كان القبض عليهم قد تم من قبل أن يقتلوا نفسا ولا يأخذوا مالا ، هذا إلى ما توعدهم الله به من عذاب عظيم فى الآخرة ، وتفسر المذاهب الأخرى هذه الآية على وجوه أخرى مبينة فى كتب الفقه ، ولكنها تتفق جميعا فى أن عقوبة قطع الطريق تكون فى جميع الأحوال أشد من عقوبة السرقة العادية .

وأما الغصب ونقل حدود الأرض فجترحها ملعون فى نظر الإسلام ومحروم من رحمة الله . وفى هذا يقول عليه الصلاة والسلام : « من غصب شبرا من أرض طوقه الله من سبع أرضين يوم القيامة » ، ويقول : « من اقتطع مال امرىء مسلم بغير حق لقى الله عز وجل وهو عليه غضبان » وتوجب الشريعة الإسلامية على الغاصب أن يرد الشىء المغصوب أو يرد قيمته إذا بدده أو أتلفه . فإن كان المغصوب أرضا فغرس فيها أو بنى ، قلع الغرس وهدم البناء وردت إلى صاحبها كما كانت ، ويوقع على الغاصب فى جميع الحالات عقوبة التعزير السابق بيانها .

وفى سبيل حماية الملكية الفردية يجيز الإسلام للمالك أن يدافع عن ماله بكل وسائل الدفاع ، حتى لو ألجأه ذلك إلى قتل المعتدى ، وفى هذه الحالة لا قود عليه ، وإذا قتل هو فإنه يموت شهيداً ، لقوله عليه السلام : « من مات دون ماله فهو شهيد » .

بل إن الإسلام لينهى عن مجرد النظر بعين نهمة إلى ملكية الغير ، وفى هذا يقول الله تعالى : « ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا »

* * *

ولما كان الإنتاج لا يتوقف على رأس المال الممثل فى الملكية فحسب ، بل يتوقف كذلك على العمل الإنسانى ، ولما كان فقراء الناس ودهماؤهم لا يملكون إلا قواهم الجسمية والعقلية ، وليس لهم من رءوس

الأموال إلا ما يستطيعون بذله من مجهود لذلك أحاط الإسلام العمل والمجهود الإنسانى بحماية لا تقل فى قوتها عن حمايته للملكية ورأس المال .

فالإسلام يحترم العمل أيا كان نوعه مادام داخلا فى نطاق الأعمال المشروعة ، ويحث عليه ، ويعلى من شأنه . قال تعالى: «هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه » ، ويأمر القرآن المؤمنين لصلاة الجمعة ألا يطول مكثهم فى المسجد وأن ينصرفوا إلى أعمالهم بعد انتهائهم من أداء الفريضة ، قال تعالى: « يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله » . بل لقد أجاز الإسلام مباشرة أعمال التجارة وما إليها فى أثناء أداء مناسك الحج ، قال تعالى : « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم ، فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام » . قال المفسرون فى تفسير هذه الآية إنها تحث على الأخذ بأسباب الرزق ومزاولة أعمال التجارة وما إليها فى مواطن الحج نفسها ومواسمه وقال عليه الصلاة والسلام : « ما أكل أحدكم طعاما قط خيراً من عمل يده »

وروى أن النبى عليه السلام لما أقبل من غزوة تبوك استقبله معاذ بن جبل فصافحه ، فأحس النبى ﷺ خشونة فى يده فقال له : « كنبت يداك يا معاذ » ، أى خشنت وغلظت . فقال معاذ : « نعم يا رسول الله لأنى أحترث بالمسحاة وأنفق منه على عيالى » أى أشتغل بالزراعة فى الأرض وأنفق من نتاجها على أسرتى ، وإلى هذا يرجع السبب فى خشونة يدى ، فقبله الرسول عليه الصلاة والسلام أو قبل يده وقال : « تلك يد يحبها الله ورسوله » أو قال : « تلك يد لا تمسها النار » . — وروى عن ابن عباس أن قوما قدموا على الرسول عليه الصلاة والسلام فقالوا : إن فلانا يصوم النهار ويقوم الليل ويكثر الذكر ، فقال عليه الصلاة والسلام : « أيكم يكفيه طعامه ؟ » فقالوا كلنا ، أى نتعاون جميعا على سد حاجته حتى يتفرغ لعبادته ، فقال عليه الصلاة والسلام : « كلكم خير منه » .

وعلى أساس هذه النظرة المقدسة للعمل

(البقية على صفحة ٨٣٧)

لا شائبة من الوثنية في مناسك الحج

لفضيلة الدكتور عز الدين علي السيد

لما رد الحارث المحاسبي على شبه المعتزلة لامه الإمام أحمد، فقال الحارث: الرد على البدعة فرض. فقال الإمام أحمد: نعم، ولكنك حكيت شبههم أولا، ثم أجبت عنها، فلم تأمن أن يطالع الشبهة من يعلق ذلك بفهمه ولا يلتفت إلى الجواب، أو ينظر إلى الجواب ولا يفهم كنهه.

والشبهة في موضوع اليوم يصورها هذا السؤال:

ألم يحرم الإسلام تعظيم الأوثان وعبادة الأصنام؟ فكيف بالحج ومشاعره يرتبط بأماكن وأبنية حسية يقصد إليها الناس من كل فج يطوفون ويتمسحون؟

والسؤال بهذه الشبهة الثائرة لا يخيفنا خوف الإمام أحمد بسط مسائل الاعتزال قبل الرد عليها؛ لأن الفارق كبير بين فلسفة للمعتزلة وقوة عارضتهم في التدليل والدفاع وبين سذاجة هذا السؤال وتداعي الوهم القائم به، ونحن إذ نكتب في هذا الموضوع لا نكتب مهتمين بالسؤال ذاته اهتماما بالغ المدى؛ لأنه لا خطر منه حتى على العامة من أصحاب العقيدة، وإنما نكتب فيه كموضوع لطيف يستعرض شيئا من طرف التاريخ، وآخر من فطرة البشرية، وثالثا من غاية الدين في قلوب المؤمنين.

ونبدأ فنقول: لا وثنية في الحج، وبهذا التعبير نفتتح طرفة التاريخ. فنسأل أولا: ما الوثنية؟

ونجيب فنقول: الوثنية عند الإطلاق يحتمل أن تكون مصدرا صناعيا من (الوثن) ومنه الإتصاف بها يحتمل أن تكون نسبة مؤنثة إلى (الوثن) وهي على الاحتمالين ذات أصل واحد كما يرى، و(الوثن) هو الصنم أو ما يشبهه. قال في اللسان: الصنم معروف، وأحد الأصنام، يقال: إنه معرب (شمن) وهو (الوثن) قال ابن سيده. وهو ينحت من خشب ويصاغ من فضة ونحاس والجمع أصنام، وقد تكرر في الحديث ذكر الصنم

والأصنام وهو ما اتخذ إلها من دون الله وقيل : هو ما كان له جسم أو صورة فإن لم يكن له جسم أو صورة فهو (وثن).

قال ابن عرفة : ما اتخذوه من آلهة فكان غير صورة فهو (وثن) فإذا كان له صورة فهو صنم.

وقيل : الفرق بين الوثن والصنم ، أن الوثن ما كان له جثة من خشب أو حجر أو فضة ينحت ويعبد ، والصنم الصورة بلا جثة ، ومن العرب من جعل الوثن المنصوب صنما.

وروى عن الحسن أنه قال : لم يكن حي من أحياء العرب إلا ولها صنم يعبدونها يسمونها أنثى بنى فلان ، ومنه قول الله عز وجل :

« إن يدعون من دونه إلا إناثا » والإناث كل شيء ليس فيه روح مثل الخشب والحجارة.

ومثل الأوثان والأصنام النصب أو الأنصاب ، قال صاحب اللسان : والنصب ما نصب فعبد من دون الله تعالى : وقال الفراء : كان النصب الآلهة التي كانت تعبد من أحجار . وقال ابن سيده : والأنصاب حجارة كانت حول الكعبة تنصب فيهل عليها ويذبح لغير الله تعالى . . وعليه قوله تعالى (والأنصاب والأزلام) وقوله : (وما ذبح على النصب) والأنصاب : الأوثان.

وحول هذه المعانى تدور كتب التفسير ومفردات الراغب الأصفهاني وغيرها.

فالوثنية على هذا هى اتخاذ الأوثان أو الأصنام أو النصب آلهة تعبد ، غير أن تاريخ الأديان يقسم عادة أنصارها إلى مفردين لا يعرفون غيرها إلها ، ومشركين يعبدونها مع الله ، وقد تناول ذلك الألوسى فى بلوغ الأرب ، وكتبة السيرة ، ناقلين عن كتاب الأصنام لابن الكلبي وحدثونا عن أصنام العرب وأوثانهم . وهى مختلفة الأسماء والأنواع والأماكن ، وأدلوا إلينا بالأسباب الأصيلة الباعثة على هذا التمثل للمعبود ، فنها ما يرجع إلى بداية التملق الحسى ، الذى هو أقرب إلى البشرية الناشئة فى أحضان المحسات ، لم تقو من بعد على النظر والتأمل والتجريد ، ومنها ما يعود إلى تعظيم الأماكن أو الأشخاص واستصحاب ما يعتقدون فيه البركة أو نشوة الذكرى من آثار معظماتهم عند النزوح عنها ، ومنها التقاليد الخالى من

النظر للآباء والعشائر ، ولقد كانت تظهر للذارقات الساخرة من هذه الجهالة حينا بعد حين في صورة لا تخلو من الطرافة .

من ذلك ما حكى ابن إسحق من (سعد) صنم بني ملكان ، وكان صخرة طويلة بفلاة من أرضهم ، أتى رجل منهم بإبل مؤبلة له ليقف عليه التماس بركته فيما يزعم ، فنفرت الإبل في شتى الجهات لما رأت من لون الدماء التي كانت تراق على (سعد) فغضب الرجل وأخذ حجرا فرماه به قائلا : لا بارك الله فيك نفرت على إبلي ، ثم خرج في طلبها حتى جمعها ، فلما اجتمعت له قال :

أتينا إلى سعد ليجمع شملنا
فشتتنا سعد فلا نحن من سعد
وهل سعد إلا صخرة بتنوفة
من الأرض لا تدعو لغي ولا رشد

ومعتقدي أن هذا أمر محتمل جدا من مثل هذا العربي فلا داعي إطلاقا لاتهام الخبر بالتلفيق ، وليس ببعيد عنا حديث البدوي الذي قال وهو منصرف بعد صلاته مع النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم أحدا غيرنا مما دعا النبي عليه السلام أن يعجب الصحابة من صلاته فيقول: أترون هذا أضل أم ناقته؟.

وبعد هذه الجولة حول الوثنية ومعرفة النسبة بين الوثن وصاحبه نعود إلى الطابع البشري في الإنسان .

والإنسان مجبول من الروح والمادة ، يعيش في حياته على غذائين متكاملين لروحه ومادته ، في أموره الدنيوية الخالصة وأموره الأخروية الخالصة، وذلك من التعادل الحكيم في صنع الله عز وجل فطعامه وشرابه الذان هما حق جسمه ومادته لا يعدم روحه معهما الإحساس بالمتعة و لا التداذ بالطعم والراحة بتجدد البنية ، والعبادة وهي خالصة لله والروح لا يعدم الجسم فيها حظه من المشاركة الفعالة صلاة كانت أو زكاة أو حجا

ولما كانت الروح من الله والمادة من الكون ، جعل الله للروح بذاته الكريمة أنسا ، وجعل للجسم بكونه المائل ارتباطا ، حتى في هذه العبادات، وضماً له حق طبيعته ، وتعادلا كاملا مع تركيبه ، فجعل له قبلة في الأرض وقبلة في السماء . أما قبلة روحه فيقول الله فيها : « فأينما تولوا فثم وجه الله » وأما قبلة جسمه فيقول فيها : « قد نرى

تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره » .

فالعبد حين يولى وجهه شطر المسجد الحرام يولى فى الوقت ذاته روحه قبل وجه الله .

ومن أجل ذلك كان الحج فى أماكن خصصها الله للمناسك ، يهجر من أجلها الأهل والمال والوطن ، وينفق فى سبيلها المال والعمر والجهد ، تلبية لأمر الله وامتثالا لطاعته ، كما كان المسجد فى أى بقعة من الأرض بيتا لله ، تمس أرضه الطاهرة أعضاء جسمه فتأخذ حظها من الأنس . بينما تخلص الروح إلى الله الحق الذى تتمثله تجاهها ناظراً إليها وهى تناجيه : « إياك نعبد وإياك نستعين » .

فنى الزمان والمكان المحدودين المخصصين لأداء العبادة لله جسم لهم العابد ، وأنس لروحه يعينه على التوجه والخشوع وحسن الإنابة ، إذ حين ينتشر المكان والزمان فى الكون كله ، لا تجد النفس هدى إلى غاية ، ويضطرب عليها أمر المعاش وأمر المعاد اضطرابا يدعها فى الشك والقلق ، ولو أن الله أطلق الفرائض فى الزمان والمكان — وتنزهت حكمته — لكان الإنسان إما عابداً على الإطلاق كالملائكة وذلك يستحيل فى حقه كإنسان بشر ، وإما جاحداً مطلقا كالشياطين مشغولا بأمر حياته عما يشغل فكرته ، وإما مبلبلا بالهم والكدر لا يعرف قياس ما أدى من واجب العقيدة وما ترك ، فلا يستطيع حساب نفسه ولا يدرك كنه إيمانه ، والله أجل أن يفترض دينا يرمى العباد بالهم والعنت .

الفرق بين الحق والباطل :

أما الفرق بين الوثنية التى حرمها الإسلام وبين الحق المبين فهو سافر مكشوف ، وإذ كان الأمر متعلقا بالحج فلننظر إلى أنشودته المثلى التى تصاحبه وهى التلبية ، بين ما كان يقال قبل الإسلام من أحسن الوثنيين عقيدة وما يقال فى الإسلام :

كانوا يلبون فيقولون : « لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ، إلا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك » فيوحدونه بالتلبية ثم يدخلون معه أصنامهم ويجعلون ملكها بيده ، وفى ذلك يقول الله فيهم : « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » .

أما المسلمون فيلبون : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » وهذا حديث ابن عمر أخرجه الستة . وآخر الحديث هذه العبارة : « لا يزيد على هذه الكلمات » .

ثم إن هذه الأماكن والبقاع التى ارتبط بها الحج ، قدسها الوثنى لذاتها أو إشراكا لها مع الله الحق ، لم يكلف ذلك ولم يؤمر به لما فى التكليف بها على هذا التوجه من العبث ، والحق منزه عن العبث ، أما المسلم فهو مأمور بتعظيمها والقصد إليها امتثالا لله وطاعة لما أمر . على وجه التبرى من اعتقاد الشركة ، والتنزه عما يخدش التوحيد الخالص للآمر المطاع - عز وجل - ولو وضع إنسان يده فى حرز غيره دون إذنه فأخذ ما لا يستحق الحد قطعت يده وسمى سارقا مجرما ، ولو حدث ذلك ذاته بأمر صاحب الحرز كان شريفا مطيعا ، فمعظم حرمات الله وشعائره طاعة للآمر وامتثالا للرب ، وحب أماكنه المقدسة التى أمر بحجها والوقوف عندها والطواف بها ، حب لله غير مشرك به ، لأنه أحبها لا لذاتها ولكن لرضا الله بطاعته فى حبها فرضا فرضه ، وقد سبقت الفروع فى الشريعة الإسلامية ومنها الحج أصول الشريعة ، وأصل أصلها التوحيد الخالص الذى يظل القرآن والرسول عليه السلام يردداته على وجوه شتى ، تحطيما للشرك فى أدنى صورة من صوره ، ولا قبول على الإطلاق لجميع الفروع المفروضة ممن جذب الشرك قلبه .

ولهذا فإن أداء تلك المناسك على هذا الوجه ، بدت حكمته لبعض القلوب أم لم تبد - يعد إيثاراً لله ، والتزاما بأمره ، تعبداً ينبغى التسليم به ، دون البحث الدقيق عن حكمته ، حتى لا يتشعب الفكر ويتطرق الشك ، وتعمى البصيرة ، والله يبتلى ببعض ما يتعبد به ، فلتكن عقيدتنا النجاح بالتسليم والتفويض فى مثله : « وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة ، وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ، ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا ، ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون ، وليقول الذين فى قلوبهم مرض ، والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا ؟ كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وما يعلم جنود ربك إلا هو ، وما هى إلا ذكرى للبشر » .

وإن من خير ما نختم به المقال فنوجز، قول الغزالي – أكرم الله مثواه: « فأما ترددات السعي ورمي الجمار وأمثال هذه الأعمال، فلا حظ للنفوس ولا أنس للطبع فيها، ولا اهتداء للعقل إلى معانيها، فلا يكون في الإقدام عليها باعث إلا الأمر المجرد وقصد الامتثال للأمر، من حيث إنه أمر واجب الاتباع فقط، وفيه عزل للعقل عن تصرفه، وصرف النفس والطبع عن محل أنسه، فإن كل ما أدرك العقل معناه مال الطبع إليه ميلا ما، فيكون ذلك الميل معينا للأمر وباعثا معه على الفعل، فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد، ولذلك قال ﷺ في الحج على الخصوص: لبيك بحجة حقا، تعبداً ورقا، ولم يقل ذلك في صلاة ولا غيرها، وإذا اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى ربط نجاة الخلق بأن تكون أعمالهم على خلاف هوى طباعهم وأن يكون زمامها بيد الشرع فيترددون في أعمالهم على سنن الانقياد وعلى مقتضى الاستعباد كان ما لا يهتدى إلى معانيه أبلغ أنواع التعبدات في تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطباع والأخلاق إلى مقتضى الاسترقاق، وإذا تفطنت لهذا فهمت أن تعجب النفوس من هذه الأفعال العجيبة مصدره الذهول عن أسرار التعبدات وهذا الأصل كاف في تفهم أصل الحج إن شاء الله، وهو الولي الحميد ».

د. عز الدين علي السيد

(بقية المنشور على ص ٨٣١)

يقدس الإسلام حق العامل في ملكية أجره، فهو يدعو إلى الوفاء به، وينذر من يجور عليه من أصحاب العمل بحرب وخصومة من الله.

قال عليه الصلاة والسلام: « قال الله عز وجل: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر؛ ورجل باع حرا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره ». وهو يدعو كذلك إلى التعجيل بأداء الأجر، وفي هذا يقول عليه الصلاة والسلام « أعطوا الأجير حقه قبل أن يجف عرقه ».

ويطبق الإسلام هذه المبادىء على جميع أنواع العمل المباح، سواء في ذلك الأعمال الجسمية والأعمال العقلية وأعمال التنظيم والإدارة.

د. علي عبد الواحد وافي

دراسات قرآنية :

الأسلوب القرآنى بين الجزالة والرقة

للدكتور محمد رجب البيومى

— ٣ —

وتشتد المأساة حين يؤخذ الظالم فيغل ، ليصلى الجحيم ويسلك فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً !! مشاهد قوية مؤثرة عضو لها المؤثر الرائع ، نطق بها التعبير القرآنى جزلا بفواصله ونظمه وتصويره ليحقق من وراء ذلك كله قضية البعث الأخروى التى قامت عليها الدعوى الإسلامية لتؤكد عدالة السماء فيما سيكون من ثواب وعقاب وحشر وميزان ضاربة المثل بما تورط فيه الكفرة من السابقين حين عصوا السماء فأخذتهم القارعة وأهلكوا بالريح الصرصر والطاغية ، ليكون منهم تذكرة للمتدبر وتعيها الأذن الواعية ! لك أن تقرأ هذا النص الكريم مرة ثانية لتجده يعطى أنموذج الجزالة البيانية فى معرضها الحقيقى حين تكون ملائمة لموضوعها الأدبى فتستمد قوتها لا من اللفظ الغريب أو المبتذل بل من روعة الموضوع وقوته وتماسكه حين يتكفل بعرضه بيان حى مصور ، يلج إلى الأعماق والمسارب ، ويأخذ بالمقول للمدركة بما يأتى به من فكر محكم ، وتصوير نابض ، ونغم رائق .

ولنا أن نترك الجزالة إلى الرقة لنقدم أنموذجها الأدبى من قول الله عز وجل فى سورة غافر :

« وقال فرعون ذرونى أقتل موسى وليدع ربه إنى أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر فى الأرض الفساد ، وقال موسى إنى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب ، وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله ، وقد جاءكم بالبينات من ربكم وإن يك كاذبا فعليه كذبه ، وإن يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم إن الله لا يهدى من هو مسرف كذاب ، يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا ، قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد ، وقال الذى آمن يا قوم إنى أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب ، مثل دأب قوم

نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد ، ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد ، يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد ، ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب ، الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله ، وعند الذين آمنوا ، كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار ، وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب ، أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا ، وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون إلا في تباب ، وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد ، يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار ، من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ، ويا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم ، وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار لا جرم أنما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وأن مردنا إلى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار ، فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد . فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب » .

يعرض هذا النص حواراً حادثاً في جلسة رسمية ، يقف فيها فرعون موقف الجريح الحائر ، بعد أن ظهرت نبوة موسى مؤيدة بالمعجزات الخارقة إذ آمن به السحرة مصدقين ، وكانوا عدة فرعون في تكذيبه ، فهو مضطر إلى الملاينة مع أنصاره بعيداً عن جبروته المتمثل في مثل قوله من قبل « لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين » وقوله مخاطبا السحرة « آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين » إنه يضطر إلى اصطناع الملاينة حتى بين حاشيته الخاصة فيقول متظلما « ذروني أقتل موسى وليدع ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد » متعللا بأنه يخاف أن تكون دعوة موسى فساداً في الأرض وإضلالا للناس ، وهذا دائماً

منطق الطغاة حين يلصقون مثالبهم بأعدائهم ظالمين مفترين! هذه الملاينة من جانب فرعون الطاغية تستدعي ملاينة مصرفة اللين من رجل مثالي يؤمن بموسى سراً في حاشية فرعون كاتماً إيمانه؛ ليقوم بدور إيجابي في إزاحة الفرعون تيهه، وهو حذر كل الحذر أن يجاهر بدينه فيؤخذ به مؤاخذة لا تنفع تيهه في شيء بل تزيد اللهيب اشتعالا في صدر فرعون حين يرى دعوة السماء تتسلل إلى أقرب الناس إليه في قصره ومن بين حاشيته وآله وخاصة ندمائه! إنه ليفكر في أسلوب ناعم سلس رقيق يجذب سامعيه إلى منطقه الصحيح فيتساءل في تلطف: «أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم» ثم يخاف أن يتهم بنصرة موسى فيعمد إلى الإبهام الحذر قائلا: «وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب» ولا شك أن منطق هذا المؤمن قد أوقع جماعة فرعون في حيرة؛ إذ يضمن لهم السلامة في كلتا الناحيتين، لأن موسى لو صدق لانتفعوا بصدقه ولو كذب لاختص بسوء العاقبة وحده، وكأن القوم قد بدءوا يفكرون في صواب هذا المنطق الدقيق فلم يجدوه برد يدفع وانتهز الرجل هذه الباهرة فعجل بقول آخر يؤيد به رأيه جانحاً إلى التودد الهادئ في قوله الملزم «يا قوم» — ثم يكررها فيما بعد لحكمة ظاهرة — «لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا»؟ وكأن القوم قد أخذوا يفكرون فيما يسمعون فخاف فرعون على سلطانه وعجل يقول في غيظ «ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد» وهو قول متخاذل لا يحمل حجة أو يدفع منطقا ولكنه يصدر عن جبروت متسلط يرى الانقياد التام لكافة ما يراه فيقول ما أريكم إلا ما أرى ثم يحذر أن يكون القوم قد مالوا لمنطق غريمه فيعجل بقوله المموه المتردد «وما أهديكم إلا سبيل الرشاد»؟ ولكن مؤمن آل فرعون يستمع إلى إجابة الطاغية فلا يجد فيها رداً منطقياً على قوله، فيسير في طريق الدفاع علانية متلطفا كدأبه، فينادي قائلا يا قومي ليشعرهم أنهم جماعته وذوو قرباه وأنه ليس غريبا عنهم فيغشهم النصح، بل قريب يمتنع أن يصله فيه هلاك! «يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب، مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم،

وما الله يريد ظلما للعباد » والاستشهاد بالتاريخ كان وما يزال موضع العبرة والإقناع فهو الماضى الحى كما يحلو للناس أن يقولوا دائما فى تأكيد دراسته وقد فطن هذا الناصح إلى أثر هذا الاستشهاد فأتى بالشاهد البعيد حين تحدث عن نوح وعاد وثمود، وجاء بالشاهد القريب حين تحدث عن يوسف الصديق ، وتاريخه جزء من تاريخ القوم فى مصر فهم به أدرى وأعلم، وذلك بعد أن فصل بين القريب والبعيد بما يحرك مكامن الشعور ويهيج سواكن الانفعال من التذكير باليوم الآخر وعقباه المنتظرة ذات الهول المصور فى قوله « وياقوم إنى أخاف عليكم يوم التناد ، يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم، ومن يضلل الله فماله من هاد» وكأن فرعون قد عدم الحجة المنطقية مع هذا الذى يصدر عن إقناع بصير واستشهاد منير ، فرأى أن يترك خطابه ويتوجه بالحديث إلى هامان متهكما أو ساخرا فى قوله « ياهامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الأسباب، أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإنى لأظنه كاذبا ، وكأن هذه المراوغة الزائفة حفزت هذا المؤمن الغيور إلى أن يلح فى نصحه، فصاح بالمجتمعين «ياقوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد ،ياقوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هى دار القرار، من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب » ثم رأى أن يكشف النقاب سافراً عن إيمانه بعد أن أعرضت عنه القلوب الغلف ،وأغمضت دونه العيون العمى،فقال فى نصح صارخ « وياقوم مالى أدعوكم إلى النجاة وتدعوننى إلى النار ، تدعوننى لأكفر بالله وأشرك به ماليس لى به علم ، وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار لاجرم أنما تدعوننى إليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة وأن مردنا إلى الله ، وأن المسرفين هم أصحاب النار ، فستذكرون ماأقول لكم وأفوض أمرى إلى الله إن الله بصير بالعباد » وطبيعى ألا يجد منطقه القوى الصريح ردا مقنعا يدفع القول بالقول بل وجد الغيظ يستكن فى الصدر ليدبر مؤامرة تعصف بهذا المارق العنيد ، «فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب ».

إن بعض المتحدثين عن الرقة فى الأسلوب الأدبى يظنونها لا تكون إلا فى وصف الأزهار والرياحين أو فى أحاديث الغزل

والحنين أو أبيات الرثاء والتأبين دون أن تتعدى ذلك إلى أساليب الحجاج و براهين النقاش، وقد فاتهم أن الرقة البيانية منحى إنسانى يصور عواطف التودد ونوازع اللاينة ، لا فى رسائل الشوق ، ومواقف العتاب فحسب ، بل فى كل موقف يجنح إلى الاستمالة العاطفية والإقناع العقلى معا ، وها هو ذا مؤمن آل فرعون قد صور القرآن جداله الهادىء فى آيات سلسة شفافة تمثل أجمل ما تنحسر عنه روائع الفن الأدبى فى أعلى مراقيه ؛ متخذا من أساليب التودد والاستعطاف وبراهين الاقناع والإلحام ما يصدر عن عاطفة هادئة يستقر ينبوعها الرائق فى صدر صاحبها كما تستقر صفحة الغدير الهادىء بعيدة عن هبات الريح ! فهنا تمثلت الرقة الأسلوبية تمثلا يتعاون على أدائه الفكر الواضح والتصوير اللائح والتعبير الوامض، وتلك هى عناصر الأسلوب الأدبى التى تتضح فى كل بيان جزل أورق ، صلب أولان .

وتسألنى أتجتمع الجزالة والسلاسة معا فى موضوع واحد ؟ فأقول لك: نعم وهذا ما حام حوله ابن الأثير دون أن يقع عليه إذ قال فى بعض ما سبق الاستشهاد به « ولست أعنى بالجزل من الألفاظ أن يكون وحشيا متوعرا ، عليه عنجهية البداوة بل أعنى بالجزل أن يكون متينا على عذوبته فى الفم ، ولذاذته فى السمع ، وكذلك لست أعنى بالرقيق أن يكون ركيكا سفسفا وإنما هو اللطيف الرقيق الحاشية الناعم الملمس » وهو قول نعلم منه أن الرجل قد حوم ولم يقع ، حوم حين قال « أن يكون متينا على عذوبته فى الفم، ولذاذته فى السمع » ولم يقع لأنه لم يقل أن الجزالة والرقة معا وليدة الموضوع المتحدث عنه ، وقد يكون من الموضوعات ما يتطلب الهدوء والانفعال معاً فى وقت واحد فيلزم كاتبه أن يصدق فى النقل عنه هدوءاً وانفعالا بحيث يرق ويلاس حين يلمس جانب الهدوء ويقوى ويجزل حين يصور حدة الانفعال وقد يكون الحديث عن هدوء الخاطر وحدة الانفعال مما يقال عن البشر إذا صدروا عن عواطفهم الذاتية ، أما كلام الله عز وجل فأعلى وأقدس من أن نرجع به إلى مقياس بشرى دون شك ، فنحن أنا نقول : إن المواقف التى يتعرض القرآن لتصويرها، منها المواقف الصاخبة التى تتطلب المواءمة فى التعبير عنها فتنحو منحى

الجزالة ومنها المواقف المشرقة الهادئة التي تتطلب المواءمة في التعبير عنها فتنحو منحى الرقة، وقد استشهد ابن الأثير على الجزل من الألفاظ بقول الله عز وجل :

« ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون ، ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون ، وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها ، وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ، قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها ، فبئس مثوى المتكبرين ، وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ، وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده ، وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين ، وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين » .

ثم عقب صاحب المثل السائر على النص القرآني بقوله :

« فتأمل هذه الآيات المتضمنة ذكر الحشر على تفاصيل أحواله ، وذكر الجنة والنار ، وانظر هل تجد فيها لفظة إلا وهي سهلة مستعذبة على ما بها من الجزالة » وإيضاح هذا الكلام كما أراه أن النص القرآني قد تضمن مواقف مختلفة منها العنيف الصارم مثل النفخ في الصور والصعق وسوق الكافرين زمراً إلى جهنم ومناقشة الخزنة واستحقاق الكافرين للعذاب ، ومن هذه المواقف المشرق السار مثل إشراق الأرض بنور ربها وسوق الذين اتقوا إلى الجنة زمراً وترحيب الخزنة بالقادمين وحمد الله إذ صدقهم وعده فأورثهم الجنة يتبوءون منها حيث يشاءون فنعم أجر العاملين فاقتضى هذا التنوع مزج الجزالة بالرقة على نحو تطرب إليه الأذواق .

وأظننا بعد هذه الأمثلة الثلاثة — في الحديث عن الجزالة والرقة — قد بلغنا بعض ما نريد من الإيضاح والتحديد في موضوع جد يحتاج مزيداً من الإيضاح والتحديد ؟

د . محمد رجب البيومي

دلالة القرآن على نفسه أنه من عند الله

للدكتور محمد أحمد الغمراوي

— ٦ —

رجع إلى دلالة الآيات الكونية فى القرآن الكريم

كنا بصدد تأمل بعض حكمة الله فى القصص القرآنى بعد ما مهدنا لذلك فى مقال عدد ذى القعدة حتى قرأنا مقال الأستاذ الدكتور على عبد الواحد وافى فى نفس العدد يحمل حملة نكراء على كل من حاول أو يحاول إظهار ما استكن فى كونيات القرآن من آيات الله فى الخلق وسنن فى الفطرة سبق إليها القرآن قبل أن يكشف عنها أو عن بعضها علماء الفطرة فى العصر الحديث فرأينا لزاما علينا أن نرجىء ما كنا بصدده وندفع هذه الغارة عن ميزة ميز الله بها كتابه الكريم وهى فى عصر العلم هذا أمضى سلاح وأظهر حجة فى أيدى من يفقهونها من الدعاة إلى دين الله ، وبخاصة فى دعوة من لا يعرفون العربية من البشر ومن لا يعركون الإعجاز البيانى من العرب.

والقرآن مخاطب به البشرية فى كل عصر ، وإلى قصر المسلمون فى تبليغه الناس ، فالذى يمنع من تفسير الآيات الكونية القرآنية تفسيراً صحيحاً طبق حقائق العلم من غير خروج عن قواعد اللغة ولا على معانى ألفاظها عند أهلها . إنما يسلب الدعوة إلى الله وإلى القرآن — أراد أو لم يرد — أمضى أسلحتها وأوضح حججها ، وأجدرها أن تسكت أهل الزيغ وتقنع طلاب الهدى ودين الحق ممن زلزلوا عن دينهم فى الغرب .

والتفسير العلمى للآيات الكونية فى القرآن ليس بدعة ابتدعها أصحابه فى هذا العصر بل نجد بين قدامى المفسرين من ينتهجه مطبقين فى عصرهم مايقابل العلم فى عصرنا كالزمخشرى والفخر الرازى .

فالزمخشرى مثلا فى تفسير قوله تعالى : « فلا أقسم بالخنس ، الجوارى الكنس »

يقول : (الخنس) الرواجع . بينا ترى النجم فى آخر البرج إذ كر راجعا إلى أوله و (الجوارى) السيارة ، و (الكنس) الغيب من كنس الوحش إذا دخل كناسه قيل هى الدرارى الخمسة : بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشترى تجرى مع الشمس والقمر وترجع حتى تختفى تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها ، وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس ، وقيل هى جميع الكواكب تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل أى تطلع فى أماكنها كالوحش فى كنسها » .

وقول الزمخشرى (قيل .. وقيل) يدل على أن تفسير الآية بعلم ذلك العصر أقدم من عهد الزمخشرى ، أما الفخر الرازى : فتفسيره ممتلىء بالتفسير العلمى فى عصره مثل قوله فى تفسير قوله تعالى « والذى قدر فهدى » من سورة الأعلى : « إن قوله (قدر) يتناول المخلوقات فى ذواتها وصفاتها كل واحد على حسبه . فقدر السموات والكواكب ، والعناصر والمعادن ، والنبات والحيوان والإنسان ، بمقدار مخصوص من الجثة ـ الكتلة فى اصطلاحنا ـ والعظم ـ الحجم فى اصطلاحنا ـ وقدر لكل واحد منها من البقاء مدة معلومة ، ومن الصفات والألوان والطعوم والروائح والأوضاع والأوضاع والحسن والقبح والسعادة والشقاوة والهداية والضلالة ، مقدارا معلوما على ما قال : « وإن من شىء إلا عندنا خزائنه ، وما ننزله إلا بقدر معلوم » ، وتفصيل هذه الجملة مما لا يفى بشرحه المجلدات ، بل العالم كله من أعلى عليين إلى أسفل السافلين تفسير هذه الآية وتفصيل هذه الجملة) ، فهذا نهج قدامى للمفسرين لما صار إليهم علم قدماء اليونان وتصرفوا فيه .

أما نهج محدثيهم فيتبين من استمانة كبيرهم وإمامهم الشيخ محمد عبده بسنة الجاذبية العامة على تفسير قوله تعالى : « والسماء وما بناها » فى سورة الشمس إذ يقول رحمه الله : (السماء اسم لما علاك وارتفع فوق رأسك ، وأنت إنما تتصور منه عندما تسمع لفظ السماء هذا الكون الذى فوقك فيه الشمس والقمر وسائر الكواكب تجرى فى مجاريها وتتحرك فى مداراتها ، هذا هو السماء ، وقد بناه الله أى رفعه وجعل كل كوكب من الكواكب منه بمنزلة لبنة من بناء سقف أو قبة أو جدران

تحيط به ، وشد هذه الكواكب بعضها إلى بعض برباط الجاذبية العامة كما تربط أجزاء البناء الواحد بما يوضع بينها مما تماسك به) ، والجاذبية العامة لم يكتشفها ويكشف قانونها إلا (نيوتن) في القرن السابع عشر بعد نزول القرآن بنحو عشرة قرون فلم يمنع ذلك مفتى الديار المصرية في أوائل القرن العشرين من أن يجعلها أساس تفسيره لآية من كتاب الله حين فسر جزء (عم) ليكون موجها لأساتذة مدارس الجمعية الخيرية الإسلامية (في تفهيم التلامذة معاني ما يحفظون) من ذلك الجزء كما ذكر في مقدمة ذلك التفسير ، أي أن أمر قانون طبيعي معروف في عهد الشيخ رحمه الله - قبل نظرية النسبية في عهدنا - لم يتردد الشيخ في جعله أساسا لتفسير آية قرآنية كونية ليفسرها الأساتذة لتلاميذهم على أساسه ، فلو أن الدكتور على عبد الواحد كان معاصرا الشيخ محمد عبده وقرأ تفسيره « والسماء وما بناها » في جزء عم أفكان يأتي برميه بالإساءة إلى الإسلام والقرآن أبلغ إساءة لأنه أدخل الجاذبية العامة في تفسير آية من كونيات القرآن ، كما رمى في مقاله من نهج نهجه ؟ أم كان يخطئه في تفسيره الآية الكريمة (لأن القرآن حينما يتحدث عن السماء أو عن السموات يقصد بها شيئا آخر متميزا عن الشمس والكواكب) كما قال في مقاله مدللا على خطأ (المتحمسين لهذه التفسيرات العلمية) في أخذهم بظاهر قوله تعالى في سورة الأنبياء : « أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما » من (أن السماء والأرض كانتا ملتحمتين أي كانتا كتلة واحدة ثم انفصلت كلتاهما من الأخرى) .

إن الآية الكريمة من عجائب الإعجاز العلمي في القرآن لأنها سبقت علماء الفلك المحدثين إلى ما قرروه من أن الكون كله قبل أن تتشكل عوالمه ومجراته ونجومه كان كيانه سديميا غير متميز بعضه من بعض ، ثم أخذ يتميز ويتطور ، لا يعرفون بالضبط كيف وإن نسبوه إلى فعل الجاذبية العامة ، حتى صار إلى ما هو عليه مما يشاهدون ويدرسون ، ولا تزال السدم المائعة منتشرة فيه على أبعاد فلكية مذهلة . وواضح أن السموات - بالجمع لا الإفراد - هي والأرض تمثل الكون كله . وحالته السديمية الأولى قبل أن يتخلق

سموات وأرضين كما أخبر الله في آية سورة الطلاق (الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ، يتنزل الأمر بينهن) الآية (١٢) هي المرادة بقوله تعالى (كانتا رتقا) وتميزه وتطوره إلى سموات وأرضين بأمر الله تعالى هي المرادة بقوله سبحانه (ففتقناهما) . لكن الدكتور في محاولته إنصاف المتعصبين للتفسيرات العلمية جعل السموات سماء وقصر الرتق والفتق على المجموعة الشمسية التي لا تكاد تكون شيئاً بالنسبة للكون كله ، وإن كانت كل شيء بالنسبة لنا ، ليستطيع أن يكر على هذا التفسير بالنقض لأن السماء أو السماوات في القرآن ليست هي المجموعة الشمسية المعبر عنها في مقاله بالشمس والكواكب والكواكب هنا هي السيارات حتما ، والكواكب في كلام الشيخ محمد عبده هي النجوم لأنه كان يتكلم عن السماء لا المجموعة الشمسية .

وكأن الدكتور يريد ألا يفهم من الآيات الكونية في القرآن إلا ما كان يفهمه العرب الذين نزل القرآن بينهم ، فلجأ إلى تفسير ابن كثير ليخرج منه بتفسير ابن عباس لآية سورة الأنبياء من أن « السموات كانت رتقا لا تمطر ، وكانت الأرض رتقا لا تنبت ، فلما خلق الله للأرض أهلا فتق هذه بالمطر وفتق هذه بالنبات » وغاب عن الدكتور أن القرآن ليس مرادا به العرب وحدهم بل البشرية كلها ، يفهم من آياته أهل كل عصر بقدر ما آتاهم الله من العلم فتتجدد حجة الله على الناس بتجدد إعجاز القرآن العلمي من غير تكلف ولا تعسف كما يظن الدكتور بجميع أهل هذا النهج في تفسير كونيات القرآن ، فالمعنى العلمي الفلكي الحديث ألبس للآية وأمكن من معنى ابن عباس كما هو ظاهر من نسبته عدم الإمطار إلى السموات بالجمع مع أن تفسيره لا ينطبق إلا على سماء السحاب في أرضنا هذه ، في حين أن السموات بالجمع أساسية في فهم الآية على المعنى العلمي طبق ما قرره الفلكيون المحدثون . أما استشهاد الدكتور لمعنى ابن عباس بقوله تعالى في سورة القمر (ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر) فمن الواضح أنه استشهاد في غير موضعه لأن الآية وصف لبدء الطوفان في قصة نوح عليه السلام لا لغيات أهل الأرض بماء السماء .

ومن العجيب أن الذي نعاه الدكتور على أهل التفسير العلمي لكونيات القرآن في أول المقال وقع هو فيه في آخره .

فقد ذهب في مسألة أصل المجموعة الشمسية إلى أن هناك طائفة كبيرة من العلماء تقول بأن الأرض خلقت مستقلة لا انفصالا من الشمس ، وأراد أن ينصر هؤلاء على (جينز) ومن معه الذين أسموا نظرية نشوء السيارات ، ومن بينها الأرض ، انفصالا من الشمس فقال : « إن القرآن الكريم نفسه قد بين لنا في آيات أخرى الطريقة التي خلق الله تعالى بها الأرض والسماء ، فبين ذلك في صورة تدل دلالة واضحة على أن خلق كليهما كان مستقلا عن خلق الأخرى بل كان له زمن غير زمن الآخر » ثم ذكر الآيات ٩ - ١٢ من سورة فصلت (قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين) إلى قوله تعالى (وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ، ذلك تقدير العزيز العليم) وعقب عليها بقوله إنها « تدل صراحة على أن كل واحدة منهما كان خلقها مستقلا عن الأخرى ومنفصلا عنه » .

والآيات الكريمة تفصيل لما أجملته آية سورة الأنبياء (أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما) لكن لا على ما فهمه الدكتور منها من خلق السماء والأرض في زمنين مختلفين فالفتق بالمعنى الفلكي يقتضي اتحاد الزمن إذ انفصال الأرض يقتضي حتما وجود السماء وإن كانت سديمية دخانية على ما وصف الله سبحانه في ثالث آيات سورة فصلت (ثم استوى إلى السماء وهي دخان) الآية (١١) ولا تمنع (ثم) الدالة على التراخي من اتحاد زمن الخلق ، فالسماء كانت سديمية حين انفصلت الأرض من شمسها في اليوم الأول أو الطور الأول من خلق الأرض ، ودلت (ثم) على أن الأيام الثلاثة أو الأحقاب الثلاثة التي تحققت فيها الأطوار الثلاثة الباقية من خلق الأرض وكان آخرها تقدير أقواتها فيها كنص الآية (١٠) - لم تكن تلك الأحقاب كافية لخروج السماء من السديمية الأولى إلا إلى الدخانية . وفي قوله تعالى (وهي دخان) معجزة علمية أخرى ، إذ دلت على ما لم يكن يعرفه البشر حتى عصر العلم الحديث من

الحالة السديمية التي كانت عليها السماء قبل أن تتخلق بأمر الله إلى سبع سموات يقابلها سبع أرضين كما نصت عليه الآية الأخيرة من سورة الطلاق ، كل أرض تقابلها وتعلوها سماؤها كما يقتضيه معنى السماء في اللغة - لا توجد أرض فلكية من الأرضين الست غير أرضنا التي كان قد تم خلقها بنص الآية العاشرة من سورة فصلت إلا وكان ما حولها وعلاها سماء لها . وهذا يحل الإشكال الذي اضطرب فيه المفسرون في أمر الأرض والسماء أيتهما خلقت قبل الأخرى ، إذ لا قبل ولا بعد، بل خلقتا معاً .

وإشكال آخر تحله آيات سورة فصلت مع آية سورة الطلاق : (الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن ، لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما) ذلك هو إشكال السموات السبع ماهي ، وهل هناك أكثر من سبع ؟ لا أكثر ولا أقل من سبع ! مادام فاطر السموات والأرض قد أخبر أنه خلق سبع سموات وسبع أرضين (ومن الأرض مثلهن) : كل سماء يقابلها أرضها وكل أرض يعلوها سماؤها بمقتضى الآي القرآني مع المعنى اللغوي لكلمة سماء .

وبعد ، فإن أخي الدكتور علي عبدالواحد وافي بني حملته الشعواء على أهل التفسير العلمي لكونيات القرآن على ادعائه عليهم إنهم يبنون تفسيرهم على نظريات علمية لم تثبت . هذا إذا صدق على بعضهم فليس يصدق على جميعهم ، وكان ينبغي على الدكتور ألا يطلق الظنة هكذا إذ لا أظنه يجهل أن منهم من يشترط أن تكون المطابقة بين اليقيني واليقيني ، بين النص القرآني واليقيني من العلم ، وعلى أي حال فقد كان مقتضى الدعوى أن ينصح أو يحذر أو ينذر أهل الأخذ بغير الثابت في العلم أن يقلعوا وألا يفسروا النص القرآني وهو الحق إلا بالحقيقة الثابتة في العلم ، وحبذا لو استطاع أن يتتبع بالنقد ما يكتبون وأن يكون منصفاً في نقده لأن يأتي بخطأ واضح صدر من أحدهم يقدمه للقارىء مثالاً لنوع التفسير الذي يصدر عنهم جميعا ، لا يستثنى ولا يستأني ، ولا أظن أن ذلك الواحد الذي أحصى عليه ذلك الخطأ خلا كتابه

أو خلت كتبه من حسنة أو حسنات في التفسير يذكر له ، والدقة والاحتياط لازمان طبعا في كل بحث لكنهما في البحوث القرآنية أو النبوية ألزم منهما حتى في العلوم التجريبية لأن أهل العلوم التجريبية بعضهم رقيب على بعض وهي ربما تكاد تكون منعدمة بين الباحثين في القرآن والحديث ، ثم أهل العلوم التجريبية عندهم الحكم النهائي الذي لا يخطىء عند الاختلاف ألا وهو التجربة العملية والتحاكم إليها هو في الواقع تحاكم إلى الله سبحانه لأنه تحاكم إلى سنن الله في الكون وهي سنن لا تتبدل ولا تتخلف ، وحكمها ظاهر العيان لا يتمارى فيه المختلفون ؛ وليس كذلك الحال إذا اختلف النظار في القرآن أو الحديث : كل يرى وكل يقول وكل يدفع عن رأيه ونظره ولا حكم نهائي يحسم الخلاف ، فما أحوجنا لو أنشئت هيئة من أهل البصر والإخلاص والاختصاص في القرآن وفي الحديث تشرف من بعيد على كل بحث قرآني أو متعلق بالسنة المطهرة لتحفظ على القرآن وعلى السنة حرمتهما فلا يكون البحث فيهما خوض يخوضه من يشاء بلا رقيب ولا حسيب ؟

محمد أحمد الغمراوي

قال الله تعالى :

« ولله ملك السموات والأرض والله على كل شيء قدير ، إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب »

(آل عمران : ١٨٩ ، ١٩٠)

العربية لغة الإسلام والمسلمين

للأستاذ على عبد العظيم

— ٢ —

لم يمض قرن وبعض قرن على ظهور الإسلام حتى انتشرت اللغة العربية وامتدت فشملت العالم المعروف فى هذا الزمان ، ولما ظهرت العصبية الجنسية التى كان الإسلام قد قضى عليها أو كاد أخذت اللغات الشعبية تظهر تباعا فى شتى الأمم الإسلامية وإن لم تستطع أن تقضى على اللغة العربية أو تتقدمها فى المجال الدينى والمجال العلمى ، وظلت العربية تحتل مكان الصدارة قرونا عديدة ، وتوالت المؤلفات الدينية والعلمية والأدبية بلسان عربى مبين أنتجها كبار العلماء من العرب والأعاجم ، وحسبنا أن نذكر من كبار الأعاجم الأمام أبا حنيفة النعمان صاحب المذهب المعروف ، ومن كبار المحدثين البخارى ، ومن كبار النحويين سيبويه ومن كبار المفسرين الطبرى ، ومن كبار الشعراء أبا نواس ؛ وكلهم من الأعاجم الذين تركوا آثاراً خالدة فى الثقافة العربية ، ومع تراخى الزمن ، ومع تساهل المسلمين فى التمسك بشعائر دينهم الحنيف كان معظم المسلمين يحرصون على دراسة العربية ، وكان بعضهم يؤلف بالعربية وبلغته القومية معا ، ثم انحسرت العربية من بلاد شاسعة مترامية الأطراف وإن ظل علماؤها يدرسون العربية ويؤلفون فيها المصنفات.

* * *

ولما اشتد خطر الاستعمار فى العصور الحديثة حرص غلاة المستعمرين على تمزيق شمل الأمة الإسلامية وتمزيق جميع الصلات التى تربطها وبخاصة القرآن الكريم ولغة القرآن الكريم ، وفرضت كل دولة استعمارية لغتها فرضا على البلاد المحتلة وكثيرا ما تصارعت عدة لغات فى بلد واحد تبعا لنفوذ الدول الاستعمارية فى هذا البلد المنكوب .

ومن الخير أن نسوق مثلا واضحا لمسناه فى مصر لهذه الحرب العنيفة التى شنها الاستعمار على القرآن ولغة القرآن باعتبار مصر مركز الدول الإسلامية وموطن الأزهر

الشريف ؛ وكان الاستعمار يظن أنه إذا نجح فى مصر فقد تيسر له النجاح فى الأمم الإسلامية جماء.

حرصت فرنسا على نشر لغتها وثقافتها بمصر أثناء الحملة الفرنسية وفى أعقابها حيث اهتمت الأسرة المالكية السابقة بنشر هذه اللغة فى أنحاء البلاد ، وسمحت للإرساليات التبشيرية والبعثات التعليمية الفرنسية بنشر الثقافة الدينية والدعوة التبشيرية بين المسلمين . فأنشأ الآباء العازاريون أول مدرسة فرنسية بمصر سنة ١٨٤٤ ثم أسس الفرير أول مدرسة لهم سنة ١٨٤٥ ، وقد اعترفت الحكومة بخدماتهم التعليمية للبلاد فوهبتهم قطعة أرض فسيحة شيدوا عليها مدرستهم ، ثم أسست راهبات المحبة مدرسة للبنات سنة ١٨٤٦ وتلاهن الراهبات الفرنسيسكات فأنشأن مدرسة أخرى سنة ١٨٥٩ ومدرسة ثانية فى بولاق سنة ١٨٦٨ — وثالثة بالمنصورة ١٨٧٢

وكان الهدف من هذه المدرسة نشر الكاثوليكية فضلا عن اللغة الفرنسية ، وقد بلغ عدد طلبة هذه المدارس سنة ١٩٣٦ ما يناهز نيفا وأربعين ألف تلميذ وتلميذة ،

ولما حدث الاحتلال الانكليزى لمصر حرصت بريطانيا على نشر لغتها بكل الوسائل ، وكانت — من قبل — قد أرسلت إلى مصر سنة ١٨٤٠ أول بعثة تبشيرية ، ثم استطاعت البعثة الاسكتلندية الپروتستانتية أن تفتتح مدرسة بالاسكندرية ثم جاءت بعثة أخرى تبشيرية سنة ١٨٦٠ وأنشأت مدرسة لهذا الغرض ، واستطاعت (امس وتلى) رئيسة البعثة أن تقنع الخديوى إسماعيل بمنحها قطعة أرض فسيحة بالفجالة ومنحها مبلغا ماليا كبيراً وحرصت أمريكا على الإسهام فى هذا النشاط التربوى التبشيرى فأرسلت بعثة تبشيرية كبيرة مزودة بالأموال الطائلة والوسائل المعينة فأنشأت فى كل إقليم مصرى مدرسة كبيرة حتى وصل عددها سنة ١٩٣٢ أكثر من أربعين مدرسة تضم زهاء سبعة آلاف تلميذ وتلميذة — ولم يكد الاحتلال الإنكليزى يتم حتى بذلت بريطانيا جهوداً جبارة لفرض اللغة الإنكليزية على جميع المدارس الحكومية وشن حرب عنيفة على اللغة العربية واتهامها بالفقر والعقم وأنها لا تصلح للعصر الحديث وكل ما تصلح له هو أن تكون مقصورة على الصلوات والأوراد

والدعوات ، ولقد سأل أحد النواب الانكليز اللورد جراى عن تعليم اللغة العربية بمصر فأجاب اللورد : « لا تصلح اللغة العربية اليوم لتعليم العلوم لأنها تفتقر إلى الاصطلاحات العلمية والفنية » واندفعوا فى هذا التيار ففرضوا أساتذة انكليز على المعاهد العليا، ثم على المدارس الثانوية المصرية ، ولم يكتفوا بهذا بل فرضوا اللغة الانكليزية على المدارس الابتدائية وفرضوا الكتب الانكليزية على جميع المعاهد والمدارس دون استثناء وكان قائد هذه الحملة العنيفة مستشارا انكليزيا متعصبا فرضه الاستعمار فرضا على نظارة المعارف المصرية وهو ابن قسيس متعصب لدينه كل التعصب وهو (دانلوب) فأصدر منشورا بتعليم جميع العلوم فى المدارس باللغة الإنكليزية ماعدا بعض مختارات من اللغة العربية والدين الإسلامى فى نطاق محدود ، ثم استطاع الاستعمار أن يعزل رجال الأزهر عن الحياة العامة فاقتصر التعليم فيه على دراسة العلوم الدينية فى مصنفات معقدة تم تصنيفها فى عصور الضعف والجمود ، وحالوا بين خريجى الأزهر والوظائف العامة ، وفرضوا أجورا للعلماء لا تكاد تفى بحاجاتهم ليظلوا بمعزل عن الحياة العامة .

أما المدرسون المصريون وبخاصة من يدرسون اللغة العربية والدين الإسلامى فقد جحدوهم فى مناصبهم ودرجاتهم المالية وعاملوهم بقسوة لأن المدرسين الأذلاء لا يستطيعون أن ينتجوا إلا شعبا ذليلا .

وعلى الرغم من هذا فقد رفع الأزهر علم اللغة العربية خفاقا فى آفاق البلاد ، ولكن الوعى الوطنى والنزعة الدينية واليقظة الفكرية استطاعت أن تقاوم هذا التيار العنيف فانحسرت موجة الاستعمار الثقافى إلى حد ما وبدأت اللغة العربية تحتل مكانا لا بأس به فى المعاهد والمدارس المصرية .

وهنا بذل الاستعمار الانكليزى جهودا جديدة حاول بها أن يخدع الشعور الوطنى الفتى فنادى بإقامة لغة قومية جديدة للمصريين معتبرا اللغة العربية لغة دخيلة على مصر ، ومن الكرامة المصريين أن يحيوا لغتهم القديمة التى كانت تمثل استقلال مصر وعظمتها فى عصور الفراعنة وهى اللغة الهيروغليفية ، ونادى الاستعمار الفرنسى بمثل هذه الدعوة حيث دعا إلى إحياء اللغة

الفينيقية فى سوريا ولبنان، واللغة البربرية فى شمال إفريقيا ، واستأجرت بريطانيا الأقلام للقيام بحملة دعائية كبرى لتأييد هذا الاتجاه، ولكن الشعور الوطنى اليقظ قضى على هذه الفتنة كما قضى على سابقتها، وساعده على هذا أنها كانت فكرة طائشة غير قابلة للتنفيذ.

* * *

ثم تمخضت فكرة الاستعمار عن مشروع جديد حشد له كل طاقاته ورصد لتنفيذه أموالا طائلة واستأجر أقلاما عديدة وأنشأ صحفا جديدة تدعو إليه فى قوة وتصميم هذه الفكرة هى إحلال اللغة العامية محل اللغة العربية الفصحى فى التعليم ، وقامت هذه الدعوى على أساس أن اللغة العربية لا تصلح للثقافة والتعليم وأنها هى السبب الأساسى فى تخلف المصريين . وابتدأ هذه الحملة السير (وليام ولكوكس) بخطبة ألقاها بنادى الأزبكية أعلن فيها أن المصريين لا يمكن أن توجد لهم قوة اختراع بسبب استخدامهم اللغة العربية الفصحى فى القراءة والكتابة ، ، وذكر أن العامل الأكبر فى فقد قوة الاختراع لديهم هو تمسكهم بلغة جامدة بالية غير صالحة للحياة ، ونصحهم باتخاذ اللغة العامية أداة للثقافة اقتداء بالأمم الأوربية التى هجرت اللاتينية وأحيت لغاتها المحلية ففازت بالتقدم والارتقاء .

وفى سنة ١٩٠١ أصدر القاضى الإنكليزى مستر ويلمور - وكان يشغل منصبا قضائيا كبيراً فى مصر - كتاباً يدعو فيه لتحقيق هذه الفكرة ، وينصح المصريين فيه بهجر اللغة العربية واتخاذ اللغة العامية وسيلة التعبير والكتابة ولغة الثقافة والتعليم ،

ثم استقدمت الحكومة البريطانية اسكندر معلوف من سوريا إلى مصر ومكنته من أن يترجم هذه الفكرة ووضعت بين يديه جميع الوسائل لنشر هذه الفكرة على أوسع نطاق ، فنادى بأن التقدم الذى حققته مصر إنما تم بفضل نشر اللغة الإنكليزية وتعميمها فى المدارس المصرية وذكر أن أهم سبب للتخلف هو تمسك المصريين باللغة العربية الفصحى وأبدى دهشة كبرى من هذا التمسك الغريب ؛ وحاول أن يثبت أن اللغة العربية ليست لغة الإسلام مستدلا بأن الهنود والفرس والأتراك يستعملون لغاتهم الخاصة على الرغم من أنهم مسلمون ؛ وادعى أن اللغة العربية تحول بين العامة والثقافة العلمية ؛ لأنها لغة غريبة عنهم دخيلة عليهم ، وأنه من الخير للشعب المصرى أن يستعمل لغته العامية

وأنه من أوجب الواجبات على المفكرين وكتاب الصحف ومصنفي الكتب أن يستعملوا اللغة العامية في الصحف والمجلات وتأليف الكتب ؛ حتى يستفيد العامة وجمهرة الشعب من هذه المعارف البعيدة عن مستواهم ؛ ثم دعا إلى استعمال اللغة العامية في المعاهد والمدارس ؛ ونادى بأنه لا سبيل للتقدم إلا بتحقيق هذا الهدف الكبير .

وأيد هـذا الرأى مستر دانلوب في تقريره عن التعليم في مصر حيث قال : « إن الطفل في مصر لا يبدأ دراسته كما يبدأها الطفل الأوربى ، وإنما يتعلم لغة أخرى شديدة الصعوبة تختلف عن لغته المعتادة اختلافا بينا ، ويتعلم في ذلك الوقت طرق كتابتها وقراءتها ؛ فحالته هـذه تشبه حال طفل انكليزى يتكلم ويسمع اللغة الإنكليزية العادية في المنزل والشارع والمدرسة على السـواء ، ولكنه مضطر ألا يستعمل في القراءة والكتابة إلا اللغة الإنكليزية التي كانت قائمة في عصر الفريد الأكبر . ومن شأن هذه الطريقة أن توقف نمو التفكير عند الطفل ؛ وقد صرح دانلوب أن الطفل المصرى في هذا الوقت كان مفروضا عليه أن يتعلم معظم العلوم باللغة الإنكليزية وهى بعيدة كل البعد عن العربية الفصحى وعن اللغة العامية ، وقال إن القضاء على لغة أى شعب إنما هو القضاء الأخير على هذا الشعب ، وقال إن اللغة العربية ليست مجرد لغة شعب عربى صميم وإنما هى إلى جانب هذا لغة ثقافة عريقة ودين قويم وتاريخ مجيد وأنها اتسعت لجميع الثقافات والحضارات القديمة واستوعبتها كل الاستيعاب وعبرت عنها أصدق تعبير ، وأضافت إليها أضعاف ما ضمته من ثقافات ، وإن كان لم يجد بدا من الإيماء إلى هذه الأمور حيث قال (على أنى أعترف في الوقت نفسه أن مسألة اللغة هذه متصلة بجميع أنواع التقاليد الدينية والقومية والاجتماعية اتصالا لا انفكاك منه وأنها لهذا السبب أهم من أن تحل استنادا إلى الاعتبارات التربوية وحدها)[1]

وعلى أثر هذه الحملة العنيفة قامت ضجة كبرى في الصحف والمجلات العربية ، وامتدت إلى الجمعية التشريعية ونجحت هذه الحملة الكبرى في القضاء على هذا المشروع وإن كان بعض الكتاب قد استمروا في الدعوة إلى إحلال العامية محل العربية الفصحى حتى الآن بدعوى تسجيل وإحياء الفنون الشعبية .

[١] في الأدب الحديث للأستاذ عمر الدسوقى حـ ٢ ص ٤٤ .

ولكن الاستعمار لم يلق السلاح بل جهد فى نشر المدارس الأجنبية وتعميمها فأسست فرنسا مدرسة الحقوق الفرنسية والمعهد العلمى الفرنسى وأنشأت انجلترا كلية فكتوريا والمعهد البريطانى والمدرسة الانكليزية بمصر الجديدة، وأنشأت أمريكا الجامعة الأمريكية بالقاهرة، وتنافست الدول الأخرى فى إنشاء مدارس عديدة تنشر لغاتها بين المصريين إلى جانب الدعوة التبشيرية، ولقى خريجوا هذه المدارس تشجيعا كبيرا فى المناصب الحكومية وفى البعثات التعليمية إلى الخارج وفى العمل بالشركات الأجنبية التى كانت تسيطر سيطرة كبيرة على الاقتصاد المصرى فى أوائل القرن العشرين وأصبح أفراد الطبقة الراقية يتحدثون فى مجتمعاتهم باللغات الأجنبية وبخاصة الفرنسية وينظرون إلى اللغة العربية نظرة تسام واستعلاء، وأدل على هذا وجود المحاكم المختلطة واستغلالها التام كدولة داخل الدولة، ومعظم اجراءاتها من مرافعات وأحكام تصدر بالفرنسية، ثم بدأت الدول الأجنبية تقتسم مناطق النفوذ بمصر، فمستشار نظارة المعارف انكليزى، ومدير دار الكتب ألمانى، ومدير الآثار فرنسى، وعلى الرغم من هذا كله استطاعت اللغة العربية بما فيها من حيوية أن تقاوم هذه التيارات العنيفة وأن تثبت أقدامها أمام هذه الغزوات الفكرية المتلاحقة وأن تسيطر سيطرة مكنتها أن تكون اللغة الأولى، فى مصر وقد أعانتها عوامل عديدة على الانتصار، وسنعرض لهذه العوامل فيما بعد:

وأحب أن أدفع وهما قد يعلق بالأذهان وهو أننا لا نتعصب للغة العربية الفصحى تعصبا ننسى معه فضل اللغات الاجنبية، فإنه لا سبيل أمامنا للتقدم والازدهار والارتقاء إلا إذا درسنا اللغات العالمية واستفدنا بما بلغته الأمم المعاصرة من حضارات راقية وثقافات عليا عاقنا التأخر الاستعمارى عن بلوغها، ويجب أن يتم هذا ولكن مع مراعاة ألا يكون على حساب اللغة القومية للبلاد وعلى حساب لغة القرآن الكريم.

وأقرر – قبل ختام المقال – أن الحرب الثقافية على اللغة العربية ما زالت مستمرة حتى الآن وإن بدت فى ألوان جديدة خداعة للأبصار وأن الهدف من هذه الحرب هو القضاء على الإسلام وعلى لغة الإسلام ؟

(للبحث بقية)

على عبد العظيم

انتشار الإسلام في الرحاب

للدكتور حامد غنيم أبو سعيد

— ٦ —

عالجنا في المقالات الخمس السابقة حركة انتشار الإسلام في آذربيجان ، وهو واحد من الأقاليم الثلاثة التي تكون منطقة الرحاب ، وقد سلطنا الضوء في هذه المقالات بصفة خاصة على زوايا معينة ، منها بدايات انتشار الإسلام ، ومنها الأسلوب الذي انتهجه المسلمون في دعوة الأذربيين إلى الإسلام ، ومنها إبراز التفاوت في درجات الاستجابة التي قوبل بها الدين الإسلامي من مختلف العناصر الأذربية ، ومنها بيان درجة الكثافة التي أصبح عليها الإسلام في هذا الإقليم .

وننتقل بالحديث إلى الإقليم الثاني من أقاليم المنطقة موضوع الدراسة ، ونعني به إقليم أرمينية الذي يشكل القسم الغربي من الرحاب ، ونلقي الضوء بادئ ذي بدء على الموقع الجغرافي لهذا الإقليم فنقول : إنه عبارة عن بلاد جبلية تحدها غربا آسيا الصغرى ، ويحدها شرقا وجنوبا بشرق إقليم آذربيجان ، وتحدها من الشمال والشمال الغربي البلاد الواقعة على الشواطئ الجنوبية والشرقية لبحر بنطس (البحر الأسود) . وبلاد القوقاز التي يفصلها عن أرمينية نهرا الكر وريونه ، ويحدها من الجنوب السهل الشمالي الغربي من بلاد الجزيرة [1] .

وعلى مر العصور طرأت تطورات كبيرة على مدلول كلمة أرمينية من الناحية الجغرافية ، ونتيجة الصراعات التي اشتعلت في المنطقة في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين تمزقت أرمينية بين روسيا وتركيا وفارس ، والجزء الأكبر من هذه الأقسام يقع في نطاق السيطرة التركية .

---

[1] انظر ما كتبه المستشرق الألماني شترك (Streck) في دائرة المعارف الإسلامية عن أرمينية ، طبعة الشعب ، المجلد الثالث ص ٣٣ .

وقد تمخضت الحرب العالمية الأولى عن قيام الجمهورية الأرمنية السوفيتية التي تضم بعض نواحي أرمينية التاريخية.

هذا من الناحية الجغرافية، أما بالنسبة لعناصر البشرية فإن الدارسين يذهبون إلى القول بأن سكان أرمينية الذين عاصروا حركة انتشار الإسلام هم في الأصل جيل من الجنس الآرى وفد إلى البلاد في أوائل القرن السادس قبل الميلاد على وجه التقريب وأن هذا الجيل كان يعرف بالأرمن، ومن ثم اكتسبت المنطقة التي استقر فيها هذا الجيل تسميتها منه، فأصبحت تعرف بأرمينية [١]. ومع مرور الزمن وتأثرا بالتطورات السياسية التي أحاطت ووقعت بأرمينية خالطت هؤلاء الأرمن عناصر فارسية وعناصر بيزنطية.

أما عن الديانات التي كانت موجودة بأرمينية قبل الإسلام فإن الدراسات التي رجعنا إليها تقول بأن الديانة المسيحية قد انتشرت بين الأرمن بصورة كبيرة في ختام القرن الثالث الميلادى، ومن ثم توثقت العلاقات بين الأرمن وإخوانهم البيزنطيين، وظلت العلاقات بين الشعبين طيبة حتى سنة ٤٥١ م، ففي هذه السنة اتخذ مجمع خلقدونية المسيحى قرارات معينة رفضها الأرمن، ومن ثم انفصلت الكنيسة الأرمنية عن الكنيسة البيزنطية.

وكان لهذا الانقسام أثره في إيجاد أرضية التفاهم والتقارب بين الأرمن وجيرانهم الفرس، وذلك لأن الأرمن وجدوا مع الفرس المجوس حرية أوسع، مردها ما كانت تتسم به المجوسية من تسامح نسبي مع أتباع النصرانية [١].

ويبدو أن التقارب الذى تم بين الفرس والأرمن قد هيأ في بلاد الأرمن تربة صالحة لتقبل المجوسية، أو الترحيب بإقامة الفرس المجوس في هذه البلاد، ومن ثم أصبح للمجوسية أتباع في بلاد الأرمن، وخاصة في النواحي المتاخمة للحدود الفارسية. وبالإضافة إلى هاتين الديانتين كانت توجد في أرمينية أقلية يهودية وخاصة في مدينة دبيل، ويبدو

---

[١] المصدر السابق ص ٣٦، وانظر أيضا ما كتبه المستشرق كانار (M. Canard) عن أرمينية أيضا في دائرة المعارف الإسلامية، طبعت الشعب المجلد الثالث ص ٦٩.

[١] دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الثالث ص ٣٧، ص ٧٠.

أن انتشار اليهودية في أرمينية قد تم بتأثير الخزر اليهود الذين كانت مواطنهم تقع إلى الشمال من أرمينية .

وقد حدث في الفترة التي سبقت الفتح الإسلامي أن صارت أرمينية مسرحا للصراع بين الإمبراطوريتين الفارسية والبيزنطية ، وقد أسفر هـذا الصراع عن تقسيمها إلى منطقتي نفـوذ بين فارس وبيزنطة . ثم بعد ذلك خضعت منطقة النفوذ الفارسي للسيطرة المباشرة للأكاسرة ، وأصبح يليها مرزبان فارسي [١] ، ونفس الشيء حدث بالنسبة للمناطق الغربية ، فقد خضعت خضوعا مباشرا للبيزنطيين [٢] ، ولم تهدأ حدة الصراع من أجل السيطرة على أرمينية بين الامبراطوريتين الفارسية والبيزنطية ، وقد انضاف إلى ذلك الغارات التي كان يقوم بها الخزر على الحدود الشمالية الشرقية لأرمينية . وفي هذه الظروف البالغة القسوة أخذت حركة الفتوح الإسلامية تزحف على أرمينية .

* * *

ويحسن بنا قبل الحديث عن المحاولات الأولى التي قام بها المسلمون لفتح إقليم أرمينية ونشر الإسلام بين ربوعه أن نمهد لذلك بتحديد النواحي التي كانت تشكل هـذا الإقليم ، وذلك لكي يسهل علينا أن نتتبع حركة انتشار الإسلام هناك .

وحول هذه الجزئية نستطيع أن نقول : إنه يوجد اختلاف بين المؤرخين حول هذه النواحي التي تشكل أرمينية ، فقد قيل إنهما أرمينيتان كبرى وصغرى ، كما قيل : إنها ثلاث أرمينيات ، ويوجد رأي ثالث يقول : إنها أربع أرمينيات لأن زيادة التفصيل سيساعدنا على دقة المتابعة لحركة انتشار الإسلام .

والأرمينيات الأربع ، دون الدخول في متاهات الخلاف بين الجغرافيين ، هي : أرمينية الأولى ، وتشمل : السيسجان وأران وأرمينية الثانية وهي : عبارة عن منطقة جرزان ، وأرمينية الثالثة : تضم البسفرجان ودبيل وسراج طير وبغروند ، أما أرمينية الرابعة فإنها كانت تتكون من شمشاط وقاليقلا وخلاط وأرجيش وباجنيس [١] .

---

[١] البلاذري ، فتوح البلدان ٢٧٦ .

[٢] ياقوت ، معجم البلدان جـ ١ ص ١٦١ .

[١] البلاذري ، ٢٧٢ – ٢٧٣ ؛ ويتفق كل من ابن الفقيه ، ٢٨٧ ، وياقوت ، جـ ١ ص ١٦٠ ، مع البلاذري في هذا التقسيم ، ويكاد ياقوت يتفق مع البلاذري في تحديد المدن التي تكون كل قسم ، أما ابن الفقيه فإنه يختلف بعض شيء مع الاثنين .

وترتبط أول محاولة للفتح الإسلامى لأرمينية بالصحابى عياض بن غنم ، فاتح بلاد ما بين النهرين (الجزيرة الفراتية) فإنه بعد أن انتهى من فتح الجزيرة واصل زحفه وتعمق فى أرمينية حتى وصل إلى مدينة خلاط ، التى تقع ضمن أرمينية الرابعة ، وهناك عقد معه بطريقها صلحاً ، وذلك فى المحرم من السنة العشرين الهجرية [1] .

لم أعثر فى المصادر التى رجعت إليها على نص الصلح الذى تم بين بطريق خلاط وعياض بن غنم ، ومما لا شك فيه أن وجود نص هذا الصلح كان سيساعدنا كثيراً فى تحديد طبيعة العلاقات بين أهل خلاط وأول جيش إسلامى وطىء البلاد ؛ غير أننا نستطيع ، على الرغم من هذا القصور ، أن نلقى شيئاً من الضوء على طبيعة هذه العلاقة ، وذلك بالاعتماد على ياقوت الذى حفظ لنا فحوى الصلح المذكور فقد قال عن عياض بن غنم [2] : « إنه صار من الجزيرة إليها (إلى خلاط) فصالحه بطريقها على الجزية ومال يؤديه ، ورجع عياض إلى الجزيرة » .

واعتمادا على هذا الذى قاله ياقوت يستطيع الدارس أن يؤكد أن بطريق خلاط ، الذى هو حاكمها ، قد رفض أن يستجيب لدعوة الدين الإسلامى ، وآثر أن يدفع الجزية ، وفى مقابل ذلك منح قائد القوة الإسلامية أهل خلاط الأمان على أنفسهم وأموالهم ومعتقداتهم .

هذه أول محاولة اتصال بين الإسلام وبعض أهالى أرمينية ، ومن الممكن أن نقول : إن بطريق خلاط كان يمثل أهل هذه المدينة ، وبالتالى فإنه فى رفضه اعتناق الدعوة الإسلامية ، التى لا شك أنها قد عرضت عليه من القائد المسلم ، كان يعبر عن الرأى العام لأهل مدينته ، وليس لنا أن نتوقع غير هذا الموقف من أهل خلاط ، فهم لم يكونوا قد عرفوا شيئاً عن الخصائص التى يتميز بها الإسلام .

مهما يكن من أمر ، فإن زحف القوات الإسلامية إلى خلاط لم يكن مقصوداً لذاته ، بل كان المقصود — على ما يبدو — هو تأمين الوجود السياسى للدولة الإسلامية فى منطقة الجزيرة ، وهو الوجود الذى

---

[١] البلاذرى ٢٤٢ .

[٢] معجم البلدان جـ ٢ ص ٣٨١

فرضته القوات الإسلامية تحت قيادة عياض بن غنم فى سنة ١٩ هـ .

والموقف الذى اتخذه أهل خلاط ، أقرب مدن أرمينية إلى الوجود السياسى للدولة الإسلامية فى الجزيرة ، من الدين الإسلامى ، اتخذه أيضا إخوانهم أرمن مدينة باب الأبواب ، وهى بعيدة كل البعد عن خلاط . والحملة الإسلامية التى توجهت إلى باب الأبواب وقعت أحداثها فى سنة ٢١ هـ ، وقادها الصحابى سراقة ابن عمرو ، ولم يحدث قتال فى هذه الحملة ، ولكنها أسفرت عن اتفاق ، ونصه ، كما حفظه الطبرى يقول [1] : « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى سراقة ابن عمرو ، عامل أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب ، شهر براز وسكان أرمينية والأرمن من الأمان ، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم وملتهم ألا يضاروا ولا ينتقضوا ، وعلى أهل أرمينية والأبواب ، الطراء منهم والتناء [2] ، ومن حولهم فدخل معهم أن ينفروا لكل غارة ، وينفذوا لكل أمر ناب أو لم ينب رآه الوالى صلاحا ، على أن توضع الجزاء عمن أجاب إلى ذلك إلا الحشر ، والحشر عوض من جزائهم ، ومن استغنى عنه منهم وقعد فعليه مثل ما على أهل آذربيجان من الجزاء والدلالة والنزل يوما كاملا ، فإن حشروا وضع ذلك عنهم ، وإن تركوا أخذوا به » .

ومن هذا العهد يتضح لنا أن أرمن باب الأبواب قد رفضوا أن يعتنقوا الدين الإسلامى ، وأنهم قد وافقوا على أن يقدموا نوعا خاصا من الجزية حدده طبيعته شهر براز الفارسى ، ملك باب الأبواب ، فى قوله لعبد الرحمن بن ربيعة ، أحد قواد سراقة : « فأنا اليوم منكم ، ويدى مع أيديكم . . . وجزيتنا إليكم النصر لكم ، والقيام بما تحبون ، فلا تذلونا بالجزية ، فتوهنونا لعدوكم » [1] .

وهذا النص بالغ الأهمية لكل من يتصدى لدراسة حركة انتشار الإسلام ، لأنه يوضح لنا مدى ما كان يتسم به المسلمون من مرونة كبيرة فى معالجة المشكلات التى كانت تواجههم فى فتوحاتهم ففى الموقف الذى بين أيدينا وضع شهر براز لقائد القوات الإسلامية المقيمة

[١] جـ ٤ ص ١٥٦ ، ١٥٧ .

[٢] يريد الوافدين والمقيمين فى المدينة بصفة دائمة .

[١] الطبرى جـ ٤ ص ١٥٦ .

(الاستراتيجية) الموقع الذى كان يسيطر عليه ، وأنه فى موقعه هذا يستطيع أن يقدم للدولة الإسلامية خدمة جليلة ، وذلك بالتصدى للشعوب التى تقيم بالدائم وراء مدينة باب الأبواب ، والذين هم فى الوقت نفسه أعداء للدولة الإسلامية ، وأنه فى مقابل هـذا لن يدفع الجزية للدولة الإسلامية .

هذه مشـكلة ، فالاستجابة لما طلبه شهر براز ربما كان يفسر من البعض على أنه عدم التزام بالقاعدة الإسلامية العامة التى ترتب موقف المسلمين إزاء أعـدائهم فى ثلاثة مستويات تصاعدية هى : الإسلام ، فالجزية ، وأخيراً السيف ، ولـكن سراقة ابن عمرو كان مرناً وملتزماً فى الوقت نفسه بروح القاعدة ؛ فقبل هذا الذى عرضه عليه شهر براز ، وكتب أيضاً إلى الخليفة عمر بن الخطاب مطلعـاً إياه على الموقف الذى اتخذه « فأجازه وحسنه » كما يقول الطبرى [1] .

ومن باب الأبواب ، وفى نفس السنة ، وهى السنة الحادية والعشرون ، زحفت القوات الإسلامية إلى أرمينية فى أربع فرق لـكل وجهتها ، وكانت هـذه الفرق تحت قيادة كل من بكير بن عبد الله الذى زحف إلى موقان ، وحبيب بن مسلمة الذى تقدم صوب تفليس ، وحذيفة بن أسيد الذى يمم شطر جبال اللان ، وسلمان بن ربيعة الذى اتجـه إلى حدود أرمينية من الشمال الشرقى [1] .

لم تحقق هـذه القوات نتائج جديرة بالتسجيل ، وذلك باستثناء القوة التى كان يقودها بكير فإن أهـل موقان بعد أن تبين لهم أنهم لن يتمكنوا من الصمود فى مواجهة القوات الإسلامية قبلوا أن يدفعوا الجزية للدولة الإسلامية ، وكتب لهم بكير أماناً بذلك يرجع تاريخـه إلى السنة الحادية والعشرين من التاريخ الهجرى [2] .

وهكذا يتضح لنا أن أهل خلاط وأهل باب الأبواب وأهل موقان قد اتخذوا موقفاً موحداً من الدعوة الإسلامية ، ذلك هو إيثارهم دفع الجـزية على اعتناق الدين الإسلامى ، ومعنى هذا أن المحاولات

---

[١] المصدر السابق .

[١] المصـدر السابق ١٥٧ ، دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد الثالث ص ٣٨ .

[٢] الطبرى جـ٤ ص١٥٧ ، ابن الأثير جـ٣ ص٢٩

البكرة لفتح أرمينية ، والتى وقعت فى السنتين : العشرين والحادية والعشرين لم تؤد إلى السيطرة المباشرة للدولة الإسلامية على أى من نواحى أرمينية ، كما أنها لم تؤد أيضا إلى انتشار الإسلام فى أى من المواطن التى ذهبت إليها .

وإذا كان لهذه الحملات من نتيجة إيجابية فربما انحصرت هذه النتيجة فى تهيئة الجو النفسى بين الأرمن لاعتناق الدين الإسلامى ، ولستنه فى هذا الاحتمال على نص رواه الطبرى ، ونقله عنه ابن الأثير ، والنص يقول عن أهالى المناطق التى ذهبت إليها الحملات الإسلامية السابقة[1] : « فلما استوسقوا واستحلوا عدل الإسلام مات سراقة » ونستطيع أن نفهم من هذا النص أن أهالى هذه النواحى أو بعضهم كانوا قد تهيئوا نفسيا ، وتفتحوا فكريا لقبول الإسلام ، غير أنهم لم يعتنقوا الدين الإسلامى .

وهذا النص يبرز لنا أن العدل الذى اتسم به الإسلام كان العنصر الأول الذى استرعى اهتمام الأرمنيين ، ولا يستطيع قائل أن يقول بأن العدل كان العنصر الوحيد الذى ظهر به الإسلام أمام أهل أرمينية ، ولكن يبدو أنهم كانوا يئنون تحت وطأة الظلم والاستبداد من حكامهم أو من المتسلطين عليهم ، مما جعلهم يركزون انتباههم بصفة خاصة على العدل الذى افتقدوه وحرموا منه .

مهما يكن من أمر ، فهذه هى حصيلة الجهود التى بذلتها الدولة الإسلامية فى أرمينية حتى وفاة الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى ذى الحجة سنة ٢٣ هـ . وبعد وفاة هذا الخليفة واصلت الدولة الإسلامية الجهود لفتح أرمينية ونشر نور الإسلام بين ربوعها ، وهذا ما سنعالجه فى المقالات التالية ؟

د . عامر غنيم أبو سعيد

[١] الطبرى جـ ٤ ص ١٠٧ ، أما ابن الأثير فإنه يقول (جـ ٢٩٣) : « فلما استوسقوا واستحلوا الإسلام وعدله مات سراقة » وقد مات سراقة قبل موت الخليفة عمر بن الخطاب .

مصادر الشريعة الإسلامية وثباتها

للدكتور مصطفى كمال وصفي

إن هذا الموضوع جد خطير، وبالغ الأهمية، وتتعلق به الآن كثير من مشكلات العصر، وتدور حوله أفكار أهل هذا الزمان.

فإن من أهم ما نعانيه الآن، أن المدنية الغربية أنتجت أفكاراً كان لها وقع عميق في الأذهان، فقد تأثر بها المسلمون كما تأثر بها الناس جميعاً. وقامت الثورات وتغيرت النظم بسبب هذه الأفكار، فكان من الضروري أن يعلم رأى الإسلام فيها.

فالثورة الفرنسية التي قامت سنة ١٧٨٩ أنشأت أفكار المساواة والحرية وحقوق الإنسان وتشكلت حكومات على هذا الأساس وانهدمت العروش الاستبدادية القديمة بسببها. ثم جاءت أفكار ماركس في منتصف القرن الماضي وكتب كتابه «رأس المال» وأصدر «البيان الشيوعي» وأثار مسألة الصراع الطبقي وحكم البرولتاريا ثم قامت الثورة السوفيتية على هذا الأساس عام ١٩١٧ وولدت الكتلة الشرقية الشيوعية على أثر ذلك وقام المعسكر الاشتراكي في مقابل المعسكر الرأسمالي الذي مازال مخلصاً لأفكار الثورة الفرنسية.

كل ذلك أنشأ حساسيات فكرية بالغة عند جميع الناس.

واستيقن الناس تقديس الحرية والثورة الشعبية وسلطان سيادة الشعب ونحو ذلك من الأفكار التي أصبحت عصب السياسة والفكر الدستوري الحديث.

ولقد كان من نتيجة عدم تهيؤ المراجع والأفكار الإسلامية للحكم على نظريات الحرية والسلطة الشعبية أن عمد البعض إلى الاستعانة بالفقه الأجنبي في هذا الصدد وآثروا هذا الطريق — الذي وجدوه سهلا — عن الخوض في جذور الإسلام واستخلاص هذه المعاني منه.

ونحن نعرض أولا لما قاله البعض من من أنصار الانطلاق وراء الأفكار الأجنبية وننقد ما قالوه، ثم نبين مانراه — والله أعلم — من الحق في مسألة مصادر الأحكام الشرعية، ومشكلة ثباتها وتطويرها.

والله التوفيق.

القول بأن ليس للشريعة مصادر دستورية:

وقد ذهب البعض إلى القول بأن الشريعة الإسلامية خالية من الأصول السياسية والدستورية . وأنه لذلك يجوز اقتباس النظم الحديثة على اختلاف أنواعها — من ديموقراطية أو اشتراكية أو شيوعية — وتطبيقها في الدول الإسلامية دون أن يعتبر ذلك مخالفا للإسلام[1] .

وهم يقصدون بذلك الانطلاق بالشريعة إلى أقصى حدود التطوير وهو رأى نراه هدميا وليس تطويريا .

وفيما يبدو لنا ، فإن هذا النوع من التفكير بدا أول مابدا في (كتاب الإسلام وأصول الحكم) للمرحوم الأستاذ على عبد الرازق . فقد قال إن المبادىء العامة المرنة التى جاء بها الإسلام تقبل التطوير في كل زمان ومكان حسب ظروف الحال ، فلا مانع من أن نطبق « العدل » حسب مفهوم الوقت، كما بينه الفكر الديمقراطى أو الشيوعى أو غيره .

وقد حاول غيره أن يؤصل هذا القول من طريق تحليل للمصادر الشرعية والخروج من هذا التحليل إلى القول بأنها لا تحوى أصولا ثابتة محددة في الناحيتين السياسية والدستورية، ومن ثم يسوغ اقتباس أفكار العصر دون أن يعتبر ذلك خروجا عن الإسلام.

فقالوا: إن القرآن جاء على وجه من المرونة والعموم لكى ينطبق على كل زمان ومكان، فقد جاء بأفكار عامة مرنة مجردة كالعدالة والحرية والمساواة والشورى ، وهى من المرونة بحيث يطبقها الناس فى كل زمان ومكان حسبما تقتضيه مصالحهم ، وبذلك فإن القرآن لا يقيد الناس فى هذا العصر ، أما السنة فقد قالوا إنها لا تعد ملزمة شرعا للأجيال التالية فى أمور السياسة[1] لأن ما صدر من النبي ﷺ باعتباره إماما لا يعد تشريعا عاما إذ أنه بنى على مصلحة قائمة فى وقته ، واستندوا فى ذلك إلى ما جاء فى فروق الإمام القرافى (الفرق ٣٦)

[١] وقد عرض الأستاذ الدكتور عبد الحميد متولى لذلك فى كتابه : « مبادىء نظام الحكم فى الإسلام» دار المعارف ١٩٦٦ ، ومقاله : مصادر الأحكام الدستورية — مجلة الحقوق ١٩٦٢ . ومقاله الإسلام وهل هو دين ودولة ، ومجلة القانون والاقتصاد ديسمبر ١٩٦٤ ومارس ١٩٦٥ وكتابه أزمة الفكر السياسى الإسلامى فى العصر الحديث — المكتب المصرى الحديث للطباعة والنشر بالاسكندرية الطبعة الأولى سنة ١٩٧٠ .

(١) مبادىء نظام الحكم فى الإسلام للدكتور عبد الحميد متولى صفحة ٤٦٠ ، ٧٧ ، ٣٠٢ .

فى بيان الفرق بين قاعدة تصرفه ﷺ بالقضاء وغيره وبين قاعدة تصرفه بالإمامة «وإن كل ماتصرف فيه بوصف الإمامة دون التبليغ لا يجوز لأحد أن يقدم عليه إلا بإذن الإمام اقتداء به عليه السلام» إذ يبدو أنهم وقعوا فى خطأ مادى منه النقل فظنوا أن العبارة هى «لا يجوز لأحد أن يقدم عليه» ونسوا : إلا بإذن الإمام اقتداء به عليه السلام .

وإنه ، إذ ينتهى أصحاب هذا الرأى إلى تجريد القرآن والسنة من قيمتهما كمصدر للأحكام الدستورية والسياسية الإسلامية فإنهم لا يجدون صعوبة فى طرح سائر المصادر من قياس وإجماع ، فمادام أن المقيس عليه وهو النص لا وجود له ، فإنه لا قيام للقياس بدونه .

وهذا الرأى قائم على خطأ فى الفهم بالنسبة للقرآن ، لأن العدل فى المفهوم الإسلامى مقيد ومتميز من غيره مما فى النظم الأخرى ، فالعدل فى الإسلام هو العدل المبنى على التوحيد[1] والمستمد من نصوص القرآن والسنة ومن المقاصد الشرعية ، فإن العدل الإسلامى معياره ووسيلته ، وطريقته ، هى ما أظهرنا الله عليه من شريعته ؛ فالشريعة هى وسيلة تحقيق هذا العدل ، فإن قال الله تعالى : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان » ، وأردنا أن نطبق هذا على عدل الزوج مع زوجته فإنه يكون عن طريق تطبيق نصوص النفقة وحسن المعاشرة وغير ذلك من أداء الحقوق ، وإن أردنا تطبيقه على الإمام فإننا نطبقه عن طريق ماورد من أخذ المال بالزكاة والغنيمة وما يجوز من العشور ، وماورد فى شأن إقامة المصالح والمرافق وتأديب العصاة وتوقيع العقوبات وإنزال الحدود وأخذ المال عند الإتلاف والتضمين وغير ذلك من فيض الأحكام الكثيرة الواردة فى القرآن والسنة شرحا للعدل الإسلامى .

وهذا العدل مقيد بالتوحيد بمعنى أن المسلم يشهد به ، وليس شهادته بالقول بل بما يصادقه من العمل ، فوجب أن يكون تحريه للعدل بين الناس بإنزال ما أمر الله به وتنفيذه ، ومنع مانهى الله عنه وكل ما هو على هذا النهج فهو من العدل الإسلامى ، وكل ماليس على نهجه فليس

(١) انظر كتاب المغنى للقاضى عبد الجبار (أبواب فى العدل والتوحيد) وخاصة الأجزاء المتعلقة بالتكليف ، والجزء العشرين الخاص بالإمامة .

من العدل الإسلامي ، ثم إنه فيما لا نص فيه هناك كما بينّا[1] مقاصد شرعية تقوم على حفظ الضرورات ومنع الحرج والمشقة واستكمال المحاسن في أمور خمسة هي : الدين والنفس والنسل والعقل والمال ، ولا يكون العدل عدلا في نظر الإسلام إلا ببذل الجهد بتطبيق النصوص والقياس ثم إنزال المصالح على هـذا الأساس دون غيره ، فهو ليس عدلا مطلقا ، يجوز أن يصطبغ بصبغة رأسمالية أو شيوعية حسب الأحوال ، ولكنه عدل موصوف مقيد بنصوص معينة ووسائل محـددة للاجتهاد ومقاصد شرعية معينة محددة ، فإما هذا وإما أنه ليس عدلا إسلاميا .

وهذا العدل يختلف مثلا عن العدل في النظم الرأسمالية والليبرالية ، فإن هذه النظم تحمي الحرية الفردية وترى أن غاية القانون هو تأمين الحرية الفردية وضمانها ، فكل ما يأتيه الفرد داخل حدود حريته مما لا يخالف القانون ولا يضر بالغير هو عدل ، ولذلك فإن كثيرا من صور الاستغلال الصارخة وكثيرا مما يخالف الآداب يسمح به هذا النظام ، فالعدل هنا يختلف عما نعرفه في الإسلام فإذا اقتضى صاحب المال أن يعمل العامل عنده بأجر بخس فلا ضير عندهم في ذلك ؛ لأن العقد عندهم هو شريعة المتعاقدين ، فما دام العامل قد رضي فإنهم لا ينظرون لضغط الظروف الاقتصادية وسيطرة رب العمل على ظروف العامل واضطرار الأخير للخضوع له ما لم يشكل إكراها بالطرق المحددة المنصوص عليها في القانون المدني ، ولا يعاقب القانون في هذه النظم على زنا المرأة الرشيدة غير المتزوجة بلا إكراه ؛ لأن حريتها قد ارتضت ذلك ، ويرون أن العدل أن يكون لها ذلك ، وأن منعها منه ليس عدلا ، وهذه مما لا يرتضيها الإسلام لأن مبدأ العدل هنا مختلف عن مبدأ العدل هناك حسب الفكرة العليا المهيمنة على النظام .

وفي النظام الشيوعي تختلف أيضا فكرة العدل عما تقدم . فالعـدل هنا يقوم على منع الاستغلال والصراع الطبقي والمساواة شبه المادية بين الجميع . فهذه عـدالة اقتصادية من نوع معين ليس لها علاقـة أكيدة بالاعتبارات التي ينظر بها الإسلام

---

(١) مقالنا في هذه المجلة عن المشروعية في الإسلام ، وكتابنا في المشروعية في النظم الإسلامية ١٩٧٠ صفحة ٢٦ وما بعدها

إلى مختلف مسائل الحلال والحرام ، فالأمر قد يعتبر عادلا لا شبهة فيه فى هذا النظام وهو غير عادل فى الإسلام .

وقس على ذلك مختلف الأصول التى أوردها القرآن والسنة ، وحسبها هؤلاء أنها مطلقة تقبل الاصطباغ والتلون بمختلف النظريات .

وأما عن السنة فهى عامرة بالأحاديث المتعلقة بالسياسة والإمامة ، وكيفية تنفيذ الشورى وكيفية الحكم فى الناس ، وما يكون الإمام مقيدا فيه ، وما يكون له نظر ، ويكاد يكون السبب الأساسى فى كتابة هذه الفصول هو الرد على هؤلاء بما جمعته من أحاديث السياسة والإمامة التى تنطبق على الناس فى كل زمان ومكان ، وهذا واضح من أول مقالة كتبتها .

وليس فى الاستشهاد بما جاء به القرافى حجة بطبيعة الحال ، إنما سببه الخطأ المادى فى النقل كما بينا ، فإن حقيقة ما بينه الإمام القرافى هو أن هـذه المسائل تطبق بعد زمن النبى صلى الله عليه وسلم ولـكن بشرط إذن الإمام ومن طريقه . وقوله « اقتداء به عليه السلام » يفيد صراحة تطبيق هذه الأحـكام بعده ، والأصل فى أعماله عليه الصلاة والسلام أنها وردت على سبيل التشريع ، ولذلك فلا مقيد لهذا الأصل مما وهموه .

ولا نحتاج للتنويه بخطورة هذا القول وتهديده للدين ، فإن باسمه تهدم المقاصد الشرعية وتهدر الأحكام والنصوص ، وتنطلق فى سبل لا تتصـل بالدين ، وأن قولهم : « يطبقها الناس لما يرونه من مصالح » يجب أن يحمل على أنه المصالح الشرعية ، وليس مطلق المصالح التى تبتغيها هـذه النظم الحديثة بصرف النظر عن مطابقتها للإسـلام ؟

مصطفى كمال وصفى

وراء السوالف الطويلة تقف الصهيونية

للأستاذ محمود شيت خطاب

— ١ —

فجأة انتشرت بين شباب العالم هذه السوالف التي هي امتـــداد لشعر الرأس الموازي للأذنين ليتصل بشعر اللحية فوق العارضين ، بحيث تغطي هذه السوالف نصف الوجه تنقص أو تزيد قليلا .

والسوالف : جمع (سالف) باللهجة العامية المصرية ، وهي ما يطلق عليها : اسم (الزُّلف) في بعض الأقطار العربية ومنها العراق .

والزلف : جمعها (زُلوف) ، وهي بمعنى (السالف) في اللهجة العامية المصرية .

وربما يكون لكلمة (الزلف) معنى لغوي ، فيقال : زلف في حديثه : زاد فيه وزلف الشيء : زاد فيه . فإذا امتد شعر الرأس إلى أسفل شحمة الأذنين ، فقد زاد مقداره عن المعتاد .

ولست بصدد اللغة الآن ، ولكنني بصـدد الظاهرة التي اجتاحت أكثر شبابنا تقليداً لمثل الشبان الأجانب ، واتباعاً لشباب الأجانب الذين تحرروا من كل فضيلة فأصبحوا عبيدا لكل رذيلة .

وإذا كان الشباب الأجنبي يشـكو (الضياع) ، لتفسخ الأسرة ، واهتمام الآباء والأمهات بالجنس ، وتكالب الناس على (المادة) وحدها ، دون الاهتمام (بالروح) ومتطلباتها .

وإذا كان عقلاء الأجانب يشكون من الشكوى من تردي شبابهم تميعاً وانهياراً ، دون أن تقـــدم لهم الحضارة الغربية التي ثبت إفلاسهـا في توجيه (القلوب) إلى الصراط المستقيم وإلى المثل العليا ، الحلول الناجعة السليمة للأرواح الحائرة الضائعة .

فما المسوغ لشبابنا أن يقتفوا آثار الشباب الأجنبي ، والحضارة الإسلامية العربية حضارة (الروح) . و (المادة) ، تقدم الدواء الشافي للعقول والقلوب معاً ، وتهدي للتي هي أقوم ، وتقود إلى سبل الحق والخير والنور ؟؟!!

— ٢ —

فما هي حقيقة هذه السوالف ؟

هذه السوالف هي سمة من سمات يهود ..

لقد عملت الصهيونية العالمية على إشاعتها بين الشباب حتى تجرب مدى قدرتها على بث التعليمات القبيحة الشاذة ، ومدى تأثيرها في الشباب بخاصة وفي الشعوب بعامة .

وقد استطاعت الصهيونية العالمية نشر رذائل كثيرة ، كلها معاول هدم للبشرية ولمثلها العليا ، إذ من المعروف أنها تهدف إلى إشاعة الفحشاء والتحلل الخلقي والتفسخ في العالم ، لكى تستطيع السيطرة على مصالح الأمم والشعوب غير اليهودية ؛ لأن الأمم والشعوب والجماعات والأفراد المتمسكة بالإيمان والأخلاق القويمة ، لا يمكن أن تخضع لغيرها أبداً ، وليس من السهل السيطرة عليها .

« الخمر ... والمجون المبكر ... أعمال الرشوة والخديعة والخيانة ... [1] » ، تلك هي وسائل الصهيونية لتحطيم المثل العليا في غير يهود ، كما تنص عليها بروتوكولات حكماء صهيون ، وهذا ما نلمسه تطبيقاً عملياً على غير يهود ، يحرص يهود على نشره بشتى الطرق والوسائل وبمختلف الأشكال والأساليب .

وقد طغى مد النشاط الصهيوني لنشر الفساد في الأمم الأخرى بعد عام ١٩٤٨ ، أي بعد خلق إسرائيل في الأرض المقدسة .

وكلما اشتد ساعد إسرائيل وتوسعت ، ازداد مد نشاطها التخريبي في العالم ، حسب مخططات موقوتة لها أهداف واضحة : هي تدمير المثل العليا في العالم ، والقضاء على الأديان عدا اليهودية — خاصة المسيحية والإسلام .

— ٣ —

إن الذين يشكون في نشاط الصهيونية التخريبي الذي يستهدف تحطيم المثل العليا في الأمم غير اليهودية ، واهمون كل الوهم ، أو مغرور بهم كل التغرير ، أو عملاء كل العمالة .

وإذا أحصينا شركات السينما ودور اللهو والنوادي الليلية والحانات والمقاصف وملاعب القمار ومحلات الجنس والتصاوير الخليعة والمؤلفات الجنسية ، إلى غير ذلك من معاول الهدم والتدمير لوجدنا أن أكثر من تسعين في المائة منها تابعة

[١] انظر تفاصيل ذلك في بروتوكولات حكماء صهيون .

المؤسسات صهيونية ، والمؤسسات غير الصهيونية القليلة التي هي وراء تلك الباذلة تمول بصورة مباشرة أو غير مباشرة برأس المال الصهيوني ، كما تشجع إلى أبعد الحدود من أجهزة الإعلام الصهيونية ومن المصارف الصهيونية .

فهل كل هذا صدفة وبدون تخطيط ، أم وراء الأكمة ما وراءها !

أما المؤسسات التي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتكافح الرذيلة وتدعو إلى التمسك بالدين والأخلاق ، فتقاوم من رأس المال الصهيوني وأجهزة الإعلام الصهيونية سراً وعلانية ، حتى تتلاشى وتذهب مع الريح .

وليس سراً ، أن أول من أنشأ شركات السينما في مصر بالذات هم اليهود ، ثم تلاقف إنتاج تلك الشركات موزعون من يهود في بيروت والبلدان الأخرى .

لهذا ليس عجباً أن تكون ثمرات السينما العربية فجة فيها السم الزعاف !

حدثني أستاذ جليل كان منتدباً للتدريس في الولايات المتحدة الأمريكية عاماً دراسياً كاملاً ، عن مظاهر التفسخ في المجتمع الأمريكي المعاصر .

وقد ذكر هذا الأستاذ الجليل أنه صادف مقصورة لبيع الصور العارية الفاضحة والمجلات الجنسية الداعرة ، فسأل صاحبها عنها ، فعلم منه أنه يهودي وأنه مستمد لاستصحابه إلى المحلات الصهيونية التي تنتج الرذائل وتصدرها .

ويهود وراء التحلل الخلقي في إنكلترا وهولندا والسويد وفرنسا ، وهم الذين أفسدوا الشباب والمجتمع وأباحوا الجنس وسنوا القوانين لحمه وإباحته .

وحين وجد غير يهود في تلك الدول وفي غيرها أيضاً ، من الذين لا خلاق لهم ولا ضمير ، ما تغدقه تجارة الجنس من أرباح ضخمة ، سال لعابهم جشعاً وقلدوا الصهاينة، فنالوا التشجيع الصهيونية العالمية وتأييدها ، لأنهم أصبحوا آلات طيعة لتنفيذ مخططات الصهيونية في التخريب .

والأمل وطيد في أن يكتشف العالم حقيقة الصهيونية العالمية وحقيقة نشاطها التخريبي في إشاعة الفحشاء والمنكر والثقافة الرخيصة بين الناس .

وأخشى ما أخشاه أن يفوت الوقت قبل أن يكتشف العالم ذلك ، فيفوت الوقت

المناسب لاتخاذ التدابير اللازمة للحد من هـــذا الوباء .

— ٤ —

والسوالف ... !

هذه السوالف جزء لا يتجزأ من محاولة الصهيونية العالميـة للضحك على القطعان الضالة الضائعة والتلاعب بأهوائها وتوجيهها إلى التيه والضياع .

لقد كنا نقول عن اليهودي: «يهودي أبو سوالف .. أو يهودي أبو الزلوف».

ذلك لأن الذكور من يهود — خاصة المتدينين منهم ـ كانوا يطيلون سوالفهم، كما يفعل الشباب اليوم تطـــوعا ومن طيبة خاطـر ! .

وقصة سوالف يهـود معروفة ... سبى بختنصر ملك بابل عام (٥٨٧) قبل الميلاد بنى إسرائيل ، وأخذهم أسرى إلى بابل فى أرض الرافـدين ، حيث انتشروا فى العراق وفى الأقطار المجاورة .

وأراد بختنصر أن يجعل لهم علامـة فارقة تعرفهم بها الناس ، ليتجنبوا شرهم ويأمنوا مكرهم،فأمرهم أن يطيلوا سوالفهم وألزمهم بهذا التقليد .

وبدأ حاخامات يهود يكتبون (التلمود) وهو الكتاب الدينى ليهود بعد التوراة فسجلوا فى التلمـود عادة إطالة السوالف ، وجعـلوها شعيرة من شعائرهم الدينية ، لتبرئة ساحة بختنصر من إلزامهم بها من جهة ، ولرفع معنويات يهـود بجعلها سنة دينية من جهة ثانية .

وأخذ يهـود أنفسهم بهذه العادة منذ ذلك التاريخ ، فلما تفرقوا شرقا وغربا بعد اضمحلال الدولة البابلية ، حملوا معهم هذه العادة ، وأصبحت جـــزءاً من تعاليمهم الدينية .

وهكذا نجد اليهودى فى سورية ومصر وشمال إفريقية وأوربا وأمريكا واستراليا وفى جميع أصقاع الدنيا ، منذ ذلك التاريخ حتى اليوم ، يطيل سوالفه إذا كان متمسكا بتعاليم التلمود ، ويعتبر ذلك سمة من سماته وميزة من ميزاته .

وفجأة ظهر قبل ثلاث سنوات ممثـل يهودى اسمه (دافيد) فى رواية من روايات الشركات الصهيونية التى تنتجها مـدينة السينما (هوليوود) فى الولايات المتحدة الأمريكية مركز تجارة السينما اليهـودية ،

وهو بسوالف طويلة، لأنه كان يمثل دور يهودي متدين .. فما كان من الشباب في العالم إلا تقليد هذا الممثل اليهودي الصهيوني .... !!

وليس غريباً انتشار السوالف المسبلة بين شباب العالم للتعميم، ولكن الغريب انتشارها بين شباب العرب والمسلمين .

وبالطبع بدأ شباب يهود بتقليده، ثم انتشر هذا التقليد بالعدوى كما تنتشر الأوبئة .

إن شباب العرب والمسلمين في معركة مصيرية على الصهيونية العالمية . . .

والمتوقع منهم أن يخالفوا الصهاينة تنفيذاً لسنة النبي ﷺ في مخالفة يهود، وحرصاً على شخصيتهم العربية الإسلامية .

إن الصهاينة ليسوا أقل عداوة للمسيحية من عداوتهم للإسلام فهم أعداء لكل دين وكل فضيلة وكل خلق كريم ..

ولقد رأيت شباباً عرباً مسلمين يرتادون المساجد ويؤدون فرائض الله، ولكنهم أسبلوا سوالفهم وقلدوا الصهاينة .

وقلت لنفسي : ترى أهل يعرف هؤلاء حقيقة أمر السوالف ؟ أهل يعرفون أنهم ضحية (تقليعة) صهيونية ! ؟

أما وقد انكشف أمر السوالف، فهل يتخلون عن هذه التقليعة السخيفة ؟ !

إن اليهودي الصهيوني هو الذي يطيل وحده سوالفه اتباعاً لآثار تقاليده الدينية.

وهو وحده يرغب في أن يفرض اتباع هذه التقليعة على شباب العالم بوسيلة أو بأخرى ..

فإذا كانت السوالف من سمات الصهاينة، تهافت عليها الإمعات والتافهون من شباب العالم، فالمصلحة من يقتفي آثار الصهاينة إسبال العربي المسلم !!

أقلعوا يا شباب العرب والمسلمين عن إسبال السوالف، حرصاً على تأكيد ذاتكم، وحفاظاً على رجولتكم، وتطبيقاً لتعاليم دينكم الحنيف ..

تجنبوا تقاليد يهود، وكونوا من مخططاتهم على حذر !

محمود شيت خطاب

قصيدة شعر :

إلى حجاج بيت الله الحرام

سطعت كنوز الفجر في أبياتي ... وتسربت كالعطر في الزهرات
وغدت تحدث في جلال خاشع ... كالطهر والإيمان في الصلوات
وسمعتها تدعو وتهتف في الضحا ... قدسية الدعوات والنغمات
نادى الخليل فيا سعادة من سعى ... لله في طهر وفي إخبات
فأجابها نفر كريم أشربوا ... حب التقى وحلاوة القربات
تركوا ديارهمو وساروا خشعا ... كالنور يطوى الجو والفلوات
وهناك في الأرض المقدسة التي ... كرمت بنور الوحي والآيات
هتفت بهم ورقاء ساحرة الرؤى ... تختال في سحر وفي هالات
ورنت إلى ركب الحجيج وأرسلت ... بشرى كلحن الطير في الربوات
حجاج بيت الله طابت رحلة ... نلتم بها ما طاب من جنات
غادرتموا الوطن الحبيب لتسعدوا ... بالأجر والرضوان في عرفات
وخلعتموا الدنيا وزخرفها الذي ... يغرى الورى باللهو واللذات
وهناك في عرفات صرتم أمة ... مجموعة بالتهليل والدعوات
لا فرق بين الواقفين فكلهم ... قلب يناجي الله بالطاعات
وعلى منى نلتم من الله المنى ... وقتلتموا الشيطان بالجمرات
ولزمتموا البيت الحرام وطفتموا ... سعيا ببيت الله ذي الرحمات
بشرا لكمو فلقد عمرتم بيته ... وهو الكريم يضاعف الحسنات
ثم انثنيتم نحو قبر محمد ... فحظيتموا بالخير والبركات
صلى عليه الله ما طلع الضحا ... ودعا الموحد بارئ النسمات
ولكم من الله المثوبة والرضا ... في أسعد الأيام والأوقات
والتهنئات أزفها منضورة ... كالزهر في أرج وفي بسمات
لكمو بحجكمو وباليوم الذي ... لا شك بالنصر المؤزر آت

محمود محمد بكر هلال

القيادات العسكرية في صدر الإسلام

للدكتور عباس حلمي إسماعيل

مارس الرسول ﷺ الحرب والقتال ، وأطلق الأسماء على دوابه وسلاحه ورايته ، فاسم ناقته القصواء ، واسم بغلته الدلدل ، واسم فرسه السكب ، واسم حماره اليعفور واسم سيفه ذو الفقار ، واسم قوسه الكتوم ، واسم درعه ذات الفضول ، واسم رايته العقاب .

وحذق فنون الحرب في زمانه ، وعلم خدعها ومكايدها ، وكان يعرض جنوده الذاهبين إلى القتال ، فيخرج منهم الضعيف والمريض ، ويعمل مع الجنود ويؤاكلهم ويواسيهم ويشجعهم على القتال ، وقبل أن يغزو ، يبعث أمام جيشه العيون والأرصاد ، ليتعرفوا له قوة العدو وخبره كما كان لا ينبيء بحقيقة المكان الذي يقصده ، حتى لا يفسد عليه جواسيس العدو وخطته .

وإذا انصرف العدو ، بعث وراءه من يتثبت من أمره حتى لا يخدعهم ، ولا يرجع إليهم على غرة ، فإذا غزا ورى من طريق وهو يريد أخرى ، ويقول : الحرب خدعة . طهر جيشه من المخذلين والجواسيس ، فقد رد عبد الله بن أبي ابن سلول في بعض غزواته ، لتخذيله للمسلمين وتوهينهم ، وملأ الرسول قلوب جنوده بروح التضحية ، وحبب إليهم الموت في سبيل الله ، ودعاهم إلى المغامرة والمخاطرة ، فلا ينكصون ولا يترددون ، كما شاور أصحابه واتبع رأيهم ولو كان مخالفا لرأيه ، وكان إذا أنفذ جيشه أوصاه بقوله : « باسم الله ، وفي سبيل الله تقاتلون من كفر بالله ، لا تغلوا ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ولا تقتلوا امرأة ولا وليدا » .

ونجح الرسول بالحيلة ، ففي شهر المحرم من السنة السابعة للهجرة (مايو ٦٢٨ م) ظفر المسلمون بيهود خيبر بعد حصار دام بضع عشرة ليلة ، وفتحوا حصونهم المنيعة وملكوا أرضهم ، ولكنهم تركوها في أيدي اليهود ليزرعوها ، على أن يكون لهم نصف ما تغل ، ووصل نبأ النصر إلى المدينة وما حولها ، ولم يصل بعد إلى مكة ، حيث المشركون يتشوقون إلى نتيجة الصراع بين محمد واليهود ، وكان

أغلب ظنهم أن يرتد المسلمون عن خيبر مهزومين. وهذا هو الحجاج السلمي، أحد الذين شهدوا مع الرسول الكريم فتح خيبر. يستأذنه ليعود إلى مكة من أجل أن يحصل على ماله، فأذن له الرسول.

وعلى الحجاج الفاقة وبعد النظر وسعة الحيلة، فقال للرسول: جعلني الله فداك يارسول الله، أرجو أن تأذن لي أن أنال منك وأنماك لأهل مكة، لعلي بذلك أغرهم قبل أن يعلموا إسلامي، فأسترد أموالي، فأذن له الرسول، وانطلق الحجاج إلى مكة، ليبلغها قبل أن تعلم شيئاً من انتصار الرسول، فيضيع ماله، وما كاد يضع رجله، حتى تنقل خبر مقدمه من درب إلى درب، وامتلأت داره بالوافدين عليه، يحدوهم التلهف إلى أنباء الصراع بين محمد واليهود. فيقول لهم الحجاج: عندي من الأنباء ما يسركم، إنه شهدت قتال محمد وأهل خيبر، فلما استمر القتال لم يطق محمد وأصحابه صبراً، فهزموا وأسروا. ووقع محمد في قبضة اليهود أسيراً، فصاح المشركون صياح الفرح، ثم سأل بعضهم في زهو: وهل قتل اليهود محمداً؟ فأجابهم: لا، قالوا لن نقتله حتى نسلمه لأهل مكة ليسخروا منه، فازداد المشركون فرحا، وانتهز الحجاج هذه النشوة وقال لهم: ردوا علىّ مالي لأرجع إلى خيبر، فأشترى مما غنم اليهود، قبل أن يسبقني التجار إلى الغنائم، وسأعود إليكم بقافلة محملة، فلما سمع المشركون كلام الحجاج، كافئوه على بشارته بأن ردوا عليه ماله، وما لبث الخبر أن ملأ مكة كلها، فخرج رجالها ونساؤها وفتيانها إلى المسجد الحرام ينظفون أصنامهم، ويستعيدون الثقة بها.

وهنالك في بعض أنحاء مكة، كان المؤمنون الذين علموا بالكارثة، يقبعون في دورهم يفكرون في نورهم وأملهم، بل يفكرون في الشخص الذي يحبونه أكثر مما يحبون أنفسهم وأولادهم، يفكرون في الرسول محمد، الذي سمعوا أن اليهود أسروه وأنهم سيقتلونه، فيتشككون في الخبر ويطمئنون.

وكان العباس بن عبد المطلب عم الرسول قد أسلم ولم يعلن إسلامه، فلما علم بالخبر شك وتجلد، وتوقع أن يأتيه كثير من الناس، بين مشرك شامت، ومسلم مكروب، فيتظاهر العباس بأنه لم يسمع، وأمر غلامه أن يذهب إلى الحجاج ليستوثق،

فانطلق الغلام إليه ، ووجده فى داره ، وعنده كثير من الناس يرجون ميونهم . ثم ذهب الحجاج إلى العباس ، وأخبره بإسلامه ، وانتصار المسلمين على اليهود ، فكتم العباس فرحته .

وإذا كان الحجاج قد برع فى حيلته ، ليدخل مكة ويسترد ماله ، فلابد له من حيلة بارعة أخرى ليخرج من مكة آمنا ، لقد رجع لزوجته بنت حاجب الكعبة ، وسادن الأوثان ، والإسلام سيحرمه نفوذه ، وما تجلب له الأصنام من مال ، وأخبرها أنه يريد أن يدلج إلى خيبر قبل أن تسبقه التجار إلى شراء الغنائم ، وطلب كل ما عندها من مال على زعم أن يشترى الغنائم كلها ليربح أعظم ربح ، ويعطيها يوم عودته كل ما تشتهيه نفسها ، فنهضت نشيطة تقدم له ما استودعها من المال ، ثم رحل مصحوبا بالدعاء له ، ولما ارتفع الضحى وقصد العباس امرأة الحجاج وعرفها بحقيقة الأمر ، فأسرعت إلى أهلها تصيح وتدعو بالويل .

ثم انطلق العباس إلى المسجد ، ليخبر المشركين بانتصار الرسول ، فانفضوا وجفت حلوقهم ، وحزن الذين فرحوا بالأمس ، وأدخل الله السكينة على عباده الذين آمنوا به وبرسوله .

وكانت السنة الثامنة للهجرة سنة مباركة فقيها أسلم خالد بن الوليد ، فأعز الله به الإسلام . وكانت غزوة مؤتة أول ملحمة حربية اشترك فيها خالد بعد إسلامه ، وسببها أن الرسول ﷺ أنفذ رسولا إلى هرقل ملك الروم ، يدعوه فيه إلى الإسلام ، فقتله أحد عمال هرقل ، فكان ذلك شديداً على رسول الله ، وبعث بحملة من المسلمين عدتها ثلاث آلاف مقاتل ، منهم خالد بن الوليد ، ليؤدب الروم على قتلى رسوله . ولما علم الروم ، بقدوم جيش المسلمين ، استعدوا لقتاله بمائتى ألف مقاتل والتقى الجيشان رأى خالد بثاقب فكرة أن جيش المسلمين أقل بكثير من جيش الروم وأن الحكمة تحتم عليه أن ينسحب من هذه المعركة بجيشه ، قبل أن يناله شر كثير من الروم ، فظل يناوشهم طول اليوم ، حتى أقبل المساء وساد الظلام ، ووضع الجيشان السلاح إلى الصباح ، وبات خالد ليلته يفكر فى خطة ينقذ بها جيش المسلمين ، فلما جاء الصباح ، غير نظام الجيش فجعل الميمنة ميسرة ، والميسرة ميمنة ، ووضع عددا كبيرا من الجيش فى صف طويل ، ثم أمر فأثير الغبار ،

وعلت الجلبة والصياح، فخاف الروم، وظنوا أن خالدا قد جاءه مدد كبير من الرسول، فبقوا في حصونهم، ولم يخرجوا لقتال المسلمين وعندئذ انتهز خالد هذه الفرصة، وانسحب بالجيش راجعا إلى المدينة. وقد قدر الرسول مهارة خالد، ولقبه منذ ذلك اليوم سيف الله المسلول.

وكان الصديق أقرب المقاتلين إلى الرسول في كل غزوة، واقتدى به، فأنفذ بعثة أسامة بن زيد. وهي بعثة تأديبية، لردع القبائل التي تعيث في الطريق بين الحجاز والشام، تأمينا لتلك الطريق، وتوطيداً لهيبة الإسلام في نفوس تلك القبائل، ولما شيع جيش أسامة، لم ينس أن يوصيه بالضعفاء: « لا تخونوا، ولا تغلوا ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلا صغيرا، ولا شيخا كبيرا، ولا امرأة، ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا لمأكلة. وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام، فإذا أكلتم منها شيئا بعد شيء، فاذكروا اسم الله عليها، وتلقون أقواما قد فحصوا أوساط رءوسهم وتركوا حولها مثل العصائب، فأخفقوهم بالسيف خفقا، اندفعوا باسم الله ».

وبلغ من يقظة الصديق، أن نصح خالدا حين خرج لحرب المرتدين، فقال: « إذا دخلت أرض العدو، فكن بعيدا من الحملة فإني لا آمن عليك الجولة، واستظهر بالزاد، وسر بالأدلاء، وقدم أمامك الطلائع ترتد لك المنازل، وسر في أصحابك على تعبئة جديدة، واحرص على الموت توهب لك الحياة، ولا تقاتل بمجروح فإن بعضه ليس منه، واحترس من البيات فإن في العرب غرة، وإذا لقيت أسدا وغطفان فبعضهم لك، وبعضهم عليك، وبعضهم لا عليك ولا لك، متربص دائرة السوء، ينتظر لمن تكون الدبرة فيميل مع من تكون له الغلبة، ولكن الخوف عندي من أهل اليمامة، فاستعن بالله على قتالهم، فإنه بلغني أنهم رجعوا بأسرهم، فإن كفاك الله الضاحية فامض إلى أهل اليمامة، سر على بركة الله ».

وأدل من هذه الوصية على الحيطة والاحتراس في كفاح الأجانب، وصيته ليزيد بن أبي سفيان في فتوح الشام حين يقول: « إذا قدم عليك رسل عدوك

فأكرمهم وأقلل لبثهم ، حتى يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون به، ولا تريبنهم فيروا خللك ويعلموا علمك ، وأنزلهم فى ثروة عسكرك ، وامنع من قبلك من محادثتهم ، وكن أنت المتولى لكلامهم ، ولا تجعل سرك كعلانيتك فيختلط أمرك ، وأكثر حرسك ، وبددهم فى عسكرك ، وأكثر مفاجأتهم فى محارسهم بغير علم منهم بك ، فمن وجدته غفل عن محرسه فأحسن أدبه وعاقبه فى غير إفراط، وأعقب بينهم بالليل واجعل النوبة الأولى أطول من الأخيرة ، فإنها أيسرها لقربها من النهار » .

لم ينس الصديق ما بين جنده، وجند العدو من فروق العدة ، فكان يعمل فى تدارك هذا الفرق ما استطاع ،فذهب يوما يتفقد جنده الذين همّوا بالخروج لغزو الشام ، ولم تعجبه عدتهم ، فكتب إلى أهل اليمن يستكمل العدة ويستنهضهم إلى الجهاد، ليخفوا إليه بما يسد هذا النقص من جند وسلاح فهو الرجل الذى لم تفته فائتة من عدة القبائل التى يرسل إليها بعوثه ، وهو الرجل الذى يختار القائد فيحسن اختياره ، ويرجوا الغلبة بالقليل على الكثير ، لأنه يعتمد على عدة الإيمان ويعلم كما قال ليزيد بن أبى سفيان : « قد نبأ نا الله أن الفئة القليلة مما تغلب الفئة الكثيرة بإذن الله ، وأنا مع ذلك ممدكم بالرجال فى أثر الرجال حتى تكتفوا ولا تحتاجوا إلى زيادة إنسان »

لما أرسل الصديق خالدا ، لنجدة المثنى ابن حارثة الشيبانى ، فى غزوة فارس، أمره أن « يتألف أهل فارس ومن كان فى ملكهم من الأمم » وتقدم خالد فى تأمين الطريق ، فصالح أهل الحيرة وغيرهم على « أن لا يخالفوا ولا يعينوا كافرا على مسلم من العرب ولا من العجم ، ولا يدلوهم على عورات المسلمين ، فإن هم خالفوهم ، فلاذمة ولا أمان ، وإن هم حفظوا ذلك ورعوه وأدوه إلى المسلمين فلهم ما للمعاهد ، وعلى المسلمين المنع لهم، وأيما رجل منهم وجد عليه شىء من زى الحرب سئل عن لبسه ذلك ، فإن جاء منه بمخرج وإلا عوقب بقدر ما عليه من زى الحرب » .

والواقع أن الصديق لم يجازف بتجربه البعوث إلى تخوم فارس والروم ، وعوامل النصر كانت كلها أو معظمها فى صفوفه ، وأن عوامل الهزيمة كانت كلها أو معظمها فى صفوف أعدائه ، انهزم الفرس لأنهم كانوا يدفعون العرب عن دولة حطمتها الحروب الخارجية والفتن الداخلية ، وشاع

فيهم الخوف من الثبات في القتال، حتى قيدوا بعضهم إلى بعض بالسلاسل، ليحولوا بين هارب وهربه. وقلت الدربة في قادتهم، حتى تخيروا أسوأ المواقع، وأسوأ الأوقات للهجوم في معارك كثيرة، وانهزم الروم لأنهم كانوا يخشون العرب من دولة حطمها ما قد حطم الفرس من الحروب الخارجية والفتن الداخلية، فضلا عن الجدل العقيم، واستكانت إلى الذلة زمنا، حتى رضيت بالجزية، تؤديها لبرابرة الهون والإبارة، واشتملت على أمم كثيرة تعاديها، وتتربص بها الدوائر، كلما طمع الطامعون فيها.

علم الصديق أن العرب، إذا طلبوا الحرب صاروا صادقين في القتال، وأنهم موعودون بالنصر، ومؤمنون بصدق الوعد ومقبلون بنفوس تحب الموت، كما يحب أعداؤها الحياة، وأنهم خفاف لا تثقلهم العدد، يحيون من وراء ظهورهم بالصحراء، إلى وجهت الوجهة مقدمون على أرض خيرتها خلائفهم، وهزت عليه خطبهم، وأبلغته من أخبار فتنها ومفاسدها، ما يغلى له في الإيمان بالقدرة عليها.

ولما جاءت الغنائم والأنفال إلى بيت المال، لتوزيعها بين من يستحقونها من الرجال والنساء، جنح الفاروق إلى تمييز الأنصبة على حسب المآثر والأقدار، وحجته أنه لا يسوى بين من قاتل الرسول ومن قاتل معه، وجنح الصديق إلى التسوية بين الأنصبة بغير تمييز، وحجته أن الأعمال شيء ثوابه على الله، وهذا معاش، فالأسوة فيه خير من الأثرة، وقد جرى الصديق في سياسة الدولة على سنة الرسول عليه الصلاة والسلام، من مشاورة ذوى الرأى والثقة في كل عاجل، لكنه كان يستقل بالرأى حين تكون التبعة فيه تبعته دون غيره.

وبلغ من إعجاب على بن أبى طالب به كقائد، أنه قال في تأبينه: «كنت كالجبل الذى لا تحركه العواصف، ولا تزيله القواصف، كنت كما قال رسول الله ﷺ ضعيفا في بدنك، قويا في أمر الله، متواضعا في نفسك عظيما عند الله، جليلا في الأرض، كبيرا عند المؤمنين، ولم يكن لأحد عندك مطمع، ولا لأحد عندك هوادة، فالقوى عندك ضعيف حتى تأخذ الحق منه، والضعيف عندك قوى حتى تأخذ الحق له، فلا حرمنا الله أجرك ولا أضلنا بعدك»؟

عباس حلمى اسماعيل

معاني وراء الكلمات

للأستاذ الغزالي حرب

بحثت ومازلت جادا في البحث عن كتاب أو مؤلف يعنى عناية جادة خاصة ، يرجع ما تيسر من الكلمات والأعلام ، إلى أصولها التاريخية والجغرافية ، والوصول بين اسمها القديم واسمها الحديث قدر المستطاع ..

وإن حاجتنا الماسة إلى مثل هذا الكتاب ، إنما الحقيقة والتاريخ ، ومنه نعرف مثلا ـ فيما نعرف :

١ — أن كلمة «أوروبا» ترجع إلى الكلمة الأشورية القديمة «أرب» ومعناها الغرب أو غروب الشمس .

٢ — وكلمة «آسيا» ترجع إلى الكلمة الأشورية القديمة «أسو» ومعناها الشرق أو شروق الشمس ..

وكان الأشوريون يطلقون كلمة «أرب» على البلاد الواقعة في الغرب كما يطلقون كلمة «أسو» على البلاد الواقعة في الشرق .

٣ — وكلمة «أكاديمية» ترجع إلى «أكاديموس» الناسك الوثني ، كما ترجع كلمة (ليسيه) إلى اسم ناسك وثني آخر وكان لهذين الناسكين الوثنيين ضريحان قريبان من الموضع الذي أقيمت عليه بعد ذلك «أكاديمية أفلاطون» و «ليسيه أرسطو» كما قال جلبرت هايت في كتابه «فن التعليم» ترجمة محمد فريد أبو حديد ص ٢١٦ .

٤ — وكلمة «بروسة» التي يسمى بها الأتراك اليوم مدينة قريبة من «أنقرة» هي نفسها المدينة المعروفة في تاريخنا العربي والإسلامي باسم «عمورية» التي كانت مدينة حصينة من بلاد آسيا الصغرى ، تحت حكم الروم الذين أغاروا على بعض الثغور الإسلامية أيام المعتصم بالله العباسي فضى لحربهم ، وحاصر «عمورية» حتى فتحها عام ٢٢٣ هـ ، وفي التهنئة بهذا النصر المبين قال أبو تمام قصيدته البائية المشهورة التي مطلعها :

السيف أصدق أنباء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب

وفيها يقول مخاطبا يوم «عمورية» .

يا يوم وقعة «عمورية» انصرفت
عنك المنى حفلا معسولة الحلب

٥ — وكلمة طبرية التي تطلق اليوم على قرية طبريه وبحيرة طبرية شمال فلسطين التي عناها المتنبي بقصيدته في بدر بن عمار

سموت بهذا الاسم نسبة إلى القيصر الرومانى « طيباروس » الذى أشار اليه إنجيل لوقا فى الآية الأولى من الإصحاح الثالث .. وبحيرة طبرية تسميها اسرائيل اليوم بحيرة « كينرت » ..

٦ — وكلمة « صحراء النقب » ترجع الكلمة العربية « النجب » ومعناها الجنوب.

٧ — وكلمة « بابل » يكشف عن أصلها الأستاذ الدكتور ابراهيم أنيس فى كتابه « دلالة الألفاظ » ص ١١ قائلا : إن الإصحاح الحادى عشر من سفر التكوين أورد قصة تكشف عن أصل هذه الكلمة ، وخلاصة هذه القصة أن الناس قديما حاولوا أن يتخذوا لنفوسهم مدينة عظيمة ، وبرجا شامخا يطاول السماء .. فبلبل الله ألسنتهم ، وجعلهم فرقا وشيعا مختلفة الألسن واللغات بعد أن كانوا أهل لغة واحدة ، ولسان واحد ، ، ومن هنا انتشروا فى الأرض ، وتعددت لغات البشر ، ومن « بلبل » جاءت كلمة « بابل » .

وذهب آخرون من الباحثين إلى أن كلمة « بابل » ليست بلبلة الألسن .. وإنما هى مشتقة من كلمة (باب إيل) ومعناها (باب الرب) ..

٨ — وكلمة (أعمدة هرقل) التى تمر بنا كثيرا فى بعض الكتب الأدبية والجغرافية القديمة هى التى يقوم مقامها اليوم ما يعرف باسم (جبل طارق) .

٩ — وكلمة « طيبة » أو « منف » أو « منفيس » التى تمر بنا كثيرا فى كتب التاريخ المصرى القديم ، يقوم مقامها اليوم « الأقصر » و « الكرنك » و « الجرنة » أو « القرنة » جنوب مصر .

١٠ — وكلمة « القدس » اليوم ... هى ما عرفها القدامى من الرومان باسم « إيلياء » أو « إيليا كابيتولينا » .

١١ — وكلمة « أنتاى » أو « هاتاى » التركية اليوم أصلها لواء الإسكندرونة وعاصمتها « أنطاكية » وهى القرية التى تعنيها الآية القرآنية الكريمة من سورة « يس » « واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون » ومن هذه القرية خرج ديودور الأنطاكى الأديب العربى القديم

١٢ — وكلمة « طروادة » التى تتردد كثيراً فى كتب التاريخ والأدب القديم فى أثناء الحديث عن حصار « طروادة » و « معركة طروادة » هى التى نعرفها اليوم باسم « تركيا » وما تزال آثار طروادة القديمة حتى اليوم قائمة فوق رابية واسعة فسيحة تعرف باسم « رابية حصارلك » بجوار مضيق الدردنيل .

١٣ — و « عمان » عاصمة المملكة

الأردنية اليوم ، كانت لها حضارة منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة ق م . وهى التى عنتها التوراة باسم « ربة عمورية » وقد أطلقوا عليها فى العصر الرومانى قبل المسيح بزمن قليل باسم « فلادفيا » وفيها ترك الرومان عشرات الآثار ، ومنها المدرج الرومانى الذى بدأ إعداده فى زمن بطالسة وفى القرن الثالث قبل الميلاد . وهو اليوم أكبر مسرح فى عمان .

١٤ — و « جزيرة دلمون » التى عرفت قديما بجزيرة الأساطير فى مياه الخليج الفارسى هى التى تعرف اليوم باسم « البحرين » التى سميت بهذا الاسم الجديد لأنها تحصل على حاجتها من المياه العذبة ، من الينابيع التى تتدفق من النهر الجوفى الطويل الممتد من جبال الحجاز ، عبر الصحراء بالمملكة السعودية ، تحت الخليج إلى جزر البحرين . وهناك ينابيع من الماء العذب تتدفق من هذا النهر الجوفى الطويل وسط ماء البحر المالح .

١٥ — والمرض المعروف باسم « البلهارسيا » يرجع أصله إلى الطبيب الألمانى الرائد (بلهارس) الذى هو أول من كشف عن الديدان الجبيثة الضئيلة التى تتسلل إلى أقدام من ينزلون فى المياه الراكدة أو يمشون فى الحقول حفاة الأقدام ، ثم تفرز مادة كاوية تخرق جسم الإنسان ، وتمهد الطريق أمام تلك الديدان لاختراق جسم الإنسان والاتجاه إلى قلبه الذى يتولى توزيعها على بقية أعضاء الجسم الإنسانى ولاسيما الرئتان والكبد والأمعاء والمثانة . وقد اكتشف الدكتور تيودور بلهارس هذه الديدان عام ١٨٥١م فى أثناء دراسته لعلم التشريح بالقاهرة . وفى إحدى زياراته للفيوم ومن « بلهارس » جاءت كلمة « بلهارسيا » .

١٦ — وأشهر أسواق العرب قديما ، وأهمها سوق « عكاظ » كان يقع فى المكان الذى حدده الأستاذ البحاثة الفضال حمد الجاسر الذى عرض أقوال خمسة عشر مؤرخا عربيا قديما فى مقال له بمجلة المجمع العلمى العربى جـ ٣ مجلد ٢٦ — ١ تموز ١٩٥١ ٢٧ رمضان ١٣٧٠ هـ — ثم انتهى من مقاله الرائد هذا إلى تحديد مكان سوق عكاظ « بالأرض الواسعة الواقعة شرق الطائف بميل نحو الشمال خارج سلسلة الجبال اللطيفة ، وتبعد تلك الأرض من الطائف نحو خمسة وثلاثين كيلومترا ، ويحدها غربا جبال بلاد عدوان ، وجنوبا جبال أسفل وادى لية وشرقا صحراء ركبة ، وشمالا طرف ركبة » .

الغزالى حرب

الموسوعة القرآنية

تصنيف الأستاذين :
ابراهيم الإبياري وعبد المقصود مرزوق

للدكتور على العمارى

— ٣ —

وللقراءة الصحيحة شروط معروفة عند العلماء ، وقد ذكرها الكاتب ، فقال : (وكان رائد هؤلاء جميعا فيما أخذوا فيه أن كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ، ووافقت المصحف الإمام ، وصح سندها فهى قراءة صحيحة ، لا يجـوز ردها ، ولا يحل إنكارها) [١] .

(لا يجوز ردها ، ولا يحل إنكارها) هذا ما نقله الكاتب بنفسه ، فهل اتخذ ذلك نبراسا يهتدى به حين أراد أن يطرح القراءات فى البحر ، وأن يكتفى بما يؤيده المصحف الذى بين أيدينا ؟

وقد زاد بعض العلماء شرطا نقله عن العلماء السابقين أيضا ، وهو (أن تجتمع العامة على القراءة) قال (والعامة عندهم هو ما اتفق عليه أهل المدينة ، وأهل الكوفة ، فذلك عندهم حجة قوية توجب الاختيار ، وربما جعلوا العامة ما اتفق عليه أهل الحرمين) [١] .

وذكر بعض آخر من العلماء أن ما عدا مصحف عثمان لا يقطع عليه ، وإنما يجرى مجرى خبر الآحاد ، لكنه لا يقدم أحد على القطع فى رده [٢] .

وهذا كله يدلنا على أنهم تحروا ، وبالغوا فى التحرى والاختيار ، ولم يكونوا كما يصورهم الكاتب نافلا عن ابن قتيبة والزمخشرى .

وقد أخذ الكاتب رأيه فى الاكتفاء بما فى المصحف الإمام من (ابن قتيبة) حيث قال : (فإن قال قائل : فهل يجوز لنا أن نقرأ بجميع الوجوه ؟ قيل له : كل ما كان منها موافقا لمصحفنا ، غير

[١] المصدر السابق ص ٧٦ .

[١] البرهان للزركشى جـ ١ ص ٣٣١ .
[٢] المصدر السابق جـ ١ ص ٢٢٢ .

خارج من رسم كتابه جاز لنا أن نقرأ به ، وليس لنا ذلك فيما خالفه .

فأما نحن — معشر المتكلمين — فقد جمعنا الله بحسن اختيار السلف لنا على مصحف هو آخر العرض ، وليس لنا أن نعدوه ، كما كان لهم — يريد المتفقهين من الصحابة والتابعين — أن يفسروه ، وليس لنا أن نفسره) .

واعتماد الكاتب — هنا — على ابن قتيبة ينقصه التوفيق .

أولا : لأن ابن قتيبة يذكر (رسم كتابه) ولم يتعرض للنقط والشكل ، مما يدلنا على أنه أراد المصحف أول ما كتب .

ثانيا : أنه ذكر اختيار السلف ، فاعتمد على النقل الصحيح ، ولم يجعل كل اعتماده على رسم المصحف .

ثالثا : يبالغ ابن قتيبة — هنا — في الاعتماد على اختيار الصحابة والتابعين ، حتى يرى أنه لا يجوز لنا أن نفسر القرآن كما جاز لهم أن يفسروه .

فهل يرى الكاتب هذا الرأي أيضا ؟ أم أنه جعل مجلدة من موسوعته خاصة بتفسير القرآن ؟

* * *

وقد ضربنا — فيما سبق — مثلا من اختلاف القراءات بسبب النقط ، ونضرب له هنا مثلا لاختلافهم بسبب الضبط ، ذلك قوله تعالى في قصة سيدنا يوسف : « أرسله معنا غداً يرتع ويلعب » لا شك أن شكل أبي الأسود ، ومن بعده شكل الخليل بن أحمد وتلاميذه كان يكون مثل (يرتع) وهي التي في المصحف الذي بين أيدينا ، ولكن هذا الحرف قرىء على سبعة أوجه ، منها (يرتع) بكسر العين من الارتعاء ، فهل نترك هذه القراءة لأنها تخالف شكل مصحفنا ، أم نقبلها لأنها توافق رسم المصحف الإمام عندما كتب ؟

الواجب أن يقال : إن المعول عليه هنا هو صحة النقل في القراءة ، واتفاقها مع مصحف عثمان على حالته الأولى .

أما الاعتماد على الرأي ، والتبجح بالاجتهاد فأمر نبرأ إلى الله منه ، كما برىء منه العالم العظيم أحمد بن المنير وقد نقل عن أبي جعفر النحاس أن : (الديانة تحظر الطعن على القراءة التي قرأ بها الجماعة) ، وأن : (السلامة عند أهل الدين إذا صحت القراءتان عن الجماعة ألا يقال : إحداهما أجود لأنهما جميعا عن النبي — ﷺ — فيأثم من قال ذلك) .

ثانيا : فى ص ٥٥ وجه الكاتب تفسيرا للأحرف السبعة التى وردت فى قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - :

« أنزل القرآن على سبعة أحرف » ، فقال عن القرآن إنه (يمثل أعلى ماينتظمه اللسان العربى من لغات ، وأحوى ما يجمع من لهجات ، وكانت لغة مضر أعلى مايجرى على لسان قريش وأحواه ، فنزل بها القرآن وفى هذا يقول عمر : نزل القرآن بلغة مضر ، وكانت لغة مضر هذه تنتظم لغات سبعا لقبائل سبع ، هم : هذيل وكنانة ، وقيس ، وضبة ، وتيم الرباب - وأسد ابن خزيمة ، وقريش .

ولقد مثل القرآن هذه اللغات السبع كلها مفرقة فيه ، لكل لغة منه نصيب ، وهو أولى الأقوال بتفسير الحديث) .

ثم عاد فى ص ٦٨ ، فعقب على تخريج الزمخشرى لبعض الآيات التى توقف فيها من لم اعرف مذاهب العرب ، فقال : (وها أنت ذا ترى فى كلام الزمخشرى دليلا جديدا يؤيد ما قلنا من قبل عن القراءات السبع ، وأنها لغات العرب جاءت مبثوثة فى القرآن ، وبها كلها يتجه الكلام) الجديد فى هذه العبارة أن الكاتب فسر الأحرف السبعة (بلغات العرب) ، هكذا مطلقة ، ولم يحصرها فى قبائل مضر وإن كان المتبادر أنه يريد هذه القبائل لأنه أحال على ماسبق وماسبق هو حصرها فى قبائل مضر السبع . لولا أن يعكر عليه أن الزمخشرى فى حديثه هذا الذى علق عليه الكاتب نسب إلزام المثنى الألف فى كل أحواله إلى قبيلة (بلحارث بن كعب) وعليها خرج قوله تعالى : (إن هذان لساحران) ، وبلحارث بن كعب ليست قبيلة مضرية بل هى قبيلة يمنية ، وسلسلة نسبها هى : بلحارث بن كعب بن عمرو بن علة بن جلد ابن مذحج بن أدد بن زيد بن يشجب ابن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ابن يشجب بن يعرب بن قحطان .

فهى قبيلة ، يمنية قحطانية ، وليست مضرية ولا عدنانية ، وإذا آمن الكاتب بما ذكره الزمخشرى كان عليه أن يتشكك فى وصفه تفسير الأحرف السبع بلغات مضر بأنه (الأولى) .

ثم عاد الكاتب فى ص ٧٩ فذكر (الإمالة والإشمام والترقيق والتفخيم وغير ذلك مما انطقت به القبائل ولم تستطع ألسنتها غيره) وقال : (وهذا الذى قلنا عنه : إنه المعنى بالأحرف السبعة التى جاءت فى الحديث) .

وهنا صرح الكاتب بطرق الأداء وهم في (القبائل) وبطبيعة الحال — إن كان ذاكرا — هو يريد قبائل مضر السبع.

ونحب أن نقول:

أولا: أن الأحرف السبعة لم يأت في معناها نص ولا أثر، ولذا اختلف العلماء في تعيين المراد بها، وذكروا في ذلك خمسة وثلاثين وجها وقد رجح الكاتب وجها منها، وزعم أنه الأولى وهو ترجيح بغير مرجح، بل هو تفسير غير مقبول:

(ا) قال ابن عبد البر: قد أنكر أهل العلم أن يكون معنى سبعة أحرف سبع لغات، لأنه لو كان كذلك لم ينكر القوم بعضهم على بعض في أول الأمر، لأن ذلك من لغته التي طبع عليها، وأيضا فإن عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم كلاهما قرشي وقد اختلفت قراءتاهما ومحال أن ينكر عليه عمر لغته (أي لغة عمر).

(ب) إن الذين فسروا الأحرف بلغات سبع قبائل، واعتبروا هذا هو المذهب المختار لم يحصروا القبائل في مضر، بل ذكروا (الأزد) و(ربيعة) و(خزاعة)، والأولى قبيلة يمنية، والثانية أخت مضر، والثالثة اختلف في نسبها، وعلى القول بأنها عدنانية فالكاتب لم يذكرها في القبائل السبع، مع أنه روى عن ابن عباس — رضي الله عنهما — قوله: نزل القرآن بلغة الكعبين: كعب بن لؤي، وكعب ابن عمرو بن لحي، وكعب هذا هو خزاعة على ما يراه بعض النسابين.

وقد حكى صاحب البرهان الرأي الذي ذهب إليه الكاتب بصيغة التضعيف، فقال: (وقيل هذه اللغات السبع كلها لمضر)[1].

(حـ) ذكر ابن عبد البر أن (أكثر أهل العلم) على تفسير الأحرف السبعة بسبعة أوجه من المعاني المتفقة، بالألفاظ المختلفة)[2].

(د) ذكر بعض المحققين أن في القرآن الكريم ألفاظا من أربعين لغة عربية، وقدر السبع بالتوسعة على القارىء.

(هـ) ومما يدل على ذلك ما قاله القرطبي في تفسيره عن أبي بكر الباقلاني من قوله: (وقد قال الله تعالى: «إنا جعلناه قرآنا عربيا» ولم يقل: قرشيا، وهذا يدل على أنه منزل بجميع لسان العرب،

---

[١] حـ ١ ص ٢١٩

[٢] المصدر السابق حـ ١ ص ٢٢٠.

وليس لأحد أن يقول : إنه أراد قريشا دون غيرها ، كما أنه ليس له أن يقول : أراد لغة عدنان دون قحطان ، أو ربيعة دون مضر ، لأن اسم العرب يتناول جميع هذه القبائل تناولا واحدا)[1] .

وكان الباقلانى يرد على ابن قتيبة الذى يرى أن القرآن لم ينزل إلا بلغة قريش ؛ لقوله تعالى : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه » ، وقوم محمد – ﷺ – هم قريش – فى رأى ابن قتيبة – .

(و) كما يؤيده ، ويرد على ابن قتيبة أيضا ما روى أن سيدنا عبد الله بن عباس – رضى الله عنهما – قال : ما كنت أدرى معنى قوله تعالى : « ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين » حتى سمعت بنت ذى يزن تقول لزوجها : تعالى أفاتحك ، أى أحاكمك . وبنت ذى يزن يمنية .

وما روى عنه أيضا ، قال : ما كنت أدرى ما فاطر السموات والأرض حتى أتانى أعرابيان يختصمان فى بئر ، فقال أحدهما : أنا فطرتها ، يعنى : ابتدأتها .

قال صاحب البرهان . (وهذا أبو بكر وعمر – رضى الله عنهما – من أفصح قريش ، سئل أبو بكر عن (الأب)[1] ، فقال : أى سماء تظلنى ، وأى أرض تقلنى ، إذا قلت فى كلام الله ما لا أعلم ، وقرأ عمر سورة (عبس) فلما بلغ (الأب) قال : الفاكهة قد عرفناها فما الأب ؟ ثم قال : لعمرك يا ابن الخطاب ، إن هذا لهو التكلف)[2] .

وهؤلاء كلهم قرشيون ، بل من فصحاء القرشيين ، وهم أعلم بلغتهم ، وبلغات مضر ، فلو كان كل القرآن نزل بلغة قريش – كما يقول ابن قتيبة – أو بلغات مضر ، لم تخف على واحد منهم لفظة من هذه الألفاظ ، أو على الأقل لم يتوقف واحد منهم فى معناها .

ثانيا : أن الكاتب نسب هذه العبارة : (نزل القرآن بلسان مضر) فى عبارتها السابقة ، وفى غيرها ، إلى سيدنا عمر ، والتى رأيته فى الكتب القديمة نسبتها إلى سيدنا عثمان ، نسبها – كذلك القرطبى فى تفسيره (حـ١ ص٣٩) ونسبها الزركشى فى البرهان – كذلك – (حـ١ ص٢١٩) .

د . على العمارى

[1] حـ١ ص ٣٨ .

[1] قوله تعالى : « وفاكهة وأبا » من سورة عبس
[2] حـ١ ص ٢٩٥ .

طرائف في ألغاز

للأستاذ عباس أبو السعود

(لغز في الميراث)

جاء هو والإجابة عنه بالشعر

أيها العالم الفقيه الذي فا ... ق ذكاء فما له من شبيه
أفتنا في قضيـة حاد[1] عنها ... كل قاض وحـار كل فقيه
رجل مات عن أخ مسلم حر ... تقى من أمه وأبيه
وله زوجة لها أيها الحبـ[2] ... ـر أخ خالص بلا تمويه[3]
فحوت[4] فرضها وحاز أخوها ... ما تبقى بالإرث دون أخيه
فافتنا بالجـواب عما سألنا ... فهو نص لا خلف فيـه

(الاجابة)

قل لمن يلغـز السائل إني ... كاشف سرها الذي تخفيه
إن ذا الميت الذي قـدم الشر ... ع أخا عرسه[5] على ابن أبيه
رجل زوج ابنه عن رضاه ... بحماة له ولا غـرو[6] فيـه
ثم مات ابنه وقد علقت[7] منـ ... ـه فجاءت بابن يسر ذويـه
فهو ابن ابنه بغير[8] مراه ... وأخـو عرسه بـلا تمويه
وابن الابن الصريح[9] أدنى[10] ... إلى الجد وأولى بإرثه من أخيه
فلذا حين مات أوجب للزو ... جة ثمن التراث تستوفيه
وحوى[11] ابن ابنه الذي هو في ... الأصل أخوها من أمه باقيه
وتخلى[12] الأخ الشقيق من الإر ... ث وقلنا يكفيك أن تبكيه
هاك مني الفتيا التي يحتذيها[13] ... كل قاض يقضي وكل فقيه

---

[١] حاد عنها : مال وعدل [٢] الحبر بكسر الحاء ، وقد تفتح : العالم الفطن
[٣] التمويه : الشك والتردد [٤] حوت فرضها : استولت على نصيبها المفروض
[٥] عرسه : زوجته [٦] لاغرو : لا عجب [٧] علقت : حملت [٨] بغير مراء : بغير جدال
[٩] الصريح : الخالص [١٠] أدنى : أقرب [١١] حوى : جمع [١٢] تخلى من الارث : لم يدخل فيه
[١٣] يحتذيها : يتبعها ويقتدى بها .

(ألغاز نحوية)

١ — ما العامل الذى يتصل آخره بأوله ، ويعمل معكوسه مثل عمله ؟

٢ — ما العامل الذى نائبه أرحب منه صدراً ، وأكثر لله تعالى ذكراً ؟

٣ — ما الحالة التى يلبس فيها الذكران براقع النسوان ، وتبرز فيها ربات الحجال بعمائم الرجال ؟

٤ — ما الموضع الذى يجب فيه حفظ المراتب بين المضروب والضارب ؟

٥ — ما الاسم الذى لا يفهم إلا باستضافة كلمتين ، أو بالاقتصار منه على حرفين ؟

٦ — ما الاسم الذى إذا أردف بالنون نقص صاحبه فى العيون ، وقوم بالدون ، وتعرض للهون ؟

٧ — ما الكلمة التى هى حرف محبوب ، أو اسم لما فيه حيوان حلوب ؟

٨ — ما الاسم المتردد بين فرد حازم ، وجمع ملازم ؟

٩ — ما الهاء التى إذا لحقت اسما أماطت منه الثقل ، وأطلقت المعتقل ؟

١٠ — ما الصيغة التى تعزل العامل من غير أن تجامل ؟

١١ — ما المنصوب على الظرف الذى لا يخفضه سوى حرف ؟

١٢ — ما المضاف الذى أخل من عرى الإضافة بعروة ، واختلف حكمه بين عشاء وغدوة ؟

(الإجابة)

١ — العامل المطلوب هو كلمة (يا) ومعكوسها (أى) وكلتاهما من حروف النداء ، وعملهما فى المنادى واحد بيد أن (يا) أجول فى الكلام .

٢ — العامل المراد فى هذا اللغز هو (باء القسم) وهذه الباء هى أصل حروف القسم بدلالة استعمالها مع ظهور فعل القسم ، كما فى قوله تعالى « وأقسموا بالله جهد أيمانهم » وقوله « يحلفون بالله لكم ليرضوكم » ولدخولها على الضمير فى نحو قولك :

بك لأنصرن المظلوم ، وإنما أبدلت الواو منها وناءت عنها فى القسم لأنهما من حروف الشفة ، ولتقارب معنيهما : فالواو تفيد الجمع ، والباء تفيد الإلصاق الذى يشبه الجمع ، ثم صارت الواو البدلة من الباء أجول فى الكلام ، وأعلق بالإقسام ، ولهذا كانت أكثر فى ذكرا ، ثم إن الواو أكثر من الباء دورانا : فالباء لا تدخل إلا على الاسم ، ولا تعمل غير الجر أما الواو فتدخل على الاسم ، والفعل ، والحرف ، وتجر تارة بنفسها وتارة بإضمار (رب) كما أنها تنتظم مع نواصب المضارع ، وأدوات العطف ، فلهذا وصفت بسعة الصدر .

٣ — الحالة المطلوبة هى حالة تمييز الأعداد من ثلاثة إلى عشرة ، فإنها تكون مع المذكر بالهاء ، ومع المؤنث بغير هاء ، كما فى قوله تعالى « سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام » وقوله « ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات » وقوله « يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين » وقوله « لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء » وقوله « على أن تأجرنى ثمانى حجج » .

والمعروف أن الهاء فى غير هذا الموطن من خصائص المؤنث ، كما فى قوله جل شأنه « والشمس وضحاها ، والقمر إذا تلاها ، والنهار إذا جلاها ، والليل إذا يغشاها ، والسماء وما بناها ، والأرض وما طحاها ، ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها » فقد رأيت كيف انعكس فى هذه الحالة حكم المذكر والمؤنث ، حتى انقلب كل منهما مكان الآخر ، وبرز فى بزة صاحبه.

٤ — الموضع المراد هو حيث يشتبه الفاعل بالمفعول ، لتعذر ظهور علامة الإعراب فيهما أو فى أحدهما ، وذلك إذا كانا مقصورين مثل موسى وعيسى ، أو كانا من أسماء الإشارة نحو هذا وذاك ، فيجب حينئذ ـ لإزالة الشك ـ إقرار كل منهما فى مكانه ورتبته ، ليعرف الفاعل منهما بتقدمه ، والمفعول بتأخره .

٥ — الاسم المراد هو (مهما) وفيها قولان : أحدهما : أنها مركبة من (مَـهْ) التى هى بمعنى اكفف ، ومن (ما) والآخر: أن الأصل فيها (ما) فزيدت عليها (ما) أخرى كما زيدت ما على أن ، فصار لفظها ماما فثقل عليهم توالى كلمتين بلفظ واحد ، فأبدلوا من ألف الأولى هاء ، فصارتا مهما ، ومهما هذه من أدوات

الشرط والجزاء ، فإذا نطقت بها لم يتم الكلام ، ولم يفهم المعنى إلا إذا أراد كلمتين بعدها ، هما فعلا الشرط والجزاء ، تقول مثلا مهما تسكن وفيما يكثر محبوك ، وإن اقتصرت منها على حرفين وهما (مَه) التى بمعنى اكفف كان المعنى مفهوما .

٦ — الاسم المطلوب هو (ضيف) لأنه إذا لحقته النون استحال إلى ضيفن ، وهو الذى يتبع الضيف متطفلا إلى منزل المضيف ، وهذا لا ينال إلا الهوان ، والسقوط من العيون .

٧ — الكلمة المطلوبة هى (نعم) فإن أردت بها تصديق الأخبار ، أو الإجابة عن السؤال والإيجاب كانت حرفا ، وإن عنيت بها الإبل كانت اسما ، ومن الإبل ما هو حلوب .

٨ — الاسم المراد هو (سراويل) قال بعض النحاة : هو مفرد ، وجمعه سراويلات ، وقال آخرون : هو جمع واحده : سروال ، مثل شملال[1] وشماليل ، وسربال[2] وسرابيل ، ومعنى قوله ملازم أنه لا ينصرف .

[١] الشملال : الملحفة .

[٢] السربال : القميص أو الدرع .

٩ — الهاء المطلوبة هى الهاء التى تلحق الجمع الذى بعد ألف تكسيره حرفان ، كصيارف ، وصياقل[1] ، أو بعد ألف تكسيره ثلاثة أحرف أوسطها ساكن ، مثل تلاميذ ، وتنابيل[2] ، تقول صيارفة ، وصياقلة ، وتلامذة ، وتنابلة .

فهذه الجموع كانت ممنوعة من الصرف قبل اتصال الهاء بها ، لأنه لم يكن لها نظير فى الأسماء الآحاد ، ولأنها على صيغة منتهى الجموع ، ولكن لما لحقتها الهاء انصرفت لأنها صيرتها إلى أمثال الآحاد ، نحو كراهية ، وطواعية ، فخف ثقلها لهذا السبب ، وصرفت لهذه العلة ، وقد كنى فى هذه الأحجية عما لا ينصرف بالمثقل .

١٠ — السين المطلوبة هى التى تدخل على الفعل المستقبل ، وتفصل بينه وبين (أن) التى كانت قبل دخولها من أدوات النصب ، فيرتفع حينئذ الفعل ، وتنتقل أن من كونها الناصبة للفعل وتصير مخففة من الثقيلة ، كما فى قوله تعالى « علم أن سيكون منكم مرضى » والتقدير ، علم أنه سيكون منكم مرضى .

(١) الصياقل : جمع صيقل وهو شحاذ السيوف وجلاؤها .

(٢) التنابيل : جمع تنبال وهو القصير

١١ — المنصوب على الظرف الذى لا يخفضه سوى حرف هو (عند) إذ لا يجره من حروف الجر إلا (من) خاصة كما فى قوله تعالى «فإن أتممت عشرا فمن عندك» وقوله «وآتانى رحمة من عنده» وقول العامة: ذهبت إلى عنده لحن.

١٢ — المضاف الذى أخل بشرط الإضافة هو (لدن) ولدن من الأسماء الملازمة للإضافة، وكل ما يأتى بعدها يكون مجروراً بها، كما فى قوله تعالى «فهب لى من لدنك وليا» وقوله «وهب لنا من لدنك رحمة» إلا كلمة غدوة، فإن العرب نصبتها بلدن، لكثرة استعمالهم لها فى الكلام، ثم نونتها أيضا ليتبين بذلك أنها منصوبة، لا أنها من نوع المجرورات، قالت: سرنا لدن غدوة أى من طلوع الشمس إلى غروبها، قال الشاعر:

لدن غدوة حتى ألوذ بخفها[1]

بقية منقوص من الظل قالص[2]

وعند بعض النحويين أن لدن بمعنى عند، والصحيح أن بينهما فرقا لطيفا، وهو أن عند يشتمل معناها على ما هو فى ملكك ومكنتك مما دنا منك أو بعد عنك، أما لدن فيختص معناها بما حضرك وقرب منك .؟

عباس أبو السعود مصطفى

---

(١) الخف: جمع فرسن البعير، ومن الإنسان ما أصاب الأرض من باطن قدمه.
(٢) الظل القالص: المنقبض

قال الله تعالى:

«ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون، قرآنا عربيا غير ذى عوج لعلهم يتقون» (الزمر ٢٧،٢٨)

باب الفتوى

يقدمه الأستاذ : محمد أبو شادى

رأى الدين فى الزواج العرفى والبيع بالتقسيط والبيع لأجل :

السؤال : من السيدة / سنية عبد الفتاح

١ — ما حكم عقد الزواج العرفى الذى لم يسجل رسمياً عند المأذون ؟

٢ — ما حكم البيع بالتقسيط ؟

٣ — ما حكم التاجر الذى يقوم بدفع ثمن ما يشتريه شخص ثم يزيد فى السعر نظير تأجيل الدفع ؟

الجواب :

عن الأول : بأن صحة الزواج الشرعى تتوقف على ما يأتى :

١ — أن تكون الزوجة حلالا للزوج بأن لا تكون أحد المحرمات عليه للنصوص عليهن فى القرآن الكريم أو السنة النبوية خالية من إحرام الحج أو عمرة .

٢ — أن يلى العقد عنها وليها الشرعى أو وكيله مع إذنها وجوبا إن كانت ثيبا وندبا إن كانت بكرا .

٣ — أن يباشر عقد الزواج ـ الزوج نفسه إن كان رشيدا أو وليه إن كان غير ذلك وكانت المصلحة فى زواجه .

٤ — أن يجرى العقد بصيغة تشتمل على إيجاب وقبول لا بلفظ الهبة كزوجتك موكلتى فلانة على مهر كذا . . فيقول : « قبلت زواجها لنفسى على ذلك » .

٥ — أن يشهد العقد رجلان عدلان غير وليها .

٦ — من مقتضيات عقد الزواج وجوب المهر .

أما ما يتعلق بالعقد العرفى فإنه يمتنع الإقدام عليه لأن الحاكم منع من سماع الدعوى به أمام الحاكم وبذلك تضيع حقوق كثيرة على الزوجين أو على أحدهما فيكون ذلك الزواج محظورا شرعا لما يتعلق به من أمور منهى عنها .

وعن الثانى : بأن الأجل يقابله قسط من الثمن فإذا اشترى ما ثمنه مائة جنيه نقدا بـ ١٢٥ جنيه إلى أجل فلا شىء فيه بل هو جائز شرعا .

وعن الثالث : بأن هذه المعاملة غير

جائزة شرعا لأنها لا تخرج عن قرض بفائدة والله تعالى أعلم .

تلف المال دون تقصير من حامله لا يلزمه ضمانه :

السؤال : من السيد / عبد التواب صاوى مصطفى : أعطانى بشير مصطفى خمسين جنيها لتوصيلها إلى أخيه عيد مصطفى المقيم ببلدتى القبابات وذلك بمناسبة نزولى ضيفا عليه ذات ليلة ، وعند تسلمى هذا المبلغ وضعته فى جيب (الصديرى) الذى أضع فيه نقدى كالمعتاد ، وعند مغادرتى القاهرة لبلدى فى ميدان التحرير بالقاهرة جماعة احتالوا على بحيل لا أعرف القصد منها وذلك بعد الإحاطة بى من كل جانب ، وأثناء ذلك قاموا بسلب المبلغ المذكور من غير شعورى وقد انتابنى إغماء استمر ثلاث ساعات ، وبعد إفاقتى لم أجد المبلغ ، فذهبت لقسم شرطة قصر النيل وأخبرته بما حصل وجارى البحث عن الجناة .

وأريد معرفة حكم الشرع فى هذا المبلغ وهل يلزمنى ضمانه أم لا ؟ .

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد : فنفيد بأن صاحب المبلغ سلمه له ليوصله إلى أخيه ولم يحصل منه تقصير فى حفظه وما حصل من احتيال المحتالين عليه لا اختيار له فيه فالمبلغ ضاع على ضمان صاحبه ولا يلزم هذا بشىء منه وإن اتهمه صاحب المبلغ المذكور فيما ذكر من قصة الاحتيال فله عليه اليمين .

هذا إذا كان الحال كما ذكر فى سؤال المستفتى والله تعالى أعلم .

سلس البول الدائم لا ينقض الوضوء ولا استنجاء منه :

السؤال : من السيد / سلامه محمد ناصف أجرت لجنة من الأطباء على استئصال جزء من القولون لأحد المسلمين مما أدى إلى تغيير فتحة الشرج ، وقد نتج عن ذلك خروج الريح أو البراز أثناء تأديته الصلاة ولا يستطيع التحكم فى الاحتفاظ بوضوئه فماذا يفعل إزاء هذه الحالة ؟ وهل يلزم الاستنجاء من السلس ؟ .

الجواب :

من لازمه السلس نصف أوقات الصلوات فأكثر ، ووقت الصلوات من الزوال إلى طلوع شمس اليوم الثانى ولم يتعود أن ينقطع عنه السلس مدة يمكنه فيها الطهارة والصلاة فى أول الوقت أو آخره فإن حدثه هذا لا ينقض الوضوء ويصلى بطهارته

ما شاء من الفرائض والنوافل أداء أو قضاء ولا ينتقض وضوءه إلا بحدث آخر غير السلس ، فمن توضأ فى آخر وقت الظهر ولم يحدث فيه ناقض للوضوء غير السلس حتى دخل وقت العصر فله أن يصلى بوضوئه هذا العصر وغيره من الفرائض أداء أو قضاء حتى لو دام هذا الوضوء إلى المغرب والعشاء فله أن يصليها به كما له أن يصلى به ما شاء من النوافل فإن اعتاد أن ينقطع عنه السلس مدة يمكنه فيها الطهارة والصلاة فى أول الوقت أو آخره وجب عليه فى هذا الوقت الوضوء للصلاة وإذا أمكنه التداوى وجب عليه ويغتفر له مدة التداوى

كما تفيد اللجنة بأن الاستنجاء من السلس غير واجب للعفو عنه والله تعالى أعلم ؟

السنة الصحيحة تؤكد نبع الماء من بين أصابع الرسول ﷺ :

السؤال : من السيد / محمد أحمد العمرى

هل صحيح أن الرسول ﷺ نبع ماء من بين يديه فى إحدى الغزوات ؟

الجواب :

ورد فى السنة بأسانيد مختلفة كلها صحيحة أن الماء قد نبع من بين أصابع النبى ﷺ فى مناسبات متعددة توضأ وشرب منه الجمع الكبير ، وورد ذلك عن أنس وجابر بن عبد الله والبراء تناول ذلك باب علامات النبوة فى صحيح البخارى والله تعالى أعلم .

الجنة والنار خالدتان مخلدتان :

السؤال : من السيد / محمد أحمد الجيرانى (محلة دمنة)

يقول بعض العلماء إن النار يوم القيامة لها ميعاد للعذاب ثم تنتهى ولم تكن موجودة ، والبعض الآخر يقول إنها موجودة لا تبلى للمذنبين فما هو الرأى السليم ؟

الجواب :

الذى نعتقده وهو ظاهر النصوص أن النار والجنة موجودتان الآن وأنهما خالدتان لعذاب أهل الشقاء ونعيم أهل السعادة لا تفنيان ، قال تعالى فى جانب الجنة « أعدت للمتقين » وقال « خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ » وفى جانب النار « أعدت للكافرين » وقال : « خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد » والتقييد فيهما بقوله « ما دامت السموات والأرض » لتأكيد التأبيد والخلود ، وما عدا هذا من الآراء الأخرى لا يعول عليه والله تعالى أعلم ؟

محمد أبو شادى

أنباء وآراء

جاء فى خطاب الرئيس السادات بأسيوط قوله — فى الجماهير :

شىء واحد أوصيكم به :

أوصيكم بالإيمان الذى أوصانا الله سبحانه وتعالى به :

نحن فى أشد أوقاتنا حاجة لأن نشحن نفوسنا جميعا بالإيمان .

بالإيمان سنواجه كل القوى العاتية مهما كان غرورها .

إننا نعد كل شىء بقدر ما نستطيع .

وبكل قوتنا نعد كل الأسلحة .

ولكن سلاح الإيمان لا يقل قوة عن أحدث الأسلحة .

الإيمان هو سلاح سرى رهيب فيه حتمية النصر بعون الله .

أيها الإخوة :

أريد أن أختتم كلمتى لكم بشىء واحد ، هو أن نكون على مستوى المسئولية التى أرادها الله لنا — سبحانه وتعالى — وأن نكون على مستوى حمل الأمانة التى أشفقت منها السموات والأرض .

● تبدأ الجزائر قريبا فتح الكليات الإسلامية : الشريعة ، أصول الدين ، واللغة العربية بجامعتها ، سيكون لهذه الكليات الطابع الأزهرى .

فى الصيف الماضى حصل الأستاذ عمر شقيرى - بوزارة أوقاف الجزائر - على للمناهج المختلفة لكليات جامعة الأزهر

● يوالى سماحة الدكتور السيد عبد الله ابن عبد القادر بالفقيه العلوى مدير معهد الحديث بمالانج — أندونيسيا — نداءاته لمناصرة القضية الفلسطينية — لما يوجه لمسلمى أندونيسيا من آن لآخر من حديث متمثلا بقول الرسول ﷺ : (المؤمنون بعضهم لبعض نصحة وادون ، وإن افترقت منازلهم وأبدانهم) رواه عبد الرزاق الجيلى فى الأربعين عن أنس ، والديلمى عن الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه — كنز العمال ١ / ٣٩ .

● تقرر فى المغرب نقل كلية أصول الدين من (تطوان) إلى (فاس) وإلحاقها بكلية الشريعة على أن تصبح الكليتان كلية واحدة فى المستقبل .

حلت صحيفة الميثاق المغربية التي يرأسها عبدالله كنون عضو مجمع البحوث الإسلامية على القرار ولفتت الأنظار إلى خطورة هذا التصرف .

● تألفت في الهند لجنة « البحوث الفقهية » تابعة لجمعية « علماء الهند » ويرأسها مولانا « سجاد حسين »

مهمة اللجنة ملاحقة التغييرات الاجتماعية بين المسلمين في شتى بلادهم لإصدار فتاوى سريعة لحل مشكلاتهم .

● تسهم وزارة الإدارة المحلية بالجمهورية العربية المتحدة في إقامة مدارس لتحفيظ القرآن الكريم في مدن محافظة قنا وقراها

● افتتح فضيلة الدكتور محمود حب الله عضو مجمع البحوث الإسلامية محاضرات « المركز الثقافي للدبلوماسيين » بالقاهرة فألقى مساء ١٣ من ذي القعدة ١٣٩٠ – ١١ /١/ ٧١ بالإنجليزية محاضرة بنادي التحرير عن « الإسلام دين الوحدة والأخوة .

القرآن الكريم . . أيضاً :

نشرت الأخبار في ٢٩/ ١٢/ ١٩٧٠ :

« أن الطالب سيد عبد العزيز سيد بكلية الحقوق – جامعة القاهرة – سجل بالشهر العقاري فكرة (تسجيل القرآن على طوابع البريد) موزعا على آيات أو بعضها حتى يكتمل ، وأن بعض الحكومات تدير مفاوضات مع الطالب لاستغلال فكرته لتنفيذها في بلادها » .

إن لطابع البريد رحلة ونهاية :

تبدأ رحلته عند وقوعه في أي كف ثم يمر بأي لعاب يستقر بعده على « الظرف » ويأخذ طريقه – مريدا – إلى آلة تصك وجهه ، فيبقى من جماله شيء أو ينغمر جميعاً في مداد أسود يشوه فيه أي جمال .

وينتهي إلى المرسل إليه وهو هنا أي إنسان من أي دين ، فقد يعنى بإخراجه وهذا نادر ، وأندر منه من يضعه في مكان يحتفظ فيه بالطوابع والكثرة الكاثرة هي من تمزق وتقرأ وتلقى في سلة المهملات وهذا أمر حدا ببعض الناس أن لا تبقى في هذا العصر أن يذكر اسم الله في خطاب إلا لإنسان يعرف ما يليق بذكر الله وبعد :

فهل تترك الآية القرآنية تبدأ هذه الرحلة فتقع في كل الأيدي وتحت كل لعاب وتنتهي نفس النهاية ، ثم نعطي بأنفسنا الحجة

لتغيير القرآن وتبديله إذا تواتت – دولة غير إســـلامية – الطبع تحت أي ظرف وبأية حجة.

إن القـــرآن العزيز كتاب الله الـــكريم لرسوله وللمؤمنين للتعبد بتلاوته وممارسة تعاليمه، فليس للزينة ولا لافتتان الحرفة وليس هو تاهيا لاقتناء الأفـكار الضالة أو عبث الأطفال، فينبغي أن يصان عما يراد به من هذا الابتذال.

● وضع سفير الجمهورية العربية المتحدة بجاكرتا – أندونيسيا الأستاذ فؤاد جلال قبل كتابا عن « المشكلة اليهودية العالمية » وقد تولى ترجمة الـكتاب إلى الأندونسية الدكتور بسطامي عبد الغني عميد كلية الآداب بجامعة جاركتا الإسلامية.

سبق للدكتور بسطامي عبدالغني ترجمة كتاب آخر للسيد السفير هو :

« دراسات في الحضارة الإسلامية »

● قامت « المـكتبة المصطفائية » بديوبند بطبع التفسير الجليل « روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني » للعلامة شهاب الدين محمود بن عبـد الله الألوسي المتوفى سنة ١٢٧٠

كذلك قامت « المـكتبة النعمانية » بديوبند بطبع كتاب نادر للفقيه الحنفي « ابن عابدين » « هو الفتاوى القاسمية ».

علي الخطيب

فهرس أبجدي عام

سنة ١٣٩٠هـ — ١٩٧٠ م

هـــدايا
صدرت عن مجلة الأزهر

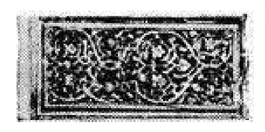
شبابنا المثقف أمام الإيمان والتدين
المستشرقون والإسلام
التيارات المعاصرة فى فهم القرآن
الإسلام والتفرقة العنصرية
الوحى والقرآن
من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى
القرآن وتجديد المجتمع
شبهات زائفة حول التفكير الدينى
رسم المصحف ـ المشكلة وحلها
التربية الخلقية والاجتماعية فى السنة النبوية

---

have not driven you out of your homes" S : 60, V : 8. Thus international relationship with the people, who have no quarrel with the muslims, is not a state of hostility, it is at least a neutral relationship until otherwise is deemed necessary. As a matter of fact the conception that the natural relationship between men is a hostile relationship and that they came to some understandinh through the "social contract" - is a foreign conception to the religion of Islam.

Islam intends right from the beginning to create a state of affairs in which man can enjoy his complete individual liberty and believe in what he freely wants to believe, and freely excercise the same. The individual liberty and the freedom of the will, are absolutely necessary for the validity of the belief; any sort of compulsion makes the faith void and null. The Holy Qur'an has made it very clear; when it says : "There is no compulsion in religion" S : 2, V : 256. It is to be noted there that the injunction has taken a denial form rather then the form of prohibition; so as to carry with it the cause of the prohibition; as it were saying you are forbidden to compel anyone to accept religion, because it cannot be done; it cannot be achieved in that way. Faith is a matter of conscience, and conscience cannot be compelled; all that you can accomplish by coerciom is to make man appear as if he were accepting and believing, where he, in actuality, is not accepting; to make him voice the words of conversion, while his heart is absolutely denying; in short, to make a hypocrite out of him; and hypocracy, in any form or manner, is condemned by Islam. One has to understand his religion and freely come to it; all coercion, thus, attributed to Islam are just figments of the imagination; are mere fictions. If anyone is interested in pursing the subject any further he can consult the Holy Qur'an or read some of the reliable books written about the subject, such as "The preaching of Islam" by Sir Thomas Arnold.

(to be continued)



do always assume that apart from their selves and their allies, there is no virtuous nation. Allmost all people and all nations suffer to some extent from that self-esteem and superiority complex; they may differ in the amount of the presumptions they make; the differences therefore are in degree but not in kind. That is the mental attitude of the war monger; it is the psychological basis of all problems and fighting. Man has to cure himself from such a mental disease; it does not help much to ignore the real cause, and to put the blame on some other innocent factors. Neither the material world — the market and the commercial enterprises, nor the destiny or fate, as some people like to put it, are responsible for human plunder and misbehaviour.

The emotion of fear does play a great part in causing such a struggle; the weak fears the strong, and the strong fears the weak lest the latter may become stronger or attack in the back. But this also is a mental attitude which must be subjected to objective moral standards that has, behind it, the sanction of man himself. Such objective moral standards can be found no where except in religion. All external orders are not sufficient unless they have the sanction of the self or the sanction of a supreme being that knows the hidden secrets of man as well as his apparent deeds.

Imbude with the spirit of their religion, the Muslims should not generally suffer from that destructive mental attitude since the religion of Islam has taught the Muslims to be broad-minded, of international temper, accomodating, cœxisting, and cooperating with all those who wish to cooperate and live peacefully with them. The history of the Muslim people is full of practical evidences which confirm this fact; and entire pages of the Holy Quran do emphatically make it law and order.

The religion of Islam is the religion of peace. This is the very implication of the word. The noun and the verb from wich it is derived mean peace. When Muslims meet one another and salute one another by saying "Assalamu Alaikum", they are praying for peace; but that peace is not confined to Muslims; it is extended to all those who want to live in peace with muslims. Listen to the Holy Quran regulating the relation between muslims and non-muslims in this connection when it says: " God does not forbid you to be generous and to deal justly with those who have not, on account of your religion, waged war against you, and

physical make up of mankind is one and the same everywhere; and there are many reasons for believing that the mental and emotional make up of mankind is as common to all men as their physical make up; and we are inclined to think in this way, so long we are not partial. The fact of human oneness can find many evidences in its support. Both psycho-analytic reseaches and statistical works confirm it. The discovery of the unconscious goes a step further to indicate that a great amount of actual unity does exist within them, although, for one reason or another, they may not be aware of such a unity. Thus all differences — racial and national differences and what is called national character are not inherent in the nature of the race or the nation as such; they are due to long traditions and the way of up bringing of the youths of the race or the nation. By nature, people are not widely different from one another as many people think them to be.

Yet because of one reason or another, some people tend to over-emphasize these slight and unimportant differences; and they further tend to classify poeple in terms of these differences. The social life here and there is full of such classifications; the way of speaking, the use of big phrases, the colour of the skin, the kind of clothing, the way of walking, the place of origin, all stand, in their minds, for a certain particular kind of manner. And they often jump to the conclusion that this must be the case with all those who undergo one or the other of the classes. If such people behave in a different way, the others do not correct themselves but jump to another conclusion and say they must be exceptional. By his surface appearance, a white man or a coloured man, gives to the opposite the illusion of profound natural differences; while the differences may not be actually there. In short, the categories are first defined, and those who fall into them are expected to be full of peculiarities; where as their only peculiarities may be the ones that put them in that category.

Again, because of self - love, people are also inclined to think of others in terms of their own interests; they are inclined to think as if only one nation does actually matter, and as if the other nations were merely means to their national ends; they think of them only as temporary allies or enemies of their chosen race and consider them good or bad, according to the part which they play towards the achievement of their national ends. They

ISLAM : The Religion of Unity and Universal Brotherhood

The text of the lecture delivered by Dr. Mahmoud Hubballah, Member of "the Islamic Research Academy", at the Cultural Centre for Diplomats, Ministry of Culture U.A.R., on Monday 11th January 1971.

The Holy Qur'an emphataically asserts that the human world is a moral universe, governed from without by some objective moral standards which no human being has the right to amend, or abolish; because they are not made by man; they are made for man, they are prior to any human relationship; they are constitued for the benefit and welfare of the human world in its different stages of development and manifestation : they are ordained to create in this world a tune of harmony, a sense of understanding and togetherness which should prevail and manifest itself, not only in personal relationship, but also in all national and international relationship. These moral standards are both objective, and universal; they carry with them their interinsic values and are applicable to everyone. Such a conception of the objectivity and universal application of the moral codes is, to my mind prerequisite for and mutual understanding in national or international relationship.

Once our men and women are taught to respect and honour humanity wherever it may be, and regardless of the form which it happens to take, or the culture which it happens to develop; once our men and women become aware of such values and rigorously adhere to them in their dealing with others, no devastating danger will ever emanate from any struggle how severe it may appear to be. The barriers which seperate one man from another, or one nation from antother, are artificial barriers; they are mainly the outcome of ignorance; give people knowledge - the correct and right knowledge - change the mental attitude, and the atmosphere will become brotherly pleasant, with a strong will to coexist with others, cooperate with them, and appreciate one another's right and dignity.

There is no doubt that the

and in thanksgiving for the mercy of God.

183 — The social aspect is not less striking. The world brotherhood of Muslims manifests itself there in the most vivid manner. The believers without distinction of race, language, birthplace or even class feel the obligation to go there, and to mix with one another in a spirit of fraternal equality. They camp together in the desert, and perform their religious duties in common. For several days, at fixed hours, they mach, make a halt, pass the night under tents or in bivouac, — all this to an extent greater even than the five daily pryer – services, trains the soldier of God for a life of discipline.

183 / a – When the Prophet Muhammad performed his own hajj, a few months before his demise, he uttered them from above the Hill of Mercy (Jabal ar - Rahman) a sermon which constitutes the charter of Humanity in Islam. Some 1,40,000 Muslims had come that year from allparts of Arabia, to listen to this testament of their Prophet, which may be analysed as follows : He reminded the basic elements of Islam, viz., belief in the One God with no icons or other material representation ; Equality of all Muslims without discrimination on account of race or class, and there being no superiority to one over any other except by the individual excellence in the matter of piety and fear of God ; Sacrosanct character of the three fundamental rights of each and every human being concerning his person, his property and his honour ; Prohibition of transaction on interest, be the interest big or small ; well the women-folk ; Constant re - distribution and circulation of the private wealth to avoid its accumulation in the hands of a few (by means of the law of obligatory inheritance, restrictions on wills and prohibition of interest etc) ; and Emphatic restatement that the Divine Revelation alone should be the source of law for our conduct in all wealks of life : – The pilgrims are made to hear this same sermon every year, recited from above the same sacred Hill of Mercy, at 'Arafaat.

the object of devotion and care and love.

181/a The Black Stone requires a particular mention on account of the many misunderstandings on its score. It is not a meteorite, but a Black stone. Its practical importance is to show the starting point of the circumambulation, and by its colour it is conspicuous in the building. Secondly, this stone is not worshipped, nor even Muslims prostrate in the direction of this stone, prostration being done towards any and every part of the building of the Kabah, and more often than not one turns to directions other than the Black Stone (al-Hajar al-Aswad). It may be recalled that once when the Qramitah revaged Mecca, they carried the Black Stone to their country as booty and it remained there for long years. In the course of this absence of the Black Stone, no Muslim turned to the place where it was kept (in Uman), but continued to turn towards the Kabah in Mecca. Even the building of the Kabah is not essential : If it is demolished, for instance for repairs and new construction, Muslim turn to the same spot, whether the Kabah with its Black Stone is there or not, As said, the practical importance of the Black Stone is that it indicates the point from which the circumambulation begins and at which it ends; but it has a sybolical significance too. In the Hadith, the Prophet has named it the "right" hand of God" (yamin-Allah), and for purpose. In fact one poses there one's hand to conclude the pact, and God obtains there our pact of alligiance and submission. In the Quranic terminology, God is the king, and He has not only His treasures and His armies, but also His realm ; in the realm there is a metropolis (Ummal qurra) and in the metropolis naturally a palace (Bait-Allah, home of God). If a subject wants to testify to his loyalty, he has to go to the royal palace and conclude personally the pact of allegiance. The right hand of the invisible God must be visible symbolically. And that is the al-Hajar al-Aswad, the Black Stone in the Kabah.

182 — As to the act of covering seven times the ground between Safa and Marwah, it is related that when Abraham left his wife Hagar and the suckling Ishmael in the desolate and uninhabited site of Mecca, the provision of water was soon exhausted. So Hagar ran hither and thither, driven by maternal affection, to search for some water for the thirst-stricken baby ; and then the Spring Zamzam gushed forth. So one repeats this act in the same place where Hagar did it, to pay homage to maternal love

were to think only of Abraham — who according to the Islamic tradition, was but the restorer of the edifice erected originally by Adam — it would still be older than the temple of Jerusalem, constructed by Solomon. No other place of worship older than the Ka'bah of Mecca, is known to be still functioning.

178 — The rites of the Hajj may breifly be noted : At the borders of the sacred territory, around Mecca, one puts off the ordinary dress, and puts on by way of a religious uniform two sheets of cloth — a join cloth and a shoulder cover, a dress required only of men, not of women. He is bareheaded and one tries to forget one's self during the several days of the Hajj He goes to 'Arafat, in the subrubs of Mecca, to pass there the day in meditation. Towards evening, he returns, passes the night at Muzdalifah, and early next morning arrives at Mina which is on the outskirts of Mecca. There he passes three days, during which he lapidates Satan every morning, sacrifices a goat, pays a short visit to Ka'bah for performing the ritual sevenfold circumambulation and running through the hills of Safa and Marwh in front of the Ka'bah. The symbolic background may also be desribed here :

179 — After their fall from Paradise, Adam and Eve were separated and lost. They searched for each other, and by the grace of God met together at 'Arafat. In gratitude to God, the descendants of Adam and Eve turn to Him make an effort to forget themselves and assimilated with the Divine Preşence, with a view to entreat His pardon for their shortcomings in the past and His help for the future.

180 — As to the lapidation of Satan, it may be recalled that when Abraham claimed to love God above everything else, God demanded of him as a proof the immolation of his beloved son. To add to this trial, Satan went first to Abraham to dissuade him from his resolution — and they say that this happended at Mina — but Abraham chased Satan away every time by pelting stones at him. Then he went to Hagar, and lastly to Ishmael him self; each one of them did the same. So one repeats the acts symbolically, and resolves to fight diabolic temptations.

181 — The visit to the "House of God" is self explanatory. To give evidence of obedience, one goes there with respect and in humility. It is a very old custom to circumambulate a thing for showing one's readiness to sacrifice one's self for

the lunar year employed in Islam, has 355 days, and the lunar month sometimes 29 and sometimes 30 days. So a Muslim fasts every year for 35 or 36 days, which is worth tenfold i. e., 350 or 360 days, the average being 355, which is the number of the days in the lunar year.

176 — The mystics observe, that an ebullition of animal nature hinders the perfection of the human spirit. In order to subjugate the body to the spirit, it is necessary to breake the force of the body and increase that of the spirit. It has been found that nothing is as efficacious for this purpose as hunger, thirst renunciation of carnal desires and the control of the tongue, the heart (mind) with its thought and other organs. One of the aspects of individual perfection is the subordination of animal nature to reason and the spirit. Nature sometimes rebels, and its behaviour at other times is one of submissiveness. One therefore needs the practice of hard exercises, such as fasting, in order to keep in check animality. If one commits sins, penitence and mortification through fasting may bring solace and purify the soul, even as they fortify the will so as not to indulge again in vices. It has also been remarked that neither eating nor drinking is a trait of the angles; and in imposing this regimen, man makes himself resemble more and more the angles; and since his actions are intended to conform to the behests of God, in the result, he approaches nearer to Him and obtains His pleasure; and that is the ultimate aim of man.

THE HAJJ

177 — Hajj literally means a travel (i. e. towards God) as also an effort to dominate something (the self, in this connection). Conventionally this term is translated as pilgrimage, although it is far from giving the exact significance of the word hajj. This is the third of the religious duties of a Muslim. It is obligatory on every adult, man or woman, to go once in his or her life-time to Mecca in order to perform there the great EFFORT for annihilating the ego (fana'), i. e., assimilating one's self with the will of God. Those who do not possess the material means of travel are exempted from it. But which Muslim would not collect, little by little, the necessary amount for being one day able to visit the centre of his religion, the Ka'bah or the House of God? The Quran (3:96) does not exaggerate when it says that this is the oldest House in the world dedicated by mankind to God and to the cult of monotheism. If one

up later by an equal number of days of fasting. The same applies to the sick. As to the very old he need not fast, yet if he has means he must feed a poor for each day of the fasts of Ramadan.

175 — It may be recalled that the Prophet forbade fasts extending over several days continuosly (for 48 hours or 72 hours for instance), over the whole year, or during the whole life, even to those who longed to do so in their zeal for spiritual practices to obtain increased benefit. He remarked : "Thou hast obligations even with regard to thine own self." In addition to the obligatory fast of Ramadan, one may fast, as a work of supererogation, if one likes, from time to time; and for this voluntary fast, the Prophet has recommended fasting for two days at a time. From the medical point of view, one notes that fasting eternally becomes a habitude, which does not produce the same effect as fasting at intervals. To fast for less than a month does not produce great effect, and a fast for more than 40 days becomes a habitude.

175/a. is a myth to say that fasting in cold climate is contrary to the requirements of human health. Biological observations show that wild beasts get practically nothing to eat especially when it snows. They sleep or otherwise pass their time "fasting", and get rejuvenated on the approach of spring. The same is true of trees also, in winter they lose completely their leaves, and sleep, and are not even irrigated; and after a a few months of "fasting", they are rejuvenated in spring and get more vigorous than ever, as everybody can see in their luxurious new foliage and blossoming. Infact like all animal organs, the digestive apparatus also require rest. Fast is the only conceivable mothod for it. Now-a-days a new school of medicine has come into existence in all the western countries; which treats, particularly choronic diseases, by short or long periods of fasting.

175/b. — It is an antique notion in human society to offer the tithe of one's gains to God; the tithe of harvest is an example. Fasting is offering the tithe of our meals to God. A parallel notion (endorsed by the Quran 6/160 : "Whoso bringeth a good deed will receive tenfold the like thereof") is that a good deed is rewarded ten times as much by God. That explain the saying of the Prophet : "Whoever fasts the month of Ramadan and six more days in the following month, Shauwal, is as if he has fasted the whole year." In fact

THE FAST

172 — The second religious duty of a believer is the fasting for one month every year. One must abstain during every day of the month of Ramadan from eating, drinking and smoking (including inoculations and injections) from dawn to sunset in the equatorial and tropical countries (and for an equivalent period in regions situated far away from the centre of the globe, calculated on the basis of the hours at 45° parallel, as we have just mentioned). Of the sick we shall speak later on, 174. It goes without saying that one must likewise abstain from thinking of carnal and other pleasures, incompatible with the spiritual regimen. It is quite a rigorous discipline, which may appear very difficult to the adherents of other religions; yet even the new converts get accustomed to it very soon if they show good will, and inclination as is evidenced by the experience of centuries.

173 — The fast extends over a whole month; and as is well known, it s the purely lunar month which counts in Islam. The result is that the month of fasting, Ramadan, rotates turn by turn through all the seasons of the year, autumn, winter, spring and summer; and one gets accustomed to these privations in the burning heat of summer as well as the chilling cold of winter, and one undergoes all this as a spiritual discipline, in obedience to God. At the same time one drives from fasting temporal advantages connected with hygienic, military training, development of will power, among others, even as those resulting from the services of worship. More than anybody else, it is the soldiers who have, during sieges and other occasions of a war to support the privations of food and drink and still continue their duty to defence. So the most stupid ruler or commander-in-chief would be the one who hiders his militia from fasting in the month of Ramadan.

But it must be repeated that the aim is, essentially and chiefly a religious practice and a spiritual exercise enabling proximity to God. If one fasts for temporal motives only — under the prescription of a doctor for instance — he will be far from accomplishing his religious duty, and will not benefit spiritually at all.

174 — As in the case of prayer, women do not require to fast during their feminine indispositions, yet with this difference that the defaulting days are to be made

DEVOTIONAL LIFE AND RELIGIOUS PRACTICES OF ISLAM

By Dr. MUHAMMAD HAMIDULLAH

II

In fact it is reported that in the course of the battle of Khandaq, it happened that the Prophet himself performed the zuhr, asr, maghrib and 'ishaa services all these four late in the night, for the enemy had not allowed a single moments respite during the day to attend to prayer. This means twice the prayer during the day. Again on the authority of Ibn 'Abbas, it is reported (see Bukhari, Muslim, Tirmidhi, Ibn hanbal, Malik, and particularly Sahih of Muslim, kitab as-salaat, bab al jam bain as-salatain fi'l - hadr, No. 49, 50, 54) that "sometimes the Prophet combined zuhr-'asr and maghrib-'ishaa having neither fear (of enemy) nor (inconvenience of) travel; adding: and the Prophet wanted thereby that there should be no inconvenience for his community." This narration implies thrice the prayer during the day. Evidently all depends on the conscience of the individual faithfull who is personally responsible to God Whom one cannot dupe and from Whom one can conceal nothing. There is again the question of the timings. We know that there is a great difference in the risings and setings of the sun between normal (equatorial - tropical) countries and the regions situated beyond and extending to the two poles, Al - Biruni (cf. al-jamahir) has observed that at the poles the sun remains set for six months continnually, and then rises to shine continuously for six months (excepting the two days of the equinox). The jurist - theologians of Islam affirm in general that the hours at 45° parallel remain valid upto 90° parallel, i. e., upto the poles; and in the regions, comprised between 45° and 90°, one is to follow the movement of the clock and not that of the sun. This applies to worship as well as fasts and other like duties.

171 — Women are exempted from prayer services during their monthly indisposition and accouchement.

sted to Uthman, and the Banu shaiba have retained this title until the present day.

The Ka'ba is a simple stone structure about fifty feet square which stands on a marble base in middle of the great mosque of Mecca. In the eastern corner of the room is the Black Stone [الحجر الأسود]

The four corners of the Ka'ba indicate the cardinal points of the compass. There is a very interesting view in Islamic cosmology which states that before the world was created the ka'ba was a focus in the flux of pre-existence and that the world was formed from this particular point.

Thus it becomes the navel of earth. Also in cosmography, the ka'ba corresponds with the pole star and as the latter is the highest point in the heavens, so the former is the highest point in the earth.

The following is the prayers of Ibrahim from the Holy Quran :

« وإذ قال إبراهيم رب اجعل هـذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم ، ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » .

It means : "When Abraham said : My lord : make safe this territory and preserve me and my son from serving idols. My Lord ! Lo ! they have led many of mankind astray. But whoso followeth me, he verily is of me. And whoso disobeyeth me still Thou art Forgiving, Merciful. Our Lord ! Lo ! I have settled some of my posterity in an uncultivable valley near unto Thy Holy House, Our Lord ! that they may establish proper worship ; so incline some hearts of men that they may yearn toward them ; and provide Thou them with fruits in order that they may be thankful". (14 : 35 - 37)

In the conference of pilgrimage Muslims meet in the service of God exchanging ideas, investigating their problems and strengthening the bands of fraternity and unity. The pilgrimage also adds to man's knowledge and experience. Differences of colour, race and nationality are levelled off and real bond among them is sincere brotherhood.

exposed his throat to his father's knife. Ibrhim stood over his son, knife in hand, about to give the life of his beloved son. What courage and faith this father and son had, for this was no easy thing to do for either of them, for the one to take the life of his son and for the other to submit [illegible]self to his father's wish : both of them submitting to the Will of Allah. Just as Ibrahim's knife was about to descent to his son's throat he heard the bleating of a ram and suddenly saw the animal, and Divine Voice commanded him : "This animal will be sacrificed and not your son". Then taking the ram which had miraculously appeared he obediently made a sacrifice to his Lord who had put him to this particular sacrifice.

It was this man and his son who rebuilt the first sanctuary on earth, the Ka'ba at Mecca. It is to this holy place that all Muslims turn at the time of prayers and make their pilgrimage. It is something wonderful and unforgettable to gaze upon the Ka'ba, for there is concentrated the adoration of millions. The Ka'ba is an inercapable part of the Islamic religion. Islam rejects all forms of idolatrous worship and the Ka'ba is but a holy place where man has worshipped Allah since the time of Adam, no more, no less.

There are many traditions and legends surrounding the ka'ba and 'Black Stone' but it is accepted by all Muslims that the ka'ba is the first sanctuary to be erected on earth and was rebuilt by Ibrahim and his son Ismail. The Black Stone is the only original stone left after many centuries and many reconstructions. Historical references to the ka'ba is very limited before Islam, and only begins at the time of Muhamad (peace be on him), when the ka'ba was destroyed by fire and was rebuilt of stone and wood.

It is reported that when the time came to replace the Black Stone, the people of Mecca quarelled for the honour and so Muhammad, placing the stone on his clack, ordered the cheifs to take each end and carry it, and he himself placed it in its position. Thanks to his wisdom, every one was pleased and no one was offended. At that time ka'ba became a place of heathen worship and when the prophet conquered Mecca there was found nearly 400 idols around the ka'ba. All these were destroyed and the building then purified to become once more a place of true worship, all idolators forbidden to enter Mecca. In the year 10th A. H. the Prophet led the first pilgrimage in which no idolator was present. At this time, the guardianship of the ka'ba entru-

ultimate conclusion that from him spread out the eternally vibrant rays of Islam. No wonder that Ibrahim is linked to the Muslim nation with strong bonds. The Quran tells off many happening in Ibrahim's life. One day Ibrahim asked his people : "What are these idols you worship ? You are wrong in doing so". They replied : "Our fathers did so, so do we".

Once, while he was walking to his father's house the day gradually faded, night came and a star appeared, when he saw this star he said : 'That is my Lord'. But when it set he said : "O I do not love things that set". Then he saw the moon appeared and said : "That is my Lord". When this also set he said : 'Surely if my Lord does not guide me I shall go astray and become one of lost". Then the sun rose and he said : "That is my Lord who is the greatest of all". But this also set and when it did so he said : "O my people : I am free from your idolatry. See, I turn my face to the Creator of heaven and earth". After this, there came a time when the people left the town and Ibrahim remainded behind, while they were gone he took an axe and went to the temple where the idols stood. Then he broke them into pieces and scattered them all except one large idol into whose hand he put the axe. When the people retur--ned and saw what had happened in their temple they accused Ibrahim, of the deed and questioned him saying : "Are you the man who did this to our gods ?" Ibrahim answered them : "Surely the largest of them has done this thing. Ask them, if they are able to speak". The people were confused and said : "You know well that they cannot speak". Then Ibrahim replied : "Do you then, disregarding Allah, the Lord of the Universe, worship those things that cannot help or harm you ? Shame on you and your worship of idols". The people could not answer and were furious with him. As punishment they threw him into a furnace, but Allah protected him and he left the fire completely unharmed.

Then the prophet Ibrahim had to make a supreme sacrifice. He was going to sacrifice his only son Ismail to his Lord who had put him to such a hard and severe test. In a dream he was commanded by Allah to sacrifice his son. When he told his son of his dream, he understood and told his father that he must do what he thought he had to do. Together they went to a certain place in the valley of 'Mina' and there prepared a place for sacrifice. When it was ready Ismail laid himself down on the altar and

It means : 'Lo ! the first Sanctuary appointed for mankind was that at Becca, a blessed place, a guidance to the peoples ; wherein are plain memorials (of Allah's guidance) ; the place where Abraham stood up to pray ; and whosoever entereth it is safe. And pilgrimage to the House is a duty unto Allah for mankind, for him who can find a way thither". (3 : 96 - 97)

One of the major significances of the pilgrimage is that it reminds us of the fine example of the great prophet Ibrahim. There is much to know about this wonderful man who called 'Khalil Allah' [خليل الله] "the friend of Allah". His life was very long and spent in the service of his Lord. The faith which Ibrahim taught, the faith that all the prophets taught, the faith that Muhammad, the last of all prophets taught is the faith of the One God, Allah. Ibrahim was the father of the upright religion. As the Holy Quran says :

« ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين » .

It means : "Abraham was not a Jew, nor yet a Christian ; but he was an upright man who had surrendered to (Allah), and he was not of the idolaters". (3 : 67)

To understand the true significance of the pilgrimage and the 'Eid el Adha' (the sacrificial feast which takes place on the 10th Dhul Hijja), we must recall Ibrahim's life and his sacrifices. He showed us that we must submit to the Will of Allah, no matter what it may cost, and often this submission is a form of testing for us that we may prove ourselves in the process of strengthening our faith and character. From the very beginning, Ibrahim's life was separated from others by the hand of Allah. At his birth his mother had to hide in a cave to escape the soldiers of king 'Nimrod', who, because of a certain dream, had ordered the killing of all new-born children who were male. When still a youth he had a great spiritual experience and which gave an indication of his future life.

He taught his people that there is a supreme being, infinite and transcendent, above and beyond limited, human comprehension. He is the All Kind, All Knowing, nobody is asked for help or mercy save Him. He is the Creator of this Universe, and there is no creator but He, no partner to Him. He is the only One who is distinguished by worship and He is Sole Cherisher of humankind. If one follows the logical and simple proofs set out by the prophet Ibrahim to his people then one comes up to the

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER :

ABDUL RAHIM FŪDA

Dhu'l-Hijjah 1390	ENGLISH SECTION	FEBRUARY 1971

The Role of "Hajj" In Strengthening Equality And Fraternity Among Mankind

By

A. M. Mohiaddin Alwaye

Pilgrimage is a spiritual provision for the Muslim. It fills his soul with obedience, fear of God, repentance from sins, love for the memory of the struggle between right and wrong; and it reminds him of the overthrow of the idols and establishment of the worship of the One God. The pilgrimage fills his heart with the brotherly feelings because it bids him remember that all his brother Muslims are facing towards the same sacred spot; that he is one of a great company of believers; united by one Faith filled with the same hopes reverencing the same things worshipping the same God. It moreover may be considered a world conference for all Muslims; a conference that is called for by God for the noble purposes. There around and inside the sacred House of "the land made safe" [البلد الأمين] the Muslim meets his brothers in religion from all parts of the worl

The eyes of the whole Muslim world fixed on that central spot, keep alive in the bosom of each some spark of the Divine fire which lighted up the earth in that age of darkness. The Holy Quran says :

« إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين ، فيه آيات بينات مقام ابراهيم ، ومن دخله كان آمنا ، ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا » .